تاريخ



سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations

الحضارة البابلية

الدكتور خزعل الماجدي



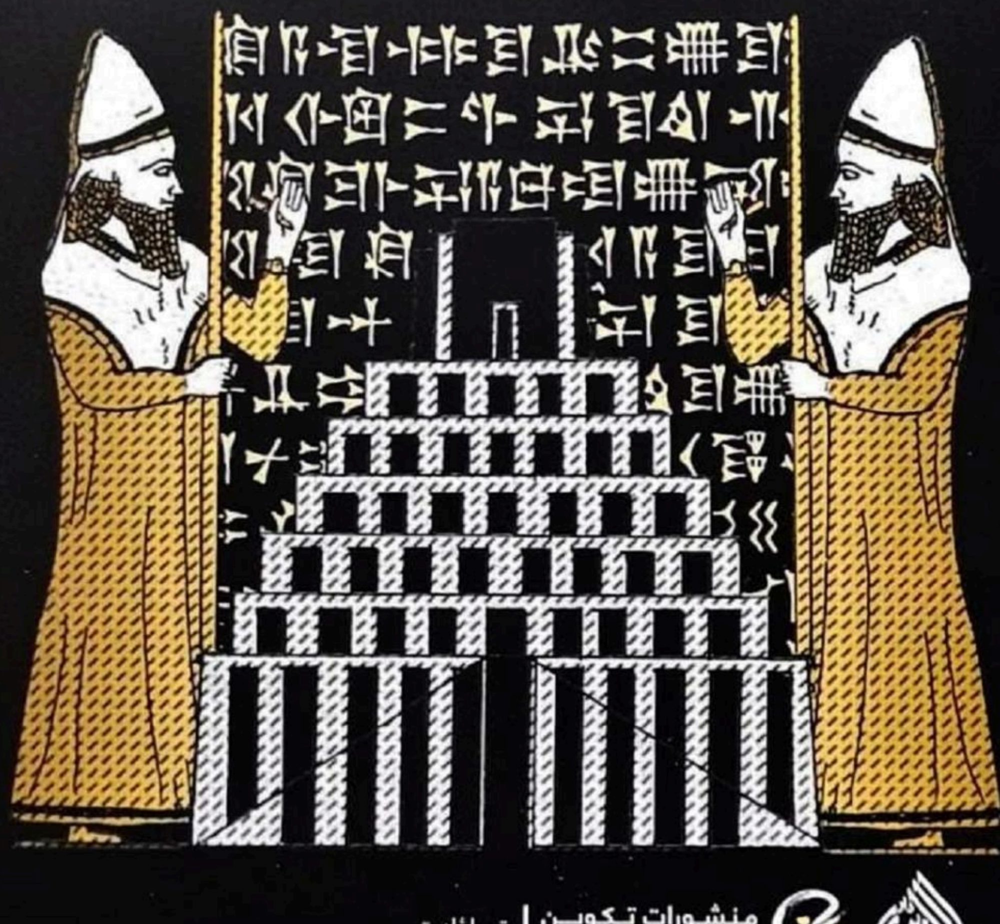
منشورات تكوين | تساؤلات
TAKWEEN PUBLISHING

تاريخ

سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations

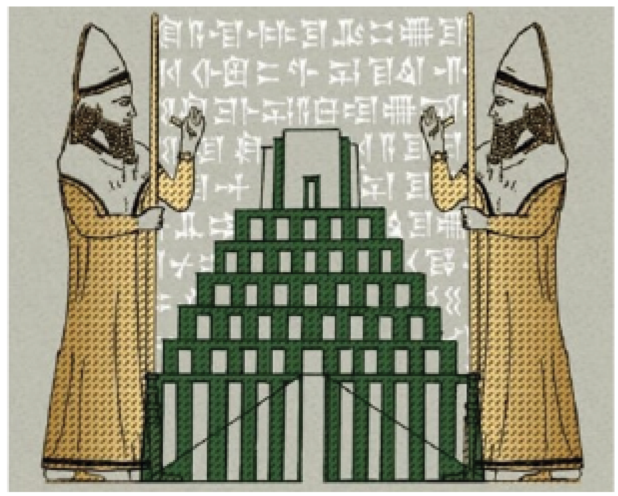
الحضارة البابليّة

الدكتور خزعل الماجدي



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
تساؤلات

الحضارة البابليّة



الدكتور خزعل الماجدي

منشورات تكوين TAKWEEN PUBLISHING | تساؤلات

الحضارة البابليّة

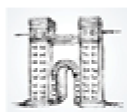
الدكتور خزعل الماجدي

Babel Civilization

By Khazal Al-Majidi

الطبعة الأولى، أغسطس ـ آب، 2020 (1000نسخة)

الطبعة الثانية، أبريل ـ نيسان، 2022 (1000نسخة)



آيقونة الحضارة البابلية: بوابة عشتار
https://www.dreamstime.com/hand-drawing-ishtar-gate-babylonian-located-babel-ishtar-gate-babylonian-image118947546

آيقونة سلسلة تأريخ الحضارات
رمز الحضارة

منشورات تكوين للنشر والتوزيع
الكويت ـ الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 96598810440 +
بغداد ـ شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 9647811005860 +
الموقع الالكتروني:
www.takweeen.com
البريد الالكتروني:
Publishing@takweeen.com

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي
تلفون: +9647811005860 / +9647714440520
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين
daralrafidain
daralrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 634 - 14 - 2

المقدمة

الصورة المؤسفة التي قدمتها الأديان الإبراهيمية الثلاثة عن بابل خالفت الحقيقة التي كانت عليها بابل من جميع النواحي الحضارية. فعلى مدى زمن بعيد في الماضي، يمتد لحوالي 2000 عام من الآن، وحتى قرن ونصف القرن تقريباً، ظلت صورة بابل في التوراة هي المهيمنة على عقول الناس في الشرق والغرب، فقد كانت بابل بلاد السحر والتنجيم التي يسودها عالم شرير تعجُّ به الشياطين والعفاريت والمعوّذين والسحرة. لقد اختصرت التوراة تأريخها العريق، الذي شغل ما يقرب من 1500 عام من التحضّر، بوصفه تأريخ العهر والانحطاط والجهل والكفر والجريمة والفسق، ولذلك كان لا بدّ للرب الذي رفع كأسها وأسكر به شعوب الأرض، (بَابِلُ كَأْسُ ذَهَبٍ بِيَدِ الرَّبِّ تُسْكِرُ كُلَّ الأَرْضِ) (التوراة سفر أرميا 51/7)، أن يوقف هذا السُّكر والمجون وأن يبدأ بمعاقبتها لأنها غافلت الرب وأسكرت الناس، ولا بدّ من تدميرها بعقاب سماوي ماحق، وأن تتحول إلى خرائب ينمو فيها الشوك. وهكذا فعل الإنجيل، (وَعَلَى جَبْهَتِهَا اسم مَكْتُوبٌ: بَابِلُ الْعَظِيمَةُ أُمُّ الزَّوَانِي وَرَجَاسَاتِ الأَرْضِ) (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي 17: 5)، حيث سيأتي المسيح الدّجّال منها، (إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ) كما يسميه بولس، و(الْوَحْشِ) كما يدعوه يوحنا، وعندها سيكون اضطهادٌ مروعٌ للمسيحيين، وهكذا فعل القرآن حين وصفها ببلد السحر وهاروت وماروت، وصار معنى اسم بابل في القواميس والمعاجم اللغوية العربية: السُمّ.

بابل التي شُيّد فيها أول برجٍ عظيم في الأرض، والتي رُصف فيها أول شارع، والتي رفعت عبارة التسامح الشهيرة (لا تشتم إلهاً لا تعبده)، والتي قال عنها الإسكندر المقدوني حين دخلها مبهوراً بجمالها وعمرانها: (من لم يرَ بابل لم يرَ شيئاً في حياته)، بابل التي أغاظت الجميع بجمالها وحضارتها، وأغاظت المهووسين بمصير ما بعد الموت، إذ كيف يمكن أن يتجسّد الفردوس على الأرض بها؟ وكيف يكون من نصيبِ بشرٍ كانوا يعبدون آلهة تطردها كتبهم المقدسة من نصوصها؟ وحين سقطت بابل بخيانةٍ داخلية وعملٍ عسكريّ خارجيّ،

كانت قد مرت بمثلهما كلّ الحضارات، صرخ هؤلاء بأن الرب عاقبها، بينما كانوا هم يعيشون بين أهلها معزّزين مكرّمين!!

أفلت بابل لكن صورتها الزانية والفاجرة التي رسمها هؤلاء لم تأفل، ولم يغيّر، هذه الصورة، سوى علماء الآثار الذين بدأوا منذ منتصف القرن التاسع عشر بجلاء حقيقة بابل وحضارتها.

لم تتغير الصورة فقط، بل إن الغربيين صُعقوا يوم عرفوا أن الكتاب المقدس الذي كان يهجو بابل ويشتمها مغروسة جذوره ومادته الدينية فيها على وجه التحديد، ثم انتهت هذه المهزلة حين عرفوا أن مؤلفي التوراة والتلمود كتبوا في بابل مستنسخين تراثها وناسبين هذا التراث لهم ولشعب لم تكن له ملامح إلّا بعد أن سكن في بابل وعاش من خيراتها الطبيعية والاقتصادية والمعرفية، وكوّن دينه فيها.

ورغم أن الآثار لم تكشف إلَّا عن جزء يسير من التراث البابلي، لكن هذا الجزء كان كفيلاً بإعطاء صورة واسعة عن الحضارة البابلية.

لسنينٍ طويلة بقينا مترددين، في مغامرة الخوض في كتابة هذا الكتاب عن الحضارة البابلية، بسبب المسؤولية الكبيرة التي كنّا نتحسّب لها خوفاً من عدم إعطاء الصورة الحقيقية والعميقة لحضارة بابل، ولكننا كنا خلال ذلك نجمع كل ما جادت به الكتب والبحوث العلمية ورسائل وأطاريح الماجستير والدكتوراه حول كلّ ما يخصّ بابل، أملاً في كبح هذا التردد وخوض المغامرة، ثم تحقق ذلك حين شعرنا بوفرة المادة العلمية ومراجعها الرصينة، الأجنبية والعربية، فوضعنا خطّة دقيقة لذلك هي صلب منهجنا في الكتابة عن تاريخ الحضارات عموماً، وكان أن تحققت بأفضل صورها في هذا الكتاب، وتقوم خطتنا على أساس تقسيم عناصر أو مظاهر الحضارة إلى 15 عنصراً أو مظهراً، سبعة منها تمثل العناصر المادية، وسبعة، تناظرها، تمثل العناصر الثقافية، أما العنصر الخامس عشر وهو (الأخلاق) فقد كان يوازن بين العناصر المادية والثقافية، وقد يختصر هذا الشكل الميزان (الذي صممناه ورسمه التشكيلي يوسف عزيز السومري) خلاصة أطروحتنا عن مكونات الحضارة:



الأخلاق الحضارية هنا لا تمثل فقط سلوك شعب أو شعوب هذه الحضارة بل هي ميزان التجانس بين كلّ ما هو مادي وثقافي من مكونات الحضارة، وهي البارومتر المرهف الذي يمكنه أن يعطينا فكرة عن الإيقاع الهارموني العميق لأوركسترا الحضارة المعنية وهي تعزف نشيدها الخاص في تاريخ البشرية.

وهكذا مضينا في تأليف الكتاب، فوضعنا الفصل التمهيدي الذي يضم التعريف العام بتلك الحضارة وأهلها والعلم أو الدراسات التي تدرسها وأعطينا نبذة عن مصادر دراستها والعلماء الأجانب الكبار الذين بذلوا الجهود في شرح مكوناتها ومظاهرها، وعرّفنا ببعض العلماء العراقيين الذين ساهموا في إضاءة جوانبها.

ثم تناولنا، في كلّ فصل، مكوّناً أو عنصراً أو مظهراً من العناصر المادية ويتبعه الفصل الذي يناظره من العناصر الثقافية، فمثلاً حين تناولنا فصل المظهر الجغرافي تبعناه مباشرة بفصل المظهر التاريخي، وحين تناولنا، بعدهما، فصل المظهر السياسي، تبعناه بفصل المظهر القانوني لكي نبيّن درجة التكامل والتضاد والتنافر بينهما، وهكذا بقية الفصول.

لا نريد أن نرهق القارئ بشروح سريعة عن كل فصل لأن الفهرس الذي سبق هذه المقدمة يبين ذلك بجلاء ووضوح.

وفي ختام الكتاب وضعنا الفصل الأخير المخصص لمعايرة وتقييم ونقد وتفرّد هذه الحضارة، فقد عرضناها للتحليل والنقد وخلصنا من ذلك بنتائج مهمة هي خلاصة كتابنا هذا عن تلك الحضارة.

وهكذا تكوّن الكتاب من 17 فصلاً بذلنا أقصى الجهود لكي نعطيها حقها من المعلومات والشرح والتحليل، ومع ذلك فقد اختصرنا الكثير خوفاً من تضاعف حجم الكتاب الذي هو كبير الحجم في أساسه. وقد حرصنا أن نقدم الكثير من النصوص البابلية الأصلية لكي تكون دالة مباشرة من الآثار للبحث، ووضعنا للكتاب الصور والأشكال والجداول والخرائط اللازمة من أجل توضيح وتبسيط ما غمض وصعب أحياناً.

وأخيراً نود أن نقدم اعتذارنا عن أي خطأ غير مقصود شاب بحثنا هذا وعن ما أجبرنا على الابتسار والتلخيص أحياناً، ونقدم شكرنا الجزيل لكل الجهود الكبيرة التي بذلها الباحثون والعلماء قبلنا، في مجالات الحضارة البابلية، فقد يسروا أمامنا الكثير من الطرق وفتحوا الأبواب الموصدة أمام البحث والدراسة.

الدكتور خزعل الماجدي

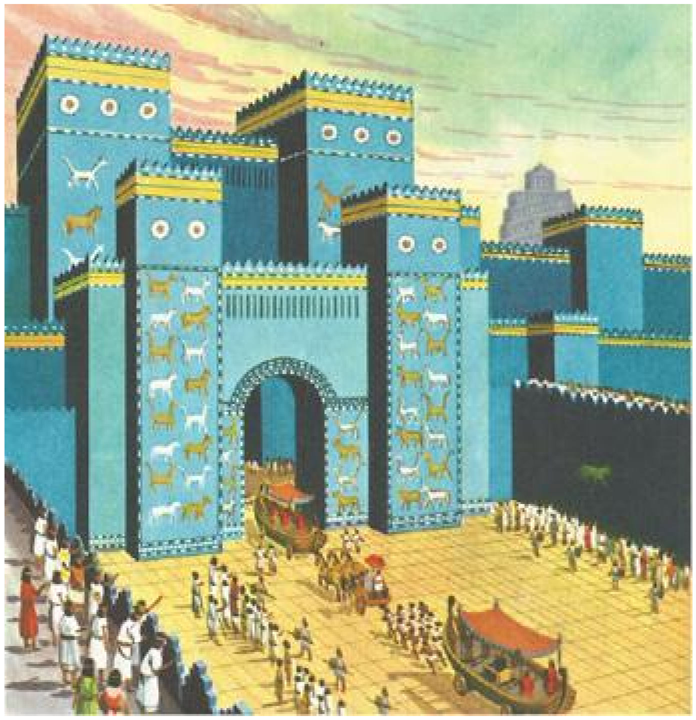
a_khazal@hotmail.com

باحث في علم وتاريخ الحضارات والأديان والأساطير

المملكة الهولندية

2020 /2 /1

الفصل التمهيدي: بابل وعلم الآشوريات



المبحث الأول: ما هي بابل؟

بابل: المدينة، الدولة، الإمبراطورية، الحضارة

الحضارة البابلية مركّبٌ شامل ومعقدٌ من الثقافات المتجانسة الإيقاع لمظاهر وثقافات متنوعة تمثل العناصر الخمسة عشر لكل حضارة معروفة، وهي تعمل بانسجام وتوافقٍ كبيرين، وهي نتاج كلّ المراحل التأريخية التي مرت بها بابل مدينة ودولة وامبراطورية. ولذلك لا بدّ من التفريق بين كل محطاتها هذه بدقةٍ وعلمية.

مدينة بابل: ظهرت المنطقة التي نشأت عليها مدينة بابل، في عصر العُبيد، كمستوطنة مسكونة حوالي 4000 ق.م، فقد «كانت بابل إحدى القرى الكثيرة المنتشرة في عصر فجر

السلالات في بلاد أكد (القسم الأوسط من السهل الرسوبي)، والمرجح أنها كانت من القرى التابعة إلى دولة مدينة كيش التي مر بنا أنها كانت أول مدينة قامت فيها سلالة حاكمة بعد الطوفان. وأقدم ذكرٍ لبابل بصفتها مدينة أو بلدة يرجع إلى زمن سرجون، مؤسس السلالة الأكدية التي أعقبت عصر فجر السلالات كما مر بنا. وقد سبق أن ذكرنا في الفصل الخاص بالعصر الأكدي ما روته الأخبار البابلية المتأخرة كيف أن سرجون نقل تراب بابل أو أخذ ترابها عندما شيّد عاصمته الجديدة أكد التي ينبغي أن تكون غير بعيدة عن بابل» (باقر 2009: 620).

في العصر السومري القديم ظهرت كمدينة تجارية صغيرة كان اسمها السومري هو (كادنجيرا) أي (أرض باب الإله). وفي العصر الأكدي فقد ظهرت أقدم إشارة مكتوبة عنها من عصر الملك شار ـ كالي ـ شاري 2350 ق.م، «لقد اشتهرت بابل على يد أحد أولئك الملوك الذي كان يدعى شار ـ كالي ـ شاري، والذي «وضع أسس معبد الإلهة أنونيت (عشتار أكاد) ومعبد الإله أ. مال في بابل» وقد كتب اسم بابل بطريقة الرموز، وهو يقرأ باللغة السومرية: كا. دينجر. را (كي)، وهو اسم ترجمه الساميون باب ـ إيلي (بالعبرية باب ـ إيل) الذي يعني «باب الله» فقد كانت بابل إذاً مدينة دينية. وازدادت أهميتها خلال النصف الثاني من الألف الثالث وأصبح احتلالها مكسباً مغرياً في عين الملك دنجي أو الملك شولجي من سلالة أور الثالثة (في القرن الثاني والعشرين) ق.م.»(روثن 1984: 28).

وفي العصر السومري الحديث كانت هناك إشارات عنها كمدينة. وقام سومو آبوم بتأهيل المدينة لتكون عاصمة للدولة البابلية التي أسستها سلالته الأمورية، وأصبحت بابل عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي.

كان نهر الفرات يمر من وسط المدينة. وعلى جانبي النهر تظهر مجموعة المعبد المقدس للإله مردوخ بضمنها زقورته المدورة على شكل برجٍ، وما وراء المعبد بقايا القسم الشرقي من مدينة بابل وأسوارها الدفاعية. وما وراء الأسوار تقع الحقول الزراعية المفتوحة في السهول.

كانت مدينة بابل، في حدود 600 ق. م، تعد واحدة من عجائب العالم القديم، يسكنها حوالي 200 ألف نسمة، وفيها منظومة أسوار دفاعية أحاطت بالمدينة بمحيط 16 ـ 18 كم.

كانت أعظم وأوسع عواصم الحضارات القديمة وأكثرها تحضراً وجمالاً، فبعد شوط طويل من التراكم الحضاري فيها غدت زينة العالم القديم وقبلة الحضارة والعلم والثقافة، حتى أن الإسكندر المقدوني، الذي جمع، في إمبراطوريته الشرق والغرب، جعلها، في آخر سنين حكمه، عاصمة للعالم الذي احتله، أي عاصمة للإمبراطورية المقدونية.

ضمت مدينة بابل أعظم المعابد والقصور والأسوار والمرافق الحكومية والإدارية، وما زال أغلب تراثها العمراني والثقافي تحت التراب، فقد بلغت نسبة التنقيب في المدينة في حدود 20% من مساحتها الكلية وأغلبه حصل في طبقاتها العليا أما التنقيبات في الطبقات الوسطى والعميقة فتكاد تكون غائبة.

ولم يتم العثور بعد على كلّ مدينة بابل القديمة (من العصر البابلي القديم) التي كانت في عصر حمورابي، وهي التي تخفي جذور بابل ونصوصها الأولى. وحتى بابل الوسيطة التي نالها الدمار والخراب ما زالت غير مكتشفة بالكامل، وكذلك بابل الحديثة التي حكمها الكلديون.

الدولة البابلية: ظهرت الدولة البابلية مع الملك حمورابي(1792-1750ق.م) من الأسرة البابلية الأولى حين انتهى من ضمّ دويلات المدن الأمورية في وادي الرافدين وخضعت له الممالك المجاورة (لارسا وإيسن وماري وأشنونا) وبسط سلطته على بلاد الرافدين كلها، وبذلك انتهت حقبة طويلة من الانقسام والفرقة امتدت منذ أوآخر العصر الأكدي.

وقد أصبحت عاصمة، هذه الدولة، مدينة بابل، وضمت لها المدن السومرية والأكدية والأمورية العريقة الجذور وأغلب بلاد وادي الرافدين منذ سومو آبوم حتى الملك السادس

حمورابي. وتكرر ظهور الدولة البابلية الوسيط في صعودٍ وهبوطٍ، واستقلال وتبعية حتى ظهور الأسرة الكلدية.

انحصر اهتمام ملوك المملكة البابلية القديمة ببناء بابل لكي تكون عاصمة لدولة / مملكة نفوذهم في وسط بلاد الرافدين واهتموا، بشكلٍ خاص، بالعمران المدني والعسكري، بتشييد التحصينات والأسوار وتدعيمها لحماية المدينة من الاعتداءات الخارجية.، والديني حيث اهتموا بترسيخ وإعلاء شأن إله بابل (مردوخ) ومعبده، ونتيجة لشهرة بابل في تلك الحقبة صار القسم الجنوبي من بلاد الرافدين يسمى بلاد بابل نسبة إليها.

الإمبراطورية البابلية: الإمبراطورية البابلية القديمة ظهرت مع حمورابي وبقيت بعده لزمن محدد، ثم عادت وانكمشت في العصر الوسيط، وانكمش نفوذ الدولة البابلية في وادي الرافدين، ومع تصاعد القوة الآشورية وإمبراطوريتها خضعت مدينة بابل، نفسها، للنفوذ الآشوري، وفي العصر البابلي الحديث ظهرت، مع نبوخذ نصر وحتى نهاية الأسرة الكلدية، الإمبراطورية البابلية الحديثة التي سقطت في 539 ق.م الميلاد على يد كورش وأصبحت هي وممتلكاتها جزءاً من الإمبراطورية الفارسية الإخمينية. وبذلك نكون أمام إمبراطوريتين بابليتين، الأولى هي الإمبراطورية البابلية التي بقيت لأقل من قرن منذ عصر حمورابي وإلى بعض أحفاده والتي سقطت على يد الحيثيين، ثم الإمبراطورية البابلية الحديثة التي بقيت هي الأخرى لأقل من قرنٍ منذ عصر نبوخذ نصّر وإلى نبونائيد حيث سقطت على يد الفرس الأخمينيين.

ومع سقوط الإمبراطورية البابلية الحديثة انتهى التأريخ المميّز والناصع لبلاد وادي الرافدين بأكمله، ودخل العراق القديم في عصور احتلال آري متواصل من قبل الفرس والإغريق والرومان والفرس الفرثيين والساسانيين، ومع التأريخ الوسيط بدأ عصر جديد لوادي الرافدين.

الحضارة البابلية: هي حصيلة كل التأريخ البابلي منذ بدايته حتى نهايته من تراث وعمران في السياسة والاقتصاد والمجتمع والديانة والفنون والآداب، وتتكون مظاهر وعناصر هذه

الثقافة من 15 مظهراً حضارياً، سبعة منها مادية، وسبعة منها فكرية وثقافية، والمظهر أو العنصر الخامس عشر هو الأخلاق. ويحاول هذا الكتاب شرح ومناقشة وتحليل مظاهر هذه الحضارة.

أسماء بابل ومعانيها:

بابل هو اسمها المعروف باللغة الأكدية والذي هو مصدر اسمها في الكثير من اللغات القديمة والحديثة، فهو، من حيث المبدأ، يتكون من مقطعين هما: باب ومعناه باب بالعربية، وإيليم ومعناه إله.(Bab-ilim)

لكن بابل لها أسماء كثيرة، حسب لغة الشعوب التي نطقت هذه الأسماء، وهذا الجدول يوضّح بجلاء هذه الأسماء ومعانيها:

*سُميت بابل، في العصر الكاشي (الأسرة البابلية الثالثة) (1677 - 1155 ق.م)، باسم (كاردونياش Kar.duni.ia.as والتي تعني باللغة الكاشية (بلاد . بحر. أرض) أي (بلاد أرض البحر) وهي ترجمة حرفية للكلمة (مات تامتيم Mat. Tamtim) التي تعني، في اللغة الأكدية البابلية، (ارض البحر)، والتي كانت إسماً للأسرة البابلية الثانية (أسرة القطر البحري) أو (أسرة أرض البحر) (1894 - 1595) ق.م، وقد استعمل آشوربانيبال، في إحدى رسائله، التعبير الكاشي ليدلَّ به على التعبير الأكدي وطابق بينهما. وواضح أن الكاشيين بتسميتهم لبابل باسم (كاردونياش) أرادو أن يعطوها صفة السيطرة على كلّ أرض البحر (التي تعني أهوار جنوب العراق والخليج العربي) ليسلبوا من الأسرة البابلية الثانية هذا الإمتياز.

المبحث الثاني: مصادر ومراجع دراسة الحضارة البابلية وتأريخها

أولاً: الآثار البابلية:

لعب علم الآثار دوراً كبيراً في كشف آثار بابل ونصوصها، وكانت التلال الآثارية مصدر تدقيق الأدوار التأريخية والطبقات الآثارية التي تضمّ في طبقاتها بقايا المدن أو القرى والقصور والمعابد القديمة البابلية فالتلال الأثرية تضم مجموعة من (الطبقات الآثارية)، التي تتوالى عليها ما تبقى من عمران وآثار نزولاً إلى المرحلة الأقدم إلى أن نصل إلى قاع التل على الأرض البكر، وقد نجد فيها أو قبلها آثار شعوب سبقتها.

هناك (الدور الحضاري) و(الدور التاريخي) وهو الحقبة الزمنية الحضارية الخاصة والمتجانسة في طرازاتها المعمارية وأدواتها، وقد يستغرق عدة قرون، ويتألف هذا الدور من طبقات أثرية فرعية تتميز بتبدلات حضارية وتاريخية وثقافية واضحة على كافة الصُّعد السياسية والعلمية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

البعثات الآثارية في بابل:

لم تكن البعثات الآثارية لبابل وللإرث البابلي عموماً، من حيث السعة والعمق، متناسبة مع مكانة الحضارة البابلية، ولا شك أن المستقبل ينتظر المزيد من هذه التنقيبات، وأما أهم من قاموا بالتنقيبات الآثرية في موقع مدينة بابل وأقدمهم، فتجدر الإشارة إلى المسوحات والتنقيبات الطفيفة التي أجراها الباحث البريطاني كلوديوس، جيمس ريتش (1811 و1817)، وعالم الآثار البريطاني والدبلوماسي في وقت ما أوستن هنري لايارد (1850)، ثم العراقي هرمز رسام (1978 ـ 1889)، والمستشرق الفرنسي فولجنس فريسنل ثم البعثة الفرنسية برئاسة جول أوبرت (1852 ـ 1854). وكان التحول النوعي في البعثات الآثارية مع البعثات الألمانية.

1.البعثات الألمانية: وهي من أوائل البعثات التي اكتشفت آثار مدينة بابل وتاريخها، بدأت البعثات الآثارية الألمانية التنقيب في مدينة بابل في سنة 1899م، بعد أن أرسلت الجمعية الشرقية الألمانية.

(Robert Johann Koldewey) (-Deutsche morgenlandische gesellschaft-dmg) بعثة آثارية ألمانية برئاسة عالم الآثار الألماني روبرت يوهان كولدفي (1855-1925) للتنقيب في مدينة بابل، وفريق عمل مكون من مجموعة من علماء الآثار الألمان ومنهم فالتر أندريه الذي أشرف وحده على تنقيبات قلعة الشرقاط وأزاح فيها التراب عن آثار مدينة آشور التي هي أولى عواصم الدولة الآشورية.

وبدأ روبرت كولدفي تنقيباته البابلية في تلّ القصر الذي غطّت جدرانه تصاوير حيوانات خرافية (تنّينات) وثيران قليلة البروز، وكان المكان هو بوابة عشتار وشارع المواكب الّذي كان يفضي إليها، والّذي كان مرصوفاً بالحجارة وعلى جانبيه جداران من الطّابوق، وكان شارع المواكب يمتدّ مستقيماً على حوالي 900 متر، تزينه أسود متتابعة من الجانبين. ويقدر عدد هذه الأسود في زمن إعادة نبوخذ الثّاني (حكم من 605 إلى 562 قبل الميلاد) لتشييد الدّرب بحوالي 120 أسداً. وكانت بوابة عشتار في الحقيقة بوابتين تنفتحان الواحدة على الأخرى من جانبي السّور المزدوج، وقد امتدت أعمال الحفر من عام 1902 إلى عام 1914، وخلال تلك الفترة، تم اكتشاف 14 متراً (45 قدماً) من أساس البوابة. أثناء استكشافه للهياكل المذكورة، اكتشف كولدوي أيضاً نقوشاً مسمارية وتماثيل وسرادقات (أعمدة) ونقوش تيرا كوتا، الأختام أسطوانة، والفخار، والأواني الزجاجية، والمجوهرات.

تولى كولدواي نقل بوابة عشتار إلى برلين، وجمعت على يده وعولجت في متحف بيرغامون في برلين وانتهت إعادة البناء في الثلاثينيات من القرن العشرين. وهي تشتمل على لوحة كتابية منقوشة يبلغ ارتفاعها 14 متراً وعرضها 30 متراً.

2.التحقيقات الأثرية القصيرة من قبل المعهد الأثري الألماني: في عام 1956 تحت قيادة هاينريش ج. لينزن في المسرح اليوناني وفي عام 1966 تحت إشراف ج. شميدت في ترميم معبد (إيتمنانكي).

ثم بدأت إدارة الآثار العراقية في ترميم معبد إيماخ وجزء من بوابة عشتار، والطريق العملي، ومجمع القصر في عام 1958، حيث بنت أيضاً نموذجاً نصف الحجم لبوابة عشتار كاملة عند مدخل بوابة عشتار.

3.التنقيبات المتفرقة خارج مدينة بابل والتي لها علاقة بالتاريخ والحضارة البابلية مثل:

أ. القصور الضخمة لحكام مملكة أشنونا على نهر ديالى مثل تل أسمر (أشنونا) حيث قصر الملك (بلالاما) المشرع القانوني.

ب. تنقيبات مدينة أور وآثارها البابلية.

ت. تنقيبات مدينة ماري وقصر الملك زمري ـ لم. وقد كشف بارو الفرنسي في حفائر ماري حيث عثر على ما يقرب من عشرين ألف لوحة مكتوبة في قصر الملك زمري ـ ليم.

ث. تنقيبات مدن نيبور وأوروك والضباعي وتل حرمل وتل الدير.

«إن التنقيبات التي نوّهنا بأشهرها لم تقتصر أهميتها على الكشف عن نماذج مهمة من البقايا المعمارية والمواد الأثرية الأخرى من العهد البابلي القديم، بل إنها كذلك كشفت عن مجموعات كثيرة ومهمة من النصوص المسمارية التي تأتي في مقدمة مصادرنا عن أحوال العصر البابلي القديم، مضافاً إليها الألوف الكثيرة من ألواح الطين التي استخرجت عن طريق الحفريات غير المشروعة، أي حفريات سراق الآثار، فكان حصيلة كل ذلك ما عندنا الآن من مجموعات كثيرة من ألواح الطين لا يمكن تقدير عدد ما هو مخزون منها في مخازن المتاحف العالمية، ولعل الرقم 50.000 ـ 70.000 رقم قريب من الصحة.» (باقر 2009: 485).

ثانياً: النصوص المسمارية:

تعتبر الكتابة المسمارية المدونة على الألواح والأحجار والمسلات والمعادن والأختام الأسطوانية وأحجار الكودورو وغيرها من أهم وأكثر الوثائق مصداقية، فهي مكتوبة منذ تلك العصور القديمة مباشرة ودون وسيط، ويمكن تصنيف محتوياتها كما يلي:

1. النصوص الرسمية:

أ. الكتابات الملكية والتي تتحدث عن أعمال ونشاطات الملوك والأمراء والحكّام في مختلف المجالات.

ب. جداول الحوادث المؤرخة بسنوات حكم الملوك وتسلسل ملوك السلالات، وبعضها يتحدث عن حروبهم وعلاقاتهم بغيرهم من الملوك وأعمالهم العمرانية.

2. النصوص السحرية والدينية والأدبية:

أ. نصوص تنبؤات الفأل والتي تشير لبعض الحوادث التأريخية فضلاً عن كونها مادة فكرية ودينية مهمة.

ب. نصوص الملاحم والأساطير مثل ملحمة جلجامش وأسطورة الخليقة البابلية، والكثير من النصوص الدينية والأدبية.

3. النصوص والإثباتات الجغرافية: تميز العصر البابلي القديم بظهور الجداول الجغرافية وهي عبارة عن معاجم صغيرة بأسماء المدن وظهرت كما لو أنها دليل سفر للمسافرين.

4. الرسائل العامة: وهي الرسائل المتبادلة بين الناس، وبعض الرسائل الخاصة التي تتضمن معلومات تأريخية.

5. نصوص التمارين المدرسية: وهي نصوص المدارس البابلية التي تتضمن تمارين الطلبة في مختلف حقول الدراسة، ويصدف أن تضم نصوصاً مهمة لا نظير لها في الرياضيات والأدب والجغرافيا وغيرها.

6. نصوص الوثائق والعقود الخاصة: وهي العقود الخاصة بالزواج والبيع والشراء والإيجارات وقرارات المحاكم.

7. النصوص الرياضية والفلكية والتنجيمية وغيرها من النصوص العلمية.

ثالثاً: المصادر الدينية:

في العصور الوسطى والقرون الأولى من العصر الحديث كانت المعلومات التأريخية عن بلاد ما بين النهرين تؤخذ مما ورد من أخبار كتب التوراة والتلمود والتفاسير، وغيرها، وقد أصبحت هذه المعلومات وكأنها مطلقة بسبب ارتباطها بالمقدس الديني، وما أن تأسس علم الآثار في بداية القرن التاسع عشر وبدأت الحملات الآثارية للتنقيب في وادي الرافدين حتى اكتشف الخلل الكبير في هذه النصوص ومبالغاتها المنطلقة من أسباب عقائدية، بل إن التوراة كلها وضعت تحت المجهر العلمي واكتشفت عيوبها وتناقضاتها مع النصوص البابلية والسومرية والرافدينية بشكل عام فضلاً عن النصوص الكنعانية والمصرية، وهو ما جعلها خارج دائرة المصداقية التأريخية.

رابعاً: المصادر الكلاسيكية:

1. مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين (الإغريق والرومان) ومن أشهرهم (هيرودوت) (480-425 ق.م تقريباً)، و(ديدروس الصقلي) ولد بجزيرة صقلية (140-80ق.م)، و(سترابو) (64ق.م ـ 19م)، و(بلينوس ـ بليني) (23-79م)، أما ستسياس فقد أرّخ للعصر البابلي والآشوري، رغم تركيزه على الناحية الأسطورية أكثر من تركيزه على الرواية التاريخية. وكانت معظم معلوماتهم خاطئة وغير واقعية ومليئة بالمغالطات نتيجة لسوء الفهم أو النقل من بعضهم أو لنقص المصادر التي اعتمدوا عليها بسبب اختلاف اللغة.

وكان المؤرخ البابلي الهيلينستي (بيروسس) واسمه البابلي (برحوشا أو برخوشا أو برعوشا) مصدر معلومات غير دقيقة للإغريق وغيرهم، وهو كاهن معبد الإله مردوخ في

بابل في مطلع العهد السلوقي في القرن الثالث قبل الميلاد، ومؤلف كتاب (بابلونيا) عن بابل باللغة اليونانية منذ بدء الخليقة إلى فتح الإسكندر المقدوني لها عام 331ق.م، ولم يعثر على هذا الكتاب لحد الآن وبقيت منه شذرات في بعض كتب المؤرخين والكتّاب الإغريق والرومان.

ومن الكتاب الرومان الذين يجدر التنويه بهم الكاتب المسمى (أريان) (95 ـ 175م) الذي اشتهر بمؤلفه عن حروب الإسكندر الكبير في كتابه المعنون (حملة الإسكندر) وجاءت فيه طائفة من الأخبار عن بلاد بابل وبلاد الهند والاستكشافات البحرية.

2. المصادر السريانية ومن أهمها ما كتبه (أوبسبيوس) (265-340م) الذي ألف عدة كتب عن تأريخ العرب العام، و(ملالا) (491-478م)، و«ثيودور برهوني» (893م) الذي ذكر ثبتاً بأسماء ملوك بابل، وغيرهم كثيرون.

3. الروايات والأخبار التي دوّنها المؤرخون والكتاب العرب المسلمون وهي في حقيقتها روايات شفاهية جمعوها عن طريق الرواة والإخباريين أو منسوخة نقلوها من الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية وتفاسيرها، وهي تحتوي على الكثير من الأساطير والمبالغات، وهناك أيضاً تدوينات الرحالة والجغرافيين الأوربيين قبل وبعد التنقيبات العلمية، وهي مجرد توصيفات عامة.

المبحث الثالث: أصل البابليين (جذور الشعوب البابلية)

لم يكن البابليون من جنس عرقيّ واحد، فقد كانت منطقة مدينة بابل مسكونة منذ عصر العُبيد في حدود 4000 ق.م بأقوام عُبيدية (قد تكون آمورية المنشأ)، ثم بنيت، في منطقة بابل، المدينة السومرية (كادنجرّا) المأهولة بالسومريين، ثم أسسها الأموريون عمرانياً ووسعوها وسكنوها وجعلوها عاصمة دولتهم، وكانت السلالة الثانية من القطر البحري

المختلطة الأجناس (سومرية، أكدية)، ثم حكمها الكاشيون القادمون من جبال زاغروس والمتحدثون بلغة غير مصنفّة، وسيطر عليها الآشوريون وسكنها الآراميون والكلدويون ثم الفرس والإغريق، وهكذا نرى أنها أقرب ما تكون إلى المدينة العالمية التي كانت تحلّ فيها الشعوب بثقافاتها ثم تذوب هذه الثقافات في خليط حضاري متجانس هو المزاج البابلي العام.

بابل مدينة ودولة وإمبراطورية وحضارة وشعوباً من مشارب عدة، جمعت فيها كل هذه الصفات حين تدرجت في تكوينها وتشعبت في تفاصيلها وغدت مدينة الكوزموبوليتيا القديمة، وهو ما يشير إلى أن التحضر الرفيع يعني اختلاط الشعوب في بودقة حضارية واحدة.

من بين كل تلك الشعوب نرى أن بابل تشكّلت بشكل أساسي من مجموعتين ساميتين هما (الأموريون والكلدويون)، المجموعة الأولى الأمورية أسست بابل وكوّنت أسرتها الأولى، والمجموعة الثانية ختمت تاريخ بابل وأسست أسرتها الأخيرة الحادية عشرة، سنذكر أهم الشعوب التي اختلطت ببعضها في بابل وساهمت في التشكيل الديموغرافي لها:

1.الأموريون:

هم الأقوام السامية القديمة التي بدأت بالظهور على مسرح التاريخ في الألف الرابع قبل الميلاد ويضع المؤرخون تاريخاً تقريبياً لبدء هجراتهم الأولى حوالي 3500 ق.م.

ونختلف مع أغلب المؤرخين في نسب موطنهم الأول إلى الجزيرة العربية (كما هو الحال مع جميع الهجرات السامية) ونرى أن العراق كان مهداً لهم وأن ظهورهم فيه زامن، إلى حدٍّ ما، ظهور السومريين قبل بدء العصور التاريخية لكن موطنهم الحقيقي لم يكن شرق أو وسط العراق بل كان متاخماً للضفاف الغربية للفرات وفي رقعة انتشار صحراوية واسعة غربية تمتد حتى بلاد الشام. ومن هناك انتشروا غرباً ثم عادوا وزحفوا عسكرياً إلى الشرق واحتلوا بعض المدن السومرية.

اسم «أمورو» (Amuru) يعني الغرب، أطلقه الأكديون على الأموريين، وقام البابليون بتعميم الاسم على بلاد الشام كلّها، وسموا البحر المتوسط «بحر أمورو العظيم»، واسم «أمورو» هو اسم الإله القومي للأموريين.

كان الأموريون يعقدون تحالفات قبلية واسعة بين القبائل المتقاربة جغرافياً، وكان تحالف بني اليامينا (اليمن) في وادي الرافدين أهم هذه التحالفات.

أ. تحالف بني اليامينا (اليمن): «تحالف بني اليامينا (Bin-met - ia - me-na) هم من أشد القبائل الأمورية البدوية قوة وشدة، انتشروا على مساحة واسعة على طول نهر الفرات، ويتواجدون في وادي الخابور الأعلى والأراضي العلوية في إقليم زالماقوم (حرّان) وإقليم ماري وترقا. كما كانت مناطق أعالي الفرات إحدى مراكزهم ما بين ضفتي النهر لاسيما حول مدينة ساجراتيم، إذ يذكر الملك زمري ـ ليم (1782 ـ 1760 ق.م) مقتل ملك بني اليامينا فيها. وتميزوا بعدم الاستقرار وذلك طلباً للكلأ والماء وإيجاد المراعي الجيدة لقطعانهم وأن المهنة الأساسية لهذه القبائل هي رعي الماشية والسعي وراء العشب والماء وصولاً إلى أعالي الخابور ومنطقة الجزيرة. كما كانوا يتواجدون في مناطق السهوب التي تمتد إلى الغرب من أعالي بلاد الرافدين وصولاً إلى حلب (يمخد) وقطنة وجبل بشري في سوريا. كما جاء ذكرهم في نصوص كرانا (تل الرماج).

تميز بنو اليامينا بطبيعة البداوة وهو الأساس في الهيكل العام للقبيلة، ويكون على رأس القبيلة شيخ القبيلة أطلق عليه (sugagum) ويعني رئيس القبيلة زعيم القرية ويسكن في خيمة كبيرة وفي نصوص ماري أعطته معنى وجيهاً، مختاراً، وأنها أوضحت كيفية معاملة شيوخ القبائل من قبل الملوك باحترام من أجل كسب ودهم، وكان نظام المشيخة وراثياً من الآباء إلى الأبناء. وقد جاء اسمهم بالنصوص المسمارية بالصيغة (Bini-met - ia - me-na) وأحياناً بصيغة (Bini-met - ia - mi-in) وتعني (اليمين، الجنوب). وقد عُرف عنهم بالتمرد والخروج عن السلطة وأن سبب التمرد هو عدم الاستقرار في المنطقة وخاصة في حركاتهم وتنقلهم مع قطعانهم شرقاً عابرين نهر الفرات، فقد كانوا ينهبون ويسلبون

المناطق الحضرية التي يرمون بها وقد تلقوا دعماً من (سمو ـ أبوخ) ملك يمخد في تمردهم على السلطة في ماري.» (القيسي 2017: 204).

ب. ويختلط اسمهم مع اسم قبيلة أمورية هي (أمانم) التي ورد ذكرها في كتابات ملك أوروك (سين ـ كَاشد) الذي لقب نفسه بـ (ملك أمنانم)، واستوطن فرعاً آخر منها في مدينة (سبار) التي سميت، أحياناً، بمدينة أمانم.

ت. وأهم قبائل الأموريين الذين سكنوا بابل هم يخروروم (الذين كانوا يتبعون لتحالف اليامينا أو اليمن في وادي الرافدين)، والذين جاء ذكرهم في رسائل مدينة ماري، والتي استوطنت في مناطق أواسط دجلة ما بين نهري الزاب الأسفل وديالى، واستوطن فرع منها في سبّار.

ث. يحروروم (يخروروم): «تعد قبيلة اليخروروم Yahrurum هي أحد قبائل تحالف بني اليامينا التي استقرت في أعالي الفرات والخابور وأطلق على المنطقة التي استقروا بها بلاد اليخروروم mat ia –ah - ru-r-um.KI وتقع قرب بلاد أيكلاتوم (تل مانباقا) على نهر الفرات إذ ورد في إحدى الرسائل من ماري مرسلة من يسمخ أدد إلى أخيه أشمي داكان يذكر فيها (أجريت التعداد في بلاد أكلاتوم وبلاد ياخروروم) وقد هاجرت إلى بلاد الرافدين واستقرت جنباً إلى جنب مع قبيلة الأمنانوم Amnanum في عدة أماكن، منها في مدينة سبار وأطلق على مدينتهم سبار يخروروم (UD. KIB. NUNKI ia-hu - ru - um) وتعتبر من المدن العراقية القديمة واشتهرت كثيراً في العصر البابلي القديم ونالت اهتماماً كبيراً من ملوك سلالة بابل الأولى وخاصة حمورابي. وكذلك استقر قسم منهم في مدينة الوركاء فقد استنجد الملك أنام ملك الوركاء بملك بابل سن موبلط لحمايته من اليخروروم والأمنانوم الذين يخيمون بالقرب من الوركاء كما جاء ذكرهم في عصر حمورابي وأبي ايشوخ أيضاً. فضلاً عن سكن قسم من هذه القبيلة في المنطقة بين حوض ديالى الزاب الأسفل بجانب الأمنانوم وقبيلة الياباسا. وبهذا فقد أسهمت هذه القبيلة في حضارة بلاد الرافدين وكان لها دور ريادي في العصر البابلي القديم.» (القيسي 2017 الملخص: 201).

ح. خانيين (حانيين): وهم قبائل أمورية سكنت منطقة (خانة، عانة، خانات) ومنها انتشرت إلى ماري والفرات الأوسط.

خ. سوتو (شوتو): التي سكنت غرب الفرات الأوسط، وانتشرت منه إلى مناطق في شرق الأردن وكونت مملكتي شوتو العليا وشوتو السفلى، ونرى أن لها علاقة بأصل الهكسوس.

وهكذا نرى أن الأموريين أقوام سامية مبكرة ظهرت في وادي الرافدين وبلاد الشام وانتشرت فيهما وكوّنت دويلات مدن أمورية من سلالات أو أسر عريقة، استطاعت السلالة الأمورية التي قادها (سومو ـ آبوم) أن تبني بابل وتؤسس سلالتها الأولى، وفي عصر ملكها الخامس حمورابي تمكنت من تأسيس الدولة البابلية ثم الإمبراطورية البابلية القديمة.

2.البحريون (شعب القطر البحري):

البحريون أو سلالة القطر البحري أو سلالة بابل الثانية (1740 ـ 1500 ق.م) ويسمون باللغة الأكدية (أورو كو ـ كي) URU.KÙKI أي أرض أوروكو، ونعتقد أن لهذه التسمية صلة باسم العراق الحالي (أوروكو) وهي مقاربة لاسم مدينة (أوروك) السومرية المعروفة.وهي سلالة نشأت في جنوب بلاد بابل على سواحل البحر الذي هو الخليج العربي المتاخمة لبلاد الرافدين، كانت مستقلة عن بابل لكنها كانت ضمن مجالها السياسي ثم ساهمت بحكمها، وظهرت بعد ثورة في الإقليم السومري المضمر جنوب بابل على حكم بابل وقادها (ايلوما ايلو) والذي كان أول ملوكها ضد (سمسو إيلونا) ابن حمورابي والذي خلفه في الحكم حكمت هذه السلالة من 1732-1460 ق م، وهي منطقة مستنقعات مجردة من مستوطنات كبيرة توسعت تدريجياً جنوباً وظهرت أسماء هؤلاء الملوك في قائمة الملوك الآشورية بأسماء أكدية وكان مركز حكم هذه السلالة في مدينة إيسن، وحين انهارت الإمبراطورية البابلية التي صنعتها السلالة الأمورية في بابل، كان البحريون يسيطرون على ما يعرف ببلاد كالديا، وهي أرض الكلدويين القديمة (مات كالدي)، حكم هذه السلالة 11 ملكاً، ودام صراع مرير بين ملوك بابل وملوك هذه السلالة دمرت على أثره مدن مهمة في جنوب بلاد ما بين النهرين من أهمها مدينة أور، ولم يتمكن أحد الطرفين من

القضاء على الآخر إلى أن جاء الكاشيون وقضوا على استقلالها في حدود عام 1500 ق.م، وحمل ملوكها أسماءً أكدية وكتبوا وتحدثوا بالأكدية، وهكذا يكونون هم قد جمعوا بين الجذور السومرية واللغة الأكدية والهيمنة باسم بابل، ومن سلالة إيسن الأولى ظهرت الثانية التي هي سلالة بابل الرابعة، ومن هذه السلالة تكوّن الكلديون وصولاً إلى نبوبلاصر الكلدي الذي أسس الأسرة البابلية الحادية عشرة والتي أقامت الدولة البابلية الحديثة.

3.الكاشيون:

شكّل الكاشيون طبقة حاكمة لشعب بابل، ولا شك أن بعض عناصرهم امتزجت مع الشعوب البابلية الأخرى خلال القرون الأربعة التي حكموا فيها، وأقاموا سلالة بابل الثالثة (1595 ـ 1157) ق.م.

اشتق اسمهم من الكلمة البابلية (كاشو) التي تعني القسوة والبأس، وربما كانت اسماً لإلههم القومي، يرجح أن يكون الكاشيون قد نزحوا من المنطقة الوسطى في جبال زاجروس، وربما كان نزوحهم بسبب ضغط أقوام أخرى، حيث لم يستطع الكاشيون اختراق بابل أو آشور فاتجهوا أولاً نحو شمال غرب الفرات الأوسط واستوطنوا في منطقة (خانة أو خانات)(عانة حالياً)، واستقروا فيها فترة من الزمن، ثم تحالفوا مع الحيثيين لغزو بابل عام 1595ق.م، وحين انسحب الحيثيون من بابل، دخل الكاشيون بابل وسيطروا على إدارتها الملكية، وكان الملك الحيثي قد غنم الكثير من الغنائم من بابل منها تمثال الإله (مردوخ) وتمثال زوجته (صربانيتم) تركهما في مدينة (خانة).

وقد تلقب ملك الكاشيين بلقب (ملك سومر وأكد) و(ملك بابل)، مع أنهم أطلقوا على بلاد بابل اسم (كار دونياش) التي تعني أما (بلاد أرض البحر باللغة الكاشية، أو (بلاد الإله دونياش)، وأهم ملوك الكاشيين في بابل هم:

1. أكوم كاكريمة (1602-1585ق.م)، وقد حاول هذا الملك في بداية حكمه استمالة البابليين عن طريق إعادة تمثال الإله (مردوخ) وتمثال زوجته (صربانيتم) إلى بابل.

2. أولام بورياش (حكم في حدود 1500ق.م) الذي تمكن من القضاء على (أيا كامل) آخر ملوك سلالة القطر البحري (سلالة بابل الثانية)، العمل الذي وحد به من جديد الأجزاء الجنوبية مع باقي أقسام بلاد ما بين النهرين، وساد العلاقات بين الآشوريين والكاشيين نوع من التعايش السلمي، لأن كلتي الدولتين كانتا قويتين، لذا فقد تحاشيا الاصطدام المباشر، وأبرمت لهذا الغرض العديد من المعاهدات لإقرار الوضع الراهن ولتعيين الحدود، وساد العلاقات الخارجية للكاشيين نوع من الهدوء النسبي، وعقدوا علاقات صداقة مع ملوك مصر، لذا فقد اتجهوا للنشاط العمراني بدلاً من النشاط الحربي، وشمل هذا النشاط جميع المدن البابلية.

3. كوريكالزو الأول والثاني: أسس الكاشيون، في عصرهما، مدينة جديدة ضخمة عرفت باسم (دور كوريكالزو) (عقرقوف حالياً 32كم غرب بغداد)، والتسمية تعني (حصن أو مدينة كوريكالزو)، ويبدو من اسمها أن الذي شيدها هو الملك (كوريكالزو الأول)، وقام الملك (كوريكالزو الثاني) بتوسيع المدينة وبناء زقورة فيها، وأصبحت المدينة العاصمة الثانية بعد العاصمة الأولى بابل.

مارس العيلاميون ضغطهم وهجومهم على الكاشيين وبابل في النصف الثاني من القرن 13ق.م من ضغط العيلاميين، وكانت العلاقة بين الكاشيين والآشوريين متوترة، فاستغل الآشوريون الموقف وهجموا على العيلاميين وأخضعوهم لنفوذهم، ثم أخضعوا بلاد بابل لنفوذهم لمدة سبع سنوات، وفي عام 1162ق.م هاجم العيلاميون بلاد بابل مرة أخرى وقضوا على الكاشيين ودمروا ونهبوا بابل ومدناً أخرى في بلاد ما بين النهرين، وسقطت سلالة بابل الثالثة بعد أن حكمت بلاد ما بين النهرين أكثر من أربعة قرون.

قدّسوا، وربما عبدوا، الحصان وشكل رمزاً لهم، وصنعوا عربات الخيول، واستخدموها في السلام والحرب كفرق للفرسان (الخيالة العسكرية)، وبذا شجّع الكاشيون استخدام الخيول في النقل على نطاق واسع في العراق القديم وبابل بشكل خاص، واستخدموا نظام التقويم بسني حكم الملوك، أي يبدأون من السنة الأولى لحكم الملك ويستمرون يؤرخون حتى

ظهور الملك الجديد حيث يبدأ تقويم جديد، وهكذا، واستخدموا الـ(كودورو) وهي أحجار تثبيت الحدود للأملاك والعقارات، وتودع نسخة منها في المعابد أو دائرة الأملاك التابعة للقصر، مع وجود نسخ منها عند المالكين على شكل رقم طينية.

4.الآشوريون:

تفاوتت علاقة الآشوريين والبابليين بين السلام والحرب، لكنها تصاعدت نحو الحرب مع تقادم الزمن، حتى تمكن الآشوريون من احتلال بابل وحكمها، وسواء في الحروب أو فترات السلام اختلط الشعبان بحكم تقاربهما في الأصول واللغة والتأريخ المشترك، وقد «أظهرت المراسلات التي تمت بين شمشي أدد ويسمح أدد وجود علاقات طيبة وودية بين الآشوريين والبابليين الذين طلبتهم بابل والذين لجؤوا إلى مدينة ساكا لاتوم. طلب شمشي أدد من حمورابي حماية قافلة تجارية آشورية في طريق عودتها من دلمون إلى ماري. واستمرت العلاقات الودية بعد وفاة شمشي أدد، بإرسال قوات بابلية بقيادة ابن حمورابي إلى أشمي ـ داكان في عهد حمورابي. وهذا يعني استمرار التحالف بين المملكتين والذي تعزز بإرسال مبعوثين من حمورابي إلى أشمي –داكان بعد وفاة شمشي أدد. فضلاً عن ذلك فإن الدولة الآشورية في عهد شمشي أدد قدمت نفوذها إلى المناطق الجنوبية من بلاد آشور فقد سيطر الملك الآشوري على مالفيوم الواقعة على نهر دجلة جنوب شرقي أشنونا، وقد ساند الهجوم الآشوري جيش من أشنونا عندما كانت الأخيرة متحالفة مع الآشوريين في عهده. وربما يكون الآشوريون قد سيطروا على كيش بسبب اللقب الذي تلقب به شمشي أدد ملك كيش وكذلك إحدى كتاباته إذ جعل البلاد بين دجلة والفرات مطيعة. كما أنهم سيطروا على كرانة. وجعلوها تابعة لهم في عهد ملكها ملك كرانة سمو أدد، وقد استمرت تبعية كرانة في عهد أشمي ـ داكان. الذي أرسل قوات آشورية لمساعدتها عندما تعرضت لتهديد مملكة أشنونا وحلفائها. ثم تحولت العلاقة بين آشور وكرانة إلى حالة العداء والنزاع بوصول اسكورد ـ أدد بن سمو أدد إلى عرش مملكة كرانة والذي لم يكتف بمعاداة الآشوريين بل وتحالف مع خصمهم زمري ـ ليم.»(الغزي 2019: 99).

5. الآراميون:

شعب ساميّ (ساريّ) أموري الأصل، نشأ في الألف الثالث قبل الميلاد عند المرتفعات الخفيضة في وادي الرافدين وتشكلت شخصيته الحضارية في مجموعة كبيرة من المدن الآرامية في وادي الرافدين وبلاد الشام تقترب من الخمسين مدينة، وقد نافس الآشوريين بقوة على سيادة المنطقة، واستطاعت لغته وثقافته أن تشكّل عماد المنطقة الثقافي ونبضها الروحيّ والثقافي بعد سقوط الدولة البابلية الحديثة وتسيّد الفرس عليها ثم الإغريق والرومان.

وهكذا نجد في مرحلة الظهور الآرامي هذه التي عيّنا مكانها فيما بين آشور وأكد باتجاه الفرات، (أنها بدأت بآرام في الألف الثالث قبل الميلاد وانتهت بآرام وأحلام في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وقد هاجرت قبائل أحلام (أحلامو) باتجاه الفرات وعبرته واستقرت لزمن طويل في جبل البشري أو جبل باشار غرب الفرات. أما قبائل آرام فقد بدأت بالاستقرار في مناطق شرق وغرب الفرات الأعلى والأوسط، وتسلقت إلى أعالي وادي الرافدين، وكانت في كل حركتها هذه تتحاشى الاصطدام بالآشوريين فهي تعيش على تخوم وجودهم المرتكز على دجلة قرب آشور وكالح، كما أن القبائل الآرامية اتجهت شمال سوريا في هذه المرحلة.

في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، استقرت القبائل الآرامية رغم الملاحقات والضغوط الآشورية والحيثية والميتانية.

وأصبحت في الغالب كلمة (بيت) تطلق على بعض هذه القبائل المستقرة، كما هي العادة عند قبائلنا العربية حتى يومنا هذا، إذ نقول إن هذا بيت فلان ونعني به عشيرة محددة.

أما كلمة (دور) الآرامية فسنراها تتضح أكثر في عصر الممالك الآرامية، لأنها تعبر عن عاصمة المملكة أو البيت الآرامي المعين الذي كوّن له مملكة.

في هذه المرحلة تُظهر الوثائق سعة انتشار القبائل الآرامية المستقرة في الأعالي الغربية للفرات شمالاً وسط الفرات عند بابل جنوباً وباتجاه صحراء بادية الشام غرباً. ولكنها تظهر هنا في صيغة ثالوث قبلي غامض هو (آرام ـ أحلام ـ سوت) الذي كان منتشراً من جبال بشري إلى تدمر وإلى مدينة بابل وإلى مدينة عانة جنوباً، أما شمالاً فيصل إلى مدينة جرجميش وسهل سروج إلى الشرق منها. وهو ما أخبرتنا به وثائق الملك الآشوري تجلات بلاصر الأول (1112 ـ 1047) ق.م. ويبدو لنا أنه رغم الملاحقات القاسية التي عانت منها هذه القبائل لكنها كانت ترسّخ أطوار استقرارها مع مرور الزمن. أما التمييز بين هذه الأسماء الثلاثة التي ترافقت تاريخياً، فقد تضاربت حولها الآراء والاجتهادات، ولكننا نود أن نعطي خلاصة رأينا فيها هنا.

آرام هي القبائل الرافدينية الملازمة لنهر الفرات والمنتشرة حوله من شمال العراق وسوريا حتى بابل. أما أحلام (أحلامو) فهي قبائل البادية أو الصحراء العراقية السورية وجبل البشري، والتي تسربت مع الزمن باتجاه الشام. وتربطها علاقة أصل قديمة مع الآراميين ضعفت بمرور الزمن حين أصبحت لها شخصيتها الصحراوية الخاصة، ثم اختفت من المسرح الآرامي المحتدم خلال القرون المتوالية، لأنها هاجرت باتجاه بلاد ومدن الشام.

وما أن حل العصر الآشوري الوسيط (1280 ـ 1912) ق.م، حتى بدأت المدن الآشورية بالاستقلال، وكذلك بدأت المدن الآرامية بالاستقلال والتوسع. وكانت هجمات القبائل والمدن الآرامية متصلة حتى استطاع الآراميون التمركز في الأراضي الواقعة في مثلث يقع رأسه في منطقة (ديار بكر) حيث تقع مملكة بيت زماني ويمتد بساقيه شرق وغرب الفرات، حيث تمتد الممالك الآرامية العراقية القديمة شرق الفرات، وتمتد الممالك الآرامية السورية القديمة غرب الفرات. وكاد المستقيم أن يوصل بين هيت في العراق حيث حدود مملكة سوحي وبين دمشق في سوريا حيث مملكة دمشق، وفي وسط هذا المثلث ظلت القبائل الآرامية تجوب في صحراء الجزيرة الفراتية العراقية السورية.

أما في جنوب العراق فقد انتشرت ممالك عديدة حتى وصلت عيلام. وكذلك في جنوب سوريا حيث ظهرت ممالك عديدة جاء ذكر أغلبها في العهد القديم.

ويمكننا إجمالاً تقسيم الممالك الآرامية حسب توزيعها الجغرافي إلى قسمين في العراق القديم (شمالاً وجنوباً)، وفي سوريا القديمة (شمالاً وجنوباً). وقد أحصينا في كتابنا (المعتقدات الآرامية) 24 مملكة آرامية في وادي الرافدين و22 مملكة آرامية في بلاد الشام.

6.الكلديون:

وهم شعبساميّ (ساريّ) قديم تمتد جذوره إلى الأموريين، وتفرّع من القبائل الآرامية وتميّز عنها بخصوصيته الثقافية، نشأ في سواحل العراق الجنوبية للخليج العربي وعلى حافات الأهوار والأنهار الجنوبية واختلط ببقايا السومريين والأكديين ثم اختلط بأموريي سلالة إيسن الأولى والثانية، ومن سلالة بابل الرابعة الإيسنية استطاع أن يبلور شخصية حضارية له تميزت عن الآراميين (الذين هم من أصول أمورية أيضاً)، واستطاعت الأسرة البابلية الحادية عشرة وهي أسرة كلدية أن تُنشئ الدولة البابلية الحديثة وإمبراطوريتها وتكون آخر الصفحات المشرقة لوادي الرافدين القديم.

«إن جميع المصادر المسمارية التي جاءتنا من الفترة الآشورية تسمي الأقوام التي استقرت في وسط وجنوبي العراق باسم كلدو (Kaldu) وتطلق على مراكز استقرارهم ونفوذهم تسمية مات كلديا أي بلاد كلديا. وقد شاع استخدام مصطلح (كلدويون) في المؤلفات الأجنبية والعربية بتأثير من صياغة الاسم في العهد القديم.ولكننا نميل إلى اعتماد اسمهم الصريح الذي أطلقه الآشوريون عليهم دون تحوير فنسميهم الكلديين وبلادهم كلدو وليس الكلدويين.» (محمد 1983: 32).

«وتشير نتائج بعض التنقيبات الأثرية، في مواقع من جنوبي العراق والخليج العربي، إلى العثور على كتابات كلدية تشبه حروفها العربية الجنوبية القديمة، حيث عثر

ليونارد وولي خلال تنقيباته في أور على كتابة تحتوي على عشرين حرفاً تحت التبليط العائد لفترة نبوخذ نصّر في معبد إي ـ نن ـ ماخ MAH ـ NIN ـ E كما عثر على ختم أسطواني من القرن الثامن ق.م مدون بالعربية الجنوبية في منطقة قرب عنه، ورقم طينية من الوركاء تعود للقرن السابع ق.م مدوّنة بالعربية الجنوبية أيضاً، إضافة إلى ما عثر عليه في ظفار والثاج والحناء من كتابات جنوبية تمت دراستها من قبل بعض الباحثين» (محمد 1983: 33).

وتضعنا كلّ هذه الحقائق الآثارية أمام عدة فرضيات واحتمالات يصعب الخوض بها ولكننا سنؤجلها إلى كتابنا القادم (الحضارة اليمنية).

لابد من التنويه للعلاقة بين الكتابة الكلدية الحديثة (السورث / سودايا) وهذه الأبجدية الكلدية التي ظهرت في عهد نبوخذ نصر، والحديث عن علاقة السبأيين الثقافية مع كلدويي وادي الرافدين.

«يعود ابتكار قلم الكلدية الحديثة المختلف كلياً عن القلم الآرامي من ناحية الشكل إلى مطلع القرن السادس ق.م أي بحدود (600 ق.م)، وتتمثل أقدم الكتابات الكلدية في البلاطات التي اكتشفها السير ليونارد وولي في معبد إيه نون ماخE-Nun Makh شمال شرق الزقورة في أور الكلدو من عهد الملك نبوخذ نصر الثاني (604 ـ 562ق.م)، والتي كانت تتألف من عشرين حرفاً هجائياً (ينقص هذا النص القصير حرفين لتكمل حروف الألف باء الكلدوي المعروف اختصاراً بعبارة (ألب بيث / ألب تاو)، وقد سعى وولي دون جدوى لاستكمال الحرفين الأخيرين من خلال التنقيب في معبد الميناء الذي بناه نبوخذ نصر الثاني في مدينة أور» (فتوحي 2007: 195).

«عرفت هذه القبيلة باسم كلدو. وأسست منذ القرن الثالث عشر ق.م. وقد تكون قبل ذلك من قبل سلالة بابل الثانية التي كانت من بقايا السومريين، وتمكن ملوك هذه السلالة من بسط نفوذهم على سواحل الخليج العربي وأكثر المدن السومرية والأكدية جنوب وادي الرافدين. يذهب البعض كذلك على أنهم من الآراميين البدو الذين نزحوا من سورية

وجعلوا ضفاف العراق قبلتهم منذ القرن الرابع عشر ق.م. وأحست بابل بخطورتهم على اقتصادها فكتب كل من الملك البابلي «كادشمان ايلليل» والملك الحثي «خاتوسيل» إلى زميله يذكر خطر الكلديين على الطرق التجارية الواصلة بين المدينتين وتسلل الآراميون إلى أرض بابل نهاية العهد الكاشي وعند سقوطه ظهرت إماراتهم وشجعهم انتشار بني عمومتهم حول الفرات والخابور وتضييقهم على آشور في عهدها الوسيط. وتذهب حياة إبراهيم محمد إلى القول: «أما بالنسبة إلى علاقة الكلديين بالآراميين فيظهر أن قوة العلاقة بينهم قد حملت البعض إلى اعتبارهم من قبيلة واحدة، وعلى الرغم من الأصل المشترك لكل من الكلديين والآراميين والتشابه اللغوي فإن الحوليات الآشورية تفصل بينهما تماماً وتكون الإشارة إلى كل واحد منهم بشكل مستقل عن الآخر.» (كيدار 2014: 217).

يرد اسم كلدو في المصادر القديمة كما يلي: الأكدية القديمة: كاشدو، كشدو، الأكدية الحديثة: كلدو، آرامية الدولة: كسدايا، الآشوريون يسمونهم (كلدو) وبالبابلية كانوا يسمون (كسدوا) وبالعبرية (كسديم) وقد وردت هذه التسمية الأخيرة في سفر حبقوق. التسمية الأصلية لهم هي الكلديون. وفي عبرية التناخ: كسديم، وفي آرامية الدولة: كسدايا.

الكلدي كمرادف للمنجم:

ساد في القرنين الأولين قبل وبعد الميلاد إطلاق تسمية كلدي على المنجمين والعلماء في بلاد الرافدين، حتى لو كانوا من أصولٍ فارسية أو ميدية، وكان نشاطهم غربي آسيا مميزاً في هذا المجال فقد وضعوا الروزنامات وأنشؤوا الرموز الفلكية والتنجيمية، وجاء كل ذلك بسبب تقدم العلوم الفلكية والتنجيمية في بلاد الرافدين وعمقه التأريخي.



رحيل وهجرات شعوب وادي الرافدين

.(Hunt 2009: 4)

فرضيات أصل الكلديين:

1.جزيرة العرب واليمن وعمان:

يقول علماء الآثار والتاريخ: إن موطن الكلدو الأصلي هو شواطئ الخليج في جنوب العراق، ويرى البعض الآخر من الباحثين مثل فيليب دوغورتي وغيره أن الكلدو أقوام خرجوا من الجزيرة العربية واندفعوا من هذه المنطقة ودخلوا العراق خلال الألف الأولى قبل الميلاد متخذين طريق ساحل البحر العربي ثم الخليج، ويشاركهم في ذلك الرأي الأب أنستانس الكرملي.

ويرى البعض الآخر من الباحثين مثل فيليب دوغورتي بأن الكلدو هم أقوام من شبه الجزيرة العربية، وقد اندفعوا من هذه المنطقة ودخلوا العراق خلال الألف الأول قبل الميلاد عبر طريق ساحل البحر العربي ثم الخليج العربي الذي أصبح مقترناً باسمهم، فسمي بـ(البحر الكلدي).

ويرى أحمد سوسة أن موطنهم الأصلي هو شواطئ الخليج العربي ينقل لنا الباحث جواد علي عن سترابو أن الأحساء شرق الجزيرة العربية ومنطقة الجهراء في ساحل الخليج هي

مواطن الكلدو الأصلي حيث كانت تتمتع بعلاقات جيدة مع بلاد بابل.

«الكلدو قوم أصلهم سامٍ نزحوا من شبه الجزيرة العربية. وفي القرن الحادي عشر قبل الميلاد احتلوا جزءاً لا يستهان به من بلاد بابل مؤسسين العديد من الإمارات القبلية أكبرها بيت ـ ياكين (القطر البحري)، بيت داقُوري، بيت عموقاني، كامبولو، بوقُودو. المدن البابلية بدت وسط محيط كلدوي، والمستوطنون الكلدو تغلغلوا إلى أراضيها. الأرستقراطية البابلية استغلت القوة الحربية للكلدو، وفي الوقت ذاته وبخلاف رغبتها شجعتهم للاحتلالات القادمة. ومع مرور الوقت تبابل الكلدو (صاروا بابليين) بشكل شديد. ولمرات عدة احتل الأمراء الكلدو بابل وأسبغوا على أنفسهم لقب ملوك بابل. أما الأرستقراطية البابلية فقد تخلصت منهم بتأليبها الواحد منهم ضد الآخر أو بالاستعانة بآشور وعيلام.» (بيلافسكي 2008: 24).

2.الأصل الآرامي:

وهذه أقرب النظريات للواقع والتي ترى أن الكلديين القدماء قبيلة آرامية ظهرت في جنوب العراق القديم، حيث يرى ديلابورت أنهم آراميون ويشاركه هذا الرأي الدكتور فوزي رشيد، وكذلك أدون بفن الذي يذهب إلى أن الكلدو كانوا من الأجيال آرامية الأصل، في القرن العاشر قبل الميلاد وعاشت في منطقة الأهوار (الإيبارو) وكان مركزهم «بيت ياكين» وتبعتها قبائل آرامية أخرى في ميشان، من الأهوار إلى مصب النهرين في مكانين منفصلين في الخليج حتى القرن الثاني قبل الميلاد، لذلك أطلق أولاً على هذه المنطقة اسم «بلاد أرمو».

«وقد انضم إلى القبائل الكلدية حشود من الآراميين نزحت من سورية في فترة ضعف الدولة الآشورية ما بين سنتي (1077و 911 ق.م) وتأسست منهم دولة في جنوبي العراق في منطقة الخليج عرفت باسم (بيت باكيني) وصاروا يتحينون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الآشوري فيها. فقد جرد أحد ملوكهم المدعو (مردوخ بلادان) حملة على بابل وفتحها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات بين (731 ـ 711 ق.م). وكان ذلك في

بداية حكم سرجون الثاني إلا أن سرجون حاربه واستولى على بابل فهرب مردوخ بلادان إلى أقصى الجنوب.»(حماد 2003: 526).

كانوا مجموعات بشرية كثيرة العدد جداً تتشكَّلُ مِن قبائل عديدة يتزعَّمُ كُلَّ قبيلة الرئيسُ الأكبر فيها يُطلق عليه لقب (الملك)، وجَعلَوا مِن بابل عاصمةً لهم مُستقِلَّةً عن سُلطة سُلالة أور الثالثة، وفي العام الثامن والعشرين مِن حُكم شمس ايلونا، حَدَثت ثورة في جنوب البلاد بمنطقة الأهوار المعروفة ببلاد البحر التي لم يستطِع إخضاعَها، ونتيجةً لذلك ظهَرَت سُلالة القطر البحري وسيطرَت على البلاد السومرية أثناء حُكمِها الذي ناهزَ المئَتي عام.

ساد نظام دويلات المدن الكلدية أو الممالك الكلدي الصغيرة وعددها حوالي ست ممالك، وكانت ممالكُهم تشغَلُ مساحات شاسعة مِن وسطِ وجنوبِ بلاد ما بين النهرين (العراق الحالي) بالإضافة إلى جنوب غربي إيران وكافة سواحل الخليج وجُزُره، وكانت جزيرة دلمون أكبر تلك الجُزُر وهي (البحرين)، وجزيرة (فيلكا)، واسم هذه الجزيرة مُشتَقٌ من لفظة كلدية (بَلكا أو بَلكَوثا) وتعني بالعربية (المُنتصف) وسُمِّيَت بهذا الاسم لموقِعِها الوسطي بين البر والبحر الكلدويين، وكان يُطلَقُ على بلاد الكلدو في الزمن السابق للقرن الحادي عشر قبل الميلاد (بلاد البحر) نَظراً لكثرة أهوارها وبُحَيراتِها، وجاء ذِكرُ هذه التسمية في حَوليات الملك الآشوري (تُوكَلتي نينورتا الأول 1245 ـ 1208 ق. م) وفي عهدِ الملك (تَجلَتبيلاصَّر الأول 1115 ـ 1076 ق. م)، أما في حوليات الملك الآشوري (آشورناصربال الثاني 882 ـ 860 ق. م) فوردت (بلاد الكلدو) و(بحر الكلدو) لأول مرة، حيث يتحدَّث الملك شلمَنَصَّر الثالث أيضاً في حولياته عن شعبٍ اسمه الكلدو، وأشار أنه ساعدَ حلفاءَه البابليين بإرساله إليهم قواتٍ عسكرية لدعمهم ضِدَّ تهديدات الكلدو والآراميين للدولة البابلية، وأنه قد أغار على بلاد (كلديا).

وأكّد ذلك الآثاري أوبنهايم قائلاً: «فمنذ القرن التاسع ق.م نسمع عن منطقة تسمى كالدو Kaldu، ونسمع عن سكانها الكلدويين الذين، على ما يبدو، قد عاشوا في منطقة الأهوار والمستنقعات على طول المجرى الأسفل لنهري دجلة والفرات بين سواحل الخليج والمدن

الواقعة في أقصى جنوب بلاد بابل، إن هذه المنطقة، التي اعتمد فيها السكان على نسبة قليلة من الزراعة وعلى صيد الأسماك وتربية الماشية، قد قسّمت إلى مجتمعات قبائلية تسمى بيوتاً، وكان يتزعّم كل بيت «بيتو» زعيم اتّخذ لنفسه لقب ملك، وكانت كبرى تلك المدن واقعة جنوبي بورسبّا واسمها «بيث داكوري» (Bit - Dakuri)، أما على نهر دجلة، فكانت «بيت ياكين» (Bit - Yakin) وكان هذا الموقع كبيراً ومهماً بسبب قربه من بلاد عيلام التي تصل منها الأسلحة والأموال التي مكّنت القبيلة من الدخول في صراع مع بلاد بابل» (أوبنهايم 1981: 199).

الدكتور سامي سعيد الأحمد، يقول عن بداية وجود الكلدويين: «إن أول ذكر الكلدويين ومنطقة أرض البحر، كان حين تقدم الملك الآشوري شلمانصر الثالث نحو بلاد الكلدويين الذين أطلق عليهم ملوك (أنا كلدي)، وقد استطاع شلمانصر أن يسيطر على المدن الكلدية ويحصل على الجزية من زعمائهم، وهم أديني بن داكور وموشا شاليم مردوخ بن أوكانو. وفي نص آخر يذكر شلمانصر أنه احتل مدينة» باقانو» (Baqanu) حيث مركز شيخ الكلدويين (أدينا)، ثم دخل شلمانصر مدينة كلدية أخرى هي «إينزودو» ويظهر من النص الآشوري أن منطقة أدينو أي المنطقة الكلدية كانت على جانبي نهر الفرات في أقصى الجنوب، ولا بد أن تكون أيضاً عند مصبّه في الخليج حيث كان من الواجب عبوره للوصول من مدينة «باقانو» إلى مدينة «إينزودو» عاصمة ذلك الشيخ الكلدوي. يؤكد النص أيضاً ارتباط منطقة الكلديين ببلاد أرض البحر.» (الأحمد 1985: 275).

الآراميون في العراق «أسسسوا فيه عدة دويلات منها دويلة (بيت عديني) ومركزها في (بورسيبا). وكان مركزهم في منطقة بابل حيث حكمت سلالات بابلية عديدة في فترات متواصلة بين منتصف القرن الثاني عشر والقرن السادس قبل الميلاد. وكان أول من برز من ملوكهم (أداد ـ بلادان) وهو من سلالة بابل الرابعة، استولى على عرش بابل وحكم بين سنة (1067 ـ 1047 ق.م.) وفي ساحل الخليج في جنوبي العراق أسس الآراميون عدة دويلات أهمها دولة (بيت ياكيني) وقد عرفت سلالة ملوكهم بسلالة القطر البحري (أمراء الخليج) وقد لعب أحد ملوكهم المسمى (مردوخ بلادان) ـ (وهو من سلالة بابل العاشرة) ـ

دوراً في المعارك التي خاضها مع الآشوريين. ففي بداية عهد سرجون الثاني (722 ـ 705 ق.م) استولى على بابل ونصب نفسه ملكاً عليها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات (721 ـ 711 ق.م) وكانت آخر سلالة من سلالات بابل السلالة البابلية الحادية عشرة أي سلالة الكلدويين التي اشتهر فيها. «(حماد 2003: 12 ـ 13).

في الفترة المبكرة، بين أوائل القرن التاسع وأوآخر القرن السابع قبل الميلاد، كانت (مات كالدي) هو اسم منطقة صغيرة مستقلة تأسست من قبل المهاجرين تحت سيطرة الإمبراطورية الآشورية الجديدة (911-605 قبل الميلاد) في جنوب شرق بابل. إلى الشواطئ الغربية للخليج» (McCurdy& Rogers 1902: pp. 661–662)

توزع الكلدو على مجموعة من البيوتات (مجموعات/أحلاف) كان أكبرها (بيت داكوري) و(يت أموكاني)، وشكلت مجموعة أخرى تجمعات صغيرة منها (بيت شاعلي) و(بيت شيلاني) و(بيت يقيني)، وأول ذكر للكلديين جاء في نصوص من عهد آشور ـ ناسير ـ ابلي نحو عام (883 ق.م).

في عهد توكولتي ـ ابلي ـ إشارا يظهر اسم «ملك بلاد البحر» من بيت يقيني وهو الملك (مردوخ ـ ابلا ـ أدياني الثاني) من ضمن دافعي الجزية الآشور، كما هاجم (نبو ـ موكين ـ صري) من (بيت اموكاني) العاصمة البابلية ونصب نفسه ملكاً عليها، إلا أن تجلات بلاصر الثالث خلعه. ثم استطاع (مردوخ ـ ابلا ـ ادياني) أن يعتلي عرش العاصمة البابلية ضد إرادة سرجون الثاني، كما شكل حلفاً من الآراميين والعيلاميين ضد آشور، سرجون الثاني انتصر عليه عام 710 ق.م في معركة (دير) وهرب (مردوخ ـ ابلا ـ ادياني) إلى عيلام، لكنه من كيش هجم في العام 702 ق.م ولمدة 9 شهور متحدياً سنحاريب. واستمر تحدي البابليين الكلدويين للدولة الآشورية حتى تمكن نبوبلاصر من الانتصار النهائي وأصبح ملكاً متوجاً على عرش بابل عام 625 ق.م ومنه ابتدأ عصر الدولة البابلية الحديثة.

دويلات المدن الكلدية:

أشارت الآثار والمصادر التاريخية بأن الكلدو سعوا بجدية لبناء دويلات مدنٍ وممالك سُميت، على غرار التسميات الآرامية، بالـ (بيوت الكلدية)، كانت مزدهرة بفضل أراضيهم الوافرة الخِصب ووفرة المياه، ووفرة الثروة الحيوانية من قطعان الماشية والأبقار والبِغال والحَمير والخيل، فضلاً عن نشاطهم التجاري المميز عن طريق الأنهار والبحار، فهم يركبون البحر بمهارةٍ، وتشيرُ بعضُ اللوحات الآثارية المُكتشفة إلى تجارةٍ واسعة مع الأقطار الشرقية بصورةٍ متواصلة، تتبادلُ بها البضائعُ عن طريق مُقايضة مُنتجاتِها الزراعية والحيوانية بالمعادن المتوفرة لدى تلك البلدان.

تأسست عدة دويلات مدن أو ممالك كلدية في جنوب ما بين النهرين في مطلع القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وورد ذِكـرُها في حـوليات ملوك آشور:

1. مملكة بيث ياقين: كانت عاصمتُها دور ـ ياقين: (تَل اللحم حالياً / بين الناصرية والبصرة) وتشمُل رُقعتُها الحَوضَ الأسفلَ مِن الفرات وشواطئ الخليج وجُزُره حتى الخليج العُماني، أشهر ملوكِها كان الملك (مردوخ بلادان 733 ـ 710 ق. م)، يتم استخدام اسم (بيت ياكين، ياقين) كأنه اسم أكبر وأقوى قبائل الكلدويين الخمس، أو ما يعادلها، أي كأنه مرادف لمصطلح (كلدو)، ويشير لوجودهم في أرض تمتد من من دجلة السفلى إلى شبه الجزيرة العربية. يذكر سرجون الثاني أنه وصل وتمدد إلى حد دلمون أو «أرض البحر» (شرق الجزيرة العربية الساحلية). ويشير لـ«كلديا» أو مات كالدي عموماً إلى الأرض المنخفضة والمستنقعات والغروية حول مصبات نهري دجلة والفرات، والتي كانت تصب في ذلك الوقت مياهها عبر أفواه منفصلة في البحر.

كانت العاصمة القبلية دورياكين هي المقر الأصلي لمردوخ-بلادان الذي سيطر سنة (733 ق. م) على مدينة بابل الواقعة تحت الهيمنة الآشورية، ونودِيَ به ملكاً على الدولة البابلية، تَمَيَّزَ بالقوة والعزيمة فقام بتوحيد كافة الممالك والقبائل الكلدية في مملكة مُتحدة واحدة، مؤكِّداً استقلالَ بابل السياسي وحَقَّها الشرعي في حُكم البلاد البابلية، ولكن الملك الآشوري (سركَون الثاني 722 ـ 705) انتصر عليه عام (721 ق. م) واستعاد بابل منه، كانت مملكة

بيت ـ ياقين أكبر وأقوى الممالك الكلدية، ومِن بين أبنائها ظهر أغلبُ ملوك الكلديين في عهد الإمبراطورية البابلية الثانية (626 ـ 539 ق.م).

كان يُطلق على ملك كلديا أيضاً اسم (ملك ياكين)، تماماً مثلما كان ملوك بابل وآشور يُصممون بشكل منتظم ببساطة كملوك لبابل أو آشور، العاصمة في كل حالة. بالطريقة نفسها، كان يُعرف الخليج أحياناً باسم (بحر بت ياكين)، وأحياناً (بحر أرض الكلدية).

أصبحت «الكلدية» تستخدم بمعنى أوسع، لبلاد ما بين النهرين عموماً، بعد صعود الكلديين خلال 608-557 قبل الميلاد.

2. مملكة بيت دَكّوري: Beth - Dakkuri كان موقعُها في حَوض الفرات إلى الجنوب مِن مملكة بابل، تمتدُّ مساحتُها مِن مدينة بورسيبا (برس نمرود حالياً / جنوب الحلة) من الشمال وحتى حدود مدينة أوروك جنوباً ومعناها باللغة الآرامية (بيت رجلي أو بيت زوجي)، قام الملك الآشوري أسرحدون بالهجوم عليها وسلبها وأسر ملكها شمش-ابني.

كانت قد تأسست في الألف الأول قبل الميلاد أو الثامن قبل الميلاد واحتضنت أراضي الفرات إلى الجنوب من بورسيبا، وخلال حصار سابيا، عاصمة بيت أموكاني، في عام 731 قبل الميلاد، أرسل الملك بالاسو أو بيليسيس، زعيم قبيلة بيت داكوري، الذهب والفضة والأحجار الكريمة إلى الملك آشور تجلات بلاسر الثالث. بحلول عام 710 قبل الميلاد، احتلت الدولة الآشورية وضمتهم تحت حكم سرجون الثاني، لكن فيما بعد استعاد الكلدويون السيطرة واستعادت المملكة.

بحلول عام 680 قبل الميلاد، سقطت أراضي بابل وبورسيبا بيد قبيلة بيث دكوري؛ عندما بدأ البابليون بالعودة لإعادة بناء المدينة بأمر من ملك آشور، قرر القضاء على هؤلاء شاغليها؛ تم خلع ملك الدكوريين، شمش ابني، ووضعه في مكانه نابو أوسليم، ابن الملك بالاسو، وبمجرد إخلائهم من الأراضي التي احتلوها، أعيدوا إلى أصحابها السابقين. أما

الدكوريون فاحتفظوا بأراضيهم جنوب بابل. ثم ظهر نابوبلاصر واستطاع تأسيس الدولة البابلية الحديثة.

3. مملكة گمبولو: Gumbulo وعاصمتها (دور ـ ابيهار Dur-Abihar) وبدورها كانت ضحية الحملة العسكرية الأسَرحدونية التي شَنَّها أسَرحدون عليها وعلى مملكة بيث ـ دَكّوري.

4. مملكة بيث ـ شيلاني: Beth-Shilani عاصمتُها(سَر أنابا Sar-Anaba) في سنة 732 ق. م قاد الملكُ الآشوري (تَجلّتبيلاصَّر الثالث 745 ـ 727 ق. م) حملةً عسكرية على عاصمتِها سَر أنابا، قُتِلَ خلالها ملكُها وسُبيَ خمسةٌ وخمسون ألفاً من أبنائها الكلدو ورُحلوا إلى البلاد الآشورية.

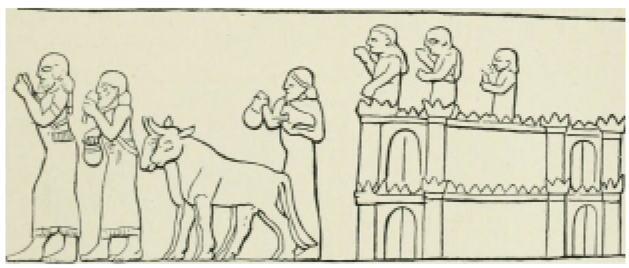
5. مملكة بيث ـ أموكاني: Beth-Amukani عاصمتُها (شيبيا Shipia) الواقعة في حَوض دجلة الأسفل، كانت تحتضِنُ بالإضافة إلى قبائل أموكاني قبائل الفوقودو (بْقيذي) كان الملك (نابو موكِن زيري) مؤسِّسُ سُلالة بابل العاشرة أحدَ أبنائها، تسنَّمَ عرش بابل عام 731 ق. م.

6. مملكة بيث ـ شعالي: Beth-Shaali عاصمتُها (دور ـ ايلاتا (Dur-Elata)) وقد شملَتها حملة تَجلَت بلاصَّر الثالث العسكرية التي قادها عام (732 ق. م) ضِدَّها وضِدَّ مملكة بيث ـ شيلاني حيث أسرَ من سُكّانِها خمسين ألفاً وأربعمِئَة فردٍ ورَحَّلهم إلى المناطق الآشورية.

«وتشير نتائج التنقيبات في مواقع من جنوب العراق والخليج العربي إلى وجود كتابات كلدية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية: حيث عثر ليونارد وولي في أور على كتابة تتكون من عشرين حرفاً تحت التبليط العائد إلى فترة نبوخذ نصر الثاني في معبد (أي ـ نن ـ ماخ). كما عثر على ختم أسطواني من القرن الثامن قبل الميلاد ورقم طينية كلها مدونة بالعربية الجنوبية وهذا ما يؤكد ربما أصل الكلديين. ويذكر جواد العلي إلى وجود رأيين في أصل الكلديين: الأول هو أن أصل الكلديين من اليمن وهي المنطقة التي هاجروا منها،

والثاني هو أن الجنوب الشرقي من جزيرة العرب (غسان) هو المكان الذي انطلق منه الكلديون إلى بلاد ما بين النهرين ونقلوا خطهم معهم وتخلوا عنه بعدما استقروا هناك.»(كيدار 2014: 218).

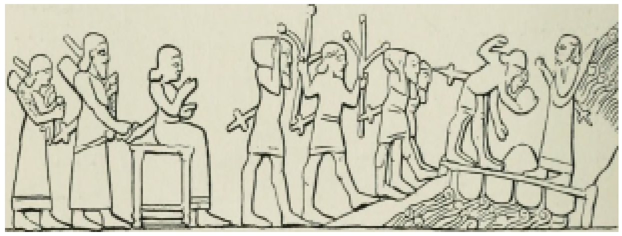
«تشير نتائج التنقيبات في مواقع من جنوب العراق والخليج العربي إلى وجود كتابات كلدية تشبه حروفها الحروف العربية الجنوبية؛ حيث عثر ليوناردوولي في أور على كتابة تتكون من عشرين حرفاً تحت التبليط العائد إلى فترة نبوخذ نصر الثاني في معبد (أي ـ نن ـ ماخ)، كما عثر على ختم أسطواني من القرن الثامن قبل الميلاد ورقم طينية كلها مدونة بالعربية الجنوبية وهذا ما يؤكد ربما أصل الكلديين. (محمد 1983: 33).



كلديون يغادرون بلدتهم في القرن التاسع قبل الميلاد مع الماشية، بينما تنظر النساء إليهم من فوق المنازل ص 335



الجيش الآشوري من الجنود والفرسان في كلديا في 851 ق.م ص 334



الكلديون وهم ينقلون الجثث عبر زوارق مجرى النهر، حيث قاموا بإيداعها على رأس جسر يحتفظ به الآشوريون. [من أبواب شلمنصر] من عيلام، كلديا، وغيرها من المناطق. التقى الجيشان بالقرب من مدينة دور-بابوسكال، وهزمت بابي.-أيونياس ص 336

ذكر هيرودوت في حدود 430 ق.م، حين تحدث عن الحرب الإغريقية الفارسية، بأن الآشوريين والكلدويين خدموا في صفوف الجيش الفارسي، وهذا متأتٍ من كون وادي الرافدين واقعة تحت ظل الفرس الأخمينيين وهو يؤكد، أيضاً، أن اسمي الآشوريين والكلدويين ما زالا يستخدمان. وذكرهم زينيفون في كتابه (أناباز).

الفرق بين كلدو وكلدان:

الاسم الدقيق لهم هو (كلدو)، ويكون اسم كلدو في النطق اليوناني والروماني والغربي عموماً مشفوعاً بإضافة مقطع النسب (ian) في كلمة (Chaldian)، والذي جاء من ترجمات التوراة.

ولكن ذلك لا يمنع أن نرى أنها فرصة مناسبة للتمييز بين مصطلحي كلدي وكلداني، فالأول نراه متطابقاً تماماً مع الشعب الكلدي الذي عاش في وادي الرافدين قبل سقوط بابل بيد الفرس عام 539 ق.م، أما الكلداني فهو الشعب المسيحي من الكلديين الذي سُمي بهذا الاسم لاحقاً.

في القرن الثاني الميلادي، ازدهرت المسيحية في بلاد الرافدين بين أحفاد الكلديين والآشوريين والآراميين والنبط والعرب. كانت الكنيسة تسمى كنيسة الشرق. وتم تحويل هؤلاء الناس تدريجياً من خلال بعثات القديس توماس، القديس عادي، والقديس ماري.

حدثت نقطة تحول في المسيحية في عام 431 م، عندما انقسم بطريرك القسطنطينية، نسطور، مع الكنيسة الرومانية على طبيعة المسيح. دعم مسيحيو بلاد ما بين النهرين تفكير نسطور وتبعوه. كان لقب رئيسهم الديني (جاثليق) وهو المصطلح الذي له علاقة بمصطلح (كاثوليك). وهناك من المسيحيين في وادي الرافدين وسوريا من الذين رفضوا ربط أصولهم العرقية وأسمائهم بالديانة المسيحية واختاروا المسمى اللغوي الجديد وهو اسم السريانية (اللهجة الآرامية التي كتبت بها أول النصوص المسيحية وأصبحت لغة المسيحيين في الشام والعراق)، ثم أصبح مصطلح السرياني يطلق على كلّ مسيحيّ شرقيّ

في عام 1240، كان هناك خمسة آلاف منزل للمهاجرين النسطوريين الذين يعيشون في قبرص. في عام 1445، أشار أتباع الكنيسة النسطورية في قبرص إلى رغبتهم في الانضمام إلى كنيسة روما. في 7 سبتمبر 1445، وافق البابا يوجين الرابع على خطاب تحويل من الأسقف تيموثاوس، من ترشيش وقبرص الذي عرف نفسه بأنه الأسقف تيموثي للكلدو. وهكذا، تم تحويل المجتمع الكلدي المسيحي في قبرص إلى الكاثوليكية، ومنذ ذلك الحين، أصبحت الكلمة الكلدية المصطلح الرسمي المستخدم لتحديد المهاجرين من بلاد ما بين النهرين الكاثوليك. اليوم، يستخدم رئيس أساقفة الكلدو العراقيين لقب بطريرك بابل على الكلدويين. وهكذا يكون الكلدو هو الشعب البابليّ القديم، أما الكلدان فشعب مسيحي كاثوليكي يعتبر امتداداً قومياً لشعب الكلدو القديم بديانة جديدة هي المسيحية.

وجهة نظرنا أن التسميات العرقية الحديثة للآشوريين والكلدو والسريان ملتبسة بعض الشيء ولا يمكن أن نطابقها، كلياً، مع الماضي البعيد لشعوب وادي الرافدين، والأفضل هو القول بأن شعباً جديداً مسيحياً ولد في وادي الرافدين هو الشعب الناطق باللغة المسيحية المشرقية وهي السريانية.

المبحث الرابع: بابل وعلم الآشوريات (آشوريولوجي) وعلماء الآشوريات

آشوريولوجي: **Assyriology**

يشير هذا المصطلح، بدقةٍ، إلى علم الرافدينيات، ويشير، حرفياً، لعلم الآشوريات، يتكون المصطلح من مقطعين باللغة الإغريقية هما (آسيريا، أسيريو) ومعناها بلاد آشور والتي تشير هنا إلى وادي الرافدين بأكمله، و(لوجيا، لوجي) التي تشير إلى العلم أو الدراسة العلمية.

المصطلح ملتبس ولا شك ولكنه أصبح متعارفاً عليه، فهو يشير إلى العلوم والدراسات الآثارية والتاريخية واللغوية لكامل بلاد وادي الرافدين التي تشمل اليوم (العراق الحديث، شمال شرق سوريا، جنوب شرق تركيا، وشمال غرب وجنوب غرب إيران) والثقافات ذات الصلة التي تستخدم الكتابة المسمارية. وهناك من يرى أنه يغطي تراث ولغة وتاريخ السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين والأموريين والآراميين والكلديين والكاشيين والگوتيين والسوتيين والمندائيين وكل تراث وشعوب هذه المنطقة اللاحق والذي تفرع وتكون من انحلالها وتركيبها الجديد، ولغاية الغزو العربي الإسلامي في منتصف القرن السابع الميلادي، ولكنه، من الناحية الواقعية، يصحّ أن يكون مناظراً لمصطلح نفترضه نحن وهو (ميزوبوتاميولوجي).

وبذلك يضم هذا العلم أضخم تراث بشريّ في الشرق القديم، ويحتاج علماؤه إلى معرفة جيدة بعدة لغات، أهمها اللغتان الرئيسيتان في بلاد ما بين النهرين؛ الأكدية (بما في ذلك لهجاتها الرئيسية) والسومرية، جنباً إلى جنب مع اللغات المجاورة مثل العبرية التوراتية والحيثية والعيلامية والحورية والهندو ـ أناضولية والآرامية الإمبراطورية واللهجات الآرامية الشرقية والفارسية القديمة والكنعانية لأغراض المقارنة، ومعرفة أنظمة الكتابة التي تستخدم عدة مئات من العلامات الأساسية. وهناك العديد من الدراسات النحوية

المهمة والمساعدات المعجمية. علاوة على ذلك، يجب أن يكون الباحثون قادرين على قراءة وفهم اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية الحديثة للاطلاع على ما تحقق من حفريات وبحوث رصينة في هذا المجال.

تحتل الدراسات البابلية مركزاً رئيسياً في حقل الآشوريولوجي، فهي تعتني بكل ما يتعلق ببابل وتاريخها القديم ابتداءً من ظهور منطقة بابل في عصر العبيد ووصولاً إلى سقوطها على يد الفرس الأخمينيين وقد يتعداه لدراسة أوضاعها في ظل الاحتلالات الفارسية واليونانية والرومانية. وبذلك تكون الدراسات البابلية فرعاً متخصصاً من فروع الدراسات الآشورية العامة في علم الآشوريولوجي.

يعتمد علم الآشوريات على الآثار وليس على المرويات الدينية والثقافية، وعلم الآثار هو الفيصل في هذا الأمر، وأدق تعريف لعلم الآثار (آركيولوجي) هو أنه (طريقة لمعرفة الماضي من خلال الأشياء بدلاً من الكلمات) وهو هنا لا يهمل الكلمات المدونة في أشياء الآثار بل هو يتحفظ ويدقق في ما كُتب من أجل الكتابة.

بابليولوجي: Babyliology

إن نحت مصطلح علم البابليات (بابليولوجي) أمر وارد، وهو العلم المتخصص بدراسة كل ما يتعلق بالحضارة البابلية منذ ظهورها وحتى نهايتها وما آلت إليه بابل حتى يومنا هذا، لكن الدراسات الأكاديمية لا تتجرأ على فتح أبواب علمٍ كهذا لما يمكن أن يسببه من تقاطعات مع علم الآشوريولوجي الذي ترسخ عبر ما يقرب من قرنين من الدراسات والبحوث المتواصلة.

لم يكن هذا ليتحقق دون ظهور علم الآثار وتطوره واستقراره على أسس علمية راسخة ووسائل ناجحة في التقصي الدقيق للحقائق التأريخية في كلّ المجالات.

«تم تعريف علم الآثار ووظيفته من أحد الكتاب على أنه: (طريقة لمعرفة الماضي من خلال الأشياء بدلاً من الكلمات). ونلاحظ في عملية التعريف هنا تبسيطاً مضحكاً ففي مصر أو بلاد الرافدين كانت الأشياء التي عثر عليها المنقبون وثائق مكتوبة بحد ذاتها. ومن ناحية أخرى فإن الغاية التي خدمتها هذه الوثائق، بغض النظر عن كونها مقتصرة على التأريخ السردي القصصي، فقد شملت المهمة الأكثر شمولية وهي إعادة صياغة دراسة تشريحية وتحليلية للحضارة القديمة. ولقد أسهمت النصوص المكتوبة إلى حدٍّ كبير في تحقيق هذا الإنجاز الهام من خلال استكمال النماذج المدونة للنظام الاجتماعي والاقتصادي والتطور الفكري في العصور الكتابية. ومع ذلك فإن اهتمام الحفريات يتركز على البقايا الأثرية للبيئة التي كتبت بها هذه الوثائق وهي بالتالي تكمل عملية الكشف عن البشرية المتطورة وتكيف الجنس البشري مع تأثيرات البيئة. وباختصار فإن معلوماتنا عن حضارة بلاد الرافدين في العصور التأريخية قد أخذت من مصدرين مختلفين هما الأدب القديم ودراسة الآثار المادية. وينبغي أن نذكر هنا أن حقبة زمنية طويلة من الجهل قد سبقت العصور التأريخية وأن هذه الحقبة تمثل مرحلة هامة من مراحل التطور البشري وأن نتاج عمل الرفش الأثري هي مصدر كل مفاهيمنا ومعلوماتنا عن تلك الحقبة المسماة بعصور ما قبل التأريخ.» (لويد 1993: 11 ـ 12).

علماء الآشوريات والبابليات:

علماء الآشوريات (الرافدينيات) كثيرون ولا حصر لهم، وجميعهم على صلة بكل تاريخ وتراث وادي الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى ظهور الإسلام، ورغم أنه من الصعب تمييز فئة متخصصة بدقة في الدراسات البابلية لكننا يمكن أن نتعرف على مثل هؤلاء العلماء بحقليهما العام والبابلي المتخصص، وهو ما يتطلب منا جهداً خاصاً، يمكننا إدراج علماء الآشوريات، بشكل عام، في هذا الجدول الخاص بهم من أجل التعرّف عليهم ومتابعتهم:

نبذة عن بعض علماء الآشوريات المهتمين بالحضارة البابلية

1.جورج سميث (1840 ـ 1876) George Smith

جورج سميث وهو عالم أثار وآشوريات إنكليزي بريطاني ولد في 1840 في لندن وينسب له اكتشاف ملحمة جلجامش أقدم ملحمة في التاريخ والتي إكتشفها في مكتبة نينوى، وهو أيضاً مكتشف مكتبة نينوى التي بناها الملك الآشوري آشوربانيبال وكان من رفاقه في العمل أوستن هنري لايارد وهنري رولنسون الإنكليزيان وكان برفقتهم أيضاً هرمز رسام، عندما وصل إلى حلب مات موتاً مفاجئاً هناك وكان يبلغ من العمر 36 سنة فقط وترك زوجته وأولاده.

تدرب سميث على نقش أوراق نقدية في الرابعة عشرة من عمره، وقد علم سميث نفسه في علم الآشوريات وأصبح بارعاً في فك رموز الألواح المسمارية من نينوى التي بدأت تصل إلى المتحف البريطاني، لندن، حوالي عام 1861. نشر له العديد من المقالات وسرعان ما أصبح مساعداً في قسم الآثار الشرقية بالمتحف.

أثناء إعداد النقوش للنشر عثر على جزء من وصف الطوفان. مما دفع تقريره عن هذا الاكتشاف صحيفة ديلي تلجراف في لندن إلى رعاية رحلة استكشافية في مايو 1873، في اليوم الخامس للحفر في نينوى، وجد سميث كسر الألواح الطينية التي لها علاقة بالخليقة البابلية، أصبح كتابه الكلدوي عن سفر التكوين (1876) أحد أكثر الكتب مبيعاً في عصره.

2.روبرت يوهان كولدواي (1855 ـ 1925) Robert Johann Koldewe

عالم آثار ومعماري ألماني، ولد في مدينة بلانكنبورغ في ألمانيا ومات في برلين في عمر 70 سنة، بدعم من (الجمعية الشرقية الألمانية)، قام كولدواي بتوجيه أعمال التنقيب عن بابل من عام 1899 إلى عام 1914، باستخدام التقنيات الأثرية الحديثة نسبياً. (تم تحديد الموقع قبل قرن من قبل كلوديوس جيمس ريتش.) وكان يعمل فيه أكثر من 200 شخص يومياً، على مدار العام، لمدة خمسة عشر عاماً.اكتشف مدينة بابل القديمة وبوابة عشتار،

وقام بنقلها إلى ألمانيا، وخمّن موقع الجنائن المعلقة في بابل، كما تمكن من تحديد موقع برج بابل (زقورة إيتيمينانكي)، واكتشف الكثير من الألواح الأثرية في بابل.

قام والتر أندريه، أحد المشاركين في الحملة، في وقت لاحق بإنشاء نماذج من بابل لمتحف في برلين، تعتبر الحفريات في مدينة بابل الشهيرة مرموقة بالنسبة لألمانيا، وقد عمل كعالم آثار معظم حياته، وشارك في العديد من الحفريات في آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا.

3.ليو أوبنهايم (1904 ـ 1974) Adolf Leo Oppenheim

مؤرخ، وأستاذ جامعي، وعالم آشوريات أمريكي، وهو رئيس تحرير قاموس شيكاغو الآشوري للمعهد الشرقي من 1955 إلى 1974 وأستاذ جون إيه ويلسون للدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو.

وُلِد أوبنهايم في فيينا، حيث حصل على الدكتوراه من جامعة فيينا عام 1933. توفي والداه في الهولوكوست، هربت زوجته إليزابيث بصعوبة. هاجر أوبنهايم وزوجته إلى الولايات المتحدة. بعد بضع سنوات أصبح زميلاً باحثاً في جامعة شيكاغو في عام 1947، وأصبح عضواً في هيأة التدريس في عام 1950. وأصبح محرراً مشاركاً لقاموس شيكاغو الآشوري بالجامعة في عام 1952. تم التخطيط له منذ عام 1921، وسوف تمتد في النهاية إلى أكثر من عشرين مجلداً منشوراً. وبمساعدة إيريكا راينر، بقي أوبنهايم رئيس التحرير المسؤول حتى وفاته المفاجئة، ولا يزال في ذروة مكانته الفكرية.

قال عنه سبايزر ذات مرة إن أوبنهايم كان قد قرأ أكثر من أي شخص حي آخر أبلغت معرفته العميقة بالأكدية رؤيته المميزة للحياة والثقافة في بلاد ما بين النهرين.

أشهر أعمال ليو أوبنهايم هو بلاد ما بين النهرين القديمة: صورة لحضارة ميتة.

تفسير الأحلام في الشرق الأدنى القديم.

رسائل من بلاد ما بين النهرين. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.

مقالات عن حضارة بلاد ما بين النهرين أوراق مختارة من أ. ليو أوبنهايم.

الزجاج وصناعة الزجاج في بلاد ما بين النهرين القديمة.

4.رينيه لابات (1904 ـ 1974) René Labat

عالم آشوريات فرنسي، أصبح طبيباً عام 1938، ثم غيّر اختصاصه وانصرف لدراسة الآشوريات وفي عام 1952 تعين كأستاذ كرسي الآشوريات في الكوليج دي فرانس،، تخرج من كلية الدراسات العليا، أصبح عضواً في أكاديمية الآثار المكتوبة والنقوش، أصبح أميناً لجمعية الأساتذة في كلية فرنسا قبل انتخابه نائباً للرئيس في عام 1965. وظل في هذا المنصب حتى وفاته.

كما كتب مقالة «الأدب الآشوري البابلي» للموسوعة العالمية وتعاون مع تاريخ كامبريدج القديم، وفيشر فيلتشيشيت (كتب فيها عن الإمبراطوريات الآشورية والبابلية الحديثة) و«التاريخ العام لدراسات العلوم».

أهم كتبه المنشورة:

1932 الأكادية في بوغاز ـ كوي. دراسة عن لغة الرسائل والمعاهدات والمفردات الأكادية الموجودة في

1933: تعليقات آشور بابل

1935قصيدة الخلق البابلية، التحرير والترجمة

1938 الشخصية الدينية للملكية الآشورية البابلية، الأطروحة الرئيسية

1938أمراض الدم والإتهابات من آشور، أطروحة تكميلية

1943 تقويم بابل

1948: دليل فن الكتابة الأكادية: العلامات والمقاطع والأيديوجرامات

1951: رسالة أكادية حول التشخيصات الطبية والتكهنات، مجلدان

1953: الطب البابلي

1954: حول الجراحة البابلية

1957: العلوم القديمة والعصور الوسطى. من الأصول إلى 1450، الجماعية

1961: بدايات تأريخ ميديا وكشتارتي وفرأوتي

1965: تقويم بابل لأعمال الإشارات والأشهر (سلسلة iqqur ipus)

1970: النصوص الكبرى للفكر البابلي

1970: ديانات الشرق الأدنى الآسيوي. النصوص البابلية، الأوغاريتية، الحثية، الطبعة والترجمة

1974: مدينة سوسا الملكية. 11 نصاً أدبياً، في مذكرات الوفد الأثري الفرنسي ف، مع إذزارد

1976: سانت لويس والشرق

جان بوتيرو 2007 - 1914 Jean Bottéro

عالم آشوريات وآثار كبير وخبير في تاريخ وآثار الشرق الأدنى القديم. ولد عام 1914، بدأ دراسته لاهوتياً، وتعلم اللغتين الإغريقية واللاتينية والعبرية، لكنه ترك اللاهوت نهائياً واتجه نحو علم الآشوريات الذي درسها تحت إشراف عالم الآشوريات الفرنسي الشهير رينيه لابات عام 1946، وفي هذه الأثناء توطدت علاقاته مع علماء الآشوريات الأهم في العالم ومنهم إدوارد دورم عالم الآشوريات والساميات المعروف. وكان الدافع الذي حفز بوتيرو للتوجه نحو علم الآشوريات هو معرفة جذور الكتاب المقدس. كان أول أعماله المبكرة والتي ظلت تنال أهمية كبرى في علم الآشوريات هو مؤلفه ديانة البابليين والذي كتبه بتأثير من كتاب المقدس لـ «رودولف أوتو»، وهو من أهم المؤلفات عن مفهوم المقدس في أوروبا إلى الآن. عمل مع فريق الآثار الذي تولى ترجمة أرشيف ماري الأهم في تاريخ الشرق.

يُعد بوتيرو من أكثر علماء الآشوريات غزارة في الإنتاج العلمي، من أبرز مؤلفاته في علم الآشوريات هو: ذات مرة كان هناك بلاد ما بين النهرين بالتعاون مع ماري جوزيف ستيف، أسلاف الغرب: الكتابة والفكر، ديانة البابليين 1952، والذي ترجمه د. وليد الجادر إلى العربية بعنوان: الديانة عند البابليين؛ ومشكلة الشر في بلاد الرافدين القديمة عام 1977؛ وأسطورة الخلق عام 1979؛ الأسطورة والطقوس البابلية 1985؛ وولادة إله: الكتاب المقدس والمؤرخ 1986(ترجم إلى العربية من قبل جواد الهواش وعبد الهادي عباس)؛ وبلاد الرافدين: الآلهة-العقل-الكتابة 1987(وترجم إلى العربية بالعنوان ذاته من قبل البير أبونا ووليد الجادر)؛ والبدء من الشرق القديم: من سومر إلى الكتاب المقدس عام 1992؛ وملحمة جلجامش 1992؛ وبابل: فجر ثقافتنا 1994؛ وبابل والكتاب المقدس 1994(ترجم إلى العربية من قبل روز مخلوف)؛ اقدم ديانة: في بلاد الرافدين 1998؛ وأقدم مطبخ في العالم عام 2002؛ وفي البدايات كانت الآلهة عام 2004. كتب بالتعاون مع عالم الآشوريات المعروف صموئيل نوح كريمر كتابه: عندما خلقت الآلهة الإنسان: أساطير بلاد الرافدين عام 1989؛ كما كتب بالتعاون مع ماري جوزيف ستيف كتابه: ذات مرة بلاد الرافدين عام 1993؛ كما كتب بالتعاون مع عالم الكلاسيكيات جان بيير فيرنان

كتابه: الشرق القديم ونحن: الكتابة والعلة والآلهة 1996؛ كما كتب بالتعاون مع جوزيف موينج ومارك الآن واكنين كتابه: أجمل قصة لله: من هو إله الكتاب المقدس؟ 1997، عيلام، واليونان، الحياة اليومية في بلاد ما بين النهرين القديمة.

(هاري ساكز) (1920 ـ 2005): Henry William Frederick Saggs

عالم آشوريات وكلاسيكيات بريطاني. درس في كل من كينغس كوليج وكلية الدراسات الشرقية والأفريقية، جامعة لندن. وعمل أستاذاً في جامعة كارديف. ألف العديد من الكتب حول بابل وآشور، بدأ دراساته الآشورية في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية، لندن، بقيادة سيدني سميث بعد الحرب. في عام 1952، انضم إلى التنقيب ماكس مالوان في نمرود تحت رعاية المدرسة البريطانية للآثار في العراق، حصل على درجة الدكتوراه في عام 1953 عن أطروحته بعنوان دراسة إدارة المدينة في آشور وبابل، وعمل كمحاضر في الأكادية في (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (سواس)، وصف بأنه أحد علماء الآشوريين البارزين في جيله، نشر 243 رسالة في أرشيف ألواح نمرود، المسمارية. تم إصدارها كسلسلة من المقالات في مجلة العراق. عمل ساكز في تل الريمة، ونشر أرشيفاً تجارياً لألواح يرجع تاريخها إلى العصر الآشوري الأوسط.

تولى رئاسة اللغات السامية في كلية جامعة كارديف. وعمل في الجامعات العراقية (بغداد والموصل)، كما وسع تخصصات كارديف للدراسات الأوغاريتية والآرامية.

أهم كتبه (عظمة بابل 1962، الحياة اليومية في آشور وبابل 1965، عظمة آشور 1984، الحضارة قبل اليونان وروما 1989، البابليون 1995).

إدزارد (ديتز أوتّو) (1930 ـ 2004م) Edzard (Dietz Otto)

من أشهر رواد علمي الآشوريات والسومريات الألمان في القرن العشرين. درس اللغات السامية القديمة واللغة السومرية، وحصل على درجة الدكتوراه عام 1955م في موضوع:

«المرحلة البابلية الانتقالية الثانية، وعمل بعد ذلك في المعهد الألماني للآثار في بغداد ما بين 1956-1958، ثم استقر في ڤيينا للمشاركة في إعداد قاموس اللغة الأكّادية الذي أشرف على نشره فولفرام فون زودن، بدأ عام 1960م التدريس في جامعة ميونخ، وأسس في عام 1963 «معهد ميونخ للآشوريات.

تسلّم منذ عام 1982 حتى عام 2000 رئاسة تحرير مجلة «الآشوريات وآثار الشرق الأدنى القديم، وتولى رئاسة تحرير «معجم الآشوريات « منذ عام 1972، وساهم في إعداد الكثير من مفرداته حتى نهاية حياته، وأشرف على تحرير القاموس الحثي. زار إدزارد سورية عام 1980م ثم عام 1982م بوصفه عضواً في اللجنة الدولية لقراءة نصوص إيبلا، وساهم في مشروع الكتابات الملكية لبلاد الرافدين في كندا.

قام خلال حياته بدراسة العديد من النصوص المسمارية ونشر مجموعة من الدراسات التي تتعلق بحضارة المشرق العربي القديم واللغتين السومرية والأكّادية وبالكتابة المسمارية وبالأدب والدين والأساطير والقانون.

ألّف نحو سبعة عشر كتاباً، من أهمها: جوديا وسلالته، قواعد اللغة السومرية، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) وفي الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية) بالاشتراك مع م. هـ.بوب، ف رويلنغ. وترجمه للعربية محمد وحيد خياطة.

قدم لأول مرّة مصادر مختلفة حول بدايات الألف الثاني قبل الميلاد في بلاد الرافدين، وتجلى اهتمامه بالتاريخ السياسي للمشرق القديم في البحوث التي كرسها لعصر فجر السلالات وعصر سلالة أور الثالثة. وقدم ترجمة لأساطير جلجامش وخواوا السومرية وكتابات جوديا النذرية الشعرية. ونشر عدة دراسات حول قواعد اللغة السومرية، وقدم حلولاً ما زالت مقبولة بخصوص العديد من إشكاليات هذه اللغة.

ساهم إدزارد في قراءة العديد من نصوص محفوظات إيبلا ونشرها في عامي 1981م و1984م. ومن آخر دراساته عن إيبلا ما نشره في عام 1992م.

(انظر الموسوعة العربية http://arab-ency.com.sy/artifacts/overview/166142)

ستيفاني ماري دالي (1943 ـ) Stephanie Dalley

باحثة بريطانية في الشرق الأدنى القديم. تقاعدت كزميل تدريس من المعهد الشرقي بأكسفورد. وهي معروفة بمطبوعاتها للنصوص المسمارية وتحقيقها في حدائق بابل المعلقة، واقتراحها بأنها كانت موجودة في نينوى، وتم بناؤها خلال حكم سنحاريب. بين عامي 1962 و1966 درست الآشوريين في جامعة كامبريدج، وسجلت دراسة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية، في لندن.

في السنوات 1966-1967، حصلت على زمالة من المدرسة البريطانية للآثار في العراق، وعملت في الحفريات في تل الرماحي. شكلت الألواح التي تم التنقيب عنها هناك موضوع أطروحتها للحصول على درجة الدكتوراه، وبعد ذلك الكتاب للقراء العامين، ماري وكارانا، وهما مدينتان بابليتان قديمتان.

قامت دالي بتدريس الأكدية والسومرية في المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد، حيث تم تعيينها في علم الآشوريات عام 1988. وهي زميل أبحاث فخري في كلية سومرفيل، وعضوة في الغرفة المشتركة في كلية ولفسون، وزميلة في جمعية الآثار.

شاركت دالي في الحفريات الأثرية في بحر إيجه والعراق وسوريا والأردن وتركيا. ونشرت على نطاق واسع، الطبعات الفنية للنصوص من الحفريات والمتاحف الوطنية، والكتب العامة.

نشرت دالي ترجماتها الخاصة من الأساطير البابلية الرئيسية وأهمها إينوما أليش وأسطورة إيرّا وإيشوم وأسطورة نزول عشتار إلى العالم الأسفل، وأسطورة إنزو وألطوفان أتراحاسس، وملحمة جلجامش.

ساهمت في عام 1989، قامت دائرة الآثار العراقية بحفر واحدة من سلسلة من المقابر في قصر نمرود القديم. والتي كانت تحتوي على تابوت على هياكل عظمية لامرأتين دُفنتا بأكثر من 26 كيلوغراماً من القطع الذهبية.

وجهت عنايتها للبحث عن حدائق بابل المعلقة التي لم يعثر لها على أي أثر في بابل على الرغم من الحفريات الأثرية الواسعة النطاق. وتوصلت دالي، استناداً إلى ثمانية عشر عاماً من الدراسة النصية، أن الحديقة لم تُبن في بابل خلال حكم نبوخذ نصر، بل بُنيت في نينوى، عاصمة الآشوريين، من قِبل سنحاريب، قامت بفك تشفير الكتب المسمارية البابلية والآشورية، وأعادت تفسير النصوص اليونانية والرومانية في وقت لاحق، وقررت أن كتاباً حرجاً من القرن السابع قبل الميلاد قد أسيء ترجمته. في حين لم تذكر أي من نقوش نبوخذ نصر أي حدائق على الإطلاق، فقد وجدت دالي نصوصاً كتبها سنحاريب حول قصر قام ببنائه وحديقة بجانبه وصفها بأنها عجب لجميع الناس. وصفت النصوص أيضاً برغياً للمياه، يرجع تاريخه إلى أرخميدس، مستخدماً منهجية جديدة لصب البرونز تربى بها المياه طوال اليوم، وترتبط بها بقنوات مائية وقنوات مائية واسعة جلبت المياه من التلال على بعد 80 كيلو متراً. صورة منقوشة من نينوى والآن في المتحف البريطاني يصور قصراً وأشجاراً معلقة على المدرجات، استخدمها دالي كدليل إضافي يدعمها. تؤكد أبحاثها وصف الكتاب اليونانيين اللاحقين بأن الحدائق كانت، في الواقع، مدرجات مبنية مثل مدرج حول بركة مركزية. قامت بتجميع هذه الاستنتاجات في كتابها «سر حديقة بابل المعلقة: تعقب عالم بعيد المنال »، نُشر في عام 2013.

نشرت دالي في عام 2009 أرشيفاً لنحو 470 نصاً واستنتج أنها نشأت في مملكة جنوب بلاد ما بين النهرين كانت تُعرف سابقاً باسم (أرض البحر) التي ازدهرت عام 1500 ق.م. وهذا يملأ فجوة كبيرة في المعرفة التاريخية الحديثة.

ومن كتبها: ماري وكارانا: مدينتان بابليتان قديمتان، لوح من حصن شليمنصر (نصوص مسمارية من نمرود)، أساطير من بلاد ما بين النهرين: الخلق، الطوفان، جلجامش، وغيرها،

تراث بلاد ما بين النهرين، استير الانتقام في سوسا: من سنحاريب إلى أحشويروش..

طه باقر (1912 ـ 1984):

ولد العلّامة المؤرخ والآثاري طه باقر في مدينة الحلة (بابل) في العراق. وكان من الأربعة الأوائل على الثانويات العراقية عام 1932، أكمل في الولايات المتحدة دراسته في علم الآثار في المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو وبعد أربع سنوات حصل على شهادة البكالوريوس والماجستير وكانت العودة للعراق عام 1938م، لقد درس في هذه المرحلة اللغات التي كتبت بالخط المسماري «السومرية والأكدية «واللغة العربية، ثم حصل على لقب الأستاذية من جامعة بغداد عام 1959م.يعد طه باقر من أشهر العاملين في مجال ترميم الذاكرة العراقية وصلتها بتاريخها الرافديني العريق، ربط بطريقةٍ مبدعة بين التاريخ وعلم الآثار، واستطاع أن يرمم الجسر بين وادي الرافدين والعراق الإسلامي والحديث.ساهم بقوة في تأسيس مجتمع المعرفة التأريخي وصان الآثار العراقية ونقّب فيها، وساهم في تأسيس مجلة سومر ودائرة الآثار العراقية والمتحف العراقي. عمل أستاذاً في الجامعة الليبية 1965 ـ 1970.

أهم مؤلفاته كتاب تاريخ الحضارات القديمة بجزئيه حيث صدر الكتاب بمجلدين، وترجمته لملحمة جلجامش، والمرشد إلى مواطن الآثار والحضارة (ستة أجزاء)، ومقدمة في أدب العراق القديم، وموجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارات الإسلامية، من تراثنا اللغوي القديم؛ وما يسمى بالعربية بالدخيل..

كما ساهم في ترجمة الكتب التي تؤهل طلبة الدراسات العليا للبحث والتنقيب ومنها؛ (دراسة للتاريخ) للمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، وكتاب (ألواح سومر) الشهير لصموئيل نوح كريمر، وكتاب (الرافدان)، وكتاب (الإنسان في فجر حياته)، إضافة إلى ترجمتهِ فصول من كتاب (تاريخ العلم) لجورج سارتون.

سامي سعيد الأحمد (1930 ـ 2006):

مؤرخ عراقي كبير، وآثاري موسوعي، ولد في مدينة الحلة، ودرس فيها، ونشأ في بيت يرعى الأدب والعلم ولأب تاجر يملك أراضٍ زراعية يحب العلم والمطالعة، تخرج الأحمد من الثانوية عام (1948م)، وقبل في قسم التاريخ والجغرافيا بدار المعلمين العالية، تخرج عام (1952م) ثم عمل بالتدريس حتى عام (1955م)، ولإشادة أساتذته أمثال الأستاذ طه باقر به انتدبته وزارة المعارف لإكمال دراسته في أمريكا.

درس وأتقن الإنكليزية والألمانية والفرنسية، بالإضافة إلى دراسة اللغات القديمة كالسومرية والأكادية والآرامية واليونانية واللاتينية، كما درس آثار العراق ومصر وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرى واليونان.

أكمل الأحمد دراسة الماجستير والدكتوراه في عام (1962م) من جامعة ميتشيغان بدرجة شرف، وكانت رسالته في الدكتوراه عن موضوع لم يتطرق إليه أحد، وهو (جنوب بلاد ما بين النهرين في عهد الملك آشور بانيبال)، ومنح لقب أستاذ مساعد في جامعة (دنفر) في ولاية كولورادو، ودرّس فيها مدة خمس سنوات، وتخرج على يديه أساتذة كبار، وأخذ يحاضر في جامعات مختلفة ونواد ثقافية، وذاع صيته.

عاد الأحمد إلى بغداد في عام (1967م) ليعمل أستاذاً في قسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة بغداد لأكثر من 30 عاماً، وكان كثيراً ما ينتقد طريقة التحقيق النابع من العاطفة، البعيد من الموضوعية، خاصة في التاريخ الإسلامي، وكان غالباً ما يوصي بأن النقد يجب أن يستند على حقائق علمية.

خلّف الأحمد أكثر من ثلاثين كتاباً مطبوعاً بالعربية والإنكليزية، منها (جنوب العراق في زمن الملك آشور بانيبال)، و(اليزيدية)، و(تاريخ الخليج العربي في أقدم الأزمنة)، و(اللغات الجزرية)، و(الإسلام نظرياً وعملياً)، و(الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان)، و(السومريون وتراثهم الحضاري)، و(تاريخ فلسطين القديم)، و(تاريخ العراق القديم)، و(آثار بلاد الرافدين)، و(ملحمة كلكامش)، و(تاريخ الشرق القديم)، و(المعتقدات الدينية في العراق القديم)، و(تاريخ الرومان)، و(سمير أميس بين الأسطورة والتاريخ) و(الأحلام

عند العراقيين القدماء)، و(العراق في كتابات الإغريق والرومان)، و(الأهمية التاريخية والتراثية للأختام الأسطوانية)، كما شارك في عدد من الموسوعات المهمة منها: (موسوعة حضارة العراق)، و(موسوعة العراق في موكب الحضارة)، و(موسوعة المدينة والمدنية في العراق)، كما ترجم الجزء الخاص بالعراق من الموسوعة البريطانية الشهيرة (Cambridge Ancient History)، إضافة إلى عدد كبير من البحوث الأكاديمية الرصينة في المجلات العراقية، والعربية، والعالمية.

توفي بعد أن عاش (76) عاماً، مخلفاً تراثاً كبيراً من الأبحاث والمؤلفات، مات بصمت ولم يهتم أحد لموته رغم كل سمعته العلمية الكبيرة.

فاروق ناصر الراوي(1944):

ولد في مدينة راوة غرب مدينة الرمادي مركز محافظة الأنبار، وحصل على شهادة بكالوريوس آثار من كلية الآداب جامعة بغداد، وماجستير آثار قديمة من كلية الإنسانيات جامعة الموصل، وماجستير أخرى باللغات السامية القديمة من كلية الجامعة في كاردف بالمملكة المتحدة، والدكتوراه من كلية الجامعة أيضاً سنة 1976-1977، درّس في جامعتي الموصل وبغداد، نال الأستاذية عام 1988، واختير رئيساً لقسم الآثار في كلية الآداب جامعة بغداد، غادر العراق عام 1992 إلى انكلترا، حيث عمل تدريسياً في جامعة لندن، مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، وباحثاً في المتحف البريطاني لأكثر من 20 عاماً، كما درس في العديد من الجامعات البريطانية والصينية والسويدية، وعمل في الكثير من المواقع الآثارية في العراق وسوريا، وله عشرات البحوث المنشورة والكتب باللغتين العربية والانكليزية، ومن مؤلفاته كتاب عن نصوص مدينة (سبار) قرب اليوسفية، وآخر عن موت كلكامش، وثالث عن كلكامش والثور السماوي، و(قاموس المفيد لطلبة اللغة السومرية) وأربعة كتب أخرى نشرت في إيطاليا عن نتائج بحوثه وقراءته للنصوص السومرية في المتحف البريطاني، لاسيما تلك التي تعنى بالإدارة والاقتصاد في الحقبة

السومرية الحديثة، نال العديد من التكريمات منها درع جامعة جان جون الصينية كأحسن تدريسي عام 2000، على سبيل المثال لا الحصر.

نائل حنون (1951):

أكاديمي عراقي حاصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه من جامعة تورنتو / قسم دراسات الشرق الأدنى (1982، 1986)، تخصصه العام هو المسماريات وعلم الآثار، ولكونه مختصاً بتراث اللغة الأكدية فقد نالت النصوص البابلية حظاً وافراً من اهتمامه، عمل كمنقب للآثار وكأستاذ في جامعات القادسية وواسط والكوفة ودمشق، ونشر الكثير من التراجم الدقيقة للنصوص الأكدية والبحوث المتميزة، وله من الكتب: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، نظام التوثيق الآثاري، المعجم المسماري، معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية، الجزء الأول، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة، شريعة حمورابي، ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية خمسة أجزاء، الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة، بحث في المعتقدات الدينية والأساطير القديمة، ملحمة جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار جزآن، حينما في العلى: قصة الخليقة البابلية، الترجمة الكاملة للنص المسماري للأسطورة، حقيقة السومريين، ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، مدن قديمة ومواقع أثرية، دراسة عن الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دراسات في علم الآثار واللغات القديمة جزآن، دونالد وايزمان، نبوخذ نصر وبابل.

الفصل الأول: جغرافيا بابل



المبحث الأول: جغرافيا بابل القديمة

يصعب علينا التعرف الدقيق على جغرافيا بابل القديمة، بسبب ما حصل من تغييرات جغرافية منذ زوالها واندثارها تحت أكوام من التلال، ويمكننا أن نجد القليل من ملامحها القديمة عند المؤرخين والجغرافيين القدامى، ومن بعض الآثار المكتوبة التي تصفها وخصوصاً البابلية منها.

وهناك بعض المؤرخين والجغرافيين الإغريق والرومان بذلوا بعض الجهد في تقديم أوصافها، ونخص بالذكر منهم هيرودوت وزينفون وسترابون وغيرهم.وربما كان الجغرافي

بوليبيوس (Polybius)ا (200 ـ 120 ق.م) أحد الذين قدموا وصفاً جغرافياً منظّماً لبلاد وادي الرافدين وبابل، وربما كان أول من الذين استخدموا مصطلحات (ميزوبوتاميا وبرابوتاميا وأبولونيا) ليدلّ به على أقسام وادي الرافدين «فقد قسّم بوليبوس العراق إلى مناطقه الطبيعية، فأطلق على المناطق التي تقع إلى الشرق من نهر دجلة وإلى الجنوب من بابل اسم بارابوتاميا (Parapotamia) (ما وراء النهر). وإلى الشمال من هذه المنطقة وبين نهر دجلة وجبال فارس حتى شمال موقع مدينة بغداد الحالي بقليل كانت المنطقة التي أطلق عليها اسم أبولينا (Apollonia)، والأراضي التي بين بلاد النهرين هي بلاد الرافدين (Mesopotamia)، الذي بدوره قد قسم إلى بلاد آشور في الشمال وبلاد بابل في الجنوب. أما المنطقة التي تقع إلى الغرب من نهر دجلة من وسط العراق فهي صحراء، وفيها يقع سور الملك الذي ربما يكون هو نفسه سور أرتازركزيس الذي ذكره زينفون. وكتب بوليبيوس عن فيضان الفرات الذي عزاه إلى ذوبان الثلوج في أوآخر الشتاء وأوائل الصيف لا إلى كثرة الأمطار وغزارتها. وبيّن أن مياه هذه الأنهر لا تنصب في البحر الأحمر (تسمية للخليج العربي) بل تنتشر في الأهوار الكثيرة قبل أن تصل إليه.» (الأحمد 1970: 127).

أولاً: جغرافيا بابل

يشغل السهل الرسوبي في وادي الرافدين حوالي 20 % من مساحة العراق، وتقع مدينة بابل القديمة في النصف الأعلى من هذا السهل، يخترقها نهر الفرات الذي يسمى بالسومرية (بورانون أو بورانونا)، ويسمى بالأكدية (بوراتي أو بوراتم). ويبدو «أن الفرات كان ما بين الألفين الثالث والثاني ق.م يجري في اتجاه إلى الشرق من مجراه الحالي. وبعبارة أخرى كان يجري ما بين نهر الحلة الحالي ونهر دجلة إلى الشرق، وكان هذا المجرى يبتدىء بالقرب من صدر جدول اليوسفية الحديث ثم يمرّ بمدن كبيرة وصغيرة، وتروي فروعه الكثير من القرى والمزارع المتعددة في السهل الرسوبي. فمن بين تلك المدن مدينة سبار (أبو حبة الآن في منطقة المحمودية، وشرقي مجرى الفرات الحالي بنحو 12 كم) ثم في مدينة كوثى الشهيرة (وتسمى بقايا المجرى القديم حبل إبراهيم وكذلك أطلال المدينة). وفي نقطة ما في منتصف المسافة ما بين سبار وكوثي كان يتفرع من الفرات القديم (من

الجانب الأيمن) النهر الذي كان يروي منطقة بابل ويمر بمدينة بابل نفسها، وقد ورد ذكره في النصوص المسمارية باسم (أراختو)، ويتجه من بعد بابل إلى مدينة (كيش) (تل الأحيمر الآن) ثم يمر مجرى الفرات الأصلي (بالقرب من عفك) ومدينة شروباك (تل فارة الآن) ثم بمدينة الوركاء، وينتهي أخيراً بمدينة (أور)» (باقر 2009: 63 ـ 64).

«يعد السهل الرسوبي من أهم الأقاليم إذ شهد هذا السهل قيام أقدم الحضارات الإنسانية العريقة فيه حتى الآن وذلك خلال الألف الرابع ق.م. ويشمل السهل الرسوبي المنطقة المحيطة بضفاف نهري دجلة والفرات والممتد بين مدينة سامراء ـ بلد على نهر دجلة ومدينة الرمادي ـ هيت على نهر الفرات شمالاً، وإلى الخليج العربي جنوباً، وتقدر مساحته بخمس مساحة العراق اليوم أو ما يساوي (930.000) كيلو متراً طولاً و(250) كيلو متراً عرضاً وباتجاه شمالي غربي ـ جنوبي شرقي، ويحد هذا السهل إيران من جهة الشرق والهضبة الصحراوية من جهة الغرب.» (الحمداني 2002: 11).

تنتشر الحيوانات في بابل والعراق، وقد كانت هناك حيوانات انقرضت الآن مثل الفيل وفرس النهر والأسد والغزال الأحمر والفهد وحمار الوحش والثور الوحشي (بيزون).

أما الحيوانات التي ما زالت فيه فهي الأبقار والجاموس والأغنام والغزال والحصان والحمار والكلاب والذئاب. وأنواع كثيرة من الطيور.

ثانياً: وصف مدينة بابل

في العصر البابلي الحديث بلغ محيط بابل حوالي 18 كيلومتراً مربعاً، ومساحتها حوالي 2500 إيكر (حوالي 10 ملايين متر مربع)، وتتسع مساحتها لحوالي ربع مليون نسمة.

تعطينا الآثار وصفاً عاماً لبابل ومكوناتها، ولكنها لا تعطينا وصفاً دقيقاً كما تعطينا إياه الأوصاف التي كتبها أهلها في ذلك الزمن، ولذلك سنعمد معرفة هذا الوصف من خلال ما دوّنه مليكها العظيم نبوخذ نصّر في نصب تركه لمثل هذه المناسبة في وادي بريصا في

لبنان في القرن السادس قبل الميلاد، وهو من وجهة نظرنا، الأدق والأهم، وسنقارن به الوصف المربك وغير الدقيق الذي تركه لنا المؤرخ اليوناني هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد والذي بدا لنا وكأنه مكتوب عن طريق السماع والاستنتاجات الخاطئة.

1.نبوخذ نصّر يصف بابل

لايمكن لنا فهم نص النصب الذي وضعه نبوخذ نصّر في لبنان في ما يعرف بنص (وادي بريصا) إلّا إذا فهمنا الصراع المحتدم بين الإمبراطوريتين البابلية والمصرية لتنافس نفوذهما في بلاد الشام عموماً، وخصوصاً صراع الملكين نبوخذ نصر الثاني البابلي وأمازييس المصري، والذي يسيطر على بلاد الشام القديم سيتحكم بمصير الشرق الأدنى القديم.

نقوش وادي بريصا تلقي الضوء على الحملات التي شنها نبوخذ نصر الثاني في لبنان وجواره، في إطار التنافس بين وادي النيل وبلاد ما بين النهرين.

بعد وفاة نابوبولاصر عام 605 خلفه ابنه نبوخذ نصر الثاني الذي كان يطارد الجيش المصري وحلفائه في سورية (بعد موقعة كركميش). وبدا واضحاً أنه بعد أن أصبح ملكاً توجه للقضاء على الآشوريين وعلى حلفاء المصريين، الذين ناصروا مصر، وانصرف إلى محاولة الاستيلاء على مصر.

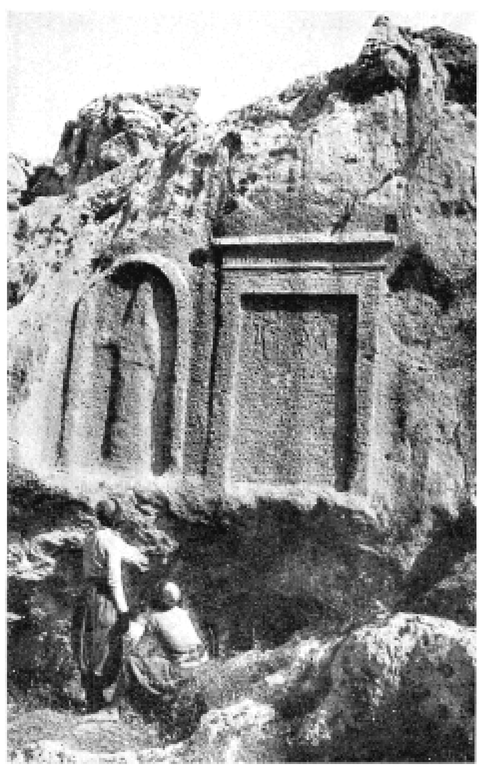
لكن هذا لم يكن سهلاً وهو يعيد اختراق بلاد الشام متوجهاً لمصر، فقد كانت يهوذا هي الطريق الذي سينقض المصريون، من خلاله، على سورية وبلاد الشام كلها، وإذا ما احتلها فإنه سيشتت شمل الجيش المصري وحلفائه إلى ثلاثة أقسام متباعدة عن بعضها، ولذلك أقام في ربلة على العاصي يراقب سير العمليات، ثم هجم بفرقتين واحدة تسلقت لبنان، واستولت على ما فيه من حصون وتركت على صخور وادي بريصا نصباً لتخليد انتصاره، ثم هبطت منتشرة على طول الساحل متفرغة لحصار صور، أما الفرقة الثانية فانقضت

على يهوذا وملكها صدقيا فحرقت القرى والمدن المفتوحة، وحاصرت قلعتي لاكيش وإزيكا. ثم انتصر نبوخذ نصر.

تغطي نقوش وادي بريصا، من الوجهة التاريخية، بعض وقائع الأحداث في أيام نبوخذ نصر الثاني الذي كثيراً ما تنقل بين لبنان وسورية وفلسطين، تأديباً للدويلات المتمردة على سلطته وتصدياً للطموحات المصرية.

هي اللوحة الوحيدة القائمة على الضفة الشمالية لنهر الكلب، في ذوق مصبح ـ كسروان، وهي عبارة عن نقش بابلي يظهر الملك نبوخذ نصر (605 ـ 562 ق.م.) واقفاً أمام شجر الأرز، يصدّ أسداً يُهاجمه واقفاً أمام شجر الأرز.

يروي الملك في هذه النقوش الأعمال التي قام بها من ترميم المعابد وترميم أسوار بابل وتجديد الأقنية، كل تلك الأمور التي تضعنا في أواسط أو نهاية حكمه.



نصب نبوخذ نصّر الثاني عند نهر الكلب

تكمن أهمية النص في كونه يذكر تفاصيل وصف بابل بطريقة دقيقة من خلال المنجزات التي يذكرها مليكها، وهو بذلك يشكّل الوصف الأكثر دقة من أي نصوص أخرى عن بابل وما فيها.

«يتألف النص الحالي من 160 سطراً، وهو مكتوب بنمطين من أشكال الكتابة المسماريّة التي طرأت عليها تبدلات عبر التاريخ، هما: يعود الأوّل إلى العصر البابليّ القديم الذي يشكل مرحلة ازدهار اللغة الأكاديّة (الفصحى) والكتابة المسماريّة، وذلك بهدف إظهار التمسّك، والمحافظة على التراث الكتابيّ الكلاسيكيّ، وبه كتبت الأعمدة الكتابيّة الأربعة في الموقع. يعود الثاني إلى العصر الذي دوّن فيه النقش (البابليّ الحديث)، كتبت به الكسر الثلاث المنفصلة. يبدأ النصّ بالنمط الأوّل، وينتقل إلى الثاني مباشرة. ولا شكّ في أنّ النصّ كان أطول بكثير. ولعلّ أهمّ ما ساعد في صياغة قراءة النص وترجمته هو تماثله في مواضع كثيرة مع نقش نبوخد نصّر المكتشف في موقع بريصا، في وادي الشربين شمال غربيّ الهرمل.» (حميدان 2019، موقع أوراق ثقافية (/https://www.awraqthaqafya.com/85

نضع نص الترجمة العربية لكتابة النص المنشور ضمن بحث الدكتورة شيراز علي حميدان المعنون (نقش الملك البابلي نبوخذ نصّر (الثاني) عند مصب نهر الكلب ـ لبنان، في مجلة (أوراق ثقافية) السنة الأولى، العدد الأول، ربيع 2019.

العمود الأول:

لقد أحطتُ مدينة بابل بسور كبير يواجه الشرق، بمسافة أربعة آلاف ذراع، من ضفّة (نهر) الفرات، حول المدينة، حتّى ضفّة الفرات أسفل المدينة.

حفرتُ خنادق لأساساته، وربطتُ بينها بالقار والآجرّ المشويّ. بنيتُ بالقار والآجرّ المشويّ بجواره سوراً (آخر) حصيناً، كالجبل. شيّدتُ بوّاباته، ووضعتُ لها أبواباً من خشب الأرز، مغطّاةً بالبرونز.

على حدود مدينة بابل؛ من طريق المواكب على ضفّة الفرات حتّى قرب مدينة كيش، بمسافة أربعة وثلثي «بيرو»؛ أنشأتُ حاجزاً ترابيّاً، وأحطتُ المدينة بمياه غامرة. لأجل منع انهدام داخله (داخل الحوض)؛ ربطتُ ضفافه بالقار والآجرّ المشويّ.

وفي مرّة ثانية، لأجل تعزيز تحصين مدينة بابل؛ أنشأتُ حاجزاً ترابيّاً بمسافة خمسة «بيرو»، فوق مدينة أُفي حتّى مدينة سيبار، من ضفّة نهر دجلة حتّى ضفّة الفرات.

العمود الثاني:

(زولوحّو)

نُخبة الأشياء الجيّدة: الثور العظيم تامّ الخلق، شطائر لذيذة من خبز (زولوحّو)، أغنام من نوع (باسيلو) سمينة الأَلْية (شحم الذيل)، سلسلة أسماك من مياه الأعماق العذبة، طيور السماء، الإوزّ، البطّ، طيور من نوع ماراتّو مامات، فئران الحقول، البيض، (التي هي من) سمات الأهوار.

الخضار الوفيرة بهجة البستان، الفواكه النّضرة هِبة الحديقة، التمور، تمور من ديلمون، التين المجفّف، الزبيب، أعشاب الجعة اللذيذة، العسل، الحلويّات، الحليب، الزيت الصافي، الغنى، الوفرة، أطايب البلدان، بيرة بلا حساب، خمرة وفيرة كالماء. كنتُ أمرّ من أمامها سنويّاً.

أنا نبوخذ نصّر ملك بابل، المكافح باستمرار لأجل مدن المعابد كلّها، لأجل عظمة أسمائها. أنا المبجّل دوماً الإلهين نَبو ومَرْدوك...

لقد عقدتُ العزم على تجديد مدن الآلهة العظيمة. لأجل الإله نرجال، سيّدي، مُقيّد أيدي خصومي، سوف... أبواب معبده (المسمّى) معبد مِسْلام العريضة، ... الفضّة الخالصة.

(هذا الجزء من النقش مهشّم، يصعب الربط بين بضع كلمات واضحة: جهة الشرق، اليوم الثامن، الإله شمش).

العمود الثالث:

لأجل الإله بِل صَرْبو؛ سيّدي، جدّدتُ (معبد) إدورجينا في مدينة باص...

لأجل الإلهة أوراش؛ سيّدتي، بنيتُ (معبد) إبّي آنو في مدينة دِلْبات.

لأجل الإله لوجال مَرَد؛ سيّدي، جدّدتُ (معبد) إيجي كَلَمّا، معبده في مدينة مَرَد.

لأجل الإلهة عشتار مدينة أوروك؛ سيّدتي، جدّدتُ (معبد) أنّا في مدينة أوروك.

لأجل مدينة أوروك و(معبد) أنّا معبدها، أعدتُ الإلهين ألاد ولامّا.

لأجل الإلهة عشتار مدينة أكّاد؛ السيّدة المبجّلة، التي تجعل أعدائي يتخاصمون فيما بينهم، بنيتُ... وأكثر من ذلك.

لأجل الإله سين؛ سيّدي جدّدتُ جيش نوجال معبده في مدينة أور.

جدّدتُ الأماكن المقدّسة للآلهة العظيمة التي تسير بجانبي. بنيتُ وسط الأفراح، والاحتفالات أماكن سكن للآلهة العظيمة المقيمة في داخلها.

ليت الآلهة العظيمة تنظر إليّ. ليتها تدعو باستمرار لسلطتي الملكيّة؛ أنا نَبوخذ نصّر.

العمود الرابع

...سيادتي... نبوخذ نصّر ملك مدينة بابل، مُثبّت أساسات... من البحر السفليّ...

مردوك سيّدي أوكل إليّ... في كلّ البلدان... مدينة بابل... حتّى السقف...

نصوص الكِسر الثلاث:

الأوّل:

الخضار الوفيرة بهجة البستان، الفواكه النّضرة هِبة الحديقة، التمور، تمور من دلمون، التين المجفّف، الزبيب، أعشاب الجعة اللذيذة، العسل، الحلويات الحليب، الزيت الصافي حبّات محمرّة، بيرة من نوع labku، بيرة من نوع nāšu، خمرة صافية، خمرة من: بلاد إيزَلّا، بلاد توئيم، بلاد صِمّينو، بلاد خِلْبونا، بلاد أرْنَبانو، بلاد سوخو، بلاد بيت كُباتي، مدينة أكْشاك، بلاد بيتاتي. جهّزت مائدة الإلهين مردوك وزَرْبانيتوم، سيّديّ، بشكل أفضل من السابق.

الثاني:

لأجل الإله شمش القاضي الجليل في السماء والأرض، المبشّر بفأل الخير لدى العرافة؛ جدّدتُ اديكو كَلَمّا معبده في مدينة بابل.

لأجل الإلهة بِلت أنّا السيّدة الجليلة التي تشفع لي؛ جدّدتُ في مدينة بابل إكيتوش جرزا معبد الإلهة بِلت أنّا عند الزاوية الخارجيّة من سور المدينة.

لأجل الإلهة جولا الأميرة الجليلة الساكنة في اساباد، المحافظة على صحّتي، حامية حياتي؛ كسوتُ خشب مِس ماجان، الخشب الأبديّ في قمّة معبدها بالذهب الأحمر.

الثالث:

... جعلتُ الناس داخل بلاد لبنان يرتاحون بالعيش على مروج خضراء. الخوف (لم يعد يصيبهم...)

(حميدان 2019، موقع أوراق ثقافية https://www.awraqthaqafya.com/85/)

الدكتورة شيراز علي حميدان، شيراز علي: (نقش الملك البابلي نبوخذ نصّر (الثاني) عند مصب نهر الكلب ـ لبنان)، في **مجلة (أوراق ثقافية)** السنة الأولى، العدد الأول، ربيع 2019.

2.هيرودوت يصف بابل

هيرودوت أو هيرودوتس(Herodotus) (حوالي 484 ـ 425 ق. م) يلقب بـ(أبي التأريخ) لأنه ألّف أول كتاب في التاريخ بالمعنى الذي نتعارف عليه، وهو إغريقي ولد في الجانب الآسيوي في بلدة هليكرناسوس من بلاد الأناضول، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. أي أنه عاصر الصراع الفارسي الإغريقي وزار بلداناً حول العالم المعروف آنذاك ووصفها وتحدث عن تاريخها، اشتهر بسبب كتابه (استطلاع هيرودوتس أو تاريخ هيرودوتس) الذي وضع فيه خلاصة تطوافه في البلدان حول حوض البحر المتوسط، وكان موضوعه الأساسي هو الحروب بين الإغريق والفُرس والميديين.

قام بطالمة الإسكندرية، بعد وفاة هيرودوت بقرنين، بنسخ كتابه على البرديات وبتقسيمه إلى تسعة أجزاء أو كتب صغيرة وضعوا لها أسماءً حسب أسماء بلدانها، وكان من حصة بابل الكتاب الأول الذي يمتد من المقاطع (178 ـ 200)، أي (22) مقطعاً وصف فيها مجموعة من الأمور وهي:

1. وصف مدينة بابل

2. وصف معبد مردوخ (بعل)

3. منجزات ملكة بابل نيتوكريتوس

4. حملة كورش على بابل

5. بعض مظاهر الحياة اليومية في بابل (الزراعة، المراكب، الملابس)

6. سوق الزواج وبعض عادات الزواج

7. ثورة البابليين على الفرس (في الكتاب الثالث)

سنتناول هنا وصف مدينة بابل (ترجمة الدكتور صباح الناصري، مدونة في النت، بـلاد مـا بـيـن الـنّـهـريـن في تـاريـخ هـيـرودوت)،

https://sabahalnassery.wordpress.com/2015/04/19/بـلاد-مـا-بـيـن-الـنّـهـريـن-في-تـاري/

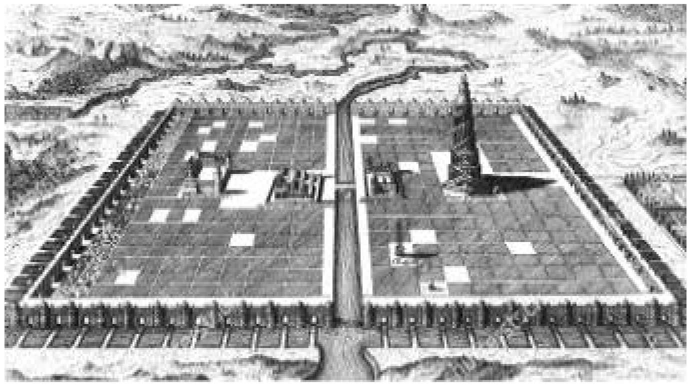
(178) تقع بابل في وسط سهل شاسع، ومخططها شكل مربع يمتد كلّ جانب منه مائة وعشرين غلوة وهذا يساوي أربعمائة وثمانين غلوة لمحيط الأسوار [أي حوالي 86 كيلومتراً]. هذه هي سعة مدينة بابل. أمّا عن تنظيمها فلا يمكن لمدينة رأيناها أن تماثلها، فهي محاطة أوّلاً بخندق عميق، عريض تملؤه المياه، ثمّ بسور سمكه خمسون ذراعاً ملكياً وارتفاعه مائتا ذراع (الذّراع الملكي أطول من الذّراع العادي بثلاثة أصابع).

(179) وينبغي عليّ أيضاً أن أذكر ماذا يفعلون بالتّراب عند حفر الخندق وكيف شيّد السّور: فالتّراب الّذي استخرج من الخندق عند حفره يستعمل لصنع اللبن. وعندما يصنعون ما يكفي من اللبن يفخرونه في أفران فيصبح طابوقاً يشيّدون به ويثبّتون الطّابوق فيما بينه بالقارالمحروق المذاب وبه يثبّتون طبقة أخرى تعلو الأولى، وعندما يصلون إلى ثلاثين طبقة يضعون طبقة من القصب البردي [وهكذا دواليك]. وقد غطوا الخندق بالطّابوق بهذه الطّريقة ثمّ رفعوا الأسوار. وعلى أعالي السّور من جانبيه شيّدت بنايات من طابق واحد، وضعت كلّ اثنتين منهما وجهاً لوجه وتركت بينهما سعة تكفي لمرور عربة بأربعة خيول. ولهذا السّور مائة بوابة أبوابها من البرونز وكذلك ركائزها وسكائفها ; وهناك مدينة أخرى على مسيرة ثمانية أيّام من بابل اسمها إيسIs يخترقها نهر صغير اسمه إيس أيضاً يصبّ في الفرات.وعندما تخرج مياه هذا النّهر من باطن الأرض تخرج معها قطع كثيرة من القار، واستعمل هذا القار في تشييد أسوار بابل.

(180) هذا عن أسوار بابل. أمّا المدينة فقد قسمت إلى قسمين يفصل بينهما نهر الفرات، وهو نهر واسع مياهه عميقة سريعة الجريان ومنابعه في أرمينيا، يصبّ في بحر أرتيريا. وعلى الضّفتين يتقدّم السّور بمقدار ذراع نحو الماء ثمّ ترتفع سدّة من الطّابوق المفخور لتحدّ المياه من كلّ ضفّة.

والمدينة مجمّعات من بنايات بثلاثة أو أربعة طوابق تخترقها طرقات موازية للنّهر وأخرى تقاطعها وكلّها مستقيمة التّخطيط. والطّرقات الّتي تؤدي إلى النّهر توصل كلّ واحدة منها إلى باب خفي [يغلق في ساعة الخطر] فتح في السّور، وكانت كلّ هذا الأبواب من البرونز أيضاً وتوصل إلى النّهر مباشرة.

(181) ولا شك في أنّ هذا السّور درع للمدينة، وهناك سور آخر داخلي، يكاد أن يكون بمتانة الأوّل مع أنّه أقلّ منه سمكاً. وفي مركز كلّ قسم من قسمي المدينة سور محصّن، يحمي الأوّل منهما القصر الملكي الّذي يرتفع حوله سور عالٍ ومتين، ويحمي الثّاني معبد الإله بعل Zeus Bélos القلزي الأبواب الّذي كان ما زال منتصباً في زمني: وهو بشكل مربع يمتد كلّ جانب منه غلوتين، ينتصب في وسطه برج ضخم كلّ جانب منه غلوة، يعلوه برج آخر [أصغر منه] ويعلو الثّاني برج ثالث، وهكذا حتّى ثمانية طوابق.وحوله سلّم خارجي يدور لولبياً يصعد حتّى الطابق الأعلى. وفي منتصف السّلّم الصّاعد تقريباً شيّد موقف منبسط وضعت عليه مقاعد ليستطيع الصّاعد أن يجلس ويستريح قليلاً. وفي أعلى البرج مصلّى واسع نصب فيه سرير وثير الفراش وبجانبه طاولة من الذّهب. ولكن ليس فيه تماثيل ولا يقضي فيه إنسان الليل، ما عدا امرأة من أهل البلد، اصطفاها الإله من بين النّساء، كما يقول الكلدو، وهم رجال دين هذا الإله.



مدينة بابل كما تصورها هيرودوت وكيرشر؛ «الجنائن المعلقة» في الوسط، البرج على اليمين، نهر الفرات يمتد وسط المدينة.

وبمقارنة بسيطة بين نصيّ نبوخذ نصر وهيرودوت تتضح الكثير من أخطاء هيرودوت في نواحٍ كثيرة.

المبحث الثاني: المدن البابلية

ظلت المدن الرافدينية تتأسس تحت إرادة دينية ومحور ديني هو المعبد، وكانت تبنى بإرادة إله وتكون تحت رعايته، ويمثلها، دينياً، كهنة ذلك الإله الذين يتفقون مع حاكمها أو ملكها المدني على أسس دينية.

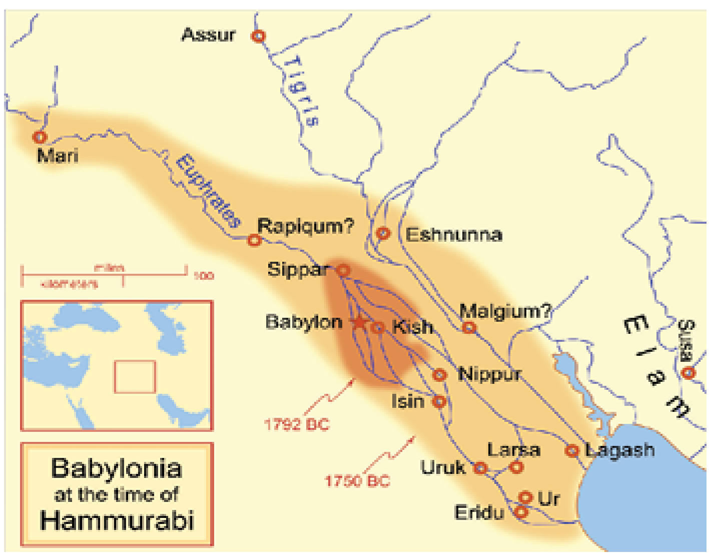
«ويعتبر تأسيسها عملاً دينياً لا يستطاع القيام به إلّا بناء على أوامر الآلهة العظام لأن المدينة هي قبل كلّ شيء مركز للعبادة. وعلى هذا كان لاسم المدينة أحياناً واسم الإله الذي تنازل فرضي أن يستقر فيها مدلول واحد: فنرى مثلاً نيبور مركزاً لـ «إنليل» سيد سومر كلّها.كما نرى في جهات أخرى أن الإله المعبود تتضح سيادته بطريقة أخرى.ولقد كان الأمر كذلك بالنسبة لـ»لاجاش» مثلاً التي كان إلهها «إينورتا» يسمى دائماً «ننجرسو «سيد جرسو وهو اسم الحي الذي يقع فيه معبده.ومعنى كلمة بابل «بوابة الله «، وعندما أنشأ

ملوك الأسرة البابلية الأولى مدناً جديدة أعطوها أسماء تشمل اسم الإله» (ديلابورت 1997: 283).

لكن البابليين بدؤوا منذ عصر حمورابي يسمون القنوات والأسوار والمدن بأسماء ملوكهم بدلاً من آلهتهم، مثل مدينة (دوركوريكالزو) أي مدينة الملك كاريكالزو.

ومن الطبيعي أن الإله لا يدير المدينة بل كان يظهر رجل الدين (إيشاكو) أو الملك (لوجال) أو الأمير (إنسي) الذي كان يؤدي أعمال الدين والدنيا معاً.

في العصر البابلي أصبح الملك القوي هو الذي يدير المدينة ويسيطر على كبار رجال الدين، أما الملك الضعيف فهو الذي يحتاج إلى رجال الدين بقوة وقد يسيطرون على توجهاته وسياسته.



مواقع بعض المدن البابلية في عصر حمورابي

فيما يلي قائمة سريعة بأهم المدن البابلية والتي كان لبعضها جذور سومرية أو أكدية لكنها أصبحت بابلية منذ العصر البابلي القديم:

وهذا شرح موجز لأهم هذه المدن:

1.بورسبّا Borsippa

اشتهرت المدينة «بأنها كانت مركز عبادة الإله البابلي «نبو» الذي عبده العراقيون القدامى، وعدوه إله الحكمة والمعرفة وجعلوه ابن «مردوخ» إله بابل الشهير وسمي معبده في بورسبا بالاسم السومري «أي زيدا» (البيت المكين) كما سمي البرج المدرج فيها باسم «اي ـ أور ـ ايمن ـ آن ـ كي» ومعناه في السومرية (بيت الطبقات السبع للسماء والأرض).
والمرجح لدى الباحثين أن برج المدينة كان في الواقع مكوناً من سبع طبقات كل طبقة منها ملونة بلون خاص وأنها تمثل الكواكب السبعة. وكان لهذه المدينة ولإلهها صلة وثقى بمدينة بابل فقد نوهنا سابقاً بأنها كانت ملاصقة لبابل وإلهها ابن إله بابل وجرت العادة الدينية أن يقوم الإله «نبو» بدور بارز في احتفالات رأس السنة البابلية التي كانت تقام في بابل حيث يؤخذ تمثاله من بورسبا في قارب خاص في نهر الفرات إلى بابل ثم في عربة احتفال خاصة يسير فوق الجسر المهيب الذي وجد المنقبون بقاياه في بابل ويستمر الموكب في شارع بابل الذي سميناه بشارع الموكب ويمر من باب عشتار إلى المعبد المخصص لهذا الاحتفال.» (باقر 2018: 13).

2.سبّار (سيبار)

3.سبّار ـ أمانوم Sippar-Amnanum

4.ماري (تل الحريري)

5.دور ـ كوريغالزو (عقرقوف الحالية Aqar Quf Dur-Kurigalzu)

6. أشنونا (حالياً تل أسمر)

7.شادوبوم (حالياً تل حرمل)

8.كوثى (كوثا) (تل إبراهيم)

9.دنيكتوم Diniktum

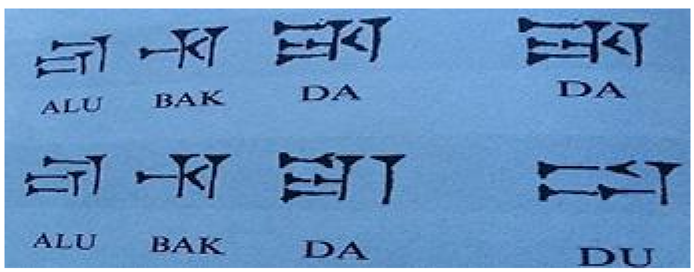
10.خانات (عانة)

11.توتوب Khafajah or Khafaje ا(ancient Tutub)

12. بومبيديتا (بومبيديثا أو بومبيديسا) Pumbedita

13.نيهارديا Nehardea

14.بگدادو، بگدادا



(BUDGE 1920: 186)

ونجد أن من الضروري جمع الأسماء التي كانت جذراً لاسم بغداد في هذا الجدول المختصر:

المبحث الثالث: المناخ والسكان وإثنياتهم

أولاً: مناخ بابل

تمتاز بابل، اليوم، بارتفاع منحدراتها الجنوبية عن سطح البحر بحوالي 35م، مناخها صحراوي شحيح الأمطار ودرجات حرارته مرتفعة تصل في الصيف إلى 50 درجة مئوية، كما تمتاز بشتائها الدافئ. لكنها، في الماضي، كانت أفضل من حاضرها مناخاً بسبب قلة التصحر حولها وزراعة حقولها المحيطة بها داخل وخارج أسوارها.

كان لمرور نهر الفرات فيها أثره الكبير على المناخ والزراعة، فقد منحها اعتدالاً في درجات الحرارة ووفر لأهلها الماء، وجعلها جميلة المنظر.

مناخها شبه صحراوي تسوده الرياح الشمالية والشمالية الغربية طيلة العام رغم هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية، من تلاقي هذه الرياح مع بعضها تنسكب الأمطار في فصل الشتاء بشكل خاص.

كان للبابليين نوعان من السنة:

1. سنة دينية تبدأ في نيسان، وهي السنة الحكومية الرسمية التي تبدأ مع الربيع في يوم اعتداله المصادف الأول من نيسان (وصادف في توقيتنا الحالي 21 آذار). وهذه السنة تتناسب مع الطبيعة، ففي أول نيسان تعود الحياة إلى الأرض وفي مثل هذا الفصل يبدأ الإنسان أعماله الزراعية التي تحتاج إلى عناية الآلهة وعطفها وبركاتها.

2. سنة شعبية، تبدأ في تشرين تناسب حياة الناس الزراعية. ففي تشرين يكون الفلاح قد جمع المحصول، وباعه وجمع شيئاً من النقود. وفي هذه الفترة يسدد ديونه ويدخر غذاء للشتاء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يشعر الفلاح أن سنته قد انتهت في مثل هذا الفصل وآن له أن يبدأ من جديد، ليستعد لفصل الشتاء وهو فصل ركون واستكانة، وليستعد لأعمال الربيع القادم. أما السنة الدينية التي تبدأ في نيسان فكانت تتمشى.

تعكس أسماء الشهور البابلية طبيعة مناخ بابل، فكل الأشهر مشتقة من طبيعة المناخ بالدرجة الأساسية رغم ربطها ببعض الآلهة أحياناً وهي دلالات مترابطة حيث تبدأ السنة

البابلية من شهر نيسان ويستمر كل شهر 30 يوماً:

ثانياً: سكان بابل (ديموغرافيا، إثنوغرافيا)

جمعت بابل في داخلها وحولها مجاميع كبيرة غير متجانسة الأصول من الأقوام الرافدينية وغير الرافدينية القديمة، واستطاعت شخصية هذه المدينة أن تصنع تاريخاً مثيراً، قلّ نظيره في العالم القديم، شكّل أهم صفحات الدنيا آنذاك. وربما كانت أسطورة بلبلة الألسن التي حصلت في بابل، حسب التوراة، قد جاءت لهذا السبب ولم يعد اسم بابل دالاً على المدينة الواقعة على الفرات بل صار دالاً على حضارة كاملة.

كُتب االتراث البابلي بلهجة أكدية، فاللغة الأكدية تنقسم إلى ثلاث لهجات (أصيلة هي الأكدية الأم التي تحدث بها وكتب بها الأكديون، واللهجة البابلية، واللهجة الآشورية) ويبدو لنا أن اللغات الأصلية لبابل وآشور كانت سامية أيضاً لكنها ذابت في اللغة الأكدية، وهكذا ترك الأموريون الذين كوّنوا السلالة البابلية الأولى لغتهم الأمورية وتكلموا بالأكدية، حيث «لم يصل إلينا من السلالات الأمورية الحاكمة أية نصوص مدونة بلغتهم باستثناء أسماء الأعلام الكثيرة ورجحان أن اللهجات السامية الغربية كانت اللغات المحكية لجماعات كثيرة من السكان الجدد الذين اختلطوا بالساميين القدامى، على أنهم دخل بالإضافة إلى ذلك عدد من الكلمات السامية الغربية وبعض الآلهة السامية الغربية مثل الإله (مارتو)، والإله «دكَان» (دجان أو داجون في التوراة) وإله الرعد والزوابع «أدد» أو «حدد » (باقر 2009: 446 - 447).

ومثلهم فعل الكاشيون (الذين كانت لهم لغة ذات أصول قوقازية ربما) وكذلك فعل البحريون (سلالة القطر البحري) وهم خليط سومري آرامي كلدوي قديم. وقد شرحنا إثنيات هذه الشعوب البابلية في الفصل الأول.

الفصل الثاني: موجز التاريخ البابلي



لوح حجري للملك نابو ـ أبل ـ أدينا

https://www.funwithcy.com/the-ancient-mesopotamian-city-of-sippar/

التأريخ البابلي طويل ومعقّد التركيب، يحتاج إلى تقسيم دقيقٍ يمكّننا من تتبع مراحله بدقة وسلاسة، فقد استمر لما يقرب من 1465 عاماً، بين (2004 ـ 539) ق.م، وإذا استثنينا الحكام والملوك قبل ظهور بابل كعاصمة للدولة البابلية فسنحصي ما يقرب من 134 ملكاً بابلياً، وسيكون تأريخ بابل من (1894 ـ 539) ق.م، أي 1355 عاماً.وينقسم التأريخ البابلي للمراحل الآتية:

أولاً: العصر البابليّ القديم (2004 ـ 1595) ق.م

1. دويلات المدن الأمورية (2004 ـ 1792) ق.م

2. صراع إيسن ولارسا (2004 ـ 1580) ق.م

3. الدولة البابلية القديمة (1894 ـ 1595) ق.م

ثانياً: العصر البابليّ الوسيط (1595–626) ق.م

تأريخ الأسر البابلية من (2 ـ 10)

ثالثاً: العصر البابليّ الحديث (626–539) ق.م

تأريخ الأسرة البابلية الحادية عشرة (الكلدية).

جدول الأسر البابلية:

المبحث الأول: العصر البابلي القديم (2004 ـ 1595) ق.م

هو العصر الذي يبدأ من سقوط الدولة السومرية الحديثة (سلالة أور الثالثة) في 2004 ق.م وحتى نهاية حكم أسرة بابل الأولى في 1594، أي أنه استمر لـ414 عاماً. والذي امتاز بازدياد نزوح وحركة الأموريين في وادي الرافدين وبلاد الشام وإقامتهم في المدن الرافدينية والشامية، وانهيار النظام السومري ـ الأكدي، وقيام دويلات المدن الأمورية (دويلات المدن الثانية) التي تنازعت لما يقرب من قرنين من الزمان ثم ظهور السلالة البابلية الأولى التي نجحت في توحيد وادي الرافدين في دولة موحدة ثم توسعت كأقوى إمبراطورية في الشرق الأدنى.

1.مرحلة دويلات المدن الأمورية (2004 ـ 1792) ق.م

عندما سقطت الدولة السومرية الحديثة (2130 ـ 2004) ظلّ وادي الرافدين (العراق القديم) يعاني من فراغ سياسي واضح ولم تشغل هذا الفراغ السياسي دول كبيرة، مثل دولة سومر الحديثة التي كانت عاصمتها أور، حتى ظهور بابل في حدود (1894) التي حولت وادي الرافدين إلى دولة كبيرة في عصر حمورابي بعد ظهورها بقرن كامل.

وقد اصطلح علماء التاريخ القديم على إطلاق تسمية (مرحلة إيسن ولارسا) على الفترة التي سبقت ظهور بابل. وقد ظهر صراع الأموريين مع العيلاميين في هذه المرحلة باسم مدينتي إيسن ولارسا رغم أن هناك مدناً أخرى قد ظهرت في هذه الفترة.

تبدأ هذه المرحلة من سقوط سومر وبدء ظهور دويلات المدن والأسرات الأمورية وينتهي بظهور حمورابي الذي أخضعها لنفوذه وجمعها في دولةٍ بابلية واحدة.

أطلق الباحث الألماني إدزارد على هذه المرحلة الانتقالية من سقوط سومر حتى ظهور بابل اسم (عصر دول المدن الثاني) وكأنه يذكر بعصر دول المدن الأول، الذي يمثل العصر السومري القديم حيث كان النظام السياسي ممثلاً بدولة المدينة قبل ظهور لوكال زاكيزي الذي كان صانع أول دولةٍ سومرية في أعقاب دمجه لتلك المدن في دولة واحدة كبيرة. ونحن بدورنا نسميه عصر دول المدن الأمورية بسبب سيادة الشعب الأموري بقبائله المختلفة والمتصارعة عليه.

وقد انتهى عصر دول المدن الثاني بظهور حمورابي (1792 ـ 1750) ق.م وقضائه على دول المدن وعودة نظام الدولة الواحدة.

كانت هناك أكثر من اثنتي عشرة دولة مدينة، في أقل تقدير، قد أنشأت لها سلالات حاكمة خاصة بها قبل وبعد نهاية الدولة السومرية الحديثة مثل سلالة (إيسن) ومؤسسها أشبي أيرا (2170 ـ 1794) ق.م وسلالة لارسا ومؤسسها نبلانم (2050 ـ 1763) ق.م وسلالة

أشنونا (2000 ـ 1761) ق.م ثم ظهرت سلالة بابل الأولى وسلالة الوركاء وسلالة دير وسلالة ملكينم وسلالة (يموت بعل) وسلالة سبار وغيرها.

هذه هي مدن عصر دول المدن الثانية التي غلب عليها الطابع الأموري فقد ظهرت القبائل الأمورية كما لو أنها في هجوم منظم على المدن السومرية والأكدية وقام بعضها ببناء مدن جديدة، ولكن ذلك لم يمنع ظهور مدن أكدية الطابع أو سومرية الأصل والظهور. وجملة القول أن عصر دول المدن الثاني كان أمورياً وأكدياً وآشورياً وسومرياً. وإن كانت المدن السومرية والأكدية قد بدأت بالغروب شيئاً فشيئاً رغم أن اللغة الأكدية هي التي سادت في العصر اللاحق، فإن المدن الأمورية والآشورية كانت في طور الصعود حتى أصبح من نافلة القول اعتبار عام (2000) ق.م حداً فاصلاً بين سومر وأكد التي سادت قبله وبابل وآشور التي سادت بعده.

نرى أن الأموريين هم من أقدم الأقوام العراقية القديمة ولا نرى أنهم هاجروا من خارج العراق إلى العراق كما يذهب أصحاب نظريات هجرة الساميين من جزيرة العرب أو سوريا أو غيرها إلى العراق. بل العكس هو الصحيح، حيث ظهر الأموريون في وادي الرافدين مبكراً في حدود 4500 ق.م ويمكن أن تكون المدينة التي كانت في (تل العبيد) عاصمة لهم ولكن أهم سبب في تعثر ظهور حضارتهم تلك هو غياب الكتابة التي ستظهر بعدهم على أيدي السومريين.

قبل أن تظهر بابل إلى الوجود ويظهر البابليون كانت هناك مرحلة تفصل بين السومريين والبابليين تسمى مرحلة مدينتي إيسن ولارسا وهي مرحلة صراع بين الأموريين (في إيسن) والعيلاميين في (لارسا).

ولا بدّ، قبل ذلك من التعرف على دويلات المدن الأمورية في وادي الرافدين، التي ستكون بضمنها إيسن ولارسا، وهي ملخصة في هذا الجدول المبسّط:

2.صراع إيسن ولارسا 2004 ـ 1580 ق.م

عندما سقطت الدولة السومرية الحديثة على يد التحالف العيلامي وشعب سوسة وبمباركة ماري الأمورية، دبت الفوضى في جنوب العراق وظهر على مدى (424) سنة صراع طويل بين مدينتي إيسن ولارسا في البداية ثم بين العيلاميين والبابليين الذين سيطروا على كل من لارسا وإيسن (لارسا تقع في أقصى الجنوب قرب أوروك، وإيسن تقع شمال أوروك) ويمكننا أن نقسّم فترة الصراع هذه إلى المراحل التالية:

1. مع حلول سنة 2000 ق.م كان هناك ثلاثة ملوك يلوح بينهم صراع وتنافس في جنوب العراق وهم:

أ. إشبي إيرا: مؤسس أسرة إيسن وهو من أصل أموري وكان حاكماً على مدينة ماري الأمورية الذي كان يتطلع لاحتلال عيلام.

ب. نابلانوم: مؤسس أسرة لارسا.

ج. خوتران تمتي: ملك عيلام الذي أسقط أسرة أور الثالثة السومرية وأسر ملكها أبا سين ويتطلع لاحتلال إيسن ولارسا.

واستمر هذا التوتر لفترة طويلة.

2. ظهور الملك الخامس في كل من إيسن ولارسا: ظهر الملك الخامس في إيسن وهو (لبت عشتار) الذي قام بسن شريعة مهمة وكبيرة تعرف بشريعة لبت عشتار وكانت إيسن في عصره قد ازدهرت وأصبحت قوية.

أما الملك الخامس في لارسا فهو (جونجوم) الذي أحرز انتصاراً عسكرياً كبيراً على عيلام وثبت سلطة لارسا المستقلة.

3. في عام 1880 ق.م تأسست مدينة بابل على يد الملك (سومو آبوم) وظهرت الأسرة البابلية الأولى الأمورية الأصل. وكان هذا يعني ظهور قوة أمورية ساندة لمدينة إيسن

الأمورية. واستمر توطيد مدينة بابل على يد ملوكها اللاحقين.

4. قام ملك مدينة كازالو بالهجوم على مدينة لارسا وانتزع العرش من ملكها (سن أقيشام) وعند ذاك شعر ملك عيلام (كوبومارك) بأن لارسا ستضيع منه، فقام بالهجوم عليها واحتلها وهزم ملك كازالو وعيّن ابنه (ورد سين) ملكاً عليها فأصبحت لارسا تابعة رسمياً لعيلام.

5. أحداث عهد ريم سين ملك لارسا:

جاء ريم سين بعد أخيه ورد سين وكان قد تولى دمق إيليشو الحكم في مدينة إيسن. أما في مدينة بابل فظهر ملكها السادس حمورابي وحدثت الصراعات التالية:

أ. قام ريم سين بالهجوم على دمق إيليشو وأسقط أسرة إيسن نهائياً.

ب. في العام السابع من حكم حمورابي قام حمورابي بالاستيلاء على مدينة إيسن وطرد ريم سين من لارسا.

ج. في العام السابع والعشرين من حكم حمورابي قام ريم سين باستعادة لارسا من حمورابي، ووسع نفوذه في أور والوركاء وجرمو ولجش ونفّر.

د. في العام الحادي والثلاثين من حكم حمورابي قام حمورابي بالهجوم على ريم سين واستعاد منه كل ما احتله وطرده من لارسا.

هـ. في عهد (سامو إيلونا) ابن حمورابي استغل ريم سين ثورة ظهرت في جنوب بابل فقام باحتلال لارسا وجعلها مستقلة عن بابل.

و. قام سامسو إيلونا باستعادة لارسا وأسر وحرق ريم سين حياً في المعركة. واستعاد أور والوركاء وهكذا انتهت أسرة لارسا نهائياً على يد سامسو إيلونا.

وكان هذا مترافقاً مع بداية ظهور دولة بابل الثانية (البحرية) رغم أن أبناء وأحفاد سامسو إيلونا ما زالوا في دولة بابل الأولى.

* * *

ومن خلاصة الأحداث السابقة نرى بأن ما يقرب من (15) ملكاً حكموا في إيسن لمدة (400) سنة وأن ما يقرب من (16) ملكاً حكموا في لارسا لمدة 424 سنة. وقد استمر صراعهما حتى الملك السابع في بابل وهو سامسو إيلونا ابن حمورابي الذي قام بالقضاء على آخر ملك من لارسا وهو (ريم سين).

لقد كانت مرحلة (إيسن ولارسا) مرحلة صراع وفوضى كانت تتوارى فيها آخر المشاعل الحضارية السومرية التي أنشأها السومريون على مدى أكثر من 1500عام.

ورغم ذلك كانت هناك بعض المظاهر الحضارية الإيجابية في مدينة إيسن بشكل خاص فقد ظهرت إيسن وكأنها وريثة أور فكانت تمارس فيها طقوس الزواج المقدس بين الملك الذي يمثل الإله دموزي والكاهنة العليا التي تمثل الإلهة إنانا.

ولعل أهم المظاهر الحضارية في مدينة إيسن ظهور شريعتين مهمتين هما شريعة أشنونا التي كتبت باللغة البابلية القديمة منها (61) مادة قانونية وبعدها بنحو نصف قرن ظهرت شريعة لبت عشتار المسجلة على لوح حجري وعلى سبع ألواح طينية بالخط المسماري.

كانت مرحلة إيسن ولارسا مقدمة للدخول في موضوع العهد البابلي القديم الذي شغلته سلالة بابل وتكونت فيه الدولة البابلية التي حكمتها 11 أسرة أو سلالة، يمكننا تلخيصها إجمالاً بهذا الجدول العام:

3.الدولة البابلية القديمة

الأسرة البابلية الأولى (الأمورية) (1894 ـ 1595) ق.م

كان الصراع بين دويلات المدن الأمورية قد وصل إلى صراع قوي وعنيف بين سلالتين أساسيتين هما (لارسا وإيسن)، وقد استطاع آخر ملوك لارسا (ريم سين) التغلب على سلالة إيسن، وكانت بابل تراقب هذا الصراع الذي أصبح محصوراً بينها وبين لارسا.ولم يحسمه لصالحها سوى حمورابي سادس ملوك بابل.ولا بد من تتبع تأريخ ملوك الأسرة الأمورية في بابل كما في هذا الجدول:

1.سومو آبوم:

كان الشيخ الأموري (سومو أبوم) قد أسس بابل عام 1880 ق.م التي ظهرت كمركز قوة في مرحلة دول المدن الأمورية مع إيسن ولارسا وأشنونا. وظهر سومو آبوم كرجل حرب عندما قمع ثورات كيش وكوثا وكزالوا وكرجل عمران عندما بنى المعابد واهتم بالزراعة والإرواء.

وقد أصبحت بابل أشهر مدن العالم القديم بحضارتها ولكن هذا لم يأت بين ليلةٍ وضحاها بل استغرق عدة قرون. وهكذا صارت بابل عاصمة الدولة البابلية الأولى التي أسسها الأموريون.

1. الملوك الخمسة الأوائل:

وقام خليفته (سين مبلط) باحتلال إيسن وخاض ملوك بابل الخمسة الأوائل أمرين: الأول عمراني فقد شيدوا مدينة بابل وقنواتها ومعابدها وقراها.. والثاني حربي مع ملك كزالو ومع الملوك العيلاميين وخصوصاً ورد سين الذي احتل لارسا وأصبح ملكاً عليها. ثم تفاقم خطر العيلاميين بقوة مع ظهور الملك ريم سين الذي احتل إيسن (حليفة بابل).

2. حمورابي:

هو الملك السادس الأعظم والأكثر شهرة من بين كل ملوك الدولة البابلية القديمة. فقد احتل لارسا وضرب العيلاميين واحتل ماري وسبارتو وهكذا انفتح الطريق أمامه لتكوين

دولة قوية سرعان ما توسعت وصارت (الإمبراطورية البابلية الأولى) وقام بتوسيع تجارته مع أقاليم البحار، وقام بتخطيط بابل وسنّ القوانين المعروفة باسمه.

«ونتيجة لتفكك الحوريين في ذلك العصر فإنهم لم يشكلوا أي خطر يهدد مدن بلاد الرافدين العليا. وفي النهاية وعندما وصل إلى العرش في بابل رجل دولة عظيم انتهت فترة السلام في المنطقة. وفي عام 1759 قبل الميلاد استطاعت جيوش حمورابي أن تتغلب على تحالف عسكري ضم ممالك لارسا وأشنونا وعيلام وماري. وبعد ذلك ثارت ماري لكن المملكة كانت في حالة دمار تام، أما الدولة الآشورية التي تضاءلت رقعتها فقد أصبحت خاضعة لمملكة بابل. وكما كانت عليه الحال في عصر سارغون الأكدي توحدت المنطقة بقيادة حاكم واحد وفي ظل نظام جديد في الإدارة والحكم. إن إنجازات حمورابي في هذا المجال تنعكس في شريعته المشهورة المنقوشة على لوح بازلتي يبلغ طولة ثلاثة أمتار ويمكن مشاهدته في متحف اللوفر.» (لويد 1993: 220).

وفي عهد ابنه سامسو إيلونا، ظهر (ريم سين) الذي قام بالاستيلاء على الوركاء وإيسن واستقلت لارسا.. وكانت الإمبراطورية تترنح بفعل هذه الأحداث الداخلية.

أعماله الحربية: استطاع هزيمة (ريم سين) ملك العيلاميين وطرده من إيسن ثم من لارسا ومن أرض عيلامية كانت بحوزته، واحتل مدينة ماري في الغرب وسيطر على شمال العراق (سوبارتو وآشور) وهكذا تمكن حمورابي من أن يؤسس إمبراطورية واسعة امتدت من لجش وأريدو بالقرب من الخليج العربي حتى آشور ونينوى.

أعماله العمرانية: سنّ شريعته المعروفة (شريعة حمورابي) وطبق العدالة في بابل والمدن الأخرى، ونشّط التجارة مع أقاليم البحر المتوسط في عهده حيث كانت تجلب الأخشاب والمعادن والأحجار، كما قام بحفر القنوات لإصلاح الأراضي.





بابل في عصر حمورابي

الجزء العلوي من مسلة حمورابي الذي يظهر وهو يتسلم رمزي العدل من إله الشمس والعدالة (شمش)

http://ancienthistory.about.com/od/lawgovernmentpolitic1/tp/012910AncientLawGivers.htm

3. سامسو إيلونا:

ابن حمورابي الذي سار على سياسة أبيه في الاهتمام بالشؤون الإدارية وشق القنوات وبناء وإعمار المعابد.

وقد عاد في عصره الملك العيلامي ريم سين فاحتل لارسا والوركاء فقام سامسو إيلونا باستعادة لارسا ثم خاض معركة حرق ريم سين فيها حياً.

لكن ثائراً من داخل بابل نفسها ظهر بعد سنوات اسمه (إيلوما إيلوم) قام باحتلال المدن السومرية المتاخمة للخليج العربي وفصلها عن بابل ثم احتل لارسا حتى وصل إلى نيبور وأسس دولة بابل الثانية (البحرية) ولم يستطع سامسو إيلونا القضاء عليه.

4. الملوك الأربعة الأواخر:

جاء بعد سامسو إيلونا ملوك أربعة ضعفاء لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً مع الدولة البابلية الثانية البحرية وسقط آخرهم عندما هاجم الحيثيون (وهم أقوام في بلاد آسيا الصغرى) مدينة بابل ودمروها وسلبوا كنوزها ولكنهم لم يمكثوا في البلاد طويلاً بل انسحبوا بعد أخذ الغنائم وطردتهم دولة بابل الثانية (البحرية)، وكان هناك اتفاق بين الحيثيين والكاشيين على الهجوم ثم ترك بابل بيد الكاشيين، الذين قدموا من عانة، حيث كانوا يحكمون وأسسوا الأسرة البابلية الثالثة.

المبحث الثاني: العهد البابلي الوسيط 1595 ـ 626 ق.م

يبدأ العصر البابلي الوسيط من الأسرة الثانية وحتى الحادية عشرة، بعد أن سقطت بابل بيد الحيثيين وانتهت فيه الإمبراطورية البابلية القديمة التي تفككت نهائياً خارج بلاد الرافدين، وكذلك داخله حيث تناهبها الكاشيون والبحريون والآشوريون، وانكمشت الدولة البابلية وتذبذبت في حجمها وسيادتها ولم يكن الحكم فيها من أهل بابل، حيث ظهرت فيها تسع سلالات بعضها من أهل بابل وبعضها قادم من الشرق مثل الكاشية وبعضها من الجنوب مثل البحرية وبعضها من الشمال مثل الآشورية.

1.الأسرة البابلية الثانية (البحرية) (URU.KÙKI) حوالي (1700 ـ 1580) ق.م

ظهر في السنة الثانية عشرة من حكم الملك سامسو إيلونا ابن حمورابي، ثائرٌ بابلي اسمه (إيلوما إيلوم) انفصل بالمدن السومرية المتاخمة للخليج العربي مثل (أور وأريدو وأوروك ولجش وأوما) ثم سيطر على العاصمة القديمة الدينية للسومريين (نيبور) ولم يستطع سامسو إيلونا ولا ابنه القضاء على هؤلاء الذين أعلنوا ظهور مملكة بابل الثانية (البحرية) بسبب قربها من الخليج، وظلت هذه الدولة أو المملكة قائمة على الحدود الجنوبية لمملكة بابل الأولى.

ورغم أنها كانت مستقلة عن بابل، التي يحكمها الأموريون، إلا أنها حذرة جداً، وهي بتوقيت حكم الزمن القصير تمتد من (1732–1460 ق.م). أي أنها رغم طردها من بابل لكنها بقيت فاعلة لثلاثة قرون تقريباً، وفيها سلسلة مبهمة من الملوك مسجلين بقائمتين ملكيتين واحدة لهم في مقرهم خارج وداخل بابل والثانية لمعاصريهم الآشوريين. حين بدأ انهيار الإمبراطورية البابلية، كانت الأسرة البحرية في المقاطعة الواقعة في أقصى جنوب بلاد ما بين النهرين، وهي منطقة مستنقعات مجردة من مستوطنات كبيرة توسعت تدريجياً جنوباً عند مصبّي نهري دجلة والفرات المنطقة المعروفة باسم (بلاد كالديا «Chaldaea Mat ـ «في العصر الحديدي). حمل ملوكهم أسماءً مشتقة من أسماء سومرية وعادوا إلى أيام مجد سلالة إيسن. حيث قاموا بتسمية الملك الثالث من الأسرة الحاكمة باسم الملك النهائي لسلالة Isin، Damiq-ilišu. على الرغم من هذه الزخارف الثقافية، فقد حمل السكان في الغالب أسماء الأكادية وكتبوا وتحدثوا باللغة الأكدية. هناك دليل ظرفي على أن حكمهم امتد لفترة وجيزة على الأقل إلى بابل نفسها. ويجب ملاحظة أنه في أوقات لاحقة، كانت توجد أيضاً مقاطعة القطر البحري للإمبراطورية البابلية الجديدة. وقد كان هذا سبباً لأن يربط بعض الكلديين المعاصرين بين وجودهم في مكان كلديا (وهي تسمية ظهرت في العصر الحديدي أي بعد 1200 ق.م) ووجود مستمر لأسرة القطر البحري منذ الأسرة الأمورية الأولى حتى الأسرة الحادية عشرة الكلدية فعلاً، أي أن أسرة القطر البحري تحولت لجسر كلدي يربط بين كل الأسر البابلية، وهذا غير صحيح أو دقيق من الناحية الآثارية والعرقية.

استغلت سلالة القطر البحري في أقصى الجنوب أحداث تفكك الإمبراطورية البابلية في عصر ابن حمورابي وقامت بالانفصال عن الدولة البابلية وكوّنت (الأسرة البابلية الثانية) التي تسمى (أسرة القطر البحري) التي دامت لعقود. بينما استمرت الأسرة الأولى ضعيفة حتى سقطت على يد الحيثيين الذين غزوا بابل تحت قيادة ملكهم مورسيل الأول ودمروها وانسحبوا بالغنائم بعد أن طاردتهم أسرة القطر البحري واستولت على بابل.

وعندما دمّر الحيثيون مدينة بابل وسقطت دولة بابل الأولى، قام ملك دولة بابل الثانية بطرد الحيثيين ومدّ نفوذها إلى بابل وأخذ مكانها لكنّ ذلك لم يستمر طويلاً فقد بادرالكاشيون وهاجموا دولة بابل الثانية واستطاعوا في النهاية إسقاطها، وكوّن الكاشيون دولة بابل الثالثة.

بعد فترة من الاضطراب المتزايد والضعف الداخلي، سقطت بابل على يد الغزاة الكاشيين، في حوالي 1575 قبل الميلاد. ويبدو أن حكمهم لم يكن له تأثير يذكر على البنية السياسية لبابل، ولكن عدم وجود سجلات مكتوبة من هذه الفترة يجعل اليقين مستحيلاً. وبحلول منتصف القرن الثاني عشر، هجم العيلاميون على بابل، على الرغم من أن الآشوريين الأقوياء كانوا يهددون بابل دائماً.

2.الأسرة البابلية الثالثة (الكاشيّة) (1730 ـ 1157) ق.م

أ.الأسرة الكاشية المبكرة (خارج بابل) (1730 ـ 1530) ق.م:

الكاشيون أقوام رافدينية محيطية (إيبيبوتاميا) وهم من الأقوام الجبلية ذات الأصل القوقازي القديم. وربما كان اسمهم مشتقاً من اسم معبودهم القومي (كاش شو)، أو من اسم إقليم في شمال عيلام يسمى (كاش شن). تغلغلوا في وادي الرافدين قادمين من إقليمهم في وسط جبال زاغروس وحين استولى البحريون على بابل لم تكن لهم القدرة على الحفاظ على بابل بسبب سعة نفوذها، فقام الكاشيون بانتزاع بابل منهم، وأعلن الزعيم الكاشي (جنداش) نفسه ملكاً في إقليم خانة (عانة)، واستمرت هذه الدولة لما يقرب من خمسة قرون.

هؤلاء الملوك لم يحكموا بابل بالفعل، لكن مخطط ترقيمهم استمر كتمهيد وجذر لملوك بابل الكاشيين، وكان لا بدّ من سردهم والتعرف عليهم، خصوصاً أن أغلبهم حكم في مدينة عانة، ولا يعرف الكثير عن هؤلاء الحكام. تم اعتبارهم ملوك بابل في قوائم الملك في وقت لاحق، خلفاً لسلالة القطر البحري على الرغم من التداخل في العهود.

ب.الأسرة البابلية الثالثة (الكاشية) (1530 ـ 1155) ق.م

قام الملك الكاشي في عانة (آجوم الثاني كاكريمه) بالتحالف مع الملك الحيثي مورسيليس ليسهل له غزو بابل مقابل أن يستلم الحكم فيها بعد رحيل الحيثيين منها، وحصل هذا فعلاً وكان أول الكاشيين الذين حكموا بابل.

اتخذ الكاشيون بابل عاصمة لهم أول الأمر ثم بنوا، في حدود 1375 ق.م، مدينة جديدة أنشأها الملك (كوريكالزو) وسميت المدينة (دور كوريكالزو) أي مدينة أو حصن كوريكالزو.

استطاع الكاشيون مدّ نفوذ دولتهم في كل الاتجاهات وأن يسيطروا على كل بلاد العراق القديم. واعتبر الكاشيون أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الأصليين وانتفعوا بحضارة بلاد النهرين وقلدوا فنها في مبانيهم ومعابدهم وتماثيلهم كما اعتبروا اللغة الأكدية البابلية هي لغة الكتابة الرئيسية إلى جانب لغتهم الأصلية. وجرى الملوك الكاشيون على السياسة القديمة في منح الإقطاعيات العقارية للمقربين إليهم بين العسكريين والمدنيين وأصبحت أشبه بالأملاك الخاصة بالنسبة لأفراد الطبقة الحاكمة، وعبد الكاشيون آلهة بلاد الرافدين إلى جانب أربابهم القوميين.

بدأ العيلاميون والآشوريون بالصعود قوياً وواجهوا الكاشيين وفي عصر الملك الكاشي (زبابا شوم أدين) هاجم الملك العيلامي (شوترك ناخونتي) الكاشيين وهزمهم وسرق مسلة سرجون الأكدي ولوح نرام سين وشريعة حمورابي. أما الآشوريون فقد هاجموا (دور كوريكالزو) ثم بابل واحتلوهما وانتهى حكم الكاشيين الذي دام لحوالي أربعة قرون ونصف.وهناك أعمال أدبية مطولة ومهمة صيغت في عهدهم؛ مثل: أسطورة الخَلْق البابلية (إنوما إيليش)، قصيدة لأمجدنّ رب الحكمة (لُدْلُل بِل نِمِقي)، حوارية المعذب وصديقه حول العدل الإلهي، ابتهالات دينية وتعويذات.



بابل في العصر الكاشي



بقايا زقورة في دور كوريكالزو عاصمة الكاشيين بعد بابل وهي الآن شمال غرب بغداد

ومن الملوك الكاشيين الملك ميلي شيباك الثاني هو الملك البابلي ال33 لسلالة بابل الثالثة الكاشية، خلف الحكم من والده أداد شوما أصر وخلفه في الحكم ابنه مردوخ أبلا إيدينا

الأول، وحكم من سنة 1187 إلى 1171 ق م، وقد ظهرت عدة ألواح تتكلم عنه، وكان له هذا الشاهد النحتيّ:



الملك ميلي شيباك الثاني (في الوسط) (حوالي 1186-1172 قبل الميلاد) أمام الإلهة هانوبات نانايا

وقد جاءت أهم الأحداث السياسية الخارجية في عصر الكاشيين من الآشوريين والعيلاميين وكما يلي:

1. بدأ الآشوريون في شمال العراق محاولة الانفصال سياسياً عن دولة الكاشيين، ولكن النصر حالف الكاشيين أول الأمر لأن الآشوريين وقعوا تحت ضغط الميتانيين، وسرعان ما تغير الحال واشتد بأس الآشوريين عندما تخلصوا من ضغط الميتانيين، فنازعوا الكاشيين على زعامة العراق.

2. في هذه الأثناء استطاع العيلاميون توجيه ضربة قوية قضت على الكيان السياسي للكاشيين، عندما قام الملك العيلامي (شوترك ناخونتي) بتوجيه ضربة قوية لبابل، ونهب العيلاميون غنائم كثيرة ونقلوها إلى سوسة. وسقطت الدولة البابلية الثالثة (الكاشية) في

عصر آخر ملك بابلي (من العصر القديم) واسمه (الباب شوم أدين) وقد نهب العيلاميون غنائم كثيرة من بينها وثائق هامة مثل مسلّة سرجون الأكدي ولوح الملك نرام سين، واللوح الذي نقشت عليه شريعة حمورابي (مسلة حمورابي) وغيرها من الآثار الفنية التي نقلوها إلى مدينة سوسة.

والجدير بالذكر أن هناك مدينة ظهرت في أواخر العهد الكاشي (1580 ـ 1160) ق.م عرفت باسم (إريقا) حرفت إلى (إيراك) ثم عُرّبت إلى (عراق)، رغم أن هناك مدناً سومرية مثل أروك وأراكي ولاراك كانت تقترب من هذا اللفظ، وهناك من يرى أن كلمة (أريقا) سومرية الأصل بمعنى (المستوطن)، شأنها في ذلك شأن الكثير من المدن السومرية التي تعني الكلمة نفسها.

حاول البابليون بعد سقوط الدولة البابلية الثالثة (الكاشية) أن ينهضوا من جديد ويواصلوا استقلال دولتهم لكنهم لم يستطيعوا ذلك وخضعت الأسر البابلية من الرابعة وحتى الحادية عشرة إلى التخلات والنفوذ الآشوري، وفي نهاية العهد الوسيط هذا لم تعد بابل دولة بل أصبحت ولاية تابعة للآشوريين.

3.الأسرة الرابعة (الباشية) (أسرة إيسن الثانية) (1156 - 1025) ق.م

بعد احتلال عيلام لبابل لم يبق العيلاميون طويلاً فيها، فقد انسحبوا منها تاركين فيها حامية صغيرة، فقام زعماء مدينة إيسن بطرد هذه الحامية والاستيلاء على بابل وتكوين سلالة إيسن الثانية فيها، والمعروفة أيضاً باسم السلالة الباشية نسبة لـ(بلا باشي) BALA PA.ŠE، وهو مصطلح جذر جناسي لمدينة إيسن išinnu، المكتوب باسم (باشي) PA.ŠE.

استغل الباشيون ضعف العيلاميين والآشوريين فأعلنوا تأسيس سلالة جديدة عرفت باسم سلالة بابل الرابعة (1162-1041ق.م)، وقد امتد حكم هذه السلالة لقرن من الزمان تقريباً حكم خلاله ستة ملوك، وكان أول ملوكها (مردوخ كابت أخيشو)، وأشهر ملوكها هو الملك (نبوخذ نصر الأول)(1124-1103ق.م)، الذي حاول الانتقام من العيلاميين شرقاً ومن

بقايا الأموريين وحلفائهم غرباً، وسيّر الحملات إلى عيلام للانتقام منها ومن قبائل اللولوبو، ولكن جهوده ذهبت سدًى، حيث تعرضت بابل لقوة آشور مرة أخرى وفرضت آشور سلطانها على الأسرة الرابعة. وتلقى أحد ملوك الأسرة الرابعة هزيمة كبيرة على يد الملك الآشوري تجلات بلاسر الأول الذي استولى على بابل. وفي هذه الأثناء تغلغل إلى بلاد بابل الكثير من القبائل الآرامية وأسسوا مشيخات وإمارات أدت إلى انهيار سلالة بابل الرابعة. ثم تعرضت بابل لهجمات بعض السلالات الأمورية السامية المسماة (سوتو) مما أضعفها كثيراً.



مردوخ نادن آهي

4.الأسرة الخامسة (سلالة القطر البحري الثانية)(1024 ـ 1004) ق.م

واضح أن الهجمات المتبادلة بين الآراميين والسوتيين قد سببت الكثير من الاضطراب، الذي سقطت، على أثره السلالة البابلية الرابعة، ويبدو أن الآشوريين قد حاولوا استغلال هذا الجو السياسي المضطرب، لكن مقاتلاً من القطر البحري اسمه (سمبار ـ شباك) انتهز الفرصة ودخل بقواته إلى بابل وحكم لمدة 17 عاماً، وأسس السلالة البابلية الخامسة التي تسمى بـ (سلالة القطر البحري الثانية). ويبدو أن خليفته كان مغتصباً للحكم فقد قام بقتله

ونصّب نفسه ملكاً، لكنه عزل بعد ثلاثة أشهر ثم قتل، وحكم الملك الثالث (كشو -نادان ـ آخي) لمدة عامين

5.السلالة السادسة (البيتبازية، البازية) (1003 ـ 984 ق.م)

تُسمى أيضاً سلالة بيت ـ بازي بعد المنطقة التي نشأت منها هذه العشيرة الصغيرة. حكمت هذه السلالة من مدينة كار ـ مردوخ Kar-Marduk، وهو موقع غير معروف والذي ربما كان محمياً بشكل أفضل ضد الغارات من مجموعات بدوية.

6.**السلالة السابعة (الأوصرية) (983 ـ 978 ق.م)**

7.**الأسرة الثامنة (الأسرة الإبلية) (983 ـ 978 ق.م)**



نابو موكين أبلي ملك الأسرة الثامنة

8.الأسرة التاسعة (الأسرة E)ا (977 - 797 ق.م)

أقامت في بداية نشوئها علاقات جيدة مع الدولة الآشورية، وآزرت الملوك الآشوريين ضد المؤامرات الداخلية في بلاد آشور، لكن العلاقات ساءت منذ الملك الآشوري شمشي أدد

الخامس الذي عزل ملك بابل، وبقيت بابل دون ملك لمدة عام، ثم تنصب ملكان كلدويان في بابل وبعدهما عاد العرش، وحين جاء ملك كلدوي ثالث اضطربت الأمور في بابل، فقام تجلات بلاصر الثالث باحتلال بابل وحكمها بنفسه. قاومت الغزو الآرامي وانهارت أمام الغزو الآشوري.



لوح حجري لنابو أبلا أدينا من الأسرة الثامنة سجل استعادته لمعبد الشمس في سبار حين أعاد ترميم الضريح، وأعاد الاحتفال بعيده الكثير من الطقوس والتقديمات للإله، ووضعها تحت سيطرة نابي نادين شوم، سليل الكاهن السابق إي-كور-شوم-أوشابشي في سبار. واللوح يمثل عبادة الشمس في بابل. حيث يزور الملك نابو-إبلا-إيدنا، ملاذ إله الشمس، في سبار. وتظهر رموز إله الشمس بوضوح، حوالي 870 قبل الميلاد. المتحف البريطاني، لندن.



Assyrian King Shalmaneser III Allied To Babylonian King Marduk-Zakir-Shumi

الملك البابلي مردوخ زاكري شومو يصافح الملك الآشوري شليمانصر الثالث حليفه

9.الأسرة العاشرة (الآشورية)(731 ـ 627 ق.م)

هي فترة الحكم الآشوري على بابل. كان ملوك تجلات بلازر الثالث، شلمانصر الخامس، سرجون، سنحاريب، آشور نادين شومي، أسرحادون، آشوربانيبال، شمش شوم أوكين وسينشار إشكون من العائلة المالكة الآشورية الحديثة، وشهدت هذه الأسرة ظهور متمردين وقادة من بابل استطاع بعضهم أن ينتزع الحكم من الآشوريين ويحكم بابل.

في عهد سرجون الثاني ظهر ثائر بابلي اسمه (مردوخ بلادن) وادعى أحقيته في حكم بابل وساندته عيلام وتقدم الملك العيلامي وهزم سرجون واعترف بمردوخ بلادن ملكاً على بابل، واستمر مثل شوكةٍ في خصر آشور ولكن سرجون استطاع في نهاية الأمر أن يهزم مردوخ بلادن وأن يتولى مع خلفائه تصريف شؤون بابل. وبعد وفاة سرجون عاود مردوخ بلادن الظهور بمساعدة العيلاميين مرة أخرى فتصدى له سنحاريب في نهاية الأمر فقضى على بابل نهائياً وظلت بابل تحت حكم الآشوريين فترة طويلة.



الملك البابلي مردوخ أبل أدنا

شمش ـ شم اوكن هو الابن الأكبر لآشور ـ أخي ـ إدن (أسرحدون) بعد أخيه البكر الذي توفي مبكراً هو (سين ـ أيدينا ـ ابلا)، وهو الأخ التوأم لآشوربانيبال.

«إن أسرحدون لا بد أنه أوصى ببيعة واحدة إلى آشور بانيبال من كل الآشوريين والبابليين يقسم خلالها آشور بانيبال بمعاملة أخيه شماش شوموكين كمساو له ولكن الأخير كان تحت رحمة الملك الآشوري. ولم تذكر معاهدة أسرحدون ـ واماتايا أي تدخل من جانب الحاكم الميدي ضد آشور بانيبال إذا ما منع هذا صعود أخيه على عرش بابل. يظهر أن اهتمام آشور بانيبال الكبير في بلاد بابل ورغبته في أن يكون الملك الذي لا منافس له والرئيس الأوحد لكل الدولة الآشورية قد أدت إلى التصادم بين الأخوين. وإن عدم رضا شماش شوموكين تحت هذه الظروف قد تدلل عليها عبارة آشور بانيبال ضد أبي الذي أنجبني فإن (شماش شوموكين) نطق بلعنة كبيرة. والتضمين هنا هو أن الثورة وحدها لم تكن لعنة ضد والده ولكن شماش شوموكين قد لعن بالواقع والده بالاسم والتي لم يكن ليعملها إن لم يكن في كرب وغيظ كبيرين. لقد تم النظر إلى المعاملة التي تلقاها شماش شوموكين من أخيه كانعكاس لخلفية عدم شعبية الآشوريين في بلاد بابل ومؤامرات العيلاميين.» (الأحمد 1985 ـ 1986: 62).

«استمرت الهجمات الآشورية على مدينة بابل لمدة سنتين متواليتين. وأخيراً هجرت شماش شوموكين جيوشه ربما منضمة إلى الجيوش الآشورية. وبدلاً من أن يستسلم إلى أخيه فضل شماش شوموكين الانتحار حيث ألقى بنفسه في نار أضرمها في قصره. ودخل الآشوريون بابل ربما في خريف سنة 648 ق.م. وإن آخر وثيقة مؤرخة باسم شماش شوموكين تحمل تأريخ 15 تموز 648 ق.م. ولكن من الصعب أخذ هذا التأريخ كنهاية للثورة كما فعل البعض. وإن أول وثيقة مؤرخة باسم كندلانو تحمل التأريخ كانون الثاني سنة 648 ق.م. ولذلك فالثورة لا بدّ أنها انتهت في وقت بين تموز وكانون الثاني سنة 648 ق.م. وقد أرسل الملك الآشوري حاشية شماش شوموكين الذين ألقي القبض عليهم إلى آشور حيث قتلوا بموقع قتل الملك سنحاريب. وبذلك انتهت ثورة شماش شوموكين التي

هزت استقرار الدولة الآشورية وكانت مسماراً في نعشها حيث حولت جنوب العراق إلى ساحة حرب لمدة أربع سنوات.» (الأحمد 1985 ـ 1986: 68).

«والذي يبين وقوع خطأ كبير كان سبباً رئيسياً في حدوث المشاكل بين الأخوين هو تعيين الأخ الأصغر لحكم المنطقة الأكثر أهمية واتباعاً والتي كانت من المفروض أن تكون من حصة شمش ـ شم ـ أوكن إذا افترضنا أنه الابن الأكبر بالرغم من الفوارق الموجودة بين الأخوين التي يبدو أن آشور ـ أخي ـ إدن قد أخذها بعين الاعتبار في تقسيمه للحكم بين ولديه، ولا ننسى دور (نقية) في التأثير على آشور ـ أخي ـ إذن تنفيذاً لتحقيق رغبتها في تعيين آشور ـ باني ـ إيل على بلاد آشور وجعل بلاد بابل تحت حكم شمش ـ شم ـ أوكن الذي لم يكن ليغفل عن حقه في الحكم كابن أكبر وهو الأقل حظاً مقارنة بأخيه وقد تبلور عدم رضا شمش ـ شم ـ أوكن عن سياسة أبيه وجدته وأخيه في الثورة العارمة التي هيأ لها كل ما يستطيع من أسباب في سبيل إنجاحها إلاّ أنَّ ما حصل كان خيبة أمل له ولكل من حالفه ولعل قلة خبرته في إدارة مثل هذه المعارك مقارنة بأخيه الذي لم يكن يتوقع ما جرى من أخيه شمش ـ شمُم ـ أوكن فلم يتحمل الأخير نتيجة ثورته اليائسة وهزيمته في حرب ضد أخيه ففضل الانتحار على أن يسلم نفسه لأعدائه.» (حميد 2010: 476).

رغم أن بابل تحولت إلى ولاية تابعة لآشور (باستثناء بعض فترات الاستقلال البسيطة) إلاّ أن الحضارة البابلية لم تنقطع وتطورت حضارة بابل في الفن والعلوم والدين والقضاء وغير ذلك. صحيح أن استقلال بابل كان ضرورياً لظهور هذه الحضارة بشكل كبير لكن هذه الحضارة استمرت نابضة طيلة فترات احتلال مدينة بابل. وعندما ظهرت الأسرة الحادية عشرة أسقطت آشور وبدأ عهد الدولة البابلية الحديثة التي رسمت عهداً حضارياً زاهراً لبابل كان هو آخر صفحة من صفحات حضارات وادي الرافدين القديمة.



الآشوريون يطاردون الثوار البابليين في الأهوار

رسم جداري على قصر آشور بانيبال محفوظ في المتحف البريطاني في لندن



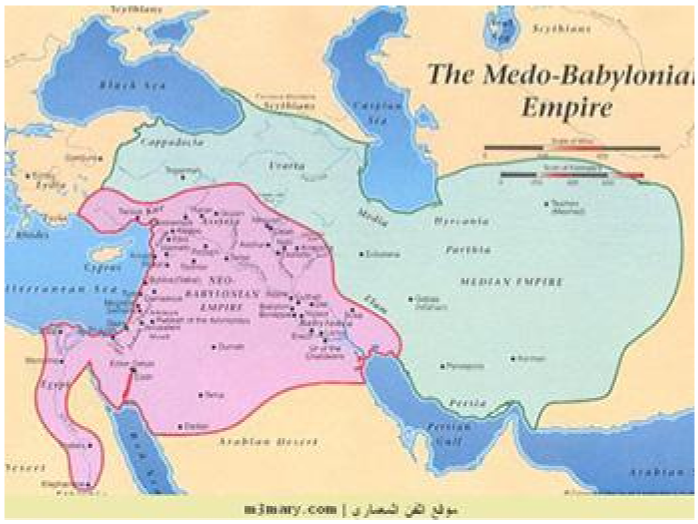
البابليون يشكرون الآلهة على نجاتهم من مطاردة الآشوريين

رسم جداري على قصر آشور بانيبال محفوظ في المتحف البريطاني في لندن.

المبحث الثالث: العصر البابلي الحديث

الأسرة الحادية عشرة (الكلدية) 626 ـ 539 ق.م

ويسمى أيضاً (العهد الكلدي) أو (الدولة الكلدية) أو عهد الأسرة البابلية الحادية عشرة. كانت الأسرة البابلية الحادية عشرة من الكلديين، باستثناء نبونائيد آخر ملك، وهم أقوام ساميون سكنوا بابل خلال العصر الوسيط وتولوا تدريجياً منصب القيادة فيهم، فقد استطاع زعيمهم نبوبلاصر أن يؤسس سلالة بابلية جديدة نجحت في القضاء على الإمبراطورية الآشورية مع حلفائه الميديين.



الإمبراطوريتان البابلية والميدية تحلان محل الإمبراطورية الآشورية بعد سقوطها

http://www.iraqlights.info/vb/showthread.php?t=43061

نبوبلاصر (626 ـ 605) ق.م

مؤسس الأسرة الكلدية

نبوخذ نصّر الثاني (604 ـ 563) ق.م

ابن نبوبلاصر

أميل مردوخ (562 ـ 560) ق.م نركال ـ شا ـ أوصر (560 ـ 556) ق.م

ابن نبوخذ نصّر زوج بنت نبوخذ نصّر

لاباشي مردوخ نبونائيد (556 ـ 539 ق.م)

ابن نركال -شا ـ أوصر

بلشاصر(إبن نبونائيد)

شارك والده في الحكم

1. نبو بلاصر: (626 ـ 605) ق.م:

تولى تأسيس الأسرة البابلية الحادية عشرة، وكان أقوى ملوك الآشوريين آشور بانيبال قد توفي وجاء بعده ابنه الضعيف، فقرر نبو بلاصر الانفصال عن آشور عام 625 ق.م. ولما حكم آشور الابن الضعيف الثاني لآشور بانيبال وهو آخر ملك آشوري واسمه (سن شار أشكون) قام نبو بلاصر بالتحالف مع ملك الميديين (كي اخسار) وانضمت لهذا التحالف قبائل الاسيكثيين واستطاع هذا الحلف بجيوشه الزحف على عاصمة آشور نينوى وانتحر ملك آشور ودمرت نينوى وسقطت ونهبت عام 611 ق.م

وظهر أمير آشوري اسمه (آشور أوبلط الثاني) فتولى الحكم بعد الملك المنتحر وقاد ما تبقى من الجيش الآشوري ولجأ إلى مدينة حران والتمس العون من ملك مصر (نيخاو الثاني) فأرسل الملك المصري جيشاً استولى به على سوريا ثم وصل هو على رأس جيش إلى العراق وعبر النهر ووصل إلى حرّان لنجدة الأمير الآشوري. فقام نبو بلاصر بإرسال جيش بابلي بقيادة ابنه (نبوخذ نصّر) الثاني لملاقاة الجيشين الآشوري والمصري فلاقوهما في (قرقميش) ودارت هناك معركة قرقميش. التي انتصر فيها الجيش البابلي وهزم (نيخاو) فتتبعه نبوخذ نصر حتى وصل إلى الحدود المصرية ولكنه اضطر للعودة حين وصلته أنباء موت أبيه نبو بلاصر ورجع وخلفه على العرش.

2. نبوخذ نصّر الثاني (605 ـ 562) ق.م:

اسمه بالأكدية هو (نبو ـ كودوري ـ أوصر) وهو نبوخذ نصر بن نبوبلاصر ولد في العام 634 قبل الميلاد. واسمه (نبوخذ نصر) شاع من خلال العهد القديم على الرغم من ورود قراءات أخرى للاسم في العهد القديم كـ(نبوخذ ناصر) و(نبوخذ راصر) وهذه التسميات تفيد المعنى (ليحمي نبو التاج). مؤرخو اليونان أسموه (نبوكودروسوروس) و(نبوخدونوسور) و(نبوكوللاسار) و(نبوخودونوسورس) وأخيراً المؤرخ البابلي قد أورده بصيغة (نبوكودنوسوروس)، وورد اسمه عند مؤرخي العرب (بختنصر).

المصادر المسمارية هي الأدق وتورد الاسم بصيغة (نبو ـ كودوري –أوصر) وهو بثلاثة عناصر لغوية هي (نابو) إله الحكمة والكتابة، وكلمة (كودورو) والتي تعني إما (حجر

الحدود) أو(ابن)، أما الكلمة الأخيرة فهي (أوصر) والتي تعني (يحمي) فيكون (نبو يحمي الابن) أي أن الإله (نابو) يحمي ابن الملك (نبوبلاصر) أو (نبو يحمي الحدود).

ولد (نبوخذ نصر) وقضى طفولته في الجنوب (القطر البحري) ثم انتقل إلى بابل مع أبيه عندما تولى الملك فيها وتشير المصادر اليونانية إلى زواج (نبوخذ نصر) من (اميتس) الميدية لكن النصوص المسمارية لا تذكر لكننا نعلم أنه كان لـ (نبوخذ نصر) ابن هو (اميل ـ مردوخ) الذي خلفه في الحكم وابنة هي (كشا ـ مارات ـ شاري).

كان نبوخذ نصّر ملكاً عظيماً في الحرب والسلم، فقد كرّس جهوده للعمران وأعاد بناء بابل (التي أصبحت عاصمة للإمبراطورية البابلية الكلدية) ووصل بين المعابد والقصور بطريق لمرور المواكب ماراً بمدخل كبير يعرف بـ(بوابة عشتار) حيث يقع بعده القصر الملكي ودواوين الحكومة. ويرتفع فوق هذا جميعاً معبد إله بابل (مردوخ) الذي كان يشبه البرج (برج بابل).

وقد خصص جزءاً من الأشجار على شكل طبقات يرتفع بعضها فوق بعض حتى يشعر زوجته الميدية الجبلية (أوميد) بأنها تعيش في بيئتها وقد عرفت هذه الحدائق المدرجة بـ(جنائن بابل المعلقة) التي عدّها الإغريق إحدى عجائب الدنيا السبع.

تتكون الأسرة الكلدية من ستة ملوك أعظمهم هو (نبوخذ نصر الثاني) الذي كان راعياً لعمران بابل الحديثة فقد بنى بوابة عشتار والقصر الملكي ودواوين الحكومة ومعبد مردوخ (برج بابل) والجنائن المعلقة لزوجته أوميد، وأسوار بابل وهي أعظم أسوار محصنة في تاريخ البشرية.

أما حربياً فقد هزم بقايا الجيش الآشوري والمصري في معركة قرقميش ولاحقهم إلى مصر وأحكم سيطرته على بلاد الشام كلها وأخضع صور ويهودا ثم مصر في عصر أمازيس وكاد يضمها له. وكان السبي البابلي الأول والثاني لسكان يهوذا.

«إن مدة حكم السلالة الكلدية (626 ـ 539 ق.م) لاسيما حكم نبوخذ نصر الثاني (605 ـ 562 ق.م) امتازت بكثرة السجلات التاريخية والرسائل التجارية والنصب والمدونات الملكية التي ألقت الضوء على تلك المدة المهمة من تاريخ العراق القديم، ومن خلال العودة إلى مضمون تلك المدونات الأثرية

يمكننا أن نميز ظاهرة مهمة اتسمت بها حضارة العراق آنذاك وهي التجديد الديني الملازم للنشاط العمراني بسبب استعادة المعابد دورها الاجتماعي والاقتصادي الذي كانت تتمتع به خلال الحقبة الأولى من تاريخ بلاد وادي الرافدين، ولعل من بين الدوافع التي دفعت ملوك هذه الدولة وعلى رأسهم الملك نبوخذ نصر الثاني نحو هذا المنحى هو أن بابل أصبحت الوارث الحقيقي للتراث العراقي القديم (السومري والأكدي) لذلك دأب أولئك الملوك إلى أن يؤطروا النهضة الحضارية خلال هذه المدة بإحياء وإعادة تجديد كل ما يتعلق بالجانب الديني من خلال إعادة بناء وترميم المعابد القديمة وكذلك إحياء مراسمها الدينية مع الحفاظ على الحرية الدينية» (سلمان 2008: 688).



نبوخذ نصر

http://wapedia.mobi/en/Nebuchadnezzar_II

السبي البابلي لأهل يهوذا الأول والثاني:

أما في مجال السياسة الخارجية فقد تمكن نبوخذ نصّر الثاني من إخضاع سوريا وفلسطين لحكمه، وكان الملك البابلي نبوخذ نصر لا يدمر المدن التي يحاربها ويدخلها ويكتفي فقط بفرض الجزية عليها، ولكن المصريين قاموا بتحريض اليهود ضد نبوخذ نصر فقرر «يهوياكيم» ملك يهوذا العصيان على بابل، ففرض نبوخذ نصر الحصار على أورشليم عاصمة مملكة يهوذا وسبى بعضاً من سكانها مع ملكهم يهوياكيم في سنة 597 قبل الميلاد.. إلا أن نبوخذ نصر لم يسقط مملكة يهوذا، وجعل من صدقيا ابن الملك يهوياكيم ملكاً بدلاً من والده على يهوذا، ولكنّ مملكة يهودا التي كانت قد هزمت على يد فرعون مصر (نيخاو الثاني) عادت فرفضت دفع الجزية إلى بابل بتحريض من مصر ثم ثارت على سيادة بابل فما كان من نبوخذ نصر الثاني إلاّ أن جهز حملة لمهاجمة (أورشليم) التي استسلمت له بسهولة وأعلن ملكها الولاء لكنه عاد وأعلن العصيان فهاجمه نبوخذ نصّر وقام بحصارها لسنة كاملة وبعدها تمكن نبوخذ نصر من اختراق مدينة أورشليم ثم دخلوا إلى أورشليم وسبوا معظم سكانها ومنهم ملكهم صدقيا (الذي نصبه نبوخذ نصر ملكاً)، وأخذ أورشليم عنوةً وأسر ملكها وآلافاً من جنوده ونقل هؤلاء الأسرى إلى بابل، وقد بقي هؤلاء الأسرى باسم (السبي البابلي الأول).

أما (يهوذا) وما تبقى منها فقد ظلت تحت النفوذ البابلي أحد عشر عاماً بعد ذلك لكنها ثارت على بابل وقام نبوخذ نصّر بإرسال قواته وحاصرت يهودا التي سقطت ودمرت ونقل الآلاف من أهلها إلى بابل مرة أخرى وهو ما يعرف بـ(السبي البابلي الثاني).

وهكذا أنهى نبوخذ نصر تماماً حكم المملكة الجنوبية (يهوذا) بعد أن قامت بأدوار الشغب والفتن في بلاد الشام كلها.

بعد ذلك تابع نبوخذ نصر الثاني مهاجمته للمدن الفينيقية فأدبّها إلاّ مدينة صور التي استمرت تقاوم الحصار على مدى 13 عاماً ويبدو أن الصلح تمّ في نهايتها حين قبلت صور دفع الجزية واعترفت بالسيادة البابلية. وهكذا أصبحت حدود الإمبراطورية البابلية الجديدة تمتد من الخليج العربي إلى حدود مصر.

3. نبونائيد:

بعد وفاة نبوخذ نصر الثاني تولى حكم الإمبراطورية البابلية ثلاثة ملوك ضعفاء لا شأن لهم ولا قوة هم (أميل مردوخ، نرجال، لباشي)، ثم تدخل كهنة بابل فعينوا بدل الملك الثالث الضعيف كاهناً منهم ملكاً على بابل اسمه (نبونائيد) وكان هذا الكاهن الملك غريب الأطوار؛ كان محباً للآثار القديمة وكان محباً للعلم والأدب وكان لا يميل إلى عبادة إله بابل الأكبر (مردوخ) بل كان يعبد إله القمر (سين) وقد حاول استبدال إله بابل لكنه لم ينجح.

وخلافاً لأسلافه لم يكن نبونائيد كلدوياً وإنما منحدراً من أصل بابلي ووالده(نابو بالاتسو) أحد أعظم الوجهاء البابليين، اهتم نبونائيد في تجديد بناء المعابد وإعادة تأهيل الآثار القديمة، فغضب رجال الدين عليه لأن أعماله طالت اضخم المعابد البابلية، فقد أعاد بناء المعبد على النمط الآشوري وليس على النمط البابلي. فوقفوا ضده وحركوا المواطنين ضده واستغلت تذمرهم من الضريبة فرفض الشعب البابلي دفع الضريبة.

لكن نبونائيد أصر على رأيه وأبلغهم بأنه إذا لم يكمل بناء معبد القمر (اخو ل خول) فسوف يمنع الأعياد ويلغي عيد رأس السنة الجديدة الأكيتو.

هجر نبونائيد بابل لمدة 10 سنوات، حيث سلم قيادة بابل إلى ابنه بيل شاصر وعينه النائب الأول له وأعطاه السلطة على بابل، وسافر في سهوب الصحراء العربية ورافقته القوات المجندة من آراميي الأقاليم الغربية المخلصة له واحتل مدينة تيماء العربية وقتل جميع سكانها وملكهم وبعدها خضعت جميع المدن الأخرى (ديدان الأولى، فدك، خيبر، ويثرب، يادي.. الخ) وأصبح كل النصف الشمالي لشبه الجزيرة العربية تحت حكمه وصارت مدينة تيماء مقر إقامته وهناك بنى قصراً شبيهاً بالقصر البابلي وأنشأ لنفسه مملكة واسعة وسيطر على جميع طرق القوافل عبر الصحراء وما وراء النهر (الفرات) ومصر بقيت على اتصال منتظم معه، وارتفعت عبادة الإله القمر سين الذي أصبح أحد أهم الآلهة في جزيرة العرب حيث ازدهرت عبادته في حران وبورسبّا وأور وسيبار.

كان نبونائيد آخر ملك بابلي وكان حكيماً وروحانياً ودعا إلى تجديد الدين البابلي بعبادة الإله القمر (سين) لوحده وهجر عبادة مردوخ وبقية الآلهة وبشر بدينه الجديد في تيماء ويثرب وفي جزيرة العرب.

قام نبونائيد بتحرير مدينة حرّان من الميديين، وقمع الثورات في المدن الشامية مثل حماة وأدوم وعزة ثم ذهب باتجاه الجزيرة العربية وأقام هناك تاركاً ابنه (بيل شاصر) ويسمى (بلثازار) في المراجع الغربية ينوب عنه في حكم بابل وكانت إدارة ابنه سيئة مما تسبب عنها انتشار القحط والمجاعة في بابل. وحين بدأ تهديد كورش لبابل طلب منه البابليون العودة وبناء معبد الإله القمر في حران، فعاد لبابل وصنع تمثالاً من الذهب للإله سين طوله حوالي 30 متراً وعرضه ثلاثة أمتار ونصبه في بابل، وطلب من البابليين السجود لهذا التمثال ومن لا يسجد فسيرميه في النار.

وقام رجال الدين الموالون لمردوخ بالاتصال مع كورش الفارسي الأخميني وكذلك بعض أسرى يهوذا، وكان بلشاصر ابن نبونائيد هو أمير بابل لكنه كان ضعيفاً ومتهوراً وقد قام بعض قادة الجيش بفتح أسوار بابل لكورش الذي دخل بدون قتال إلى بابل واتخذوا من حجة حجب احتفالات الأكيتو ومردوخ سبباً لإسقاط الحكم البابلي ونصّب نفسه حاكماً لبابل ثم سيطر على كل ممتلكات الإمبراطورية البابلية وقتل بلشاصر وأسر نبونائيد الذي عاد بسرعة لبابل وهكذا، بغفلة عين، سقطت أعظم الإمبراطوريات لأسباب واهية.



نبونائيد: آخر ملك بابلي

http://www.bertsgeschiedenissite.nl/ijzertijd/eeuw6bc/eeuw6babylonie3.html

سقوط بابل بيد الفرس الأخمينيين

في هذه الأثناء كانت مملكة الأخمينيين تتوسع على يد ملكها (كورش) الذي حاول ضمّ بابل إلى ملكه مما اضطر نبونائيد للعودة إلى بابل ليدافع عنها تاركاً عزلته الدينية في الجزيرة العربية.

وبعد أن فرغ كورش من القضاء على (سرديس) عاصمة ليديا وانضّم حاكم سوسة إلى الميديين، اجتمع حلف فارسي مكوّن من ليديا وعيلام وميديا يقوده كورش الفارسي وهاجم بابل ولم يستطع نبونائيد الصمود أمام كورش مما أدى إلى سقوط بابل عام 539 ق.م.

وما كان يتمّ كل هذا لولا التحالف بين كورش واليهود الذين كانوا في بابل حيث لعبوا دور الجواسيس والأدلاء (وهم أفراد السبي الأول والثاني) ولذلك اعتبروا (كورش) هو المخلّص لهم.

وكان أول عمل يقوم به (كورش) هو مكافأة هؤلاء اليهود وإطلاق سراحهم وإرجاعهم إلى مدنهم في فلسطين. وقد استطاع اليهود في سبيهم إعادة كتابة أسفار التوراة وأضافوا لها الكثير من الإرث السومري والبابلي الذي تعلموه خلال فترة السبي.

وبذلك تكون أسباب سقوط الإمبراطورية البابلية الحديثة ما يلي:

1. اتساع رقعة الإمبراطورية وصعوبة إدارتها وظهور الثورات الداخلية فيها.

2. التحالف الفارسي الميدي بقيادة كورش.

3. أهل السبي من سكان يهوذا الذين أمدّوا كورش بالمعلومات وسهلّوا له غزو بابل.

4. ضعف آخر الملوك البابليين.

5. كهنة الإله مردوخ الذين تواطؤوا مع كورش من أجل عودة عبادة مردوخ واحتفالات أكيتو.

6. النزاع الذي نشأ بين الملك الكاهن نبونائيد وبين كهنة بابل حيث قام نبونائيد بالدعوة إلى عبادة جديدة قوامها عبادة الإله سين إله القمر إزاء عبادة الإله مردوخ التقليدية في بابل، مما سبب إهمالاً لطقوس وأسس السنة البابلية ونزاعاً بين الكهنة ونبونائيد الذي انصرف عن الحكم لعقيدته الجديدة تاركاً الحكم بيد ابنه بلثازار (بيل شاصر) الضعيف الإدارة.

ومع سقوط بابل دخل وادي الرافدين في مرحلة سياسية صعبة فقد حكمه الفرس والمقدونيون والسلوقيون وهم بجملتهم من الجنس الآري الذي دخل لأول مرة في وادي

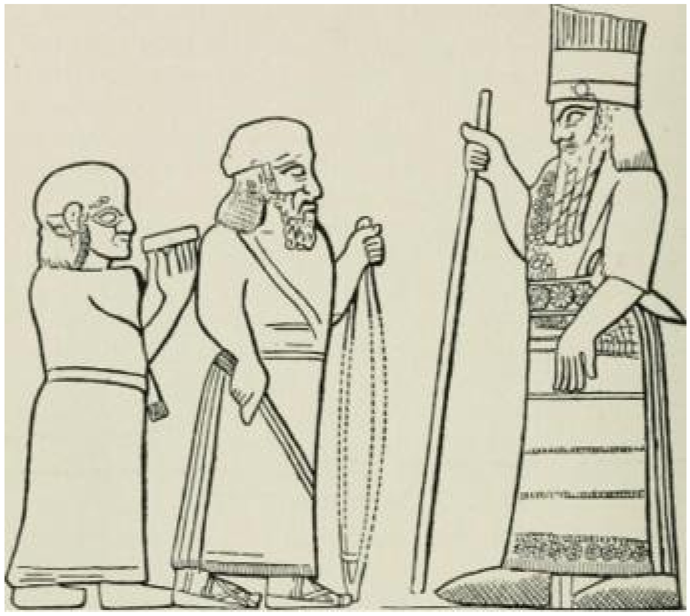
الرافدين. لكن النبض الحضاري للبلاد لم ينقطع فقد ظلت بابل ثم سلوقيا ثم طيسفون عواصم الإمبراطوريات القادمة ونشأ نمط حضاري جديد وهو خلط حضارة وادي الرافدين بحضارات شرقية (أخمينية، فرثية، ساسانية) مع حضارات غربية (مقدونية، سلوقية، رومانية، بيزنطية) لينشأ عن ذلك خليط حضاري عالمي على أرض وادي الرافدين كان من أهم مظاهر ظهور سبع ديانات غنوصية وتوحيدية مهمة.

دخل وادي الرافدين (العراق القديم) في مرحلة مظلمة طويلة من الناحية السياسية، وتوقف ظهور حضاراته القديمة، لكنه ظل ينتج الأديان والطوائف والثقافات بطريقة مذهلة لا نظير لها، حتى جاء الإسلام إلى العراق ونهض أهله ثم أصبحت بغداد عاصمة الدولة العباسية فاستعاد العراق دوره الحضاري.



رسم توضيحي لحصار واقتحام بابل من قبل الجيش الفارسي الأخميني 539 ق.م

الفصل الثالث: المظهر السياسي



مؤسس السلالة البابلية الثامنة (نابو ـ موكن ـ إبلي (977 ـ 943) ق.م يعاقب من عبرَ أرضه

الرسم لأراد ـ سبيتي وهو ينقل عقاراً لابنته كمهرٍ في حي شاماميتو (من حجرالحدود رقم 90835 في المتحف البريطاني)

.(King 1915: 258)

المبحث الأول: نظام الحكم

أولاً: طبيعة نظام الحكم

في عصر دويلات المدن الأمورية كان نظام الحكم عشائرياً أميرياً ملكياً، وعندما تكونت الدولة البابلية في عصر حمورابي أصبح نظاماً ملكياً مقيداً باختبار سنوي للملك يجري في بداية كل عام خلال احتفالات الأكيتو، فإما أن يستمر الملك أو يستبدل، رغم أن حالة استمراره هي الغالبة بسبب ولاء الملك للسلطة الدينية. لكن الأمر تطور بمرور السنين وأصبح يميل إلى محاسبة الملك بشكل أقسى نهاية كل عام.

لا بدّ من التمييز بين نظام الحكم المختلف في مراحل الحكم البابلية (بابل كدولة مدينة، بابل كدولة موحدة، بابل كإمبراطورية قديمة، بابل كإمبراطورية حديثة)، حيث لكل مرحلة نظام حكمٍ تتميز به.

يرى سايس أن مفهوم الدولة في بابل «كان ثيوقراطياً بشدة فقد سبق الملوك كبار الكهنة، فهم يؤدون الوظائف الكهنوتية، ويمثلون السلطة الدينية وكذلك السلطة المدنية. كانت السيادة الحقيقية، في بابل، لبعل «السيد» (مردوخ) الحاكم الحقيقي للمدينة، وكان الملك يصبح ملكاً عندما يتبناه الإله فقط ويصبح ابنه، حينها سيكون له الحق في الحكم ويكون الإله بعل قد (أخذ بيدي)، وبذلك يصبح الابن المتبنى من قبل الإله، ولذلك لم يكن لديه لقب شرعيّ للعرش بل كان نائباً وممثلاً للإله على الأرض، فبعل هو الذي أعطاه سلطته وكان يراقبه كأبٍ يراقب ابنه، كان ملك بابل بمثابة الـ (بابا) والـ (ملك)، حيث تكون ألقابه قد تمّ الاعتراف بها من خلال الذي شرّع انضمامه للعرش، وقد سادت وجهتا نظر في علاقته بالإله، أكثرهما أهمية هي أن الإله منحه البنوّة فأصبح تبناً له بالتبني أي منحه الألوهية، فلم يكن مجرد ممثل للإله بل كان هو الإله نفسه» (Sayce 2008: 134).



الصولجان البابلي

يمكننا قبول فكرة الحكم الثيوقراطي، لكننا يصعب علينا تصور أن الملك البابلي كان هو الإله نفسه من خلال بنوّته للإله، حيث لا تصادفنا نصوص تشير إلى هذا.

«هنا يجدر توضيح بعض خصائص النظام السياسي لبابل والذي كان قد تشكل تدريجياً على مدى القرن الثاني عشر ـ السابع ق.م. بابل ليس فقط لم تكن استبداداً شرقياً، وإنما لم تكن حتى مملكة بالمعنى المفهوم. إنها أقرب ما كانت جمهورية أرستقراطية ذات ملك ـ مدير منتخب، ويعاد انتخابه سنوياً. إعادة انتخاب الملك كانت تجري إبان الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة في نيسان ـ الشهر الأول في التقويم البابلي القمري والذي يصادف شهري آذار ـ نيسان في تقويمنا الشمسي. في رأس السنة الجديدة تنطلق من بارسيبا إلى بابل عبر قناة نار ـ بارسيبا مركبة نهرية مقدسة تحمل صنم الإله نبو رئيس آلهة بارسيبا. وعند باب الإله أوراش في بابل ينقل الصنم إلى البر، وبموكب مهيب يمر عبر هذا الباب. وعند شارع الإله نبو يحمل إلى معبد أسكاكيلا مسكن الإله بيلا والد الإله نبو. إلى هناك في أسكاكيلا كان الملك يحضر، ينزع الشارات الملكية، يؤدي جملة مراسم ثم يأخذ بيد الإله بيلا بحضور الإله نبو. وبعدها يُعدُّ منتخباً ويستلم من جديد شارات الجلالة الملوكية. هذه الطقوس كانت تتكرر سنوياً، ولكن حتماً بوجود صنم الإله بيلا، صنم الإله نبو وبمشاركة الملك. بدون هذه الشخصيات الثلاث لا يمكن لعيد رأس السنة الجديدة أن يحصل.»(بيلافسكي 2008: 37 ـ 38).

كان النظام الملكي وراثياً ويبدو أن الذكور كانوا هم الموجهين له إذ كان يخلف الابن أباه في الحكم،. وكان المؤرخون البابليون قد وصفوا خط الملوك المستمر بأنه «سلالة» أو «أسرة »، وهناك 11 أسرة بابلية. ومن النادر أن الملوك ادعوا السيادة المطلقة بسبب خضوعهم للفكرة الدينية والإلهية في الحكم.

كانت حكومة الملك البابلي الأول سومو أبوم تشبه إدارة تلك الموجودة في المدن القريبة مثل كيش وكازالو. كان بناء الأسوار الدفاعية وقنوات الري والمعابد شاغلاً رئيسياً. وكانت أسوار المدينة القوية حاجة ملحّة في بلاد تضج بالدويلات المتنافسة، لكن المشاريع الأخرى كانت حاسمة للسلطة الملكية كذلك. وكانت عمليات تحويل مجاري الأنهار سبباً مهماً في نشوب المعارك والحروب بين الدويلات، لكن أهمية سومو أبوم وخلفائه ومنافسيه أصبحت مستمدة من بنائهم المستمر وإعادة بناء المعابد، وهو نشاط استوعب القوى العاملة الهائلة وكوّن الحصة الكبيرة من إيرادات الحكومة. ومع ذلك، فإن أساس شرعية الملك كانت مستمدة من علاقته مع الآلهة. فالملك الذي أهمل المعابد يدعو إلى غضب السماء وغضب شعبه.

أما حمورابي فقد نجح في أعماله العسكرية المستمرة، لا سيما ضد لارسا، منافسة بابل الجنوبية القوية، وهو الذي حول الدولة المدينة المزدهرة نسبياً إلى قوة إقليمية كبرى، وهو الذي ترك أثره التأريخي في مسلته القانونية الشهيرة والتي توضح اهتمام حمورابي، مدى الحياة، بالقانون وبالأهمية التي أولاه لها في إدارته. وفيها يكشف عن فلسفته السياسية في الملكية، وهي فلسفة سادت الإطار الهيكلي لحكومته، ومن جاء بعده من الملوك الكبار.



رسم متخيل لملك بابلي

ثانياً: الهرم السياسي البابلي

1.الملك، الحاشية

كان الملك حاكماً مطلقاً للبلاد، وبدأت، في الفترة المبكرة جداً، بعض القيود لسلطته حيث كان عليه احترام العادات والتقاليد والملكية الخاصة ومكانة النبلاء والدين والعرافة. كان الملك هو السلطة المطلقة في جميع المجالات باستثناء الدين الذي كان يخضع لإملاءات الإله الرئيسي التي يمثلها رئيس كهنته. وهكذا، كان يجري، في عيد رأس السنة الجديدة، صفع الملك على الوجه من قِبل رئيس الكهنة وسحبه من الآذان كعلامة على خضوعه للإله.

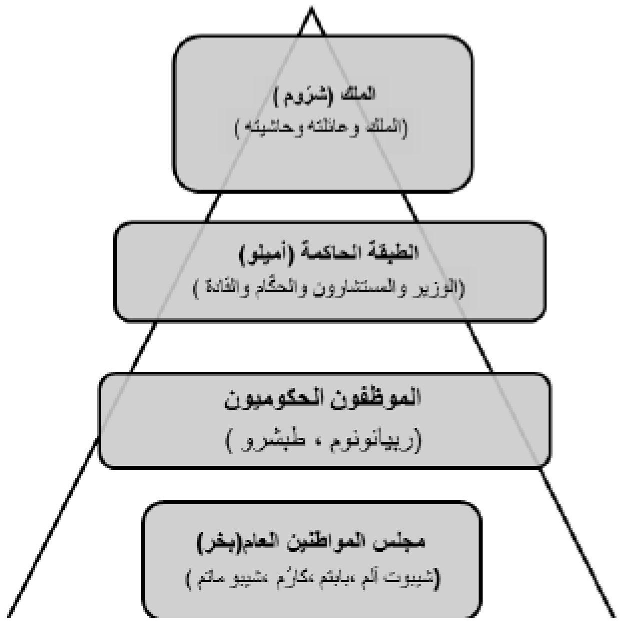
كان لقب الملك في بداية العصر البابلي خلال مرحلة (إيسن ولارسا) هو (ملك مدين أور) و(ملك بلاد سومر وأكد)، وفي العصر البابلي القديم لم يكن الملك يحمل ألقاباً ضخمة وتعجيزية مثل (ملك الجهات الأربع) كما في المملكة الأكدية، بل كانوا يكتفون بلقب (الملك الكبير)، (الملك القوي)، وتلقّب حمورابي بلقب (الراعي الوالد).

ويلاحظ أن نصوص العصر البابلي الوسيط قد «دونت باللغتين السومرية والأكدية وكانت نصوصها تبدأ بذكر اسم الإله وصفاته أو ألقابه أحياناً، ثم يأتي ذكر اسم الملك وألقابه أما مضمون النص فكان غالباً يخص بناء المعابد والقصور، ومما يلاحظ في النصوص الملكية

الكشية مدى تأثرهم بثقافة الملوك البابليين ولغتهم واستعمالهم لألقاب الملوك السابقين منها (ملك الجهات الأربع)، (الملك القويّ)، (ملك بابل)، ملك بلاد سومر وأكد) واستحدثت ألقاب أخرى كلقب (ملك كاردونياش)، و(ملك الكشيين)، وغيرهما» (محمد 2007: 10).

أما في العصر البابلي الحديث فقد عادت البساطة للألقاب الملكية وساد لقب (شارو) و(شاروم) و(شارتو) للمؤنث و(ربو) الذي يقابل لقب (لوجال) السومري، وساد (بيلو) الذي يعني السيد أو الحاكم، ومقابله الأنثوي (بيلتو).

»لقد كان الملك بمثابة القاضي الأكبر في الدولة أي ـ رئيس مجلس القضاة الأعلى ـ الذي كان يتألف من الـ(شيلاك ـ ناكو) وهم (رابيانو) أي القضاة العدول وكان مقر المجلس في القصر، كما كانت توجد مجالس قضائية فرعية في المدن تعاون مجلس القضاة الأعلى في الفصل في الدعاوى بين سكان المنطقة المعنية، وكان يحدث أن أحد المتخاصمين أو جميعهم يذهب إلى القصر لعرض قضيته من جديد إذا لم يقتنع بالحكم الذي أصدره مجلس القضاة الفرعي وعند ذلك يتدخل مجلس القضاة الأعلى وأحياناً الملك بنفسه فيبت بالأمر ويعلم حاكم المدينة بمنطوق الحكم ويطلب إليه بصورة خطية وموجزة التنفيذ.
وأما المعبد فقد انحسرت سلطته القضائية وتقلصت لدرجة أصبح معها دور الكهنة مقتصراً فقط على القيام بدور الشهود عند قسم المتخاصمين أو أحدهم عند تمثال الإله الأكبر كعنصر إثبات في قضية الخلاف القائم ويمكننا أن نعتبر ذلك مثلاً حياً للفصل بين السلطتين الدينية والزمنية. وكان الملك هو القائد العام للقوات المسلحة وكثيراً ما كان يقود الجيش بنفسه في المعارك وخاصة الحاسمة منها، وكان يعهد إلى قادة أشداء لديه قيادة العمليات العسكرية الأخرى.» (الذنون 1992: 93).



الهرم السياسي البابلي

Babylonian Political Hierarchy

وبذلك يكون تسلسل الدرجات والألقاب كما يلي:

1. الملك: شرّوم.

2. الوزير: سوكّولو.

3. الحاكم، الوالي على المدينة: ربيانونوم، خزيانوم، خزنم.

4. الكاتب: طبشرّو

في الإمبراطوريتين البابليتين، على مدار تاريخها، كان كلاهما يحملان من قبل ملكين مطلقين. في الإمبراطورية القديمة كان الملك يتميز بالمشاركة الشخصية له في أكثر شؤون الدولة صغراً. لكن التطور في الحكم جعل من ملك الإمبراطورية الحديثة يتمتع

بالصفات البيروقراطية المتنامية باستمرار، والكهنوت الأقوى، وبذلك أصبح هناك تفاعل أكبر مع القوى المختلفة.

كانت الإساءات المقصودة لملوك بابل من قبل التوراتيين تكشف حقدهم الدفين عليهم وعلى حضارةٍ جعلتهم يشعرون بالتقزّم أمامها فحاكوا الأكاذيب حول نبوخذ نصّر ونبونائيد وبلشاصر وأزواجهم بطريقة مفضوحة ومقصودة، فرغم «أن تعدد الزوجات عند ملوك بابل لم يمنعهم من اختيار واحدة منهن لتقدم لها فروض الاحترام والخضوع بصفتها «ملكة»، حتى أن كرامتها كانت تحول دون اختلاطها بغيرها من الزوجات أو السراري. ويمكن الاستدلال على ذلك وغيره مما ذكره دانيال في وصف تلك الوليمة الداعرة التي كان النساء يكرعن فيها الخمر في أواني معبد أورشليم المقدسة، على نغمات الموسيقى، وصخب السكارى وصياح المهرجين الذي يصل إلى أسماع «الملكة». ثم يعقب ذلك صمت مزعج يشمل القصر وكل من فيه فتخرج الملكة من خدرها وهي ترتجف فزعاً وتنادي حاشيتها التي تخبرها أو رؤيا مفزعة قد ألقت الرعب في وسط الوليمة، حتى أن بيلشاصر نفسه بقي على كرسيه ممتقع اللون خائر القوى، يكاد يغشى عليه من شدة الخوف. ويخيل إليها أن خطراً عظيماً يحدق بالملك، فتتذكر اسم رجل ربما كان قادراً على دفع هذا الخطر، فتدخل بيت الوليمة وتقول للملك:»عِشْ إلى الأبد. لا تفزعك أفكارك ولا تتغير هيئتك. يُوجد في مملكتك رجل فيه روح الآلهة القدوسين... والملك نبوخذ نصر أبوك جعله كبير المجوس والسحرة والكلدويين والمنجمين». (لوبون 2017: 86).

والحقيقة أن كل هذه الأكاذيب سقطت مع اكتشاف الآثار التي لم تدلّنا على وجود أي نبيّ من أنبياء اليهود في هذه الفترة كما يزعمون.

البيروقراطية البابلية:

تكشف السجلات الواسعة لإدارة حمورابي عن نمطٍ بيروقراطيّ واسع وكبير في طريقة إدارة الدولة. وتشمل الرسائل الموجهة إلى رؤساء الدول الآخرين، والتعليمات للمرؤوسين، والدعاية.

وتفصح البيروقراطية انتباه الملك إلى أصغر التفاصيل عن كل جانب من جوانب نشاط الحكومة. بينما توجد معظم البيروقراطيات لإزالة عبء الأعمال الروتينية من الملك أو الرئيس التنفيذي، لكن حمورابي مارسها وعمل بها بإصرار، ويبدو أن حمورابي تدخل في الأمور الصغيرة جداً وفي النزاعات على الأراضي بين المزارعين، ونزاعات العقود بين التجار، والأعمال القانونية الروتينية الأخرى. ويبدو أن المصلحة الشخصية لعبت في القانون دوراً وأنه كان حريصاً على نجاح تطبيق القوانين التي وضعها فأخذ دور الملك التقليدي الحارس للعدالة. ربما كان لتورطه في الشؤون الدبلوماسية والعسكرية الدافع ذاته، إذا كان يعتقد أن أحد جيرانه ينتهك حقوق الشعب عندما يتصرف بطريقة غير لائقة!

إن اهتمام حمورابي بالتفاصيل كان له تأثير كبير على هيكل حكومته. كان الكتبة والكتاب المتعلمون أساس إدارته، لأنه فقط من خلال جهودهم استطاع أن يواكب شؤون الدولة بالدقة التي طلبها. كانت السجلات الدقيقة حاسمة، خاصة في إدارة المسودات العسكرية المتكررة والـ (أليكوم ilkum)، وهو نوع من خدمات العمل الإلزامي. بعد غزو إقليم جديد، أرسل الملك مجموعة صغيرة من المتخصصين تحت قيادته المباشرة للتعامل مع اندماجها في الإمبراطورية. مثل هذه المهام كانت تدريباً مثالياً لملوك المستقبل. من المعروف أن حمورابي أرسل أبناءه في مهام دبلوماسية، مثلما أنجب ابنة واحدة على الأقل في زواج من حليف. مرض خطير في نهاية حياته أجبر حمورابي على نقل معظم الواجبات إلى سامسو إيلونا (القرن الثامن عشر قبل الميلاد) وابنه وخليفته.

استمرت التقاليد البيروقراطية والتبجيل البابلي لتقاليد وعادات أسلافهم، الذين يعتبرون أقرب إلى الآلهة. بل زاد التوسع في البيروقراطية نتيجة لزيادة التجارة والأراضي.

يركز كتاب (القوى المحلية في بلاد ما بين النهرين البابلية القديمة) لأندريا سيري، على بعض القوى المحلية في بلاد ما بين النهرين البابلية القديمة (حوالي 2000 ـ 1595 قبل الميلاد)، أي رئيس المدينة، (رابينوم)، وعلى الشيوخ، والمدينة، والتجمعات فيها، وهي مقاربة جديدة للتاريخ البابلي القديم الذي يسمح لنا بفهم دائرة وأنشطة ومجال نفوذ

المؤسسات المحلية للسلطة، والطريقة البيروقراطية التي تعاملوا بها مع مسؤولي الدولة والسياسات الملكية. التركيز على القوى المحلية يغير الطريقة التقليدية للنظر إلى الدولة. هذا لأنه نظراً لأنه بعيد عن كونه كياناً مترابطاً يتخذ القرارات من جانب واحد فيما يتعلق بالناس والمياه والأرض والموارد الأخرى، كان على الدولة التعامل مع المؤسسات المحلية التي لم تكن مستعدة دائماً لقبول القرارات الملكية بشكل سلبي. غالباً ما كانت الدولة غير قادرة على الاختراق بعمق في الممارسات الاجتماعية والاقتصادية التقليدية التي كان يسيطر عليها الزعماء المحليون، كما هو واضح في نزاع الولاية القضائية المتعلقة بتوزيع الأراضي. ومع ذلك، فإن الدولة اختارت القادة المحليين بشكل خفي (انظر Seri 2011).

عرفت الضرائب العُشرية، والضرائب العامة كانت تسمى باسم (ماكسيو) وهي قريبة من اسم ضريبة المكوس، وكانت تؤخذ من أصحاب المهن المختلفة والتجار.

الأحزاب السياسية وسياسة الملوك والكهنة:

كان لمعظم المؤامرات السياسية في الإمبراطورية الأولى جذور خارجية، حيث حاول الملوك المجاورون تقويض سلطة بعضهم البعض. من المحتمل أن تكون الأعباء الضريبية والعمالة الإجبارية قد أثارت بعض الاستياء الداخلي البحت. إن مكانة الملك، باعتبارها تجسيداً شبيهاً بالنظام الإلهي، خنق بلا شك التعبير عن المعارضة.وقد ذهب بعض الملوك أبعد من ذلك، معلنين أنفسهم خالدين تماماً. يعتقد العديد من المؤرخين أن تصريحات الخلود كانت في الأساس أداة لملوك ضعفاء أو مضطربين لتعزيز سلطتهم، بدليل أن حمورابي نفسه لم يشعر أبداً بالحاجة إلى إعلان خلوده كإله أو شبه إله.

ربما يكون التمييز الأكثر أهمية بين الإمبراطوريتين الأولى والثانية هو زيادة عالية في قوة الكهنوت المختلفين، لا سيما كهنة مردوخ، إله بابل. ومن المفارقات أن القوة الجديدة للكهنة تنبع إلى حدٍّ كبير من قدرتهم على تسخير تقديس الناس للماضي. إذا كانت سلطة الآلهة أبدية فيجب أن تكون سلطة الكهنة كذلك. ولذلك ظل العديد من الملوك الأوائل، وخاصة حمورابي، يسيطرون بشدة على الكهنوت. كان الدين والسياسة لا ينفصلان في

بلاد ما بين النهرين، لكن أنجح الملوك اعتنوا بتأكيد سيطرتهم على المعابد والكهنة الذين خدموهم. مع مرور الوقت، رغم أن هذه المهمة أصبحت صعبة على نحو متزايد.

احتل الكهنة والعائلات الكهنوتية أعلى مستويات المجتمع البابلي وتمكنت في كثير من الأحيان من الحفاظ على مواقعها في المؤسسات الدينية والمدنية على مر الأجيال المتعددة. في المعابد، تم تنظيم أنشطتها وفقاً لتسلسل هرمي صارم قائم على مفاهيم النقاء وقربها من الآلهة. ولا نعرف ما إذا كانت حياتهم خارج المعبد قد تأثرت بهذه التوجهات داخل مؤسستهم. ويمكن معرفة سلوك الطبقة الكهنوتية الاجتماعي من خلال ممارسات الزواج وأنماط ملكية الأراضي، وإقراض الأموال وعمليات الائتمان الأخرى، والأشخاص الذين يقبعون في منطقة الثقة والحميمية بالنسبة لهم ومدى رفاههم وتمتعهم بالامتيازات المقربة منهم. وبذا يمكننا التعرف على مدى ومناطق التزام الكهنة بالتسلسل الهرمي للمعبد أو الخروج عليه. وسيساعد ذلك على رسم خريطة اجتماعية لعالمهم.

كان ولي العهد يتمتع بمكانة لا تقل عن مكانة الملك والكهنة الأعلين، لأنه يمثل مستقبل البلاد والمصالح الخاصة، وهكذا دخل الكهنة وأدخلوا الدين وقدسيته في مداره وتدخلوا في اختياره.

«ومن خلال ما تقدم يمكن الاستنتاج أن نظام ولاية العهد وُجد في العراق القديم منذ أقدم العصور التأريخية لسببين هما:

أ. أن سكان وادي الرافدين قد نظروا إلى الملك كونه رمزاً لخصوبة البلاد ورفاهيتها، وللمحافظة على ازدهار البلاد ونمو مواردها، وكان لا بدّ من استمرار النظام الملكي لكي لا تنتهي الملكية بموت الملك، لذلك حافظ الملوك على أمر استمرار الملكية من خلال نظام ولاية العهد.

ب. ضمان انتقال السلطة من الملك إلى خليفته بصورة طبيعية خالية من الاضطرابات.

أما عن أهم العوامل المؤثرة في ولاية العهد فيمكن أن نلخصها في ثلاث نقاط وهي:

1. الاختيار الإلهي لولي العهد ويعتبر من أهم العوامل حيث يلعب دوراً كبيراً في اختيار ولي العهد، وبما أن الملك ممثل الآلهة على الأرض، فإن اختيار الملك وولي العهد يتم من خلالها لينوب عنها بعد وفاة الملك.

2. المؤهلات التي يجب أن تتوفر في ولي العهد ومن أبرزها صفة الشجاعة والقوة وتقلده مناصب عليا في الدولة، وأن يكون قادراً على إدارة البلاد.

3. نساء القصر (زوجات الملك، بنات الملك، أم الملك)، إذ كان لهنَّ تأثير كبير على اختيار ولي العهد، ويتوقف ذلك على مكانتهنَّ لدى الملك والقصر، ومن الطبيعي أن يكون لبعض زوجات الملك دور كبير في اختيار ولي للعهد كما حدث ذلك عندما استطاعت الملكة ناقية (زاكوتو) بفضل ما تتمتع به من محبة ومنزلة لدى زوجها الملك سنحاريب، من إيصال ابنها آشور أخادين (أسرحدون) إلى العرش واختياره ولياً للعهد. «(زيباري 214: 84 ـ 85).



الملك البابلي مع زوجته يتلقى تعاليم إله بابل مردوخ

ظاهرة الملك البديل:

ظاهرة الملك البديل مرتبطة بالعرافة وكشف طالع المستقبل وهي أمور كان البلاط البابلي والآشوري يمارسها بشكلٍ دائمٍ على مدى تأريخه الطويل إذ «هو تقليد عراقي قديم يقصد به تعيين شخص بدلاً عن الملك ليحكم البلاد، ويتم اختياره بموجب إرشادات الفأل والعرافين، أو بواسطة الكهنة بطريقة غير معروفة، ثم يتم تنصيبه ملكاً فعلياً لمدة من الزمن وهي فترة الخطر التي تهدد حياة الملك.وبما أن الملك هو ممثل الإله على الأرض وهو المسؤول عن إدارة الدولة، وأن رفاهية البلاد وأمنها وسلامتها واستقرارها تعتمد بشكل كبير على سلامة وأمن الملك لذا رأى سكان بلاد الرافدين أن أي خطر يتهدده هو بمثابة تهديد لأمن وسلامة البلاد كلها، ومن أجل الحفاظ على حياته فقد أحيط الملوك بالكهنة والعرافين، لتفسير علامات الشؤم والتنبؤ بالخطر قبل وقوعه، وعندما يشير الطالع والنذير إلى اقتراب أي خطر يهدد حياة الملك كان لا بد من اتخاذ إجراءات معينة من ضمنها تعيين شخص ينوب عن الملك خلال فترة الخطر، ويرى بعض الباحثين أن تلك الوظيفة كانت تتم لأغراض إعلامية خاصة في العصور الآشورية، وكان الهدف منها تجنيب حياة الملك الخطر، كما أن الملك في بعض الأحيان كان يرسل تمثاله أو رداءه بدلاً عنه ليحدث التأثير ذاته في نفوس الناس لحماية الملك من أي خطر وإيجاد الوسيلة للإبقاء على حياته المرتبطة بمستقبل البلاد. وكان الملك البديل يمنح جميع الصلاحيات التي تمنح للملك وتستمر هذه الفترة إلى ما يقارب المائة يوم، ومن ثم يقتل الملك البديل ويدفن لكي يحقق الفأل، حيث ورد في أحد النصوص: إذا مات الرجل الذي قدم كبديل عن الملك سوف لن يؤثر الفأل السيّئ على الملك. ويعمل للملك البديل المتوفى (المقتول) موكب ومأتم مهيبان ويعلن للناس عن انتهاء مراسم الدفن الخاصة به.» (زيباري 2014: 75 ـ 76).

كان إجراء الملك البديل أقرب إلى الطقس الديني حيث يشرف عليه رجال الدين الذين يوجهون مسراه، في ظلّ غياب الملك واختفائه، وكان يجري وفق خطةٍ مسارية محكمة تبدأ بتزويجه وتنتهي بقتله، «وفي تلك الأثناء يجلس على العرش (ملك بديل) (في الأكدية شار بوخي) ويتم بتزويجه بفتاة عذراء (بتولو، ارداتو) (بالعربي بتول تعني العذراء) يجري

اختياره لتأدية ذلك الحدث الطقوسي لمدة مائة يوم، ومهمته هي تحمل كل النتائج والعواقب الشريرة التي تهدد الملك الحقيقي، حيث يعيش بديل الملك في القصر بينما يواصل الملك الحكم من وراء الستار، وكانوا يقولون: (أخذ السيادة الإله (بيل) على البلاد) و(بيل تعني السيد بمعنى الإله مردوخ) وهي ليست سيادة حقيقية على البلاد، وعندما تنتهي مرحلة الخطر يدفع هذا الشخص حياته ثمناً لتحقيق نبوءة السماء عن هلاك الملك بسبب ظاهرة التعتيم، فيقول: (عليه أن يذهب إلى مصيره)، وهذه العبارة تعني باللغة الأكدية (مات موتاً طبيعياً)، وبعد أن تصفي الآلهة الحساب مع عفاريت الشر ويعود الضياء إلى الكواكب كان الملك الحقيقي يعود إلى قصره في احتفال فخم» (الصالحي، صلاح رشيد، موقع كاردينيا تاريخ الاقتباس 20/ 8/ 2019، (https://www.algardenia.com/maqalat/33391-2017-12-27-08-07-47.html

تكمن خطورة هذا الإجراء الاحترازي في أن الملك البديل قد يكون متآمراً ومتواطئاً مع الكهنة، أو قد يكون من الشجاعة والذكاء بحيث إنه يتمكن من الاستيلاء على السلطة فعلاً ويقتل الملك الحقيقي على أساس أنه قدر رسمه الفأل وكان هو وسيلة لتحقيق وتأكيد ما جاء في العرافة، وهو ما حصل حين اضطر الملك في مدينة إيسن إيرا ـ إميتي (1868 ـ 1861) ق.م أن يتنحى عن الحكم يوماً واحداً، بعد نبوءة عرافية كاذبة تفيد بموته في ذلك اليوم، كان قد دبرها المتآمر البديل مع الكهنة، وهكذا تنصب الملك البديل (إنليل ـ باني 1861 ـ 1837 ق.م)، ثم قُتل الملك إيرا ماتي حين سكبوا عليه ماء الثريد الساخن الحارق عليه أثناء تتويج الملك البديل الذي تمسك بالعرش وأعلن نفسه ملكاً حقيقياً عده.

شروط الإبدال الملكي:

1. أن يقوم رجال الفلك والتنجيم برصد الوقت القادم لكسوف الشمس، وهي الظاهرة التي يستدل بها العرّافون على وجود خطرٍ على حياة الملك.

2. أن يحكم الملك البديل، مائة يوم قبل أن يصار إلى قتله لتلافي الشرّ الافتراضي، ثم يعود الملك الحقيقي من جديد.

3. أن يبدا حكمه بالزواج من فتاة عذراء.

4. يعامل الملك البديل، بعد قتله، وكأنه ملكٌ من حيث مراسم الدفن المهيبة والمجهزة بالتجهيزات الملكية والطقوس المعتبرة لموت ملك.

5. يكون التحوّط ملزماً بعد حدوث ما قد يجعل الملك البديل متآمراً من أجل حصوله على السلطة، ولذلك يتم تتويج رجلٍ مجنونٍ كملك بديلٍ يوضع تحت الرقابة طيلة المائة يوم.

2.الطبقة الحاكمة (أميلو)

(المستشارون والحكّام والقادة)

شكّل طاقم الحكومة العليا المتكون من المسؤولين والمستشارين والحكّام والقادة طبقة سياسية مهمة كان البابليون يطلقون عليها اسم (أميلو)، وكانت تتولى الإشراف على تنفيذ مقررات الدولة والحكومة البابلية.

3.الموظفون الحكوميون

كان الموظفون الحكوميون طبقة سياسية مهمة يتولون التنفيذ المباشر لقرارات الملك وحكومته، وكانوا يتكونون من الكتبة ومحصلي الضرائب والمشرفين على المزارع والحقول والمهن والصناعات والتجارة وغيرها. ومنهم ما يعرف بالريدو والبايرو واللابوتو، وهم الموظفون العسكريون والشرطة برتب عالية. وهناك الحرفيون والتجار والكتبة والرعاة والحدادون والصاغة والعرّافون.

أما الموظفون المدنيون فهم كما يلي:

1. تورتانو: الموظف الأكبر وقائد الجيش وحاكم المقاطعة ويمكن أن يأخذ منصب اللمو بعد الملك.

2. رابشاقي: وهو كبير السقاة المسؤول عن أعمال الري وقنوات المياه.

3. نقار إيكالي: ضارب البوق وهو رئيس التشريفات وموظف التقديمات الملكية والضيوف.

4. أباراكو: المسؤول الاقتصادي في القصر.

5. اسوكالو: القاضي الأكبر.

6. مشكيم: موظف التحكيم بين المتخاصمين.

7. طبشوري: كاتب الملك.

8. ترجماني: مترجم الملك.

9. خزانو: المحافظ.

4. مجلس المواطنين العام

يتكون مجلس المواطنين العام من المواطنين الأحرار الذين يعملون في الحقول والمصانع والمهن الصغيرة والذين يشاركون في احتفالات رأس السنة ويشهدون تغيير الملك أو إعادة تتويجه فيه.

يسمى المجلس باللغة السومرية أونكين Unkin، أوكين Ukkin، أما في اللغة الأكدية فيسمى بخرPuhur وهو مشتّق من بخارو Paharu ومعناها الفخاريّ وأصلها كلمة سومرية والفعل المشتق منها هو بخارو الذي يعني يجمّع، يحشد، يجمهر، يعقد، يلم، يجمع. (انظر الجبوري 2010: 429).

وربما كان ما يقوم به الفخاريّ من جمع وشدّ لطين الصلصال وجعله فخاراً هو السبب في هذا الاشتقاق.

كانت المجالس البابلية على أنواع وهي:

1. مجلس المدينة (بخر آلم Puhur Alim): وهو المجلس الخاص بالمدينة المعينة والمسؤول عن جميع شؤونها، وهو هيأة تشريعية تصدر القوانين وتصدر أحكامها بالعقاب والثواب وتطبق متابعته، وهو ثمرة تعاون بين مجلس الشيوخ (شيبوت آلم) ورئيس المدينة (رابيانو). «إلى جانب ذلك يلاحظ، في قانون حمورابي، أن مجلس المدينة يكون شاهداً على إنزال العقوبة المنصوص عليها في القانون على أي شخص يعتدي على من هو أرفع منه اجتماعياً وذلك بجلده ستين جلدة، إذ نصّت المادة 202 من قانون حمورابي على ما يأتي: إذا ضرب رجلٌ رجلاً أرفع منه سيضرب ستين جلدة بسوط ذنب الثور في المجلس» (العبادي 2012: 63).

وكان يرأس كل مدينة موظف حكومي يسمى (رابيئان) وهو رئيس المجلس أو رئيس الوحدة الإدارية.

2. مجلس مسنّي (شيوخ) المدينة (شيبوت آلم Sibut Alim): ويسمى بالسومرية Uri Ab.Ba، أي مجلس شيوخ أو آباء المدينة، وكان بمثابة مجلس المستشارين لأن الشيوخ أكثر حكمة ومنزلة من غيرهم في المدينة، وكانوا يقومون بإدارة الشؤون الاجتماعية والعامة للمدينة، وهو المجلس الذي له الكلمة الفصل.

3. مجلس الحيّ (بابتم Babtum): ربما كان الاسم مشتقاً من باب أو بوابة المدينة، وكانت المدن البابلية مقسمة إلى عدة أحياء أو مناطق، بحيث إن كل حيّ كان يسمى (بابتم)، ولكلّ حيّ مجلس عمله النظر في المشاكل والنزاعات بين أهل الحيّ.

كان الاختلاف بين المناطق السكنية يأتي بسبب بعض الهيمنة القبلية أو العائلية، فقد كانت مدينة بابل في مركزها مقسمة، في العصر البابلي القديم، إلى مناطق إدارية وأحياء يمثلها شخص كبير في العمر وله هيبة وقوة وسلطان (وهذا امتياز قبليّ)، ويتكرس المكان لهذه المجموعة مع التزاوج والتلاحم بين أهل الحي المتجانس قبلياً.

4. المجلس الاقتصادي أو مجلس المركز التجاري (كارم)

تعني كلمة كارم الرصيف أو منطقة الميناء أو المركز التجاري، وهو مجلس اقتصادي قضائي يضم الكبار والصغار من الذين لهم مصالح اقتصادية وتجارية في المدينة.

كارُم: الهيأة القضائية للتجار: «إن كارُم سبار كان موجوداً قبل عهد حمورابي إلا أن أهميته وأهمية تجار سبار جاءت في هذه الحقبة، فقد ازدهرت سبار كمركز للنشاطات التجارية كما أن إشارات حمورابي إلى مصطلح كارُم كهيأة للناس فإن كارُم على الأرجح تُمثل هيأة قضائية لها علاقة بقضاة سبار كما أن الموظف المسؤول عن هذه القضايا هو رابيئانُ سبار، وقبل تولي رابيئان هذه المهمة كان مسؤولاً عن كارُم سبار شخص يعمل مراقب التجار في بداية ظهور كارُم، وكان هناك ما لا يقل عن ثلاثة قضاة كانوا يجلسون إلى جانب المسؤول عن كارُم للنظر في القضايا التي تقع ضمن رقعة كارُم الجغرافية والمسؤول عنها، وهنا يجب الإشارة إلى أن معلوماتنا حول كارُ سبار أو عمل كارُم قليلة جداً وليست لدينا معلومات دقيقة حول تكوينه.لقد كان لكارُم سبار واجبات ووظائف عدة منها الرئيسة التي تنفذ للملك كجباية الضرائب إيكسو Igisu. وكذلك ضرائب يقدمها الأفراد، وكان من واجبات كارُم مراقبة المخازن الملكية، أما سلطة كارُم أو الميناء فكانت تتمثل بوظائف كوسيط للقصر حيث كانت تُسلم الجلود للقصر وكان كارُم كذلك يبيع الممتلكات المتروكة التي ليس لها مالك قانوني.» (العبادي 2012: 89 ـ 90).

5. مجلس شيوخ ماتم (شيبو ماتم): وهو مجلس خاص من الشيوخ الذين يقررون أموراً حاسمة مع الملك بشكل خاص، ففي رسالة من الملك البابلي سمسو ـ إيلونا يستدعي حاكم مقاطعة ومسني البلاد للاجتماع بهم عندما مرض والده الملك حمورابي ويخبرهم فيه ما يلي:

«قل لـ أتيل ـ بي ـ مردوك: هكذا (يقول) سمسو ـ إيلونا، أبي الملك مريض ولذلك ولإقامة العدالة في البلاد سأجلس على عرش بيت أبي (عائلتي)، ولأجل ذلك سيوزع (يطلق) الحسابات الكبيرة ويؤجل الديون المستحقة على المزارعين وتجار الجلود. كُسرت ألواح

الديون المستحقة على الجنود والصيادين والمساكين (و) أقمتُ العدالة في البلاد، فلا أحد في البلاد... سيدعي على أسر الجنود والصيادين والمساكين (العامة) حالما تقرأ لوحي يجب أن تأتي إلى هنا وتجتمع معي أنت ومسنو البلاد الذين ارسلتُهم».

يبدو من خلال قراءتنا لهذه الرسالة أن هذا الموظف مع مسني البلاد شيبوت ماتِم sibut matim استدعوا للمثول بين يدي الملك لمبايعته واستلام الأوامر الجديدة من الملك، كذلك يبدو أن هذا الموظف مسؤول عن إبلاغ هذا الأمر إلى مسني البلاد. ونستنتج من خلال استدعاء مسني البلاد إلى مقر الحكم الملكي مدى أهمية هذه المؤسسة والتي كانت ما تزال قائمة في ذلك العصر، وربما تحتوي هذه الحقيقة على صدى ذلك العصر حيث استمر أو بقي الملوك زعماء قبائل يُختارون من بين الشيوخ المسنين.» (العبادي 2012: 94).

في دراسة مهمة ذكرها هاري ساغز في كتابه (عظمة بابل) عن العالم البلجيكي ج. د. كوبر عن الإدارة في مدينة تيركا (الواقعة على بعد يزيد عن 40 ميلاً شمالي ماري في زمن الملك زمري ـ ليم ملك ماري وهي تابعة له ولماري وكان يحكمها والٍ يدعى كبري ـ داغان) يمكن تلخيص الأمور الآتية عن النظام الإداري فيها كنموذج للنظام الإداري في الدولة البابلية القديمة والمدن التابعة لها: انظر (ساغز2008: 259 ـ 260).

1. الملك هو المسؤول الأول والأخير عن إدارة وأمن الدولة، ومن وظائفه أنه يجمع تقارير ولاة المدن الخاصة بالكوارث والأمراض والحوادث والغزوات، وكان حمورابي قد أسس نظاماً إدارياً بيروقراطياً صارماً يتابع فيه بنفسه مثل هذه الأمور.

2. والي المدينة: وهو المسؤول عن حفظ النظام والأمن والعدالة والأشغال العامة والمواصلات وحفر القنوات، وإرسال رسائل التحذير في الحالات الطارئة عن طريق إشعال النيران العالية. وكان يرعى حقوق المواطنين في المدينة ومصالح الملك ومنها تلك الأراضي التي يمتلكها موظفون ملكيون يسمون (باتوم: يشرف على مناطق محروثة محددة، إيرستوم: يشرف على حارة داخل المدينة).

3. مسؤولو المدينة الكبار:

أ.سوكاكو: شيوخ القرويين.

ب.هازانو: المراقب أو المحافظ.

ج.شيبوتوم: شيوخ الجمعية العمومية.

د.رؤساء الشرطة والفرق العسكرية.

أما في الدولة البابلية الحديثة ومدنها التابعة فقد كان هناك نظام جديد أقل بيروقراطية وصرامة، وكانت هناك أنواع من الحرية الإدارية والسياسية وعدم الخضوع للسياسة المركزية كليّاً، وقد أخذت المعابد دوراً استقلالياً أكبر بكثير مما كانت عليه في الدولة البابلية القديمة أو الدولة الآشورية، بسبب من طبيعة العلاقة بين السلطتين الدينية والمدنية، فقد رجحت كفّة السلطة الدينية، وكان الملك في بابل «يضع جميع صلاحياته ورموزه بخضوع أمام الإله كلّ عام، وأن يخضع لأوامر الكاهن الأعظم وعليه أن يعلن عن نواياه الطيبة، وعندها فقد كان الملك يستلم إعادة تنصيبه واكتسابه السلطة الملكية. وهكذا وفي بابل بقي الملك وإلى النهاية التابع المطيع للإله. وهكذا لم يستطع أن يجمع أراضي المعبد ويجعلها تحت قبضته أو تحت سيطرة الملك بصورة دائمة» (ساغز 2008: 284).

كان هناك في بابل العاصمة وفي كل مدن الدولة البابلية الحديثة مجموعة من الإداريين هم:

1. شاتومو: حارس الحدود.

2. كيبو: القيّم.

3. الكاتب: مدون القضايا والأحكام والأوامر الإدارية والرسائل الرسمية.

4. الضابط الملكي: سيد المواعية، وهو المفتش الذي يرعى مصالح الملك.

5. الضابط الملكي المسؤول عن خزنة الملك (خزانو).

6. شرايكو، شيركو، وجمعها (شرايك)، وهم خدم المعبد المميزون بسلطة نوعية في أصناف متعددة من الحرف والتجارة في أراضي المعبد وكانوا يخضعون لسلطة الضابط الملكي سيد المواعيد، ويتميزون بوشم نجمة عشتار على ظهر المعصم.

كانت هناك أنواع من الضرائب منها ضريبة العُشر(على محاصيل التمور وصيد الأسماك والأجور والأراضي المزروعة بالذرة) والضرائب العادية أو المكوس والتي تدفع للمعابد أو التي تدفعها المعابد.

المبحث الثاني: أنظمة الحكم في بابل

تدرّج مرتبة الحاكم البابلي

تراوح نظام دويلات المدن بين أن تكون المدينة هي عبارة عن دولة مستقلة صغيرة أو أن تكون هناك مدينة كبيرة تتبعها مدن صغيرة وقرى، وتكون لها سلالاتها الحاكمة وقوانينها الخاصة، وقد تجتمع دويلات المدن في منظومة واسعة للولاء الديني لإله واحد مع بقائها مستقلة داخل نظامها الكونفيدرالي هذا.

كان نظام الحكم في هذه الدويلات قائماً على فكرة أو نظرية التفويض الإلهي وتطور إلى الحكم الملكي الوراثي، فقد كان الملك يعتمد على كونه مفوّضاً من الآلهة أو من إله محدد كوسيط بينه وبين الناس، ولذلك يكون الملك بمثابة الكاهن الأكبر وهو يدير المعبد الأكبر في دولة مدينته، ولذلك فهو لا يخاف على مكانته من الانتخابات، وهذا ما جعل النظام يرتكز على فكرة أن الثيوقراطية للملك والديمقراطية للناس، فهو يجمع النقيضين بسبب التفويض الإلهي.

كان هناك مجلسان الأول هو مجلس الشيوخ للحكماء من كبار السن، والثاني هو مجلس الشباب للمحاربين، وكان للمجلسين سلطات فرض الضرائب ومنح صفة المواطنة وإعلان الحرب، وكان الملك يقف حاسماً في الأمور الطارئة دون الرجوع للمجلسين مثل الكوارث والحروب.

تحول نظام الحكم، تدريجياً، من نظام ديمقراطي إلى نظام ملكي ووراثي مطلق، فكان الملك يعين له ولي عهد أثناء حياته بعد استشارة الآلهة، ثم يعلنه على الشعب فيقسمون على مبايعته ولا يعترض عليها أحد لا سيما إخوته. وبعد وفاة الملك يتم تتويج ولي العهد في معبد الآلهة الرئيسي في المدينة بمراسم وطقوس دينية.

بعد ظهور الدولة ثم الإمبراطورية البابلية أوجد حمورابي وسيلة أخرى تجمع الناس حوله وهي التوفيق بين الاجتهادات القضائية المنتشرة في أنحاء إمبراطوريته الجديدة، فجمع ونسق قوانينها لتكون مرجعاً للحكّام والقضاة.

ويرجح الباحثون أن حمورابي «قد وضع نسخاً متعددة من مسلته هذه في كافة المدن التابعة لمملكته لتسهيل مراجعة جميع مواطنيه إلى نصوص قوانينه المدونة على المسلّة أو على النسخ الأخرى العائدة لها، إذ إن وضع نسخة واحدة لقوانين حمورابي دون وجود نسخٍ لها في المدن الأخرى يجعل من المستحيل على كافة مواطني المملكة العودة إليها عند الحاجة، كما أن الرقم الطينية التي تمّ العثور عليها في مدينة نيبور توحي إلى وجود نسخٍ أخرى لهذه المسلّة والتي ساعدت في إغناء النقص الموجود على مسلة حمورابي التي تم إزالة عدد من المواد القانونية منها» (كيبرا 1964: 95).

كان هذا الإجراء يتناسب مع السعة الهائلة للحكم والذي يوحّد المدن ودويلاتها السابقة في نظام قضائي واحد مكتوب بلغة الدولة المركزية وهي اللغة البابلية التي سرعان ما ستتحول إلى لغة عالمية في حدود القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية

احتلت العلاقات الخارجية مكانة مهمة في مسيرة الدول القديمة، وقد شهد تأريخ بابل على سعة علاقاتها مع الإمبراطوريات والدول المحيطة بها وخصوصاً في أيام مجدها واستقلالها، بل إن هذه العلاقات بدت وكأنها كانت تجرى تحت رعاية إلهية، حيث «لم تكن العدالة في التعامل ما بين الأفراد هي الهبة التي تقدمها العناية الإلهية فقط، فقد كانت العلاقات ما بين الدول أيضاً فيما يعرف بالقوانين العالمية أو البروتوكولات. فقد كانت الملوك والدول خاضعة لمشيئة الآلهة، أما إجراء المعاهدات والتحالفات ومعالجة الأمم المغلوبة والعلاقات ما بين الأتباع والأسياد فلم تكن تُعالج بشكل عشوائي بل طبقاً لقوانين يُفترض أنها تعكس الإرادة الإلهية، وبالنسبة للمعاهدات والتحالفات كان هناك عقود مكتوبة يتعهد بتنفيذها الفرقاء بناء على القسم أمام الآلهة» (ساغز 2008: 245).

وللتأكيد على قدسية العلاقات الخارجية كانت هناك طقوس دينية خاصة بإجراء المعاهدات منها:

1. لمس الخنجر كدلالة من الطرفين على القسم بالسلاح والذي يعدونه شرفاً لهم.

2. ذبح الحمار الكبير أو الصغير: ربما يكون هذا الطقس بسبب تشاؤمهم من الحمار ولونه الدال على الشرّ والقبح.

3. ذبح جرو الكلب.

4. تقديم غصن شجرة أو الخس.

5. مسك طرف ثوب القائد الأقوى في التحالف من قبل الطرف الأصغر أو الأضعف.

وكان من التقاليد اللازمة عند بدء مفاوضات التحالف بين طرفين متحاربين، أن تؤخذ بعض الرهائن لكي يكون هناك ضمان ملزم للجميع وقد يكون هؤلاء من الأسرى المهمين أو

من الموظفين الدبلوماسيين، وكان هؤلاء الرهائن يُقتلون، أحياناً، عند فشل مفاوضات التحالف.

ولعل أفضل ما يجب أن نذكره هنا ما عرف برسائل وأرشيف تل العمارنة الذي اكتشف في عاصمة الملك أخناتون المصري وهي أخيتاتون.

وكانت الرسائل تتبع الأسلوب البابلي في التراسل من حيث مكانة الملك، ثم تأتي التحيات اللازمة والسؤال عن أحوال الرعية عند الملك المصري. وكان يغلب عليها تبادل الهدايا، فكان ملك بابل يخاطب الفرعون «منذ أيام أسلافي وأسلافك، أعلنوا صداقتهم، وتبادلوا الهدايا الجميلة بعضهم لبعض، ولم يرفضوا أي شيءٍ جميلٍ....)، ثم يستطردا (... أرسل لي ذهباً أكثر، وأنت من ناحيتك أي شيءٍ ترغب به من بلادي اكتب لي وسوف أرسله لك..)» (الصالحي 2009: 367 ـ 368).

وكانت الرسائل تعكس المستوى الدبلوماسي للمتراسلين، وتضمنت طلباتهم من بعضهم باعتبارهم ملوكاً، وكانت المصاهرة بين الملوك أمراً مألوفاً، ويرى الباحثون المعاصرون أن «رسائل العمارنة تبرز حالة اللاتوازن بين مصر والقوى العظمى في آسيا (آشور، بابل، ميتاني، الحيثيين)، حاول فيها ملوك آسيا الحصول على الذهب والتماثيل من الفرعون، وكانت أساليب البعض منهم مذلّة! فقد لوحظ هذا في الرسائل البابلية كمثال بارز لهذا اللاتوازن، لأن ملوك بابل في أحسن الأحوال يذلّون أنفسهم وفي أسوأ الأحوال يستخدمون تعابير مبالغ فيها خصوصاً عندما يصفون أعمالهم العمرانية واستجاباتهم لطلبات الفرعون وكأنها ممارسات دبلوماسية، ومع هذا فإنهم كانوا بارعين وأسلوبهم ملتوياً في طريقة الحوار من أجل كسبٍ معنويّ أو الحصول على أفضلية أمام المحاور المصري، فقد مارس ملوك بابل أساليب عدة منها الاتفاقيات السياسية وإرسال رسائل سريّة وتقديم الهدايا أو المصاهرة، وفي أحيان أخرى حالة الغضب والتهديد بقطع العلاقات السياسية، وكلها ذات معنى واضح ومفهومٍ عند الفرعون» (الصالحي 2009: 378).

كان الإعلام والدعاية وسيلة من وسائل العلاقات الخارجية السلبية، وربما كانت تحقق نتائج ملموسة، فقد تسبق محاولات الغزو والاجتياح، فهي تستخدم التشهير بالملوك والبلاط لكي تحقق نصراً معنوياً تجتاح به العدو قبل بدء المعركة أو الغزو، ولعل أبرز ما شهدته بابل، في هذا المجال، ما فعلته بلاد فارس قبل إسقاطها للملك نبونائيد وبابل، فقد لجأت إلى «تشويه سمعة الملك البابلي من خلال التشهير به على لسان الكتبة الذين ذكروا في كتابتهم كلاماً بهيأة نثر وشعر مؤثراً في آذان المصغين له في كافة طبقات المجتمع، وفحواه أن الملك نبونائيد كان سيئاً للغاية بحيث إنه لم يقدم أعمال بر وإحسان وأظهروه على أنه دمر البنية التحتية لمدينة بابل من خلال غلق الطرق التجارية بوجه التجار وحرم الفلاحين من العمل في أراضيهم ولم يهتم بتنظيف الأنهار وإدامتها ونكل بالرجال البارزين في المدينة، وحتى الحياة الدينية للملك نبونائيد كانت عرضه للتشويه إذ وصفوا أعماله الدينية وفي مقدمتها الصلاة اليومية بأنها خاطئة وقد حول عبادة الآلهة مردوخ إلى حقد عليه لأنه كان يقوم بأعمال شريرة ضده في مدينة بابل، وأصبح سكان المدينة أناساً أحياء أشبه بالأموات عند ذاك أخذ الإله مردوخ يخطط لانتخاب ملك عادل يأخذ بيده في احتفالات رأس السنة البابلية» (الكرعاوي 2010: 5).

كانت الجزية تفرض على الشعوب والبلدان المحتلة، بل وتفرض على المشار الذي كانت تمرّ به الجيوش الكبيرة، وهو ما حصل، مثلاً، حين تحرك الجيش البابلي بقيادة نبوخذ نصّر لملاقاة ما تبقى من الجيش الآشوري، كما يصفها هذا النص البابلي:

«السنة العاشرة: استدعى نبوبلاصر، جيش أكد في شهر (أيارو) وسار به شمالاً (على العكس من تيار

إلا أنه فرض الجزية، hindanu وخندانو suhu النهر) بمحاذاة الفرات، فلم تقاتله شعوب بلدان سوخو

وسار نبوبلاصر عكسKablinu عليهم. في شهر آب تأهب الجيش الآشوري للمعركة في مدينة كابلينو

تيار النهر باتجاههم في اليوم الثاني عشر من شهر آب قام بهجوم ضد الجنود الآشوريين فتراجعوا أمامه، و(هكذا) لحقت بالآشوريين هزيمة منكرة فأخذت قوات نبوبلاصر العديد من الآشوريين كأسرى واستولوا

(أيضاً) على المانيين الذين أتوا إلى هناك (أي بلاد آشور) لمساعدتهم. وكبار موظفي الآشوريين في اليوم

نفسه استولى على كابلينو وفي شهر آب نفسه أرسل ملك أكد جنوده باتجاه مدن ماني

وقد حصلوا على الكثير من الغنائم وحملوا العديد من السكان balihu وباليخو sahiru وساخيرو mane

كأسرى (كذلك) فقد اقتادوا آلهتهم معهم، أقفل ملك أكد في شهر أيلول مع جيشه عائدين وفي مسيرته أخذ سكان مدينة خندانو وآلهتهم إلى بابل» (Openheim 1969: 303-304).& (Grayson 1975: 88)).

السفارات البابلية الدولية:

ظهرت شخصية السفير منذ العصر السومري، لكنها تطورت بوضوح في العصر البابلي بشكل خاص، **«Mar-Šipri»** مار-شيبري»، والذي يدل على الهدف من مهمة الرسول في ذلك الوقت، **«** المصطلح الأكدي ويعني مبعوثاً، ورسولاً، وسفيراً ودبلوماسياً، وعميلاً، ومندوباً، وتاجراً أيضاً وجميعها معاني ومترادفات صحيحة لمعنى ومفهوم الكلمة في سياقات معينة. ويدل هذا على أن الـ «مار-شبري»»

يمكن أن يفهم أنه رسول شرعي بسيط يحمل رسالة. كما تشير إلى أنه مبعوث أو سفير يمثل سيده لدى الحكام الآخرين، أو أنه شخص ينقل المعلومات بطرق مختلفة، وفي بعض الأحيان لا يقوم بنقل الرسائل فقط من وإلى، بل يقوم بدور المتحدث باسم سيده، ويعمل كجامع للمعلومات.

لذلك فإن التمييز بين الرسول والدبلوماسي غير واضح في بعض الأحيان لأنه يحمل بجانب الرسائل، بضائع «كهدايا» والتي تعد من الوسائل الرئيسية في الممارسات الدبلوماسية الدولية وبها يتم نقل تجارة الملك الخارجية، لذلك يعتبرون تجاراً بسبب كل هذه المهام. ويعد الـ «مار-شبري»الأداة الرئيسية في حلقة الاتصال بالمسافات البعيدة في مختلف نواحي الحياة».(حسان2006: 60)

ويبدو أن هناك عدة درجات للسفير(مار ـ شبري) منها السفير الشخصي وهو أقرب إلى الخادم الذي يحمل رسالة أو توصية لغيره، والسفير الخاص الذي ينقل رسالة مهمة محددة شفاهية ويسمح له بالحوار مع الطرف الآخر حول موضوعها، والسفير الرسمي الذي هو سفير الملوك والأمراء وعمله هو عمل دبلوماسي.

السفير هو العنصر الأساسي لفهم العلاقات الدبلوماسية بين بابل وجيرانها، وربما اتخذ صفة التاجر، لكنه كان يؤدي مهمته الدبلوماسية في وقتها، وكان إذا انتقل إلى البلاد الأخرى قام بالتجسس لصالح بلده، ويُختار، عادة، من بين من يعملون بالتجارة وبيع الهدايا ليتمكن من مهمته. وكان السفير أو الرسول يستخدم كمفاوض في أمور البلاد عن البلاد الأخرى ومنها الزواج الدبلوماسي. وكانوا يقومون بمهات خطرة في سفرهم ويتحدون الصعاب وقطاع الطرق ومن يتربص بهم، وكان منهم من يُقتل أو يؤسر. وكان الملوك يطلبون الحماية لسفرائهم من أشخاص متنفذين داخل القصور الملكية، وهذا ما فعله الملك حمورابي حين طلب توفير الحماية لمندوبيه من مدير قصر الملك زمري ـ لم فكتب له رسالة هذا نصها:

«إلى يخدن ـ لم أقول: هكذا يتحدث حموار بي، لقد أرسلت كتيبة إلى زمري ـ لم، كما تعلم، ويجب أن يتم تغطية هؤلاء الرجال طويلاً لبعد المسافة. لقد أرسلت هذه القوارب إلى زمري ـ لم لصالحه، وقواته وبخصوص مدينة رازاما وحصار الأعداء لحمايتها، استمر في إرسال معلومات لي، واجعل معلوماتك تصلني بصورة منظمة» (حسان 2006: 73).

وهذا يعني أن مندوب حمورابي كان مدير قصر الملك زمري ـ لم وسفيره في الوقت نفسه، ويطلب منه توفير الحماية لرجاله.

وكان للسفراء جوازات سفر على شكل ألواح مكتوب فيها صفته واسم سيده وعدد الجنود معه ونوع الحامية العسكرية. ولكن لم تكن هناك سفارات ثابتة كما هو معروف في أيامنا هذه «فكان الحاكم يقوم بإنزال السفير وحاشيته في القصر، أو في بيت شخص ما، أو مع أحد السكان الأصليين (نبتارو) والذي يكون مسؤولاً عن الأجانب الذين لهم علاقة بالملك وغالباً ما كانت زيارة الرسل والدبلوماسيين وحاشيتهم تقابل بالكرم، وتكون على نفقة الملك.فكانوا يتلقون كميات من الطعام والشراب مجاناً وتشهد سجلات المدينة ماري على جودة الأنواع المختلفة من المواد الغذائية، متضمنة النبيذ والعسل والزيت. هذا بالإضافة إلى أن تناول الطعام مع الملك (كما سبق القول) شرف عظيم يمنح لبعض الأفراد. فكان الملك كادشمان إنليل الأول (1374 ـ 1360 ق.م) يدعو السفراء المصريين ليأكلوا ويشربوا معها، وهناك اعتذار من الملك يورنابورياش الثاني (1359 ـ 1333 ق.م) للملك أمنحوتب الرابع (1372 -1355 ق.م)، لأنه قد أصيب بمرضٍ ولم يتمكن السفير من أن يأكل الطعام أو حتى يشرب النبيذ معه» (حسان 2006: 87).

المعاهدات البابلية:

1.المعاهدات الداخلية (في وادي الرافدين)

رغم استقلال الممالك والدول وبعض المدن عن بعضها، في وادي الرافدين، لكنها كانت تعتبر داخل بلاد منسجمة التكوين، إلى حدٍّ ما، في جانبها السياسي، وحتى في حالة الدولتين الآشورية والبابلية كان الأمر قريب الصلة بين مكانين داخل وادي الرافدين، ولذلك نعدّ المعاهدات بينهما في إطار المعاهدات الداخلية. ولعل أهم هذه المعاهدات هي:

1. معاهدة بين المللك الكاشي بورنابورياش الأول (كاردونياش) البابلي والملك الآشوري بوزور آشور الثالث (1521 ـ 1498 ق.م). وكان سبب عقد المعاهدة هو إقرار وضع

الحدود القائم وعلاقات أخرى بين المملكتين لكون الحدود بينهما ليس فيها موانع طبيعية، وهي غير ثابتة سياسياً بل متحركة حسب قوة أي من الدولتين.

2. معاهدة بين الملك البابلي الكاشي كراندش والملك الآشوري آشور بيل تشيشو (1449 -1411 ق.م)، وكان سبب عقدها بسبب خرق حصل للمعاهدة السابقة، ولذلك جاءت بترسيم جديد للحدود بين الدولتين.

3. معاهدة بين الملك الكيشي (لم يذكر اسمه) والآشوري (آشور -بالط (1365 ـ 1330 ق.م)، من أجل إنهاء الصراع الطويل بين الدولتين على الحدود، ويشترط فيها تزوج الملك الكيشي من ابنة الملك الآشوري لمزيد من الاستقرار.

«إن ما يدل على تعادل القوى السياسية بين الآشوريين والكشيين المعاهدتين الموقعتين بين ملوك الدولتين فالأولى وقعت بين ملك آشور المدعو «بوزر ـ آشور الثالث (1521 ـ 1498 ق.م) أول ملوك العصر الآشوري الوسيط، وملك بابل المدعو «بورنابورياش الأولى» الذي خلف أول ملوك الكشيين في بابل «أكوم الثاني» وقد عقدت هذه المعاهدة لتثبيت حدود البلدين في الخط المار بمنطقة سامراء، يظهر أن هذه المعاهدة أبرمت بين الطرفين بعد أن بلغ ملك آشور مبلغاً من القوة بحيث إنه أملى معاهدة السلم هذه على الملك البابلي بعد حرب خاضاها معاً كانت كفة آشور هي الأرجح فيها، حيث جاء في أحد النصوص العائدة لهذه الفترة ما يلي:(بوزر ـ آشور (الثالث)، ملك بلاد آشور وبورنابورباش (الأول) ملك كاردونياش، أقسما وثبتا بالذات الخط الحدودي هذا).أما المعاهدة الثانية فقد جاءت من عهد الملك البابلي «كارا ـ انداش» المعاصر للملك الآشوري «آشور ـ بيل ـ نشيشو» (1419-1411) ق.م. ومضمون هذه المعاهدة كان شبيهاً بمضمون المعاهدة السابقة حيث جاء في بعض مقتطفاتها ما يلي:((كارا ـ أنداش ملك كاردونياش وآشور ـ بيل ـ ناشيشو، ملك بلاد آشور عقدا في ما بينهما معاهدة وأقسما مع بعضهما فيما يتعلق بهذه الحدود)).» (سلمان 2007: 4).

2.المعاهدات الخارجية (بين بابل ودول العالم)

كانت المعاهدات تسمى ببلاغة تعبيرية باسم (لمس الحنجرة)، رغم أن لمس الخنجر كان أحد الطقوس الملازمة لعقد المعاهدات.

لم يتم العثور على النصوص الأصلية للمعاهدات والأحلاف السياسية التي عقدت بين دويلات عصر الأسر الأمورية المختلفة والتي يمكن أن تكون شفاهية، تعتمد على علاقات الملوك والحكام الشخصية، كما تشير وتلقي رسائل مدينة ماري، رسائل مدينة ماري إلى وجود.

تعتبر المراسلات الملكية المعروفة بـ (رسائل العمارنة) المكتشفة بمصر الوسطى، والتي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أهم الوثائق في هذا المجال، في تلقي الضوء على العلاقات الدولية التي كانت تربط دول الشرق الأدنى القديم، كما أنها تشير إلى أهمية اللغة الأكدية آنذاك واستخدامها كلغة دبلوماسية دولية وتحاول الدراسة إلقاء الضوء على تلك العلاقات الدولية خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد.

من خلال هذه المراسلات برزت كلمة سفير أو رسول، والسفر والانتقال والأخطار التي يتعرض لها خلال رحلاته، والامتيازات والحصانات التي يتمتع بها، والنظم الدبلوماسية التي يتبعها خلال رحلاته.

كانت العلاقات البابلية المصرية والعلاقات الميتانية الدولية مع مصر ومملكة إلالاخ، والعلاقات الآشورية البابلية والمصرية والأقاليم الأخرى، ثم الحيثييون وعلاقاتهم الدولية مع بابل ومملكة كيزوانتنا وبلاد عمورو.

يترتب عليها من النتائج كما برزت ظاهرة المصاهرات الدبلوماسية وما يترتب عليها من العلاقات السياسية، وهي ظاهرة مرتبطة بالزواج السياسي الناتج عن المعاهدات الدولية، فكانت العلاقات السياسية توثق بالمعاهدات الدولية وتقوى بالمصاهرات السياسية، وظلت هذه الظاهرة متبعة في جميع العصور، وعند جميع الشعوب.فضلاً عن الأثر الذي تركته هذه الظاهرة على السياسة الداخلية للبلاد، وعن دور هذه الظاهرة في توجيه سياسات

الشعوب، ونوع العلاقات الدولية المتأثرة بالزواج السياسي. وكان من هذا النوع من المعاهدات ما يلي:

1. معاهدة تبادل الصداقة بين الملكين البابلي (لم يذكر اسمه) والمصري (أمنحتب الثالث) التي تضمنت تبادل الهدايا بينهما، وكانت من نتائجها زفاف أميرة كيشية إلى الملك المصري، وقيام علاقة صداقة بينهما.

2. معاهدة ولي العهد نبوخذ نصّر البابلي مع الملك كي أخسار الميدي، من أجل تحالفهما على إسقاط الإمبراطورية الآشورية واحتلال مدينة آشور، وتتضمن بنداً واحداً ينصّ على زواج ابنة الملك الميدي (أوميت) من نبوخذ نصر، وتاريخها هو 612 ق.م.

3. معاهدة بين الملك البابلي نبونائيد والملك الفارسي كورش: وهي معاهدة صداقة بين الملكين وبلادهما، لكن هذه المعاهدة لم تمنع الملك الفارسي من الهجوم على بابل وإسقاطها.

طقوس إبرام المعاهدات:

كانت العلاقات الخارجية بين الدول مرعية من قبل الآلهة قبل الملوك، ولذلك أضفيت عليها القدسية التي تليق بها، فكان الجميع يرى أنها تعكس إرادة الآلهة، وتتطلب موافقة الإله، ولذلك كان إعلانها وإشهارها قراراً إلهياً، وكان الملك ينفّذ إرادة الآلهة ويستشيره عن طريق الفأل أو التنجيم أو الأحلام وتفسيرها. وقد عرفت مجموعة من المراسم والطقوس التي أخذت طابعاً مقدساً في هذا المجال وهي:

1. طقس لمس الحنجرة: وهو طقس رمزي يتطلب من رئيسي الطرفين المتعاهدين أن يلمسا حنجرتيهما سوية أثناء إبرام المعاهدة وأحياناً يتجدد ذلك سنوياً تأكيداً لاستمرارية المعاهدة، وربما كان ذلك يعني أن الطرفين يقسمان بحنجرتيهما أو رقبتيهما كنوع من القسم، وما زال بعض الناس يتعهدون لبعضهم بتنفيذ أمرٍ ما بلمس الرقبة والقسم بها، وقد

ورد هذا الطقس في رسالة بعثها (آن ـ أنام) حاكم أوروك إلى الملك البابلي (سين موباليط (1812 ـ 1793 ق.م) وجاء فيها:

«وينبغي أن تعلم أنه قبل أن يكون هناك سلام، ومستقبل طيب، لا بدّ من أخذ القسم المقدس، لذلك هناك طقس يسمى «لمس الحنجرة» إذ لا يمكن أن توجد ثقة متبادلة بدون ذلك، ويجب تجديد ذلك القسم المقدس بصفة سنوية» (حسان2006: 191).

2. طقس لمس الرداء: وهو طقس شائع وتكون من شروطه أن يقوم الجانب الأدنى في المعاهدة بمسك رداء الطرف الثاني أثناء إبرام المعاهدة وكأنه يعلن تبعيته له.

3. طقس ذبح الحمار: يلعب الحمار دور أضحية دينية، وربما اختير الحمار كدالةٍ على السفر والطريق، وهناك رسالة من السفير (لابال ـ بي ـ إل) إلى سيده الملك زمري ـ لم ملك ماري جاء فيها:

أقول إلى سيدى: هكذا الخادم "إبال بيل" لقد وصلنى لوح "إبال - أدد" من مدينة إشلاكو Aslakku وذهب إلى مدينة إشلاكو لـ«قتل الحمار» بين رجال Hanu ورجال Idamaras ولقد أحضروا جروا (ميرانوم)، وخسا(خاسو)، وإنى احتراماً لأوامر سيدى لم أرجع الجرو، بل اكتفيت بذبح الآتان.

وأقمت بذلك أسس الصداقة بين رجال خانو، ورجال إدى ما راز. وفى Hurra وكل بلاد إدى ما ارز كان رجال خانوهم البدلاء، كالمنتصر الذى ليس له عدو. لعل هذا يفرح سيدى. سيصل لوحى هذا إلى سيدى فى Rataspatum وسأصل إلى سيدى خلال ثلاثة أيام بعد لوحى هذا. إن المعسكر و Banu-simal (الشماليين) بحالة طيبة"(حسان 2006: 192).



ختم اسطوانة البابلية القديمة، من الهيماتيت، الملك يقدم ذبيحة لشماش. ربما تم صنع هذا الختم في ورشة عمل في سيبار

4. طقس أخذ الرهائن: كان مثل هذا الطقس يجري بين طرفين لدودين في علاقتهما، وكأن الثقة معدومة بينهما، حيث يحتفظ كل منهما برهائن من الآخر، فإذا ما فشل التوصّل لاتفاق يكون مصير الرهائن في خطر، فإذا قام أحد الطرفين بقتل رهائن الآخر فإن الطرف الآخر يفعل الشيء ذاته.

الفصل الرابع: المظهر القانوني



المبحث الأول: العدالة والدستور والقانون وتنظيم الدولة والمجتمع

العدالة هي تحقيق التوازن الموضوعي، وقد يكون تحقيقها وفقاً للقانون أو الإجماع المجتمعي أو المعايير المتوارثة، فهي تقضي بوجود المساواة بين الناس في المجتمع المحدد بمختلف طوائفهم وأعراقهم وثقافاتهم وانتماءاتهم.ويؤدي غياب العدالة إلى اختلال موازين المجتمع والتعدي على الغير ومصادرة حقوقهم وممتلكاتهم وأعراضهم

وحياتهم دون مبررٍ قانوني، وهو ما يؤدي تدريجياً لزوال الأمان المجتمعي بين الناس وهو ما ينذر بخراب المجتمعات والشعوب والأمم.

تقف العدالة بالضد من الظلم والتطرف، وتسعى لتحقيق الإنصاف والمساواة والتوازن وحماية المصالح الفردية والعامة وهي مفهوم أخلاقي يقوم على الحق والأخلاق، والعقلانية، والقانون، والقانون الطبيعي والإنصاف. نظريات العدالة متقاربة ولكن تطبيق مفاهيمها يختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر، العدالة تشبه القوانين الطبيعية ويسعى الإنسان لنشرها وتحقيقها في مجتمع غير متجانس الأهواء والمشارب.

المقياس الحقيقي في فلسفة العدالة هو قدرة القوانين على تجسيد روح العدالة ومضمونها، وقد تعززت العدالة في عصر حمورابي وشريعته معززة «بنظرة شمولية للعدل.فلم يقتصر العدل على الأفراد فقط بل أصبح يُنظر إلى العلاقات الدولية، من النوع المعروف حالياً بالقانون الإلهي، على أنها أسلوب للتعامل أمرت به الآلهة. إن هذا الفهم للعدالة يمثل الجزء الأعظم في الخطاب السياسي الذي اتسم به العصر البابلي القديم (2004 ـ 1595 ق.م) وخصوصاً فترة الملك حمورابي (1792 ـ 1750 ق.م)، لاحتواء الخطاب شمولية في فهم العدالة وتطبيقها على الكون. والتي تمثلت بالعلاقات الدولية، الأفق الذي عرفه العراقيون قبل غيرهم بتعميم العدل على المستوى الدولي فضلاً عن الاهتمام به داخلياً.» (الأعرجي 2008: 202).

كان إله العدالة في بابل هو الإله شمش، لأن أشعة الشمس لا تستثني أحداً ولا يمكن صدّها وحجبها وهي موزعة بالتساوي بين أهل المكان الواحد، ولأنها مستقيمة وتكشف أغوار الظلام والخفايا. ولذلك استلم حمورابي شرائعه من إله الشمس ووضع صورة لذلك أعلى مسلته. كان يسمى عند السومريين (أوتو) الذي ظل يستخدم مع اسم شمش عند البابليين، وكانت رموزهما قرص الشمس والدائرة والمستقيم.



إله العدالة شمش وهو يمسك برمزيه: الدائرة والمستقيم، ويعلوه رمزه قرص الشمس.

«لقد أشار الملك حمورابي في خطابه السياسي (الشريعة) إلى غاية القانون وحددها تحديداً دقيقاً وأكد كثيراً دون ملل على تحقيق العدل ورعايته، وإحقاق الحق وإنقاذ شعبه من الظلم والبؤس وقيادته في الطريق المستقيم الذي يوصل إلى تحقيق الغاية الأسمى التي هي توطيد العدل في البلاد والقضاء على الخبيث والشرير ونصرة الضعيف بوجه القوي وتعميم الخير على الناس معطياً بذلك صورة غاية في الروعة والحكمة والموضوعية في سرد مبررات تشريعية وفلسفية قل نظيرها في تحديد مفهوم متطور للعدل متلائم مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد، الذي سبق ظهور فلسفة العدل لدى اليونان بأكثر من ألف ومائتي عام.» (الأعرجي 2008: 203).

رغم أن مفهوم العدالة يبقى مثالياً، لكنه يتجسد في القوانين التي وضعها الإنسان بنسبة أو بأخرى، وحتى المفهوم الفلسفي للعدالة ينأى بعيداً عن واقع القوانين وتطبيقها لكن إمكانيات تلاقي كل هذه المستويات موجودة، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تتجسد كلّها

في تاريخ البشرية دفعة واحدة، لكن إنسان وادي الرافدين قام بوضع لبناتها الأولى في ما ظهر من قوانين سميّت بأسماء ملوكه أو مدنه.

التلاقي بين العدالة والآلهة يقضي بوجود آلهة متخصصة في هذا الشأن، ورغم أن الآلهة الكبار تتصف بصفة العدل لكن الإله شمش اختص بالعدل في بابل، وتعد عملية تدوين القوانين والإصلاحات أول خطوة عملية لجعل العدالة متجسدة بين البشر.

«إن الإيمان بالإله كمصدرٍ للعدالة يعد ركناً من أركان العقيدة السياسية وأساساً من الأسس التي تحققت بمقتضاها العدالة. فالعدالة كانت المبرر لوصول الملك لسدة الحكم، وكانت علامة تنصيبه أن يتسلم رموزها، وهي سبيله لنيل رضا السماء ولتنفيذ إرادتها. وقد جاهد العراقيون القدماء في الكشف عن العدالة وتحقيقها بطرق عدة منها إعادة صياغة القوانين بشكل يرضي الشعب، وتعديل القانون الإلهي أو المرسوم الملكي، واصلين من خلال ذلك القانون إلى حقيقة أن جوهر القانون هو العدالة. إذن العدل إحدى الفضائل الإلهية المودعة لدى البشر وعد واجباً إلهياً يجب تحقيقه في إعطاء كل ذي حق حقه أو ما هو واجب عليه، وبهذا الفهم قد مزج بين القضايا المتعلقة بالدنيا من جعلها إحدى فضائل النفس وبين القضايا المتعلقة بالحياة الأخرى المرتبطة بالآلهة وجعلها مرضية» (الأعرجي 2008: 206).

تقييد وضبط الدولة والمجتمع البابلي عن طريق العدالة والقانون:

لو تُرك المجتمع لأهوائه دون ضابط ورادع لسادت فيه قوى الشرّ والخوف والقتل والخراب ولصعب ظهور الحضارات والثقافات التي تبنيه وتحقق إنسانيته، وقد تمكنت مجتمعات وادي الرافدين منذ بداية حضاراتها من نسج وتشكيل ما يجعل العدالة حاضرة فيها وحاكمة لها، وحين ظهرت الحضارة البابلية كانت مجتمعات وادي الرافدين قد طوّرت نُظم العدالة الاجتماعية القائمة «على الثقة وسيادة القانون إلى درجة أن المقنن قضى بعدم الحاجة إلى جباة الضرائب لتحصيل الضريبة طالما أن النظام سائد في البلاد وأن المكلف مدفوعاً بشعوره العالي بالمواطنة لا يحتاج إلى من يطالبه بالضريبة المترتبة عليه وإنما هو

يدفعها من تلقاء نفسه. لقد تضمنت فترة العهد البابلي الحديث عدداً من المواد القانونية التي تعتمد مبدأ الثقة في معاملات الأحوال الشخصية، ومن أمثلة ذلك أن الزوجة إذا لم تكن قد خلّفت أولاداً ثم توفي زوجها فيجب أن يعطى لها جهاز من ممتلكات زوجها بقدر الجهاز الذي كانت قد جلبته معها عند الزواج، فإذا كان زوجها قد أوصى لها بهبة أو حصة من إرث فلها أن تأخذ الهبة أو الحصة إضافة إلى الجهاز الممنوح لها وحتى إذا لم تكن قد قدمت جهازاً عند زواجها، فإن القضاة سوف يحتسبون لها جزءاً من ممتلكات زوجها بما يتناسب مع ثروته. وأشارت المادة الثالثة من قوانين العهد البابلي الحديث إلى حالة الشخص الذي يحفر مستودعاً لإرواء حقله وأهمل تقوية جوانبه ومن ثم أحدث كسرة وأغرق حقل جاره فعليه أن يعوض صاحب الحقل المجاور الذي تضرر نتيجة لذلك بكمية من الغلال قياساً لما ينتجه الحقل المجاور لهذا الأخير. إن منطوق المادة الثالثة أعلاه يستخدم مبدأ النهي في أحكامه وعدم الغبن ومراعاة الحقوق.» (الذنون 1992: 109).

كانت التجاوزات الاجتماعية والجريمة منتشرة ولذلك سُنت القوانين. وكانت سبل ضبط الخارجين على القوانين تقضي بعقوبات كثيرة منها الموت أو الغرامة أو الحرمان من شيء، وكان السجن وسيلة من تلك الوسائل، ولكن السؤال الأهم هو هل وجد سجن كعقوبة وكيف؟ ونقول نعم وجد ولكن لم تكن هناك سجون نوعية للحجر والحجز، وكان سجن المجرم يجري بجعله عبداً طيلة فترة السجن أو حجزه في بيته أو في بيت الدائن أو صاحب الحق.

ولا بد، من أجل التحري عن تطبيق العدالة بشكلها الشامل، البحث عن معاملة الحيوان في المجتمع البابلي، وقد وجدنا أن الحيوانات الأليفة ذات الفائدة المباشرة من لحوم وألبان تجد أفضل الرعاية، ومثلها الكلاب الحارسة، لكن حيوانات النقل مثل الحمار كانت تعامل بقسوة، وكان الحصان يعامل بعناية باعتباره وسيلة للنقل السريع ومعيناً في الحروب، أما الحيوانات المتوحشة فكانت تقتل وقد يسجن بعضها لفترة ما.

أنظمة المحلّفين والتجربة والقسامة في القوانين البابلية

ظهرت في القوانين البابلية، وبشكل خاص في قوانين حمورابي، مجموعة من الأنظمة التي شكّلت ملمحاً بارزاً في مدونته، وهي:

1. نظام المحلفين Jure System «وتطبيقاته فقد تطرقت أكثر من خمس عشرة مادة في شريعة حمورابي موضوع البينة بالشهادة واستحلاف الشهود كوسيلة من وسائل الإثبات القضائي سواء في مجال الأحوال الشخصية أو عقود الأموال. لقد أتاحت المادة التاسعة في القانون المذكور لكل من المدعي والمدعى عليه أن يقدم شهوده للتعريف بالحاجة المفقودة وما إذا كانت حيازتها في يد شخص آخر قد جاءت عن طريق البيع أم السرقة، كما أوجبت الشهود الذين تم الشراء بحضورهم وكذلك الشهود المؤيدين للحاجة المفقودة أن يؤدوا اليمين على صحة إفاداتهم أمام الإله وقد عالجت الموضوع ذاته كل من المواد (10 ـ 11 ـ 13) في قانون حمورابي. أما في معاملات الأموال فإن (القرض) الذي يتم بدون شهود ولا يكون موثقاً بعقد يعد قرضاً باطلاً من الناحية القانونية ولا يمكن لصاحبه، أن يدفع به أمام المحاكم، كما اشترط المشرع البابلي أن يكون الإيفاء بالقرض أمام الشهود أيضاً كوسيلة من وسائل الإثبات.» (الذنون 1992: 99).

2. نظام التجربة: «الذي عرف لأول مرة في تأريخ البشرية في العراق القديم، فقد تطرقت شريعة حمورابي إلى هذا المبدأ فقد عالجت المادة الثانية من القانون جريمة السحر ـ وهو محرّم ـ وطريقة إثبات التهمة عن طريق الامتحان أو التجربة.. فالشخص المتهم عليه أن يذهب إلى النهر ويرمي نفسه هناك ليظهر براءته ـ لأن النهر مقدس ويعتبر هو الحكم بين الأطراف المتنازعة ـ فإذا غلبه النهر فيكون للمدعي الحق في الاستيلاء على بيت المتهم، أما إذا أثبت النهر أن هذا الشخص بريء وخرج منه سالماً فإن (المدعي) الذي اتهمه بالسحر يحكم عليه بالإعدام، ويلاحظ هنا أن المشرع البابلي شدد في القانون على جريمة الوشاية التي اعتبرها من الخطايا الكبرى حتى يمنع الاتهام الجزاف لما له من مخاطر كبيرة على مسار العدالة من جهة وعلى حقوق الأسرة التي ينبغي صونها من جهة أخرى ويكون للشخص الذي برأت ساحته وخرج سالماً من النهر أن يستولي على بيت (المدعي) الذي اتهمه جزافاً وباطلاً. وفيما يتعلق **بنظام (القسامة** Compurgation) فقد تضمن قانون

حمورابي في أكثر من إحدى عشرة مادة هذا المبدأ وهو مبدأ التزكية والتنزيه ويطلق عليه أيضاً مبدأ التطهير باليمين أو القسامة فقد برز في المواد (9 ـ 10-11 ـ 103 ـ 106 ـ 107 ـ 120 ـ 131 ـ 161 ـ 281) وقد أكدت المادة (281) على ذلك بشكل واضح ومباشر.» (الذنون 1992: 95).

المبحث الثاني: القوانين والشرائع البابلية

1.القوانين البابلية

لا شك أن التأسيس الأول للقوانين في وادي الرافدين كان سومرياً فمنذ إصلاحات أوركاجينا ثم جوديا ثم شريعة أورنمّو تأسست قاعدة صلبة لظهور تراث قانونيّ رصين بعد السومريين، ولذلك ظهرت قوانين وشرائع ومراسم قانونية منذ العصر البابلي القديم وصولاً للدولة البابلية الحديثة، مع ملاحظة أن جميع القوانين التي أتت بعد شريعة حمورابي ربما كانت استنساخات مدرسية لقوانين كاملة لم يعثر عليها بعد ظهرت في مختلف العصور البابلية.

يمكننا، إجمالاً، أن نضع، في هذا الجدول المبسط، أسماء القوانين البابلية، ثم نشرح بعض تفاصيلها:

1.قانون لبت عشتار(إيسن):

تعود هذه القوانين للعهد البابلي القديم في فترة الصراع بين إيسن ولارسا، وهي للملك الخامس من إيسن وهو لبت عشتار، وقد كتبت باللغة السومرية واحتذت قوانين شريعة أورنمو السومرية، وهذا مقطع من مقدمتها:

«عندما الإله آنو العظيم أبو جميع الآلهة والإله إنليل سيد جميع البلدان (و) مقرر المصائر اللذان يفرح المرء لبطولتيهما قد.... إلى الإلهة (نن سينا) ابنة الإله «آنو» الـ...... لجبهتها

المضيئة. عندما أعطاها ملكية سومر وأكد والحكم الجيد في مدينة «إيسن» التي ثبت أسسها الإله آنو. عندما آنو وإنليل دعيا «لبت عشتار) الراعي الحكيم، المنادي من قبل الإله «نوتام تر» لإمارة البلاد وتحقيق العدالة فيها ولمعاقبة الظالم ولرد العداوة وكل عصيان مسلح ولجلب الرفاهية للسومريين والأكديين. وبعد ذلك، أنا، لبت عشتار الراعي المتواضع لمدينة نفر والمزارع الضليع لمدينة أور والذي لم يتخل...عن مدينة أريدو والحاكم المناسب لمدينة الوركا، ملك «إيسن» وملك سومر وأكد. وأنا اللائق لقلب الإلهة «أيننا» وطدت العدالة في سومر وأكد وفقاً لأمر الإله إنليل. آنذاك (عندما) فرضت العبودية ظلماً على رقاب أولاد وبنات (= سكان) مدينة نفر وأولاد وبنات مدينة أور وأولاد وبنات إيسن وأولاد وبنات سومر وأكد، أعطيتهم راغباً حريتهم كهدية لهم. وبتوجيه جيد تركت الوالد يساعد أولاده وجعلت الأبناء يساعدون آباءهم وتركت الآباء لا يتخلون عن أبنائهم وجعلت الأبناء لا يتخلون عن آبائهم. في بيت الوالد وفي بيت الأخ..... أنا لبت عشتار ابن الإله إنليل قد جلبت «السبعين» إلى بيت الوالد وإلى بيت الأخ وإلى بيت الأعزب. لقد جلبت.... لعشرة شهور.... زوجة الرجل، ابن الرجل». (رشيد 1973: 39 ـ 40).

2.قانون بلالاما (أشنونا):

سبقت شريعة حمورابي بأكثر من نصف قرن، وكانت فرادتها أنها لم تقلد الشرائع التي سبقتها فقد كانت مبتكرة وجديدة وشكلت أساساً من أسس الشرائع البابلية، تبدأ بتحديد زمنها بحادث فتح مدينة (صوبور شمش) من قبل أهل أشنونا، ثم يسرد أسعار الشعير والزيت والصوف وغيرها، وتمضي قوانين تحديد أسعار تأجير المركبات والقوارب، ثم المواد الخاصة بالعمال الزراعيين وأجرة الحمير، وأعمال المخالفين للقانون... إلخ.

المواد من 26 -29 الخاصة بالخطوبة والزواج:

«المادة 26: إذا تقدم رجل للخدمة في بيت العم (أي بيت أبي خطيبته أو زوجته) ولكن عمه استعبده وأعطى ابنته إلى (رجل) آخر، فعلى والد البنت أن يُرجع المهر الذي قبضه مضاعفاً.

المادة 27: إذا أعطى رجلٌ لابنة رجلٍ مهراً ولكن رجلاً آخر خطفها ودخل بها (افتضّها) بدون موافقة أبيها وأمها.فهذه قضية (قتل) نفسٍ، ويجب أن يموت.

المادة 28: إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وأمها، ولم يقم وليمة ليلة الزفاف، ولم يكتب (بذلك) عقداً مختوماً مع أبيها وأمها فلا تكون (هذه المرأة) زوجة شرعية حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة.

المادة 29: ولكن إذا أقام وليمة ليلة الزفاف، وكتب العقد مع أبيها وأمها، ودخل بها فإنها (في هذه الحالة) زوجة شرعية.يوم يقبض عليها في حضن رجلٍ (آخر) يجب أن تموت ولا تستمر في الحياة.» (رشيد 1973: 44 ـ 45).

3.شريعة حمورابي:

هي أقدم وأكمل شريعة قانونية في التأريخ القديم، وتمثل الذروة الناضجة للجهد التشريعي الذي يشير لتطور وتقدم المجتمع والحضارة البابلية رغم أن تأريخها يعود لبداية تأسيس بابل وأسرتها الأولى، فقد كانت الصياغة النهائية لها في عصر حمورابي.

سجل حمورابي هذه القوانين على مسلة كبيرة من حجر الديورانت الأسود، طولها 225 سم، وقطرها 60 سم. ولا شك أن شريعة حمورابي اعتمدت على الشرائع الرافدينية التي سبقتها والتي كانت بمثابة المراجع لها، لكنها لم تكن جمعاً وتنقيحاً لها، بل كانت إعادة صياغة خلاّقة ونوعية لها، بحيث إنها عدّلت وهذّبت هذه القوانين بما يتناسب مع زمنها وطبيعة المجتمع البابلي، فقد حذفت المواد التي لا تنسجم مع مصلحة الدولة والسياسة، وأضيفت مواد أخرى لم تكن موجودة في القوانين السابقة.

وكان العيلاميون قد نقلوها من بابل إلى عيلام (سوسة) حوالي عام 1100 ق.م. مع ما نقل من غنائم الحرب آنذاك حين قام سوتروك ناخونتي بغزو بابل، ولذلك وجدت في مدينة

سوسة عاصمة عيلام، أثناء حفريات البعثة التنقيبية الفرنسية (1901-1902). وهي موجودة، الآن، في متحف اللوفر الفرنسي.

تنقسم مسلة حمورابي إلى الأقسام الآتية:

1.صورة الإله شمش وحمورابي:

في أعلى هذه المسلة نقش بارز يمثل الإله شمش إله العدالة وهو يملي شريعته على حمورابي الذي يظهر واقفاً في خشوع للدلالة على أن نصوص الشريعة هي من كلام الإله.



Law Code of Hammurabi

مسلة قوانين الملك البابلي حمورابي، متحف اللوفر

هذه الشاهدة البازلتية التي شيدها ملك بابل في القرن الثامن عشر قبل الميلاد هي أكمل خلاصة قانونية في العصور القديمة موادها القانونية أقدم من قوانين الكتاب المقدس.
وكان قد تم نقل النصب التذكاري سوسة من قبل أمير من دولة عيلام المجاورة في إيران في القرن الثاني عشر قبل الميلاد

2.مقدمة الشريعة:

شغلت المقدمة حوالي خمسة حقول، وتطرق فيها حمورابي للأسباب التي دعته لوضع شريعته، وأهمها نشر العدل في البلاد نيابة عن الآلهة.

3.متن الشريعة:

يقول ول ديورانت: إن هذه القوانين رتبت ترتيباً يكاد يكون هو الترتيب العلمي الحديث فقسمت إلى قوانين خاصة بالأملاك المنقولة، وبالأملاك العقارية، وبالتجارة، وبالصناعة، وبالأسرة وبالأضرار الجسمية وبالعمل. إن هذه القوانين تكون في مجموعها شريعة أكثر رقياً وأكثر تمدناً من شريعة آشور التي وضعت بعد أكثر من ألف عام من ذلك الوقت، وهي من وجوه عدة لا تقل رقياً عن شريعة أي دولة أوربية حديثة.

«تناول قانون حمورابي موضوعات التأكيد على العناية بالزراعة والبستنة وأهمية الاهتمام بالإنسان باعتباره قيمة عليا في المجتمع. وفي المحاكم وفي حالة الادعاء يجب على المدعي إحضار الشهود الذين يثبتون ادعاءه بالوقائع، لذلك ركز على أهميتهم في المحاكمات وخطورة الاتهام زوراً. وقام بتحديد دور القاضي في إصدار الحكم وواجباته والعقوبات المترتبة على تراجعه عن الحكم الذي يصدره وأن يكون قاضياً عادلاً وليس مرتشياً. ونظّم قانون حمورابي أيضاً أمور التجارة والديون ومشاكل بناء السفن وشؤون الملاحة والرهائن وبناء البيوت وإيجارها واهتم بشؤون الطب البشري والبيطري كما تناول وضع العبيد وأحوالهم المعاشية وحدد دورهم في المجتمع.. وقام بتثبيت أركان الأسرة ووطد دعائمها. وحدد أوضاع التبني واقتسام الإرث ومركز المرأة الاجتماعي وحقوق الأرملة ودور الطبيب وأهميته وأجره وحذّر من مخاطر الخيانة بشتى طرقها وأنواعها ونظم أمر الخدمة العسكرية وأكد على ضرورة أدائها. وركز أيضاً على ضرورة المحافظة على أملاك الدولة والمعابد والملكية الفردية وحدد العقوبات المترتبة على السرقة، وقام بتثبيت مقدار الأجر اليومي للعمال والفلاحين والحرفيين، وحدد دور بائعي الخمور وأوضاع الحانات.» (الذنون 1992: 90 ـ 91).

وضع حمورابي قوانينه وكان عددها (282) مادة نقشت بشكل أعمدة بلغ عددها (51) عموداً باللغة البابلية وبالخط المسماري. وهي مقسمة إلى 12 قسماً تشمل مواداً قانونية محددة تعالج نوعاً معيناً من المشاكل والحالات القضائية، وكما يلي:

لا شك أن ظهور هذه القوانين كان نقلة نوعية في تأريخ البشرية كلّها، فهي أول محاولة كبيرة وواسعة المدى توضع فيها هذه القوانين انطلاقاً من حالات ومشكلات الواقع، ومع ذلك كان هناك من يرى فيها نقصاً وعوزاً فهناك أمور كثيرة كان يجب أن لا تهملها الشريعة، «الحقيقة أن قوانين حمورابي ليست شريعة بالمعنى المعتاد للكلمة. إذ هي لا تحاول أن تغطي جميع الحالات الممكنة. فكثير من الحالات المحذوفة ذات أهمية عظيمة، ومحاولات تنظيمها قليلة جداً. لقد كانت مهمة حمورابي إصلاح القوانين الموجودة، وهذا ما فعله من خلال سلسلة من التقويمات والتبديلات. والتعليق على هذه القوانين صعب جداً ما دام لا يُعرف إلّا القليل عن القانون البابلي السابق لوجود قوانين حمورابي. تتألف هذه القوانين ظاهرياً من سلسلة مختلطة من القرارات اتخذها قضاة في حالات مستقلة. وليس هناك ما يدعونا للافتراض بأن لهذه القرارات أية سلطة كحجج قانونية مُلزمة لأحكام تالية كما في القانون الإنكليزي. إن قوانين حمورابي ليست شريعة للمملكة بل هي شبيهة بقانون الدعوى الفردية الإنكليزي التي تقر مبدأ يُحتذى به. إنها تضع ما كان حمورابي يرغب بوضعه ألا وهو قانون الأرض. ولم يكن النص المكتوب للقانون مُلزماً ولا بأي معنى من المعاني، وإنما كان مجرد مذكرة تسجل قراراً يعتمد على المفاهيم البابلية للعدل. فلا وجود لسجل لأي أحكام قائمة على أوصاف تطبيقية مكتوبة أو مسائل إجرائية.»(مجموعة من المؤلفين، المقدمة: 10 ـ 11).

4.الخاتمة:

يذكر فيها أهمية أحكامه العادلة، ويذكر ألقابه وحب الآلهة له.

5. الوصايا:

وهي الوصايا والنصائح الموجهة للآخرين وتحذيرهم من عدم المساس بشريعته، ويعدد لعنات الآلهة لكل من يفعل ذلك.



شمش وحمورابي

الطرق التي استخدمت في التعرف على المواد الممسوحة أو المتآكلة من قانون حمورابي:

قام العيلاميون، عند نقلهم لمسلة حمورابي، بمسح حوالي 33 مادة قانونية مكتوبة في 7 أعمدة، وهناك العديد من الفراغات الممسوحة في الشرائع التي سبقتها، ولذلك بذل الآثاريون جهوداً كبيرة في وضع قوانين رديفة في هذه الفراغات معتمدين على المدونات المسمارية القانونية التي كانت تعتمد في كتابتها على القوانين والقواعد العرفية السائدة،

كما أنها كانت تحدد حقوق وواجبات أطراف العقد وهي وسيلة الإثبات عند النزاع بين الأفراد، كمعاملات البيع والإيجار والوصايا، والمعاملات المصادق عليها بالشهود. والنصوص المدرسية التي هي ألواح النسخ المكتوبة لأغراض الدراسة وهي لا تمثل النسخ الأصلية للقوانين، أي أنها أعدت لطلاب القانون لتعليمهم المصطلحات القانونية والعقود القانونية كنوع من التمارين. وهناك الكتابات والنقوش الموجودة على جدران المعابد ومداخلها، وهذه الكتابات والنقوش في الواقع أمر بكتابتها على جدران بعض المعابد والقصور والمحلات العامة أو مداخلها، وهناك إعلانات هبة الأراضي من قبل الملك لبعض الأشخاص، وسندات ملكية المعابد والقصور والقرارات القضائية وجلسات القضاء، ودعاوى الاستماع لشهادة الشهود.

12 ميزة إيجابية لشريعة حمورابي

12 ميزة سلبية لشريعة حمورابي

أثر شريعة حمورابي على شريعة التوراة

قام الباحث العبري «دافيد هينرمس موللر «بترجمة هذه القوانين للعبرية، وقارن بينها وبين شريعة موسى، وأحصى «يوهانس يرمياس «أربعة وعشرين حكماً مشتركاً بين قوانين حمورابي وشريعة موسى خاصة بالعبودية والأسرة، وظلم الإنسان، وسرقة البقر، والثور النطاح، والسرقة في السر، وأحكام الوديعة وأحكام سرقتها، وأحكام المعاشرة، واحترام الأب.

راجع دائرة المعارف الكتابية جـ 3 ص 174 وزالمان شازار ـ تاريخ نقد العهد القديم ص 160، والأب سهيل قاشا ـ أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية.

انظر (الأسود 1984: 290 ـ 297)، (قاشا 2011: 199 ـ 202)، (سالم 2011: 273 ـ 275).

4.مرسوم أميصادوقا:

«إشارات لها في بعض الوثائق القانونية الخاصة المعنية. يُمثل مرسوم أميصادوقا، وهو الحاكم العاشر من أسرة حمورابي في بابل (1646 ـ 1626) ق.م. النص الرئيسي الأساسي الباقي لمرسوم من هذا النوع. أما النص الآخر المعروف فهو ليس إلا جزءاً من مرسوم مشابه أصدره سامسويلونا Samsuiluna (1749 ـ 1712) ق.م وهو الجد الأعظم لأميصادوقا. وهناك من الأسباب الموجبة ما يدعونا للاعتقاد بأن أنظمة الشرائع الأولى كشريعة أور ـ نمو وشريعة لِبت ـ عشتار وشريعة مملكة اشنونا وشريعة حمورابي العظيمة قد ضمت، نصوصها المعلنة على الأقل، بعضاً من نصوص أو أحكام الـ Misarum. ومن المحتمل أن لا يكون نقش «الإصلاح» المشهور الذي أصدره أوركاجينا، آخر ملوك لكش من عهد الأسر الأولى، سوى نصٍ قريب الشكل من الـ misarum.»

(النص):

«1. لوح {المرسوم الذي كان على الأرض أن تستمع إليه} عندما تعطف الملك على الأرض بميشاروم.

2. يسامح المتأخرون من وكلاء المزارع والرعاة Susikku و(وكلاء) المقاطعات وأتباع التاج الآخرين، عن سداد ديونهم الموثقة وكمبيالاتهم. ويمكن أن لا يتقاضى الموظف الجابي إتاوة التاج عن ديونهم.

3. على الموظفين الجباة أن لا يطالبوا {...} «سوق» بابل و«أسواق» الريف وموظف الـraibanum الـ... في اللوح يدفع ديونهم المستحقة على الأراضي التي عفا عنها الملك بدءاً من (= العام الحادي والعشرين لأميديتانا Ammiditana) وحتى شهر نيسان من عام أميصادوقا Ammisaduqa الملك، الذي عظم من شأنه إنليل، والذي نهض بصمود وساد على بلده وأقام العدل بين الرعية بكافة فئاتها (=السنة الأولى لأميصادوقا) وذلك لأن الملك تعطف بميشاروم للأرض.

4. كُلّ من قدم شعيراً أو فضة لأكادي أو عموري كقرض بفائدة أو على أساس melqetum الضريبة {أو...} أو قام بتسجيل مستند ـ يعد مستنده لاغياً لن يكون قادراً أن يحصّل شعيراً أو فضة على أساس مستنده، لأن الملك ترأف وأصدر ميشاروم للأرض.»(مجموعة من المؤلفين1993: 141-142).

5.رقيم سوسا:

يعود هذا الرقيم القانوني لمجموعة من العقود التي تعود لزمن الملك البابلي العاشر من الأسرة الأولى أميصادوقا، وقد كانت سوسا مسكونة بشعب ساميّ الأصول، ولذلك جاءت باللغة الأكدية، والرقيم يتحدث عن امتلاك العقارات:

«الرجل الذي يملك عدة دورٍ وملحقاتها فإن رغب حيازة..... يجب أن لا يأخذ..... أو يملك (أي شيء) آخر... فإن رغب حيازة الـ.... لداره وملحقاتها، عليه أن لايأخذ....

إذا تزوج مواطنة من سوسا، عليه أن لا يأخذ دار العبد وملحقاتها وعليه أن لا يأخذ دار المرأة وملحقاتها.» (رشيد 1973: 145).

6.سلسلة أنا ـ إتّيشو:

وهي سلسلة من القوانين التي ظهرت ضمن المعاجم اللغوية القديمة من فترة العهد البابلي القديم، وبعضها تتحدث عن عقوبة جراء كلام يتنافى مع الأعراف العامة:

«المادة 1: إذا قال ابن لأبيه: (أنت لست أبي) عليه (أي الأب) أن يحلقه ويضع علامة العبودية عليه ويبيعه.

المادة 2: إذا قال ابن لأمه: (أنت لستِ أمي) عليهم أن يحلقوا نصف شعر رأسه ويقودوه داخل المدينة (ليكون عبرة لغيره) ويطرد من البيت.» (رشيد 1973: 143).

7.القوانين الكاشية:

دونت على رقيم طيني وصلنا تالفاً في جزئه الأكبر، وهي تعود على الأغلب إلى العصر الكاشي (1465 ـ 1176) ق.م، وهي تؤكد على قوانين الشراء والبيع والوديعة والضرائب.

«المادة 5: (دفع) الحبوب من أجل ضريبة الغلّة ودفع الحبوب من أجل نصف ضريبة مدينة سوخوم قد أرسلت. لأن الملك قد وطّد النظام للبلاد وأنه سوف لا يجمعها وسوف لا يستدعي للمحكمة جنود مدينة سوخوم من أجل ضريبة دورهم.» (رشيد 1973: 147).

8.القوانين البابلية الحديثة:

تنقسم هذه القوانين الخمسة عشر إلى قسمين رئيسيين، الأول يتعلق ببيع الحقول والبيوت والإماء من المواد (1 -7). والثاني يتعلق بفقرات عن الزواج. ونقتبس نموذجاً من القسمين:

«المادة 5: الرجل الذي يختم رقيماً طينياً (=عقداً) بخصوص حقلٍ أو بيتٍ أو (ختم) وثيقةٍ باسم أي شخص كان ولكنه لم يعمل وكالة بذلك ولم يحتفظ بنسخة من الرقيم الطيني (العقد) فالشخص الذي كتب باسمه الرقيم الطيني (العقد) والاتفاق سوف يأخذ الحقل أو البيت.

المادة 6: الشخص الذي باع عدة إماءٍ مقابل نقودٍ، وظهرت بعد أخذهن دعوى ضدهن، فعلى البائع أن يعيد إلى المشتري النقود كاملة وحسب الاتفاق، فإذا ولدن أطفالاً عليه أن يدفع نصف الشيقل من الفضة لكلّ واحد (من الأطفال).

المادة 9: الرجل الذي وعد بجهازٍ لابنته أو كتب لها (بذلك) رقيماً طينياً (عقداً) وبعد ذلك تناقصت ملكيته، عليه أن يعطي بنته جهازاً يتناسب مع ما تبقى من ملكيته، ولا يجوز للحمي (والد العريس) ولا للختن (العريس) أن يغيّرا بنود اتفاقهما.

المادة 10: الرجل الذي أعطى جهازاً لابنته، والبنت (=الزوجة) لم تلد ولداً أو بنتاً ووافاها الأجل يجب أن يعود إلى بيت والدها....» (رشيد 1973: 149 - 50).

الفصل الخامس: المظهر العسكري

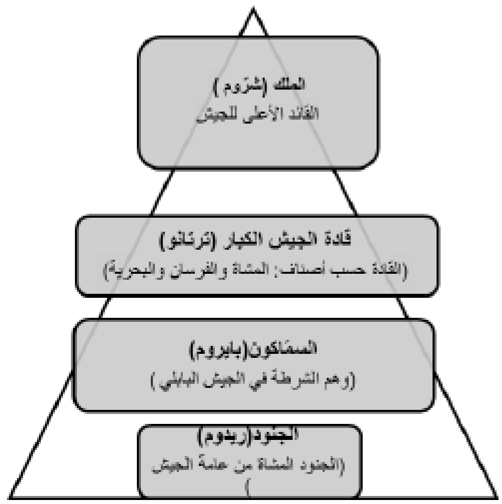


المبحث الأول: النظام العسكري والأسلحة

أولاً: الهرم العسكري

الجيش (أوجنم، أوكَنم) UGNIM ويبدو أن أصلها ، كما ذكرتها المصادر المسمارية ، باللغة البابلية ومن معنيين لكلمة بابلية واحدة وهي (أوجو) التي تعني (القوة) و(الموت)، ومنه اشتق اسم الموظف العسكري الكبير وهو (أوكَلامارتو) وهي تشير لمراقبة أو الإشراف على الأموريين.

كان الجيش البابلي الحديث ينمو، على هيأة الجيش الآشوري، والترتيبات والمكونات العسكرية والتغذية العسكرية، ولكنه لا يشابهه في الجانب الحربي البحري والأساطيل الحربية، فقد كان الأسطول البحري الآشوري ضعيفاً بسبب بعد السواحل البحرية عن آشور.



الهرم العسكري البابلي

Babylonian Military Hierarchy

مكونات الجيش البابلي:

1.الملك (القائد الأعلى للجيش):

يأخذ الملك صفة القائد الأعلى للجيش وخصوصاً في أيام الحروب والمنازعات.وحتى في السنين الخالية من الحروب فقد «كان الملك، لاستتباب الأمن في بلاده، وإخضاع الشعوب لسلطانه، يؤلف كل سنة جيوشاً يختار قوادها من كل عاصمة من عواصمه، تعسكر خارج كل مدينة. ثم يعين لكل إقليم حاكماً من المخلصين له. وهذه الجيوش تسرَّح كل سنة إلى أوطانها ليقوم غيرها مقامها. وهكذا كانت الشعوب المختلفة مضطرة إلى احترامه لأن

الجيوش كانت تعسكر على مقربة منها مستعدة دائماً لتأديبها. وكان هذا التجنيد السنوي المتجدد لا يسمح للقواد والجنود أن يتعارفوا لقصر المدة. فيأمن الملك كيدهم له وخروجهم عليه. ومن أولئك القواد تعين للبلاد ولاة يفصلون في شؤونها المختلفة من دينية وإدارية وقضائية وغير ذلك»(لوبون 2017: 76).

2.قادة الجيش الكبار:

1.ترتانو (شاكّينا بالسومرية) (الآخر): القائد الأعلى للجيش.

2.راب شاكّا (كبير السقاة): يشرف على تمويل الجيش بمياه الشرب.

3.ناكّر إيكالي (منادي القصر): الدعوة للخدمة العسكرية.

4.أبركو (الضابط المالي): المسؤول عن مرتبات الجيش.

5.سوكالو: المسؤول القانوني.

6.راب موكي: كبير ضباط الخيالة والعربات.

7.راب كيسر: آمر سرية (يقود 100 جندي و50 عربة).

9.راب أبولاتي: مسؤول الحراسة.

10.راب آسي: كبير أطباء الجيش.

11.راب زماري: ضابط الموسيقى العسكرية.



قائد عسكري كبير من بابل

https://www.deviantart.com/brett-neufeld/art/Babylonian-Giant-682065726

3.البايروم (السمّاكون، الشرطة):

كانت مهنة صيد السمك وبيعه مهنة رفيعة ولذلك كانت مصدر سوق للشرطة وبهذا ارتبط اسم الشرطي بالسمّاك واسمه في البابلية (بايروم).

4.الريدوم (الفلاحون، الجنود):

وهي من الفقراء والفلاحين ومن طبقة المشكينوم، والفلاحون أقلّ منزلة من السماكين اجتماعياً، وهم وقود الحروب في كل زمان ومكان.

كانت العادة، في أيام الاستعداد للحرب، أن يتم الطلب من الطبقات العامة في المجتمع أن ينخرطوا في القوات المسلحة في نمطين من المكلفين بالحرب هما الشرطة لحماية الأمن

الداخلي وضبطه وكانت تتم عبر فئة السمّاكين ويسمون حينها بجنود البايروم، ربما لأن لهم القدرة على توفير الطعام الأكثر شيوعاً بين البابليين وهو السمك، وأما الجنود (ريدوم) فكانوا هم الكثرة الكاثرة من القوات المسلحة فيتم تجنيدهم من الطبقات العامة وأغلبهم من طبقة (مشكينوم) الاجتماعية، وإذا تهرب البايروم أو الريدوم من الخدمة العسكرية أو حاولوا استئجار غيرهم فسيعرضون نفسهم لعقوبة الإعدام. وكان هؤلاء العساكر يتقاضون راتباً رمزياً من الطعام والمؤونة وبعض الشيقلات من الفضة، وكانوا يودعون حقولهم وبساتينهم لأبنائهم الذين بإمكانهم إدارتها وممن لم يشملهم السوق العسكري، أو للرجال الذين لا يشملهم التكليف بخدمة العلم لكي يعملوا بها ويعيلوا عائلات المحاربين، وعليهم، الأبناء أو هولاء الرجال، إرجاع تلك البساتين والحقول لهم بعد عودتهم من الحرب أو من الأسر (في حالة أسرهم).

أما إذا كان ابن المكلف العسكري، من الريدوم أو البايروم، قاصراً ولا يستطيع أن يقوم بواجبات والده فيسلم ثلث الحقل والحديقة لوالدته وعلى والدته أن تقوم بتربيته.

لكن قوانين حمورابي كانت شديدة القسوة على من لا يتقيد بمثل هذه التعليمات، فحين يهمل البايروم أو البايروم حقله وحديقته وبيته، ولا يسلمهما لأحد يديم إنتاجهما ويظل غائباً، فحينها سيتملكهما شخص آخر أثناء غيابه حقله وحديقته وبيته، فإذا قام هذا بواجبه ثلاث سنوات، ثم عاد صاحب الحقل والبستان وطالب بحقله وحديقته وبيته فلا تعاد إليه، بل يحتفظ به الشخص الآخر الذي أخذها وقام بواجبه وعليه أن يستمر بالقيام بهذا الواجب. أما إذا عاد بعد سنة فتعاد له ممتلكاته وعليه أن يقوم بأداء واجبه فيها.

ونستدل من هذا أن الفلاحين والمزارعين عليهم نوع من الرقابة في أداء واجباتهم نحو أرضهم المزروعة ولايجوز لهم إهمالها في أوقات السلم أو الحرب وإلّا سيتعرضون للعقوبات ومنها سلبها منهم.

وهناك حالات استثنائية، في مثل هذه الأمور، منها إذا دفع تاجر فدية عن ريدوم أو بايروم للذي أسر أثناء الحرب، ثم عاد من الأسر فعليه ان يدفع ثمن الفدية إذا وجد في بيته ما

يعادلها، أما إذا لم يجد في بيته ما يفتدي به فيجب أن يفتديه معبد إله مستوطنته (أي المعبد المحلي الذي ينتمي له)، وإذا لم يوجد شيء في معبد إله المستوطنة ليفتدي به فعلى القصر أن يدفع فديته، ولا يحق له أن يعرض حقله وحديقته وبيته كثمن مقابل الفدية.

ومن قوانين السوق العسكري الصارمة أثناء الحرب أن رئيس الوحدة العسكرية وهو رئيس العرفاء (ديكوم) أو العريف فيها (لوبوتوم) قبلا بأن يتم تسويق رجل أجير أو عامل لا قيمة اجتماعية له بديلاً عن المشمول بالخدمة العسكرية في الحرب فستكون العقوبة صارمة جداً ضد هذا الرئيس عرفاء أو العريف وهي الإعدام. وينفّذ الإعدام أيضاً بحق العريف ورئيس العرفاء إذا سرقا أدوات منزل المكلف بالخدمة العسكرية أو أهملا حقه أو أخذا منه منحة الملك في مقابل خدمته العسكرية وأجبراه على الصمت أو التنازل عن حقه.

كانت القوانين تحمي المكلفين بالخدمة العسكرية، من الريدوم والباريوم، وخصوصاً في أموالهم وممتلكاتهم، فعلى سبيل المثال إذا ابتاع رجل ماشية أو غنماً من يد ريدوم كان الملك قد أعطاها له فإنه يفقد فضته. وإذا كان حقل وحديقة وبيت الريدوم أو البايروم تابعاً للإقطاعي فهو غير قابل للبيع. وكذلك إذا ابتاع رجل حقلاً أو حديقة منهما أو كان ملكهما تابعاً للإقطاعي فتتلف وثيقته ويفقد أيضاً فضته ويجب أن يعاد الحقل أو الحديقة أو البيت إلى صاحبه. ومنع القانون أن ينقل الجندي أو الشرطي ممتلكاته التي حصل عليها مقابل خدمة قام بها أن ينقل ملكيتها إلى اسم امرأته أو ابنته أو أن يعطيها مقابل دين عليه. ولكنه يحق له أن يسجل باسم زوجته أو ابنته حقلاً أو حديقة أو بيتاً كان قد اشتراه أو تملكه بطريقة ما وكذلك أن يسدده مقابل دين عليه.

وإذا اقتنى رجلٌ، بالمبادلة، حقلاً أو بستاناً يعود إلى جندي أو شرطيّ أو المزارع التابع لإقطاعيّ مقابل أرض أخرى وأعطاه لهما، ودفع الفرق مبلغاً لهما، فعلى الجندي والشرطي، ريدوم وبايروم، أن يعود إلى حقله أو حديقته أو بيته ويستطيع أيضاً أن يحتفظ بالفرق الذي دفع له.

هكذا نجد أن قوانين حمورابي أنصفت المكلفين بالخدمة العسكرية، من الشرطة والجنود، وخصوصاً في أيام الحرب والدعوة للخدمة العسكرية، وقيّدتهم، في الوقت نفسه، بأن تظل بيوتهم وبساتينهم عامرة ومزدهرة لكي لا يتأثر المجتمع اقتصادياً بنتائج وتبعات الحرب والتجنيد العسكري للشعب.

5. الفرسان:

وهم الضباط والجنود الذين كانوا يشكلون فصائل الجيش التي تستعمل الحيوانات (البغال والحمير في العصر البابلي القديم، والخيول في العصر البابلي الحديث).



رسم لفارس بابلي

6.الأسطول البحري:

لا نعرف إلا القليل عن الأسطول البابلي. ولا يبدو أنه قد شارك في الدفاع عن البلاد في غزو كورش الفارسي، لكن هناك من الأخبار الواردة من عصر نبونائيد والتي تذكر تمويله الغذائي من المخزن الملكي البابلي.

في الإجمال استفاد البابليون مما استفاد منه الآشوريون من الطوّافات المعروفة بالـ (قفّة) وهي الطوافات الصغيرة المخصصة لعبور الأنهر والمصنوعة من الجلد والقصب والقش.

التشريعات العسكرية في قانون حمورابي:

يتّضح من شريعة حمورابي أن الجيش وإدارته قد تطورا كثيراً حتى باتت المؤسسة العسكرية البابلية وكأنها أول وأكبر مؤسسة نظامية، بعد الجيش الأكدي، فقد نظّمت طرق السوق العسكري وتابعت مسيرته حتى عودته من الحرب أو أسره، وما كان يترتب على ذلك فيما يخص بيته وأمواله، ويمكننا أن نلقي نظرة فاحصة على هذه القوانين:

«المادة (26): إذا طلب التحاق جندي أو سماك (يعمل في الجيش) في حملة للملك ولم يذهب أو أجر بديلاً عنه (= أجيراً) وأرسله عوضاً عنه، فإن ذلك الجندي أو السماك يعدم. أما بديله (أي الذي أجر من قبله) فله أن يأخذ بيته (أي بيت الجندي أو السماك).

المادة (27): إذا أسر جندي أو سمّاك في أثناء الخدمة المسلحة للملك وبعد ذلك (أي أثناء غيابه) أعطوا حقله وبستانه لشخص ثان وأوفى (الشخص الثاني) ما عليه من الالتزامات الإقطاعية فإذا عاد ووصل بلدته، فعليهم أن يعيدوا له حقله وبستانه وعليه أن يمارس حقوقه الإقطاعية.

المادة (28): إذا جندي أو سمّاك قد أسر في أثناء الخدمة المسلحة للملك وكان ابنه قادراً على القيام بالالتزامات الإقطاعية، فعليهم أن يعطوه الحقل والبستان وعليه أن يمارس حقوق والده الإقطاعية.

المادة (29): فإذا كان ولده صغيراً لا يستطيع القيام بالتزامات والده الإقطاعية فإن ثلث الحقل والبستان يعطى لوالدته وتقوم والدته بتربيته.

المادة (30): إذا تخلى جندي أو سماك عن حقله وبستانه وبيته بسبب واجباته وأبتعد وبعد ذلك استولى شخص ثان على حقله وبستانه وبيته وقام بالتزاماته الإقطاعية لمدة ثلاث

سنوات. فإذا عاد وطالب بحقله وبستانه وبيته فعليهم أن لا يعطوها له، أن الذي استولى عليها وقام بواجباته الإقطاعية عليه أن يستمر بإدراتها.

المادة (31): إذا كان قد تغيب سنة واحدة ثم رجع، فإن حقله وبستانه وبيته يجب أن تعاد إليه وله أن يمارس حقوقه الإقطاعية.

المادة (32): إذا أسر جندي أو سماك في أثناء حملة للملك وأعتقه تاجر وأوصله إلى بلدته، فإذا كان يوجد في بيته كفاية للعتق فعليه أن يعتق نفسه، فإذا لا يوجد في بيته ما يكفي لعتقه، فيعتق من بيت إله بلدته، فإذا لا يوجد في بيت إله بلدته ما يكفي لعتقه، فعلى القصر أن يعتقه ولا يجوز أن يعطى حقله وبستانه وبيته مقابل عتقه.

المادة (33): إذا وافق رئيس أو عريف على تخلف جندي عن حملة الملك وقبل أجيراً وأرسله عوضاً عنه لحملة الملك، فإن هذا الرئيس أو العريف يعدم.

المادة (34): إذا تقبل رئيس أو عريف حاجات من جندي أو اغتصب (أموال) جندي أو أعطى جندياً كأجير أو قدم جندياً للمحاكمة بتأثير شخص قوي فإن هذا الرئيس أو العريف يُعدم.»(رشيد 1973: 93 ـ 95).

ثانياً: الأسلحة البابلية

كانت أسلحة الجيش البابلي التابع للدولة القديمة كما يلي:

1. الأسلحة المحمولة: وهي أسلحة حادة مثل السيوف المنجلية والفؤوس البرونزية المحطمة والرماح والصولجان النصليّ، بالإضافة إلى الهراوات والقضبان والعصيّ.

2. القذائف المنبعثة من الرافعات الحربية. وكانت الأسلحة النفاثة التي استخدموها مصنوعة من البرونز. وهو ما قيّد فعالية السلاح في المعركة، على عكس ما استخدمته

الدولة البابلية الحديث من الأسلحة المصنوعة من الحديد والسبائك الحديدية والتي هي أكثر قوة وفاعلية.

3. لا توجد أقواس، في الجيش القديم، حيث لم يتم العثور على القوس الطويل أو القوس المتقاطع في الحفريات. على الضد من الأكديين الذين سبقوهم والذين كانوا يمتلكون الأقواس. اعتمدت الحروب البابلية في دولتها القديمة على جنود المشاة المدرعة، بدلاً من نيران القذائف الضخمة أو شحن الفرسان.

4. الدروع الجسدية: وهي مصنوعة من جلد ثقيل مرصع بالنحاس والبرونز. وكانوا يرتدون القوالب المصنوعة من البرونز لأن الجزء العلوي من الجذع هو هدف دائم. تم صنع الخوذ من النحاس لتقليل الوزن على الرأس وزيادة الراحة أثناء المعركة. كان القتال يتطلب السير على الأقدام مع توخي الحذر من خلال الحماية الشديدة المتنقلة معه.

وهناك خوذة النحاس التي تحمي الأذنين والجزء الخلفي من الرقبة. ارتدى الملوك الخوذات التي كانت تنقش بطريقة منمقة مع تصفيفة شعر مميزة عند الملوك.

5. المركبات الحربية: كانت المركبة القديمة بأربع عجلات تحمل من قبل أربعة من الرجال أو الحمير والبغال، وعليها اثنان من رجال القتال واحد للتوجيه وواحد لإلقاء الرمح على الجنود المقابلين، ويتفق العديد من العلماء على أن هذه المركبة، في العصر البرونزي، بدائية مقابل المركبات الحربية التي تجرها الخيول في العصر الحديدي.

6. الكبش ((آشبو، شوبو، ياشوبو) الدبابة القديمة): وهي آلة استعملها الآشوريون والكلدويون، يدفعها الجنود الأقوياء من الخلف، وتتكون من برجين: الأول مفتوح وعليه جنديان من رماة السهام، والثاني مغطى لحماية رؤوس الجنود.



صورة توضيحية لمركبة بابلية لقائد بابلي حديث مع سلاح الفرسان

في العصر البابلي الحديث كانت إطارات عربة تُغطى بغطاء من الجلد المطلي بألوان زاهية، وأحياناً بدروع من الحديد أو البرونز، وكانت الخيول عادة سوداء أو كستنائية أو زرقاء رمادية. كان للخيول دروع بمقياس من الحديد أو شرائط شعر في كثير من الأحيان باللون الأبيض، أو بلون فاتح كالأزرق.

6. استخدمت جيوش الدولة القديمة أبراج الحصار المكونة من السلالم، وتطور استخدامها في ظل الدولة الآشورية، ومن ثمّ الدولة البابلية الحديثة.

7. نظام أسرى الحروب: كان هناك علاج للأسرى رغم أنهم كانوا يعتبرون جزءاً من غنائم الحرب.

وكانت هناك جرودات طويلة بأسماء الأسرى والمسبيين من النساء والأطفال، وكانت رسومات الأسرى تُظهرهم مقيدين من رقابهم وأيدي بعضهم مقيدة خلف ظهورهم.



عمل فني يمثل محارباً بابلياً مع أسلحته التقليدية

The Greatest Babylon_BG and Character، David Line Studio



الأسلحة البابلية الحديثة والآشورية

المبحث الثاني: نظام الحرب

أولاً: الحرب النفسية

كانت الحرب النفسية وسيلة من وسائل الصراع بين الشعوب والحضارات، وهي تدعم النمط الدفاعي الذي تتبناه الحضارة بوجه مناوئيها وأعدائها، فضلاً عن كونها وسيلة لتعزيز المعنويات والتصدي لمحاولات التخريب الداخلي.

كانت الحرب النفسية عند السومريين بسيطة، لكنها تطورت منذ الأكديين وأصبحت ناضجة عند البابليين، وهناك الكثير من وسائل الحرب النفسية البابلية ومنها:

1.المناورات الدبلوماسية:

استخدمت كلمة (لمس الحنجرة) كدلالة على المعاهدة بين طرفين، وكانت سبيلاً للمناورة الدبلوماسية حين يراد تعديلها، أو حين يرغب أحد الطرفين بتفسير خاصٍ لها، فمثلاً حين عرض زمري ـ لم ملك ماري أن يتعاهد مع الملك البابلي حمورابي، كان حمورابي يرغب بشدة في الاستيلاء على مدينة (هيت) لكي تفتح طريقه نحو غرب الفرات، وقد أشار في مفاوضاته لأهمية هيت في إنتاج القار، لكنه تردد في عقد مثل هذه المعاهدة حتى يستشير إله القمر سين في ذلك، وحين تآخر في ذلك أبدى ملك ماري رغبته الملحمة في عقد معاهدة تقضي بتنازله عن مدينة (هيت) لحمورابي مقابل عقد اتفاقية التحالف. وهكذا ربح هيت وكانت منطلقاً لغزو ماري فيما بعد.

2.الدعاية والإشاعات:

كانت الدعايات والإشاعات وسيلة مهمة تسبق الحروب، عادة، وقد ظهر في الدولة البابلية القديم مثل هذا الأسلوب قوياً عند الملك البابلي حمورابي، فقد ذكر «أن خضوع مملكة ماري والبلدات الواقعة على ضفاف الفرات تحت سلطته مع الأخذ بالحسبان أن مملكة ماري كانت، في يومٍ ما، حليفة له، لذا تعمّد في ذكر الإله دكّان من دون التطرق إلى الإله مردوك (الإله القومي لدى البابليين)، ليعطي المسوّغات الكافية لحرية الرأي ضد ماري، وهو جزء من سياسة الإعلام وبثّ الإشاعات التي كانت جزءاً مكملاً للحروب الفعلية والهدف منها إضعاف مقاومة الأعداء لقواته وليشدّ عزيمة جنده ولإقناعهم أن النصر مؤكد لامحالة، ولأن السبب الديني كان مهماً في التغلغل وإلى نفوس سكان بلاد الرافدين والشام، لذا فقد تذرّع بهذا السبب في حين يذكر الدعم نفسه عندما قضى على تحالفات أعدائه المكونة من العدو الأزلي المتمثل في عيلام وبلاد سوبارتو وأشنونا ومالكيلوم والمؤرخة في السنة الثلاثين من حكمه.» (الجبوري 2009: 326).

3.الحصار الاقتصادي:

استخدم الحصار الاقتصادي قديماً كوسيلة للحرب النفسية لخفض معنويات الجهات المتحاربة، وقد زادت خبرة البابليين في اتباع هذا الأسلوب مع من حاربوهم بعد أن تعرضوا هم، على يد الآشوريين بشكل خاص، لممارسات كهذه. لكن الدولة البابلية القديمة قامت به أيضاً حيث حاصر حمورابي مدينة لارسا ومنع عنها الطعام والشراب، حيث «يبدو أن الخلاف بين ريم ـ سين ملك لارسا وحمورابي ملك بابل قد وصل ذروته مما دعا جيوش حمورابي إلى التحرك باتجاه مملكة لارسا وفرض حصار عليها والهدف منه القضاء على جميع النشاطات الاقتصادية من المملكة وإليها، فضلاً عن محاربة الملك وشعبه نفسياً وإحداث ثغرة بينهما مع إحباط روح المقاومة للشعب المحاصر واستمالة الضعفاء ويبدو أن حمورابي قد نجح في هذا الأمر، وسيطر على المدينة وجيء بملكها أسيراً إلى بلاد بابل نتيجة لتلك السياسة. في حين كشفت التنقيبات الأثرية عن حرق في الطبقات السكانية في ماري ومواقع حوض ديالى السفل وتحديداً تلول خطاب بدليل الركام الأسود الموجود في معظم وحدات الطبقة الثانية، فضلاً عن آثار حريق آخر في الطبقة الثالثة من تل حداد والطبقة الثالثة من تل أبو عنتيك مع وجود ترسبات رمادية سميكة فوق الأرضيات المحترقة ولعلها تكون نتيجة فيضان ما أو ردة فعل اتخذتها الجيوش التي اقتحمت تلك المدن نتيجة للمقاومة التي لاقتها من الأهالي مما دعا حمورابي إلى أن يذكر ذلك في السنة الثامنة والثلاثين من حكمه وهجومه على مدينة أشنونا وإغراقها بالمياه وكما مبين في الآتي: السنة التي استولى الملك حمورابي.... (على) أشنونا التي دمرها فيضان كبير» (الجبوري 2009: 330 ـ 331).

4.الضغط العسكري:

وهو الذي كان يتمّ عن طريق إرهاب العدو باستخدام أسلحة فتّاكة وبث الرعب في نفوسهم قبل وأثناء وبعد الحرب، وكان قطع أعناق الملوك في مدنهم وأمام شعبهم وسيلة لتركيع الشعب والسيطرة النفسية عليه، فقد كانت سياسة القتل «عقوبة ردعٍ لقادة المدن

والممالك وشعوبها، التي من شأنها أن تعترض أو تقاوم تلك القوات. والهدف من هذه السياسة هو بث الرعب في نفوس تلك الشعوب وما يجاورها وتحديداً عندما يؤسر الملك ويؤتى به إلى البلاد المنتصرة لينفذ به حكم الإعدام أو القتل، ويؤكد صحة قولنا ما ورد في أحد النصوص التذكارية التي تفآخر بها سمسو ـ إيلونا ملك بابل عندما جاء بملك أشنونا إلى بلاده ولينفذ به حكم الإعدام، ونقرأ في الآتي: «إيلوني ملك أشنونا لم يسمع كلماته (قراراته)..قطع عنقه..»» (الجبوري 2009: 332).

ثانياً: الحروب المباشرة

كانت الحروب وسيلة شائعة بين الدول والممالك القديمة، بل وفي داخل الدولة الواحدة لمنع التمرد والانفصال، ومنذ أن سعى حمورابي لبناء دولة قوية في بلاد الرافدين كانت وسيلته هي شنّ الحروب ضد المقاومين لفكرة بناء الدولة بعد أن غرقت مدن وادي الرافدين الأمورية في حروب طاحنة لأكثر من قرنين، وهكذا أصبحت مرحلته فاصلة في التأريخ البابلي القديم، «حمورابي الملك القوي محبوب الإله مردوك بقوة الآلهة العظيمة هزمت (دحرت) جيش عيلام والذي حشد سوبارتو والكوتيين وأشنونا ومالكيلوم جملة من حدود مارخاشي وكذلك ثبت أسس سومر وأكد. ذكر الملك حمورابي أن كل انتصاراته الباهرة على تحالفات الأعداء جاءت بمباركة أيدي الآلهة العظام لبلاد بابل، وكأنه يريد بذلك أن يخرج نفسه من الأيمان التي قد أقسم بها مع الممالك التي كانت صديقة له في يوم ما كمملكة ماري أو غيرها فضلاً عن ذلك فقد ذكر في نهاية سنة حكمه أنه قد ثبت أسس سومر وأكد دلالة على نظرته الوحدوية اتجاه بلاد الرافدين. وإلى جانب المسوغات الدينية نجد أن الأسباب السياسية كانت سبباً مهماً لاختلاف المصالح وظهور التوترات والتي ينتج على أثرها الإعلام المضاد والدعاية والإشاعات سواء أكانت صحيحة أم كاذبة فهي إظهار الطرف الآخر بصورة من أخلَّ بالمواثيق الدولية التي تحكم كلا البلدين إذ عدَّ الملك حمورابي تحالف مملكة ماري مع ملك أشنونا خيانة وعلى أثرها بدأ يطلق التهديد والوعيد، وهذا ما وضحته رسالة السفير يتار ـ أدد إلى سيده زمري ـ لم: «حينما حمورابي أعطى المشورة، فتح كل جفنيه، وقد سلّم (فوض) الإله لكره (ضد) سيدي وكما قال هو بنفسه

الآتي.. سـ(أجعله) يسجد (أو يخر) في الغبار.. عندما هو ضبط (مسك) رداء رجل (ملك) أشنونا، أنا (قلت الآتي) ضبط التقرير ليحرثه (ليتحمل عواقبه)، ذلك (الأمر) سيدي، عسى يعلم.» (الجبوري 2009: 327).

وفي التأريخ الوسيط لبابل احتدمت حروب كثيرة ضد بابل، وكان التوتر بين بابل وآشور أهم علاماته في تأريخهما، فقد «عاد التوتر السياسي في العلاقات البابلية الآشورية بعد موت الملك الآشوري آشور أوبلط الأول مباشرة حيث ادعى الملك البابلي بأحقيته بالعرش الآشوري وعلى أثر ذلك اندلعت الحرب بين الطرفين إلاّ أنها لم تكن حاسمة ولم يجن أي منهما نتائج إيجابية سوى أنها أضعفت الطرفين وكان الطرف البابلي الأكثر تضرراً فيها، وجراء ذلك انعقدت اتفاقية بين الملك الآشوري «إنليل ـ نيرا ري» (1329 ـ 1320 ق.م) والملك البابلي كوريكالزو وتم بموجب هذه الاتفاقية تقسيم الحقول والمقاطعات الزراعية المتنازع عليها بين الدولتين وترسيم الحدود من جديد.لم يستمر الهدوء السياسي في العلاقات البابلية الآشورية كثيراً إذ عاد التوتر ليتسيد الموقف بين الطرفين وتحول بمرور الزمن إلى تصادم مسلح لم ينته إلاّ بعقد هدنة بينهما، وقعت هذه الهدنة بين ملكي الدولتين «أدد ـ نيراري الأول» (1307 ـ 1275 ق.م.) عن الطرف الآشوري و«نازي ـ ماروتاش» عن الطرف البابلي وقد جاءتنا أخبار هذا التصادم العسكري مدونة في أحد النصوص المستلة من التأريخ التعاصري للملوك الآشوريين حيث جاء فيه ما يلي:((أدد ـ نيراري الأول ملك بلاد آشور، (و) نازي ماروتاش، ملك كاردونياش، قاتل بعضهم الآخر في كاردنكر في أوجرسلو أدد ـ نيراري جلب الهزيمة لنازي ماروتاش، (و) قهره، أخذ منه معسكره (و) رايته، أما بالنسبة لخط الحدود فقد ثبت تقسيم حدودهم من بلاسقي التي على الجهة الأخرى من دجلة (و) ارمان في أوكار سالي إلى (لولومي....))»(سلمان 2007: 5).

وظهر من يقاومها ومن يردها لأعداء بابل، فقد كان (مردوخ بلادن) أحد أعظم القادة المقاومين للاحتلال الآشوري لبابل ولكل الملوك والأمراء البابليين الذين كانوا مقربين من آشور وقد شنّ حروباً كثيرة من أجل استقلالها، حيث «أزاح مردوخ بلادن الملك البابلي

مردوخ زاكر شومي الثاني صنيعة سرجون على بابل عن حكم المدينة واعتلى عرشها لمدة تسعة أشهر كخطوة أولى لتثبيت مركزه في جنوب بلاد الرافدين، ثم أخذ بعد ذلك يهدئ ويؤمن القبائل والمدن الواقعة إلى الشمال من مدينة بابل ليجعل منها أن تكون خطاً دفاعياً عن بابل بوجه الهجوم الآشوري الذي بات أمراً متوقعاً حدوثه في أية لحظة، ثم جاءت تلك اللحظة عندما وصل سنحاريب على رأس جيش كبير استطاع أن يدحر به قوات الملك البابلي المتمركز في مدينة كوتا (أحد المدن الشمالية لبلاد بابل) وقوات الأسناد العيلامية التي كانت تتمركز في مدينة كيش (وهي أيضاً من المدن الشمالية لبلاد بابل) حيث جاء في أحد النصوص الملك سنحاريب ما يشير إلى ذلك:((وسمع (مردوخ ـ أبلا ـ ادينا).. بزحف حملتي، فدعم (قوات الخيل ورماة السهام والعيلاميين والكلدويين مع نرجال ناصر وقادة ملك عيلام العشرة الذين لا يعرفون الموت (و) القوات التي معهم التي لا حصر لها (و) أدخل قواتهم سوية إلى كوثى وأقام حراسة قوية ضد تقدم حملتي....))» (سلمان 2007: 14).

وفي التأريخ الحديث لبابل ظهر أعنف صدام بين بابل وآشور، وقد أدى إلى احتلال بابل من قبل آشور، وحكمت بابل سلالة أمراء آشوريين، لما يقرب من قرنٍ كامل، سرعان ما تحولوا إلى ملك وأباطرة، فقد كانت بابل مثل ميدان اختبارٍ أو مختبرٍ لامتحان قوتهم في الحكم والسيطرة، وكان هذا مرهقاً لكلا الشعبين.

«في عام 651 ق.م. بدأ آشور بانيبال عملياته العسكرية ضد بابل استهلها بقطع جميع الطرق المؤدية إليها وفصلها عن العالم الخارجي بعد ذلك شدد الحصار عليها في عام 650 ق.م. ثم عمد بعد ذلك إلى اتباع بعض الوسائل التي من شأنها أن تقلص من فترة ذلك الحصار عن طريق حدث قادة الجيش البابلي المناصرين لهم على الثورة ضد ملك بابل، وكذلك عمد إلى استعمال الحرب النفسية ضد القوات والسكان المتواجدين داخل المدينة المحاصرة هذا بالإضافة إلى المجاعة التي أخذت تضرب سكان بابل بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية. كل هذه الأسباب دفعت بالملك شمش ـ شم ـ أوكن إلى الإستسلام وفتح أبواب المدينة، ثم حكم على نفسه بنفسه عندما أضرم النار في قصره ليحترقا معاً. بعد

ذلك نصب آشور بانيبال نفسه ملكاً على بابل ليحكمها بنفسه. وهناك من يرى أنه عين أحد الحكام التابعين له لحكمها وهو كندلانو، بعد هذه الأحداث المريرة شهدت بابل فترة من الهدوء السياسي استمر حتى وفاة الملك آشور بانيبال وقد تزامن مع وفاته حدوث اضطرابات عمت أرجاء مختلفة من الإمبراطورية ونتيجة لذلك أعلنت بعض الأقاليم استقلالها وكانت بابل في مقدمة تلك الأقاليم. إذ استغل نابو بلاصر وهو زعيم قبيلة كلدو الآرامية التي كانت تتخذ من منطقة الأهوار الواقعة في جنوب العراق مأوى لها حالة الضعف تلك فأعلن نفسه حاكماً على الجنوب. وبعد أن قويت شوكته في المنطقة أعلن الحرب ضد الآشوريين حيث وقعت معارك عنيفة بين هذا الحاكم والجيش الآشوري في مدن الوركاء ونفر، وقد عانت الأخيرة حصاراً شديداً من جيش هذا الحاكم ليستقر أخيراً ملكاً على سبار قبل استيلائه على بابل، بعد ذلك بادر إلى طرد الحاكم الآشوري من بابل وتبوأ عرشها في 22 ـ 23 تشرين الثاني من عام 626 ق.م.»(سلمان 2007: 16).

وهكذا كانت الحروب بين بابل وآشور تمضي في كرٍّ وفرّ، ونرى أن هذه الحروب كانت السبب الأول لضعف بلاد وادي الرافدين وحضارته التي أودعت في هذين المركزين الحضاريين، ولو أنهما اعترفا ببعضهما لما زالت دولتاهما الإمبراطوريتان، بل ولأصبحتا من أعظم منارات التأريخ القديم حتى نهايته، لكنهما تطاحنا على مدى ألف عام وهي فترة طويلة جداً كانت كفيلة بنشر الضعف البطيء في جسديهما حتى وقعا بسهولة في يد أضعف الأعداء.

انتهت آشور مع ملك سأم الحروب واتخذ من التهتك واللذة طريقاً له وهو ما يعرف في الغرب بسردنبال (آشوربانيبال الثاني)، بينما انتهت بابل مع ملك متصوّف متدين هو (نبونائيد) انصرف للأمور الدينية بحكم كونه، في الأصل، رجل دين وأراد أن يبدّل دين مردوخ إلى دين قمري، كان متزمتاً ولم يحسن التعامل مع الشأن السياسي. بهذه الطريقة المأساوية والمفارقة الغريبة (متهتك ورجل دين!!) انتهت الإمبراطوريتان الأعظم في التأريخ القديم فكانت قصة نهايتهما واحدة من أكبر تراجيديات العالم القديم.

الفصل السادس: المظهر المدني



ملك بابل مردوخ بلادن يعيّن بيل ـ آخن ـ إيريبا حاكماً لمدينة بابل

المبحث الأول: المجتمع المدني في بابل

المجتمع المدني Civil Society:

يُعرف المجتمع المدني بأنه المجتمع العابر للقبائل والعشائر والذي يشير إلى «كل أنواع الأنشطة التطوعية التي تنظمها الجماعة حول مصالح وقيم وأهداف مشتركة، وتشمل هذه الأنشطة المتنوعة للغاية التي ينخرط فيها المجتمع المدني تقديم الخدمات، أو دعم التعليم المستقل. أو التأثير على السياسات العامة، ففي إطار هذا النشاط الأخير مثلاً،

يجوز أن يجتمع مواطنون خارج دائرة العمل الحكومي لنشر المعلومات حول السياسات، أو ممارسة الضغوط بشأنها، أو تعزيزها (معاقبة صانعي السياسات أو مكافأتهم)» (المعهد الديمقراطي الوطني 2009: 10).

ورغم حداثة المصطلح لكنه يصلح لتوصيف المجتمعات المدنية في كل العصور والتي يجمعها جامع مشترك، هو المدينة التي يسودها السلام.

لم تكن المدن البابلية أول مدن الرافدين بل جاءت بعد المدن التي بدأت بالظهور في الألف الخامس قبل الميلاد. ورغم أن بابل كانت من أول المدن البابلية، لكن ظهور مدنٍ مثل إيسن ولارسا سبقتها في الممارسة المدنية.

كان المجتمع المدني هو القاعدة في بابل، وكان الاستثناء هو المجتمع العسكري الذي يساق فيه القادرون على حمل السلاح للمعارك والحروب. وقد نظمت قوانين حمورابي كلا المجتمعين على أسس واضحة وسليمة.

كانت الحضارة البابلية حضارة ثراء وتجارة وترفٍ، وهذا ما يُفسر زيادة العبيد والخدم عند البابليين، فقد كان هؤلاء ملكاً صرفاً لأسيادهم يحق لهم بيعهم أو تسديد الديون بهم، وكانوا رهن تصرف سادتهم، ومن حق الدولة تجنيد العبيد وسوقهم في المعارك أو في الأعمال الشاقة.

رغم أن حمورابي أصدر قوانينه في عسكرة المجتمع خلال الحروب، لكن المجتمع البابلي ظل مدنياً في طباعه وتكوينه.

مظاهر التمدّن:

1. تعايش الإثنيات المختلفة في بابل: رغم التكوينات الإثنية المتعددة التي دخلت في تركيب المجتمع البابلي، لكنه تمكن من هضم واستيعاب هذا التعدد بسبب سيادة القانون والتحضر.

2. الأعمال التجارية الواسعة: كانت الممارسات التجارية تنمو في بابل بطريقة واسعة ومتنوعة، وكانت الشراكات القانونية وخطابات العمل والاتفاقيات والدعاوى القضائية وإقراض الأموال قيد الفائدة والمعادن الثمينة كمعيار للوزن والتدبير وحقوق الملكية الشخصية والحقيقية الممثلة في الأفعال والوصايا والإيجارات والعقود والسندات الإذنية والتأمين على الفيضانات وغيرها.

3. فاعلية وسيادة القوانين البابلية، فقد كانت المحاكم تجسد العدالة، وكانت كل محكمة تتألف بين (1 ـ 4) من القضاة. وفي كثير من الأحيان شكل شيوخ كلّ المدينة محكمة خاصة للمدينة. لا يمكن للقضاة التراجع عن قراراتهم لأي سبب، ولكن يمكن تقديم الطعون من أحكامهم إلى الملك. وتألفت الأدلة إما من أقوال الشهود أو وثائق مكتوبة. اليمين، التي لعبت دوراً كبيراً أيضاً في إقامة العدل، يمكن أن تكون إما إذنية أو تعريفية أو تبرئة. فرضت المحاكم عقوبات تتراوح من عقوبة الإعدام والتشويه إلى الجلد، والحد من العبودية، والإبعاد. وكانت مبالغ التعويضات تتراوح من 3 إلى 30 ضعف قيمة المبالغ المراد استعادتها.

4. حقوق المرأة: نالت المرأة البابلية حقوقها منذ طفولتها حتى شيخوختها، ففي الزواج كانت تحصل على عقد قانوني يجري بوجود عائلتها. وكانت تحصل على مهر جيد ومؤخرٍ مالي مضمون، وكان هناك الهدايا التي يقدمها العريس للعروس. كان الطلاق أحد حلول المشكلات المستعصية بين الزوجين، وبعد الطلاق كان على الزوج أن يعيد المهر ويمدها بالمال، ويخضع أي طفل لحضانة المرأة. ومع ذلك، إذا اعتُبرت المرأة «زوجة سيئة»، فقد تُطرد، أو تعمل كخادمةٍ في منزل الزوج. وإذا أقامت الزوجة دعوى ضد زوجها بسبب القسوة والإهمال، فقد يكون لها انفصال قانوني إذا ثبتت القضية. خلاف ذلك، قد تُغرق في النهر كعقوبة بسبب الزنا هي وعشيقها، ما لم يكن الزوج مستعداً للعفو عن زوجته.

5. التقسيم الطبقي الاجتماعي والعيش المشترك ضمن الحقوق والواجبات: كانت هناك ثلاث طبقات اجتماعية أساسية. الطبقة العليا هي (أميلو التي يتمتع أفرادها بحقوق مدنية

كاملة، كانوا يتمتعون ببعض الامتيازات من جهةٍ، لكنهم كانوا يخضعون للعقوبات والغرامات الكبيرة في حالات المخالفات القانونية. تنتمي هذه المجموعة إلى الملك وملعبه وكبار المسؤولين والمهنيين والحرفيين. كانت الطبقة الوسطى (المشكينو) تضم أفراداً أحراراً قد يكونون بلا أرض. وكان عليهم أن يقبلوا التعويض المالي، ودفع غرامات أصغر وكانوا يعيشون في أماكن محددة من المدينة. أما الطبقة الدنيا فهي (آردو) وهي طبقة العبيد الذين يمكنهم امتلاك الممتلكات، ويمكن شراء حريتهم. كان بإمكان الطبقات أن تتنافذ مع بعضها ويرتحل أفرادها من مكانة لأخرى بسبب المال والعمل والخدمة التي يقدمونها للمجتمع والملك والمعبد.

6. الأمن الاجتماعي والقضاء على الجريمة: حافظ قانون حمورابي على صيانة الأمن الاجتماعي وحدّ من الجرائم، وساهم ذلك بخلق مجتمع مدني آمن، ففي حالة وقوع جرائم من غير معرفة الجاني، فالقانون يحدد المسؤولية الجماعية: الولاية القضائية الإقليمية التي ارتكبت فيها الجريمة ويلتزم زعيم المجتمع بتعويض الضحية. وكانت هناك عقوبة تطال أبرياء لمجرد أنهم من أبناء وأقارب الجاني مثل ما هو منصوص عليها في القانون: ـ عندما يتسبب رجل بإصابة المرأة الحامل عن طريق الإجهاض ويتسبب ذلك في وفاتها، فيعاقب بقتل ابنته، وعندما يبني المهندس المعماري منزلاً مهزوزاً يسقط ويقتل ابن المالك، فتكون العقوبة بقتل ابن المهندس.. إلخ، ويتضح من هذه الأمثلة أن قوة الردع والتهديد بها تجعل الجميع أمام التزام واضح لا لبس فيه.

7. الاستقرار الاقتصادي: كان البابليون يتعاملون مع مختلف جوانب الحياة الاقتصادية بمهارة عالية، فهم من المزارعين المهرة والتجارالناجحين وأصحاب المهن والحرف الصناعية المتطورة. كانوا يجيدون إنتاج مجموعة متنوعة من المحاصيل. هذا هو السبب في أنهم حفروا القنوات وسقوا حقول الذرة. وفي عهد حمورابي، تم حفر قناة كبيرة من مدينة كيش إلى الخليج العربي وأنتجوا الأنواع الكثيرة من القمح.

وقام البابليون بتصدير التمر وحبوب الطعام والنفط والمصنوعات الجلدية وأواني الطين وما إلى ذلك إلى العالم الخارجي. استوردوا الذهب والفضة والنحاس والحجر والخشب والملح. من بين البلدان القديمة، كانت بابل تعتبر دولة مزدهرة. وساعد القانون في بناء مجتمع صحي. إلى جانب هذا، كانت مساهماتهم في مجال الفن والهندسة المعمارية والعلوم والتجارة جديرة بالملاحظة.

المبحث الثاني: نظام السلام

السلم والتعايش السلمي داخلياً وخارجياً

يسعى المجتمع لخلق حالة من الوفاق والتعايش والسلام بين فئاته ومكوناته، وهذا ما يمنع احترابه الداخلي، وما يجعله متماسكاً وقوياً أمام أي اعتداء خارجي، وبشكل عام يكوّن السلام أحد شروط الحياة المدنية في الماضي والحاضر.

«تُعد من نوادر المفردات اللغوية، التوافق في اللفظ والمعنى لكلمة السِّلم والسَّلام، بين اللغة السومرية والجزرية والعربية معاً. إذ تعني كلمة السِّلم والسَّلامة في اللغة العربية، العافية والبراءة من العيوب، والبعد عن الاقتتال، أي الصُّلح والوفاق. وهو ما يخص الصحة الجيدة للفرد والجميع كحالة خاصة، وأمن المجتمع واستقراره كنظام عام. وجاءت في اللغة السومرية بنفس المعنى، بشكل سيليم أو سيليم ـ ما (SILIM)، (Slim - ma). ليقابلها في اللغة الأكدية عدة مفردات، منها كلمة شلامو (shalamu)، التي تعني سلامة الصحة وسلامة البلاد والمدينة، وفي ذلك إشارات كثيرة. فضلاً عن كلمات أخرى تعني السلم والسلامة، منها كلمة ساليمو (Salimu)، وسلامو (Slamu)، وسولوم (Sulummu). وكل منها يعني السلام والصلح والوفاق، وعلاقات الصداقة والتحالف، والابتعاد عن الحرب، والمصالحة بين الأفراد، وكذلك الوفاق بين المدن والأقليم.» (حسين 2018: 254).

كان المجتمع البابلي، بعد المجتمع السومري، ذا ميلٍ واضح للسلام والحياة الآمنة والمرفهة، وبسبب ثراء بابل وعمرانها وعمران المدن البابلية ونشاط الحياة الاقتصادية فيها فقد نشأ عن ذلك حب للترف والمتعة والحياة المستقرة و«يكمن في أساس منظومة القيم البابلية مبدأ المتعة الفعالة: فغاية حياة الإنسان هو نيل الرفاه والمتعة. ولذلك يمكن من حيث الظاهر وصف الأخلاق البابلية ونظرتهم إلى العالم بالتفاؤل وحب الحياة. ولكن هذا التفاؤل الظاهري كان مصحوباً بخلل خفي. ورغم كل ذلك ظل الوعي البابلي دينياً بصورة شديدة. إلاّ أن مشكلة نهاية الوجود لم تحصل على الجواب الشافي في الحضارة القديمة. وكان ذلك الوعي بنهاية وجود الإنسان يلقي كثيراً من الشك على قيم جميع الأفراح والمسرات والنشاط الإنساني:الآلهة والشمس فقط، ستبقى إلى الأبد، الإنسان ـ سنواته معدودة، مهما فعل ـ فكل شيء هواء... لقد كان لمسألة عدم جدوى النشاط الإنساني وبطلانه صدى مأساوي حقيقي في مؤلف «حديث السيد مع العبد» الذي يعد من أكثر المؤلفات الأدبية البابلية إثارة للشجن. فهذا «الأثر البابلي» الفريد يبتعد عن النغمة العامة للأدب السومري البابلي، ولكن في هذا الكنز الأدبي بالذات تتجلى الروح الحقيقية للحضارة البابلية بأسطع ما يكون.» (كلشكوف 1995: 139).

يعكس حوار السيد والعبد جوهراً مهماً من أسس الحضارة المدنية في بابل، فالسيد يريد أن يستمع النصيحة من عبده، والعبد يريد أن يُرضي سيده، ففي قوله إيجاباً أو سلباً يمتلك التبرير، وهذا ما يعكس طبيعة الحياة ومصلحتها والغاية منها في مجتمع يريد أن يمارس العيش، ويأخذ الدنيا برحابة صدر وبالٍ واسعٍ مدركٍ.

النظام الإداري ومساهمته في السلم المجتمعي:

لا يُعترف بأي صفقة بيع أو شراء أية أملاك ما لم تكن مكتوبة في سجلات طينية ثابتة في مؤسسات الدولة، وكان من يحاول تغيير هذه السجلات يلقى عقاباً قاسياً يصل إلى الموت.

الدولتان السومرية والبابلية بناهما القانون وميزتهما عن باقي دول العالم العدالة وصرامة تطبيقها، فالمدينة لم تكن مدينة إلَّا بوجود القضاء والمحاكم فيها.

ثلاثة مراكز كبرى للقوانين والشرائع في الشرق الأدنى هي (بابل وشريعة حمورابي تحديداً، آشور والقوانين الآشورية، الحيثيون وقوانينهم) كلها كانت مكتوبة بالخط المسماري.

من العلامات اللافتة للتطور في الحياة البابلية هي تنحي الكهنة عن القضاء واستبدالهم، منذ عصر حمورابي، برجال القضاء في الدولة ويؤشر هذا إلى مدنية الدولة وتمتعها بالسلام والأمن الاجتماعيين، وظل قانون حمورابي لما يقرب من 15 قرناً هو أساس الحياة العادلة في بابل «وكان تطوره يهدف إلى استبدال العقوبات الدنيوية بما كان فيه من عقوبات دينية، كما كان يهدف إلى استبدال الرحمة بالقسوة والغرامات المالية بالعقوبات البدنية. مثال ذلك أن محاكمة المتهمين كانت في الأيام الأولى توكل إلى الآلهة، فإذا اتهم رجل بممارسة السحر، أو اتهمت امرأة بالزنى، طلب إليهما أن يقفزا على نهر الفرات، وكانت الآلهة على الدوام في جانب أقدر المتهمين على السباحة، فإذا نجت المرأة من الغرق كانت نجاتها برهاناً على براءتها، وإذا غرق (الساحر) آلت أملاكه إلى من اتهمه، أما إذا نجا من الغرق فإنه يستولي على أملاك متهمه.وكان القضاة الأولون من الكهنة، وظلت الهياكل مقر معظم المحاكم إلى آخر تاريخ البابليين، لكن محاكم غير دينية لا نسأل عن أحكامها إلاّ أمام الحكومة أخذت من أيام حمورابي نفسه تحلّ محل المراكز القضائية التي كان يرأسها الكهنة» (ديورانت ج2 1971: 208).

ويتّضح لنا من مراقبة تطور التطبيقات البابلية لقانون حمورابي أن العقوبات الجسدية قد استبدلت بغرامات مادية. ولم يكن هناك محامون بل كان المتهم محامياً عن نفسه في المحكمة، وكان هناك رشوة وشهود زور في المحاكم، وكانت هناك محكمة استئنافٍ تمكّن المتهم من رفع انعقادها بتوجيه رسالة للملك لهذا الغرض.

أسطوانة نبونائيد وأسطوانة كورش!

أسطوانة كورش الكبير التي تُعد أول قانون دولي يضمن حرية العقيدة والدين في التاريخ، تعود في أصلها لأسطوانة مشابهة كان قد وضعها الملك البابلي نبونائيد.

وحسب آراء منظمة الأمم المتحدة تم اعتبار أسطوانة كورش الكبير ميثاقاً لحقوق الإنسان لذلك بادرت منظمة الأمم المتحدة في العام 1971 بترجمة تلك الأسطوانة إلى ست لغات معترف بها رسمياً في هذه المنظمة.

يحمل Cyrus Cylinderأسطوانة كورش أوجه تشابه ملفتة مع النقوش الملكية القديمة في بلاد ما بين النهرين. هناك مثالان بارزان هما:

1. أسطوانة مردوخ ـ آبل إيدينا الثاني، الذي استولى على العرش البابلي في حوالي 722 قبل الميلاد، وسجلات سرجون الثاني من آشور، الذي غزا بابل بعد اثني عشر عاماً. واجه مردوخ أبل أدينا باعتباره غازياً، العديد من مشكلات الشرعية التي واجهها كورش عندما غزا بابل. حيث يعلن نفسه أنه تم اختياره من قبل مردوخ ، الذي كفل فوزه ، وعندما تولى السلطة ، قام بالطقوس المقدسة واستعاد الأضرحة المقدسة. ثم هزمه الملك الآشوري سرجون الثاني ونفي مردوخ-آبل إيدنا وتولى مملكة بابل. تصف سجلات سرجون كيف اضطلع بواجبات السيادة البابلية، وتكريم الآلهة، والحفاظ على معابدهم واحترام ودعم امتيازات النخبة الحضرية.

2. أسطوانة كورش تشير إلى النقاط ذاتها بالضبط التي قام نبونائيد بوضع النصوص التأسيسية على أسطوانة طينية، وتعود أسطوانة كورش الكبير إلى النسخة البابلية الأصل للملك البابلي نبونائيد وهو زوج ابنة الملك نبوخذ نصر. وتكاد تشبهها في كثير من الأمور.

ويقودنا هذا إلى ما كان يتمتع به الملك البابلي من بعد نظر في احترام حقوق الإنسان والاعتراف بها وكفالة حرية المعتقد والعبادة، وهو إشارة دالة على رسوخ السلم الاجتماعي.

أسطوانات نبونائيد

تم صنع هذه الاسطوانات الطينية. وهي أربع (من سيبار، ومن أور)..

اسطوانة سيبار عبارة عن نص طويل يصف فيه نبونائيد كيف أصلح ثلاثة معابد لـ: إله
القمر سين في حران، وآلهة المحارب أنونيتو في سيبار، ومعبد شمش في سيبار.

تحتوي أسطوانة نبونايئد من سيبار على أصداء من النصوص التأسيسية السابقة، ويطور
المواضيع نفسها مثل النصوص اللاحقة، مثل أسطوانة كورش المعروفة التي يمكن
مقارنتها بها، وهي نصوص طويلة، قصة عن إله غاضب تخلى عن ضريحه، والذي يتصالح
مع شعبه، يأمر الملك باستعادة المعبد، وملك يزيد بصرامة القرابين اليومية. ويتم تضمين
الصلوات أيضاً.

أسطوانات أور تحتوي على النص الأساسي لزقورات تسمى (أيلوغال غالا سيسا). وهناك
أسطوانة من لارسا.

نال أسرى يهوذا السلام والأمان في بابل، وحصلوا على المعاملة الحسنة من قبل نبوخذ
نصّر والملوك اللاحقين والشعب البابلي، وكانت بيوتهم موجودة في وسط البيوت البابلية،
فهم لم يسجنوا ولم يُعزلوا، وحصلوا على الأراضي الزراعية الجيدة، وكانوا هم وملوكهم
وأمراؤهم وكهنتهم أحراراً في بابل، وقد امتهن بعضهم التجارة ومارسوا الصيرفة
واستبدال العملات وأصبحوا أكثر الناس ثراءً، وحصلوا على «حقوقهم الإنسانية في كافة
نواحي الحياة، إذ تمرسوا على أساليب الحكم والسياسة، وتعلموا الحرف والصناعات
المختلفة واشتهروا بين البابليين بالعيش الرغيد والآمن، وبرز بينهم (دانيال) حكيماً
بمعارف الإنسانية وعمل في قصر الملك نبوخذ نصّر الثاني مفسراً لأحلامه، إذ نصّبه حاكماً
على بابل ورئيس حكمائها. ومارس اليهود عقيدتهم بحرية، حيث تأثروا بثقافة وآداب
الحضارة البابلية وأكسبتها الصورة الحقيقية لعقائدهم في تطوير كتبهم الدينية المقدسة،
والذي ظهر واضحاً في سفر التكوين، بتشابه واضح بين التقاليد والتراث في حقل
السومريات والآشوريات والبابليات، والتي تتعلق بخلق الكون والإنسان وحدوث الطوفان
وقصة خروج آدم من الجنة» (البياتي والجنابي 2013: 13).

يعترف اليهود اليوم بهذا قبل غيرهم، لكنهم يسيئون لبابل وتراثها، ويجعلون من كورش مخلّصاً لهم ومانح حقوقهم وحرية ديانتهم، فعن أية حرية وحقوق يتحدثون وهم نالوها كاملة في زمن بابل الكلدية وملوكها الكبار من نبوخذ نصّر إلى نبونائيد.

المؤسسة الدينية وسوقها المفتوح

كانت الضرائب تفرض باسم الإله، وكان اقتصاد المعابد البابلية يفوق اقتصاد الدولة المدنية، ولم يكن الملك شرعياً إلّا إذا باركه الكهنة، وكان الملك محاطاً بالهالة الكهنوتية والدينية، ولذلك أصبح الخروج والتمرد عليه خروجاً وتمرداً على إرادة الآلهة، ورغم كل الجوانب المدنية في سلطة الدولة لكنها بقيت ذات طبيعة دينية.

كان رأسمال المؤسسة الدينية يزداد مع الزمن من غنائم الحروب، ومن استغفارات الملك لها المعززة بالمال والهدايا، ومن الأثرياء المذنبين الذين يغسلون ذنوبهم في المعابد، وكانت أراضي المعابد الزراعية هي الأكبر والأوفر اقتصاداً. كلّ هذا دعا الكهنة لتشغيل هذا المال الديني واستثماره في الزراعة والصناعة والتجارة.

كل هذه السلطة الاقتصادية والمقدسة كانت تقف بوجه السلطة السياسية للملك وتقيّده، وكانت تسمح بظهور ما يمكن أن نسميه بالنشاط الخاص البعيد عن اشتراطات الدولة والملك. من هذه الثغرة نفذ اقتصاد السوق وازدهر، وأصبح يعيل الكثير من المهن والصناعات الخاصة التي تطورت بعيداً عن رعاية الدولة وقوانينها وقريبة من اقتصاد المعبد ومنفعيته. بل إن التداول النقدي ازدهر بفضل المعابد التي طورت نوعاً من النقود التي تحمل صور أو رموز الآلهة التي تمثلها على أوزان الفضة كنوع من الشيقل المسمّى باسم هذه الآلهة.

الفصل السابع: المظهر الاقتصادي



يرى عالم الآشوريات أوبنهايم أن هناك عوامل ساهمت في تشكيل القاعدة الاجتماعية-الاقتصادية الفريدة لحضارة وادي الرافدين، وخصوصاً في بابل الجنوبية وهي أن «هناك، أولاً، زراعة الحبوب القائمة على الري، القادرة على إنتاج محاصيل يمكن التعويل عليها دون الاعتماد على الأمطار، ويمكن التوسع فيها في المكان لإعالة أعداد متزايدة من السكان. مزايا مثل هذا النوع من الزراعة ـ محصول سهل التخزين، يمكن تقسيمه بدقة لأغراض التوزيع، يعطي أكبر غلّة مقابل الجهد المطلوب في ظل الظروف المناخية والتكنولوجية القائمة ـ تتطابق مع العامل الثاني: نمط فريد للاستيطان. يختلف هذا الوضع بشكل واضح عن الوضع في مصر حيث يمكن ملاحظة نمط بدائي نسبياً للتكامل الذي يميز الاقتصاد القائم على التخزين، وذلك رغم تشابه الظروف الظاهري بين الوضعين.

ويبدو أن الفرق الحاسم يجد تعبيره في طبيعة التحضر urbanisation الذي ظهر في مرحلة مبكرة جداً في وادي الرافدين، وخَلَقَ معه مفهوماً فذاً للمدينة. ففي هذه المدن، ومهما كانت صغيرة، فإن رابطة جمعية قد حلّت محل جميع ولاءات السكان سوى الولاءات للعائلة التي لم يبقَ من أثرها شيء. تجد هذه العلاقة بين الأفراد تعبيرها في الطريقة التي تدير بها المدينة نفسها وتصرفها تجاه مواطنيها، وتجاه المدن الأخرى، وتجاه السلطة المركزية. إن الصفة الفريدة والجوهرية للتمدين في جنوب البلاد البابلية هي حقيقة أن المدينة هنا يمكن أن تتطور إلى مركز للنشاط الثقافي دون تحفيز أو حضور الشروط الاجتماعية الكامنة في السلطة السياسية.» (أوبنهايم، نظرة عامة على التاريخ الاقتصادي لوادي الرافدين، موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين، الاطلاع 15، 10/ 2019، على الرابط)

http://iraqieconomists.net/ar/2013/08/25/ل-أوبنهايم-نظرة-عامة-على-التاريخ-الا/

كان المركز السياسي، في بابل، هو المسيطر على العمليات الاقتصادية، وكان يستخدم هرمية معقدة التنظيم لمثل هذه العمليات، بين تخزين وإنتاج وتوزيع، وهناك عدد هائل من موظفي الحكومة والكتبة يشرفون على كل هذا، ويفرضون نظاماً ضريبياً ثابتاً، ويراقبون تطبيق القوانين الاقتصادية بضمنها الربا والفوائد العامة، ولذلك نشأت النقود البابلية لتكون بديلاً عن المقايضة بالحبوب، وهي أوزان كانت مختومة بصور تشير لعائديتها في المعبد أو القصر. ساعدت البيروقراطية البابلية ونظام المِلكية على نمو الاقتصاد البابلي وتطوره بل ومرونته وابتكاره لحلول اقتصادية فريدة من نوعها.

«إن افتقار المنطقة [وادي الرافدين] إلى الأخشاب والأحجار الملائمة للبناء والزخرفة، وكذلك النقص في المعادن، حفّزت نشاطاً اقتصادياً تجاوزَ نطاق نظام إعادة التوزيع. فالبلاطات والمعابد كانت ترغب بهذه المواد لتعزيز هيبتها؛ وأدى هذا إلى التجارة مع البلدان الأجنبية، التي اقتصرت على السلع الكمالية وانحصرت على المستوى الرسمي من

خلال السفراء الملوكيين. إن الحاجة لإنتاج سلع لغرض التصدير، سلع سهلة النقل وتجد لها، على الأرجح، سوقاً جاهزة في البلدان التي تنتج أو تتاجر بالمعادن والأحجار وغيرها من المواد المرغوبة، قد خلقت نشاطات صناعية بالاستفادة من المواد الرئيسية المخزونة بكميات كبيرة في البلاطات والمعابد. إن مضامين هذا الجانب في اقتصاد ما بين النهرين أبعد ما تكون عن الوضوح، فتجارة المَلِك كانت قائمة إما على نوع من المبادلة/المعاملة بالمثل reciprocity بين الحكام أو المعاهدات التي تحدد طبيعة السلع وأسعارها.. الخ. وعلى حد سواء يبقى غير واضح مكانة الأشخاص الذين يقومون بتحريك تبادل السلع، ومتى وتحت أية ظروف يستطيع المواطنون الأفراد الحلول محل الموظفين الملكيين أو أنهم قد حلّوا محلهم فعلاً، والعديد من القضايا الأخرى ذات العلاقة.» (أوبنهايم، نظرة عامة على التاريخ الاقتصادي لوادي الرافدين، موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين، الاطلاع 15، 10/ 2019، على الرابط)

http://iraqieconomists.net/ar/2013/08/25/ا-ل-أوبنهايم-نظرة-عامة-على-التاريخ-الا/

المبحث الأول: الزراعة والريّ

أولاً: الزراعة

كان الفلاح يسمى بالأكدية (إيكّارو) و(إبينوم) أي رجل المحراث، وهي المهنة الأكبر في وادي الرافدين، فهي فضلاً عن كونها المصدر الأساسي للطعام فهي مادة المقايضة للحاجيات الأخرى، وأصبحت الأراضي الزراعية تتوزع في ملكيتها بين الدولة والكبار والأفراد وكما يوضحها هذا الشكل المبسط:



في العصر البابلي القديم، ومع نشوء الدولة البابلية، في أسرتها الأولى، تركز الإقطاع الملكي وسيطر على اقتصاد البلاد، وزادت القوانين الملزمة لأصحاب الأرض على الارتباط باقتصاد الدولة والخضوع للرقابة عليها، فقد كان تقسيم الأراضي كما يلي في عصر الملك حمورابي:

«أما في عهد حمورابي فإن أراضي التاج (اكلات –أكلم) Eqlat Akallim، قد قسمت ثانية إلى ثلاثة أصناف أيضاً هي:

1. الأراضي الملكية الأصلية (إكلات إكلم بالمعنى الضيق أو أكلوم شارش أكلم أو كالو) التي كانت تتألف من المراعي، وأراضي صناديق الاحتياط.

2. الأرض المخصصة، (إكلام كوروماتو)، التي كانت تخصص للموظفين الملكيين، وأصحاب الحرف، والمحاربين والكهنة. ويمكن بيع هذه القطع من الأراضي (عدا التي تخصص للمحاربين) على شرط أن يحصل المشتري على وظيفة مشابهة في الخدمة الملكية.

3. أكول بلتيم Eqel Biltim أو (اكول إسبتم Eqel Isibtim) وهي الأراضي المخصصة إلى (ناشي بلتم Nasi Biltim)، إلى جماعات أصحاب الحصص في الحاصلات (أشاكوم). فهذه القطع التي تؤلف المصدر الرئيسي للإيرادات الملكية لا يمكن بيعها أو شراؤها. وإن الكبار من مالكي الأراضي من صنف (اكلوم كوروماتسوم) كانوا يستخدمون الرقيق في إدارة مزارعهم.» (دياكونوف 1986: 302).

كان للمزارعين أجور متفق عليها، لا تنظم بعقودٍ بالضرورة ولكنها أقرب إلى العرف السائد، وكانت الأجور غير ثابتة وتتعرض لطبيعة الظروف ولكمية الحاصل، «هناك عوامل عدة أثرت في مستوى الأسعار والأجور، ارتفاعاً وانخفاضاً أو استقراراً وفي مقدمة تلك العوامل الظروف السياسية، والعرض والطلب، إلى جانب المواصفات الخاصة للسلع أو الأجور، وقد شهد العصر البابلي القديم نوعاً من الاستقرار السياسي بعد أن تم توحيد جميع دويلات المدن في مملكة واسعة واحدة في عهد حمورابي الأمر الذي انعكس على الجانب الاقتصادي عامة وعلى الأسعار والأجور خاصة، فقد كانت الأسعار والأجور في ارتفاع تدريجي إلاّ أنه لم يكن ارتفاعاً مفاجئاً كالارتفاع الذي شهدته سلالة أور الثالثة في أوآخر عهدها بسبب عدم الاستقرار السياسي وتدفق أقوام جديدة إلى البلاد. أما التفاوت أو التذبذب الكبير الذي كنا نشهده من وقت لآخر في قيمة السلع في العصر البابلي القديم فلم يكن تذبذباً في الأسعار بالمعنى المعروف بل تذبذباً ناجماً عن التفاوت في القيمة الشرائية للفضة التي كانت تُعد بمثابة النقود في الوقت الحاضر.» (الطائي 2004: 171).

كان المزارعون (الفلاحون) يختلفون في كمية ونوع الأجور عما يعرف بـ(أصحاب الحصص) الذين يعملون حسب عقودٍ خاصةٍ ولا يرتبطون بالأرض «أما بالنسبة إلى أصحاب الحصص في الغلة فإن وضعهم كان منخفضاً جداً، وأن عليهم أن يطيعوا طائفة من الزعماء، وكانوا يعتبرون في خدمة الملك، ويتقرر وضعهم ليس ببنود العقد وإنما بقرارات الإدارة العرفية. وعلى هذا ينبغي تفريق أصحاب الحصص في الغلة عن المزارعين الذين يعملون حسب عقود، ومع ذلك كان الاستئجار الفردي للأرض من الأمور الشائعة تطبيقها، وعلى الأخص بين الموظفين الملكيين الذين لا يجدون لديهم الوقت الكافي لإدارة واستغلال قطع أراضيهم بأنفسهم وذلك بسبب صفة الخدمة التي يؤدونها للملك. ولقد كان أصحاب الحصص في الغلة يتألفون جزئياً من المتحدرين من الأعضاء الفقراء في المجتمعات، وجزئياً ـ كما يبدو ـ من الرجال الملكيين (غوروش) في العصر السابق. وفي خارج المزارع الملكية كانت الأرض التي تعود بصفة غير مشروطة إلى أفراد المجتمع، مملوكة بصفة فردية لهؤلاء الأفراد وتعرف باسم (الأرض الداخلية Eqalum Durum

اكالوم دوروم). ولم يكن المجتمع ولا الإدارة الملكية تتدخل في حق أي فرد من المجتمع في تملك، أرضه الداخلية، واستغلالها، والتخلي عنها، بما في ذلك حقه في بيعها، ما دام يدفع الضرائب، ويقوم بأداء واجباته للملك وللمجتمع. لكنه كان، في حدود العائلة الأبوية حسب، يستطيع أن يمارس حقه في التوصية بإرث ما.» (دياكونوف 1986: 302 ـ 303).

سيطرت الدولة على الأرض لكنها تخلت عن إنتاج السلع فعمل هذا الإجراء على انتعاش إنتاج السلع من قبل الناس وازدهار تطور الحرف اليدوية والتجارة، وما أدى إلى ظهور الملكية الفردية بقوة. ثم أدى ظهور الائتمان المصرفي البسيط وظهور رأسمال الربا في بابل.

«إلّا أن الفلاحين كانوا يباعون ويشترون مع الأرض الزراعية التي يعملون فيها، وليس بالضرورة أن يكون الفلاح هو المالك الحقيقي للأرض التي يعمل فيها، فقد يكون مستأجراً، أي أنه يعمل في حقل المالك مقابل جراية أو أجر يدفع له، وإذا ما كان يعمل في مزارع الدولة فإنه يكون تحت إشراف موظف يدعى بالسومرية UGULA وبالأكدية aklu(m). أما إذا كان الفلاح يعمل في أرضه، أي حقله الخاص، فإنه سيقوم بإنجاز الأعمال الزراعية بمساعدة أفراد أسرته، ويكون له حق التصرف في نوع النبات المزروع ومساحة الأرض المزروعة، فضلاً عن حرية التصرف بالإنتاج الذي يجنيه.» (الحسناوي 2009: 46).

كان البستاني فلاحاً من نوع خاص، فهو الماهر والمسؤول عن زراعة البساتين وليس المحاصيل السنوية الضرورية للعيش، و«يعود أقدم ذكر لمهنة البستاني إلى النصوص السومرية الأركائية من عصر الوركاء، مما يدل على أن هذه المهنة كانت موجودة في ذلك الوقت. وقد وردت بالسومرية بالصيغة LU NU KIRI وتكتب أحياناً بالصيغة.
KIRIŠNU. GI، يقابلها بالأكدية كلمة nukaribbu(m). أما المرأة البستانية فقد أطلقت عليها الصيغة السومرية. KIRIŠNU. GI والتي تكتب أحياناً SAL NU. GIS SAR ويرادفها بالأكدية Nukaribbatu(m)، وتعني المرأة العاملة في البستان. إن هذه الصيغة كانت سومرية الأصل، ثم انتقلت إلى الأكدية، فهي من الكلمات الدخيلة على اللغة الأكدية،

على الرغم من أن الباحث «لاندزبيركر» يشير إلى أن أصل هذه التسمية يعود إلى الأقوام التي عرفت بالفراتيين الأوائل، فإن الدراسات الحديثة أثبتت عكس ذلك، وإن هذه التسمية كانت ذات أصول سومرية ثم انتقلت إلى الأكدية، وإنها استمرت في العصور اللاحقة.» (الحسناوي 2009: 47).

المزروعات الأساسية:

الشعير: كان الشعير في مقدمة مزروعات البابليين لفائدته في صناعة الخبز والبيرة، ولأن حقوله يمكن أن تحصد لعدة مرات خلال السنة. وكان يستعمل في المقايضة كما لو أنه عملة مشتركة بين البضائع.

الحنطة: وتأتي الحنطة بعد الشعير والتي تذهب لصناعة الخبز والمعجنات. كانت زراعة القمح في وادي الرافدين تستحوذ على اهتمام الفلاحين وتفرد لها الأراضي الواسعة المزودة بقنوات الريّ، وحين تنضج سنابله تحصد وترمى في الحقول حتى تتم دراستها (سحقها) من قبل الحيوانات الضخمة كالثيران والحمير حتى يتم فصل القمح عن سنابله وعن أغشيته وقشوره، ثم يتم تشكيل الأهراء العالية المغطاة منعاً للطيور من الأعلى، والمفصولة عن الأرض بقواعد خشبية منعاً للقوارض من الأسفل.

كانت سنبلة القمح ترمز للإلهة شالا، بابا، بابو التي كانت تسمى (سيدة سنبلة القمح).وكانت تجارة القمح والشعير والتمور من أهم أنواع التجارة.

وهو أيضاً كان له دور كبير في الحياة الاقتصادية للمجتمع البابلي القديم، AS. AN.NA «أما زراعة القمح فكان الاعتماد عليه أكثر في الطعام علاوة على دخوله في المعاملات التجارية فضلاً عن أنه يدفع كضرائب. وكان أيضاً يقدم كقرابين للآلهة في الأعياد أو المناسبات، أو كهدية من الأشخاص، وأهمية هذا النوع ترسخت في معتقدات العراقيين القدامى فأخذ حيزاً من الفؤول. وفيما يخص فؤول زراعة الأشجار والنباتات فقد تضمنت موضوع زراعة kanaktu، وزراعة السمسم في حقل المدينة، مشاهدة الزعرور، ونبتة

SIM-IM-DU في حقل في قلب المدينة، ووجود نباتات أخرى في حقل المدينة، وعلاقتها بالحال غير الجيدة والموت، فالمعاناة من الطاعون لتلك المدينة وسقوط الشخص أو الهبوط في أسعار البيع في المدينة ومعاناة الشخص من العوز أو بقاء الأرض مقفرة وموت الشخص، فعلى ما يبدو ومن خلال النصوص وتنبؤاتها فإن العراقيين القدماء قد قارنوا بين أنواع النباتات التي تُزرع أو تظهر في الحقل وانعكاس زراعة كل نوع منها على سعادة صاحب الحقل. ومنها وجود شجرة الطرفاء أو الأرز أو الرمان أو أنثى الأرز شجرة (sarbatu) أو (GLBU(أو وجود (نخلة) في حقل المدينة، فالعراقيون إذن مثلما أعدوا جداول للنباتات الجالبة للشؤم أعدوا جداول للتنبؤات التي تكمن وراءها.» (إسماعيل وحسين 2010: 190).

الدخن: كان من أهم حبوب الغذاء أيضاً.

النخيل: استمرت النخلة كملكة لأشجار الرافدين في العصر البابلي، وكان يستخدم التمر فيها كطعام ومنقوعه كشراب مسكر وغير مسكر، وكذلك لبّ النخلة كعصيرٍ وكشراب، أما خشبها فكان يستخدم في السقوف وأنسجتها تؤلف حبالاً قوية. وسعفها لتغطية الأكواخ وكوقود ومكانس.والتمور التي تجفف كانت تُكبس في جرارٍ وتتخمر. وبعضها كان يعرض للشمس ويخزن للحفظ.

«وقد أدت حقيقة تكوين النخلة من جنس واحد إلى تحسين طرق الإخصاب، حيث يقدم أهل البلاد على جمع الطلع من الأزهار الذكور مخروطية الشكل ويشدونه في مكان يعين في أزهار الإناث وهذا يؤدي إلى زيادة المحاصيل التي قد تترك، بدون ذلك، إلى محض الصدفة. تكون أوجه الجذوع خشنة. والطريقة الاعتيادية لتسلقها إلى القمة، والتي تشاهد غالباً على المنحوتات العراقية، هي أن يربط المتسلق حبلاً حول جذع النخلة وحول بدنه معاً، ومن ثم ينحني إلى الوراء ويبدأ بالصعود بخفة إلى القمة، حيث يبدأ الحبل بالارتفاع في كل خطوة وذلك يتحرك ذاته إلى أهداف أعلى من تلك مباشرة. ويمكن مشاهدة هذه العملية على لوح من الجص من قصر «ماري». «(كونتينو1986: 139).

كان سعف النخيل، وهو جريد النخيل وأوراقها، قد ورد في الأكدية ما يضاهيها بهيئة (سعپاتو) أو (سأپاتو)(Sappatu) وفي البابلية (سعپاتي سلوبي)، كما جاءت في مخروط نبوخذ نصر القرن السادس ق.م.



Babylonian women gathering dates in a garden.

نساء بابليات يجنين الرطب

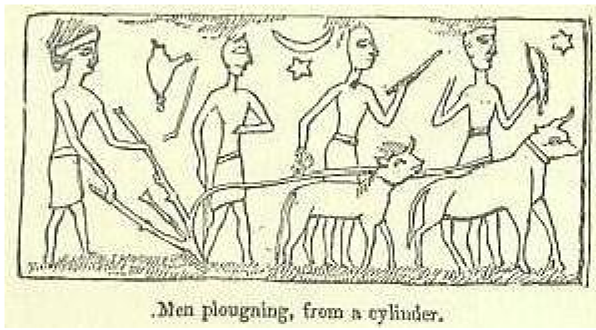
(Rawlinson 2009)

الكروم: «كان الكرم ينمو في شمالي بلاد بابل في ذلك التاريخ، وكان الخمر المستخلص منه ينافس الخمور التي كانت تستورد من منطقة «طور عابدين» (أسالو القديمة) ومن سوريا. وكانت الخمرة الجيدة المصنوعة من العنب (كرانو) Kuranoتساوي أكثر من ثمانية شواقل للجرة الواحدة، في حين كان أفخر أنواع الخمور المستخرجة من التمور (شكرو).» Shikaro تباع بما لا يقل عن الشاقل الواحدة (كونتينو 1986: 168).

أدوات الزراعة:

الكرك (الجاروف): وهي أداة مصنوعة من الحجر أو الحديد المسطح والمثبت في عمود من الخشب من أجل حفر الأرض وتسويتها.

المحراث: أداة مهمة تصنع من الخشب الصلب في إطاره العام، وأما أسنان الحراثة فتصنع من الخشب الصلب المشحوذ أو الذي يُربط به حجر مشحوذ. وللمحراث ساق عمودية في الأعلى بصندوق توضع فيه الحبوب التي تتسرب من صمام نحو الأرض من خلال الساق المجوفة عند الحراثة، وقد أصبح المحراث رمزاً لبعض الآلهة الزراعية مثل ننجرسو الذي أصبح، فيما بعد، إله الحرب والقوة.



رجال يحرثون (رسم من ختم أسطواني)

(Rawlinson 2009)

الرعي:

أما مهنة الرعي فقد كانت منذ العصر البابلي القديم تحت إشراف القصر بعد أن كانت تحت إشراف المعبد، وكان الرعي يشمل الأغنام والماعز والأبقار والثيران، وكان لكل راعٍ لهذه الأنواع من الحيوانات اسم خاص بالبابلية، ولكن الغريب ظهور مصطلح آخر من الرعاة:

«كما ظهر في العصر البابلي القديم نوع آخر من الرعاة وهم الذين أطلق عليهم بالسومرية LU SAG. GE. GA وبالأكدية Salmat qaqqadi وأحياناً تكتب بصيغة سومرية أخرى Lu SIPA. SAG. GE وتعني حرفياً «ذوي الرؤوس السود» وهي تسمية أطلقت على نوع من الرعاة الذين كانوا يحملون الصفات السومرية، وإنهم ظهروا كرعاة في العصر البابلي القديم، ومن الجدير بالذكر أن هذا المصطلح كان قد استعمل في العصر الأكدي، غير أن

استخدامه كان نادراً جداً فضلاً عن اختلاف المعنى اللغوي في ذلك العصر، كما أنه لم يذكر في نصوص عصر أور الثالثة، ويرجح أن هذا النوع من الرعاة غالباً ما كانوا يعملون في المراعي العائدة للقصر.» (الحسناوي 2009: 29 ـ 30).

ثانياً: الثروة الحيوانية

الحيوانات المدجنة:

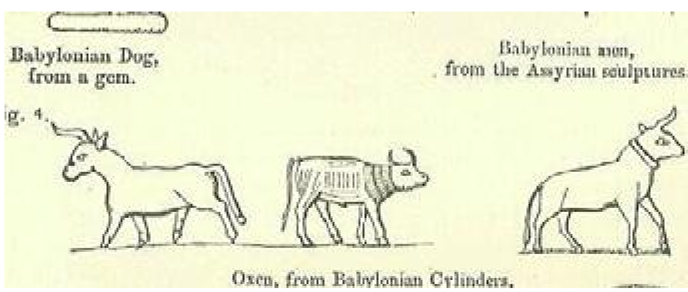
الحمار: اسمه بالسومرية للذكر (أنسي) وللأنثى (إنسي مي) وبالأكدية للذكر (إميرو) وللأنثى (أتانو) هو أهم حيوانات النقل والجرّ، وكانت العربات الحربية، في أسرة بابل الأولى، تجرّها الحمير، ومع مجيء الحيثيين، ثم صعود الآشوريين، بدأت أهمية الحمير في جر العربات الحربية والكبيرة تنحسر بسبب ظهور الخيول كعنصر حاسم في هذا المجال. كانت هناك أنواع منها استناداً لنوع العمل المخصص لها مثل حمار العربة وحمار الحراثة وحمار الحمولات.

الحمار الوحشي: اسمه بالسومرية (دو ـ آس ـ دو) وبالأكدية (أكّانّو)، «ويبدو أن الحمار الوحشي قد استخدم قبل الحمار المدجن، فقد كان الحمار الوحشي من بين الحيوانات المعروفة في العصور القديمة إلاّ أنه انقرض بعد ذلك، وتمتد معرفته في العراق القديم إلى العصور الحجرية، فقد عثر على عظامه لأول مرة في موقع جرمو (شرق مدينة كركوك) التي يعود تأريخها إلى حوالي 7000 ق.م. كما يظهر الحمار الوحشي على الرسوم الجدارية في قرية أم الدباغية من عصر حسونة (5600 ـ 3500 ق.م) إذ إن الحمار الوحشي كان من الحيوانات التي فضل السكان قديماً اصطيادها واستخدموها واسطة للنقل. أما الحمار المدجن فقد ظهر لأول مرة على شكل نماذج فنية تعود إلى عصر العُبيد إذ عثر على نماذج منها تمثل شكل الحمار، كذلك وجدت مشاهد الحمير بكثرة على مشاهد الأختام الأسطوانية من عصر الوركاء وجمدة نصر التي تم العثور عليها في مدينة أور مما يوضح أن هذا الحيوان استخدم واسطة نقل منذ عصور مبكرة.» (الحمداني 2002: 35).

الحصان: اسمه بالسومرية (أنسي ـ كورّا) وبالأكدية (سيسو).«إذ تم العثور في مدينة بابل ومن الفترة الكيشية على دمية طينية مزججة وبهيئة الخيل يركب على ظهرها خيّال (شكل رقم 14)، وبذلك يفهم أن استخدام الخيل قد اتسع نطاقه منذ العصر الكشي إلاّ أنها كانت موجودة في العصور التي سبقت العصر البابلي القديم فقد كانت الخيول معروفة عند العراقيين القدماء وبأعداد قليلة جداً كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فالخيل المدجنة كانت نادرة أيضاً وكان سعرها مرتفعاً جداً، بحيث اقتصر اقتناؤها على فئة معينة ولا سيما الحكام والملوك ربما لأغراض المتاجرة.» (الحمداني 2002: 48).

البغال: كان يسمى حمار الجبل، في السومري (أنسي ـ لبر، أنسي نونّا) وبالأكدية (دامدامو)، استخدم مبكراً في بلاد آشور، ثم للنقل في بلاد بابل.

الماشية: أهمها الأبقار والثيران، وكان منها الأصلية القوية والتي تميل للبر، والزراعية التي تستخدم في الحراثة والتي كانت مصدر اللحوم والحليب، وكان هناك منها الكثير مخصصاً لمعامل وورش إنتاج الحليب.



الثيران البابلية (رسم من الأختام الأسطوانية)

(Rawlinson 2009)

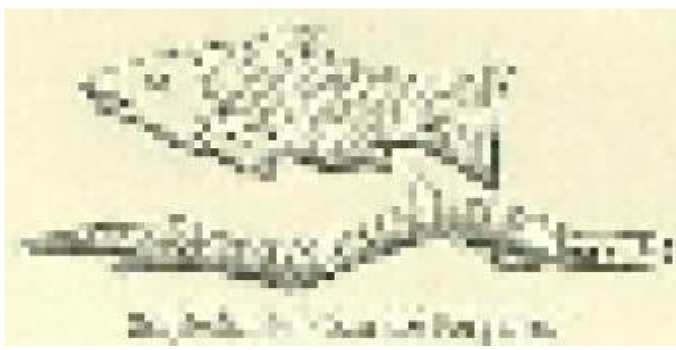
وكان هناك الجاموس الذي يظهر في مناطق الأهوار والمسطحات المائية في أطراف دولة بابل الرافدينية. وهناك الثيران ذوات السنام التي كانت نادرة الوجود والحضور في

الرسومات والمنحوتات البابلية، أما الثيران الوحشية فلم تكن موجودة بسبب انقراضها البكر في بداية العصور التأريخية لكن ذكراها بقيت محفوظة في الثيران المجنحة والأسطورية.

الأغنام: أكثر الحيوانات التي تشكل مصدر اللحوم الرئيسي.

الدواجن: لم يكن الدجاج موجوداً في بلاد الرافدين حتى الألف الأول قبل الميلاد، كان هناك الإوز (يسمى بشّو) والبط منذ وقت مبكر.

السمك: تسمى بالأكدية (نون) وبالسومرية (خو، خا، سو) وكانت أكثر أنواع الطعام البابلي وفرة ورخصاً، فهي قوت الشعب من اللحوم البيضاء، وكانت أسماك الفرات لذيذة الطعم.



السمك البابلي (رسم من أشكال المنحوتات)

كان يتم حفظ الطعام بطرق مختلفة، فالبذور تحفظ بسهولة بعيدة عن الرطوبة، والبقول تجفف في الشمس، وكذلك الفواكه بعد ضغطها وتحويلها لأقراص، وكانت الأسماك واللحوم تُحفظ بتمليحها وتجفيفها. وكانت هناك أنواع كثيرة من الأسماك في وادي الرافدين أشهرها تلك التي تستخدم كطعام في وجبات الناس، وفيما يلي هذا الجدول الذي يعطينا فكرة عن أسمائها بالأكدية والسومرية:

المعنى العربي	المفردة الأكدية	المفردة السومرية
سمكة مملحة	nun ṭabti	MUN . ḪU
جري	Girita	MU.UR.RA. ḪA
السمكة الثعبان		MUŠ.ḪA
شلالة	Šilangitu	SAL.SAL.ḪA
سمكة محرقة	Šinūnu	ŠIM.ḪA
السمكة الحمامة	Šummatum	TU.ḪA
السمكة البقرة	Dadu	ÁB.ḪA
سمكة من الدرجة الثانية		ÙS . Ḫa
سمكة المائدة		ḪA.ṢU.ṢU
شبوط	Puradu	ŠUḪUR
شبوط الأهوار	Aršuppa	
سمكة المشط		UR_4. ḪA
السمكة الكلب		UR . ḪA
السمكة القاتلة		TAG.ḪA
سمكة الإخاء(؟)		ŠEŠ.ḪA

المرجع (النعيمي 2018: 135).

كانت سمكة الجريّ تسمى بالأكدية (جريتو) وبالسومرية (مورّا ـ خا) محرمة في مقام أو ضريحٍ مقدس لأية مدينة ولا تقدم كوجبة يومية، وهو ما جاء بنصٍّ آشوري سنذكره في مكانه.

الجمل: اسمه بالسومرية (أنسي -أبّا) وتعني (حمار البحر) بالأكدية اسمه (إبيلو) أي الإبل. ربما كان الجمل قد وفد إلى وادي الرافدين عن طريق الصحراء وجزيرة العرب، ولم يكن يستخدم على نطاق واسع، وكان البابليون يسمونه (حمار الجنوب)، وكانت قطعان الجمال تسبى في المعارك مع البدو وتوضع في حظائر المواشي لحمايتها من الوحوش المفترسة، وحين تستخدم كانت الكلاب تحرسها.

وقد عرف الجمل ذو السنام الواحد وذو السنامين، ويرجح أنه دجن في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.

الرعي والكلاب: كان الرعاة يستعينون بالكلاب السريعة المدربة من أجل حراسة القطعان التي يرعونها في الكلأ والزرع، وهي مهنة كانت تستعملها الحكومة والمعابد لرعاية القطعان التابعة لممتلكاتها حيث يتقاضى هؤلاء الرعاة مرتباً بسببها.

الحيوانات الوحشية وصيدها: وهي الأسود والذئاب والفهود والنمور والضباع والثعالب والخنازير البرية، كانت أسود وادي الرافدين صغيرة الحجم قياساً للأسود الأفريقية، وقد انقرضت في الوقت الحالي، أما الخنازير البرية الملحاء فما زالت موجودة، وكذلك بقية الحيوانات الشرسة. وكان يتم صيدها بسهام خاصة ذات رؤوس مثلثة ومقعرة، أو عن طريق الحفر الفيّة التي توضع في طريقها.

صيد الحيوانات البرية والطيور والأسماك: مع ظهور التخصصات المدنية، أصبح الصيد مهنة ولم يعد هواية وحاجة عابرة، حيث تظهر مشاهد الصيد وهي تزين جدران القصور الملكية، ويظهر من يمارسها كمهنة يتلقى عنها وارداً يعيش منه أي الحيوانات التي يصطادها ويبيعها. وكانت مهنة صيد الأسماك هي الأكثر شيوعاً وتأتي بعدها مهنة صيد الطيور.



زيبو أو الثيران المحدبة في القطر البحري

يتم تمثيلهم هنا على أنهم طردوا من أرض البحر مع غنائم أخرى، تحت قافلة من الجنود الآشوريين

}من حجر بناء في نينوى في المتحف البريطاني{

(King 1915: 203).

ثالثاً: الري

الساقي (ماكرو): وهو الذي يسقي الأرض عن طريق القنوات الإروائية، أو الدلو (دلو بالأكدية)، وكان الري الشريان الرئيسي في نمو الاقتصاد الرافديني والبابلي بشكل خاص، فقد لعبت شبكات الريّ دوراً هاماً في انتعاش الزراعة في كل أنحاء وادي الرافدين، وكان الريّ أحد أسس بناء الدولة في وادي الرافدين قياساً لمرحلة دويلات المدن التي عجّت فيها مشكلات الري، فقد كانت «هناك حاجة لحماية الأراضي الزراعية من أخطار الفيضانات السنوية المدمرة، الأمر الذي تطلب تشييد السدود وكري الأنهار والجداول لاستيعاب مياه الفيضانات، وهذا ما أدى إلى أن يتركز الاستيطان بالقرب من ضفاف النهرين وبالأخص نهر الفرات، ونظراً لانقسام البلاد إلى دويلات عدة في عصر فجرالسلالات، فقد شهدت البلاد صراعات ضارية للتحكم بالري والسيطرة على الأراضي الزراعية الخصبة، إذ تعد الحرب الطويلة بين دولتي أوما ولكش أنموذجاً لهذا النوع من الصراعات التي نتجت عنها خسائر اقتصادية كبيرة، الأمر الذي دفع الملوك والحكام إلى نشدان الوحدة السياسية، وهو ما تكلل بالنجاح أخيراً بقيام الحكم الأكدي الذي أنهى نظام حكم دول المدن السومرية وأرسى نظام الحكم المركزي، مسدلاً الستار على عصر فجر السلالات (3000 ـ 2350 ق.م)، ما أدى إلى إنشاء أول نظام موحد للري في بلاد الرافدين، ونتيجة للوحدة السياسية التي شاعت في هذا العصر والعصور التالية، فقد أدى ذلك إلى ازدهار القطاع الزراعي حتى أصبح في مقدمة القطاعات التي تعتمد الدولة عليها في الحصول على الموارد المالية، إذ أسهم ذلك في تنوع نظام الملكية، وتقدم أساليب الإدارة والجباية، فضلاً عن تطور الآلات والأدوات المستعملة في الإنتاج الزراعي.» (خلف 2019: 147).

المبحث الثاني: الصناعات والمهن والحرف

بنشوء المدن الرافدينية تطور الاقتصاد وظهرت المهن والحرف والصناعات، وبذلك يكون الاقتصاد قد شكّل واحداً من أعمدة وعناصر الحضارة رغم تطوره البطيء، وبدأت الحرف الأولى بالظهور في سومر وصار لها جماعات معينة تحفظ صنعتها وأسرارها، وأصبحت وراثية تنتقل في سلالات الأسر عبر الزمن، وصار لها ما يشبه التجمعات والنقابات وتزعمها كبارها.

(لو LU)،(مي MI)، هما المقطعان اللذان يسبقان اسم أي مهنة، ويشيران لفكرة المهنة بشكل عام. المقطع (لو) يشير لمهن الرجال، والمقطع (مي) يشير لمهن النساء.

كان البابليون يسمون الحرف اليدوية (أومّانوتو)، وكانت لفظة أومّيا/أومّانو تطلق على معلم الحرفة. وقد تطورت كثيراً في عهد البابليين وتنوعت أصنافها قياساً للحرف السومرية التي سبقتها، وكانت المواد الأولية لبعض الحرف متوفرة في وادي الرافدين، لكن هناك الكثير من الحرف التي تعتمد على المواد الخام الموجودة خارج البلاد «ويدل إقدام أصحاب هذه الحرف على استيراد المواد الأولية التي تحتاجها حرفهم، على سعة الإقبال على منتجاتها، وعلى أهميتها لحياة السكان، فضلاً عن إظهارها لمستوى الرفاه الذي يعيشه الناس آنذاك، وتنقسم الحرف بحسب مالكيها على قسمين: الحرف التابعة للمؤسسة، سواء أكانت مؤسسة المعبد أم القصر، والحرف العائدة إلى القطاع الخاص، ففيما يخص النوع الأول من الحرف فإن معظم منتجاتها تخصص لخدمة المؤسسة التي تنتمي لها، فضلاً عن القائمين عليه من الكهنة والإداريين والمشرفين، الأمر الذي جعلها خاضعة لإدارة المؤسسة وإشرافها إذ كان الصناع يستلمون المواد الخام ويسلمون السلع المصنوعة، أما فيما يخص النوع الثاني من الحرف التي راجت في العصر البابلي القديم وما تلاه من عصور، فإنه لا يخضع لأي إشراف سوى إشراف رب العمل نفسه إذ يعمل في هذه الحرف عمال مهرة سواء أكانوا من أبناء صاحب الحرفة أو متبنيه أو من العمال الذين يعملون مقابل أجور معينة، وينتظم أصحاب الحرف في تجمعات مهنية يرأسها أكثرهم شهرة من أجل فض نزاعاتهم وضمان حقوقهم ومصالحهم، فضلاً عن تمثيلهم أمام السلطات.» (خلف 2019: 147 ـ 148).

ويمكننا أن نضع أنواع هذه الحرف في تصنيف واضح ودقيق حسب نوعها وموادها الخام، يمكننا تصنيف المهن البابلية إلى ثلاثة أقسام كبرى وهي: (الزراعية، الصناعية، التجارية):

أولاً: الصناعات والمهن والحرف الزراعية

1.المهن الزراعية

صيد السمك: كان الصيادون يستعملون الشباك والخيوط في عملهم.وكان السمّاكون يشكّلون فئة متميزة جداً في المجتمع البابلي، فهم الأقدر على توفير الأسماك في بلد تنتشر فيه الروافد والأنهار، فضلاً عن كونهم فئة مهمة من فئات الجيش البابلي أقرب إلى الشرطة.

«لم يكن صيادو الأسماك من طبقة اجتماعية واحدة، كما لم يعتمدوا على مهنة صيد الأسماك فقط، بل كان بعضهم يعمل في الحقول الزراعية، إذ كانوا يعملون كعمال أجراء مقابل أجور أو جرايات تدفع لهم من مالك الأرض (المستأجر) إذ نقرأ «نصف شيقل من الفضة إلى صياد السمك... وأحياناً تعطى لهم جرايات من الشعير أو الصوف وغيرها، وكان البعض منهم لا سيما العاملون في خدمة القصر، يملكون قطعاً من الأراضي كان القصر قد منحهم إياها مقابل خدماتهم إذ ورد في أحد النصوص الاقتصادية. كما كان صيادو الأسماك يؤدون الخدمة العسكرية كجنود في الجيش أثناء الحملات العسكرية وأوقات الحرب. كان صيادو الأسماك في العصر البابلي القديم يعملون بشكل وحدات صغيرة ويترأسهم أحد الصيادين وهو كبير صيادي الأسماك الذي ورد بالصيغة السومرية ..A U.U Š Lú UGULA وبالأكدية iru(m)ärab b فضلاً عن وجود مشرف أعلى وهو .A U.U Š Lú NU. BANDA وبالأكدية iru(m)äb laputtu(m) الذي كان من واجبه الإشراف على عمل الصيادين بشكل عام وصرف أجورهم وجراياتهم وهو مكلف من القصر.» (الحسناوي 2009: 24-25).

ثانياً: الصناعات والمهن والحرف الصناعية

1.الصناعات الفخارية والحجرية



Yale Babylonian Collection: Klaus Wagensonner

مقتنيات بابلية لجامعة يال مكونة من أربعة أقراص تحتوي على وصفات لأنواع مختلفة من الحساء والفطائر. يعود تاريخ ثلاثة من هذه الألواح إلى أوائل الألفية الثانية وهي أقدم الوصفات الطبية المكتوبة في التاريخ. (الصورة لـ: كلاوس واجنسونر)

صناعة الفخاريات

أعظم الصناعات الشعبية التي سادت في بابل وكانت الفخاريات تستعمل لخزن الطعام والشراب والزيت، وكانت الأفران تصنع من الفخار وكذلك التوابيت ذات الأغطية المغلقة والتي ظهرت، أولاً، في العصر البابلي الحديث.

وكانت توابيت الموتى تصنع من الفخار، وهي صناديق فخارية بطول إنسانٍ ذات غطاء محكم يوضع فيها الميت مع بعض الأشياء، وكانت تتكون، أحياناً، من جزأين: للجسد والأطراف العليا والثاني للأطراف السفلى التي تُثنى أسفل ويُحكم اتصالها بالجسد.

كانت الأدوات الفخارية متعددة الاستعمالات فهي تستخدم في الطقوس الدينية بشكل واسع، وفي طبخ الطعام، وخزن الطعام والحبوب بشكل خاص وحفظ المشروبات وتبريد

الماء ونقله وحفظ السوائل كالزيوت والخمور، وفي الزراعة وصناعة بعض أدواتها.

الصناعات الفخارية تعتمد على الصلصال وهو الطين الراسب في قاع الأنهار والغرين، وحين حلّ العصر الانتقالي بين سومر وبابل كانت أدوات صنع الفخار متطورة جداً وذلك باختراع القرصين المتحركين بالأيدي والأرجل، ودخلت عناصر نوعية في التلوين والزخرفة والتزجيج عليها. وظهرت أنواع جديدة من الفخاريات منها القدح الطويل الأسطواني والجرار المتوسطة الحجم والصواني المميزة وأنابيب المجاري الفخارية.

«أما في العصر البابلي القديم فإن أهم فخار مميز هو أقداح الشرب البيضوية ذات القاعدة الضيقة الصلدة والحلقية الرقبة المطولة والتي تقرب من الفخار الحوري ـ الميتاني في شكلها إلاّ أنها غير ملونة بالحلقات السوداء أو الجرار البنية كما تمتاز بجدرانها الرقيقة نسبياً. كما اشتهرت من هذا العصر الجرة الطويلة النحيفة والجرة ذات الفوهة العريضة والقاعدة الثخينة.» (مؤيد سعيد حضارة العراق 3: 42).

تميزت فخاريات العصر البابلي الحديث بما يلي:

1. مصنوعة من الطين النقي واللين والناعم.

2. التزجيج المميز باللونين الأبيض والأخضر المبيضّ حول العنق، واللونين الأخضر والأصفر غير المزخرف.

3. الصحون المسطحة بحافات بارزة خارجياً ومزخرفة.

4. الجرار والأكواب البيضوية وقواعدها المسطحة والسميكة وأعناقها القصيرة وفوهاتها الصغيرة.

5. الجرار الكأسية مغزلية الشكل بنهايات مدببة أو مكورة.

6. الجرار الصغيرة ذات المقابض والقواعد المدببة والمزججة بالأزرق.

«ولم تكن الكور السومرية والعراقية القديمة بشكل عام وخاصة تلك التي تستخدم الخشب أو الحطب كافية لإيصال الحرارة إلى مثل هذه الدرجات، ولهذا فقد كانت تذكر عمليات النفخ اللازمة لإتمام عملية إيصال الحرارة إلى الدرجة اللازمة لعملية الصهر وكانت هذه العملية مألوفة حين استخدام الفعل (نَفخَ) وذلك بأسلوبين: النفخ بواسطة المنفاخ الجلدي المزود بأنابيب فخارية. والنفخ بواسطة الفم وذلك من أجل تزويد النار بالمزيد من الأوكسجين اللازم للاشتعال ومن ثم رفع درجة الحرارة. وتذكر كميات من نواة التمر كانت مجهزة لتوضع فوق المعدن لغرض تصعيد درجة الحرارة. وكانت تعرف نماذج متنوعة للوبدقات المخصصة لمثل هذه العمليات ومنها المصنوعة من الطين. كذلك تذكر نصوص أخرى كميات الفحم النباتي المجهزة لإتمام عمليات الصهر وتفيد هذه المادة للحيلولة دون التأكسد علماً أن عملية الاختزال كانت معروفة منذ الألف الثالث قبل الميلاد.» (الجادر، حضارة العراق ج2: 249).

كانت كور صناعة الفخار عريقة في وادي الرافدين، توارثتها شعوبه حتى وصلت للبابليين وهي في صيغة متينة الصنع، «أما بشأن الكور التي كانت تستخدم لشي الفخار، فقد اكتشف أحد المنقبين الآثاريين أربع عشرة كورة خاصة بشي الفخار في مدينة أور وحدها وكلها من عصر الوركاء أي في حدود نهايات الألف الرابع قبل الميلاد. وقد وصفها بأنها موقد دائري الشكل قطره 90 سم وعمقه 35 سم. وهو مسقف بالطابوق وفي السقف عملت ثقوب لمرور النار إلى القسم العلوي أو الثاني بقطر 10 سم ما عدا الثقب الوسطي الرئيسي المعمول بقطر 45 سم. ووجدت قنوات صغيرة في أطراف الفرن توصل إلى هذه الثقوب والهدف منها إيصال تيار الهواء الخارجي وتختلف هذه الأفران بعض الشيء عن تلك التي كانت تستخدم لغرض صهر المعادن.» (وليد الجادر، حضارة العراق ج2، 1985: 247-248).

صناعة الآجر:

كانت صناعة الآجر متطورة في بابل صنعت منها بيوت وقصور وأستار وبوابات بابل، وكانت أنواع الآجر المصنوعة من الطين النقيّ بألوان كثيرة كالأصفر والأحمر والبرتقالي والأسمر والأزرق والبنيّ والسنجابيّ حسب طبيعة التراب والأرض التي يؤخذ منها الطين.

يصف هيرودوت طريقة بناء الجدران بالآجر في بابل ويقول: «كان الآجر يصنع من تراب الأرض التي يحفرون فيها خنادق الأساسات. ولمّا تكمل الكمية اللازمة كانوا يحرقونها في أفران. وبدل الملاط (المونة) كانوا يستعملون القير (أو الزفت المعدني) بعد تسييحه، وبين كل ثلاثين عرقة (مدماك) من الآجر توجد طبقة من الحصير المصنوع من الغاب (الحجنَة) المشبّع بالزفت.وعلى مسيرة ثمانية أيام من بابل توجد مدينة (إيس) على جدول بهذا الاسم يصب في الفرات، ومع مياه هذا النهر تنصبّ كمية كبيرة من هذا القير الذي صنعوا منه أسوار بابل» (لوبون 2017: 66).

كانت شُعب الأسوار في نهاياتها وكذلك الأبراج الهرمية بألوان سبعة من الآجر هي من الأسفل إلى الأعلى، (البيضاء، السوداء، الحمراء الزرقاء، البرتقالية، الفضية، الذهبية)، ويبدو أن سبب ذلك هو ما نسبوه هم من الألوان للكواكب السبعة. أما حقيقة سبب هذه الألون فلها علاقة بالأكاسيد التي تطلي الآجر، فالأحمر سببه أوكسيد النحاس، والأصفر سببه أوكسيد الحديد، والأبيض سببه أوكسيد الزنك، والأزرق سببه الكوبالت، حيث تُضاف هذه الأكاسيد لعجينة الزجاج التي كانت تطلي الفخار فيكتسب اللون اللماع.

صناعة الأختام:

كانت الأختام، بمختلف أشكالها وأنواعها، تُصنع في بابل ببراعة شديدة، وكانت تُنقش عليها الصور، وتستعمل الأحجار الكريمة في هذه الصناعة مثل الحجر اليماني والعقيق الأبيض والجز وغيرها.

«قال هيرودوتس، وأيده في ذلك بعض ما عثر عليه من المكتوبات: إن كلّ آشوري وكلّ بابليّ كان له ختم يستعمله كالإمضاءة، يوقع به على الآجر الليّن في آخر ما يكتب عليه من

الرسائل والعقود. أما الفقير الذي لا يمتلك ختماً فكان يبصم عدة مرات بظفره. ولكن ذلك كان نادراً، لأن الأختام كانت متفاوتة الأثمان، فلا يقتصر نقشها على الحجارة الكريمة بل كانت تتناول، أيضاً، الصدف والحصى. على أن هذه الأختام كانت عرضة للتجديد المستمر، لأن أصحابها اعتادوا أن يضعوا كمية منها بين طبقات بناء قصورهم وغيرها من معابد وقلاعٍ. ولا بد أن ذلك كان يحصل في إبّان الاحتفالات التي كانت تقام عند وضع أساسات تلك المباني، فيندفع الناس إلى إلقاء أختامهم فيه مضحّون بتلك الأحجار الثمينة التي جمعنا الكثير منها في متاحفنا العديدة، وأغلبها على شكلٍ أسطواني يدور حول محورٍ (كالمحدلة) بحيث يمكن طبع ما عليها من الصور بسرعة بمجرد إمراره على سطحٍ مستوٍ » (لوبون 2017: 64 ـ 65).

صناعة الرحى:

كانت صناعة طحن الحبوب عن طريق الرحى صناعة عريقة. «خلال التنقيبات الآثارية على العديد من النماذج لها. وكانت الرحى تصنع من حجر شديد الصلابة وبأحجام مختلفة، كبيرة وصغيرة. والكبيرة منها ربما استخدمت للطحن. أما الصغيرة فنظراً لخفة وزنها فربما استخدمت لأغراض السحق. وكانت الرحى مؤلفة من حجرين مستديرين شديدي الصلابة. وفي منتصف الحجر السفلي محور يدخل في ثقب مركز الحجر العلوي وتسكب الحبوب أو المواد المراد سحقها في هذا الثقب فتطحن ويخرج دقيقها من بين الحجرين عن محيط دائرتيهما. ويدار الحجر العلوي بواسطة مقبض خشبي مثبت في وجهها العلوي (كما هو الحال بالنسبة للمطاحن اليدوية الحجرية التي لا تزال تستخدم حالياً ولو على نطاق ضيق جداً). والظاهر من خلال النصوص الأثرية أن عملية الطحن كانت تمارس بكثرة في البيوت من قبل النساء، كما هي الحال في يومنا هذا عند أهل القرى. كما كان أهل العراق القدماء يستخدمون المدق والهاون الحجري عبر عصور طويلة ولأغراض متعددة. ومنها تحضير الأغذية وهرس الحبوب وما شابه. وكنا نشاهد المدقات والهاونات الحجرية في العديد من القرى حتى وقت قريب.» (كجه جي 2002: 74).

2.صناعة المعادن والمنتجات المعدنية

النحاس: كانت مصادر النحاس داخل وادي الرافدين تأتي من جبال حمرين وهي قليلة، أما الخارجية فتأتي من جزيرة دلمون (البحرين)، ومن مجان (عُمان) ومن ملوخا (السند)، ويصل إلى ميناء أور ويكون بالمقايضة بالقماش أو الملابس الجاهزة.

القصدير: استورده البابليون من عيلام وبلاد الأناضول وأرمينيا، وفي العراق يوجد في جبل قنديل وفي جبال زاجروس ورواسبه في جبال شمال وشمال غرب إيران.يوجد في الطبيعة على شكل أوكسيد القصدير كرملٍ ثقيلٍ وليس كمعدن.ويتكون البرونز من النحاس والقصدير (الذي لا تزيد نسبته عن 10 %).

كورة الصهر والخلط عند البابليين، في مدينة لارسا مثلاً، بناء كبير يتكون من ثلاثة أقسام، الأول هو ساحة مفتوحة تتصل بالقسم الثاني، والثاني هو غرفة مستطيلة بثلاثة أفران (تصل حرارة كلّ منهما لأكثر من 1000 درجة مئوية)، والثالث غرفتان متصلتان بغرفة الأفران.

تستعر نار الأفران بالنفخ بمنفاخ جلدي مزود بأنابيب فخارية أو بإضافة نوى التمر فوق المعدن لزيادة حرارته.

البرونز: جمع البابليون النحاس والقصدير، بنسب محددة، في سبيكة واحدة ليتشكّل معدن البرونز، وصنعوا منه النواقيس والأبواب والسياجات وأسوار القصور والمدن. وكذلك التماثيل والزخارف والأواني والقدور والصحون وقوالب الصبّ.

الذهب: يتم تعدين الذهب عن طريق الحصول على ترسباته (تراب الذهب) من المواقع الرملية بالغسل المتكرر بالماء، ثم التسخين الخفيف للتخلص من شوائبه، ثم إضافة الملح وفحم الخشب، ثم الصهر والصبّ.

ولا شك أن كميات كبيرة من تراب الذهب كانت مادة خاماً للحصول على كميات قليلة من الذهب، حيث نقرأ النص الآتي: «5 منّاً من الذهب..كانت قد وضعت في النار. في عملية الحرق الأولى اختفى ثلثا المنّا و5 شيقلات من الذهب وقد تقلصت إلى 4 منّاً و2 شيقل من الذهب لتعطي ثلاثة وثلثي منّاً و3 شيقلات من الذهب. وبتحويل هذه الكميات إلى وحدات الوزن الحالية تصبح كما يلي: وضعت كمية من الذهب الخام في الفرن. وبعد التسخين الأولي فقدت من وزنها 379 غراماً (15%) فأصبحت 2146 غراماً. وفي المرحلة الثانية وهي الصهر والصبّ. فقدت من وزنها 269 غراماً (12.5%) وأصبحت 1852 غراماً.وبذلك يكون إجمالي المفقود في عملية التصنيع بمرحلتيها (27.5 %).» (كجه جي 2002: 39ـ 40).

كان الذهب يستخدم كمقياس لتسعير الأشياء من البضائع وكان شيقل الذهب = 8.4 غم.

وكان شيقل الذهب = 5 شيقلات من الفضة (أي 1غم من الذهب = 10 غم من الفضة).

يذكر هيرودوت أنه كان في هيكل مردوخ (بعل) تمثال كبير من الذهب يمثّل جالساً، وبقرب هذا التمثال مائدة كبيرة من الذهب أيضاً، وكان العرش وسلّمه من هذا المعدن، ووزن كلّ ذلك، على ما جاء في تقارير الكلدويين، نحو ثمانمائة.

الفضة: كانت خامات الفضة في جبل طوروس في بلاد الأناضول في منطقة يقال لها جبل الفضة. وفي مدينة إبلا شمال غرب سوريا.وكانت تصفيتها من خامتها مشابهة لطريقة تصفية الذهب.

استخدمت الفضة كأول معدن للمقايضة كنقودٍ، وذكرت ذلك الشرائع البابلية (أشنونا: المواد 1و2 و7، لبت عشتار: المواد 247، حمورابي: المادة 215).

نسبة الفضة عند البابليين تساوي 130 من النحاس.

الحديد: أسماه البابليون والآشوريون (بارزيلو) أي (معدن السماء).مصادره الرئيسية هي الهمتايت (خام الحديد الأحمر) وأوكسيد الحديد المائي الأصفر.كان يجلب من بلاد الأناضول، وكان يستخدم لصناعة الأسلحة والأدوات كالمحاريث والسلاسل والمقابض والمعاول والخطاطيف والخوذ، وقد ذكر ديودروس الصقليّ أن قنطرة على الفرات في بابل كانت أعمدتها الحجرية مربوطة بمشابك من الحديد.

أدوات وأجهزة الصناعات التعدينية كانت تشمل المطاحن والمدقات والمصافي والمرشحات والبواتق الحرارية والأفران.. إلخ.



صورة متخيلة لفرن الصهر البابلي

3.صناعة الغزل والنسيج

كانت مهنة إنتاج الصوف تقوم بالتمهيد لصناعة الغزل والنسيج، وكان يتم جز الصوف في مواسم معينة وأكبر عمليات جز الصوف في بابل كانت تجرى في رأس السنة الميلادية كجزء من احتفالات الأكيتو.

كانت مراحل صناعة المنسوجات الصوفية تبدأ بالتنظيف ثم التمشيط ثم الغزل ثم القصر (التبييض) ثم الصباغة ثم النسج.

وهي صناعة قديمة في وادي الرافدين، استخدموا فيها صوف الأغنام والماعز بشكل خاص، وكانت صناعة الغزل والنسيج بيد الرجل في ورش صغيرة وكبيرة أغلبها يتبع للمعبد أو للقصر، اقتصر دور النساء على الغزل والنسيج المنزلي لتوفير احتياجات العائلة في مجال الثياب وغيرها.واستخدم الكتّان بالدرجة الثانية. وهناك الملابس الشفافة الداخلية والأنسجة المزركشة والأنسجة السميكة الخيوط والبسط المتينة.

كانت الأداة الفردية للغزل تتمثل بالمغزل، بشكل خاص، أما النسج الجماعي فقد كانت له أداة النول(بنوعيه الأفقي والعمودي) التي تمتد في ورش النسيج وتجمع لها أكثر من شخص وهم يجلسون القرفصاء أو يقفون لكي ينسجوا قطعة القماش أو الفراش كاملة. كانت إبر النول من العظم لتمرير خيوط الغزل في جسد النسج، واستخدموا مشط الحديد لترتيب النسيج وصفّه.

أما صناعة الكتان فكانت له طريقة خاصة في جمعه من الحقول وتهيئته للغزل والنسج، استخدمه السومريون الأوائل وشاع استخدامه في وادي الرافدين، وكذلك كان هناك القنّب الذي استخدم في إنتاج الأنسجة.

هناك صناعة الحبال وهي صناعات بسيطة مادتها الأولية نبات الأسل وخيوط فسائل النخيل. وكذلك صناعة السجاد والستائر والمفروشات والبُسط، واشتهر البابليون والآشوريون بسجادهم المزخرف والملون والمتين في العالم القديم وكان أغلبها مصنوعاً من صوف الأغنام والماعز.

وكانت صباغة الأنسجة عموماً مهنة قائمة بذاتها وتعتمد على خلاصة الشعير(البيرة) وإذابة الأصباغ (المعدنية أو النباتية أو الحيوانية) فيها وتضاف لهما مثبتات الأصباغ وتغلى في قدر نحاسي، ثم يضاف لها الماء البارد، وتجفف.

وتنتهي هذه الصناعات بمهنة الخياطة، وهي مهنة رافدينية عتيقة برع فيها البابليون حتى أنهم جعلوا من عشتار إلهة الخياطة، وكانت الخياطة على مراتب وأصناف حسب علاقتها

بالمعبد والقصر لأنها كانت مهنة مهمة للسلطة ورجال الدين، وتنوعت الملابس وخياطتها وكثرت مناسباتها، ولم تكن هناك أزرار (كتلك التي اخترعها الهنود) بل كانت الخيوط تحلّ محلّ الأزرار في الربط.

صناعة السجاد: تعد نصوص ماري البابلية القديمة ونصوص نوزي أغنى النصوص من حيث المعلومات المتصلة بصناعة السجاد.

صناعة السلال: كان صانع السلال يصنع الحاويات القصبية والخوصية، وكذلك الحصر والصناديق والقفف والأطواف المائية والتوابيت الرخيصة.

صناعة الأكياس: وهي صناعة واسعة الانتشار بسبب فائدتها العملية.

صناعة السجاد: اشتهرت بابل بصناعة السجاد، وانتقلت منها هذه المهنة إلى بلاد آشور التي تفوّقت فيها على بابل، ومن بابل وآشور انتقلت هذه المهنة الرافدينية العريقة إلى إيران وبرعت فيها فارس، وصرنا نسمع بالسجادة الفارسية ونُسي أمر بابل وآشور في هذا المضمار.

4.صناعة الدباغة والجلود

واحدة من أعرق المهن والصناعات في وادي الرافدين، فقد كانت الجلود مهمة في صنع الأحذية والحقائب وقرب الماء وعمل الحلاقين وأغمدة الأسلحة والخوذ وسروج الحيوانات والملابس وغيرها، وكانت دباغة الجلود تتطلب صناعة كيميائية دقيقة، فهي على ثلاث طرق:

1. التزييت: حيث تستخدم الشحوم ونبات المرّ.

2. التمليح: حيث تستخدم الأملاح المعدنية وتثبت الأصباغ معها عن طريق الشبّ.

3. استخدام العفص: وهي ثمرة غنية بمواد دباغية يضاف لها غلاف ثمرة البلوط والسمّاق والطين وبعض الأملاح المعدنية.

5.الصناعات الغذائية

صناعة الألبان: كانت تتم بحلب الأبقار المعدة للحلب ووضع حليبها في جرار كبيرة ضيقة العنق، والتي تخضّ مباشرة فيتم جمع الزبدة لوحدها في جرار واسعة الفم، ويصب اللبن في أوعية أخرى.

كانت أنواع الأبقار المعدة للحلب تأتي من مصادر كثيرة وكانت توسم بأسماء صاحبها، أما تلك التي تأتي من المعابد فكانت توسم برمز الإله الذي يكون لذلك المعبد (مردوخ برمز المجرفة، عشتار برمز النجمة، سين برمز النجمة الشعاعية ولهبها..) إلخ.

برع البابليون بصناعة منتجات الألبان والقيمر واللبن الخاثر، وزيت الزيتون والدبس (دبشو)، والبيرة من الشعير، والنبيذ من العنب والتمر، وعرفوا عمليات التقطير للبيرة والنبيذ لصناعة المشروبات الراقية المتبّلة بالمطيبات.

صناعة الحلويات: كانت صناعة الحلويات والكعك المقدس للآلهة، والأطعمة الخاصة منتشرة في بابل، ويستخدم الشعير والحنطة والذرة وسكر التمور والعسل والزبدة المصنوعة من لبن الأغنام أو الماعز، وبذور السمسم، زيته وماء الورد. ومن الصناعات الغذائية العسل وصناعة اللحوم وحفظها بمختلف أنواعها عن طريق التجفيف والتمليح.

6.صناعة الصابون

صناعة المنظفات والصابون: كانت بلاد الرافدين أول من استعمل المنظفات والمطهرات، وأول من صنع الصابون كمنظّف لليدين والجسد، «لقد كانت المواد القلوية، «الطين خاوة» والمواد الصمغية المعقدة التي تفرزها الأشجار معروفة لدى سكان وادي الرافدين القدماء وشائعة في الغسيل. هذا وقد كان الحصول على المواد القلوية يتم إما بتجفيف البحيرات

المالحة بواسطة الشمس وبلورة المادة الأخيرة، أو من حرق الأشجار الغنية بهذه المواد واستخلاص مادة الصودا من الرماد بواسطة الماء. ولأداء العملية السابقة تستخدم أجهزة استخلاص وترشيح وتبخير خاصة.»(حبة 1969: 103).

كان الصابون مهماً في حياة البابليين، وكان صابونهم متواضع الصنع ولم يكن نقيّاً، حيث يمزج رماد الحلفاء، الحاوي على الصودا أو البوتاس، مع الزيت.كان يصنع في بابل على الطريقة الباردة وذلك عن طريق معالجة الزيوت النباتية والقلويات مع مادة الكبريت أو الصمغ فيتكون الغليسيرين.

«كما أن الأستاذ ليفي أشار إلى إمكانية صنع الصابون الحقيقي أو المعروف بالصابون البارد، أو شبه المغلي، الذي تظل فيه المواد التي تتضمن الغليسيرين والماء في حالة متخثرة أو سائلة. إن عملية الصابون البارد أو شبه المغلي تتبع عادة في صنع الصابون من الزيوت الصابونية الجاهزة. ويضمن زيت الخروع هذه المتطلبات. وثمة دليل ما على أن الصابون كان يفصل عن الغليسيرين بعملية الترسيب الملحي.» (حبة 1969: 104).

7.صناعة العطور

كانت الزيوت العطرية كثيرة الأهمية في الطقوس الدينية، وكذلك بقية العطور وماء الورد، وكانت على أنواع منها (الزيتي، الدهني، المائي، المركب والبسيط). وكانت تعتمد على عمليات التنقيع أو التعطين للمواد المعطرة ثم استخلاص الزيت أو الماء العطريّ منها.كانت أنواع خاصة من الأفران تستخدم في إنتاج العطور وكان التقطير أساسياً أيضاً، وكان للمرأة دور كبير في هذه الصناعة.

وفيما يلي وصف لطريقة صنع العطور كما جاءت في إحدى المخطوطات الأثرية المكتشفة:

«توضع المادة الأولية مع ماء البئر في وعاء وتترك إلى اليوم الثاني لتنقع. وفي صباح اليوم الثاني يرشح الماء والعطر بواسطة القماش المخرم إلى إناء ثان يحتوي على مقادير من

عود الريح (المرّ Myrrh)، ويترك إلى اليوم الثالث ثم يرشح بنفس الطريقة السابقة بقطعة قماش. يسخن الماء اللازم للمزيج في قدر ويضاف مع مقدار معين من الزيت ويخلط بخلاطات خاصة ويترك المزيج بعد ذلك ليبرد وليكمل الاستخلاص وذلك لمدة يومين إلى ثلاثة أيام. وهكذا تكرر العملية حوالي عشرين مرة حتى يتم استخلاص الجزء الأكبر من المواد العطرية بواسطة الزيت.»(حبة 1969: 76 ـ 77).

جهاز التقطير:

أول جهاز للتقطير في وادي الرافدين جاء من منطقة (تبه كاوره) شمالاً في حدود 3500 ق.م فقد تعرّف الآثاريون على جهاز بدائي للتقطير، وفي العصر البابلي القديم جاء ذكر التقطير في وصفات تحضير العطور البابلية.

8.صناعة الزجاج

وهي صناعة قديمة ظهرت في أشنونا عام 2600 ق.م، وتطورت ببطء وأصبحت متقنة ودقيقة في العصرين الآشوري والبابلي رغم سمك وعتمة الكثير من المصنوعات الزجاجية. وكانت تعتمد، أولاً، على ابتكار عجينة الزجاج الرملية وتنقيتها بالتسخين، ثم ظهر اكتشاف صناعة الزجاج المنفوخ بواسطة عصا أو أنبوب مجوفين وتدوير ونفخ عجينة الزجاج في نهايتها حسب الشكل المراد صنعه، وقد عثر في مدينة (نيبور) على زجاج مصنوع بطريقة النفخ.

9.الأملاح المعدنية

صناعة الجبس التي تستخدم في التجبير وفي التماثيل، وصناعة ملح الطعام وتنقيته، وصناعة مادة الخزف الأزرق (سيلسكات الصوديوم)، وكاربونات الصوديوم المهمة في صناعة الزيتون والعطور والطب والزينة وغيرها. ونترات البوتاسيوم المستخدمة في تطهير المجاري ومراحيض البيوت.

10.صناعة الأدوية

لم تكن الأعشاب الخام فقط هي التي تعطى في المعالجات الطبية، بل كانت هناك صناعة للأدوية من الأعشاب والمصادر الحيوانية والمعدنية تعتمد على التركيب والخلط والمزج، وقد كانت البيرة مادة مهمة لتعقيم الجروح وتخفيض درجة حرارة المريض، واستخدم محلول ملح الطعام كدواء في حالة الإجهاد والتعرق.

«أما تركيب وتصنيع الأدوية فكان يتم بطحن المركبات الجافة بواسطة مطاحن خاصة. بصورة منفردة أو مخلوطة مع زيت السيدار أو الفستق. ثم يمزج المسحوق مع البيرة ويرشح قبل الاستعمال. وغالباً ما تضاف الأملاح إلى الأدوية المستحضرة لاحتوائها على شوائب قلوية تساعد على إذابة المواد العضوية المعقدة الموجودة فيها. ويتم استخلاص المواد للأغراض الطبية بواسطة المستخلصات العضوية (الزيوت) أو غير العضوية (الماء) عندما تكون أملاح المواد العضوية ذائبة أو معلقة في الأخير. ومن الجدير بالذكر أن الوصفات الطبية السومرية التي اكتشفت في بعض الرقم الطينية، لم تذكر فيها المقادر المستعملة في تركيب الأدوية، وربما يعود ذلك إلى الحرص الشديد على أسرار المهنة. كما يجدر الإشارة إلى أن الطب في زمن السومريين قد أكد على ضرورة الاستفادة من كافة إمكانيات العلاج بالأدوية قبل اللجوء إلى الجراحة. كما أن الطب خلا كلياً من الخرافات والشعوذة والسحر والأشياء الخارقة. فهو بذلك يختلف عن الطب المصري واليوناني وغيرهما، مما يعكس مدى علمانية سكان وادي الرافدين فيما يخص العلوم.»(حبة 1969: 108 ـ 109).

ثالثاً: صناعات النقل التجاري

كانت الملاحة في بابل متطورة نسبياً بسبب وفرة السفن والمراكب والزوارق والقفف (الأكلاك) والأطواف (جمع طوفة)، كانت السفن وسيلة التجارة الخارجية، وبعضها يستعمل في التجارة الداخلية من خلال النهرين الخالدين، أما المراكب والزوارق فكانت للاستعمالات الداخلية في الأنهار والروافد، لكن الأكلاك التي تصنع من القصب فكانت أشبه

بالسلال الكبيرة الحجم والتي تطفو على المياه فكانت تستخدم في نقل الأشخاص والسلع، أما الأطواف فكانت كتلاً من القصب المشدودة عند نهاياتها والمنبسطة في وسطها وكانت تستعمل للنقل المحدود.

صناعة السفن والقوارب الخشبية

برع العراقيون القدامى في صناعة القوارب والسفن منذ عصر العبيد، وتطورت هذه الصناعة عند البابليين وأصبحت ضخمة وتستخدم في التجارة الخارجية، ووصل بعضها بحجم حمولةٍ تقدر بـ 12 طناً، وكانت السفن تصنع من خشب الغار ومن القار الخام الذي يطليها من الداخل والخارج، فضلاً عن الأشرعة التي كانت تصنع من أنسجة قوية وخفيفة في الوقت ذاته.

في بابل كان النقل التجاري يتم بواسطة المراكب وهي على أنواع:

1. القفه: اسمها بالأكدية (كوبّا)، وهي سلال مستديرة تحمل على الرأس مصنوعة من الأسل المجدول والمحكم الشد وأسفلها مغطى بالقماش والجلد ومسدودة الحزوز بالقار.

2. الكلك: اسمه بالأكدية (كلكوم) وهو طوافة مليئة بالهواء ومثبتة في أسفل الطوافة، مصنوعة من جلد الغنم.

3. المراكب الخشبية: وبعضها شراعية.

4. المواعين: مراكب شراعها محبوك من الأسل يشبه جناح عصفور النورس، تتسع لحمولة قليلة نسبياً، لكن بوسعها أن تجر في الدلتا وهي تعبر الأقنية عند نقل التمور وغيرها.

وهناك صناعات وحرف متفرقة أخرى كالنجارة والحلي والقصب والسلاسل والكبريت والزئبق والرصاص... الخ.

«كذلك أطلق العراقيون القدماء تسميات عدة على السفن بموجب هيأتها العامة أو حجمها، فمثلاً الكبيرة كانت تسمى بـ eleppu rabitu والسفينة الصغيرة سُميت بـ Tur ـ gisma2 التي تقابلها الصيغة الأكدية Maturru. كذلك كان للسفينة الجديدة والخربة (القديمة المستهلكة) اسم خاص، فالسفينة الجديدة سُميت بـ eleppu eshshetu، في حين كانت تسمى السفينة الخربة بـ eleppu kharubtu.» (الحمداني 2002: 84).

كانت هناك عمليات صيانة مستمرة للسفن البابلية، وكانت تتم بإشراف حكومي «كذلك وردتنا إشارات من عهد الملك حمورابي أيضاً عن عملية صناعة السفن وصيانتها، ففي نص يشير إلى تكليف الملك للموظف (سين ـ ادينام) بإعادة صيانة بعض السفن وعلى ما يبدو أنه واجه صعوبات في عملية إصلاحها لذا يفهم من المصدر أن الموظف المذكور يستشير سيده الملك لاستلام إرشاداته وتوجيهاته حول تلك الصعوبات، كما نقرأ في رسالة أخرى موجهة إلى سين –ايدنام قل (ماياتي) هكذا (يقول) حمورابي: تاريباتم كما قال لي هكذا يأتي جنود السفن (البحارة) الذين أرادهم سيدي لم يعطوني إياهم (لذلك) ولم أعمل السفن كما قال لي...» (الحمداني 2002: 93).

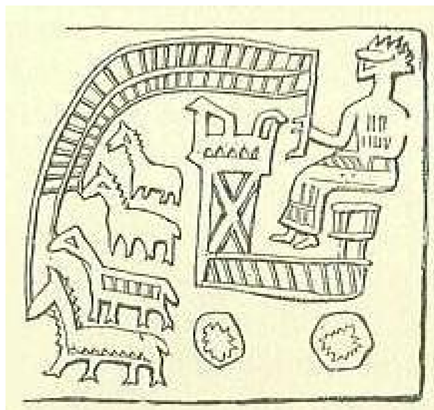
صناعة عربات النقل

كانت عربات النقل قد ظهرت مبكراً على شكل زلاقات أو المصنوعة بعجلات لأغراض النقل والأغراض الحربية معاً، وبرع البابليون في صناعة عربات النقل العامة والملكية والتي كانت تستخدم في المناسبات والأعياد، وكانت تزين بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وكانت الحمير والثيران تجرها في العصر البابلي القديم، ثم استبدلت بالخيول في العصر البابلي الحديث.

«لقد ورد ذكر أنواع العربات في النصوص المسمارية ولا سيما في نصوص العصر البابلي القديم إذ تشير إلى العربات ومراكز صناعتها مما يعكس أهميتها الكبيرة آنذاك في حركة النقل التجاري، ولا سيما في داخل نطاق المدن إذ كانت تنقل بها البضائع التجارية من أرصفة الموانئ إلى أحياء المدن وأسواقها، وقد اشتهرت مدينة ماري من بين المراكز

التجارية القديمة في صناعة العربات، فيتضح من رسالة بعثها اشمي ـ دكان إلى أخيه يسمخ أدد، رداً على رسالة كان قد أرسلها إليه جاء فيها: «ماري تصنع أفضل العربات في البلاد، أرسل لي نجاراً خاصاً ليصنع لنا عربات مثل عربات ماري» (الحمداني 2002: 67).

القوافل: الوسيلة الأساسية للنقل، وتتكون من حيوانات تحمل البشر والأمتعة، كالحمير والثيران ثم جاء دور الجمال متأخراً والتي أصبحت الضرائب عليها وعلى ما تحمل أضعاف غيرها.



Babylonian four-horse chariot.

المركبة البابلية ذات الخيول الأربعة

المبحث الثالث: التجارة

أولاً: التجارة الداخلية

كانت التجارة الداخلية، في أغلبها بيد الدولة، وقد نشطت باستخدام السفن التي تسري في الأنهار والقنوات محملة بالمنتجات الغذائية، والأصواف، والأخشاب، والطوب، والمعادن وغيرها. وكانت أهم المدن التجارية في بابل هي بابل العاصمة وسبّار ولارسا

ونيبور.وشملت هذه التجارة كل المنتجات والسلع الأساسية في البلاد، بخاصة الأصواف والأسماك.

كان هناك أنواع من أرباب التجارة الداخلية من غير الحكومة وهم:

1. تجار الجملة وهم كبار التجار

2. تجار القطاعي: وهم صغار التجار الذين ينشطون عن طريق استلام السلع والقروض من كبار التجار الأثرياء أو من المعبد.

3. تجار الدامكاري: ظهر بعض التجار الذين كانوا يعملون في التجارة الداخلية لحسابهم الخاص وكان عملهم يحتاج إلى المغامرة والجرأة، وكانوا يعرفون باسم «داماكاري».
وكانوا، أحياناً، يعملون بتكليف من الحكومة بإشراف موظفين حكوميين مختصين أطلق عليهم اسم «وكيل داماكاري».

ضمنت التشريعات مصالح التجار والملاك الأثرياء ونصت القوانين في مواد محددة على ضمانات لتاجر الجملة لتحقيق ربح قانوني كبير. وطبقاً للمادة 101 و103 من شريعة حمورابي فإن الذي يأخذ قرضاً من تاجر كبير عليه استرجاع ما استلفه مضاعفاً، حتى لو اضطر إلى عصر أرباحه. المبرر الوحيد الذي يحرر المستلف من سداد القرض كانت هي العمليات العسكرية.

وتختلف النظرة إلى التاجر عند بعض الباحثين «فمنهم من يرى أن ارتباط التاجر بالمعبد أو القصر وقيامه بدوره كوكيل جعله موظفاً ذا طابع اقتصادي وأن مورده الأساس (الدخل) كان مستمداً من الهبات والمنح التي يخلعها عليه القصر أو المعبد والتي كان من أهمها الأراضي الزراعية فضلاً عن الأجر الذي يتلقاه وباعتباره موظفاً وكيلاً للمعلومات التجارية بين السلطة والأفراد إضافة إلى ما يجنيه من بعض الأعمال التجارية الفردية التي كان يقوم بها خارج نطاق عمله الاساس التابع للقصر أو المعبد «(رشيد 1973: 133 ـ 136).

موراشيو التاجر: داماكاري من نيبور:

بعد السبي البابلي لأهل يهوذا، أظهر بعض هؤلاء شطارة في بعض المهن البابلية ومنها التجارة، فقد قام موراشيو من نيبور بتأسيس شركة تجارية شهدت إزدهاراً واسعاً بعد سقوط بابل وخلال حكم الملكين الفارسيين أحشويرش الأول ودارا الثاني، فقد عثر على وثائق مكتوبة بالمسمارية الأكدية وبالآرامية تعبر عن نظام مصرفي متقدم وعن تجارة واسعة وعقود بيعٍ وشراء وتأجير بيوت وبساتين وإسقاط ديونٍ وتسليم بضاعة وغيرها.



صورة متخيلة لتاجر بابلي

Babylonian Merchants. Illustration from With the World's People by John Clark Ridpath (Clark E Ridpath، 1912).

الأسواق البابلية:

كلمة (سوقو) تعني السوق، وكانت الإسم البابلي الذي يطلق على «الشارع». وهي شوارع صغيرة ضيقة يحتل التجار أماكنهم فيها بمعزل عن تقلبات الجو والشمس، وهي مغطاة

بالخيم ـ كما نرى ذلك اليوم في شوارع إشبيلية، مثلاً. ومع أننا لم نعثر على «السوق الكبير»، في بابل، لأن الأمكنة التي كان يحتلها التجار فيه كانت بالطبع مؤقتة، وذلك بناءً للأسباب التي توجب ذلك في مدننا اليوم. وقد عثر على «مركز» تجاري شرقي القصر، في مكان يدعى الـ«مركاس» ـ الذي يعتقد بأن ترجمته الصحيحة «العقدة» وكان فيه بناء هام جداً، لم يتضح لليوم الغرض الذي خصص له (الشكل 4). فقد كان فيه حي الأعمال الأقدم والأهم في بابل، حيث عثر على بعض المدافن.»(روثن 1984: 82).

كانت الآراء حول وجود الأسواق البابلية غير متجانسة، فبينما ينفي بعض الباحثين وجودها، يرى البعض الآخر وجودها وأن تنوع بضائعها كان سبباً في تميزها، وكان المعبد مكاناً اقتصادياً مركزياً بالإضافة إلى القصر، ولا شك أن المناطق المحيطة بالمعابد والقصور كانت أماكن للبيع والشراء رغم أنها لم تكن أسواقاً بالمعنى المعروف.

يرى هيرودوت أن هناك أسواقاً في بابل بالرغم من عدم توافق هذا الأمر مع الفرس المحتلين لها والذين لم يعرفوا الأسواق في بلادهم، ويؤيد أوبنهايم عدم وجود الأسواق في بابل، بينما يرى هاري ساكز أنها موجودة بشكل متواضع. أما كونتينو فيرى «بين فحص البناية الكبيرة في بابل التي تدعى بالمركز بأنها قد شيدت على مخطط شبه منحرف، وأن ثلاثاً من جبهاتها، طول كل جبهة منها حوالي أربعين أو خمسين يرداً، كانت مضرسة مثل أسنان المنشار. وليس من شك في أن هذا التصميم كان نتيجة الرغبة في كسر اطراد النسق للسطح الطويل المبسط وذلك بإيجاد مستويات بديلة للنور والظل تتغير كلما مضى النهار وإضافة عنصر زخرفي. فما عدا هذا المظهر كان المخطط مماثلاً للمخطط الذي وصفناه قبلاً، والذي يحتوي على سلسلة من الباحات التي تربط إحداها الأخرى غرف تنفتح عليها، وإن الفرق الوحيد هو أننا نجد بدلاً من غرف البيت الاعتيادية، صالات أوسع وأقل عدداً، وذلك ترتيب أكثر ملاءمة دون ريب لبناية تستعمل لأغراض تجارية في الدرجة الأولى.» (كونتينو 1986: 67).

ثانياً: التجارة الخارجية

«لتيسير الاتصال بالأقاليم الخارجية كان لا بدّ من تأمين الطرق التي تسلكها الرحلات التجارية، فضلاً عن توفير وسائل نقل برية ومائية مناسبة لنقل المنتجات المصدرة والمستوردة، ففي ما يخص النقل البري جرى الاعتماد على قوافل الحيوانات وبالأخص البغال والحمير في عمليات التبادل التجاري، فيما استخدمت القوارب والسفن في الرحلات النهرية والبحرية التي نجحت في ربط البلاد تجارياً بالبلدان البعيدة مثل: أرمينيا والحبشة وبلاد السند، إذ لم يقتصر أثر هذه الرحلات على تمتين الروابط التجارية بل وفي نقل المظاهر الحضارية من مكان إلى آخر، ونظراً للتكلفة العالية لهذه الرحلات فقد جرى تمويلها من قبل مؤسستي المعبد والقصر، ثم ظهرت فئة متخصصة هي فئة التجار أخذت على عاتقها إدارة هذا النوع من العمل، إذ أصبح لأفرادها مكانة كبيرة في المجتمع نظراً لتنوع أعمالهم وسعة صلاتهم، فضلاً عن امتلاكهم لأموال كبيرة، إذ يمتلك كل تاجر عدداً من الشركاء أو المساعدين المنتشرين في العديد من المقرات التجارية التي اشتهرت، منها تلك المقرات المنتشرة في آسيا الصغرى، من أجل عقد الصفقات والإشراف على حركة القوافل بين البلاد والأقاليم التي توجد فيها تلك المقرات. لا شك أن بابل اكتسبت شهرتها من تجارتها الخارجية، فهي مزدهرة دولة ومدينة، وكانت تعتمد على التمور المجففة أو المحفوظة بالزيت.» (خلف 2019: 147).

كانت التجارة في العصر البابلي الحديث قد وصلت إلى ذروتها، ولتذكر الحياة التجارية في بابل، بوسعنا أن نلجأ إلى الوصف الرمزي، في رؤيا القديس يوحنا، «للتجارة» في بابل:

«تجار الأرض يبكون، وهم في حداد على تجارتهم، لأن ما من أحد يشتري إطلاقاً بضاعتهم من الذهب، والفضة، والحجارة الكريمة، والجواهر، والكتان الناعم، والأرجوان، والحرير، والقماش القرمزي، وكل أنواع الخشب العاطر، وكل أنواع الأغراض العاجية، وكل أنواع الأدوات الخشبية القيمة جداً، والنحاس، والحديد، والرخام، والكافور، والطيب، والعطور، والمر، والبخور، والخمر والزيت، والدقيق الناعم، والقمح والثيران، والنعاج، والخيل والعربات، والأجساد وأرواح الرجال»..(روثن 1984: 73).

وكانت تصدر النفط الذي كانت تسميه (زيت الحجر) للإنارة ومعه القار الذي كان يستعمل في البناء كخليط مع الرمل والكلس، الصوف، والنسيج الصوفي الذي يسميه الإغريق بـ (كوناكس) وكأنه الفرو المتموج، ويطلقون عليه اسم (صنع بابل). السجاد والأقمشة المزخرفة، الصناعات المعدنية: النحاسيات، الصناعات الجلدية: الأحذية وسروح الخيول.الصناعات الخزفية: الأوعية والمواعين، صناعة السلال: القفف والسلال والسياجات والكراسي والحصر، صناعة الحلي: كالمجوهرات والقلائد والخواتم.

بعد قيام الإمبراطورية البابلية بلغ وادي الرافدين قمة في التطور الاقتصادي والسياسي «وكانت الحضارة البابلية في أجورها ومن خلال ما وصل من وثائقهم ذات صبغة تجارية متمثلة بالبيوع والقروض، فلم تكن شهرة بابل فيما يتعلق بشؤون التجارة وممارستها أقل من شهرتها بالزراعة والصناعة، وقد أشار إلى ذلك العديد من الكتاب القدماء ك الإغريق والرومان وتحدثوا عن النظم التجارية التي كانت سائدة في العراق القديم، وقد بلغ من تقدم التجارة في بابل أن أنشئ أول معهد مصرفي (685 ق.م) وهو مصرف إيجي وأولاده الذي حفظت الألواح عقوده التجارية ومعاملاته المالية. حتى أن شريعة حمورابي خصصت (120) مادة من مجموع موادها (282) للمعاملات والشؤون التجارية. وقد أدى افتقار بلاد وادي الرافدين للمعادن والأحجار والأخشاب الجيدة إلى استيرادها وبكميات ضخمة، كما أن هذه الحاجة خلقت بدورها حاجة أساسية أخرى وهي ضرورة إنتاج سلع زراعية وصناعية جيدة ومرغوبة لغرض تصديرها مقابل المواد التي يتم استيرادها، كذلك ظهر نوع آخر من التجارة كان سائداً في العهد البابلي وهي تجارة العبيد، وكان يزداد عدد العبيد على أثر الغارات التي تشنها بابل.»(جبيل 2008: 349).

تجارة التمور:

التمور بالزيت وقد استعملت لمجموعة من الأغراض: «فهي طعام للناس وللحيوانات التي كان يقدم لها نوياه المطحونة. وكانت تمزج أيضاً بسمنة الجمل فيصنع منها مأكول طيب. وكانت ثمرة التمر تلك ترسل إلى كل أنحاء العالم المعروف، وقد امتدح جميع الكتّاب

القدماء الخصب العجيب في بابل. فقد كانت أرضها يومذاك مروية رياً غزيراً. وكان القار مادة تُصدر. فقد استعمل في اللياط والغراء واللحام، وكمادة للتحنيط أيضاً. وكانت تغطى به أرض الهياكل، والقصور، والدور الجميلة. وقد استعمل النفط أيضاً، الذي دعاه البابليون «زيت الحجر»، دون تكرير بالطبع، لأنه لم يعثر على ما يشير إلى ذلك. وكانت بابل تصدر الصوف، وقد تم استثماره عن طريق العديد من المصانع. أما النسيج الذي دعاه الإغريق «كونا كاس» فهو نسيج من الصوف لا نزال نصادفه في أيامنا هذه، وهو يتخذ شكل الفرو المتموج. وقديماً كان نسيجهم المطرز مشهوراً جداً، حتى أن الإغريق والرومان أطلقوا على التطريز اسم «صنع بابل». وقد دل النقش البارز القديم بدقة على رسوم سجاد وأقمشة، وآثار متاحفنا هي آثار ناطقة في هذا الصدد. فنحن نجد فيها نماذج زخرفية رائعة.» (روثن 1984: 69).

طرق وادي الرافدين التجارية مركز العالم القديم:

«نذكر ما أشار إليه هيرودوتس واصلاً بين ساردس وصوص، لأننا لا نغالي إذا قلنا إن وادي الفرات ودجلة كان أكبر طرق العالم القديم، وإنه كان أول سبب من أسباب نشأة نينوى وبابل وحضارتهما، قال:

«وعلى طول هذا الطريق مساكن ملكية (ستاذم stathmes) وفنادق عامرة جميلة. وهذا الملك المأمون يخترق بلاداً آهلة بالسكان. وهكذا يبدأ السفر من ساردیس من ولايات ليديا في فريجيا (Phrygie) حيث نرى نحو عشرين قصراً. ومتى برح المسافر فريجيا عرَّج على «هاليس» حيث يقف عند أبوابها التي لا يمكنه عبور النهر بسلام بدون المرور منها. على أن هنالك حِصناً عظيماً قائماً لحراسة هذا الممر. وبعد ذلك يخترق كابادوس إلى حدود سيليسيا مسافة ثمانية وعشرين يوماً. ولكن المسافر مضطر عند هذه الحدود أن يجتاز مضيقين.وأن يمر من حصنين، ثم يسير بعد ذلك مسافة ثلاثة أيام في سيليسيا (Cilicie) التي يفصلها عن أرمينية نهر الفرات، فيعبره بالمراكب. أما أرمينية فإن فيها خمسة عشر فندقاً (Stathmes) عامرة بالجنود، ويستغرق اجتيازها خمسة عشر يوماً. ويروي هذه

البلاد أربعة أنهر تصلح للملاحة، ولا بدّ من عبورها. وأول هذه الأنهر دجلة.» (لوبون 2017: 79 ـ 80).

«وفي الواقع إن أرض الجزيرة كانت وقتئذ أكبر طريق للعالم المعروف. طريق تتخلله محطات ومستودعات، وينتهي عند طرفيه إلى رأسين من بنادر التجارة البحرية القديمة، هما بابل وصور.وكانت أسواق «صور» بسبب مِلاحتها، تجمع كل حاصلات البحر المتوسط من الأقمشة، إلى الأنسجة المصرية المزركشة، إلى حديد قبرص، علاوة على الآنية النحاسية الجميلة، والخيول، والجواري الإغريقية، والفضة الأسبانية وكان ملاحوها ينحدرون حتى جزر الكاستيريد (Cassiterides على مقربة من شواطئ بريطانيا العظمى لجلب القصدير.وكانت صور مع ذلك تضم إلى هذه الواردات النفيسة ما تخرجه مصانعها، ومصانع جاراتها من التحف. وما كانت تعرضه في تلك الأسواق مما يخرج من حاصلاتها وحاصلاتهن الزراعية، كالأقمشة الأرجوانية، وخشب الأرز اللبناني، وأصواف دمشق الملونة، والحنطة والعطور والعسل والزيوف والراتينج الإسرائيلي، وخراف وكباش ومعز قبائل العرب الرحل. أما سفن بابل فقد كانت تقصد الخليج الفارسي والأقيانوس الهندي عند جزيرة أوفير الغربية لجلب اللؤلؤ، أو تجلب الذهب والعاج وخشب الآبنوس من بلاد الحبشة، والعطور والشفوف والشيلان الثمينة والأحجار الكريمة من الهند.» (لوبون 2017: 77 ـ 78).

ومع ازدهار بابل في عصر الدولة البابلية القديمة في زمن حمورابي أصبحت بابل مركز التجارة الأكبر في الشرق، وتوسعت سيطرتها على الطرق التجارية المهمة فيه، وصارت (ماري) تسيطر وتربط طرق القوافل بين البحر المتوسط والخليج العربي.

«وأصبح البابليون يسيطرون على أبواب التجارة عند السواحل الشرقية للبحر المتوسط كما كانوا يسيطرون على باب التجارة من جهة الخليج العربي. ومما ساعد على ذلك هو قيام (نبوخذ نصر) بإصلاح الطرق الرئيسية حيث جعل الممرات الوعرة طرقاً معبدة صالحة وكانت القوافل التجارية المحملة بالبضائع تحمل إلى أسواق بابل وحوانيتها من

المواد الغذائية نصف غلات العالم، بحيث أصبحت بابل في أيامه سوقاً تعج بالبضائع والتجار وهذا ما ترتب عليه زيادة العلاقات التجارية مع بلدان العالم ساعدهم في ذلك المركز التجاري لبابل، مما جعلها قاعدة للتجارة الآسيوية وسوقاً لبضائع الشرق القديم، كذلك فإن البابليين في كلا الفترتين قاموا بدور الوسيط في الكثير من السلع من خلال استيرادها ومن ثم تصديرها ـ بهيأتها الأصلية ـ أو –بعد تصنيعها ـ كالفضة والذهب والقصدير.. إلخ» (جبيل 2008: 350).

المبحث الرابع: ظواهر اقتصادية بابلية

أولاً: المقايضة

كانت المقايضة هي الوسيلة الأقدم في عمليات التجارة والشراء والبيع، لكن اللجوء إلى مادة مقايضة واحدة تستعمل كنوع من العملة يعد قفزة نوعية، وهو ما كان موجوداً في بابل، فقد كان الشعير أو القمح هو هذه المادة. لكن القفزة الثانية ظهرت في سومر ثم بابل وهي أن تكون هذه المادة هي من الفضة تحديداً، وبذلك أصبح الدخول لعالم العملة المعدنية يسيراً.

كانت معدلات أجور العمل تقدّر بكميات معينة من الشعير الذي كان مادة المقايضة الأساسية، وبعضها باستلام العامل مواد مساهمة في التصنيع لكي يستفيد من تصنيعه لها ويبيعها أو يقايضها.



مقايضة بين رجلين بابليين

ثانياً: العملة البابلية

حين أصبحت الفضة المادة الوسيطة في المقايضة استعملت أوزان معينة من الفضة المختومة بشعار يضمن وزنها.

كان السومريون قد بدأوا بصياغة أنواع معينة من النقود ذكرناها في كتابنا عن الحضارة السومرية، وكانت تشير إلى الوزن الذي يعتمد على الشعير.حيث كان هذا حوالي 180 شيقل حبوب تمثل (11 غراماً أو 0.35 أوقية) وأسموها شيقل..

ثم بدأ البابليون، في العهد البابلي القديم، باستعمال القطع المعدنية باعتبارها نقوداً، فهي سبائك من المعادن الثمينة، وكانت الفضة أول معدن لهذا الغرض، ثم استعمل الذهب والنحاس والحديد وغيرهما من المعادن في حدودٍ ضيقةٍ. الشيقل البابلي أول عملة في التاريخ تعتمد بالدرجة الأساسية على الوزن، وكانت تظهر عليها بعض الصور أحياناً، لكن الآشوريين أول من سكّ النقود بشكل دائري في القرن الثامن قبل الميلاد.

أما كلمة شيقل وشيكل فأصلها هو» (شقلو) أو (شقالو) بمعنى (وزن) في الأكدية، وهي وحدة وزن استعملت في بلاد ما بين النهرين، وتساوي 8.4غم.» (النجفي 1981: 32-33).

في شريعة (**لبت عشتار()(1934-1924ق.م**) ورد ذكر الفضة كسلعة بديلة ومن المواد القانونية التي أشارت إلى ذلك في المادة (6): ((إذا دخل رجل بستاناً يعود لرجل آخر، وقبض عليه متلبساً بالسرقة، فعليه أن يدفع (كغرامة) عشر شيقلات من الفضة)). ويرد ذكر الفضة كسلعة بديلة في مواد قانونية أخرى (10و13و33).

أما في (قانون أشنونا) الذي يتكون من 61 مادة قانونية، فقد ورد ذكر أثمان السلع بسعر شيقل واحد من الفضة.

أما في شريعة حمورابي فنذكر الشعير والفضة كسلع بديلة، ونجد فيها الكثير من التفاصيل الخاصة بالنظام النقدي وعمليات البيع والشراء.

وفي عصر سنحاريب، في (704 ـ 681) ق.م استنبط الآشوريون الأقراص الدائرية التي تقوم مقام السلع الوسيطة أو العملة وهي محددة الوزن فبعضها «شيقل» أو «نصف شيقل» وصمم بعضها الآخر على شكل (يد) نسبت إلى الإلهة عشتار وأطلقوا عليها اسم (رؤوس عشتار)، وأصبحت هذه الأقراص أصل النقود، حيث أخذها الليديون في القرن الخامس قبل الميلاد (أي بعد قرنين من وقت ابتكارها الآشوري) في عصر الملك الليدي كروسيوس (قارون) (560 -564) ق.م وصنعوا منها نقوداً تحمل صور الأسد مفتوح الفم من معدن الألكتروم الذي هو سبيكة من الذهب والفضة وهو متوفر في أرضهم.

هذه العملة الليدية استعملت الأوزان البابلية مثل المنا والشيقل، فكانت العملة الليدية تزن نصف شيقل وسموها (ستاتر)(Stater)، وهذا هو الوزن الآشوري نفسه للعملة، كما قسم الليديون هذه العملة إلى أثلاث وأسداس وجزء من اثني عشر جزءاً، مما يدل أيضاً على أن أجزاء هذا النقد قد قسم أيضاً على أساس نظام العد البابلي.

كانت النقود البابلية (الشيقل) تضرب كقطع صغيرة من الفضة مختومة ببعض الصور مثل رأس عشتار.وقد ظهرت عبارات «بمعنى: ((شيقلات (من) الفضة... (مختومة) بختم مدينة بابل)). كما وردت في بعض العقود والرسائل عبارة تلزم المشتري بالدفع بالفضة المختومة ولا سيما القصر، لكونها أكثر نقاوة وقيمة من الفضة السائبة pitru(m). ولا بدّ أن نذكر أن هناك فضة مختومة ذكر في أحد أختامها اسم الملك سمسو ـ ايلونا Samsu-iluna، وهذا يشير إلى رسميتها وأنها صادرة من الدولة. وإذا ما ثبت استخدام قطع الفضة في العصر البابلي القديم التي تحمل مواصفات النقود، فإن ذلك يعني أن الفضل في ابتداع النقود وسيلة للتعامل التجاري يرجع إلى العراقيين القدماء الذين بدؤوا الفكرة واستخدموا تلك القطع الفضية التي ما لبثت أن تطورت وأصبحت نقوداً، وذلك يبدل الزعم القائل بأن ابتداع النقود يعود إلى الليديين.» (الطائي 2004: 18).



الشيقل البابلي

كان الشيقل مشتركاً بين الشعوب السامية الغربية ومنهم الفينيقيون والمؤابيون والآدوميون.

في الدولة العبرية الحديثة ظهر الشيقل(shekels، sheqels، sheqalim) .

فقد استعملوا معيار الشيقل السومري الأكدي وجعلوه عملة له رغم أصوله الرافدينية. فمنذ عام 1980، كان الشيكل عملة الدولة الحديثة في إسرائيل، لأول مرة الشيكل الإسرائيلي، ثم (منذ عام 1985) ظهر الشيكل الإسرائيلي الجديد.

صار من المعروف اليوم أن الشيقل هو أقدم وحدة للتعامل النقدي عرفها الإنسان، فقد ظهر في السومرية والأكدية، في الألف الثالث قبل الميلاد، ثم انتشر بين الشعوب السامية كلها كوحدة وزنية ونقدية وقد استعمله البابليون على أوسع نطاقٍ وظهر في شريعة حمورابي مرات كثيرة. فقد كان يؤدي وظيفته النقدية كعملة متداولة وتمت بموجبه تعويضات القانون وعقود البيع والقرض والعمل.

ثالثاً: الضرائب

يثير استغرابنا واستغراب الباحثين عموماً نظام الضرائب البابلي الذي كان وسيلة من وسائل الدولة لتكوين رأسمالها وتنفيذ ميزانيتها الاقتصادية وخدماتها للشعب «طبقاً لما ورد في القوانين المختلفة كانت هناك ضرائب تفرض على المنازل والأراضي الزراعية وأصحاب الحانات والتجار وغيرهم لصالح القصر، كما كان هناك جباة يقومون بجمع هذه الضرائب ولهم كل الحق في استدعاء متأخريها للمثول أمام المحكمة. ولهذا أعطى المشرع في قانون «لبت ـ عشتار» الحق للشخص الغريب الذي يقوم بدفع ضريبة عقار لمدة ثلاث سنوات بامتلاكه في حالة غياب مالكه الأصلي وعدم سداده لهذه الضريبة طبقاً للمادة (18) وهو ما تشابه مع ما ورد في قانون حمورابي بالمادتين (30، 31)، وطبقاً للمادة (6) من القانون مجهول الهوية كان لا يحق للجابي استدعاء من يقوم بسداد الضريبة المقررة عليه للقصر الملكي أمام المحكمة.» (عبد العزيز 2007: 55).

ولم تكن جباية الضرائب أمراً صارماً في الأزمات والحروب، فقد كان الملك يقوم، غالباً، بالإيفاء عنها وعن من لم يسددها في موعدها، حيث «يتضح من خلال المرسوم الذي أصدره خليفته وابن الملك حمورابي البابلي «سامسونيلونا» تلك المعاناة والمشاكل التي عانى منها أولئك الذين تعثروا في تسديد ما عليهم من ضرائب وتعرضهم للملاحقة من قبل جباة ورجال الملك حمورابي، وأثر ذلك على الاستقرار الداخلي للبلاد مما اضطر خليفته حين جلوسه على العرش إلى إصدار هذا المرسوم لإعفاء هؤلاء المدينين من تلك الديون ولوقف هذه الملاحقات حتى يضمن الاستقرار الداخلي ليتمكن من الانتصار على أعداء

الدولة مما يؤدي إلى تثبيت أركانها كما جاء في مقدمة مرسومه وخطابه لأحد كبار موظفيه.» (عبد العزيز 2007: 55).

لا بد من التنويه أن نظام الضريبة لم يغيّر الاقتصاد البابلي فحسب، بل غيّر النظام السياسي والإدارة، فقد تحولت المدن من قرى متجمعة يقودها حاكم مدني إلى نظام إقليمي متطور للمدينة، حيث «إن التفاعل بين متغيرين مستقلين، البلاط والمدينة، كان المُقرر لكامل مجرى التاريخ الاقتصادي ـ والسياسي ـ لبابل. فالبلاط وسّع قاعدة أعماله من خلال مختلف المراحل الوسطية، كتغيير الاعتماد على دخل الضرائب إلى الجزية/الإتاوة tribute وترتب على زيادة القوة الاقتصادية اللاحقة التأثير في نمط السلوك المفضل للفئة الحاكمة، وأدى إلى تغيير في العلاقات ما بين المدن. فالمفهوم الأصلي للدولة-المدينة انزاحَ ليُخلي المكان لمفهوم الدولة الإقليمية territorial state المكون من العديد من المجتمعات القروية والمستوطنات الجديدة، والمحمية بحصون ملكية، وكلها تزود السلع الرئيسية إلى نظام إعادة التوزيع لدى البلاط. وكان من نتائج النزاعات بين الحكام من أجل الهيمنة تحوّل المدن الجديدة إلى عواصم تزدان بقصور ومعابد فخمة، وبنية سياسية قائمة على إقطاعية مفروضة من فوق. إن الإبقاء على دولة إقليمية في ظل هذه الظروف يتطلب جهداً عسكرياً مستمراً بهيأة جيش ثابت مكون من شريحة من السكان عُزلوا عن مقامهم الاقتصادي والاجتماعي، وحيث إن نظام البلاط، في وظيفته وطموحه السياسي يقع خارج دائرة مجتمع السكان الذي يشكل المدينة، فإن نظام البلاط كان غرضه التأثير الخارجي وكان مُلزماً باستخدام أفراده من بين أناس من أصول إثنية أو خلفيات ثقافية مختلفة. وكان من المرجح أن يقوم هؤلاء الأفراد بدورهم بالاستيلاء على السلطة واستخدام مواطني بلدانهم المحاربين لإبقائهم في مركز نظام إعادة التوزيع. وأدت الغزوات الأجنبية المتكررة إلى التمزق الفيودالي وإزاحة الحكومة المركزية، كما أن الصراع الحتمي بين المدن القديمة، وتقاليدها الثقافية والمدنية، والحكام الجدد أدى إلى تأسيس عواصم جديدة أشبه ما تكون بمخيمات عسكرية.» (أوبنهايم، نظرة عامة على التاريخ الاقتصادي

لوادي الرافدين، موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين، الاطلاع 15، 10/ 2019، على الرابط)

http://iraqieconomists.net/ar/2013/08/25/ا-ل-أوبنهايم-نظرة-عامة-على-التاريخ-الا/

رابعاً: الربا

تطور النظام الاقتصادي البابلي، وظهرت فيه ظواهر كثيرة منها الربا الذي كان ينشط السيولة الرأسمالية من جهة، لكنه يجلب للمجتمع الكثير من المشاكل. «ولقد كان الربا كارثة على المجتمع، لأنه أعاق التقدم الاقتصادي للبيوتات الفردية نحو قيام نظام متطور من اقتصاد الرق على النمط الذي عرف لدى الإغريق والرومان. ولم يضع حمورابي في قوانينه أية علاجات محددة ضد الربا، في تطلعه إلى الظفر بمساندة الطبقة العليا من مالكي الرقيق، وجماهير أعضاء المجتمع الأحرار، لكن سياسته لم تساعد بصفة حتمية على الوقوف في منتصف الطريق وذلك لأن أغلبية المرابين كانت تتألف من الكهنة، والوكلاء التجاريين الحكوميين (لمكارو)، وأعضاء الإدارة الملكية الخاصة بالملك، أي السند الرئيسي لسلطته. وعلى هذه الشاكلة كانت سياسة حمورابي تحاول أن تحافظ على الموازنة بين الطبقة البيروقراطية النبيلة وصغار مالكي الرقيق، بل وحتى الأعضاء العاملين من المجتمع. غير أن السلطة الاستبدادية غدت الآن عائقاً لا يقهر في طريق التطور الحر لتملك الرقيق بصفة فردية.» (دياكونوف 1986: 305).

كان الربا في بدايته، منذ عصر الدولة البابلية القديمة، يعرف باسم (الفائدة) وهي المبالغ المستحصلة بعد إقراض مبلغ معين أو كمية من البضائع لمدة متفق عليها، ومع تطور الاقتصاد البابلي ووضع التشريعات له أصبح الربا أمراً قانونياً تشرف الدولة على تنفيذه، وهذا ما سارع عمليات الاقتصاد بنزعة رأسمالية بدائية. «هذا وقد أخذت الأنشطة الاقتصادية المختلفة تتحرك لصالح القطاع الخاص منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد أكثر من تحركها لصالح الدولة طبقاً لما ورد في قانوني أشنونا وحمورابي على وجه الخصوص

حيث اهتما بالمواد القانونية التي تعنى وتنظم العلاقات المالية والحقوق والواجبات للأطراف المختلفة من بيع وشراء وقروض وشراكة ومساهمات وغيرها من المعاملات التجارية. وهناك شخصية عرفت باسم «دمقار» خلال العصر البابلي القديم كانت محوراً لمعظم الأعمال التجارية، حيث اعتبر تاجراً ومرابياً وصرّافاً ووسيطاً ومشرفاً ومشاركاً برأس المال ووكيلاً عن تجارة الحكومة طبقاً لتلك الدراسة التي قام بها الباحث الهولندي «ليمانز»، ويمكن أن نرجح اهتمام الدولة في حضارة بلاد النهرين بالتجارة إلى الأسباب التالية:1. الحصول على أرباح التجارة. 2.توفير الدولة لمستلزمات البناء الحضاري من مواد وسلع ومنتجات وإخضاع ذلك للمراقبة.3.اهتمام ملوك بلاد النهرين برعاية الدولة والمجتمع.» (عبد العزيز 2007: 43-44).

«ونظراً لكون الزراعة كانت من أهم مقومات الحياة الاقتصادية في البلاد فقد انتشرت القروض الخاصة بتغطية تكاليفها من حرث وري وتسميد وحصاد وغيرها من الأعمال المتعلقة بذلك مع وضع كافة الضوابط التي تحفظ حقوق المقرض والمقترض على النحو التالي:

1. يقوم المقترض ـ صاحب الأرض الزراعية ـ في حالة زراعة المقرض لهذه الأرض بالحبوب أو السمسم بأخذ إنتاج محصول أرضه وعليه في تلك الحالة رد دينه مع تكاليف الزراعة والفائدة المتفق عليها مع المقترض وقت الحصاد كما جاء في المادة (49) من قانون حمورابي.

2. يقوم المقترض ـ صاحب الأرض الزراعية ـ في حالة زراعته لحقله بالحبوب أو السمسم بأخذ إنتاج أرضه وعليه في هذه الحالة تسديد دينه مع الفائدة المتفق عليها كما جاء بالمادة (50) من قانون حمورابي،وفي حالة تعثر المقترض برد الأموال التي اقترضها مع الفائدة فعليه تسديد دينه حبوباً أو سمسماً من إنتاج أرضه بالسعر المقرر من قبل الملك وبقدر القيمة المتداولة بالسوق كما جاء بالمادة (51) من القانون، ولا يحق للمقرض أن يأخذ كل إنتاج الحقل أو البستان حتى ولو عرض المقترض عليه ذلك كما جاء بالمادة

(66)، أي أن المشرع حمورابي يسر تسديد المقترض لدينه حتى ولو اختلفت نوعية القرض، بل أعطى المشرع للمقترضين حرية سداد الدين بأي شيء يمتلكونه ولا يجوز للمقرض الاعتراض على ذلك طبقاً للمادة (71) من قانون حمورابي مما يحافظ على النسيج الداخلي للمجتمع خاصة وأن التعثر في سداد الدين كان يعطي للمقرض الحق في وضع المقترض أو أسرته تحت ربق العبودية.» (عبد العزيز 2007: 51-52).

خامساً: بابل ونشأة الصرافة المالية والبشرية

قاد الربا للصيرفة التي تعود جذورها وفكرة إيداع وتوفير الأموال إلى مدينة بابل القديمة، ففي الدولة البابلية الحديثة عرف ممارسو هذه الحرفة تاريخياً باسم «الصرافين»، ولم يكن لهذه المهنة وجود قبل ذلك، لأن فكرة توفير الأموال وتغييرها لم تعرف بسبب عدم ظهور التداول النقدي بشكل واسع.

كان الكهنوت البابلي الديني مصدراً لكل ما يسمى بـ «قوانين التجارة» الحديثة التي هي عبارة عن مجموعة محددة من المدونات التي تخول إدارة القوة الإجبارية للدولة في فرض العقود، ومعظمها تتعلق بمدفوعات الديون، وقد أشرف الكهنة البابليون القدامى على مثل هذه العمليات لأن العقود اعتبرت شكلاً من أشكال «اليمين» التي أبرمتها الأطراف المتعاقدة؛ وتم التحجج بموافقة الآلهة لإضفاء الشرعية على العملية برمتها على نحو أكثر فاعلية شهادة وضميرالأطراف المتعاقدة وجميع الشهود العموميين.

وهكذا أصبحت مثل هذه التقاليد الدينية البابلية في تنظيم القدرة على شراء وبيع العقود بين التجار في التجارة وبيع وشراء المواد وبضمنها العبيد وأرواح البشر وراجت «تجارة الرقيق» القديمة القائمة على فكرة العقود واليمين البابلية؛ وقد كان ذلك موجوداً منذ أسر الشعوب ووضعها في بابل وبضمنهم أسرى يهوذا حيث يبدو أن العديد من الرموز التجارية / تجارة الرقيق / البابلية قد أصابت المجتمع اليهوذي.

اعتنق «الفريسيون» علناً هذا النظام البابلي لرموز تجارة الرقيق. وكان السيد المسيح وأتباعه قد صُلبوا لأنهم تحدثوا بجرأة ضد هذه الشرور من الرومان والفريسيين الفارين. وكان الرومان بالفعل من أتباع قوانين تجارة الرقيق البابلية نفسها.

يشير هذا إلى أن العلاقة بين تجار الرقيق الرومانيين والفريسيين كانت أكثر من مجرد صدفة. يشير هذا إلى أنه في مرحلة ما من التاريخ القديم؛ تجارة الرقيق بين الرومان وفريسي اليهود؛ كانوا من أصل ثقافي مشترك.

وكما يدل الاسم، فإن «التلمود البابلي» يحتوي على الكثير من تدوينات تجارة الرقيق التجارية لـ «علاقات الخدم «التي نشأت في بابل، أولئك الذين ينتمون إلى نظام معتقدات «الفريسي» (الحاخامية اليهودية)، يشيرون في «التلمود البابلي» إلى أولئك الذين ليسوا من ثقافتهم؛ حيث تترجم هذه الكلمات بمعنى (الماشية البشرية). «Goim» أو «Gois»

بموجب هذا النظام من المدونة البابلية، أُجبر المدينون المتعاقدون قسرياً على تنفيذ العقد بصرف النظر عن قابلية الضمير، أو من كان هو دائن العقد الأصلي. يعتمد هذا القانون التجاري البابلي الديني في جزء كبير منه على مجموعة أعمق من قوانين تجارة الرقيق. وهذه كلها ما زالت قابلة للتمييز ويتم تطبيقها في كثير من الأحيان وفقاً لما تشير إليه الكتب المدرسية القانونية الحديثة على النحو التالي: «علاقات الخدم» بموجب القوانين الدينية البابلية القديمة، ويتم تسهيل «العبودية» بوضوح. لم يتم التعرف على الأشخاص كأشخاص هناك، ولكنهم كانوا عناصر في التجارة.

يمكن إلقاء القبض على العبد والاعتداء عليه من قبل ضباط الحكومة لعدم الحضور للعمل في الوقت المحدد. يقول الكتاب المدرسي: إن «العبد لا يُنظر إليه أو يُتحدث عنه كرجل، ولكن كشيء، ويُحسب كما الماشية.

هكذا انتقلت هذه المهنة من البابليين إلى أهل يهوذا المسبيين الذين برعوا في إنشاء الشركات والمصارف المالية في بابل، وقد توارث أبناؤهم هذه المهنة. ولكنها أخذت شكلها

النهائي في التلمود البابلي.

قد يبدو من المستغرب القول بأن الجذور الخفية لمهنة الصرافة تكمن في (التلمود البابلي) الذي بدأوا بكتابته منذ ذلك الوقت والذي قام على أساس الخفايا والأسرار، هذا «التلمود البابلي» هو ذلك المصدر الجذري لما يسمى «القانون» الذي يستمد منه التلمود الحديث جذوره ولكن بما أن مدينة بابل القديمة مرتبطة بوضوح بمصطلحات مثل «بابل» الذي يشير إلى «البلبلة »، وكما تشير النصوص التوراتية القديمة بوضوح إلى أن هذا هو مصدر الارتباك اللغوي والعديد من المشاكل الأخرى التي انتشرت في جميع أنحاء العالم بأسره، كانت «بابل» هي المصدر الروحي لـ (تدوينات القانون الروحي).

لقد كان لقانون بابل تأثير هائل على قانون جميع بلدان أوروبا تقريباً...فقد نُسي أدب بابل لكن عنصر الثقافة الذي تحمله كان أكبر من الأدب. هذا العنصر هو القانون، ونظام منظم واضح للحقوق والواجبات.



لوحة متخيلة لبيع الرقيق في بابل

A Sale of Slaves in Babylon Edwin Long (1829–1891)

https://www.flickr.com/photos/136041510@N05/2231007451/0/

سادساً: نشوء فكرة المِلكية

«من المفيد أن نطرح موضوعاتنا الأساسية مقدماً، ومن ثم سنتوقف عند الأدلة المتوفرة. نعتقد أن الملكية في بلاد الرافدين كانت من بين أهم العوامل المحددة للذات الإنسانية، بكونها «امتداداً» خاصاً للإنسان خارج حدود جسده. ولصالح هذا الافتراض تتوفر الأدلة التالية:

1. وجود علاقة خاصة بين الأشياء ومالكها.

2. امتداد علاقة واضحة بين «اسم» المالك ومصيره وممتلكاته.

ولنتعرف الآن على المادة الملموسة المتوفرة بين أيدينا.

من الأدلة التي تثبت وجود علاقة خاصة بين الشيء ومالكه، يمكن أن نشير إلى الطقوس والمراسم التي كانت ترافق عملية نقل الملكية من شخص إلى آخر. كانت عملية استلام الأشياء المهمة والثمينة تجري وفق نظام عرفي معين بحضور الشهود والكفلاء. وتتم عملية البيع والشراء بموجب عقود خاصة، ووفق مراسم وطقوس معينة. كان على البائع أن يقوم ببعض الإجراءات التي ترافق عملية بيع قطعة الأرض، وقد وصفت هذه الإجراءات على النحو التالي: «يوضع إسفين الصفقة في الجدار ويغمس بالزيت حتى الحافة». ويعتقد أن الإسفين المذكور ما هو إلا قطعة من الفخار مخروطية الشكل أو قد يكون صنبوراً تدور عليه شروط صفقة البيع والشراء. وقد تم بالفعل اكتشاف عدد من هذه القطع المخروطية ذات ثقب صغير عند القاعدة. وربما كانت هذه القطع تعلق بواسطة قطعة خشبية وتثبت في الجدار، داخل بيت البائع أو المشتري، أو في داخل المعبد، أو كانت تدفن في الأرض. وقد كانت مثل هذه المراسم تقام في روما القديمة أيضاً.»(كلشكوف 1995: 49).

لا شك أن المِلكية كانت قبل بابل كممارسة عملية عند كل الناس وفي أغلب المجتمعات القديمة، لكنها أصبحت رسمية وشرعية من خلال القوانين والشرائع وخصوصاً شريعة حمورابي، وكذلك بعد أن تحولت إلى مصطلحٍ واضح المعالم والقصد، حيث «الكلمة السومرية «شيء ـ niglni» التي اشتقت منها كلمة «gi ـ ru ـ الملكية» يعبر عنها كتابةً بنفس رمز الكلمة «ninda ـ خبز» و«أكل». وكان من السهل التعرف على هذا الرمز في الزمن الضارب في القدم، لأنه كان على هيأة صحن حساء. وكلما غصنا في القدم أكثر فأكثر، كلما أصبح مفهوم familia أقرب إلى مفهوم res، الذي كان يضم في إطاره حتى الغذاء ووسائل الشرب. إن العلاقة بين التعبيرين السومريين «طعام» و«ممتلكات» واضحة جداً. هل نتجت هذه العلاقة من أن «الممتلكات» كانت تعني في أول الأمر «الطعام» أم أن القدامى كانوا يفهمون «الممتلكات» كنوع من «الطعام» أم لهذا السبب وذاك معاً؟ إن مصير الإنسان الذي يحدد جميع «معاملات» وجوده يشتمل أيضاً على امتلاك بعض الأشياء والمواد التي تضمن له المنزلة المناسبة في هذا العالم: «ليكن نصيبه الغنى والرفاه». لقد كان «اسم» الفرد وملكيته ومصيره تشكل مركباً واحداً (إن جاز التعبير). وهذا المركب هو ما نطلق عليه اليوم تعبير «الشخصية الفردية» أو «شخصية» الإنسان.» (كلشكوف 1995: 55).

المادة (5): الرجل الذي يختم رقيماً طينياً (= عقداً) بخصوص حقل أو بيت أو (ختم) وثيقة باسم أي شخص كان ولكنه لم يعمل وكالة بذلك ولم يحتفظ بنسخة من الرقيم الطيني (العقد) فالشخص الذي كتب باسمه الرقيم الطيني (العقد) والاتفاق سوف يأخذ الحقل أو البيت.

المادة (6): الشخص الذي باع عدة إماء مقابل نقود وظهرت بعد أخذهن دعوى ضدهن، فعلى البائع أن يعيد إلى المشتري النقود كاملة وحسب الاتفاق. فإذا ولدن أطفالاً عليه أن يدفع نصف الشيقل من الفضة لكل واحد (من الأطفال). (رشيد 1973: 149).

المادة (5): (دفع) الحبوب من أجل ضريبة الغلة، ودفع الحبوب من أجل نصف ضريبة مدينة سوخوم قد أرسلت. لأن الملك قد وطد النظام للبلاد وأنه سوف لا يجمعها وسوف لا يستدعي للمحكمة جنود مدينة سوخوم من أجل ضريبة دورهم.(رشيد 1973: 174).

الرجل الذي يملك عدة دور وملحقاتها فإن رغب حيازة.... يجب أن لا يأخذ.... أو يملك (أي شيء) آخر.... فإن رغب حيازة الـ...... لداره وملحقاتها، عليه أن لا يأخذ....

إذا تزوج مواطنة من سوسا، عليه أن لا يأخذ دار العبد وملحقاتها وعليه أن لا يأخذ دار المرأة وملحقاتها. (رشيد 1973: 145).

«ومع أن أشكال الملكية، وتركيب المجتمع، واقتصاد الرق، قد أخذت تقترب كثيراً من النهج التقليدي القديم، إلاّ أنه لم تكن في المجتمع قوى داخلية تكفي لتحطيم ربقة الاستبداد، أو قادرة على استبدال المركزية الاستبدادية بمركزية أخرى من نوع آخر، حيث كان النظام الاقتصادي يعتمد بصفة أساسية على ري الأنهار الذي يفرض وجود نوع ما من الحكومة المركزية. وعلى هذا الأساس كانت الملكية المركزية الاستبدادية التي أخذت شكلها هذا في عهد حكم حمورابي، ظاهرة ضرورية ونموذجية. فلقد تقرر تركيبها بصفة أساسية بانقسام المجتمع إلى أعضاء للمجتمع وتابعين للملك، في مطابقة مع تقسيم الأرض إلى أراض للمجتمع وأراضٍ للتاج. وكان أي ملك من سلالة حمورابي رئيساً أوتوقراطياً للدولة. مخولاً بسلطة مطلقة، لأنه لم تكن هناك هيئات حكومية في الدولة مستقلة عن الملك.» (دياكونوف 1986: 305).

الفصل الثامن: المظهر الأدبي والفكري



المبحث الأول: اللغة البابلية

اللغة البابلية لهجة من لغة أوسع وأكبر هي اللغة الأكدية، واللغة الأكدية أقدم من زمن تدوينها المسماري في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، فهي تمتد بجذورها إلى مرحلة العبيد، وهي أقدم مرحلة استيطان في السهل الرسوبي، حين تكلم بها الشعب السوبري (السوباري) النازح من مناطق ظهرت فيها الشعوب السارية (السامية) شمال وادي الرافدين في مناطق العصر الحجري النحاسي وثقافات حلف والأربجية.

«أما فيما يخص تسمية اللغة الأكدية، ففي البدء كان يُطلق على لغة النصوص المكتشفة في بلاد آشور باللغة الآشورية نسبة إلى بلاد آشور في حين كان يطلق على لغة النصوص المكتشفة في بلاد بابل باللغة البابلية وحينما تبين للباحثين أن هاتين اللغتين هما لهجتان للغة واحدة أطلق على هذه اللغة تسمية اللغة البابلية ـ الآشورية أو اللغة الآشورية البابلية،

أما تسمية اللغة الأكدية فإن أول من استعملها هو الإنكليزي رولنسون للإشارة إلى لغة النصوص السومرية قبل أن يهتدي إلى تسمية اللغة السومرية وبعد أن تم التعرف على تسمية اللغة السومرية وتسميتها شاع استعمال مصطلح اللغة الأكدية على ما كان يُعرف باللغة البابلية الآشورية وذلك منذ أواسط القرن العشرين. وقد أثبتت الدراسات صحة التسمية، إذ إنها التسمية نفسها المستعملة من قبل الأكديين ووفق الصيغة الأكدية: لشان أكدي lisan akkadi وبالسومرية: ايمي ـ كير EME - GIR ويقابلها باللغة الأكدية لشان شُمر lisan sumeri بمعنى: اللسان/ اللغة السومرية «(الجبوري 2011: 60).

1.أهمية اللغة البابلية:

استخدمت اللغة الأكدية (بلهجتها البابلية) كلغة عالمية في مراسلات الإمبراطوريات والدول الكبرى في الشرق الأدنى القديم كلّه وهي (بابل، مصر، آشور، ميتاني، حاتي، قبرص) وقد استطاعت هذه اللغة أن تثبت مرونتها وقوتها في التعبير عن المشتركات الحضارية في المنطقة، وقد اتضح هذا جليّاً في رسائل العمارنة أو أرشيف العمارنة، وهو أرشيف مكون من مجموعة كبيرة من الرُّقم الطينية المكتوبة باللغة الأكدية (البابلية) والخط المسماري، عثر عليها في قصر الملك المصري أخناتون (أمنحوتب الرابع) في مقر حكمه (أخت أتون) تل العمارنة في مصر.

وقد صُنفت هذه الرسائل إلى نوعين هما:

أولاً: مراسلات ملوك وملكات الدول الكبرى في المنطقة: التي اشتملت على الرسائل الآتية:

1. رسائل مصر وبابل (1 ـ 14).

2. رسائل مصر وآشور (15 ـ 16).

3. رسائل مصر وميتاني (17و19 ـ 30).

4. رسائل أرزاوا (غرب الأناضول) (31 ـ 32).

5. رسائل مصر وألاشيا (قبرص) (33 ـ 40).

6. رسائل مصر وحاتّي (المملكة الحيثية) (41 ـ 44).

ثانياً: مراسلات الحكام المحليين في سوريا وفلسطين الذين كانوا يتبعون في الغالب للمقاطعات المصرية.

كل هذه الرسائل كتبت باللغة البابلية وعلى رقمٍ طينية، وأغلبها كان مستلماً من هذه الدول والمقاطعات لمصر.

2.اللهجات الأكدية:

تفرعت اللغة البابلية على مدى 2500 سنة تقريباً إلى ثماني لهجات مميزة تعود إلى ثلاثة أقسام كبيرة هي (الأكدية الأصلية، البابلية، الآشورية)، ويمكننا عرضها في هذا الجدول المبسّط.

3.صفات اللغة الأكدية:

1. مفرداتها ذات جذر ثلاثيّ.

2. وجود ظاهرة الإعراب فيه، فهي تشبه اللغة العربية بحركاتها الإعربية، فالاسم فيه له ثلاثة أشكال (الرفع بالواو، النصب بالألف، الجر بالياء). فهي لم تبتكر الحركات الإعرابية وعوضت عنها بحروف إعرابية هي (و، آ، ي، إي) أي حروف العلّة.

3. اللغة الأكدية لها أربعة حروف علّة هي: (ا، و، ي، إي). ولها أربعة أنواع من الحروف الصحيحة وهي:

1. الحروف الشفاهية: ب، ب مضخمة، م.

2. الحروف الأسنانية: ت، د، ز، س، ش، ص، ط.

3. الحروف اللثوية: ر، ل، ن.

4. الحروف الطبقية: خ، ك، كً، ق.

تختفي فيها الأصوات الحلقية والمضخمة مثل (ع، غ، ح، هـ، ص، ط). بسبب الكتابة المسمارية التي لا تحتوي على تصويتات هذه الحروف، ونرجّح أنها موجودة في اللغة الأكدية.

4. فيها المذكر والمؤنث.

5. العد من ثلاثة إلى عشرة بعكس المعدود.

6. الفعل يأتي في نهاية الجملة وليس في بدايتها أو وسطها بسبب مجاورتها للسومرية.

4.الثنائية اللغوية السومرية ـ الأكدية:

«الثنائية اللغوية بحسب التعريف المستقر لدى أغلب اللغويين هي صفة تُطلق على شخص أو مجتمع يستعمل لغتين، كما تُطلق أيضاً على كتاب أو معجم مدون بلغتين مختلفتين. إذ قد يتكون مجتمع ما من جماعتين بشريتين تعيشان جنباً إلى جنب وتتحدث كل واحدة منهما بلغة مختلفة عن الأخرى، وهذا التعايش القريب بين تلك الجماعتين يؤدي إلى احتكاك لغوي بين لغتيهما المختلفتين، ينجم عنه ما يسمى بالثنائية اللغوية وما ينتج عنها من تأثيرات لغوية متبادلة بين اللغات المحتكة ببعضها. وهذا ما حدث في العراق القديم الذي كان سكانه يتألفون من مجموعتين رئيسيتين مختلفتين عرقياً هما السومريون والأكديون، وكان يتحدث كل منهما لغة مختلفة اختلافاً جذرياً عن لغة المجموعة الأخرى.»(الجبوري 2011: 73).

بدأت هذه الثنائية اللغوية مذ وجد الشعبان السومري والأكدي (ومعه الشعوب الساريّة أو السامية) في أرض واحدة قابلة للسكن والعيش المشترك في وادي الرافدين، وكان ذلك في عصر العبيد الذي سبق الظهور السومريّ المميز بالكتابة المسمارية التي اخترعها. وقد ظهرت هذه الظاهرة بوضوح في بداية عصر فجر السلالات، وقد جرت أول المحاولات الأكدية لتطويع الخط المسماري للغتهم في نصوص شروباك وكيش، و،في عصر فجر السلالات الثاني، وازدادت في هاتين المدينتين في عصر فجر السلالات الثالث.

ظهرت ثنائية الكتابة قبيل عصر سرجون بقليل ثم توسعت وازدادت بقوة مع الدولة الأكدية، ورغم عودة السومريين في دولتهم الحديثة لكن اللغة السومرية كانت في ذبولٍ، وكانت الأكدية في تصاعد، واستطاع السومريون الجدد في أسرة أور الثالثة أن يجمعوا التراث السومري القديم ويعيدوا تدوين أغلبه.

«ويمكن أن نستنتج من الأدلة والبيانات المذكورة أعلاه والتي تؤكد على وجود متكلمين باللغة السومرية وآخرين باللغة الأكدية أن المجتمع العراقي في عصر سلالة أور الثالثة كان مجتمعاً ثنائي اللغة ولاسيما في المناطق الجنوبية التي تعرف آنذاك ببلاد سومر، وهذا يتأكد من حقيقة وجود رسالتين مرسلتين من ملك سلالة أور الثالثة إلى حاكم مدينة أوما المدعو أور ـ ليسي Ur lisi إحداهما مدونة باللغة السومرية والأخرى باللغة الأكدية، يضاف إليها عدم ظهور معاجم ثنائية اللغة (سومري ـ أكدي) في العصر المذكور بعد، وذلك لعدم الحاجة إلى معاجم تحفظ اللغة السومرية في هذا العصر طالما لا زالت هناك جماعات تتكلم اللغة السومرية، وهذا يوضح لنا سبب ظهور معاجم ثنائية اللغة (سومرية ـ أكدية) في العصر اللاحق (أي: العصر البابلي القديم) إذ لم تعد اللغة السومرية موجودة تقريباً لغة مخاطبة مما دعا الحاجة إلى تأليف تلك المعاجم للحفاظ على اللغة السومرية من الضياع.» (الجبوري 2011: 91).

«أما تأريخ توقف استعمال اللغة السومرية لغة مخاطبة فيقدر بحدود 1900 ق.م. إذ لم تعد تستعمل اللغة السومرية بعد هذا التأريخ لغة مخاطبة نهائياً باستثناء استعمالها في

مدارس العصر البابلي القديم (اي-دوب - با (آ) (E-DUB-Ba (A) إلى جانب اللغة الأكدية وهذا ما سنتناوله لاحقاً. وأخيراً فإن توقف استعمال اللغة السومرية لغة مخاطبة لم يرافقه توقف تام لاستعمالها في التدوين، بل استعملت هذه اللغة إلى جانب اللغة الأكدية في تدوين أنواع معينة من النصوص ولا سيما الدينية والأدبية، فضلاً عن استعمال صيغ وعبارات قانونية سومرية في تدوين عقود أكدية اللغة على اختلافها وذلك بدءاً من العصر البابلي القديم وحتى نهاية العصرين الآشوري والبابلي الحديثين في منتصف الألف الأول قبل الميلاد.» (الجبوري 2011: 95).

المبحث الثاني: الكتابة البابلية

بدأ ظهور الكتابة البابلية قبل ظهور سرجون الأكدي بقليل، وكانت عبارة عن كتابات نذرية في مدن ماري وكيش، وهناك كتابات على حجر الكودورو (الحدود). ومع بداية عصر سرجون الأكدي (حوالي 2371 ق.م) أصبحت اللغة الأكدية هي اللغة الرسمية في البلاد بجانب اللغة السومرية، ودوّنت اللغة الأكدية بكتابتها المسمارية لكثير من الكتابات الملكية والرسائل والنصوص الإدارية والاقتصادية والنذرية.

خلال فترة الغزو الكَوتي استمر التدوين باللغة الأكدية واللغة السومرية. وفي عصر النهضة السومرية الذي بدأته لجش عادت اللغة والكتابة متصدرة المشهد الحضاري، وكانت النصوص الأكدية المكتوبة قليلة جداً ومقتصرة على الكتابات الملكية والنذرية والرسائل.

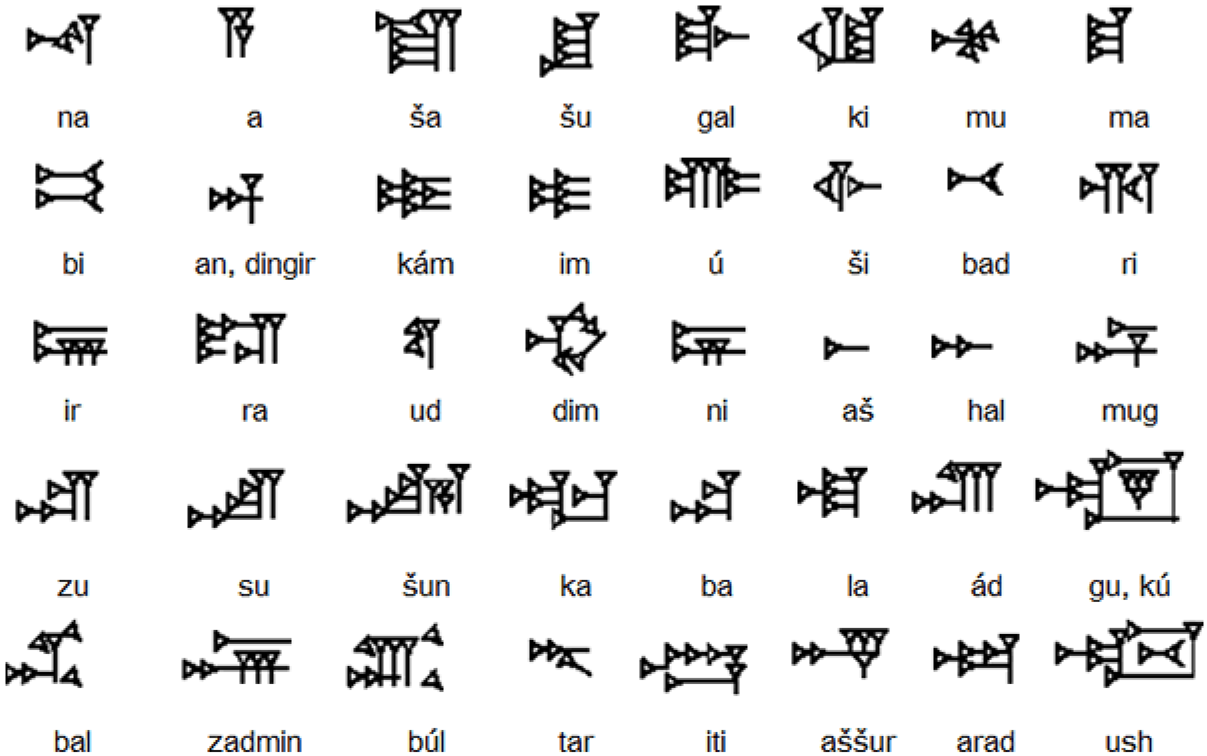
مع بداية العصر البابلي القديم (2004 ـ 1595 ق.م) كانت اللغة الأمورية (السارية أو السامية الأصل) قريبة من اللغة الأكدية وانتشر معها شيئاً فشيئاً تدوينها بالكتابة الأكدية، أي أن اللغة الأمورية توارت لصالح اللغة الأكدية وكتابتها المسمارية. وخلال حكم الأسرة البابلية الثالثة (الكاشية) استمرت اللغة الأكدية بالصعود وازدهرت نصوصها الأدبية في هذه المرحلة، بل وتحولت إلى لغة دولية وظهرت رسائل تل العمارنة الشهيرة والمكتوبة باللغة الأكدية لملوك وملكات من مصر وميتاني والحيثيين وغيرها.

في بلاد آشور سادت اللغة الأكدية مبكراً وظهرت مدوناتها المسمارية في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد أي بموازاة ظهور الأكديين في وسط بلاد الرافدين.

بسبب انتشار اللغة البابلية وكتابتها المسمارية على ألواح الطين، تأثرت بعض البلدان القديمة بها، ففي الأناضول ساعدت على نشوء الكتابة المسمارية الحيثية، وفي بلاد الشام أثرت على اللغات السامية الغربية (الكنعانية والفينيقية والعبرية وغيرها.) وعلى الكتابة في سوريا حيث نشأت الكتابة الإبلائية والكتابة الأوغاريتية المسمارية. وأثرت على الكتابة واللغة الحورية وظهر ما يعرف باللغة والكتابة الحورية الأكدية.

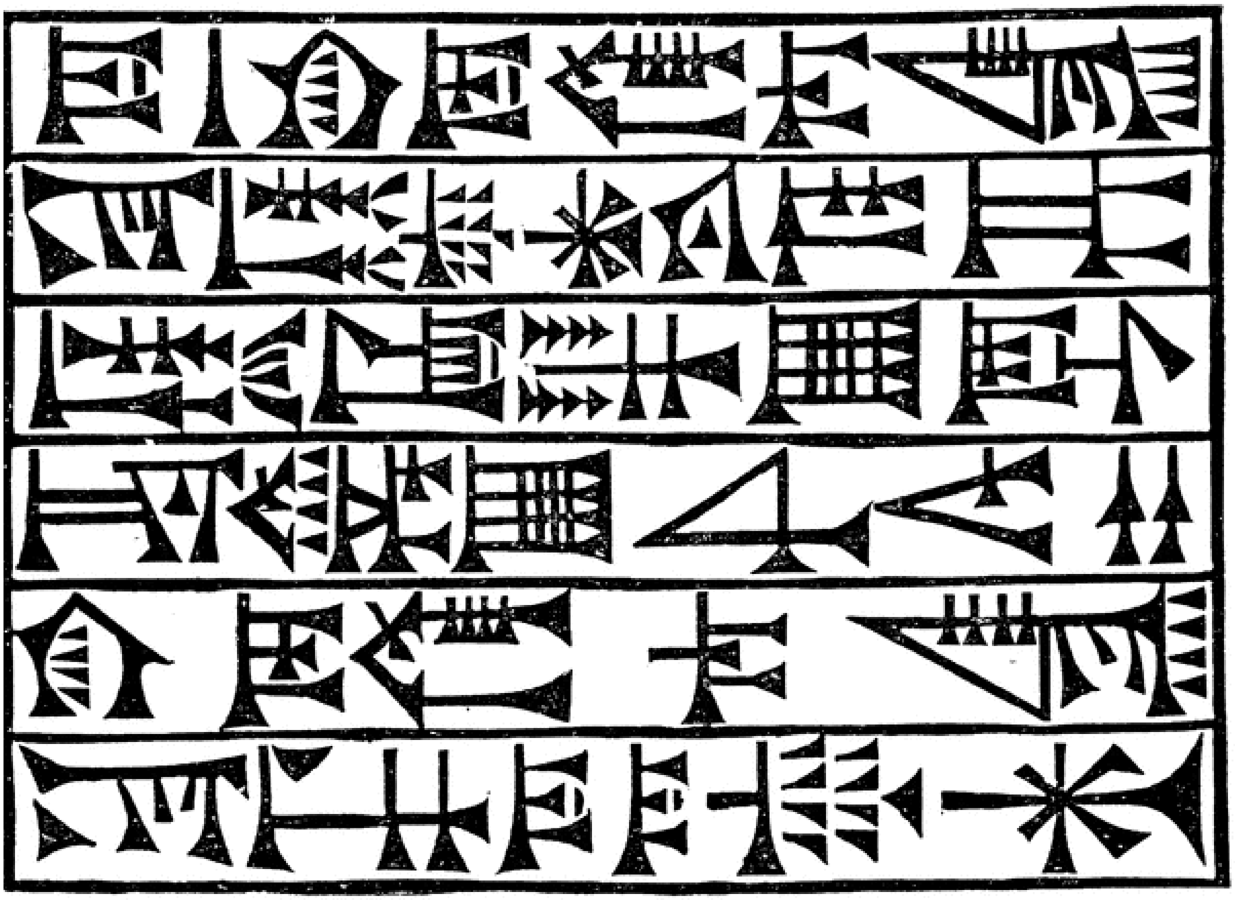
سادت اللغة الأكدية (بلهجتيها البابلية والآشورية) وبكتابتها المسمارية وادي الرافدين كلّه حتى أواسط الألف الأول قبل الميلاد حين بدأت اللغة الآرامية (وهي سارية سامية أيضاً) بالتنافس معها، ولكن اللغة الأكدية وكتابتها استمرت بعد سقوط آشور(612 ق.م) وبابل (539 ق.م) مع كتابتها في تدوين نصوص الآداب والعلوم والأحداث التاريخية حتى القرن الميلادي الأول، حيث انتشرت اللغة الآرامية وساد خطها المرن الأبجدي وتفوق على الخط المسماري.

لا فرق بين الكتابة الأكدية الأم والكتابة البابلية أو الآشورية، لأن جميعها يستعمل خطاً مسمارياً، وهذان شكلان لتوضيح الأمر:



الكتابة الأكدية

/https://universeofmemory.com/akkadian-language-resources



الكتابة البابلية

https://etc.usf.edu/clipart/56100/56112/56112_bab-writing.htm

المبحث الثالث: الأدب البابلي

يمكننا من الناحية النظرية، ولأجل الدرس فقط، الفصل بين النصوص الدينية عن الأدبية ويساعدنا هذا على وضع تصنيف بسيط للأدب الرافديني القديم استناداً إلى الحقيقة السابقة التي أوضحناها.

وبذلك ينقسم الأدب العراقي القديم (الرافديني) إلى: أدب دنيوي (نار) يشمل النصوص الأدبية التي لم تكتب لغايات دينية والتي يغلب عليها الطابع الذاتي أو الانفعالي. وهو ما يشكّل في عصرنا الحالي ما نسميه بـ(الأدب) بمعناه الواسع والشامل. وأدب ديني (كَالا) يشمل النصوص المرتبطة بغايات عملية طقسية أو تلك التي ترتبط بالآلهة (الأساطير) أو الخوارق الدينية ويغلب عليها الطابع الموضوعي والميتافيزيقي والأسطوري والسحري.

ورغم أننا لا نجد حدوداً قاطعة وفاصلة بين منطقتي هذين النوعين، ورغم أننا استخدمنا كلمتي، (كَالا ونار) بالسومرية و(كَالو ونارو) بالأكدية، استخداماً اصطلاحياً للدرس قد يخرج بهما عن وصفهما الدقيق في التراث العراقي القديم إلاّ أننا نجد ضرورة ما لوضع أجناسية معقولة لأدب وادي الرافدين الزآخر والمشتبك النصوص.

كلّ أدب الكَالو (الديني) يقع ضمن مكونات الدين البابلي الذي أفردنا له فصلاً كاملاً ويمكننا الرجوع لمفردات أدب الكَالو الديني البابلي بمفرداته التي ذكرناها في الجدول السابق، وسننصرف في هذا المبحث لمناقشة وتحليل الأدب الدنيوي البابلي (نارو) الذي هو الأدب الحقيقي لأنه يتضمن نصوصاً خارج المقدس ومع الحياة والناس في حياتها العامة والخاصة واليومية.

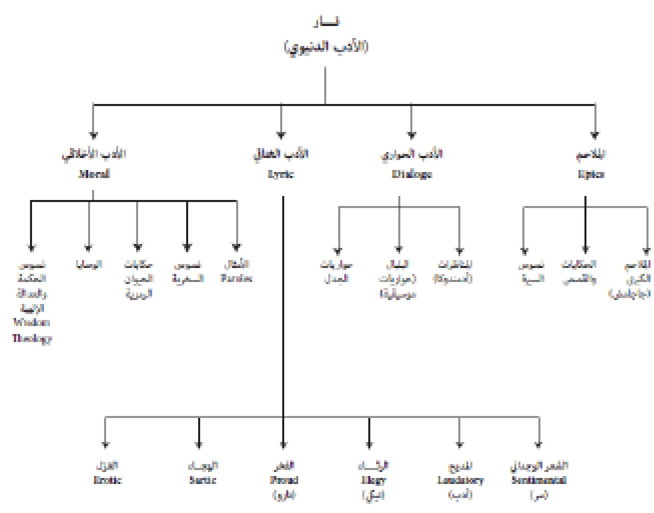
أدب النارو (الدنيوي)

هو الأدب الذي يتمحور حول الإنسان، بعكس أدب الكَلو الذي يتمحور حول الإله، ولذلك جاء أدب النارو بمضامين إنسانية ودنيوية، شكّلت نواة الأدب الذي نتداوله في العصور الحديثة، فيما شكّلت نصوص أدب الكَالا الدينية نواة الكتب المقدسة والنصوص الدينية التي دارت في محيطها.

«أما على الأدب والفن وغيرها من الأنشطة الفكرية فهو أن الكاتب والفنان لم يسع في أعماله الفنية والأدبية إلى الإبداع ومحاولات الخلق الأدبي أو الفني بل كرّس جهده في تقليد نماذج أولية قديمة فهو مثلاً يتفنن في نسخ النصوص الأدبية لأنها أشكال مقدسة،

ومن ثم فهو لا يعتني بذكر اسمه أو نسبه العمل الفني أو الأدبي إلى شخصه، وقد ترتب عن هذه الرؤية أن أصبح من الصعب تمييز التطور التأريخي لهذين الأسلوبين الأدبي والفني فالموضوعات واحدة متكررة وإن اختلفت في درجة دقتها وتمثلها للنموذج الأول، وطبقاً لهذه الرؤية فإن العديد من المنجزات الفكرية نشأت بسيطة وأخذت في التطور، ولأنها من صنع الآلهة حسب معتقداتهم فقد بلغت قمة الإبداع الحضاري، ومن هنا لم يسع الكاتب أو الفنان إلى خلق شخصية أدبية أو فنية مستقلة ولم يرغب في الإبداع الذاتي بل حرص على التعبير الجماعي الموضوعي، إذ تفنن في نقل ونسخ التفاصيل الأولية للعمل الأدبي دون محاولته التعديل فيه، وهو ما أدى إلى اختفاء شخصية الكاتب أو الفنان وراء الأعداد الهائلة من الأعمال الفنية والأدبية المتكررة والمتشابهة، ولكن رغم ذلك فقد عبر هذا الفن الجماعي عن حياة المجتمع وأنشطته المختلفة، ولأن حياة المجتمع الأرضي صورة من حياة مجتمع الآلهة جاء الأدب والفن معبرين عن هذه العلاقة بين مجتمع الآلهة ومجتمع البشر وعلى هذا فالتراث الأدبي والفني تراث ديني في شكله ومضمونه هدفه خدمة الآلهة.» (بقة 2009: 166 ـ 167).

يمكننا تصنيف أدب النار (النارو) الدنيوي إلى أربعة أجناس أساسية تتفرع منها أنواع مختلفة، كما في هذا المشجّر البسيط:



أولاً: الأدب الملحمي والقصصي

1.ملحمة جلجامش (النسخة البابلية القديمة)

لا شك أن أعظم ملحمة بابلية (مكتوبة باللغة الأكدية/ البابلية) هي ملحمة جلجامش، بل هي أقدم ملحمة بشرية ولا ترقى أية ملحمة قديمة إلى مستوى مضمونها وتركيبها الأدبي.

تطرح الملحمة موضوع (الخلود) و(مصير) الإنسان وحتمية موته وموضوعات الحب والصداقة والبطولة. ويحتمل تأويل الملحمة وجهات نظر عديدة.

أقدم نسخ الملحمة جاءتنا من العصر البابلي القديم مكتوبة باللغة الأكدية وبلهجة بابلية في حدود (2000 ـ 1500) ق.م وهو زمن التدوين الأكبر في تاريخ وادي الرافدين لكن الملحمة أخذت شكلها النهائي في العصر الكاشي في حدود 1250 ق.م على يد جامعها الذي وضع اسمه في ذيلها وهو (سين ـ ليقي أونني). وآخر نسخها جاءتنا من مكتبة آشور بانيبال.

ولعل من أهم ميزاتها الأدبية فنياً هي:

1. التكرار في بعض مقاطعها وربما جاءت هذه الصفة من خلال تلاوتها أو إنشادها شفاهياً ومن أجل استعادة الذاكرة في القص وهي صيغة موجودة في أغلب الملاحم.

2. استباق النتائج: وهي صفة روائية تظهر للمزيد من التشويق لأن النتائج لا تقال كلها في الاستباق.

3. الشعر الموزون: نظمت الملحمة شعراً موزوناً بإيقاع عروضي خاص. وقد توصل الشاعر والباحث صلاح نيازي إلى أن الملحمة تمتاز بتفاوت عدد التفاعيل من شطر إلى شطر ولذلك لا يوجد شطران، وظهر أن محل التفاعيل على وزن (فِعلُن) أو (فَعِلُن) وأنها على

بحر الخبب وهو بحر متولد من بحر المتدارك وتفعيلته (فاعِلن) وحين يصيبها الخبن تصبح: فِعْلن أو فَعْلُنْ) (نيازي2007: 170 ـ 171).

4. القافية: الملحمة بشكل عام تخلو من القوافي.

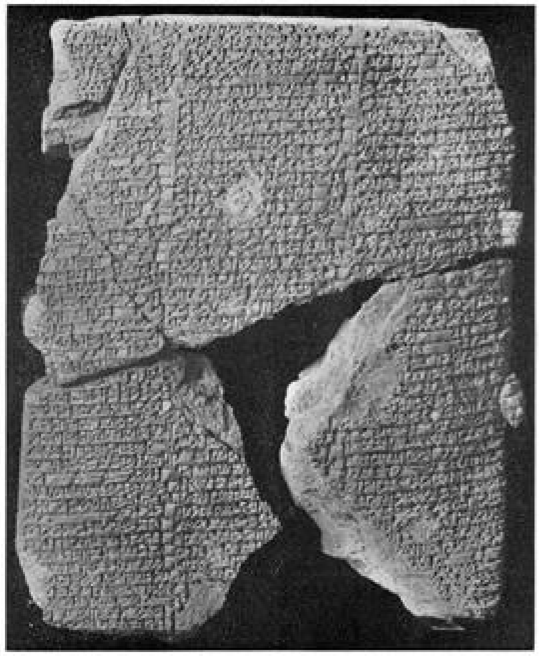
كان جلجامش الملك الخامس في أسرة أوروك الأولى، في حدود 2750 ق.م

«ـ بعد موت جلجامش بقرن واحد تقريباً ظهر اسمه في قائمة آلهة مدونة على رقيم طيني اكتشف في موقع مدينة شروباك (تل فأرة).

بعد أربعة قرون من ذلك ورد اسم جلجامش في النص السومري المعنون (موت أور ـ نمو) بصفته أحد آلهة العالم السفلي.

- خلال القرون الخمسة التالية بدأت تظهر أولى المؤلفات المدونة السومرية والأكدية عن جلجامش بعد استمرار تداولها شفاهياً، على ما يرجح، لبضعة قرون.
- بعد ذلك بأربعة قرون، أي في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ظهرت الرواية القياسية لملحمة جلجامش التي استنسخها سين ـ ليقي ـ أونيني.
- وبعد مرور خمسة قرون كانت النسخ التي دونت في العصر الآشوري الحديث عن ملحمة جلجامش في التداول.
- ولم تمر ثلاثة قرون أخرى حتى كانت النسخ البابلية المتأخرة عن الملحمة موجودة في مدينتي بابل وأوروك.
- وفي حوالي 130 قبل الميلاد دونت آخر نسخة بابلية عن الملحمة من قبل بيل ـ أخّي –اواصر (uesur ـ ahhe ـ Bel)، الفلكي المتدرب في معبد بابل. أي أن ذلك كان بعد موت جلجامش، ملك أوروك بحوالي 2450 عام.

(حنون 2006: 19).



ملحمة جلجامش

النسخة البابلية القديمة حوالي 1700 ق.م

«يمكن أن يقال اليوم أن ما يقارب أربعة أخماس "«ملحمة جلجامش» قد اكتشفت ويمكن ترجمتها، ومن ضمن ذلك الأسطر التي يمكن أن تضاف إلى النص على الرغم من كونها مفقودة، ولكن معرفتها ممكنة من تكرار المقاطع التي وردت فيها في مواضع أخرى من الملحمة. وهكذا يمكن حصر السطور المفقودة، حتى الآن، من نص الملحمة بخمس مئة وخمسة وسبعين سطراً. والتوصل إلى هذه السطور المفقودة متروك للاكتشافات الآثارية التي ستتم في المستقبل.» (حنون 2006 أ: 27).

تبدأ ملحمة جلجامش بذكر عظمة هذا ملك أوروك الذي صار رمز البطولة في العصور القديمة ويظهر لنا أن النص الأكدي هو حصيلة جمع لأساطير وحكايات وروايات وأغانٍ شعبية شائعة عن جلجامش وإنكيدو، ولكنها في الوقت نفسه خلقٌ جديد امتاز بالأسلوب

الأدبي الرفيع وبالحبكة الدقيقة والرموز الباطنية العميقة التي تنضح من هذه الملحمة. إنها أول ملحمة إنسانية مليئة بهذا الحشد الهائل من القيم والرموز والدلالات الباهرة.

لم يكن الطريق من أوروك إلى دلمون حيث يقيم أوتونابشتم سهلاً فقد اجتاز جلجامش سبع عقبات خاض خلالها سبع مغامرات هي:

1. الأسود

2. الجبل ماشو والرجال العقارب.

3. طريق الشمس المظلم.

4. غابة الأحجار والمعادن

5. صاحبة الحانة سدوري.

6. أورشنابي ملاح أوتونابشتم وقطع أخشاب الغابة وصناعة المجاديف.

7. خوض البحر (مياه الموت) دون أن تلمس يده المياه.

وقد عبرها جلجامش كلها بجلد وصبر. وتطالعنا في هذه المغامرات دلالات رمزية عميقة ويمثل قتل الأسود أو الإجهاز على رمز ذكوري شمسي والعودة تدريجياً إلى عصر الأمومة كما سنرى.



جلجامش يصارع الأسود

http://www.sacred-texts.com/ane/eog/index.htm

تمثل رحلة جلجامش من أوروك إلى دلمون، من وجهة نظرنا، رحلةً نحو الماضي وتحديداً قطع مسافة الزمن من عصر مملكة أوروك التي ملكها جلجامش باتجاه معاكس للزمن نحو عصر الطوفان الذي يمثله أوتونابشتم، وتمثل المغامرات السبع التي خاضها جلجامش سبع محطات رمزية بهذا الاتجاه.

وخلاصة القول أن جلجامش بعد أن أوصل العقيدة الشمسية الذكورية إلى ذروتها، بدأ في هذه المغامرة بالعودة بها نزولاً وسيقوم بإسقاط كل الرموز الذكورية ويتجه تدريجياً نحو الرموز الأنثوية والمائية. فالجبل ماشو يمثل الشمس في غروبها، والرجال العقارب هم كائنات تياميتية (كما يرد ذلك في أسطورة الخليقة) أي أن جلجامش رحل باتجاه عصر الأمومة والانوثة والمياه الأولى.

يمثل لقاء جلجامش بأوتونابشتم أول محطة في رحلة أبعد تبدأ من زمن الطوفان حتى زمن الخليقة الأولى. إن رحلة جلجامش تستمر رمزياً بالاتجاه المعاكس للزمن. وها هو الآن في حضرة أوتونابشتم، وها هو في الفردوس الإلهي.. فهل هذا هو كل شيء؟ كلا بالطبع

لأنه سيخترق الزمن إلى ما هو أبعد، سيذهب إلى زمن الآلهة الأم الأولى نفسها وسيلتقيها. وتمثل الرحلة السباعية الجديدة عدة محطات هي:

1. في حضرة أتونابشتم ـ الطوفان.

2. قصة الطوفان ـ العودة لما قبل الطوفان (عصر الأحزان).

3. نوم جلجامش وعبوره إلى عصر أبعد (العصر الذهبي).

4. غسل جسد جلجامش وعودته جنيناً في رحم الإلهة الأم (العصر المثالي).

5. حصوله على عشبة الخلود (عصر الخليقة).

6. ظهور الأفعى (الإلهة الأم).

7. العودة إلى أوروك (الزمن الدائري).

كان الوصول إلى أوتونابتشم يعني الوصول إلى عصر الطوفان، وهو نقطة عود أبدي وزمن دائري يبدأ من الحاضر وينتهي بساروس مائي. وسينطلق جلجامش رمزياً نحو الساروس الهيولي في رحلة معاكسة أيضاً باتجاه زمن التكوين والخليقة الأولى.

ومن الطبيعي أن الرحلة تبدأ بسرد قصة الطوفان والعودة إلى ما قبله، إلى زمن الأحزان والفوضى التي سبقت الطوفان وهيأت له. لقد انقسم الزمن بين الخليقة والطوفان إلى عصرين أساسيين الأول هو العصر الذهبي الذي ابتدأ منذ خلق الإنسان والثاني هو العصر المأساوي الذي ظهر فيه الشر وسادت فيه الأحزان حتى انتهى بالطوفان. ويسبق العصر الذهبي عصرٌ إلهي مثالي نصل قبله إلى عصر التكوين، وتقدم لنا الملحمة باطنياً رحلةً رمزية نحو هذه العصور سنتتبعها واحدة بعد الأخرى.

وبسبب من الشهرة الواسعة للملحمة فسوف نقدم مطلعها الافتتاحي هنا ونترك للقارئ قراءتها في الكثير من التراجم العربية التي صدرت لها:

«هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي

وهو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكل شيء،

لقد أبصر الأسرار وكشف عن الخفايا المكتومة

وجاء بأنباء ما قبل الطوفان

لقد سلك طرقاً بعيدة متقلباً ما بين التعب والراحة

فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره

بنى أسوار «أوروك»، المحصنة

وحرم «إي ـ أنا» المقدس والمعبد الطاهر

فانظر إلى سوره الخارجي تجد أفاريزه تتألق كالنحاس

وأنعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء

واستلم (أمسك) أسكفته الحجرية الموجودة منذ القدم» (باقر ط5 2001: 75).

2.الملاحم التاريخية البابلية

الملحمة التاريخية هي قصة شعرية تتحدث عن حدث من أحداث التأريخ لشعب من الشعوب، وتختلف عن مفهوم (الملحمة) بشكل عام في كونها أكثر واقعية وأكثر تأريخية،

فهي لا تجنح إلى الخيال كثيراً وتعتمد على الأحداث التأريخية بلغةٍ شعرية منمّقة، وهي لون أدبي بالدرجة الأولى ووثيقة تأريخية بالدرجة الثانية.

تمتاز الملحمة التأريخية بسبع صفات أدبية هي: الفخر، المديح، الوصف، الحماسة، الوعظ، الاستعطاف، الابتهال. أما أساليبها البلاغية فترتكز على السرد الإخباري المدعوم بخلفية تأريخية تشحذ البطولة والإثارة والتشويق.

وقد رصدنا بعض الملاحم التاريخية التي شكّلت علامة فارقة في القصص والملاحم التأريخية البابلية، ووضعناها في هذا الجدول:

1.معبد نبو في بورسبّا: تكمن أهمية هذا النص من مدينة بورسبّا (برس نمرود الآن) في أنه يذكر حرفياً بأن حمورابي هو (نبيّ السماء) (9: خا ـ أم ـ مو را ـ ب. 10: نا ـ ب ـ أو. 11: آن (آن ـ نم)» (حنون 2015: 76).

وفيما يلي ترجمة النص الكامل لهذا الموضوع بسبب أهميته:

«من أجل مردوخ السيد الكبير، واهب الوفرة للآلهة، سيد معبد أيساجلا ومعبد أيزيدا أنه سيده

حمورابي نبي آنم (السماء)

سميع إنليل، مفضّل شمش، الراعي المحبوب لمردوخ

الملك القوي، ملك بلاد سومر وأكد

ملك الجهات الأربع

حين منحه الإله إنليل حكم البلاد والناس

وضع بيده زمامهم

ومن أجل مردوخ: الإله (الذي هو) خالقه

بنى له في بورسبّا، المدينة العزيزة عنده، معبد إيزيدا، مزاره الطاهر.» (حنّون 2015: 76).

2.عودة تمثال مردوخ لبابل: هذا النص المهم جداً يأتي على لسان أول ملك كاشيّ (أجُم كاكريمي 1602 ـ 1585 ق.م) وهو أول ملك كاشي حكم في بابل بعد أن انسحب الجيش الحوثي منها، وكأن هناك اتفاقاً بين الحيثيين والكاشيين الذين أسقطوا حكم الأسرة البابلية الأولى، والنص يتحدث عن نسبه وإلهه الكاشي (شُقّمونا) الذي يقابل نرجال البابلي، ثم يذكر آلهة بابل وأنسابه وأسلافه الكاشيين من الملوك، ثم عن عودة تمثال مردوخ وتمثال زوجته صربانيت اللذين نقلهما الحيثيون من بابل إلى تيرقا (تل العشارة) عاصمة مملكة خانا التي كان يحكمها كاكريمي، ويذكر المراسم والاستعدادات الخاصة بذلك. وفيما يلي مضمون العمود الثاني (الأسطر من 1 ـ 49) من اللوح المكون من ثمانية أعمدة:

« خطّطتُ، تابعتُ بعناية، ولأخذ الإله مردوخ إلى مدينة بابل وجهت وجهه، وذهبتُ بصحبة الإله مردوخ، مُحب حكمي.

سألتُ الملك الإله شمش عن طريق ذبيحة العرّاف، وبعثتُ إلى البلاد البعيدة، بلاد خانا، فأخذوا بيد الإله مردوخ، والإلهة صَرَبينية، والإله مردوخ والإلهة صَرَبينية محبا حكمي.

لعودتهما إلى معبد إيساجيل، ثبت بالفرض اللاحق في معبد الإله شمش لعودتهما، جعلت الصنّاع يجلسونهما. الصفّار، الصائغ، الصائغ والحجّار....، وهبت 4 بِلّة (ما يعادل 120 كغم) من الذهب الراقي من أجل ملابس الإله مردوخ والإلهة صربينية، لألبسهما، الإله مردوخ والإلهة صربينية، ملابس عظيمة، ملابس من الذهب الراقي، وهبت إلى مقامات الإله مردوخ والإلهة صربينية أحجار: لازورد الجبل، سن مرخاشي الأصفر، خُلال العين، حجر متموج، حجر نِريبردل، عيون ملوخا، مرمر، حجر مُشتسخب النفيس وحجر سكل المنتقى.

لتوضع زينة على ملابس ألوهيتهما العظيمة، وتاجاً مقرّناً سامياً، تاج السيادة، سمة الألوهية، الممتلئ ضياءً» (حنّون 2015: 110 - 111).

3.ملحمة مصير المرأة العيلامية: تتحث هذه الملحمة عن جانبٍ من جوانب الصراع البابلي العيلامي في عصر الملك البابلي الكاشي (كوريجالزو الثاني **1332 ـ 1308 ق.م**)، فقد قام هذا الملك بصد هجومٍ عيلامي ودحره ثم تابعه حتى وصل إلى عاصمة عيلام (سوسة) فاحتلها ووضع فيها مجموعة من النُصب التي تُخلّد انتصاره.

نص الملحمة مكتوب بالمسمارية البابلية على رقيم بوجهين، الوجه الأمامي مكون من عمودين، الأول مشوه وغير قابلٍ للقراءة، والثاني تشوبه نقوصات في بداية أسطره، أما الوجه الخلفي فمكون من عمود واحد تشوبه بعض التشويهات، ويُرجّح أن النص مدوّن من قبل موظف بارزٍ في عهد الملك (كوريجالزو الثاني) اسمه (إنليل كيدينو) الذي سيتدخل في الملحمة ويحكم على مصير المرأة العيلامية.

تبدأ الملحمة بمشهد من مشاهد المعركة التي خاضها الملك البابليّ حيث الجثث مطروحة، ثم الأمر الملكيّ بالقبض على (الرجل العيلاميّ) من قبل أبناء الملك الغاضبين، وإحضاره إلى بيت (الرجل المهنيّ)، ويبدو أنه أسر مع ابنته (المرأة العيلامية) التي يذهبون بها إلى بيت الرجل المهنيّ البابلي الذي يبدو أنه موظف الملك (إنليل كيدينّو) وهو الذي كتب هذه الملحمة، ويذهبون بالمرأة العيلامية إلى ابنة (إنليل كيدينّو) وهناك تهاجم هذه المرأة العيلامية إله بابل (نابو) وتثيرُه فيحكمون عليها بالموت، ويفكون قيودها ويضربونها بسمٍ مميت ثم يرمون جثتها من فوق السور.

فيما يلي ترجمة مقطعٍ صغير من الملحمة من اللغة الأكدية ترجمها الدكتور باسم ميخائيل جبّور:

«احضرْ إلى بيت الرجل المهنيّ، إلى ابنة (إنليل كيدينّو)

..... صنعوا، المرأة العيلامية هيّجت الإله (نابو)

سأفكّ ما يطوّق رقبتكِ، سأحضر إلى بيت الرجل المهنيّ، إلى ابنة (إنليل كيدينّو)

(تبعاً) للأمر رميتُ القوسّ نحو المرأة العيلامية واتجهت لضربها،

حقاً لقد ضربها بقوةٍ حيث لا تكون لها حياة بعدُ

(المرأة العيلامية) من فوق السور رُميت جثتها.» (جبّور2017: 1112 ـ 113).

4.ثورة القصر: كان للاحتلال الآشوري لبابل أثر كبير على حياة البابليين، وقد جاء هذا الاحتلال في عصر الملك الآشوري توكلتي ننورتا الذي خلّص بابل من الاحتلال العيلامي في نهاية عصر الكاشيين حيث احتل بابل سبع سنوات وعيّن ثلاثة من الملوك الكاشيين التابعين لحكمه، ثم حكم الملك الكاشي (أدد شوما آصر 1187 ـ 1216)، وقام بالرد على الاحتلال الآشوري بأن دخل آشور ونصّب عليها ملكاً آشورياً بمعرفته كان يعيش في بابل أميراً، ويبدو أنه لم يبذل جهداً في استعادة تمثال الإله مردوخ من آشور إلى بابل، وكان هذا التمثال يرمز لسيادة بابل، فقام البابليون بثورة عليه في قصره جسدتها هذه الملحمة المعروفة باسم ملحمة ثورة القصر،، وهو نصّ تأريخي وأدبيّ مهم، لأن المعلومات عن أدد شوما آصر قليلة جداً لكن الملحمة توفرها بشكل مناسب. فهو يصف ثورة نبلاء وقادة الجيش في بابل على ملكه لأنه قصّر في تحرير تمثال إله بابل المغتصب في آشور رغم قوته وسيطرته في آشور، ثم يعترف الملك بخطئه هذا فيصفح عنه المتمردون، ويمثل الملك أمام مردوخ ويطلب صفحه وغفرانه.

«تُعد الملحمة أقدم شاهدٍ تاريخي على رحلة الحجّ الدينية من (بابل إلى بارسيبا إلى كوتا) وزيارة معابدها (إساجيلا وإزيدا وأمسلام)، وقد أصبحت هذه الرحلة سُنّة بعد ذلك، ولاسيما عند الملوك الآشوريين في الألف الأول قبل الميلاد مثل (شلمانصّر الثالث وشمشي أدد الخامس) ثم ورثها بعض الملوك الكلديين وعلى الأخصّ (نبوخذ نصّر الثاني) الذي يذكر

في أحد نصوصه الآلهة التالية بالترتيب: (مرودك ـ نبو ـ نرجال) المنسوبين إلى (بابل وبارسبا وكوتا) ويتحدث عن زيارته لمعابده (إساجيلا، إزيدا، أمسلام) وترميمه لتلك المعابد.» (جبّور 2017: 141 - 142).

تتكون الملحمة من أربعة أعمدة منقوشة على وجهي الرقيم الطينيّ الذي تلف منه سطوره الكثير واحتوى في سطوره الأربعة على عدد من الأبيات هي (32، 30، 43، 32) على التوالي. نقتطع منها هذه الأبيات من العمود الثاني:

«وحيداً أوقفني في اجتماع العامّة (قائلاً)......

لا تخف يا ملك السادة، نبلاء بابل......

للإله مروك سيد السادة لتصل وحيداً، كيلا ينساك

وحيداً أخرجكَ، وحيداً أدخلكَ

.... دخل إساجيلا «يمّم وجهه

.... راح يقبّل أبواب الهيكل....

.....ذهب إلى الإله مردوك صلواته» (جبّور 2017: 149).

5.حرب عيلام: بعد أن سقطت السلالة الثالثة الكيشية، هيمن الاحتلال العيلامي على بابل، وبعد 3 سنوات استطاعت الأسرة البابلية الرابعة (وهي سلالة إيسن الثانية) أن تحكم بابل قرابة ربع قرن، وكان نبوخذ نصّر الأول (1124 ـ 1103) ق.م هو الملك الرابع فيها، وكان بطلاً حقيقياً قهر اللولوبيين والكاشيين والعيلاميين والأموريين، وقد سجلت ملحمة حرب عيلام بطولته بالثأر من عيلام التي ساهمت في إسقاط أغلب حكام سومر وبابل، وكان ملك عيلام (شوترك ناخونته) قد سرق، في آخر غزوٍ لبابل، تمثال الإله مردوخ رمز سيادة بابل، وكسر شوكة العيلامية لثلاثة قرون بعده، وأشاع روح القوة البابلية بوجهها، وأعاد

تمثال مردوخ لبابل وملحمة حرب عيلام هي سلسلة من سبعة نصوص تتحدث عن حروب بابل وعيلام وعن تتويج بابل بنصرها على عيلام وعودة تمثال الإله مردوخ على يد نبوخذ نصّر الأول.

وبقدر ما يُسهب النص في موضوع علاقة بابل بعيلام، ثم حروب نبوخذ نصّر الأول من أجل استعادة تمثال مردوخ وكسر شوكة عيلام، لكن اللوح الأول والثاني منه يتحدث عن أحد أجداد (نبوخذ نصّر الأول) قبل الطوفان وهو (إن مي دور أنكي) الملك والحكيم من مدينة سبّار الذي اشتهر بمعرفته بحقيقة الآلهة وعرافة الزيت والماء وأنه ربما كان من اخترع الكتابة، وهو الذي صعد إلى السماء وقابل الآلهة وأتى بألواح المعرفة وعلمّها للناس، وهذا الملك الحكيم هو ما يقبل في الموروثات الدينية السامية عموماً شخصية أخنوخ أو إدريس أو ما يعرف بهرمس الهرامسة. وتأتي أهمية هذا النص في كشف بعض جوانب حياة هذا الرجل العظيم.

«ملك بابل المشرف على مراكز العبادة، مقيم الأضاحي المنتظمة

سليل بعيد لملكيةِ ذريةٍ مصونةٍ قبل الطوفان

سليل (إن مي دور إنكي) ملك (سيبار) مؤسس الإناء الطاهر، حامل صولجان الأرز

الجالس أمام الإلهين (شمش وأدد) إلهي القضاء

الإبن الأول لملك العدالة، راعٍ حقيقيّ مثبّت أسس الأرض

لـ(أدد وجولا) الإلهين العظيمين الذرية قديمة

المرافق الرئيسيّ للإلهة (شوزينّا الشقيقة التوأم لـ(إنشار)» (جبّور 2017: 162 - 163).

6. ملحمة عِش إلى الأبد أيها الملك: تتحدث هذه الملحمة عن الطلب من مؤسس الأسرة الكلدية في بابل الملك (نبوبلاصر 626 ـ 605 ق.م) أن ينتقم من بلاد آشور التي أذلّت بابل

وأهلها، ثم طلب نبلاء أكد منه أن يثأر لأكد أيضاً، ومعروف أن هذا الملك هو الذي أسقط بجيشه البابلي، وبالتحالف مع ملك ميديا وجيشها، الدولة الآشورية، وكان ذلك بداية صعود الدولة البابلية الحديثة التي أصبحت الثمرة الأخيرة الناضجة لبابل وحضارتها العريقة.

الملحمة مكتوبة على لوح طيني بوجهيه الأمامي والخلفي وبأربعة أعمدةٍ تلف الكثير منها:

«نبلاء مدينة أكد اقتربوا من المكان المقدّس

حين تقدّموا جلسوا أمامه

النبلاء بابتهاجهم (هتفوا)

أيها الملك السيد ليتك تحيا إلى الأبد، بلاد العدو (مهانة)

ليفرحك ملك الآلهة (مردوك)......

ليُطل أيامك الإله (نابو) كاتب (إساجيلا)

الإله إرّا سلاحك، والإله نرجال (نصيرك)

..... اثأر لأكد.....» (جبّور 2017: 206 - 207)..

7.نقش نَبوخَذ نَصّر الثاني عند مصبّ نهر الكلب في لبنان: هو نصّ مكتوب على مسلّة ضخمة عند مصب نهر الكلب في لبنان، يتألف من 160 سطراً، وهو مكتوب بنمطين من أشكال الكتابة المسماريّة الأول وهو نص الأعمدة الأربعة للنصب، مكتوب بالمسمارية البابلية القديمة، والثاني، وهو نص الكسر الثلاث المنفصلة التابعة للمسلة، المكتوب بمسمارية العصر البابلي الحديث.

أمّا تاريخ النقش فيصعب الجزم فيه، ويمكن ربطه بذكرى فتح صور (573 ق. م) بعد مقاومة شديدة لحصار طويل الأمد، وهو لم يقم النصب في صور أو محيطها، بل سار على التقليد القديم، واختار أن يكون عمله التذكاريّ إلى جانب أعمال ملوك مصر وآشور السابقين. ولا نعرف بعد ذلك التاريخ شيئاً عن نبوخذ نصّر في لبنان.

العمود الأول:

«لقد أحطتُ مدينة بابل بسور كبير يواجه الشرق، بمسافة أربعة آلاف ذراع، من ضفّة (نهر) الفرات، حول المدينة، حتّى ضفّة الفرات أسفل المدينة.

حفرتُ خنادق لأساساته، وربطتُ بينها بالقار والآجرّ المشويّ. بنيتُ بالقار والآجرّ المشويّ بجواره سوراً (آخر) حصيناً، كالجبل. شيّدتُ بوّاباته، ووضعتُ لها أبواباً من خشب الأرز، مغطّاةً بالبرونز.

على حدود مدينة بابل؛ من طريق المواكب على ضفّة الفرات حتّى قرب مدينة كيش، بمسافة أربعة وثلثي «بيرو»؛ أنشأتُ حاجزاً ترابيّاً، وأحطتُ المدينة بمياه غامرة. لأجل منع انهدام داخله (داخل الحوض)؛ ربطتُ ضفافه بالقار والآجرّ المشويّ.

وفي مرّة ثانية، لأجل تعزيز تحصين مدينة بابل؛ أنشأتُ حاجزاً ترابيّاً بمسافة خمسة «بيرو»، فوق مدينة أُفي حتّى مدينة سيبار، من ضفّة نهر دجلة حتّى ضفّة الفرات.»
(حميدان 2019):

https://www.awraqthaqafya.com/85

حميدان، شيراز علي: نقش الملك البابليّ نَبوخَذ نَصّر (الثاني) عند مصبّ نهر الكلب -لبنان، مجلة أوراق ثقافية السنة الأولى، العدد الأول، بيروت، ربيع (2019). المنشور على الرابط https://www.awraqthaqafya.com/85

8.ملحمة عفوك يا مردوخ: ملحمة صغيرة الحجم تتحدث عن ندم الملك (أميل مردوخ 562 ـ 560 ق.م) وهو ابن نبوخذ نصّر الثاني، حين أهمل عبادة الإله مردوخ واهتم برعاية ملك يهوذا المعتقل في بابل (يهوياقين) وأخرجه من السجن ورعاه، فثار الكهنة البابليون ضده وعزلوه بعد سنتين من حكمه، ويبدو أن هذه الملحمة مكتوبة قبل عزله وخلال أيامه الأخيرة وهو في طور الندم والاعتذار لمردوخ، الملحمة مكتوبة على لوح طيني بوجهيه الأمامي والخلفي:

«أذناه لم تعيرا اهتماماً لتعزيز السلم في (إساجيلا)(وبابل)

أذناه اليقظتان (حرّضتاه) على الذهاب إلى بوابة الآلهة

راح يصلّي لسيد (السادة) رافعاً (يديه)

أخذ يبكي بمرارةٍ أمام (مردوخ) والآلهة العظام

ذهب مصلّوه إلى.......» (جبّور 2017: 211).

9.نص نبونائيد (556 ـ 539 ق.م): معنى اسم نبونائيد (مبجّل نبو)، وهو آخر ملكٍ بابليّ، اهتم بعبادة إله القمر (سين) على حساب إله بابل (مردوخ)، وعزف عن احتفالات رأس السنة البابلية (أكيتو) التي كان يُمجّد فيها مردوخ، ولذلك نفر منه كهنة بابل وتحيّنوا الفرص لنزعه عن العرش، خصوصاً أنه اعتزل بابل وذهب إلى جزيرة العرب في مدينة تيماء وتعبّد مع مريديه إله القمر سين، وبقي فيها عشر سنوات، وحين هاجم كورش ملك الفرس بابل بمعونة من كهنة مردوخ عاد إلى بابل وخسر المعركة مع كورش وربما يكون كورش قد أسره أو قتل هناك أو فرّ وعاد لتيماء ليموت فيها.

ترك نبونائيد أسطوانات مكتوبة بالمسمارية ومصنوعة على أسطوانات الطين وهي:

1. أسطوانات من مدينة لارسا عثر عليها في معبد إله الشمس (شمش).

2. أسطوانات من مدينة أور عثر عليها في معبد إله القمر (سين) وعددها أربعة.

3. أسطوانة من مدينة بورسبّا عثر عليها في معبد إله الشمس (شمش).

وهناك نصوص كثيرة أخرى.

وفيما يلي هذا النص المهم لنبونائيد في تيماء والذي يصف فيه إقامته في مناطق شمال جزيرة العرب، بعد أن هجر بابل بسبب عبادته الجديدة لإله القمر وهي ترجمة عربية للنص الذي ترجمه رولنغ للألمانية وترجمه عنه الدكتور عيد مرعي للعربية:

Roling، W.، Erwagungen zu newen stelen konig Nabonids in: Zeitshrift Fir Assyriologie، Neue floge، Band 22 (Band56)، s.224.

«أنا نبونائيد، ابن وحيد ليس له أحد. لم يكن في ذهنه تسلّم العرش الملكي. الآلهة والإلهات صلّوا من أجلي ومن دعائي لتسلّم الحكم. في الليل جعلني أرى حلماً (قال لي فيه) ما يلي: إهلهل معبد سين في حرّان شيّده بسرعةٍ، أريد أن أعطيكَ كلّ البلاد التي بيدك. الناس، سكان بابل وبارسيبا ونيبور وأور ولارسا، الكهنة، أناس من مناطق سكن أكد أخطؤوا في حق ألوهيته الكبرى وارتكبوا إثماً في عدم معرفة الغضب المخيف لملك الآلهة ننّار (سين). نسوا طقوسهم وتكلموا كذباً وزوراً ككلاب افترس بعضهم بعضاً. جعلت (الآلهة) مرضاً وجوعاً ينتشر بينهم. هو (سين) أنقص سكان البلاد. أما أنا فقد جعلني أهرب من مدينتي بابل، (وسلكتُ) الطريق إلى تيماء، ددانوا (العلا حالياً)، باداكو (فدك حالياً)، خيبرا (خيبر)، يديخو (يديع وهي الحويط في حرة خيبر في شرقها) حتى إلى يتريبو (يثرب، المدينة المنورة). عشر سنوات تجولت بينهم ولم أدخل مدينتي بابل» (مرعي 1996: 150).

ثانياً: الأدب الحواري

1.أدمندوكا (المناظرات)

المناظرات لون أدبيّ حواري نشأ في الأدب السومري وظهرت فيه نصوص كثيرة، وفي الأدب البابلي ظهرت نصوص باللغة البابلية، كانت تسمى في اللغة السومرية بـ (أدمندوگا) ومعناها (الحوار بين رجلين أو اثنين)، وهي مناظرات «كانت تتلى بين متحاورين أو متفاخرين في أثناء الاحتفالات والأعياد في بلاطات الحكام والملوك، ولعل الحاكم أو الملك نفسه كان يمثل الإله الحكم الذي كان يحتكم إليه المتناظرون على ما سنتبين فيما بعد، وتشابه الأساليب المتبعة في تأليف هذه المفاخرات في النصوص السومرية والبابلية.فهي تبدأ بمقدمة أسطورية عن أصل الموضوع المتنازع عليه وتقديم المتناظرين في بيان مكانة كلّ منهما وأهميته في نظام الكون والأشياء، ثم موضوع المفاخرة بعرض أقوال كلّ من المتفاخرين وجواب أحدهما للآخر، إذ يبين كل منهما فضائله ومنافعه للناس مفنداً أقوال منافسه ومعرضاً بنقائصه. وتنتهي المناظرة بذهاب المتخاصمين إلى أحد الآلهة للاحتكام إليه حيث يستمع إلى ادعاء كلّ منهما ويصدر حكمه في صالح أحدهما، وهو حكم نهائي يتقبله المتناظران عن طيب خاطر، فتتم المصالحة ما بينهما وإعادة الصفاء إليهما» (باقر 1976: 162 ـ 163).

عرف الأدب البابلي مجموعة من المناظرات منها (أربع نباتية وثلاث حيوانية):

1. مناظرة النخلة وشجرة الأثل (الطُّرفاء)

2. مناظرة الشعير والقمح

3. مناظرة الغار والصفصافة

4. مناظرة نيسابا والغلّة

5. مناظرة الثور والحصان

6. مناظرة النسر والحيّة

7. مناظرة الكلب والذئب

مناظرة الغار والصفصافة: حيث تقوم شجرة الصفصافة بكيل التهم لشجرة الغار، فترد عليها شجرة الغار بقسوة وتعدد فوائدها.

«2. أو شجرة الرمان (......)

3. شجرة الأرز، (و) السرو (.....)

4. في حوض القصب والأجمة (.....)

5. أنت...........

6. ....

7. في كل شيء.......

8. تدمرين الكثير (.......)

9. الحمقاء (بين) الأشجار

10. في......(ك)، شجرة الغار، جعلت.....

11. جذورك ليست بالغة القوة (........)

12. ظلك ليس وفيراً (........)

13. قمة فرعك ليست مزدهرة (........)

14. فتحت (شجرة) الغار (فمها) غاضبة وردت على الصفصافة.

15. واستفزتها وهي تجادلها.

16. «كالطرفاء (........) لها لحم (......)

17. كالنخلة، ملكة الأشجار (........)

18. (ومثل) غبار الجبل، الذي يغمر أرض العدو (......)

19....... مطروحة، تعالي، (.......)

20. (...... ك) لن يربط (........)

21. (بعيدا) عنك....... لا يضع (.......)

22. للقوي والضعيف.......

23. (.....) يجرف الأخاديد.........

24....... يجعل.........

....

4. يسحقون العاصي.......

5. اجعل الضعيف قوياً، و(........) المقعد (الأشمل)...

6. بغير أن تسمعها اجعل الكلمات معروفة (مبنية؟)

7. بخصلات منى يحمون الملك (.........)

8. ويزود (ون) الشريف و(الرجل) العامي (........)

9. لمدينة وحيدة (.......)

10. يحمون الباب والمزلاج (.........)

11. (.........) توضع لتأمين السقف.

12. كالتاج يزين المعبد بـ(.......)

13. ويتطلعون للدوارة لمعرفة اتجاه الريح.

14...... ويحمل الملاح......» (مكاوي 1994: 250 ـ 251).

مناظرة الثور والحصان: في مناظرتهما يقومان بالمفاخرة بصفاتهما:

7. فتح الثور فمه مخاطباً الحصان (المجيد في المعركة)

8. أأنت وحدك (القوي الجبار)......؟

9. ما في معركتك (.......)

10. إنني أضع اللمسات الأخيرة في العربة الكاملة، و..... عدتها.

11. بجلدي يتغطى الـ (........)

12. وبجلدي يتغطى الـ (.........)

13. سهام المحارب، والجعبة (.........)

14. الرماح الضاربة تحمل (........)

15. فؤوس المعركة التي (يمسك بها) سيدك (.........)

16. إنك لا تستطيع أن تبصر الطريق، (فأنت كالـ...) ضعيف متهالك.

17. عيناك تحدقان، ولكنك لا (.....)

18. وأنت لا تقطع الطريق، فعل الزمام (.....)

19. فتح الحصان فمه وقال مخاطباً (الثور الجليل).

20. عندما أطلق الصهيل (.......)

21. فؤوس المعركة (......)

22. الأسلحة (.......)

23........ التي تطرح أرضاً (.........)

24......... قلب أسد (........)

25. عند مخاضة نهر (......)

26. على الطريق (الممتد) فوق الجبال (........)

27. تكون متعباً، أيها النور، وقيد (.......)

28. في أداء مهمتك لا يصمد (......)

29. علفك من النخالة، والأرض (فراشك)

30. كيف يمكنك أن تنافس الحصان؟...... (مكاوي 1994: 259 ـ 260).

2.نصوص الجدل

ومن نصوص الجدل المهمة نص السيد والعبد الذي يمكن أن ندرجه تحت باب نصوص الحكمة لما يحتويه من مضمون أخلاقي واجتماعي.

السيد والعبد

يتكون النص من عشر موضوعات جرى الحوار عليها بين سيد وعبده تناولت الموضوعات الأربع الأولى حالات من السلوك الاجتماعي للسيد وهي حالات (الذهاب إلى القصر الملكي، أكل الطعام، الذهاب للبرية، السلوك مع الخصم).

وكان السيد يسأل العبد عن رأيه في السلوكين الإيجابي والسلبي من الحالات، فكان العبد يمتدح السلوكين دون أن يشير للسيد بالنصح الحقيقي إما لأنه يتملقه، أو لأنه كان يرى أن لا فرق إيجاباً أو سلباً من أي قضية في هذه الحياة العابثة الخالية من المعنى.

ويعكس سلوك العبد هذا موقفاً عدمياً من الحياة بسبب مكانته الدونية أمام السيد. ويختتم الحوار بين السيد والعبد في الشرك الذي نصبه السيد للعبد حين يسأله عن (الموت) وحين يجيبه العبد بأن الحياة لا تستحق، إذ يكاد السيد أن يوقع العبد في الشرك حين يقول له: (إذن عني أقتلك)... لكن العبد بذكائه يقول للسيد بأنه لا يستطيع الاستغناء عنه... وهنا يكشف العبد المأساة الساخرة التي تخفيها هذه الحوارية وهي أن السيد في حقيقته هو العبد لأنه لا يستغني عن العبد فهو مقيّد به.

وهذا ما سيكشفه لنا هيجل في القرن التاسع عشر حين يستخدم اصطلاحي (السيد والعبد) ليثبت أن السيد في آخر الأمر هو العبد بعد مناقشة فلسفية مستفيضة لـ(فينومنولوجيا الروح) وهو كتابه الفلسفي الكبير.

«أيها العبد، تعال إلى هنا وامتثل أوامري

ـ نعم يا سيدي، نعم

انطلق سريعاً واطلب وهيّئ لي مركبة لأذهب إلى البلاط

ـ اذهب إليه، يا سيد، اذهب إليه.. سيكون لك (نفع) فيه،

إذا يراك الملك، سيغمرك بالمكارم

إذن، لا أيها العبد، لن أذهب إلى البلاط!

لا تذهب إليه يا سيد، لا تذهب!

إذا يراك الملك قد يرسلك إلى حيث لن تريد الذهاب،

وقد يرسلك في طريق لا تعرفها،

ونهاراً وليلاً سيذيقك الأمرين!

أيها العبد، تعال إلى هنا وامتثل أوامري

ـ نعم، يا سيدي، نعم!

اذهب سريعاً وائتني بماء ليدّي لكي أتغدى!

(....) طعام إلهه، بغسل اليدين، هكذا، يجتاز الشمس

إذن، كلا، أيها العبد، في شأن الغداء، إني لن أتغدى!

لا تتغدّ، يا سيدي، لا تتغدّ

أن يجوع المرء ليأكل، وأن يعطش ليشرب، هذا ما ينبغي للإنسان!

أيها العبد، تعال إلى هنا وامتثل أوامري!

نعم، يا سيدي، نعم!» (بوتيرو: 1988: 414).

ثالثاً: الأدب الغنائي

1.الشعر الوجداني (شيرو)

أخذة كيش

يعتبر نص (أُخذةُ كيش) أقدم نص أدبي في العالم فهو يعود إلى عصر السلالة الأكدية القديمة أي ما بين القرنين (24 ـ 22) ق.م

وهو عبارة عن تعويذة سحرية كتبها رجل من منطقة (كيش) في وسط العراق، لكي يستعطف ود امرأة يهواها ويميل قلبها إليه. ويبدأ النص بقيام الإله (إيا) إله التعاويذ والسحر باستحضار كائن إلهي اسمه (يرحم) وهو أحد أبناء عشتار وربما كان (شارا) المعني بالزواج، ويقوم الرجل بإدخال شفاعة عشتار إلهة الحب وإشخارا إلهة المواثيق والعهود، ثم يقوم بذكر فعل (الأخذ) وهو نوال الحبيب مراده.

*أقدم قصيدة حب في العالم تعود لحوالي 2000 ق.م، وجدت محفورة على أحد ألواح الطين البابلية، درسها الدكتور أندرو جورج، وهو أستاذ الدراسات البابلية في سواس (قسم لغات وثقافات الشرق الأدنى والشرق الأوسط) في جامعة لندن، وحلل نقوشها في محاضرة في معهد دراسات المشرق، في جامعة شيكاغو، قمنا بترجمتها وجعلها ذات ايقاع وزني.

إبحث عني، سوف تجدني

أنا في البرية أقتلع الأشواك

وبالحبّ أغنّي

أزرعُ كرمةَ عنبي

أغمرها بالماءِ ولاتشبع

النار تصيحكَ في أعماقي فاسمع

أغمرُها بالماء ولاتهدأ

إسمع.. إسمع

إعشقني مثل الكرمة

إعشقني مثل قطيعكَ في البيداء

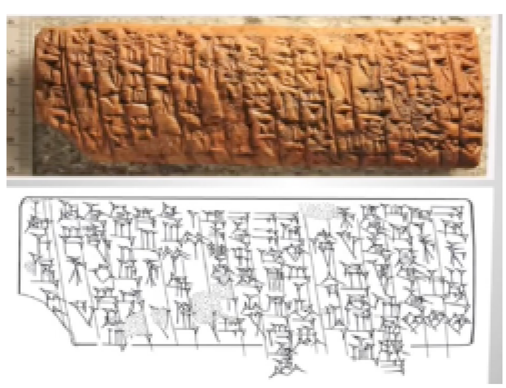
وكما فرسكَ البيضاء

إعشقني مثل الكرمة

ومثل الكأس ومثل الماء ومثل هواء

وابحث عني

سوف تجدني.



2.المدائح (أدب)

كانت المدائح الإلهية والملكية نمطاً شائعاً في الأدب البابلي، وكان يمكن أن تتوجد في الكثير من نصوص التعاويذ والتوسلات، وكانت حصة الإلهة عشتار كبيرة في هذا المجال وأهمها تعويذة مديح لها « حُفظت لنا هذه التعويذة الرائعة بكاملها على لوح متأخر. ولا بدّ أن صيغتها الأصلية كانت قديمة. إلاّ أن غنى المواضيع الأزلية التي تُشرّح فيها، والصورة الكاملة التي تعطيها عن الآلهة، والحرارة الدينية التي تغذيها، جميع هذه الاعتبارات تدفع إلى الاعتقاد أن هذه الصلاة الواسعة والمؤثرة لا بد أنها ظهرت لأجيال عديدة تعبيراً صادقاً دوماً عن عبادة البشر للإلهة عشتار.كانت ترافق هذه التعويذة رتبة قصيرة تعطي تفاصيلها في أسفل اللوح. في موضع لم يذهب إليه أحد، تكنس سطحه، وتنضحه بماء نقي، وترتب بمثل زاوية أربع طابوقات، تكدّس بينها نشارة الحور، وتضرم فيها النار، وتسكب فيها عطوراً ودقيقاً ناعماً وسرواً، وتعمل سكيبة، دون أن تركع. وتتلو هذه التعويذة ثلاث مرات، وتركع تجاه (نجمة) عشتار، ثم تنطلق دون أن تنظر إلى ورائك.» (لابات 1988: 303).

«أتوسل إليكِ، يا سلطانة السلطانات، وآلهة الإلهات،

يا عشتار، ملكة كل الأماكن المأهولة، التي تحفظين الشعوب في نظام،

يا ايرنيني، أنت أسمى وأعظم جميع الايكيكي،

أنت قديرة وسامية واسمك متعالٍ!

أنت ضياء السماوات والأرض، يا ابنة سين البطلة،

أنت تجعلين الأسلحة تتلاحم وتثيرين القتال،

تجمعين في ذاتك جميع السلطات وتحملين التاج السامي!

أيتها السيدة، مآثرك باهرة تفوق مآثر جميع الآلهة الأخرى

يا نجمة الصرخات الحربية، أنت التي تدفعين أخوين متحابين إلى أن يحارب أحدهما الآخر،

والتي تعطين أيضاً رفيقاً لكل واحد!

يا عشتار القديرة، سيدة ساحة الوغى، التي تجند في كل مكان قبائل الجبال،

يا كوشيا المدرعة للنضال والمتوشحة ببهاء رهيب،

التي تنفذ العقاب وحكم القرارات للأرض والسماوات!

منتبهة إليك هي المصليات والهياكل والمذابح والعروش الإلهية.

أين لا يوجد اسمك؟ أين لا توجد رتبك؟

أين لا توجد صورك مرسومة؟ أين لم يؤسس لك عرش؟

أين أنت لست الكبرى، أين أنت لست السميا؟

لقد رفعك آنو وانليل وأيا، وجعلوا سلطتك السامية الكبرى بين الآلهة

لقد رفعوك فوق جميع الايكيكي، وجعلوا مكانك جليلاً،

بمجرد التفكير في اسمك ترتعد السماوات والأرض،

يرتجف الآلهة، ويرتعب الأنوناكي!

إن الشعوب تكرم اسمك الرهيب،

لأنك أنت العظمة والسميا،

الجميع، ذوو الرؤوس السوداء والكائنات الحية والبشرية تنشد بسالتك البطولية!

إنما أنت، بالحق والعدل، تعلنين حكم جميع البشر،

تنظرين إلى المسلوب والمهان وكل يوم تردين إليه حقه.

ألتمس منك الرحمة، يا سيدة السماوات والأرض، راعية البشر الذين يحيون تحت السحب،

ألتمس منك الرحمة، يا سيدة اي ـ انا المقدس، الموضع المقدس

ألتمس منك الرحمة، أيتها السلطانة ذات الرجلين اللتين لا تعرفان الملل

والركبتين السريعتين.

ألتمس منك الرحمة، يا سلطانة جميع المعارك وكل المجابهات،

أيتها المتلألئة، لبوء الايكيكي، أنت التي تعطفين الآلهة المفعمين غضباً،

يا أقدر جميع السلاطين، أنت التي تمسكين بأزمّة الملوك

وتفتحين حجاب جميع النساء الشابات،

لأن تكوني مرتفعة أو أن تكوني منخفضة، يا عشتار البطلة، فمآثرك عظيمة دوماً.

أنت مشعل السماء والأرض المتلألئ، والنور الباهر لجميع الأماكن المأهولة.

أنت رهيبة في القتال دون منافس، باسلة في المجابهة الحربية،

نار سماوية تلتهب ضد العدو، أنت التي تسببين دمار المتغطرسين». (لابات 1988: 303 ـ 304).

نص من كتاب الرعد الغنوصي عن عشتار: Pistis Sophia

ومن الأهمية أن نذكر نصاً مهماً شاع بعد غروب البابليين بقرون عن إلهتهم (عشتار) هذا النشيد قديم جداً، وهو الذي ترجمه الدكتور فائز مقدسي، موجود في كتاب قديم وباطني، وهو كتاب غنوصي النزعة، مكتوب باليونانية القديمة، وفي هذا الكتاب تدعى عشتار «صوفيا»، أي الحكمة، والتي تجمع في ذاتها كل المتناقضات وتجعلها واحدة ومتماثلة. يعني كل شيء يحتوي على نقيضه وهو توأمه في الوقت ذاته، حيث كلّ يناقض الآخر ويماثله في الوقت نفسه ليكتمل، ونص النشيد مدوّن بلغة باطنية خفية ككل النصوص السورية الغنوصية، وعباراته حافلة بالرموز والدلالات الغامضة:

«أنا الأولى وأنا الأخيرة

أنا المكرّمة وأنا الذليلة

أنا البغي وأنا المقدسة

أنا الزوجة وأنا البكر

أنا الأمّ وأنا البنت

أنا العاقر وأولادي كثيرون

يحتفلون بعرسي ولا زوج لي

أنا العروس وأنا العريس

زوجي وضعني وأنا أمّ أبي وأنا أخت زوجي وابني هو زوجي.

أنا المعرفة وأنا الجهل

أنا العار والخزي

أنا القوية وأنا الضعيفة

أنا الحرب وأنا السلام

أنا الغريبة وأنا أهل البيت

أنا أكون وأنا لا أكون

القريبون مني لم يعرفوني.

عندما أكون بالقرب منكم فأنا بعيدة

وعندما أكون بعيدة عنكم فأنا قريبة منكم

أنا النزول وصعود سوى إليّ

أنا القصاص وأنا المغفرة

أنا الذنب وأنا جذر الخطيئة

أنا الحكمة وأنا المعرفة

أنا الأمّ المصطفاة التي لم تعرف السقطة

وأنا الحكمة التي سقطت

أنا العقل وأنا الكلمة وأنا الصمت وأنا الصوت

وحدي أكون ولا أحد يحكم عليّ.» (فائز مقدسي نشيد عشتار.. تعريب وصوغ وتنسيق، موقع أورهاي).

http://orhay.net/index.php?singlePage=NDQyتأريخ الإقتباس 7/ 8 / 2019

3.المراثي (تيكي)

كانت المراثي البابلية أقل من المراثي السومرية، ولنا في (مرثية بابل) المثل الأفضل والأندر في هذا المجال، فهي نصّ من تأليف كاتب بابلي اسمه (كبتي إبلاني مردوخ) كتبها في حوالي 760 ق.م، وهو نصّ رثائي عن خراب بابل برمزية من خلال الإله (إيرا) إله الخراب والدمار والحرب والأمراض، وهو أحد أسماء الإله نرجال إله الموت والعالم السفليّ. وتظهر المرثية كحوارٍ بين الإله إيرا ومعاونه الذي يرمز له كسلاحٍ له والمسمّى (إيشوم) والملقّب بالـ (ذبّاح)، وهذا مقطعٌ من اللوح الرابع من هذه المرثية، حيث يبدأ إيشوم بمخاطبة إيرّا:

«فبعد أن عدّلت مظاهرك الإلهية واتخذت هيأة رجلٍ،

دخلت المدينة مجهزاً بأسلحتك

ولدى وجودك في بابل، وكمن يريد إخضاع مدينةٍ

لسيطرتك تكلمت كمحرضٍ

والبابليون دون رئاسةٍ لهم (غير) أعواد المقاصب

اهتاجوا من حولكَ

....

وضد حاكمهم ممون معابدهم، بدؤوا

بتردد وقاحات كبيرة

مترسوا بأيديهم بوابات بابل

ومجاري المياه الحاملة لثرائهم

وكسُلاّبٍ أجانب عمدوا إلى إحراق أبنيةٍ بابل المقدسة

بيد أنك كنت المحرض، أنت كنت على رأس الهياج

....

(وهكذا) فجيش الملك المحتشد، دخل إذن المدينة،

بالسهام الملتهبة والسيوف المجردة من أغمادها

(وحتى) بالنسبة للأشخاص المعفيين، (تحت) حماية

آنو وداجان المقدسة، جعلتهم يشهرون السلاح

وسلّمت دماءهم، مثل الماء إلى مجاري المدينة،

شدخت لهم شرايينهم، لكي يحمل النهر محتواها!

وأمام المنظر، قال مردوك، الإله العظيم: «يا للمصيبة «

وانقبض صدره،

وحزمٌ لا مردّ له تلفّظ به فمه:

أقسم أن لا يشرب قط، بعد الآن، ماء النهر،

ولاشمئزازه بسبب الدم المراق (أقسمَ)

أن لا يعود قط إلى إيساجيل « (الشواف ج2 1997: 378 ـ 380).

4. الفخر (تارو)

حفل الأدب البابلي بالكثير من نصوص الفخر، وخصوصاً تلك المرتبطة بالآلهة، فقد كان تمجيد الآلهة يمثل نوعاً من الفخر بها، ولعل من أشهر هذه النصوص هو نصّ (ارتفاع عشتار) المكوّن من ثلاثة أناشيد، «يُطلق عامة اسم «ارتفاع عشتار» على قطعة غنائية كان مؤلفوها القدامى يشيرون إليها بالكلمات الأولى من السطر الأول: «السيدة العالية التي وحدها هي القديرة..» كانت القطعة تتكون، في الأقل، من خمسة أو ستة أناشيد، لم يصلنا منها سوى الثالث وقسم كبير من الرابع، في نسخ متأخرة جداً. جاءت القصيدة بلغتين: تشمل نقلاً سومرياً، ترافقه ترجمة أكدية سطراً فسطراً. ويُظهر الخواص القواعدية والإنشائية البادية في النصّ الأول أن كتابة القصيدة ترقى إلى عهد لم تعد فيه اللغة السومرية متداولة، ولكنها كانت تزدهر من جديد لغة التقليد العريق والليتورجيا. ونستطيع التفكر، كما تؤيد ذلك شهادات أخرى، على ما يبدو، في أن هذا العهد هو العهد الذي فيه كان الملك بختنصر الأول (1146 ـ 1123) ق.م يحكم البلاد البابلية.» (لابات 1988: 289).

كان المقصود من ارتفاع عشتار هو رقيّها من إلهة صغيرة إلى مكانة عالية تشابه مكانة إنانا في التراث السومري، فهي تصل إلى أعلى سماء آنو وتصبح زوجة له، أي تصبح إلهة وملكة السماء كما كانت إنانا.

«تنشد القصيدة ارتفاع عشتار، من آلهة صغيرة تصبح سيدة الآلهة وكوكباً مشعاً متساوياً مع النيرات السماوية الكبرى. وللبلوغ إلى الذروة، كان ينبغي أن تقبل في المناطق السماوية الثلاث المتتابعة التي يديرها آنو وإنليل وإيا. فكل منهم يشركها في سلطته، وآنو الذي

يحتل المرتبة العليا بين الآلهة الكونية يتخذها له زوجة شرعية. ليس كل شيء، بالطبع، جديداً في علم الإلهيات هذا. ففي عهد السومريين، كانت عشتار تملك بوصفها سيدة في معبد أوروك الكبير وفي العهد البابلي القديم، كانت، متمثلة بأنتو، زوجة لآنو. وكذلك، كما رأينا، كانت قد تلقت من أبيها إنليل ـ موليل الحاكم على الأرض والسماء، إلا أنها، في هذا «ارتفاع عشتار» حيث تتلقى أسماء كانت مجهولة حتى الآن، فإن العلاقات التي تربطها بآنو وإنليل تختلف عما كانت عليه من قبل، وكذلك جديدة هي الروابط المماثلة التي ستربطها من الآن دون شك بالإله الخالق ايا ـ نودينمود.» (لابات 1988: 289).

النشيدان الأول والثاني فقدا وهما يجسدان ارتفاع عشتار إلى مداري الإلهين (إيا) ثم (إنليل)، أما النشيد الثالث فهو وصول وارتفاع عشتار الفعليّ لمدار الإله (آنو) وزواجه منها، وبذلك يكون قد عمل على مشاركتها لمصيره في السماء، ويترتب على هذا في الأرض أن يدخلها سيدة في معبد «أي ـ انا» في أوروك باسم «عشتار ـ الكواكب»، وفي اللوح أو النشيد الرابع الذي ظهر فيه الإله إنليل وهو يتحدث معها ويفتخر بها ويباركها باعتباره ملك البلاد والآلهة:

«لتسجد أمامك

جميع الشعوب

حيثما يعبدوني

امتلكي مدني المقدسة!

(حيثما يقيمون لي تماثيل)،

ارفعي أنت أيضاً (...) قاعدة إلهية!

(جميع آلهة) السماء والأرض

يضجرون حينما تثورين،

ولكن (مثل قصباتِ منطوية تحت) العاصفة،

لينحنوا جميعهم أمامك!» (صاغرين)

....

في الجزء الثاني من النشيد، يطري الآلهة إنليل بصورة خاصة الفضائل الحربية للآلهة، قبل أن يدعوها إلى الملك بجانبه، باسم «الإلهة ـ ملكة ـ نيبور».

«السهم الذي، مثل إسفين، يثقب القلب والرئتين،

ليجتز دوماً بجلال!

يا عشتار، اجعلي الهجوم والالتحام

يلتويان مثل حبل القفز!

مثل الطبل والمقرع، يا سيدة النضال

اجعلي مجابهة الجيوش تتلاحم!

يا آلهة المنافسات الحربية، قودي المعركة

مثل لعبة الدمى!

يا أنين، حيث يكون احتدام الأسلحة والقتل،

العبي بالفوضى، كما بالكعاب!

يا عشتار، حينما، مثل إعصار عنيف،

تحفظين العقدة القوية للقتال،

حينما، بالمطرقة والتفأس والسيف والحربة

تنافسين بقوتك،

حينما تهيئين عصا الرماية والمجن،

لتهج العاصفة!

سلاح الموت الرهيب الذي بيدك، مثل إله النار،

ليصعق الأعداء!

يا أنين، حينما تُمسك الأسلحة والشعارات،

إذا فتحت ذراعيك، لا ينجونَّ أحد!

يا ابنتي، حيثما يسرّك، (يعود إليك)

أن ترفعي أو تحطي، أن تقدمي أو تؤخري.

في موضع المصائر، لا يمنعك شيء

ليكن أمرك مساوياً لأمري.

في الأعياد والذبائح والمآدب الطقسية،

والصلوات والركعات والابتهالات،

الإنسان الذي قدم هدية لإلهه الغاضب،

أو ذاك الذي تتشفع به آلهته،

لن يقبل أي إله صلاته، ما لم يكن قد بحث

عن المواضع التي فيها تحصل راحة ألوهيتك.

في المدينة، موضوع رغبات سومر وأكد،

حماية جميع الجهات،

في دور إنكي، حيث تنعقد السماء والأرض،

أساس جميع الأماكن المأهولة،

على عرشي الملوكي الذي، لسجود الآلهة

هو مطروح على الأرض مثل «أوروخ»» (لابات 1988: 294 ـ 295).

ملاحظة: دور إنكي: اسم البرج المدرج لا يكور، المعبد الكبير لإنليل في نيبور. أما أوروخ (ريمو): هو لقب للإله إنليل.

5. الغزل والحب

زخر الأدب البابلي القديم بقصائد الغزل والحب، وهذا نموذج لحوار بين عاشقين:

«الحبيب: اتركي حواسكِ لا تتكلمي كثيراً

أصحيح أن من يتفرغ لصحبة النساء مثل الذي يدخر الريح؟

الحبيبة: سيدوم إخلاصي لك والإلهة عشتار شاهدة علي، وسيبقى حبي مشرفاً ويكون الخجل نصيب من

افترى عليّ.

الحبيب: أصحيح ما تقولين؟

الحبيبة: أنا متمسكة بك وسوف اوفق بين مقامينا بالدعاء إلى الالهة وسأحصل على رضاك يا سيدي كهدية

لي إلى الأبد.

الحبيب: سأحيط بكِ كالسياج وأجعلكِ محمية بي.

الحبيبة: ستصيب الآلهة من لا يحبك، ستأخذه بالأرق وتلقي به في الليل دون معين.

الحبيب: سوف لا أصغي إلى أحد غيركِ.

الحبيبة: صرت أتحسس موطن جمالي وفتنتي، لقد غدت شفتي العليا رطبة والسفلى ترتجف، سوف أعانقك وأقبلك، وآنذاك سوف أنتصر على من افترى علي وأعود سعيدة إلى البيت، أقسم لك بالآلهة، أقول لك ما أشعر به نحوك، إن حبك يعني عندي أكثر من قلق وإغاظة.

الحبيب: وحيدتي وواحدتي إن ملامحكِ الفاتنة كما عهدتهن، إنني أقف إلى جنبكِ وأسند رأسكِ علي يا من

كان اسمكِ حبيبي وما زال.» (الطائي، إيليا: من الأدب البابلي القديم: حوار بين عاشقين، موقع مفكر حر، تاريخ الاقتباس 1/ 12 / 2019).

https://mufakerhur.org/من-الادب-البابلي-القديم-حوار-بين-عاشقي/إيليا الطائي

رابعاً: الأدب الأخلاقي

1.الأمثال

كان هناك الكثير من الامثال البابلية التي تعالج مختلف الأمور الاجتماعية ومنها الأسرة:

«ولما كانت المرأة المبذرة سبباً في تعاسة الأسرة، فإننا نجد العديد من الحكم التي توضح النتائج الوخيمة المترتبة على الزواج من المرأة المبذرة، ومن ثم فإنها تعتبر تحذيراً من مغبة الزواج منها، ومما جاء في النصائح السومرية معبراً عن ذلك:

«بزواجي من امرأة مبذرة، وبإنجابي ابناً مسرفاً، يصبح الحزن ذخيرتي»

«إن فجيعة الرجل فوق تبذير أسرته»

ومنها أيضاً:

«إن المرأة المبذرة في بيتها تبتلى بجميع أمراض الشياطين». (سليم 1985: 34).

«وورد في إحدى اللوحات التي ترجع إلى العصر الكاشي ونقلت إلى آشور في أواسط العصر الآشوري ما يوضح أن جريمة الرجل الذي يكون على علاقة بزوجة رجل آخر تكون كبيرة، وأن إثمه يكون فاحشاً:

«إن الذي يكون على علاقة مع زوجة رجل آخر، يكون إثمه فاحشاً». (سليم 1985: 44).

«شد حزامك يكن إلهك معك

إذا أسأت إلى صديقك فما عساك أن تفعل مع عدوك؟

الإله هو الذي يعينك صغيراً كنت أم كبيراً

الناس بلا ملك مثل قطيع الغنم بلا راع

الناس بلا مشرف مثل الماء بلا مراقب

العمال بلا مشرف مثل الحقل بلا حارث

إن فمي هو الذي يجعلني أعد بين الرجال

الصداقة تدوم يوماً ولكن ارتباط المصالح يدوم إلى الأبد

ساكن البلد الغريب مثل العبد

فن الكتابة أبو العلماء وأم الخطباء

الزوجة المبذرة في البيت أشد ضرراً من جميع الشياطين. (باقر 1976: 160)

أمثال ما بين النهرين:

«* لا تسء إلى أحد، عندئذ لن يدخل قلبك الأسى.

* لا تفعل شراً، فلن يتملكك عندئذ حزن وألم

* من تحبل دون نكاح، مثل من تسمن دون أكل؟

*. النكاح يسهل رضاع الثدي.

* حينما أعمل يسلبونني أجرتي، وحينما أضاعف جهودي ما يمنحني أحد شيئاً.

* الرجل القوي يأكل بأجرته، والرجل الضعيف بأجرة طفله.

* إنه محظوظ في كل شيء، طالما يلبس حلة جميلة.

* هل نضرب وجه الثور الذي يمشي، بالسوط؟

* ركبتاي تسيران بي، قدماي قويتان ومع ذلك يتعقبني بالعذاب رجل عديم الإدراك.» (التكريتي 1972: 130).

«* ألست حصاناً أصيلاً؟

* مع ذلك أنا مسرح مع بعل، وعلي أن أجر عربة محملة بالقصب.

* إن الطين ينصب عليّ؛ مع أني أسكن بيتاً مبنياً بالطابوق والقار.

* إن حياة نهار قبل البارحة مثل كل يوم.

* لو وضعت في النهر، لا تنبت مياهه، ولو وضعت في البستان فسد ثمره.

* إذا كانت الساق عوجاء. فلن تعطي برعماً ولا بذرة.

* سيموت حالاً؛ هكذا يقول؛ «دعني أنفق كل ما أملك! ستصبح صحته جيدة حالاً؛ هكذا يقول: «دعني أقتصد!»

* هل تنبت الحنطة الناضجة؟ كيف ندري هل تنبت الحنطة العجفاء؟ كيف ندري؟

* لن يُصد العدو أمام باب المدينة التي عدة حربها ضعيفة.

* يمكنك أن تذهب وتسيطر على حقل عدوك، فيأتي العدو ويأخذ حقلك.

* يجب أن لا تلد الأم، الطفل الفاسد، ويجب ألاّ يخلقه إلهه الشخصي.

* مع الثعلب عصا: فمن سأضرب؟ وهو يحمل وثيقة قانونية. «(التكريتي 1972: 131).

فماذا أتحدى؟

* عند هروبي من الثور الوحشي، واجهتني القرة الوحشية!

* هو صديقه ما دام على قيد الحياة، وغريمه الأكبر يوم مماته.

* لن يصل إلى نتيجة، ما دامت النسوة يتكلمن مع بعضهن.

* تدخل الذبابة في الفم المفتوح!

* أنت كالبقرة العقيم، تبحث عن عجلها الذي لم يولد.

* قال الحصان بعد أن ألقى فارسه «سأصاب بالهزال إن ظل هذا حملي»

*الكلب يفهم «خذها!» ولا يفهم «دعها!» (التكريتي 1972: 132).

2. أدب السخرية

وقد شاع هذا الأدب كثيراً ليشكل تهكماً على بعض العادات والتقاليد التي كانت تأسر المجتمع. وقد جاءت بعض قطع السخرية على لسان الحيوانات فهذا مقطع من رسالة جاءت على لسان القرد (أوكودلبي) المريض الذي لم يجد نفعاً في المدن العامرة آنذاك حيث كان، بالإضافة إلى مرضه، يكاد يموت من الجوع:

«إلى أمي لودي ـ لودي

هكذا يقول القرد (أوكو ـ دل ـ بي)

إن (أور) مدينة البهجة والمسرّات

و(أريدو) مدينة الرخاء

ولكنني مع ذلك أجلسُ وراء باب قاعة الموسيقى آكل الفضلات

فعساني لا أهلك من الجوع

لم أذق طعم الخبز والجعة

فابعثي برسول منكِ على عجل» (باقر 1976: 182 ـ 183).

لعل أشهر نص بابلي في السخرية هو قصة (جميل ننورتا) فقير نفّر عثر عليها في موقع سلطان تبه قرب مدينة حران القديمة تتكون من 160 بيتاً وذيلاً بـ13 سطراً، وهي تتحدث عن أحد فقراء نفّر الذي يحاول أن يقدّم هدية لحاكم نفّر ولكن الحاكم ينهره فيقرر جميل الانتقام منه بصنع ثلاثة مقالب ينتقم فيها منه، والمقالب تثير الضحك والسخرية فعلاً ويأخذ الفقير جزاءه من الحاكم.

ويذيل كاتب أو كاتب أو ناسخ القصة اسمه في نهايتها واسمه هو (نبو ـ رحتو ـ أوصر)وسنختار نص المقلب الثاني، واستمراراً في ذكر القصص البابلية التي تمثل ركناً مهماً من أركان الأدب البابلي نسرد هنا قصة من الأدب الفكاهي بعنوان (جميل ننورتا)، وربما ذكرتنا هذه القصة بواحدة من قصص ألف ليلة وليلة.

وتعتمد هذه القصة على سرد الحوادث التي مرّ بها جميل ننورتا بردّ إهانة وجهها له حاكم المدينة وتوضح هذه القصة الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية في تلك العصور.

ويعطينا اسم (جميل) هنا انطباعاً بوجود الأسماء العربية السامية في ذلك العصر إما بشكلها الحالي الصريح، أو بشكل قريب منها.

اتسعت مساحة الأدب البابلي مع تقادم الزمن، فقد ضمّ الشعر والملاحم والقصص وأدب الهزل وأدب الحكمة والأمثال والألغاز والمحاورات والمناظرات.

وتعتبر هذه الحكاية من القصص الهزلي الذي ضم عدة قصص وحكايات بابلية من هذا النوع.

يختلف السرد الحكائي البابلي عن السرد الأسطوري باعتماده أسلوب القص الواقعي الذي يستفيد من الحوارات القصيرة. ونادراً ما يجنح إلى الخيال والصور الشعرية.

بينما يتمتع السرد الأسطوري بالكثافة الشعرية على كل المستويات فاللغة مكثفة ولمّاحة، والصور الشعرية حافلة بالتشبيهات والاستعارات. أما الخيال فيلعب دوراً هاماً في السرد الأسطوري ويمتزج مع التماعات الواقع ونبضه. وتمتاز حكاية جميل ننورتا بحبكة واضحة مبنية بطريقة تعتمد على المفارقة وعلى كوميديا الموثف.

((دخل جميل إلى الحاكم مسروراً يمسك رقبة العنزة بيده اليسرى ويؤدي التحية للحاكم باليمنى وقال:

ـ عسى أن يبارك إنليل مدينة نفّر وحاكمها وأن يكثر أدد ونسكو الخيرات.

فقال الحاكم:

ـ لقد أسأت إلي عندما جلبت هذه الرشوة.

فقص جميل حكايته للحاكم لكن الحاكم صرخ بوجهه وقال للبواب:

ـ أعطِ هذا الرجل عظمة وعصبة، ومن وعائك شربة من الجعة (ثلث الرديئة) ثم اصرفه. وأخرجه من الباب.

ففعل البواب وأخرجه من الباب فالتفت جميل إلى البواب وقال له:

ـ حلت البركة على سيدك وقل له بأني سأوفيه جزاء العناء الذي سببه لي ثلاث أمثاله.

فطرده البواب وأخبر الحاكم بما قاله. فضحك طوال النهار على هذا الأبله. (الوائلي 1964).

جميل ننورتا

ثم جاء جميل إلى الحلاق فحلق شعره كله وذهب إلى بيت الحاكم وقال للبواب:

ـ أريد أن أرى الحاكم.

فقال البواب:

ـ من أنت؟

قال جميل:

ـ أنا طبيب من (إيسن) أعرف كل الأمراض فادخل لسيدك وأخبره.

وحين دخل جميل كشف الحاكم لجميل كدماته في الأماكن التي ضربها جميل بجسمه. فقال له جميل:

ـ لا يمكن أن ينجح علاجي يا سيدي إلاّ في الظلمة.

فأخذه إلى غرفة خاصة ورمى جميل المسمار في النار ودق خمسة أوتاد في الأرض الصلبة وشد يديه ورجليه ورأسه وأخذ يضرب كل جسمه من رأسه إلى قدمه حتى أدماه، وحين همَّ بالخروج قال للبواب:

ـ حلت البركة على سيدك وقل له إني وفيت قسطين جزاء ما سببه وبقي لي واحد. (الوائلي 1964)

3. التربية والتعليم

كثيرة هي نصوص التربية والتعليم تلك التي عثر عليها في المدارس البابلية والمكتوبة بلغات سومرية وأكدية، ففي أور عثر على 2000 لوح طيني كانت مئات منه عبارة عن تمارين مدرسية ونصوص تاريخية وجداول رياضية ورسائل تعليمية ومن بينها أناشيد موجهة للمعابد، ونص إنانا وإيبيخ، وحوار بين تلميذين وأحد نصوص اللعنات على أكد، وأناشيد موجهة إلى الملك السومري شولجي.

4. الوصايا

الوصايا أدب أخلاقي أيضاً يتضمن النصائح والإرشادات التي يقدمها شخص أكثر حكمة أو عمراً أو منزلة لشخص آخر. وفي النص الآتي نصائح رجل لولده:

«كن رجلاً يا بني، لا تعمد إلى ارتياد الحدائق العامة،

ولا تتسكع في الشوارع وعلى الجادات.

عندما تسير في الشارع، لا تنظر إلى ما حولك.

كن متواضعاً وأر مناظرك بأنك ترهبه.

إذا ما أظهرت له رهبةً، يرضى عنك.

(.....)

هل ستصل إلى النجاح، لو أنك تتسكع

في الحدائق العامة؟

تمثل بالأجيال السابقة. واظب على بيت ـ اللوحات

لكي تستفيد منه

تمثل بالأجيال السابقة، استعلم عنها

لقد استجوبت من هم حولي، وقارنت بين الأبناء

فلم أجد بينهم أي واحد مثلك.

ما أنقله إليك، يحوّل المجنون إلى عاقل.

ويشل حركة ثعبان كما يفعل السحر،

ويحول دون تصديقك الكلمات الكاذبة.

ولأن قلبي بسببك ملأه اليأس،

ابتعدت عنك ولم أعر اهتماماً لمخاوفك،

ولدمدمات تذمرك. وبسبب صراخك،

نعم بسبب صراخك، حنقت عليك.

ولأنك لم تسع لتتحلى بصفات الرجولة،

غضب قلبي وكأنما حملته ريح عاتية.

لقد قضت علي اتهاماتك،

وأنت تقودني إلى عتبة الموت.

لم آمرك في حياتي بحمل الحزم من منابت الأسل

ولم تمسس قط في حياتك حزم الأسل

التي ينقلها الفتيان والصغار

أنا لم أقل لك مطلقاً «اتبع قوافلي»

لم أكلفك قط بأي عملٍ. ولم أطلب

منك حراثة حقلي.

لم أقل لك في حياتي «اذهب واتخذ عملاً لكي تعيلني».

كثيرون غيرك يقومون بأودِ أهلهم

من وراء عملهم. (الشواف: 1999: 313 ـ 314).

تتناثر الوصايا في الأدب البابلي ولكن هذه الوصايا الموجهة من أستاذ إلى تلميذه تعبر عن نموذج رائع لهذا الفن الأدبي:

من لا يقف في موضعه ولا يراقب بيته،

فستصبح له (امرأته) شيطاناً حقاً!

(من كانت له علاقات رديئة، يصبح موضع الهوان

في فم خواصه ذاتهم، تكون سمعته سيئة.

ولا تقرر شيئاً مع مثير المشاكل،

ولا تدخل في التشاور مع عاطل أو كسلان:

فبالرغم من إرادتك الصالحة، ستنضمّ إلى ذهنيتهم،

وستنقص من نتاجك وتتخلى عن طريقك

وتجعل فكرك ينحرف مهما كان حكيماً ومحتشماً

ليكن فمك مراقباً، وخطابك ملاحَظاً

إنها قوة الرجل لتكن شفتاك نفيستين جداً

ولتكن التجاديف والنمائم بغيضة عندك،

لا تتلفظ بالاستهزاء ولا بآراء غير نزيهة:

فإن مثير المشاكل يُعامل باحتقار!

لا تذهب وتقف في المحكمة،

ولا تمضِ حيث يتخاصم الناس،

إذ من شأنهم أن يجعلوك طرفاً في الخصام،

وأنت الذي ستظهر للشهادة عليهم.

سيستدعونك للتصديق على دعوى ليست لك.

إزاء خصام، ابتعد ولا تنشغل به!

وإذا كان الخصام يتعلق بك، فأطفئ النار حالما تشتعل،

لأن الخصام بئر ناشفة،

وجدار قوي يدفن عدوه!

يتذكرون ما كانوا قد نسوه عن هذا الرجل ويعارضونه به!

لا تظهر شريراً ضد من يبحث عن مخاصمتك،

واصنع الخير لمن أساء إليك،

وابقَ عادلاً نحو من كان شريراً تجاهك،

ولتبق نفسك هادئة تجاه عدوك!» (بوتيرو: 1988: 419).

5.الرسائل

ربما يكون أدب الرسائل قائماً بذاته، لكننا يمكن أن ندرجه هنا في هذا الحقل لما تنطوي عليه من مستوى أخلاقي رفيع رغم أغراضها المتعددة، فهذه رسالة من ولد لأمه يتحدث فيها عن كاتبها (لودنجيرّا) إلى حامل الرسالة ويعطيه خمس علامات لكي يتعرف على والدته الجميلة والأنيقة وكأنه يتغزل بها من فرط حبه لها:

إذا كنت لا تعرف من هي أمي

دعني أعطيك إشارات (التعرّف إليها)

اسمها شات ـ عشتار

شخصيتها (تطفح) إشراقاً

إنها إلهة رائعة ـ وكنّة محبوبة

إنها مباركة منذ صباها

وبحيوتها أحسنت الاهتمام ببيت حميها.

إنها هي التي تخدم إله زوجها وهي التي تعرف كيف تهتم

بهيكل (؟) (الإلهة) إنانا

وهي التي تعرف أهمية أوامر الملك.

إنها نشطة ولذا هي تضاعف الممتلكات

وهي والمعززة والمليئة بالحياة،

هي الحمل وهي القشدة اللذيذة والعسل

والزبدة طالتي تسيل من القلب»

دعني أعطيك العلامة الثانية للتعرف على أمي:

أمي هي نور الأفق الشديد الإضاءة،

إنها وعلة الجبا،

نجمة الصباح التي تتألف (....)

إنها نبع ثمين، إنها زبرجد ماوهاشي

إنها حلى العقيق التي تحمل البهجة

وخاتم القصدير وسوار الحديد

إنها عصا من ذهب وفضة براقة

(....)

إنها تمثال كامل الجمال، كامل البهاء،

إنها ملاك رخامي على قاعدة من لازورد.

دعني أعطيك العلامة الثالثة للتعرف على أمي:

أمي هي المطر في فصله (الملائم)،

إنها الماء (محيي) الحب المدفون

إنها حصاد وفير، شعير فائق الجودة (؟)

إنها بستان رخاء مليء باللذائذ (الثمار)

إنها شجرة صنوبر أُحسن إرواءها،

محملة بالكواز.

إنها ثمرة السنة الجديدة وجني الشهر الأول

إنها القناة تحمل المياه المخصبة

حتى مجاري السقاية

إنها بلح دلمون الشديد الحلاوة

البلح الفائق الجودة والمطلوب (دوماً).

دعني أعطيك العلامة الرابعة للتعرف على أمي:

أمي هي عيد، هي عطية مليئة بالبهجة،

إنها تقدمة ـ أكيتا تبهر ناظرها

إنها خلية رقص معدة لفرح كبير

إنها وليدة أمير ونشيد وفرة.

إنها عاشقة وقلب محب لا ينضب فرحه.

إنها بشارة السجين العائد إلى أمه.

دعني أعطيك العلامة الخامسة للتعرف على أمي:

أمي هي عربة صنوبر وفراش من خشب البقس

إنها كساء مضمخ بالدهون العطرة

إنها قارورة من صدف السلاحف

مملوءة بأنفس العطور

إنها طوق أزهار رائع الجمال

قل لها (أيها الرسول):

ابنك الحبيب لو دنجيّرا

يوجه إليكِ أجمل تمنياته» (الشواف 2001: 120-123)

خامساً: نصوص الحكمة

1. حوار ساجل كينامويبب (حوار العدالة الإلهية)

تسمى هذه القطعة الأدبية من أدب الحكمة البابلي باسم (الحوارية البابلية) أو (حوار العدالة الإلهية) وقد كتبها كاهن الأشيبو المعزم (ساجل ـ كينا موبيب - Saggil Kenamoubbib) الذي يقدر أنه عاش في زمن حكم الملك نبوخذ نصر الأول (1124 ـ 1103) ق.م ويعتبر هذا الكاهن من (حكماء الأزمنة القديمة). فإذا أخذنا المقطع الأخير من اسمه (أوبيّب) فإن ذلك يوحي لنا أن هناك بين هذا الاسم واسم (أيوب)، ويمكن أن يكون كتبة التوراة قد أخذوا بهذا الاسم وصحفّوه قليلاً فأصبح (أيوب).

ويعتبر هذا النص مع نص (لأمجدن رب الحكمة) من أعظم نصوص الحكمة في العالم القديم وهما يطرحان مشكلة العدالة الإلهية على شكل حوار بين يائس معذب وبين مؤمن. وبمعنى آخر يجسد هذا النص الوجودي مسألة الشك بوجود الآلهة وعدالتها عبر حوار مليء بالحيوية والجمال.

كان أدب الحكمة البابلي، ومنها هذا الحوار، يركز على مفهوم العدالة الإلهية انطلاقاً من الحياة الدنيا لا من انتظار الثواب والعقاب في الحياة الآخرة، فقط الذي ينطوي على محاكمة بعد الموت وعلى نعيم أبدي ينعم به في رحاب أوزيريس الذين يجتازون الامتحان بسلام. لكن الفكر العبري المتآخر صاغ نظرة مماثلة امتازت عن النظرة المصرية بطابع روحاني أوضح، أما المفهوم البابلي عن الحياة الأخرى، فقد ظلّ حتى النهاية مفهوماً يكتنفه اليأس الكامل.

إن الحوار الذي أمامنا حوارٌ جريء جداً قياساً إلى عصره، كما أنه حوار ذو طابع فلسفي يذكر بحوارات أفلاطون في الأخلاق والعدالة الإلهية.

ويتكون هذا الحوار من حوالي (300) سطر موزعة على 27 مقطعاً شعرياً يحتوي كل مقطع على (11) سطراً

أما موضوعات الحوار فتتضمن سبعة حوارات متبادلة بين (المتشكك) و(المؤمن صديقه) ومقطع ثامن يسلم فيه المتشكك بقدرة الآلهة ويعود إلى إيمانه ويبدأ الحوار الأول بطرح

فكرة الألم ونشدان النصح والسؤال عن الموت ويكون الجواب عن هذا الحوار بأن الموت مقدر علينا جميعاً وأننا يجب أن لا نترك روحنا تستسلم لليأس.

أما الحوار الثاني فيكون جوهره حول ذبول الحال وانهيار الجسد، ويكون الجواب أن ذلك يمكن استرداده بأن للآلهة خططها وتقديراتها.

أما الحوار الخامس فيؤكد على عزم المتشكك بالذهاب بعيداً عن بيته ومدينته وارتكاب الخطايا.

ويكون جواب الحوار الخامس بحزم ونصيحة بالعودة للآلهة.

أما الحوار السادس فيؤكد على أن الحياة تسير معاكسة للمؤمن والمتواضع والفقير فيكون الجواب بأن للحياة شرائعها وأعرافها ولا سبيل إلى غير ذلك.

ويؤكد الحوار السابع على مضمون الحوار السابق ويحكي عن المحتال والمجرم وغيرهم فيكون الجواب بأن الآلهة عندما خلقتنا فإنها لم تزودنا بالحقيقة كاملةً، بل طلبت منا البحث عنها.

وتنتهي الحوارية بأن يقوم المتشكك بالعودة تدريجياً إلى إيمانه، ويطلب من الآلهة مساعدته.

وتقوم هذه الحوارية (عكس حوارية السيد والعبد) على المنهج العقلي لا السفسطائي، ويبذل المؤمن جهداً واضحاً للإجابة على الأسئلة المحرجة.

يعتبر مؤلف هذا الحوار واسمه (ساجل كينامويبب) أحد حكماء بابل الذي عاش في بابل في عصر نبوخذ نصر الأول (1124 ـ 1103) ق.م وأدد إبلا أيدينا (1067 ـ 1046) ق.م وهو حوار عميق.

أيها الحكيم (صديقي)، دعني أقول لك (ما يثقل فؤادي).

(اصغ! إلى مصائبي) أريد أن أطلعك،

(أنت، الذي هو) رفيقي، إليك (أفوّض أمري)!

(اشفق عليّ أنا) المتألم! وسأشيد بمدائحك إلى الأبد!

أين ساجد رجلاً ذا مشورة حسنة يضاهيك؟

أين سأجد حكيماً بوسعه أن يضارعك؟

أين سأجد في موضع آخر مستشاراً أفضي إليه بغصّتي؟

ما كدت أترعرع حتى داهمتني العذابات.

كنت آخر إخوتي، والمصير جعلني يتيماً،

الأم التي منها ولدت ذهبت إلى عالم اللاعودة،

تركني أبي وأمي دون أن يبقى من يربيّني!

2. (ب)

ـ يا صديقي المحترم، إن ما تقوله الآن لشيء محزن إلى الغاية،

ولكن أيها الحبيب جداً، إذ تدع نفسك تنطوي على أفكار شريرة،

تجعل روحك السامي يبدو وكأنه روح عاجز،

وقد غيّرت ملامحك المشرقة بمظهر قاتم.

إن آباءنا حكم عليهم باتباع طريق الموت،

لقد فرض عليهم، على الدوام، باجتياز نهر الجحيم.

ولكنك إذا نظرت إلى البشر في مجموعهم،

فليست (الصدفة) هي التي أغنت بكراً دون موارد،

ومالك الثروات المكتنز، من الذي وفّقه؟

إن من ينظر في وجه الله هو وحده يحصل على النجاح،

إن الساجد المتواضع للآلهة هو وحده، يكتنز الرخاء.

3. (أ)

ـ إن قلبك، يا صديقي، ماء متفجر لا ينضب نبعه،

إنه الخزين من البحر الذي لا ينقص أبداً!

عليك إذن سأطرح سؤالاً! افهم قصدي جيداً،

أعرني انتباهك لحظة، إصغ إلى أقوالي:

إن جسمي منخذل، فقد أفقدني النحول ألواني،

لقد أزالوا نجاحي، وولى رخائي،

ضعفت قوتي، وانقطع ازدهاري،» (لابات 1988: 383 ـ 384)

2.لأمجدّنَ ربّ الحكمة (بيل لدلول نميقي)

هذه واحدة من أشهر قطع أدب الحكمة البابلي وقد اشتهرت باسمها البابلي أيضاً (لدلول بيل نميقي Ludlul Bel Nemeqi) وترجمت عدة ترجمات.

وسمي هذا العمل بـ(أيوب البابلي وظهرت دراسات عدة حول المقارنة بين (أيوب التوراتي) و(أيوب البابلي)، وقد سبق البابلي التوراتي بأكثر من ألف سنة.

ويبدو أن صاحب هذا النص أو المقصود بأيوب البابلي هو: شوبشي مشري شكّان (Shubshi - Meshre - Shakkan) وهو رجل عادل ومقرب من الآلهة والملك وكانت سيرته وضاءة، لكنه فجأة تعرض إلى تجربة قاسية على المستوى الاجتماعي والنفسي والصحي أدت إلى انحداره تماماً. وقد عرف محاوره الأول من نفّر والثاني من بابل، وكان لأيوب التوراتي أيضاً ثلاثة محاورين.

وغاية هذا النص إيضاح ما يمكن أن يحصل للمرء عندما يتخلى عنه إلهه، وكيف أن المصائب تهجم عليه واحدة بعد الأخرى. ولكن عليه أن يظلّ صابراً، لأن في ذلك امتحاناً له وتجربة لصموده أمام الشدائد. وسيعود الإله إليه ويزيل عنه كل هذه الكروب شرط أن لا يجدّف ولا يلعن آلهته.

يبدأ هذا النص بتمجيد رب الحكمة (وهو هنا مردوخ) ثم يعرفنا الكاتب كيف أن مردوخ وزوجته صربانيت تخليا عنه ثم تخلى عنه إلهه الشخصي الحارس.

وقد شاعت فكرة الإله الحارس (الملاك) في العصور البابلية المتأخرة وكان يطلق عليه بصفة عامة اسم (لاماسو) وهو مشتق من الاسم السومري (لاما) الذي كان يتشفع للشخص عند الآلهة الكبرى ويقوم بحمايته اليومية. وقد عبر عنه المصريون القدماء بـ(القرين)، وفي الأديان الموحدة ظهرت فكرة الملاك الحارس أيضاً. وتبدأ أول انهيارات (شكّان) بأن يترك بيته ويهيم حيث تظهر إشارات تدل على مصيره القاسي، وهذه الإشارات تكون من الأشياء المرئية حوله ومن الكلام الذي يسمعه صدفة في الشارع، ويعجز عن فهم ذلك عرافه

ومفسر أحلامه. وتبدأ تحولات الناس حوله خصوصاً زملاؤه في القصر الملكي حتى يطال ذلك خادمه وخادمته بذلك يعزل (شكّان) نفسياً واجتماعياً.

«من سنة إلى أخرى، كان الأوان المعيّن قد مضى

حينما التفّت، كانت المصيبة ثم المصيبة!

يزداد لي السوء ولا أرى العدالة!

صرخت إلى الله، فرفض علي وجهه.

توسلت إلى آلهتي، فلم ترفع رأسها!

إن العراف، بالعرافة، لم يقرر مستقبلي.

وشارح الأحلام، رغم سكيبته، لم يوضح حالتي،

فاستغثت بروح الموتى، ولم يطلعني

ولم يحلّ المعزّم، برتبه، الغضب الإلهي الثائر عليّ.

يا للأحداث الغريبة التي نلاحظها في كل مكان!

إذا نظرت ورائي، فليس سوى اضطهاد واضطراب.

مثل من لم يضمن السكائب لإلهه،

أو لا يكون قد دعا آلهته إلى الطعام

أو لا يكون قد أحنى وجهه أو سجد بصورة علنية،

مثل من في فمه تكون قد بطلت الصلوات والطلبات،

ويكون قد أهمل يوم الإله وتغاضى عن الأعياد الشهرية،

أو يكون نسي وأهمل عبادة الآلهة،

ولا يكون قد علّم أتباعه لا الخوف ولا الاحترام،

والذي، دون استدعاء إلهه يكون قد تناول الطعام،

أو أهمل آلهته دون أن يجلب لها تقدمة الدقيق،

ومثل من يكون بجنون قد نسي سيده،

أو دعا بعبث حياة إلهه بقسم احتفالي: ها أنا ذا معتبر» (لابات 1988: 398).

المبحث الرابع: الفكر البابلي (مقدمة في الفلسفة البابلية)

القسم الأول: البابلونية والفلسفة البابلية

لا بدّ من التريث وعدم الغلوّ في قضية الفلسفة الشرقية عموماً، ومنها الفلسفة البابلية، التي سبقت ظهور الفلسفة الإغريقية التي نعدّها نموذجاً قيادياً أولاً في هذا المجال. فقد سمى المفكرون كل ذلك التراث الفكري الشرقي بـ (ماقبل الفلسفة) أو (الفكر التأملي) أو (الفكر الشرقي) أو (الحكمة الشرقية).. إلخ.

لم يكن هناك معمار متناسق واحد للفلسفات الشرقية، فقد ظهرت في نصوص الحكمة والأمثال والشعر وغيرها، ويمكننا جمع شذراتها والحديث عنها بطريقة محكمة متسلسلة.

«ويجب أن نذكر أن الفكر التأملي عندنا أيضاً، هو أقل الأشكال تنظيماً صلباً. فالتأمل طريقة حدسية من طرق الإدراك، تكاد تكون أقرب إلى الرؤيا. ولكن هذا لا يعني أنه مجرد انسراح طليق للذهن، يتجاهل الواقع أو يحاول التهرب من مشاكله. إن التأمل الفكري يسمو على التجربة، لا لسبب إلاّ لأنه يحاول تفسير التجربة وتنظيمها وتوحيدها. ويدرك هذه الغاية بواسطة الفرضيات. فإذا استعملنا اللفظة بمعناها الأصلي، جاز لنا أن نقول إن التفكير التأملي يحاول وضع دعامة تحت فوضى التجربة تمكنه من الكشف عن معالم بناء معالم التنسيق، والتماسك، والمعنى، التي هي فيه.» (فرانكفورت وآخرون 1980: 13).

التقطنا بعض المفردات الأكدية والسومرية الدالة على الحكمة والفكر والفلسفة:

تُعدّ الفلسفة واحدة من صفحات المعرفة البشرية وليست كلّها، والتقيّد بصيغتها الإغريقية ـ الغربية يجعلنا مقيدين بشروط مسبّقة قد لا تتناسب مع كثير من أشكال الفلسفة التي ظهرت في الشرق قبل وبعد الإغريق وما زالت حاضرة إلى يومنا هذا. ولذلك لا بدّ من مقاييس جديدة لشكل ومعنى الفلسفة الشرقية القديمة، وهو ما يتطلب جهداً طويلاً يجب القيام به من أجل معرفة الكيفية التي كان الشرق القديم يفكر ويتأمل بها العالم وما وراءه والنفس وما وراءها، والمجتمع والعلوم الإنسانية.

المدخل الحقيقي للتفريق بين الفلسفات الشرقية والفلسفة الإغريقية والغربية هو في الأمور الآتية:

1. كانت الفلسفات الشرقية عملية الطابع تنشأ لغايات عملية وأفكارها ذائبة في حركات الفعل الحضاري وصيرورته، وهي تظهر، أحياناً، كجملٍ واستعارات طافية هنا وهناك فوق بحار العمل اليومي ومعاناته.

2. الفلسفة النظرية مدغمة في الأخيلة والتأملات الأسطورية والتي امتصت شحنتها العقلية لصالح الطريقة الدينية المهيمنة على العقل البشري في مرحلتي التاريخ القديم والوسيط في الشرق بشكل خاص.

3. كان الإنسان في الشرق ينظر للظواهر والأحداث الطبيعية والكونية وكأنها تجارب بشرية، وكان ينظر للتجارب البشرية وكأنها حوادث طبيعية وكونية، كان الإنسان متماهياً مع الطبيعة منسجماً مع مجرياتها، ولم ينظر له على أنه ندّ لها، ولذلك ظهرالأنبياء والمعلمون والحكماء كجزء من الإرادة الإلهية والكونية.

4. كانت أسماء الآلهة الشرقية تستعمل كبديلٍ عن الجهاز الاصطلاحي والمفاهيمي الذي أسسته الفلسفة الإغريقية لاحقاً، وكان من الصعب التخلي عنه لصالح مفهوم عقلي مجرد، لأن الآلهة وأسماءها مشحونة بالحياة والقوة وغاطسة في الطبيعة.

لكي نفهم أو نقيّم الفلسفة الشرقية لا بدّ لنا مع إعادة روايتها بطريقة المفاهيم والاصطلاحات دون أن نقسر مادتها ومتونها، لا بد من الحذر من السقوط في الجهاز المفاهيمي العقلي الذي أنتج الفلسفة النظرية بعدها ابتداءً من الفلسفة الإغريقية وصولاً إلى يومنا هذا.

الفكر أو الفلسفة البابلية نمت في أحشاء النصوص الأدبية والدينية ولم تنفصل عنها، وكانت عملية وواقعية بقدر ما كانت مشدودة للأعالي مع الآلهة وللأسافل من الشياطين وقوى الشر، ولكن مجموع هذا أنتج فلسفة خاصة يمكننا فرزها والتعامل معها.

وإذا كانت الفلسفة الصينية ممثلة بلاوتسي (604 ـ 531 ق.م) قد أسست طريقاً خاصاً بها في مجال الفلسفة والفكر، فإن الفلسفة البابلية نشأت قبل ذلك بما يقرب من 1500 عام وكانت على وشك الاحتضار حين ظهرت فلسفة لاوتسي التاوية.

أولاً: البابلونية (العالمية البابلية، الفلسفة البابلية، الكلانية البابلية)

Panbabylonianism، Panbabylonism

حركة ثقافية وفكرية كان أساس انطلاقها من علمي الفلك والتنجيم في ألمانيا، حين بدأوا يؤولون العلوم والأساطير البابلية الفلكية والتنجيمية، كبديلٍ عما يقابلها عند الإغريقية،

حيث وجدوا أن هذين العلمين كانا أساس الحضارة البابلية وحضارة الإغريق، وهكذا نهضت كمدرسة فكرية داخل علم الآشوريات والدراسات الدينية. وازدهرت في الفترة بين عامي 1900 و1914. كانت حركة قصيرة الأجل نسبياً في المنح الدراسية بين علماء الآشوريين وعلماء الكتاب المقدس. نشأت رسمياً في عام 1901، ووصلت إلى ذروتها في عام 1907، ويمكن أن يعود تاريخها إلى عام 1913. وقد تم وصفه بأنه الخيال الألماني.

في البداية بدعم من كبار علماء الآشوريات وعلماء التوراة حظي علماء البابلونية Panbabylonist، (ينكلر، جيريماس، وزيمرن)، وكذلك عدد من العلماء في أوروبا وأمريكا الشمالية. ادعى هؤلاء العلماء أن هناك نظاماً ثقافياً مشتركاً واحداً امتد على كامل الشرق الأدنى القديم، والذي تأثر بأغلبية ساحقة من البابليين. لقد أكدوا أن جميع ديانات الشرق الأدنى كانت متطابقة، وخلصوا إلى أن العلوم الفلكية والتنجيميّة البابلية أثرت في جميع الديانات والثقافات. وافترضت المدرسة البابلونية أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) كان متجذراً أيضاً في الثقافة البابلية، ولم يتأثر به فقط.

هذه المدرسة الفكرية اعتبرت أن ثقافات وأديان الشرق الأوسط والحضارة بشكل عام مستمدة في نهاية المطاف من المعتقدات والعلوم والأساطير البابلية التي نظرت بدورها على أنها تستند إلى علم الفلك البابلي، في كثير من الأحيان، بطرق خفية.

كما أنها على صلة بعلوم وعلماء الكتاب المقدس، فقد اعتبرت أن العهد القديم مستمد مباشرة من الأساطير البابلية وتراث بلاد ما بين النهرين؛ وكانت كلتا النظريتين شائعتين في ألمانيا بسبب نتائج علم الآثار في العراق، وكانت البابلونية قد بدأت من أواخر القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى. ومن بين الداعين البارزين فريدريش ديليتشش وبيتر جينسن وألفريد جيريماس وهوغو وينكلر.

اختفى الفكر البابلوني إلى حدٍّ كبير بعد وفاة واحد من أعظم مؤيديها، هوغو وينكلر. ولكن أفكارها استمرت من خلال الحجج الفلكية والكرونولوجية لفانز زافير كوجلر (قس يسوعي).

كانت هناك ثلاثة تيارات للبابلونية هي:

«(1) مدرسة أسطورة النجوم، (2) مدرسة بابل للكتاب المقدس، و(3) مدرسة جلجامش. كانت حركة بابل ـ بايبل حركات متميزة ولكنها ذات صلة بالتيارات. قام البابلونيون بتحويل اليهودية إلى دين نجمي وأبطال اليهود إلى أساطير نجميّة. ونشأت المدرسة الأسطورية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر من قبل إرنست سيكل وإدوارد ستوكن وهوغو وينكلر بناءً على أفكارهم. نشأ جدال «الكتاب المقدس مقابل بابل» في العقد الأول من القرن العشرين من قِبل فريدريش ديليتزش. ونشأت مدرسة جلجامش أيضاً في العقد الأول من القرن العشرين بواسطة بيتر جنسن. كان تطور بيتر جنسن الفريد والراديكالي للبابلونية شاملاً، فقد أعاد كتابة ملحمة جلجامش في بلاد ما بين النهرين. لقد قيل إنه ربما يمكن أن يطلق على جنسن وصف أكثر دقة هو (البابلي الجديد) كمعيد لنشر البابليات أكثر من كونه بابلونياً. (اتبعت تأكيدات جنسن الطريقة العامة نفسها التي اتبعتها تأكيدات ستوكين وينكلر، والتي تختلف عنها فقط في المواد المستخدمة في المقارنات.)»

Thompson، Gary D: The Development، Heyday، and Demise of Panbabylonism،

https://web.archive.org/web/20100501141458/http://members.westnet.com.au/Gary-David-Thompson/page9e.html

ثانياً: الفلسفة البابلية

أصدر الدكتور حسين الهنداوي كتاباً بعنوان (الفلسفة البابلية) وهو كتاب طموح في محاولة كشف خيوط وأنسجة هذه الفلسفة من المتون البابلية المدوّنة المعروفة، وكان يرى أن الفلسفة البابلية «لم تكن فلسفة منهجية إنما تأسيسية بمعنى أنها لم توجد انطلاقاً من تراكم مفاهيم ذهنية سابقة أو نتيجة لتضاربها، كما لم تتم على يد مفكر فلسفي كبير محدد عرف أن ينظم أفكاره ليطرحها كمنظومة موحدة ومنسجمة وكنظرية شخصية دفعة

واحدة، إنما انبثقت بنفسها، ككل المنظورات البابلية الأخرى، بهيئة تأملات عقلية محضة اولى عن الوجود واللاوجود، ولا يغير من هذا الاستنتاج واقع طغيان الطابع الرمزي على صياغات تلك التأملات ما دام ذلك لا يتعلق بفلسفية أو عدم فلسفية تلك الأفكار إنما فقط بطريقة التعبير عنها. من جانب آخر وكأي فلسفة أخرى، لا يمكن فهم الفلسفة أو الفلسفات البابلية إلا عند التموضع في داخلها، وليس أمامها أو ضدها، كما لا يمكن فهمها الا باعتبارها بنت عصرها المحدد بدقة والذي قد يعبر عن نفسه عبر العلوم والعقائد الدينية والفنون والحياة الأخلاقية والاجتماعية وأيضاً عبر الفلسفة التي بدورها لا يمكن فهمها إلا من خلال صلتها بالكل الذي هي بالنسبة له مجرد التعبير الأعمق عنه بين تعبيرات أخرى مختلفة. يقيناً إن رأينا هذا سيرفضه أولئك الذين لا يرون مثلنا: إن تعريف الفلسفة بأنها علم أو علم نظري مجرد خرافة. إلا أن رفضهم لا يغير شيئاً ما دامت الفلسفة تظل في الجوهر ودائماً هي هي أي: محاولة لاقتراح صيغة للعلاقة بين الذات والموضوع، مما يفضي إلى القول بأن أي محاولة تفلسف، ومهما كانت صارمة أو مغرية أو رصينة ستعتمد اعتماداً كلياً وأكاد أقول مطلقاً على الوعي الذاتي وحده حتى عندما لا تعي ذلك.» (الهنداوي، حسين، مقدمة في الفلسفة البابلية، موقع إيلاف الخميس 06 ديسمبر 2007، الاقتباس في 8/9/ 2019 «الرابط:

(https://elaph.com/Web/Culture/2007/12/286078.html)

بل هو يرى تهافت الإقرار بـ»معجزة اغريقية» في ولادة الفلسفة، واعتبار كل ذلك الفكر الشرقي الضخم والعبقري الخصب الذي سبقها مجرد «حدس أسطوري» أو «بناء تخيليّ» لا أكثر؟، وأن مصطلح «فيلو سوفيا» في اللغة الإغريقية ذاته، أي «حب الحكمة»، بابلي الأصل شكلاً ومضموناً. وهو ما يؤكده أفلاطون باعتباره كلمة سوفيا ليست إغريقية الأصل بل هي «من أصل أجنبي»، وبابلي على الأرجح فيما يخبرنا المؤرخ الإغريقي ديوجينيس اللائرتي، أن أول من اخترع مصطلح «فيلو سوفيا»، لم يكن إلا فيثاغورس نفسه ناقل النظريات البابلية في الهندسة والرياضيات والفلك إلى بلاده، والقادم للتو من الأقامة والدراسة نحو اثني عشر عاماً في بابل، تلك الحاضرة التي كانت تقدّس «إله الحكمة» أيا.

وفي كل الأحوال، لدينا ما يثبت أن مفهوم «المعجزة الإغريقية» هذا مفهوم «أيديولوجي» لا أكثر وحديث.

القسم الثاني: الفلسفة البابلية كما نراها

تعود أصول الفلسفة البابلية إلى الأدب المبكر لحكمة بلاد ما بين النهرين، والتي جسدت نصوصها جوهر الحياة، وخاصة الأخلاق، في الأشكال الجدلية والحوار والشعر الملحمي والفولكلور والترانيم والنثر والأمثال.وقد تطور المنطق البابلي والعقلانية وراء الملاحظة التجريبية. من الممكن أن يكون للفلسفة البابلية تأثير على الفلسفة اليونانية، وخاصة الفلسفة الهلنستية. يحتوي النص البابلي «حوار التشاؤم» على أوجه التشابه مع الفكر اللاأدري للسفسطائيين، ومذهب التناقض الهيراقليطي، وحوارات أفلاطون، بالإضافة إلى الطريقة السفسطائية لسقراط.

نحاول في كتابنا هذا، كما في كتبنا السابقة، أن نسلك سلوكاً آخر في تقصّي الفلسفة البابلية، وهذا المسلك أو المنهج يعتمد على استعمال الهيكل النظري العام للفلسفة الإغريقية والغربية وملئه بالمادة المناسبة من النصوص البابلية وشروحها، لكي نجعل القارئ قريباً من الفهم المألوف للفلسفة التي يعرفها، والأمر لا يتعدى التقسيم المعروف لأسس الفلسفة، وسبق لنا وأن طبّقنا هذا المنهج على التاوية والكونفوشيوسية وحصلنا على نتائج طيبة:

أولاً: الكوسمولوجيا (علم الكون)

تكمن الكوسمولوجيا البابلية في أسطورة الخليقة (إينوما إليش) بشكل خاص، وأن هناك كونين ظهرا:

أولاً ـ الكون الأول البدئي: هو الكون القديم الذي نشأ من الماء الهيولية البحرية المالحة (تيامت) حين دب النشاط فيها وتحركت مع قرينها الذكري النهري العذب (أبسو) لينتج

منهما الضباب (ممّو) ومعنى اسمه (نظام الكون العاقل)، ومن هذا الثالوث المائي (المالح والعذب والضباب).

أخذ الكون القديم شكله النهائي مع ظهور ثمانية من الآلهة البدئية التي شكّلت صيغته الطمبية الأولى وهي (الطمي، الطمية) ممثلة بالإلهين (لخامو ولخمو) ونتج عنهما الأفق الذي تشكل من (الأفق الأعلى والأفق الأسفل) ممثل بالإلهين (أنشار وكيشار).

ثانياً ـ الكون الثاني الجديد: وهو الذي أنهى الكون الأول البدائي وحلّ محّله فقد كان مكوناً من:

1.العناصر الأربعة:

أ. آنو: السماء ويمثّل النار لوجود الكواكب والنجوم فيه، وستتكون من سبع طبقات.

ب. كي: الأرض وتمثل التراب، وستتكون من سبع طبقات.

«والقوة الفعالة في هذا كله ـ القوة الكاشفة عن نفسها في الخصب، في البلاد، في الحياة الجديدة ـ هي جوهر الأرض. فالأرض، كقوة إلهية، هي «نن ـ تو» أي «السيدة الوالدة» وهي «نِغ ـ زي ـ عال ـ دم ـ مي»، أي «صانعة كل ما فيه نسمة الحياة». ونراها في المنحوتات البارزة كامرأة ترضع طفلاً، مع أطفال آخرين ملتفين بثوبها، مخرجين رؤوسهم من بين التلافيف حولها، والأجنّة تحيط بها من كل صوب. وبصفتها مجسدة القوى التناسلية كلها في الكون، فهي «أم الآلهة»، وهي كذلك أم البشر وخالقتهم، بل أنها ـ كما ينص أحد النقوش ـ «أم الأطفال أجمعين». وإذا شاءت، حرمت فاعل الشر من النسل أو منعت عن الأرض كل ميلاد.» (فرانكفورت وآخرون 1980: 170).

ج. إنليل: الهواء ابن السماء والأرض البكر، وهو الذي سيعمل على الفصل بين والديه.

«غير أن إنليل لا يقتصر نشاطه على تنفيذ قرارات العقاب في الدولة الكونية. أنه يساهم في أعمال العنف المشروعة، ولذا فهو الذي يقود الآلهة إلى الحرب. لقد عانت الأسطورة البابلية العظيمة عن الخليقة، «إينوما إيليش»، شيئاً من التقلب والاضطراب في تأريخها الطويل. فنجد أن بطلها هو مرة هذا ومرة ذاك من الآلهة. غير أننا نكاد نجزم بأن الأسطورة في شكلها الأول كان محورها إنليل. أنها تصف الأخطار التي أطبقت مرة على الآلهة عندما هددتها قوى الفوضى بالهجوم؛ وكيف أن أوامر أنكي وأوامر آنو، بكل ما يدعمها من سلطة من مجمع الآلهة، عجزت عن إيقافها؛ وكيف أنه الآلهة اجتمعت وانتخبت إنليل الشاب ملكاً وزعيماً عليها؛ وكيف أن إنليل قهر العدوة «تعامت» بالزوابع والأعاصير، أي بتلك القوى التي هي الجوهر من كيانه.» (فرانكفورت وآخرون 1980: 167).

د. إنكي (إيا): الماء الذي سيرتبط بوالدته بصيغة الأنهار والمياه العذبة.

«فالماء هو عنصر الخلق في الفكر، سواء أكان مصدر الفعل والحركة، كما في نصائحه الحكيمة (إنكي هو الذي يمنح الحكام الفطنة والعقل و«يفتح مصراع الفهم») أم مصدر الأشياء الجديدة، كما في مهارة الصانع (إنكي هو إله أمهر الصناع). وأهم من ذلك كله، فإن جوهره وقواه تكشف عن نفسها في صلوات الكهان ورقاهم السحرية. فهو الذي يصدر الأوامر المشددة التي تتألف منها رقى الكاهن، تلك الأوامر التي تسكّن ثائرة القوى الساخطة أو تطرد الأرواح الشريرة التي تهاجم الإنسان. والوظيفة التي يملأها إنكي في الدولة العالمية تعبر بدقة عن مدى قوته والمكانة التي يتبوأها في الكون المنظم. إنه «نون»، أي نبيل من كبار نبلاء البلد المتميزين بالحكمة وخبرة الحياة. ولكنه ليس ملكاً، ولا حاكماً بذاته، لأن الموضع الذي يحتله من دولة الدنيا إنما هو قد عُيّن فيه تعييناً وسلطته مستمدة من آنو وإنليل، فهو بمثابة وزير لهما. فقد نسميه، بمصطلحنا الحديث، وزير الزراعة في الكون. وقد عهد إليه الإشراف على الأنهر والقنوات والري وتنظيم قوى البلد الإنتاجية. ويتغلب على ما يجابهه من مصاعب بالنصح والتحكم.» (فرانكفورت وآخرون 1980: 171 ـ 172).

العناصر الأربعة هي التي حكمت الكون وتأريخه، ولذلك فقد تمثلها البابلي في شكلين كوزموثيوغوني وفي شكل الدولة على الأرض «وهكذا كان البابلي يرى في الأشخاص الذين تتمثل بهم السلطة، كالأب في العائلة، والحاكم في الدولة، شيئاً من آنو وجوهر آنو. ولما كان آنو أباً للآلهة، فهو النموذج الأول لكل الآباء. ولما كان أيضاً «الملك والحاكم الأقدم»، فهو النموذج الأول لكل الحكام. والشارات التي ترمز إلى جوهر الملك، كالصولجان والتاج ورباط الرأس وعصا الراعي، هي شاراته ولا تستمد إلا منه. فهذه الشارات قد وجدت قبل أن يُعين أي ملك بين البشر، وقد كانت كلها في السماء بين يدي آنو. ومن هناك هبطت إلى الأرض. وآنو يدعو أيضاً إلى الملكية: فإذا ما أمر الملك ونهى، وسرى في الناس أمره ونهيه، فإن جوهر آنو هو الذي يكشف للناس عن نفسه. فالأمر الذي تفوه به شفتا الملك هو أمر آنو، ولا يسري أمره في الحال إلا بقدرة آنو. وما المجتمع البشري، لدى العراقي القديم، إلا جزء من مجتمع الكون الأكبر. ولما لم يكن الكون العراقي يتألف من جماد، لأن كل حجر وكل شجرة وكل شيء فيه هو كائن ذو إرادة وخواص ذاتية، كان الكون نفسه مبنياً على السلطة أيضاً، وكان أعضاؤه يصيخون طائعين إلى الأوامر التي تجعلهم يفعلون ما يفعلون. هذه الأوامر ندعوها نحن قوانين الطبيعة. وهكذا كان الكون بأجمعه يبدي أثر الجوهر الخاص بآنو.» (فرانكفورت وآخرون 1980: 161 ـ 162).

2.الكواكب السبعة: وهي التي ظهرت كأبناء للعناصر الأربعة وهي:

المريخ (نرجال)، المشتري (مردوخ)، زحل (ننورتا) من الجيل الأول

القمر (سين)، الشمس (شمش)، الزُّهرة (عشتار)، عطارد (نبو) من الجيلين الثاني والثالث.

وظهرت مع الكواكب ظواهر الطقس والرياح وغيرها.

«كان الكلدويون يقولون بأبدية العالم، وإنه لم يكن له أول يبتدئ عنده حتى يكون له آخر ينتهي عنده. وبموجب فلسفتهم كانوا يعتقدون بأن الحياة والنظام اللذين تظهرهما المادة إنما هما سرٌّ من أسرار الآلهة. وأن ما نراه في السماء لم يكن اتفاقاً وإنما هو أثر من آثار

إرادتها. ولقد أطالوا النظر إلى الكواكب من غابر الزمن، فاهتدوا إلى حركتها وتأثيرها في الناس، وبها توصلوا إلى علم الغيب (الطوالع) الذي أخذوا ينشرونه في العالم. وكان أهم عِلم في نظرهم هو العلم الخاص بحركة الكواكب السيارة الخمسة، وكانوا يسمونها «بالترجمان». وأهمها عندهم وأكبرها تأثيراً ما كان يسميه الإغريق «كرونوس» Kronos أي زحل. ويطلق الكلدويون عليه اسم كيلوس Kelus. أما الكواكب الأخرى فأسماؤها هي على ما هي عليه الآن، المريخ Mars، الزهرة Veunus، عطارد Mercure، والمشتري Jupiter.أما تسميتهم إياها «الترجمان» فلأن الكواكب السيارة التي لها حركات خاصة ليست لسواها من الكواكب الثابتة، كانت تدلهم على الحوادث وتكشف للناس عن نيات الآلهة الحسنة.»(لوبون 2017: 57 ـ 58).

«كان الكون لدى البابليين يضم كل ما في الوجود ـ بل كل ما يمكن أن يعد شيئاً ذا كيان: البشر، الحيوانات، الجمادات، الظواهر الطبيعية، وكذلك الفِكَر المجردة كالعدالة، والاستقامة، والدائرة..إلخ، وقد أظهرنا كيف أن هذه الكيانات تعتبر كلها أعضاء في دولة ما، لها إراداتها، وخواصها، وقوتها. ولكن هذه الأشياء وإن تكن كلها أعضاء في الدولة الكونية، لم تكن جميعاً على مستوى سياسي واحد. ومقياس التمييز بينها هو القوة. كانت في الدولة الأرضية فئات كبيرة من الناس لا تساهم في الحكم. فلم يكن للعبيد والأطفال، وربما النساء، أي صوت في مجلس الشعب، حيث لا يجتمع إلا الأحرار البالغون للنظر في شؤون الأمة، وهؤلاء هم المواطنون بالمعنى الحقيقي. ومثل ذلك دولة الكون. فكان الناس لا يعتبرون إلا القوى التي تثير فيهم الرهبة والمهابة مواطنين كاملين في الكون، فيدعونهم بالآلهة، ولهم وحدهم الحقوق السياسية والقدرة على النفوذ السياسي. ولذا، كان المجلس العام في الدولة الكونية مجمعاً للآلهة.» (فرانكفورت وآخرون 1980: 158).

3. الأرض: التي لم ينظر لها ككوكب أو نجم، بل كمركز للكون، والتي ظهرت فيها التضاريس والبحار واليابسة والأنهار وظهر فيها فصلان أساسيان هما (الصيف إيمش، الشتاء إنتين).

4.العالم الأسفل: وهو الأرض السفلى التي لا نراها إلّا بعد الموت ولها سبعة أبواب تفصلها عن الأرض، والتي تحولت في نظر البعض إلى سبع طبقات من الأرض، وفيها نهر الموت وقصر الموت الذي كان حوله أرواح الموتى.ويسمى العالم الأسمال كثيرة منها كيجال أي الأرض الكبيرة.

يمكنا القول أن هذا الكون المكوّن من أربعة مستويات أو طبقات كبرى هو كون يمتاز بحيوية هذه المستويات وقداستها في الوقت نفسه، لأن الآلهة تحل فيها. إنه كون إلهيّ حي ولاوجود فيه للمادة الميتة. وربما يقربنا هذا من وحدة الوجود لكنها وحدة عناصر متراصة أكثر منها وحدة متجانسة، إنها وحدة تمايز عناصرها ومكوناتها.

يصبح التمايز بين العناصر المكونة للكون واضحاً بسبب أسماء هذه العناصر، ولذلك فاللوغوس البابلي يجعلها موجودة في تماسك وتمايز لأن الاسم هو قوة كامنة في العناصر تقترب من كونها طاقته أو جوهره الحيّ. فالكون، على هذا الحال، حيوي لوغوسي.

المادة في الكون أزلية جوهرها وطاقتها هو الماء، وهذا الماء ظلّ حيّاً متدفقاً في عناصر الكون التي تمايزت وتشكلت بصيغٍ مختلفة، بقي عالم الآلهة في الهواء والنار، وأصبح عالم الحياة في الماء والأرض، لكن الخلود أصبح من حصة الكائنات الإلهية، بينما طال الموت حياة الإنسان والحيوان والنبات. وهذه مفارقة كبيرة عجز عن تفسيرها الفكر الفلسفي البابلي. رغم أن قولنا بالعناصر الحية للكون كلّه قد يفسر هذه المفارقة.

«إن هذه الأفكار الفلسفية ـ عن الكون ـ كادت تشير إلى نظرية «الفيض» التي سنجدها عند أفلوطين فيما بعد، فالكون ـ الذي يضم كل ما في الوجود من الظواهر والأفكار المجردة ـ يأخذ شكلاً هرمياً، أعلاه (السماء) بما فيها من كواكب وأفلاك ونجوم، ثم (الهواء)
(فالأرض) (فالماء)، ومعنى ذلك أن حقيقة عملية الخلق، في الفكر الرافدي، تظهر على شكل ولادات تمخضت عن تجاذب «السالب والموجب» من أصل أزلي، ظهرت بعدها سلسلة الموجودات، وكل واحدة منها سر قوتها بذاتها (جوهرها)، وبذلك تكون عملية الصنع، هي

عملية خلق وتنظيم «انبثاقي» من مادة كانت تحكمها عناصر الفوضى والظلام» حيث كان الخلق وفق رغبة عناصر التجريد.» (المرزوقي 2001: 194).

ثانياً: الأنطولوجيا (علم الوجود)

يتكون الوجود من قسمين أساسيين هما الطبيعة وما وراء الطبيعة.

أولاً ـ الطبيعة (فيزيقيا): هو العالم الواقعي المرئي الملموس المتكون من الأرض والسماء وما بينهما، وهو العالم الذي تسيطر عليه الآلهة بشكل خاص.وربما تظهر فيه الشياطين وأرواح الموتى لأسباب معينة معروفة وكان يتم طردها بالتعازيم والأضاحي.

كانت الطبيعة ممسوكة من قبل قوى وألغاز ومفاهيم ما وراء الطبيعة، فكل ظاهرة أو مادة تختفي خلفها القوى الإلهية أو الشيطانية.

«فكان على الإنسان إذا أراد فهم الطبيعة، أي فهم الظواهر العديدة المتباينة حوله، أن يفهم الشخصيات الكامنة في هذه الظواهر، وأن يعرف طبائعها واتجاه إراداتها ومدى قواها. وذلك أشبه بفهم الناس الآخرين ومعرفة طبائعهم وإرادتهم ومدى قوتهم ونفوذهم. وقد راح البابلي، مدفوعاً بحدسه، يطبق على الطبيعة تجربته للمجتمع الإنساني، مفسراً إياها بشكل مجتمعي. والمثال التالي يوضح ذلك، إذ سنرى أن الواقع الموضوعي يتلبس الشكل المجتمعي أمام أعيننا. كان الناس في أرض الرافدين يعتقدون أن المرء المسحور يستطيع تدمير الأعداء الذين سحروه بحرقه صوراً أو تماثيل لهم. إن ذات العدو البارزة تحدق به من الصورة. ففي وسعه أن يؤذيها كما يؤذيه في شخصه، وهكذا يلقي بالصور في النار وهو يخاطب اللهب بقوله:

أيها اللهب اللاظي، يا بن السماء المقاتل،

يا من أنت أشد إخوتك بطشاً،

وتحكم في القضايا كالقمر والشمس-

احكم في قضيتي، وانطق بحكمك.

احرق الرجل والمرأة اللذين قد سحراني،

احرق أيها اللهب الرجل والمرأة اللذين قد سحراني،

والتهم أيها اللهب الرجل والمرأة اللذين قد سحراني،

احرقهما يا لهب،

التهمها يا لهب،

أمسك بهما يا لهب،

ابتلعهما يا لهب،

دمرهما يا لهب.

من الجليّ هنا أن المرء يلجأ إلى النار لما يعرف من قدرتها على التدمير. ولكن للنار إرادتها، وهي لن تحرق الصور ـ وبالتالي أعداءه ـ إلاّ إذا شاءت هي. وحين تقرر النار أن تحرق أو لا تحرق الصور، فإنها تصبح حَكمَاً بين الرجل وأعدائه: فيصبح الأمر قضية يشتكي فيها الرجل إلى النار ويطلب إليها أن تنتصف له. وهكذا تتخذ قوة النار شكلاً محدداً، وتفسر تفسيراً اجتماعياً إن النار حاكم.» (فرانكفورت وآخرون: 1980: 156 ـ 157).

ثانياً ـ ما وراء الطبيعة (ميتافيزيقيا): وهو العالم الغيبي المكوّن من الآلهة والشياطين والكائنات الثانوية التابعة لهما.وهو العالم الذي يسيطر على العالم الطبيعي ويرسم مصيره

عن طريق الألواح السبعة للقدر والتي كانت بيد ملك الآلهة مردوخ.كانت الفلسفة البابلية ميتافيزيقية بالدرجة الأساس تُمجّد العالم الغيبي وآلهته القوية.

«الفلسفة البابلية ترى أن «الله محرك التاريخ»، وأن الغائية الجوهرية للتاريخ الإنساني، هي غائية ميتافيزيقية، أي مفارقة للعالم الملموس وتتمثل في تنفيذ خطط الآلهة، كما أن مبدأ «من الموت تولد الحياة»، أساسي فيها حيث إن «دم» ذات إله متمرد، هو ما يعطي الحياة الإنسانية دفقة الوجود. وهنا نتلمس أيضاً جنين مفهوم إيجابية الشر وضرورته استطراداً، لأن ذلك الفعل السلبي يأخذ هنا طابعاً إيجابياً بحد ذاته. وهناك، علاوة على كل ما سبق، تأسيس بدئي فذ لمفهوم «الجدل»، يعبر عنه مبدأ الصراع، أو التناقض في سيرورة التاريخ الكوني، إذ إن البشر مصنوعون، كما يرى المفكر السومري والبابلي، من دم إله متمرد ومتمرس بالنزاع من أجل «الحرية»، الغائية الميتافيزيقية لكن التاريخية أيضاً الأمر الذي يضعنا وجهاً لوجه أمام تراث عميق وضخم في الفكر السياسي والاخلاقي والنفسي لا زال في حالته الخام بعد.» (الهنداوي، حسين هل عرف البابليون الفلسفة؟، موقع الحوار المتمدن، الاقتباس في 1/ 12/ 2019»

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=196577&r=0

ثالثاً: الأبستمولوجيا (علم المعرفة)

نظر البابليون للمعرفة على أنها هبة من الآلهة يقدمها الإلهان (إيا) إله الماء، و(نبو) إله المعرفة ابن مردوخ، وكان اللوح الطيني وقلم القصب من رموزها،وكانوا يرون في تلازم المعرفة والسلطة أمراً جيداً.

الروح: هي جوهر إلهي يصعد وينزل في صلب الإنسان، وهو من طبيعة إله الهواء إنليل ونظيره مردوخ. وروح الإنسان مرتبطة بالآلهة. ولفظة «اطيموا» هي للدلالة على الروح التي تبقى حية بعد موته، وهو ذلك الجزء من الألوهية الذي مزجته الآلهة الخالقة بالطين

الفاني ولكن الروح منفصلة عن الجسم عند الموت فهي تمثل الجانب الإلهي الذي وهبته الآلهة للإنسان عندما خلقته وهي لذلك لا تفنى بفناء الإنسان.

النفس: المحرك الداخلي الملازم للجسد. أطلق البابليون على النفس اسم (نابشتو) التي تدل على النفس أيضاً والبلعوم، وعلاقة الحياة بالتنفس.

الإله الشخصي: هو صلة الإنسان بالكون، فهو الأقرب له من الآلهة الكبيرة، ولا بدّ من إرضاء هذا الإله بالطاعة لكي ينفع الإنسان، والجزاء هو ربح الإنسان في هذا العملية.

السلطة: هي القوة التي منحتها الآلهة للملك ومن معه لإدارة المجتمع على غرار المجتمع الإلهي الكوني.

المعرفة: هي المعرفة العملية (الحكمة) والمعرفة النظرية (الكتابة) وكلاهما يسعى للتوازن والانسجام والحفاظ على الإيقاع بين الطبيعة والمجتمع والفرد.

القدر: هي ما قدرته الآلهة على الفرد في لوح القدر، ولا سبيل للخروج عليه. والكلمة الأكدية

(شيمتو) تعني: تقرير الغاية، تعبير وصية، مصير، قدر.

الموت: الموت أمرٌ حتمي ولا خلاص منه، والإنسان مخلوق لكي يعبد الآلهة ويخدمها، والحياة عبث ولا يعرف حقيقة الموت ولا موعد المصير، فالحياة قلق وهم وتعب أما الآخرة فمجهولة ومن الطبيعي أن يخاف منها ومن العالم الآخر الذي لا يعرف عنه شيئاً، والمجهول يحيط به، ولذلك عليه أن يرضى بحياته ويعيشها كما هي دون أوهامٍ أو وعود.

«وقد عبرت ملحمة جلجامش عن كل ذلك حيث صورت الصراع بين الإنسان والموت وضرورة قبول الإنسان لهذه الحقيقة المرة الظالمة ـ حقيقة الموت. إنه الرحيل إلى عالم الظلام القاتم. لقد نظر الإنسان العراقي القديم حوله في بيئته وحياته اليومية فلم يجد ما

يجعله يثق بالآلهة كما كان يفعل المصري القديم، فصيفه طويل شديد الحرارة وربيعه كثير العواصف والزوابع الرملية المؤذية المؤلمة، أما الشتاء فكثير المطر لدرجة تخرب الأرض والديار فكان الاستنتاج الذي استنتجه بأن الأرباب التي لم تسعده في حياته لا يمكنها أن تلتفت إليه بعين العطف والرعاية بعد موته. لذلك كانت فكرة ذلك الإنسان عن الموت وعن العالم الآخر فكرة سوداء قاتمة. وعلى ذلك كان صراعه مع الموت وخوفه منه يجعله يلتمس في الحياة كل لذة ممكنة وهذا يبدو في استماع جلجامش في الملحمة لنصيحة صاحبة الحانة التي قالت له:

جلجامش، إلى أين تندفع مسرعاً؟

إن الحياة التي تبحث عنها لن تجدها

لأن الآلهة التي خلقت البشر

حكمت على الناس بالموت

واحتفظت لنفسها بالحياة

أما أنت يا جلجامش. فاملأ بطنك

وكن سعيداً بالنهار والليل

وتمتع باللذة كل يوم

ارقص وابتهج ليل نهار

ارتد الملابس النظيفة

اغسل رأسك واستحم في الماء

تأمل الصغير الذي يمسك يدك.

واسعد زوجتك على صدرك.»(النشار 1997: 121 ـ 122).

«فمن الواضح لقارئ هذا النص أنه يعبر عن فلسفة الرضا بالواقع وبالحياة التي ينبغي للإنسان أن يتلمس فيها كل المباهج الممكنة دون أن يفكر فيما عدا ذلك. إنها فلسفة تردد صداها لدى كل فلاسفة الشك الغربيين منذ بيرون (360 ـ 270 ق.م) وحتى مونتاني (1533 ـ 1592). إن الناظر المدقق في ملحمة جلجامش يجد فيها ـ كما يؤكد جارودي ـ الأصل الآسيوي للفكر اليوناني، فقد سبقت الإلياذة بألف وخمسمئة عام تقريباً، كما أن هناك تشابهاً وتماثلاً بينها وبين الأوذيسة والمعروف أن الإلياذة والأوذيسة قد أثرا أبلغ تأثير في الحياة اليونانية وفي الإنسان اليوناني وبالتالي فقد أسهمت في ظهور الفلسفة عند اليونان عبر التأثر بهذه الملحمة البابلية الشهيرة.» (النشار 1997: 122).

الخلود: لا خلود للإنسان، والخلود من حصّة الآلهة فقط، وقد اقترح البابليون أن خلود الإنسان لا يتمّ بجسده بل بعمله وذكره الطيب وبنسله الذي يتذكر هذه الأعمال ويخلدها ويبقيها شاهداً على هذا التكاثر والتواصل البايولوجي.

رابعاً: الأكسولوجيا (علم القيم)

الأخلاق:

تعرف الأخلاق العملية على أنها «مجموعة العادات الخلقية المنتشرة في المجتمع الواحد حيث تهتم الأخلاق النظرية بدراستها دراسة عملية تكاد تكون دقيقة، حيث تتميز بمجموعة من الخصائص التي تسمح للباحث أن يدرسها وهي إلزامية ضمن أخلاق جماعية يمارس فيها الفرد الأفعال الأخلاقية بعفوية، بحيث لا يخالف المجتمع وعليه يمكن القول ‹›هي مجرد دراسة نظرية صرفية، ما دام الغرض الذي يهدف إليه دافع عقلي وهو الرغبة

في المعرفة، فهو يهدف إلى التعرف على الصواب والخطأ في السلوك الإنساني.» (بن خريف 2017: ب) و(رشوان 1998: 199).

حاضنة الأخلاق هي كلّ العادات والتقاليد الاجتماعية وليس الديانة فقط، فالدين يلعب دوراً محدداً في الأخلاق مع عوامل أخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية، والأخلاق هي الطريق المتوازي مع الإرادة المجتمعية والإلهية معاً في نظر البابليين.

ولذلك فإن الخطيئة تحلّ حين يكون هناك انتهاك في أحد الناموسين الاجتماعي أو الإلهي أو في كليهما معاً. والخطيئة لا تُدخل صاحبها النار أو تُسجل في سجل عقوباته الآخروية، لأن البابليين لم يؤمنوا بوجود العقاب والثواب في عالم الآخرة، بل إن عالم الآخرة كلّه لا وجود له، لأن الناس تموت وتذهب أرواحها لتسجن في عالم مترب وموحش هو العالم الأسفل الذي يشبه عالم القبر.

ولذلك يخاف الإنسان من العقاب خلال حياته في الدنيا، فهو يعد أن مرضه أو فقدان حبيبٍ له أو خسارة ماله أو هدم بيته.. إلخ ماهي إلّا عقاب على عمل خاطئ ارتكبه أو على انتهاكه للأخلاق أو النواميس.

«ارتبط النظام الأخلاقي والنظام الديني للجماعة، في بلاد النهرين باجتماع السلطة السياسية والسلطة الدينية في يد الملوك الكهنة الأوائل (ملوك المدن السومرية) الذين شعروا بضرورة ربط المؤيدات الاجتماعية للسلوك الأخلاقي بمؤيدات دينية. فالإله الذي يحافظ على نظام الكون من خلال القوانين الطبيعية، هو نفسه الذي يحافظ على نظام المجتمعات الإنسانية من خلال القوانين الأخلاقية. فقد تصور العراقيون القدماء أن هذا الكون تسيره منذ البدء نواميس إلهية (أو مقدسة) سموها بالسومرية الـ(مي أو مه Me). وتقابلها بالأكدية (فرضو) أو (برضو) أو (برصو). وتدل في معناها على الوجود، أو القوى الإلهية وتشمل كل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوي والسماوي الذي تسيره قوى المعبودات خيراً أو شراً.» (عبد الحميد 2009: 135).

لا شك أن اتصال الأخلاق بالدين هي الأقوى عند البابليين، فقد كان الدين المصدر الأساسي للأخلاق عندهم، وكانت الخطيئة هي علامة كسره للأخلاق الإلهية عنده،

«الإنسان مخلوق قاصر التفكير (أبكم)؛ لا يعرف شيئاً؛

لا يدري متى يجني حسنة ولا متى يصنع إثماً.

فلا تطرح يا ربي عبدك هذا أرضاً (لا تكسر بخاطر عبدك)؛

ها هو يغرق في ماء المستنقع (الوحل)؛ فخذ بيده.

وحول سيئاتي إلى حسنات؛

دع الأثام التي ارتكبتها تذروها الذاريات (تحملها الرياح بعيداً)؛

واذهب بأعمالي السيئة، انتزعها عني كما تنزع العباءات (الثياب).

ارفع خطيئاتي وسأغني بحمدك..»(عبد الحميد 2009: 143).

خامساً: علم العقل

العقل عند البابليين هو الإله الذي في الإنسان، لأنه صفة الإدراك والفهم لا تتم إلّا من خلال الآلهة صاحبة الإدراك الواسع في الكون، فهل يحق لنا تسمية علم العقل عند البابليين بعلم الآلهة؟

والجواب على هذا السؤال صعب ولكنه يميل إلى الرفض، لأن الإله الذي داخل الإنسان هو موضوع مجازي يعبر عن طاقة الفكر والروح معاً، ولذلك يمكن أن يكون التعبير الأفضل هو في مصطلح الغنوصية أو العرفان الذي يكتشف وجود الإله داخل الإنسان في صورة قطرة الروح التي تفيض في الجسد وتحاول أن تحرره.

الله هو العقل الأول أو المطلق، والعقل عند الإنسان هو فيضه أو قبس منه، فالغنوص الذي يقابل في الآرامية كلمة (مندا) هو العقل. ويمكننا التحري عن الإله الخالق في البابلية وهو الإله أيا (الحيّ).

ولننظر في هذه الرقية البابلية التي تحاول أن تجعل الإنسان وعاءً تحلّ فيه الآلهة:

«إنليل رأسي، والنهار وجهي،

وأوراش، الإله الفذ، نو الروح الحامية التي تهدي خطاي.

عنقي قلادة الإلهة ننليل،

وذراعاي منجل الهلال الغربي،

وأصابعي طرفاء، عظم آلهة السماء.

إنها تدفع عن جسمي عناق السحر،

والإلهان لوغان ـ أدينا ولا طَرَق هما صدري وركبتاي،

ومَهراء قدماي الجوابتان.» (فرانكفورت وآخرون 1980: 154 ـ 155).

سادساً: فلسفة الإنسانيات

العلوم الإنسانية: أنتجت بابل الكثير من العلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافية والتخطيط الحضري والتربية والتعليم، وما زال الوقت مبكراً لكي تنتظم كل هذه العلوم الإنسانية في أطر الحمة البابلية بطريقة منسجمة.

الأخلاق: أفضل مكانٍ ظهرت في الأخلاق مدونة هي تشريعات حمورابي وفلسفتها العميقة «وللمرة الأولى ذكر عندئذ المثل الأعلى الآسيوي للملك الكامل، الذي أخذت عنه الصين

تقليق ملك العدالة، تقليد ملك الأب لشعبه، وهي فكرة لا يقل مداها الميتافيزيقي عن معناها الاجتماعي، ونشأ عن ذلك مصائر علم الإلهيات التوحيدي ومصائر السلام العالمي والحق، ومستقبل المذهب العقلي، فقبل أن يفكر الإغريق في أن الرجل الحكيم سيكون سعيداً حتى في تنور فالاريس، جاء حمورابي بعناصر حل مؤقت، وهو تخفيف المظالم الاجتماعية بالالتجاء إلى عدالة سيد أب رحيم يخفف شدة القانون بتطبيق قوانين غير مكتوبة.وجاءت شريعة حمورابي إصلاحاً قانونياً شاملاً للتشريعات السابقة عليه، وهي غير قابلة للاجتهاد والتحوير، فلكل قضية عنده حكم هو الصواب، والحق لديه واحد لا يتغير، وعلى الإنسان أن يسعى دائماً إلى تحقيقه، وإذا ما فشل في ذلك فعليه أن يدفع ثمن الخطأ.» (المرزوقي 2001: 205).

ملاحظة: تنور فالاريس هو طاغية صقلي عاش في القرن السادس ق.م، وقد عرف بجبروته وتنوره النحاسي الذي كان يميت به حرقاً من يريد حرقه . (المرزوقي 2001: 205).

الإنسان: صحيح أن الآلهة هي صانعة وخالقة الإنسان في الفكر البابلي، ولكنها تظهر بمظهر بشري وطبيعة بشرية، في جميع الأحوال تقريباً، باستثناء خلودها الذي منحه لها الإنسان أيضاً!؟

الإنسان البابلي يميل إلى أنسنة القوى الغيبية، فيجعلها شبيهة الشكل به في أحواله وطبائعه المختلفة الخيّرة والشريرة والهادئة والرحيمة والغاضبة والإيروسية والخاملة.. إلخ.

بل إنه يمنحها شكلاً اجتماعيا وسياسياً.

الحياة الفاضلة: تتجسد الحياة الفاضلة عند البابليين بالتقوى والطاعة، وأن يؤمن الإنسان بخطط الآلهة وتسييرها للكون، لأنها تستند إلى نواميس وقوانين الكون وعدالتها ««

«واحتلت فضيلة «الطاعة» الواعية موقعاً مهماً في الأخلاق الرافدية، تعضدها مفاهيم خلقية ظهرت في مجرى التطور اللاحق لمدارك ووعي الإنسان الرافديني، أهمها «فضيلة الانسجام والتوافق». والحياة الفاضلة هي الحياة «المطيعة»، والعصر الذهبي، هو عصر الطاعة، حيث تتدرج فيه هذه الفضيلة من دائرة الأسرة، فالمجتمع، فالدولة، والنظام، وفق سلطة موجهة، إذ يستحيل في عُرف العراقيين القدماء وجود عالم منظم دون سلطة تكون دائماً على «حق» لأنها تطبق «القانون العام» و«النظام الإلهي»، وعلامة التنظيم في حياة الفرد هي الطاعة والتخطيط للمستقبل من أجل حياة أفضل، ومركب «الطاعة» و«التخطيط» هو الصحة والعمر الطويل والمركز المرموق، والأبناء الكثر، والمال.» (المرزوقي 2001: 195).

«ويوصي العراقي القديم دائماً بأن «اسمع كلمة أمك، كما تسمع كلمة إلهك»، و«احترم أخاك الأكبر»، و«اسمع كلمة أخيك الأكبر كما تسمع كلمة أبيك»، و«لا تغضب قلب أختك الكبرى».وما طاعة المرء للأفراد الذين يكبرونه سناً في العائلة إلاّ البداية، فوراء العائلة دوائر أخرى وسلطات أخرى: الدولة والمجتمع، فثمة المراقب حيث يعمل المرء، وثمة المشرف على الأعمال الزراعية التي يشترك فيها المرء، وثمة الملك، وكلهم يطالب بالطاعة المطلقة، والعراقي القديم ينظر إلى الجمهور الذي لا قائد له نظرة الاستياء والشفقة ـ ونظرة الخوف أيضاً. والجنود بلا ملك غنم بغير راعيها» وإذا كان الجمهور بلا قائد ينظمه ويوجهه، ضائعاً حائراً كقطيع من الغنم دون راع، فإنه أيضاً شيء خطر، قد يكون مدمراً كالمياه التي تحطم سدودها، وتغرق الحقول والبساتين إذا لم يتداركها مفتش الري بصيانة السدود. «العمل بلا مراقب كالمياه بلا مفتش ري»، ثم إن الجمهور الذي يعوزه القائد والتنظيم لا يجدي ولا ينتج، كحقل لا ينمو فيه الزرع إذا لم يحرث «الفلاحون بلا مشرف كحقل بلا حارث».» (المرزوقي 2001: 196).

ملحمة جلجامش:

«وهكذا تكون الملحمة قد عرضت لنا أبرز الاتجاهات الخلقية تتمثل في:

- فلسفة اللذة، خلاصتها اقتناص الفرص للتنعم بالحياة.
- الفلسفة (الهروبية)، التي تسعى جاهدة للتنصل من مسؤولياتها في الحياة.
- الفلسفة التبريرية، التي يسعى الإنسان من ورائها إلى تبرير أفعاله حتى وإن كانت خاطئة.
- . الفلسفة الواقعية، التي تسعى إلى تحقيق الانسجام مع الطبيعة، والإتيان بالمفيد من الأفعال التي تخلد ذكرى صاحبها.

وبذلك نجحت الملحمة في مناقشة مشكلات خلقية ما زالت تشغل بال الإنسان وانتهت إلى موقف أخلاقي ملتزم، تمثل في تأكيد التفاؤل بالمأساة الإنسانية، منطلقاً من حكمة مفادها؛ حارب خوفك من الموت بالعمل الصالح، فإنك تعيش أبداً، فذلك يجعل الحياة أسهل عليك وعلى الجميع.» (المرزوقي 2001: 202 ـ 203).

الخلاصات:

«1. إن الكلمة تساوي الاسم، والاسم يساوي الشيء، والشيء يساوي الوجود، بمعنى أن اسم الشيء يعني وجوده، ولا شيء في الوجود بلا اسم، ولا اسم بلا كلمة، ولا كلمة بدون وجود، فما لا اسم له، لا وجود له.

1. كل ما هو موجود، هو جزء من (الكون) ولا شيء في الكون دون (قانون) ينظمه، عليه تصبح جميع الموجودات، خاضعة للأنساق والنظام، ومن غير الممكن تصور وجود كون تحكمه الفوضى وتسوده العبثية.
2. الكون كالإنسان، حي وعاقل ومنظم، ولا حياة دون نظام وعدل، لذلك أصبحت الحياة الإنسانية السعيدة، لا تستقيم إلا في ظل نظام عادل، ولما كانت الكائنات الحية محكومة بالنظام، فالإنسان قبل غيره ـ وبوصفه سيد المخلوقات ـ محكوم بالنظام والطاعة الواعية.
3. ثم يرتقي منطق العراقي القديم إلى نسق أعلى في دائرة الواقع الاجتماعي والأخلاقي، متجاوزاً حدود الأفق الطبيعي، فالكون يساوي المجتمع، والمجتمع لا

يستقيم إلا بالنظام، ولا يمكن تصور النظام بدون (قوة) السلطة، ولا سلطة بدون (عدالة) القانون، ولا عدالة بدون حاكم عادل، وشعب مطيع ومتعاون، عليه لا مسؤولية دون قانون عادل، إذن القانون هو الذي يحدد مسؤولية الإنسان العاقل، والعدالة هي قانون الحياة الفاضلة في المجتمع السعيد. وهكذا، نجد أنه كان لحضارة وادي الرافدين، منذ زمن باكر دورها المؤثر في تاريخ البشرية، وكان للفلسفة الرافدينية ـ طبيعية وأخلاقية ـ نصيب ملحوظ في تكوين الفكر العالمي.» (المرزوقي 2001: 2007 ـ 2008).

الفصل التاسع: المظهر الاجتماعي



النصب التذكاري لحجرالحدود لأب يقف مع ابنه وكلاهما حليقا الرأس وهي علامة الكهانة مع الكتابة مسمارية. المتحف البريطاني لندن من معبد مردوخ

المبحث الأول: الطبقات والمؤسسات الاجتماعية

الهرم الاجتماعي البابلي وطبقاته

يتألف الهرم الاجتماعي البابلي من أربع طبقات أساسية هي:

1.الطبقة المالكة: التي تشمل الملك (شرّوم) وعائلته وحاشيته وموظفو قصره، وقد يأخذ الملك دور الحاكم الديني والمدني. ولم يرد ذكر أعلى طبقتين في الهرم الاجتماعي، في

قوانين حمورابي على سبيل المثال، بسبب وجودهما البديهي وقلة أفرادهما، الذين ينشغلون بمهام الحكم ومسؤولية البلاد.

تتكون من الملك وعائلته، هم قلة لدرجة أنهم لا يكونون طبقة اجتماعية، رغم ذلك فهم أصحاب القرارات الأكثر قوة ونفاداً في المجتمع.



33 A religious ceremony at Mari

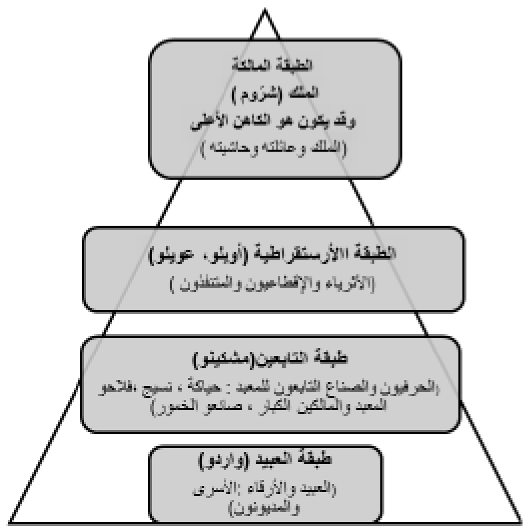
ملك من ماري في طقس ديني

الطبقة الحاكمة (أميلو Amelu): لا تشكل هذه الطبقة مجموعة كبيرة من الناس، فهم والطبقة التي سبقتها، يعتبرون المسؤولين عن البلاد وحكمها، ولذلك يندر ذكرهم كطبقة اجتماعية

2.**الطبقة الأرستقراطية (أويلو، عويلو):** وهم الأثرياء والإقطاعيون والمتنفذون، الطبقة الأرستقراطية (أويلو، عويلو Auilu): وهي أعلى الناس الأحرار من حيث الثراء والرفاهية وتتمتع بالمنح والمزايا الخاصة، وتشمل كبار التجار والإقطاعيين.

ويبدو أن طبقتي (أويلو ومشكينو) كانتا طبقة واحدة في المجتمع السومري، لكنهما تحولتا إلى طبقتين عند البابليين لتخفيف حدّة الفصل الطبقي، أو لتمييز طبقة حاكمة ثرية عن تابعيها المباشرين الذين ينفذون شؤونها ومآربها، «في سومر كانت هاتان الطبقتان تدعوان

بالناس الأكابر (La ـ gu ـ Lu) والدهماء (UKU ـ الأسافل أو الأراذل). ولقد تحول التنظيم السلالي ـ القبلي للطبقة المتسيدة في الظروف الجديدة إلى دولة هي جهاز سيادة طبقية، جهاز اضطهاد طبقة لطبقة أخرى، وهي كيان من شأنه إضفاء القانونية وترسيخ هذا الاضطهاد عبر تهدئة تصادم الطبقات.»(بيلافسكي 2008: 12).



السلّم الطبقي الإجتماعي للشعب البابلي

Babylonian Social Hierarchy

3.طبقة التابعين(مشكينو): (مشكينو Muchkenu): وهي الطبقة الوسطى الكبيرة الحجم والتي كانت تضم عامة العاملين من فلاحين ومهنيين وعمال المعبد وأصحاب الحرف، ولكنهم لا يتمتعون بصفات (الأويلو) ويمكن أن يهبط أمراؤها إلى مستوى طبقة العبيد حين يفقدون حريتهم أو يرهنون أجسادهم بسبب الحاجة إلى المال.

وهم الحرفيون والصناع التابعون للمعبد: حياكة، نسيج، فلاحو المعبد والمالكون الكبار، صانعو الخمور)، وتمثل الطبقة الثانية المتدنية من الأحرار، والتي قد يصبح فيها الحرّ عبداً حين يبيع نفسه بسبب الديون المتراكمة الصعبة التسديد وبسبب الجوع، وربما يصبح

أبناؤه عبيداً حين يبيعهم في لحظة فقر أو غضب ليصبحوا عبيداً، وقد أصبحت مثل هذه الأمور واردة منذ عصر سلالة أور الثالثة ثم توسعت في عصر لارسا بسبب الأوضاع الاقتصادية المتردية التي نتجت عن حركة نزوح وغزوات الأموريين لبعضهم البعض، أما في عصر حمورابي فقد أصبح مصدر العبيد الأول هو استيرادهم من الخارج عن طريق التجارة أكثر من كونهم أسرى الحروب.

4.طبقة العبيد (واردو) (واردو Wardu): وهم فاقدو الحرية والعبيد وأسرى الحروب ومنهم من كان من طبقة المشكينو الذين باعوا أفراد عوائلهم من أجل تسديد الديون.

وهم العبيد والأرقاء والأسرى والمديونون والمستوردون للعمل كخدم وعبيد عن طريق التجارة، وكان العبيد «يميّزون بنوعٍ من حلاقة الرأس أو بوضع قيودٍ وسلاسل، وكان هناك نوع من العلامات بشكل وشمٍ أو كيّ الحروف على الوجه أو في ظهر الكف، وكانت مثل هذه العلامات تُنفّذ بالنسبة للعبيد الذين كان لديهم ميول للهرب وكان هؤلاء يوثقون بالسلاسل أو يكتب على صدورهم أو وجوههم كلمات (هارب، الق القبض عليه)، ويُذكر بعض الحالات عن عبدٍ كان اسم سيده مكتوباً على ظهر يده بلغتين، وكان الرجال المتميزون وذوو الأهمية في بابل يقومون بوضع هذه العلامات على عبيدهم، وذلك خلال الألف الأول ق.م، وكان هؤلاء العبيد مكرّسين للخدمة في المعبد ولم يشتملواعلى الأسرى لدى الدولة أو العبيد الموهوبين للمعبد، وكان منهم أشخاص أحرار مثلاً الأطفال المشردون أو أطفال عائلات فقيرة تسلّمهم عائلاتهم في زمن المجاعات لإنقاذ أرواحهم.» (ساغز 2008: 190).

خصصت شريعة حمورابي ما يقرب من ستة أقسامٍ فيها حول هرب العبيد وما يجب العمل بشأنه، والعقوبات التي ينالها من يخفي أو يتستر على العبيد الهاربين. وقد كان العبد يعامل كسلعةٍ. ولذلك كان العبيد يقدمون خدمات لأسيادهم ويمنحون أجسادهم لهم وخصوصاً بالنسبة للنساء، حيث إن الأمةَ ملزمة بتقديم جسدها لسيدها، ويمكن له أن يسلمها إلى المبغى إذا ما عصت أو رفضت، ولا يحررها إنجاب أبناء منه إذ ستبقى عبدة له، ولا تتحرر

إلاّ إذا مات مالكها وحينها تسترد هي وأولادها حريتهم. وكانت الإماء المشتريات من قبل الزوجات، بسبب العقم، يبقين ملكاً خالصاً للزوجات خصوصاً حين يكون لهن أبناء.

ومع كلّ ذلك كان هناك حقّ للعبد في الزواج والتملكّ. وإذا تزوج العبيد من امرأة حرة فسيكون أولاده أحراراً.

كان امتلاك العبيد ومساهمتهم في العمل والإنتاج أحد أهم سبل الدولة / الإمبراطورية للرفاه والترف، ولذلك وضعت شروط قاسية لتحرير العبيد وملاحقتهم في حالة هروبهم.

عبيد المعبد (شيركو): وهم أرقاء يؤلفون طبقة خاصة من العبيد، فهم يُنذرون للآلهة، ويخضعون لأوامر موظف في المعبد.

المبحث الثاني: مظهر الحياة الاجتماعية

أولاً: البيوت البابلية

الشكل العام للبيوت: كانت الجدران البيضاء تتزين ببقع على أشكال الحشرات والسلاحف والعقارب والزواحف كنوع من الوقاية السحرية من الشرور والأمراض.ولم يبق من واجهات البيوت ما يشير لشكلها ولكننا يمكن أن نخمّنها من خلال الرسوم والمنحوتات وبعض النصوص والآثار، فبوابة عشتار يمكنها أن توحي لنا ببعض ما نسعى له ونحن نرى أن هذه الواجهات قريبة الشبه بالعمارة اليمنية التي ما زالت تحتفظ بطراز الواجهات اليمنية القديمة حيث التشكيلات الطوبية أو الحجرية، والخطوط البيضاء الرابطة بين الفتحات والمحيطة بالنوافذ والأبواب، ولنا وقفة مطولة عن التشابه بين واجهات البيوت والعمارة البابلية الحديثة واليمنية وأسبابها.



عمارة البيوت البابلية من الأعلى

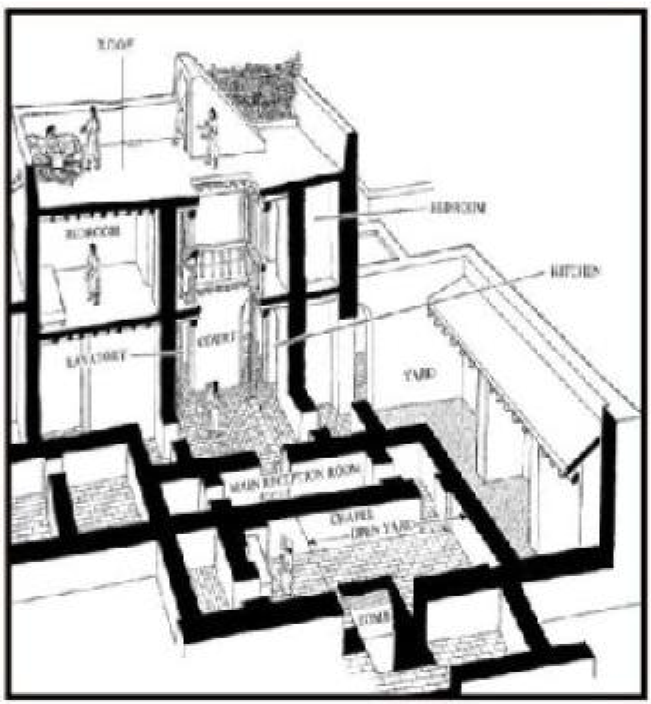
كانت البيوت مزدحمة ومتلاصقة وأزقتها الترابية ضيقة ومتعرجة. وكانت بيوت العامة مبنية بالطوب واللبن المجفف، أما بيوت الأغنياء فمبنية بالقرميد المشوي وكان في سطوح البيوت جدران محيطة تشكل ما يشبه الشرفات، ويطغى اللون الأبيض على جدران البيوت الخارجية.

كانت البيوت على ثلاثة أنواع من حيث العناية والحجم، فهناك القصور الفخمة للملوك والميسورين، وكانت تبنى من اللبن ولذلك تحطمت بفعل الزمن ولم تبق سوى مخططاتها الأرضية. وهناك البيوت المتوسطة الحجم، وهناك البيوت الاعتيادية التي للعامة الأحرار.

يتألف البيت من الفناء الداخلي (حوش) والذي تنفتح عليه غرف البيت، وقد يكون البيت مؤلفاً من طابقين. وكانت سقوف البيوت تتكون من خشب أشجار النخيل المغطاة والسعف، ويغطى كل هذا بطبقة صلبة من التراب. وكانت بعض البيوت تسقّف بالطوب، وبعضها يكون على شكل قبة وعقود. وكانت الأبواب من أشجار الخشب. وكانت البيوت مطلية، من الداخل، بالجص الأبيض لتغطية العيوب واللون الداكن للطين. وفي بعض البيوت الأكثر رفاهاً كانت تطلى الجدران من أسفلها بالقار ويظهر لونها أسود، والأبواب تُصبغ باللون الأحمر.



نموذج تيراكوتا (طين مشوي) للمنزل البابلي ربما يمثل بيتاً لأرواح أسلاف الأسرة 2500 ـ 1800 قبل الميلاد، عثر عليه في بابل



شكل هندسيّ لبيت بابلي ذي طابقين

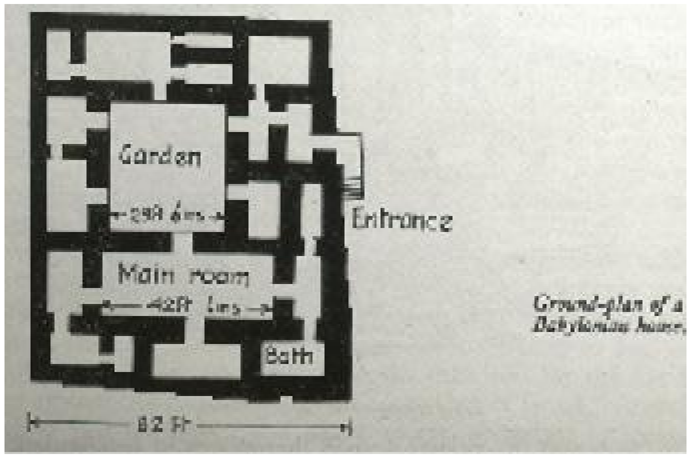
المخطط الأرضي للبيت: كان المخطط الأرضي للبيت في بابل، وفي عموم الشرق الأدنى، ثابتاً إلى حدٍّ ما، وذلك بسبب سيادة الجو الصيفي على الشتائي وضآلة التغير في درجات الحرارة على مدى العام في معدلاتها العامة.

وكان أساس بناء البيوت العامة، في بابل، هو ما يقابل اليوم في أرياف العراق البيت البدائيّ المعروف بالـ (صريفة) والذي يتكون من ثلاثة صفوف طولية متوازية من حزم القصب التي تُحني الصفوف الجانبية منها نحو الصف المركزي فيتكون بذلك عقدان سقفيان من القصب يشبهان النفق الذي يمكن أن يمتد طولياً، وداخل هذا القبو تبنى التفاصيل المنزلية الأخرى.

وكان يمكن للبيت المديني أن يكون مربعاً ويدخل الطين والجريد فيه، ثم تطور بناء البيوت في بابل من الحجر والطوب واللبن (الطين والقش).

لا يحتوي البيت، في الغالب، على مطبخٍ، لأنه سيبنى في ساحة البيت المكشوفة بلا مدخنة حيث سيخرج الدخان من الباب أو من فتحة في الجدار لهذا الغرض.

«يتألف المخطط النموذجي من ساحة رئيسة تضيء عدداً من الغرف التي تؤدي إليها، حيث يقع في واحدة منها تكون ضيقة وليست أوسع من الممر إلا قليلاً، باب ينفتح على الشارع. وقد تتصل بعض الغرف إحداها بالأخرى، في حين أن غيرها لا تتصل ببعضها البعض، لكننا نقول بصفة عامة أن الباب يوفر المدخل الوحيد للنور والهواء من العالم الخارجي والباب الرئيسي الذي أشير إليه أعلاه هو المخرج الوحيد من البيت، ولا يمكن لضوء النهار أن يدخل عبر الجدران الخارجية. وبعبارة موجزة يكون الباب بكل بساطة عبارة عن صندوق أقيم بدون أسس فوق أرض مداسة مستوية. ويستعمل اللبن حينما تكون ثلاثة أرباعه قد جفت، وهو يبنى بملاط من الطين المخفف بالماء والذي حين يجف يؤلف جداراً ذا قوة موحدة.أما أرضيات الغرف، فإنها مثل أرضيات الساحة، سوف تصنع من التراب.» (كونتينو 1986: 55).



المخطط الأرضي لمنزل بابلي

الشكل مستخدم في محاضرة من جيه آر جيمس في قسم تخطيط المدن والتخطيط الإقليمي بجامعة شيفيلد بين عامي 1967 و1978. The JR James Archive

المياه والصرف الصحي: أما توصيل المياه للبيوت وشبكات الصرف الصحي، ففي قصر أشنونا كانت هناك ستة مراحيض ذات مقاعد مرتفعة مصنوعة من الصلصال المشوي، وخمس حمامات وكلها متصلة بشبكات الصرف الصحي وهناك مغارف تستعمل لنشر الماء في المرحاض بعد الاستعمال. وكانت مياه الصرف الصحي تذهب إلى الأنهار. وجود الآبار المائية. كان تصريف المياه يحصل ببناء شبكة تصريف فخارية إلى خارج المنزل، وقد تتصل بشبكة تصريفٍ عامة.

ديكورات البيوت: ويضاء البيت بمصابيح فخارية عادية توقد من النفط الخام (زيت الحجر) أو من زيت السمسم. وكانت المشاعل تستعمل أيضاً في الأماكن العامة ومع الحملات العسكرية. وفي أيام البرد والشتاء هناك مواقد نحاسية أو فخارية تحتوي على قطع من الخشب الذي يحترق ويولد الدفء والضوء أيضاً. «وأما عن تجهيزات البيوت فليست هناك معلومات أكيدة إلا من خلال ما يشاهد على الرسوم المختلفة. إذ من الممكن أن الكثيرين وخصوصاً البسطاء كانوا ينامون على فرش محشوة بالحلفا وربما استخدم

بعضهم الصوف أيضاً. ويلاحظ أنه كانت لديهم أسّرة عالية شبيهة بالطاولات. كما استخدموا في الجلوس الكراسي والمقاعد ذات المساند لليدين ومسنداً عميقاً للظهر. ووجدت عندهم طاولات منخفضة ولكن الأرجح أن أغلبهم كانوا يأكلون على طاولات عالية. وتشير الحفريات إلى أن الحمامات وجدت عموماً في بيوت الناس المترفين والطبقة الوسطى.أما البسطاء فكانوا يغتسلون جانب حوض للماء أو بئر موجود في فناء الدار. كما أن الجميع باستثناء أفقر الناس كانوا يرون من الضروري أن يدهنوا أجسامهم ورؤوسهم يومياً بالزيت لاتقاء جفاف البشرة في حرارة الشمس والمحافظة على مرونتها ولتجنب أذى الحشرات والهوام. ولم يكن الصابون معروفاً بشكله الحالي لذا استخدموا لتنظيف أنفسهم خليطاً من الزيت والرمل الناعم والطين والصودا أو البوتاسيوم» (الحلو 1999: 155).

أثاث البيت: أثاث البيت بسيط، وهم يفترشون الأرض في جلوسهم لكنهم قد يمتلكون الكراسي العالية المصنوعة من خشب النخيل، أو كراسي عميقة اللوح المسندي المصنوع من القصب المضفور ولها سواند جانبية. وكانت هناك موائد للطعام بعضها قصير جداً وبعضها يتلاءم مع الجلوس على الكراسي.

وهناك الصناديق الكبيرة والصغيرة لإيداع أغراض البيت، فضلاً عن انتشار الأواني الفخارية والفخاريات عموماً والتي تستعمل بعضها لتخزين الشراب والطعام، أما الماء فيوضع في جرار صغيرة ذات عرى مثقوبة وتعلق بخيط على الجدار وتغلق بسداد متحرك من الفخار لضمان نظافتها وعدم وصول الحشرات لها.

كانت هناك مقاعد من الطين، المواقد داخل البيت للتدفئة، وهناك مناقل نحاسية مزينة بأسود للطقوس.

الإضاءة كانت بالمشاعل المؤلفة من حزمة قصب مغموسة بالزيت أو بالمصابيح التي تشبه شكل الحذاء والمملوء بالزيت وفيه فتيل يخرج من ثقب أعلى، زيت المصباح هو إما من زيت السمسم أو زيت النفط الخام ولم يكن زيت الزيتون شائعاً في هذا الاستعمال.

كانت العقارب والأفاعي كثيرة الحضور في البيوت ولذلك كانت هناك أدوية لعلاج لدغاتها وتعاويذ لإبعادها. وكانت البيوت ملكاً للأفراد الأثرياء أو للمعبد أو للقصر، وكانت تستأجر أو تكون ملكاً صرفاً لبعض الأفراد، وينظم كل ذلك من خلال عقود قانونية يحتفظ بها الطرفان وتكون منها نسخة في دائرة خاصة بالأملاك.

«إن الانطباع العام الذي يمكن استخلاصه من آلاف العقود التي بقيت سالمة من العصر البابلي الحديث، هو أنه منذ ذلك العهد حتى العهد الفارسي، حدث ارتفاع واضح في اسعار السلع والأراضي والبيوت.وهكذا لم تكن بلاد الرافدين، مثل عالم اليوم، غريبة بالنسبة إلى ارتفاعات السعر، وإننا لنسمع ذات الشكاوى عن الأسعار العالية في حين أن أصغر محاولة لمحاربة التضخم كانت تقاوم بشدة، لأن معدلات الأجور لم تكن تتمتع بذات حرية الحركة التي تتمتع بها في الوقت الحاضر.» (كونتينو1986: 173).



بقايا بيت بابلي

الإنارة والتدفئة في البيت البابلي: كان البابليون يستعملون نوعاً من المصابيح البسيطة التي تتكون من صحن خفيض القاع يصبون فيه مادة النفط الخام (زيت الحجر) وهناك في أعلى الصحن قناة فيها فتيل ظاهر يصب في أسفله في النفط، وقد استوحوا هذا الشكل من رمز إله الضوء والمصباح البابلي وهو (نسكو)، وكانت هذه المصابيح توفر ضوءاً قليلاً ولا يمكن التحكم بكميته، أما الضوء الكثير فتوفره المشاعل الكبيرة التي تضيء القصور والتي كان يستخدمها الجنود في حملاتهم العسكرية.

أما التدفئة فكانت تتم باستخدام المواقد الطينية والنحاسية والتي كانت توضع عليها أواني الطبخ أو الماء لكي يساعد بخارها على التدفئة.

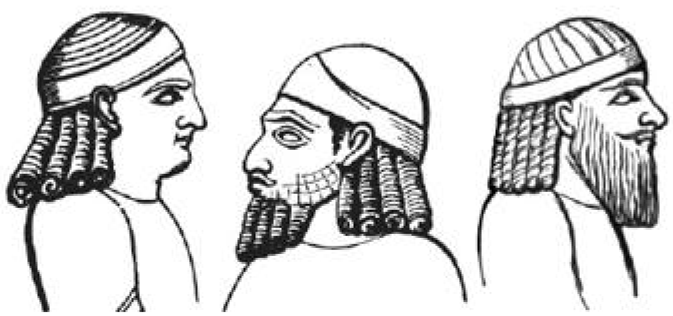


موقد ومذبح إله الضوء والنار البابلي نسكو

ثالثاً: الأسرة البابلية

1.الزواج البابلي

الزواج: الزواج بامرأة واحدة هو الأمر الطبيعي لكن القانون والعرف كان يسمح باتخاذ امرأة أمة كمحظية للرجل، رغم أن الزوجات القويات يرفضن ذلك.ولم يكن الختان شائعاً عند البابليين.



رسم لآثار بابلية يتضمن أشكال رجلين وامرأة من بابل

«كان الزواج أساس العائلة. ومع أن تعدد الزوجات نظرياً كان هو القاعدة إلا أن تثنية الزوجات اللواتي كن يسحبن من الرقيقات، كان معمولاً به أيضاً. وإلى وقت زواجها تبقى الفتاة تحت حماية أبيها الذي كان له مطلق الحرية في ربطها بالزواج حسبما يعتقد أن ذلك مناسباً. وحتى إذا حدث أن كانت الفتاة في خدمة طرف ثالث، مثلاً كضمان للدين الذي في ذمة أبيها، فإنها لن تكون أقل اعتماداً على والدها لأن تتزوج أو على إخوتها إذا ما مات أبوها. وكان الدائن حر التصرف بها كما يشاء إذا لم يكن لها والد أو إخوة.» (كونتينو 1986: 33).

يختار والد الزوج، عادة، خطيبة ولده، وحين يتم الاتفاق بين العائلتين، فتقوم عائلة الزوجة بإرسال تقدمة للزوج تكون بعض قطع آثاث بيت الزوجين المقبل، وتقوم عائلة الزوج بتقدمة مالية هي أشبه بالمهر تسمى بالبابلية (تيرهاتو) تتراوح بين شيقل إلى نصف مين (منّ)، وكانت تقاليد التقدمتين غير ملزمة للطرفين ولكنها معروفة وشبه شائعة.

وتقدم عائلة الزوج هدية الـ (بيبلوم) إلى والد الزوجة يستلمها نيابة عن ابنته كهدية خطوبة.

أما الزوج فيقدم ما يعرف بالـ (نودونو) وهي هبة من الأموال المنقولة والثابتة يحق لزوجته الانتفاع بها، من دون بيعها، بل هي لها ولأولادها في حياتها أو بعد وفاتها.

عائلة الزوجة، من ناحيتها، تقدم للزوج مبلغاً مشروطاً يسمى (الشريقتوم) يعني أيضاً مبلغاً من المال تهديه عائلة الزوجة كوديعة تبقى مُلكاً للزوجة ويمكن أن يورثها أبناءها أو تعاد للزوجة في حالة الطلاق.

يقوم الزوج، في حفلة الزواج، بصبّ العطور على رأس زوجته، ويهديها الطعام والهدايا.ومع بداية ليالي الزواج يقوم والد العروس بتزويد الزوج والزوجة بخمرٍ مصنوع من العسل ولمدة شهر كاملٍ، وكانوا يرون أن العسل ذو فوائد جنسية، ولهذا كان يسمى

الشهر الأول الذي يتمتع به العروسان بالزواج وخمر العسل بـ (شهر العسل) (انظر كونتينو 1986).

يحق للزوج، حسب قوانين حمورابي، بأن يحتفظ بمحظيته أو عشيقته التي تسمى (إشيرتو)، ولكنها ليست زوجة ثانية بل أقل من ذلك.

المواد من 26 ـ 29 خاصة بالخطوبة والزواج

المادة (26): إذا تقدم رجل للخدمة في بيت العم (أي بيت أبي خطيبته أو زوجته) ولكن عمه استعبده وأعطى ابنته إلى (رجل) آخر، فعلى والد البنت أن يرجع المهر الذي قبضه مضاعفاً.

المادة (27): إذا أعطى رجل لابنة رجل مهراً ولكن رجلاً آخر خطفها ودخل بها (افتضها) بدون موافقة أبيها وأمها. فهذه قضية (قتل) نفس، ويجب أن يموت.

المادة (28): إذا تزوج رجل امرأة بدون سؤال أبيها وأمها ولم يقم وليمة ليلة الزفاف ولم يكتب (بذلك) عقداً مختوماً مع أبيها وأمها فلا تكون (هذه المرأة) زوجة شرعية حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة.

المادة (29): ولكن إذا أقام وليمة ليلة الزفاف وكتب العقد مع أبيها وأمها ودخل بها فإنها (في هذه الحالة) زوجة شرعية. يوم يقبض عليها في حضن رجل (آخر) يجب أن تموت ولا تستمر على قيد الحياة. (رشيد 1973: 66).

جهاز الزوجة: ضمنت شريعة حمورابي ملكية المرأة لجهاز زواجها ولعائلتها في حالة وفاتها.

المادة (9): الرجل الذي وعد بجهاز لابنته أو كتب لها (بذلك) رقيماً طينياً (عقداً) وبعد ذلك تناقصت ملكيته، عليه أن يعطي بنته جهازاً يتناسب مع ما تبقى من ملكيته، ولا يجوز

للحمي (والد العريس) ولا للختم (العريس) أن يغيرا بنود اتفاقهما.

المادة (10): الرجل الذي أعطى جهازاً لابنته، والبنت (= الزوجة) لم تلد ولداً أو بنتاً ووافاها الأجل فجهازها يجب أن يعود إلى بيت والدها. (رشيد 1973: 150).

الزنا: شرّعت قوانين حمورابي فقرات خاصة بالزنا تبدأ من المادة 127 وتنتهي بالمادة 134، وكانت في مجملها تحرم الزنا وتعاقب مرتكبيه، ويمكننا تلخيص هذه المواد بالجدول المختصر الآتي: (انظر عقراوي 1978: 298).

التبني: شرّعت القوانين البابلية التبني ونظّمت طرقه، وهو ما يدلّ على رقيّ التصور عن العائلة في صيغتها الحضارية والثقافية وليس في صيغتها البايولوجية، كما أنها قللت، من خلال التبني، حالات العناية بالأطفال الأيتام والمشردين.

«يُعرف بأنه نظام قانوني يعني إيجاد علاقة البنوة بين رجل وامرأة أو أحدهما (الطرف الأول) من جهة مع ولد أو بنت أو ذويهم من جهة أخرى.(الطرف الثاني) يتم ذلك من خلال عقد قانوني ينظم اتفاق طرفي العقد على العلاقة الجديدة، ويترتب على المتبني أن يصبح المتبنى عضواً في أسرته ومن بعد يكتسب ما لأعضاء الأسرة من حقوق ويتحمل ما عليهم من واجبات (التزامات). لقد تمت ممارسة التبني على نطاق واسع في بلاد وادي الرافدين لتحقيق أهداف عدة سوف نأتي على ذكرها لاحقاً لأن الإنجاب الطبيعي لم يكن نتيجة طبيعية للزواج عند الجميع، لهذا أتاح هذا النظام فرصة ثمينة إلى أصناف معينة من الناس للحصول على الأطفال من الذين لم يكن بمقدورهم الإنجاب بسبب العقم أو لأنهم من الخصيان أو الخُنث أو من أولئك الذين لم يسمح لهم بالإنجاب بسبب طبيعة عملهم الديني مثل بعض الكاهنات (الناديتو، الأينتو).»(الجبوري 2005 ـ 2006: 143 ـ 144).

نصّ بابلي عن التبني:

«إن ياحاتي إيل Yahatti -il هو ابن حيلالوم Hillalum من السيدة ألتوم Alitum وهو سوف يتمتع ويستفيد من أبويه في حالة اليسر، ويقاسي معهما في حالة العسر. فإذا قال حيلالوم الأب لابنه ياحاتي ـ إيل أنت لست إبني، وقالت السيدة ألتوم لابنها ياحالتي ـ إيل أنت لست ولدي، فإنهما سوف يعاقبان بمصادرة بيتهما مع الأثاث والمفروشات. ولكن إذا قال ياحاتي ـ إيل لحيلالوم، أبيه وللسيدة ألتوم أمه أنت لست أبي وأنت لست أمي، فإنه سوف يعاقب ببيعه كعبد وقبض ثمنه بالفضة. وبالنسبة لحليلالوم والسيدة ألتوم، ومهما أصبح لهما من أولاد، فإن ياحاتي ـ إيل يظل وريثهما، وعند توزيع الميراث سوف يصيبه حصة مزدوجة ويصيب الإخوة الصغار بقية الإرث بالتساوي » (ساغز 2008: 190 ـ 191).

المادة (1): إذا قال ابن لأبيه: (أنت لست أبي)، عليه (أي الأب) أن يحلقه ويضع علامة العبودية عليه ويبيعه.

المادة (2): إذا قال ابن لأمه: (أنت لست أمي) عليهم أن يحلقوا نصف شعر رأسه ويقودونه داخل المدينة (ليكون عبرة لغيره) ويطرد من البيت. (رشيد 1973: 143).

وفيما يلي هذه الجداول التي توضّح صيغ عقود التبني الثابتة، وعبارات التبني والنكران، وصيغ الالتزام والشرط الجزائي والقسم:

(الصيغة الثابتة لعقود التبني في العصر البابلي القديم)

الطفل المتبنى وعائلته الأصلية والمتبنية:

عبارات التبني والنكران

صيغ الالتزام والشرط الجزائي والقسم

(انظر الجبوري 2005 ـ 2006: 146 ـ 148).

كان التبني في بابل لا يستثني أطفال الزنا وأبناء العاهرات، وهذا نصٌّ يوضّح ذلك:

2.المرأة البابلية

الإجهاض: ضمنت القوانين البابلية الحفاظ على الأبناء وهم في بطون أمهاتهم، ولذلك سنّت قوانين حمورابي مجموعة من المواد التي تحفظ سلامة الجنين وسلامة المرأة الحامل، ففي الفقرات القانونية من (209 ـ 214) من شريعة حمورابي ما يؤكد ذلك: (انظر عقراوي 1978).

كانت أغلب القوانين تقف بجانب المرأة، فقد حفظت المواد (125 ـ 126) البيت والمرأة والملكيات وفقدانها، ومنها ما يخص المرأة:

127. إذا أشار رجل بإصبعه إلى أنتوم أو امرأة رجل دون أن يثبت شيئاً ضدها فعلى هذا الرجل أن يمثل أمام القضاء ويحلق شعر صدغيه.

128. إذا أخذ رجل امرأة دون عقد مبرم بذلك فتكون المرأة ليست زوجته.

إذا ضبطت امرأة مضطجعة مع رجل آخر فيكبل الاثنان ويقذف بهما في الماء. 129.

130.إذا اغتصب رجل امرأة رجل تسكن في بيت والدها قبل أن تكون قد ضاجعت رجلاً ورقد على صدرها وضبط بالجرم المشهود فتكون عقوبة الرجل الإعدام.

131.إذا اتهمت امرأة من قبل زوجها ولكنها لم تضبط مع رجل آخر فعليها أن تؤدي اليمين أمام الإله وعندها تعود إلى بيتها.

132.إذا أشير بإصبع إلى امرأة رجل بسبب رجل آخر ولكنها لم تضبط مع هذا الرجل فعليها أن تلقي بنفسها في النهر نزولاً عند رغبة زوجها.

ويبدو أن عقوبة الرجم السومرية قد استبدلت بتجربة الرمي بالنهر، وهذا تطور ملموس، حيث عثر على «قطعة ذات ميزة رفيعة عثر عليها في إحدى مدونات أوروكاجينا، تبين ـ طبقاً للترجمة التي وضعها دايمل Diemel ـ بأن أوروكاجينا ملك لكَش المصلح الذي سترد الإشارة عنه فيما بعد، قد أوضح في مدونته تلك بأن النساء السابقات (أي اللواتي سبقنه هو) يستطعن أن يتزوجن رجلين، وأن النساء الآن يتم رجمهن بالحجارة بسبب ذلك، وبعبارة أخرى يحكم عليهن بالموت» (ستروف 1976: 25).

بل تعدى الأمر ذلك ونالت حقوقها الواضحة في الزواج «في العصر البابلي الحديث تُظهر عقود الزواج أن الأم كانت تمتلك بمفردها حق تزويج ابنتها، فمن خلال دراسة أُجريت على 45 عقداً من عقود الزواج في تلك الفترة تبيَّن أن 11 وثيقة منها ظهرت فيها والدة العروس كوصية على ابنتها، إما لوحدها أو بالاشتراك مع شقيق العروس، ومن ثم فإن ربع أو ربما نصف تلك الأُسر كانت ترأسها الأم الأرملة. وفي عقد زواج من الفترة نفسهانجد الزوج المُستقبلي يُقدم هدية لوالدة عروسه والتي كانت وكيلتها في عقد الزواج، وكانت الهدية عبارة عن عبد ومنٍّ ونصف المن مِن الفضة، ما يوحي بقدر من الاحترام لوالدة العروس والرغبة في إرضائها» (الهاشم 2012: 63).

3.الأطفال

كان انتظار ولادة الطفل أمراً مقلقاً لوالدي الطفل في بابل، وفي لوح محفوظ في معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو مكتوب باللغة الأكدية ويعود إلى العام (1800-1700) قبل الميلاد جاء فيه:

«المرأة الحامل مثل الوعاء الذي يحمل العقيق الأحمر أو اللازورد، إنها ممتلئة إما بالعقيق الأحمر أو اللازورد الأزرق، ولكنني لست أدري إن كان الجنين في جوفها عقيقاً أم لازورداً؟ »

فانتشرت رمزية اللونين ليوصف به الأبناء الذين كانوا ينتظرون ولادتهم، وصار لون العقيق الأحمر دالاً على الأنثى، فيما صار اللازورد الأزرق دالاً على الذكر. ويبدو أن هذا الأمر ظل متوارثاً إلى أيامنا هذه في المنطقة، حيث يشتري الأهل ملابس حمراء أو وردية للمولودة الأنثى، فيما يشترون ملابس زرقاء للمولود الذكر!.

كانت أغاني وتهويدات الأطفال من أجل النوم أو التهدئة ومنع البكاء مشهورة منذ العصر البابلي وربما العصور التي قبله، حيث تُنشد الأم، مثلاً، إحدى هاتين التهويدتين (ولولة الأم لابنها) للمساعدة في نوم طفلها الذي يبكي،

تهويدتان بابليتان: دللّول

Two Babylonian Lullabies

(1)

أيها الصغير، الذي كان نائماً في عتمة الليل،

الآن بعد أن بزغت الشمس.

لماذا البكاء؟ ولماذا أنت مهموم؟

ما الذي حدث وأبعد عنك الطمأنينة؟

(2)

لقد أيقظت كل النيام في المنزل

وحتى أنك أخفت الإلهة الحارسة لنا

«ما الذي أيقظك؟ ومن الذي أخافك؟

«أيها الطفل الصغير!»

ثالثاً: الهدايا

المصطلح البابلي الأكثر شهرة بالنسبة للعروس هو كانت الهدايا تقليداً من تقاليد بابل ابتداءً من الآلهة والملوك والطبقات العالية في المجتمع وطبقات المجتمع الأخرى.

الآلهة تقدم هداياها فيما بينها، وتقدمها للبشر، فتمنح الملوكية هدية للإنسان والصولجان والقوانين وتمنح المعرفة هدية له، والحقيقة أن كل ما تعطيه الآلهة للإنسان هو هدية في حدّ ذاته.

كان المهر (تيرهاتو) الذي يقدمه أهل الرجل للزوجة هدية وكانت هناك هدايا أخرى متبادلة بينهما شرحناها في فقرات سابقة، وهي (تيرهاتو) تتراوح بين شيقل إلى نصف مين (منّ)، والـ(بيبلوم) هدية من الزوج لوالد زوجته، والـ(نودونو) هدية من الزوج لزوجته، والـ (شريقتوم) هدية من عائلة الزوجة للزوج.

الملوك والحكام البابليون أعطوا الهدايا للحكام على شكل عبيد وحيوانات وأراضٍ، فقد كانت أحجار الحدود (كودورو) تشهد على ذلك حين يمنح الملك أو الحاكم قائداً مميزاً قام بأفعال نوعية مساحات من الأرض ويثبت ذلك في أحجار الكودورو.

وتبادل الملوك البابليون مع ملوك العالم القديم الكثير من الهدايا التي وصل بعضها لبنات الملوك كزوجات لتحسين العلاقات بينهم، وهو ما تفصح عنه رسائل العمارنة التي سنناقشها في فقرات قادمة.

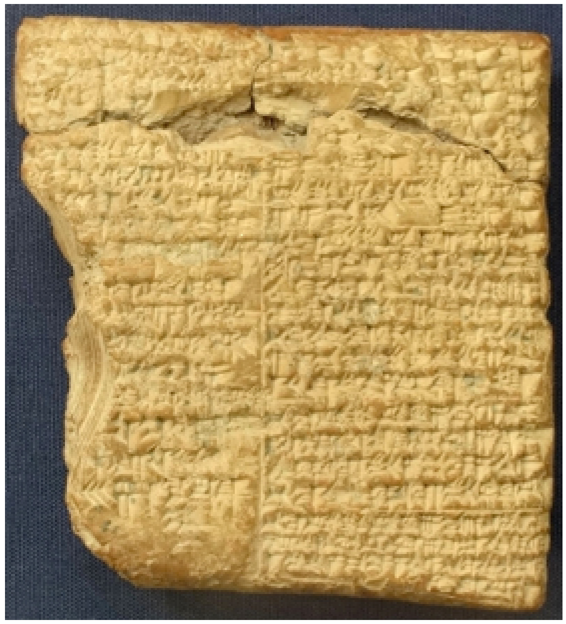


رجل أو حاكم بابلي يقدم امرأة هدية للملك الكاشي البابلي

رسم M.V. Gorelik

رابعاً: اللهو والألعاب والرياضة

يبدو أن لعبة الطاولة السومرية استمرت في العصر البابلي، فقد تمكن المؤرخون من إعادة بناء قواعد الألعاب بناءً على لوحة اسمية جزئية من بابل يرجع تاريخها إلى 177 ـ 176 قبل الميلاد.



قواعد لوائح تعاليم لعبة الطاولة مؤرخة في 177 قبل الميلاد (المتحف البريطاني: 33333، ب)

شملت الألعاب البابلية الأقواس والسهام، واللعب بالحبال، وقذائف الحجر، ورمي العصي، والخشخيشات (الخرخاشات)، حبال القفز، والأطواق، وكرات لعب القمار والمقاليع وغيرها من الألعاب. وكانت لعب الأطفال في المنزل باستخدام قطع صغيرة من الأثاث والأسرة والطاولات والدمى والحيوانات الصغيرة. كان لديهم أيضاً مركبات صغيرة من العربات والعربات ذات العجلات التي يمكن سحبها على أوتار. وكانت لديهم قوارب مصغرة يمكن أن تطفو.

والتي تشتغل بعمل قرص طيني بثقوبٍ buzz button كانت هناك لعبة تسمى (أزرار الطنين)

ويستخدم في عقد، ويترك حتى يجف. ثم يعلق بحبل الحبل، وبعد ذلك، تمسك بالحبل في النهاية، وتدور حوله بشكل أسرع وأسرع، حتى يصدر القرص الطيني صوتاً نشطاً. كانت الحيلة هي جعل صوت الطنين عالياً قدر الإمكان. وهي نوع الألعاب التي تصنع الأصوات.

كانت ألعاب الطاولة شائعة جداً حيث يتسابق اللاعبون باستخدام قطع تشبه الأزرار تتحرك وفقاً لفات النرد. وكان الجميع، من الأثرياء جداً إلى الفقراء جداً، يلعبون هذه اللعبة.

الترفيه:

شمل الصيد والملاكمة والمصارعة والسباق والموسيقى والرقص والمآدب ورواية القصص. وكان الترفيه الأكثر شهرة للملوك القدامى حبهم للصيد كلعبة كبيرة. لقد فضلوا اصطياد الحيوانات الكبيرة المتوحشة كصياد ملكي ناجح يمكن أن يثبت أن قوته الملكية المشروعة. اكتشف علماء الآثار العديد من اللوحات البارزة التي تصور صور صيد الأسد، وكانت تؤسر أيضاً وتُحفظ في أقفاص خشبية، وبعد أن يتم إطلاقها كانت تُضرب وتتعرض للهجوم من قبل الكلاب، وكانت مهمة الضرب بالعصي لدفعهم نحو الملك، والوصول لمركبته لقتلهم باستخدام القوس أو الرمح.

كما أقيمت الولائم الفخمة وتُظهر النقوش البارزة الملوك والملكات الذين يستقبلون الضيوف في الحدائق المورقة التي يستمتع بها الموسيقيون وينتظرها الموظفون على طاولات طويلة من أربعة.

استمتع المغنون والموسيقيون في المهرجانات. تم استخلاص الأدوات الوترية والأنابيب وصافرة الطين من ثم العثور على القيثارات، وكان الرجال والنساء يستمتعون بأداء الأعمال الأدبية، التي تم ضبطها أحياناً على الموسيقى والغناء، وأحياناً يتلوها أكثر من شخص واحد.

الرياضة:

الملاكمة والمصارعة: Boxing and Wrestling

كانت الملاكمة والمصارعة رياضة ممتعة ومن مصادر الترفيه. يعود تاريخ المصارعة إلى عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين كرياضة دينية لاختيار الرجل المناسب للمرأة

المخصبة التي تتزعم المجتمع الزراعي، ولكنها ظهرت كرياضة دنيوية في حدود 2500 ق.م. أيضاً، وحفلت بعض الرقم وبعض الجدران في بلاد ما بين النهرين كانت بها منحوتات من اللاعبين الذين يتصارعون ويتنافسون مع بعضهم البعض. ثم أصبحت الملاكمة رياضة شعبية، وكذلك المصارعة.

كما لعبوا شكلاً من أشكال البولو، ولكن بدلاً من الجلوس على ظهور الخيول، جلس الرجال على أكتاف بعضهم البعض.

ماجور (الركبي):(Majore (Rugby

قام سكان بلاد ما بين النهرين القدماء بوضع شكل من أشكال لعبة الركبي. كان يسمى الركبي (ماجور) بدلاً من المعدات العادية المستخدمة في لعبة الركبي اليوم، استخدموا كرات مصنوعة من الخشب. كان الماجور وسيلة شائعة للغاية للترفيه.

بولينج Bowling

لم يعرفوا البولينج كما نعرفه اليوم ولكن لديهم نسخة منه.حيث يقوم الشخص بتمرير الكرة لضرب المسامير، واضطروا إلى إعدادها بشكل صحيح. وكانت هذه اللعبة لعبة شائعة للغاية للجميع.

بولو: Polo

اخترع البابليون شكلاً من أشكال البولو.، كان الرجال يجلسون على أكتاف بعضهم البعض، بدلاً من الخيول. كان هناك ما يصل إلى 100 لاعب في كل فريق. كان لاعب البولو قاسياً للغاية وغالباً ما نتج عن خشونة اللاعبين حدوث إصابة، وفي بعض الأحيان الموت.



ربما كانت لعبة البولو!



مشهد ملاكمة من بابل بمصاحبة الموسيقى

The Greenhaven Encyclopedia of Ancient Mesopotamia 2015.

خامساً: الزينة والنظافة

لعبت الزينة دوراً مهما في حياة الناس، وكان الموسرون أكثر قدرة على اقتناء الملابس الجميلة وما يرافقها من أحذية وأدوات زينة أخرى، وكان هؤلاء يستحمون أكثر بالماء والصابون ويمسحون أجسادهم بزيت العطر وأنواع أخرى من الزيوت والدهون، أما الناس

المتوسطو الحال والفقراء فقد كانوا يستحمون بالماء الموجود في ابريق من النحاس، ويستعملون الصابون.

كان الزوجان يحضران سريرهما بالكثير من العناية، وينثران على الأرض حول السرير أوراقاً وثماراً من شجر السدر، ويبخران ملابسهما وسريرهما، ويضعان زيت العطر على جسديهما، ويستسلمان للمداعبات والمضاجعة.

وقد ورد في نص بابلي من العصر البابلي القديم ما يشير إلى الإثارة التي تولدها العناية بالأعضاء الجنسية ودقات القلب، وهي قصيدة جاء فيها:

دقات قلبكّ موسيقى مفرحة

انهض من فراشكَ

ودعني أمارس الحب معك «.

كانت النظافة ضرورية للمظهر وللوقاية من الأمراض، ولذلك نجد أن البابليين اهتموا بها قدر المستطاع، فالبيوت الخالية من الحمّامات والماء لا يمكنها أن تمارس هذا الأمر كما أصحاب القصور والميسورون. كان الناس، بعامة، يستحمون في الأنهار، ويحتفظون بقدر من الماء لشربهم وطعامهم، حيث يخصصون جرار حفظ الماء ويتركونها لكي تركد فيها المواد الثقيلة من الأعشاب والطين وغيرها ويضعونها في جرار أخرى نظيفة.

سادساً: البيرة والنبيذ والخمور

كانت البيرة، في سومر وبابل، هي المشروب الشعبيّ الأكثر انتشاراً بين الناس، ولذلك كان الإقبال على زراعة الشعير واسعاً جداً، حيث كان منتوج الشعير يذهب نصفه لصناعة البيرة ونصفه الآخر للطعام وخصوصاً خبز الشعير.

كانت حانات البيرة منتشرة في بابل، وقد عرف البابليون ما يقرب من 70 نوعاً من البيرة، ولذلك نظّمت شريعة حمورابي صنع واستهلاك وبيع البيرة بقوانين واضحة، وكانت حانات البيرة مدنية الطابع يمنع على رجال الدين ارتيادها، ولكن هذا لا يعني أنهم لا يشربونها، فقد كانت هي والنبيذ شرابهم المفضل في المعابد تحت رعاية إلهة الخمر ننكاسي.

كانت هناك بيرة الرمان المسماة (ألبّانو)، ولم تكن نسبة الكحول في صناعة البيرة عالية بل كانت في حدود 1 % بشكل عام ولذلك كانت تملأ موائد طعام الناس جميعها من فقراء وأغنياء.

كان السومريون قد توصلوا إلى صناعة خبز شعير بيريّ يسمى بلغتهم (ببّير) وربما كان هذا الاسم مصدر اشتقاق كلمة بير (بيرة) باللغات الأوروبية، وهو أمر يدعو إلى العجب فعلاً، فقد اعتمدوا على الفكرة الجوهرية لصناعة الكحول من حبوب الشعير الذي يكون من تخزين الحبوب في أوعية مسامية تتيح للحبوب أن تتبرعم بسبب الرطوبة التي تتسرب لها وحينها تسمى الـ(ملت) التي تتحول فيها الكاربوهيدرات إلى سكر وكحول عن طريق الخميرة الذاتية المتكونة من الخزن.



مسلة صغيرة يظهر فيها جمع البيرة بعد اكتمال تخميرها (في بابل)

سابعاً: الحب والجنس

استمرت تقاليد الحب عند البابليين، كما كانت عند أسلافهم من السومريين والأكديين، وكانت قصص الحب الإلهية بين تموز وعشتار ملهمة لهم. وهي معروفة وقد ناقشناها بالتفصيل في كتبنا السابقة.

وقد أعطى البابليون مسميات من لغتهم الأكدية للحب والجنس والأعضاء الجنسية، نجد أهمها في هذا الجدول:

انظر (الأسود 2008: 19– 21).

جدول مصطلحات الحب والجنس عند البابليين (باللغة الأكدية)

احتفظ الجنس بقداسته عند البابليين، كما كان عند السومريين، وكانوا يعتبرونه أكثر قداسة في حالات الزواج. ومع ذلك لم تخلُ بابل من كلّ أنواع الجنس بضمنها المثلية الجنسية.

تمثل لوحات العري والمضاجعة أوضاعاً جنسية مختلفة بين رجلٍ وامرأة في تلك المنحوتات التي يعود زمن أغلبها إلى الألف الثاني قبل الميلاد والتي تمثل «امرأة عارية منحنية إلى الأمام في حين يأتيها رجل من الخلف، أحياناً قد تصوّر المرأة وهي تشرب من وعاء كبير بواسطة أنبوب صغير. وعادة ما يُعتقد أنها تشرب الجعة، وكان سكان ما بين النهرين يشربون الجعة بواسطة أنابيب صغيرة لتصفية الترسبات. وقد اعتبر وجود إبريق الجعة وطريقة تصفيف شعر المرأة، الذي يصل إلى كتفيها ومعقوصاً من الخلف، دليلاً على أن المرأة هي مومس في حانة أو ماخور، مشهد الماخور هذا ليس الوسيط الوحيد الذي يُصوّر فيه الجماع، فهناك العديد من التصاوير الباقية حتى الآن التي تُظهر رجلاً وامرأة واقفين في وضع عناقٍ وجهاً لوجه، أو مضطجعين، وعادة من دون الإشارة إلى أي محيط مكانيّ أو أي عناصر تحدد الخلفية وأي صفات خاصة» (البحراني 2013: 93).

ويمكن تصنيف هذه النقوش المثيرة، التي ظهرت في بابل بشكل خاص، إلى عدة أنواع:

1. نقوش الزواج المقدّس: وهي النقوش التي كان يترافق معها السرير، فهو يرد في أغلب أناشيد ونصوص الجنس المقدس بين ديموزي وإنانا (تموز وعشتار).

2. نقوش المضاجعة بمصاحبة الشراب: وهي كثيرة العدد، نسبياً، وتكون مضاجعة الرجل للمرأة من الخلف وعادة ما تشرب المرأة الشراب بقصبة من جرّة الخمر. ربما كانت هذه مشاهد تجري في بيوت الدعارة، وأحياناً في الحانات التي تديرها النساء.وكانت المرأة إما في وضع الوقوف أو الانحناء، وهناك لوحة يشرب فيها الرجل كأساً من الخمر وهو في هذه الوضعية.

3. نقوش المضاجعة التقليدية بين رجل وامرأة: وهي متنوعة الأوضاع، ويحدث فيه تلامس الأعضاء بوضوح.

4. نقوش الجنس الجماعي: حيث يظهر أكثر من شخصين يمارسان الجنس مع حفلات الشراب أو بدونها.

5. نقوش النساء العاريات: وكانت تظهر أجسادهن مع تلميحات جنسية، وأحياناً مع العضو الذكري.

بعض الآراء قالت بأن هذه اللوحات الطينية هي لوحات جنسية بشرية، بينما نسبها البعض الآخر للإلهة عشتار، فيما نسبها الرأي الثالث لكهنة وكاهنات يمارسون طقس الجنس المقدس (هيروغاميا)، ونرى أنها قد تكون كل هذه الآراء خصوصاً إذا لمحنا إشارت دالة عليه.

لقد بالغ المحللون الغربيون، منذ هيرودوت، في وصف هذه المشاهد كنوع من البغاء أو الإباحية، وهي صورة تمثل طبيعة الفكر الغربي نفسه، فهو لا يرى في الشرق غير الإباحية والجنس والحريم، ويصعب عليه تصور الممارسات الجنسية المقدسة، وينسى القوانين الرادعة للإباحيين والعاهرات في القوانين، وتمجيد المجتمع للزواج والأسرة.

نرى أن هذه الآلاف من السنوات يمكن أن يخرج منها فنانون يصورون مثل هذه اللوحات كنوع من الحالات الطبيعية للإنسان وهي تشبه الغزل والشعر الجنسي الذي نعرفه عن سومر وبابل بشكل خاص. وربما كانت لوحات نذرية تقدم للإلهة عشتار لمزيد من الخصوبة أو الإنجاب.

وهناك نظرية أخرى قدمها بينسبيرغن وويجرمان حينما اعتبرا العامل الديني هو المفتاح لفهم الإنتاج الضخم لهذه اللوحات الطينية، ضمن ما يمكن اعتباره ثورة دينية.وترى النظرية أن الدافع الأول الذي يمارسونه هو كونه فناً شعبياً، ظهر بموازاة اللاهوت الرسمي

الذي طورته المعابد الدينية الكبرى. لذا يمكن أن تكون هذه اللوحات رمزاً لتيار ديني جديد شعبيّ في طبيعته، تتمحور حول بعض الآلهة الثانوية، وهم يحددون هوية المرأة العارية باسم الـ (باستو)، التي هي روح الحماية، التي ظهرت بالفعل في الأختام الأسطوانية القديمة. أي أن هذا التيار الشعبي من التدين هو الذي لا يجد نفعاً في الهيمنة المطلقة للآلهة الرسمية، ويجد كلّ النفع في منحوتات صغيرة حميمة يعتني به بشكل مباشر وتمنحه الخصب والمتعة، خصوصاً أن صناعة هذا اللوحات ازدادت ونشطت بعد سقوط دولة سلالة أور الثالثة. أي في بداية العصر البابلي القديم وانهيار الدول الرسمية الكبرى وآلهتها المطلقة، والتراجع إلى نظام اعتقاد أكثر اعتدالاً وقدماً، يهتم ببعض الآلهة الثانوية، الحامية والقريبة لهم. أي أن هذا التيار الشعبي الديني كان البديل عن نظام آلهة النخبة التي فشلت، فهو استجابة لاحتياجات الناس في أوقات الأزمات الاجتماعية مشفوعاً بطريقة سحرية فتيشية تلائم جموع الناس.

«وفي نصوص العصر البابلي القديم يمثل قصيدة حب حرة معنونة إلى الحبيب وفيها إشارة واضحة إلى مواطن اللذة الأنثوية التي تعبر عن الجمال الأنثوي جاء فيها:

دقات قلبك موسيقى مفرحة

انهض من فراشك

ودعني أمارس الحب معك

في حضنك الشهي

لممارسة الحب

رغبتك الجنسية حلوة

تنمو بخصب فاكهتك

سريري للبخور هو مادة عطرية تنتج بواسطة أشجار ballukka (مادة عطرية تنتج من الأشجار CDA، p.37)

«آخ بواسطة تيجان رؤوسنا وحلقات آذاننا

تلول أكتافنا. شهوانية أثدائنا

أساور معاصمنا

حزام خصرنا

ابسط يدك اليسرى، المس فرجي

لاطف اثدائي

ادخل سوف أفتح فخذي.» (Leick، 1994، p.186 - 187)» (الأسود 2008: 280 ـ 281).

ويبدو أن هذه الصور الجنسية الباذخة وغيرها حفزت خيال هيرودوت وجعلته يظن أن هناك ما يشبه المشاعية الجنسية التي تجري تحت ستار الدين في المعابد البابلية، فكان يرى أن كل امرأة مولودة في بابل كانت ملزمة بالذهاب، في وقت ما في حياتها، إلى معبد الإلهة ميليتا Mylitta حيث تقدم جسدها هناك بعد أن تستهوي أي رجل غريب عابرٍ. وكانت الفتيات الأكثر غنى منهن، والمترفعات عن الاختلاط بالعامة، يحملن إلى المعبد في مراكب أو كراسٍ مغطاة مع الخدم المرافقين لهنّ. أما النساء العاديات فكنّ يلبسن، على رؤوسهن، حلقة تصنع من حبل أشبه بالعقال، ويجلسن في مكانٍ مخصص من المعبد. وهناك، يتمشى الرجال الغرباء جيئة وذهاباً في الممرات ويختارون المرأة التي تعجب أحدهم ويرمي لها بقطعةٍ من الفضة ويأخذها معه، ويقف أمام الإلهة (مليتّا Mylitta) ويقول لها: أتوسل إليك أيتها الربة أن تكون هذه المرأة معي. ولايحق، قانونياً، أن ترفض

الفتاة المبلغ، لأن الفضة المقدمة لها تصبح مقدسة وتصرف في أغراض دينية. وتلزم المرأة هناك، باتباع من اختارها. ويبدو أن هناك خلوات في المعبد لممارسة الجنس يذهبان لواحدة منهن، وفي أغلب الحالات، تكون النساء اللواتي يقدمن أنفسهن هكذا في المعابد عذارى، ويكون هدفهن التضحية ببكارتهن للإله الراعي لأن بكارتها ملك للإله، وعلى الفتاة أن تقدم فعلها الجنسيّ الأول للإله الذي يمثله هذا الرجل العابر. وبعد هذا الواجب أو الطقس تكون الفتاة مهيئة للزواج.

وحين تحرينا عن الآلهة البابلية لم نجد أن هناك آلهة بابلية بهذا الاسم، وربما كان المقصود عند هيرودوت)، الذي يخلط دائماً بين بابل وآشور، ما سمعه من الآشوريين عن وجود إلهة اسمها (موليسو Mullissu) وهي زوجة الإله الآشوري آشور وقد يكون هذا لقباً لزوجته المعروفة بـ (عشتار). لكن الأرجح أن موليسو هو اسم يناظر الإلهة (ننليل)، زوجة الإله إنليل، والتي كانت موازية لحقيقة أن آشور نفسه كان على غرار إنليل. تمت كتابة اسم موليسو ومع ذلك، فإن، الذي تم التعرف عليه مع عشتار في نينوى عهد الإمبراطورية الآشورية الجديدة، عادة ما يكون مع عشتار..

يُقترح أيضاً أن تكون موليسو إلهة أطلق عليها هيرودوت اسم ميليتا ووحدها مع أفروديت. واسم Mylitta قد تستمد من Mullitu أو Mulitta، الأسماء المتعلقة Mullissu.

لم نعثر على أي نصّ مسماري بابلي أو آشوريّ أو سومري يشير لوجود مثل هذه الرواية التي اخترعها هيرودوت من خياله أو من سماعه أو وضعها من بيئته الإغريقية وأسقطها على بلاد بابل وآشور، «لقد ربط البعض هذه الممارسات بعبادة الإلهة عشتار ومعابدها لغرض تأكيد هذه الرواية كما سارع بعض الباحثين إلى اعتبار أصناف معينة من الكاهنات في بلاد بابل على أنهن كن بغايا مقدسات (باقر 1976 ص 193 ـ 194). لكن النصوص المسمارية القديمة لا تشير إلى وجود مثل هذه الممارسة في مضامين ديانة العراق القديم ومعابدها فقد كانت تلك الديانة تنحو منحى مختلفاً. كما أن القوانين والشرائع العراقية

القديمة كانت تحدد ضوابط صارمة على مثل تلك الممارسات (حنون 2002 ص 197) والأكثر من هذا كله أن المركز الاجتماعي لكاهنات القاديشتو والكلماشتو على وجه التحديد قد وضح بالشرائع القديمة وأشهرها شريعة حمورابي المادة (181) (رشيد، فوزي 1988 ص 151 ـ 152).» (الأسود 2008: 29).

والحقيقة أننا نعثر على الطقس الذي ذكره هيرودوت في روما حيث تتخلى الفتاة عن بكارتها إما لكهنة المعابد، أو لتمثال الإله برابوس، حيث كانت هذه الشعائر شائعة في روما، حيث تفرض قوانين الزواج أنه قبل أن تتم مراسم الأعراس، يجب على العروس أن تضحي ببكارتها إلى الإله برابوس Priapus. لذا، فقد كانت العادة، وفور اختتام مراسم الزفاف، أن تهتم العروس وزوجها، صحبة العائلة والأصدقاء، بالذهاب إلى تمثال برابوس، وهناك، وبحضور زوجها والمرافقين، تأخذ درسها العملي الأول في العبادة البريابية، بواسطة فالوس (قضيب) حديدي أو حجري مقدس كطقس دينيّ، فكانت العروس تأخذ إلى التمثال البريابي فور زفافها، ليس لأنها يجب أن تعطي إلى إلهها حقه فحسب، بل لأنها قد تعود مثمرة باتصالها بالمولد المقدس، وتكون قادرة على الإخلاص وأداء كل واجباتها التي ستقدمها كزوجة على أكمل وجه. ويرافق المراسم تقديم الزهور وإراقة النبيذ، والصلوات إلى الإله من أجل نيل البركات الزوجية والأمومية معاً. وبذلك نكون قد عرفنا مصدر رواية هيرودوت القادمة من روما، والتي عممّها هيرودوت على بابل دون عناية أو تمحيص.
والحقيقة أن مثل هذه التعميمات كان يقع فيها أغلب المؤرخين الإغريق والرومان حين يتحدثون عن تاريخ شعوب شرقية بشكل خاص.

الزواج المقدس لم يكن بغاءً بل هو طقس ديني تقوم به كبيرة الكاهنات مع الملك بشكل حصري في عيد رأس السنة وغاياته دينية لها علاقة بخصب البلاد والعباد، أما البغاء فكان مهنة معترفاً بها في بابل ولها قوانين وأعراف تنظمها، ولم تكن النساء فيه تابعات للمعبد كما يشاع «إن بغايا المعبد لم يكنَّ بالمعبد تحديداً، هؤلاء النسوة بالحقيقة اجتمعن في مجموعات وميزن من خلال أسماء خاصة وعملن تحت حماية الآلهة وعلى الأغلب تحت حماية الإلهة عشتار، وكان هؤلاء، يتواجدن قرب أسوار المدينة في وسط الطريق بين

الداخلين والخارجين أو بين العالم المتحضر والهمجي. وقد اعتبرن (البغايا) جزءاً من المجتمع ومن ثم كنّ نساء من اللواتي فقدن قدرهن اللائق، ذلك لأن الزواج وحمل الأطفال يعطي الطمأنينة على استمرارية المجتمعات، هذه المجموعات عرفن بواسطة اسم عام harimtu (أدبياً المرأة المنفصلة) بينما أسماؤهنَّ المحددة في المجتمعات (الأسماء الشخصية) خبئت تحت أثوابهنَّ حيث كن مترفات نوعاً ما أو شاذات، وإن حضورهنَّ العام أو ملاقاتهنَّ قد ميزتهن عن النساء الأخريات.» (الأسود 2008: 32).

المثلية الجنسية: عرف السومريون المثلية الجنسية، وكذلك البابليون، وكانت هذه المثلية تنشأ إما من ميلٍ طبيعي للجنس المشابه بين الرجال والنساء، أو من الرجال الذين أصبحوا خصياناً بسبب عقوبةٍ أو حادثٍ أو اختارهم القصر أو المعبد لمهمة خاصة، وكذلك النساء في حرمانهن من الشريك الجنسي المغاير حين يلجأن لمثل هذه المثلية.

كان السحاق النسائي واللواط الرجالي موجودين في بابل القديمة، وهما يمارسان خارج القانون أو بصمت من القانون، لكنه كان محتقراً اجتماعياً.

«كان اللواط شائعاً مع النساء مثلما هو مع الرجال حيث تكلمت عنه النصوص المسمارية. كما أن بعض الألواح والأختام فسرت على أنها تمثل حالات للجماع (في القبل وكذلك في الدبر) حيث اقترح البعض أنها تمثل اللواطة. وهناك نصوص أخرى تشير إلى اللواطة بين الرجال وكذلك بين الرجال والأولاد. ويبدو أنه لم يكن هناك عقاب لذلك في بلاد بابل حيث لم يستنكر البابليون هذا العمل. ولكن كان يعاقب عليه بقسوة في بلاد آشور (ساكس 1999 ص 206) حيث لم يتبع الآشوريون سياسة البابليين (عش ودع الآخرين يعيشون). (Nemet. Nejat. 2002.p. 134).

فقد كان الآشوريون يعاقبون فعل اللواطة بقسوة طبقاً للقوانين الآشورية الوسيطة (المادة 20) التي نصها (إذا لاط رجل بصاحبه واتهم بذلك وثبتت التهمة عليه فسوف يلاط به ويخصى) (رشيد، فوزي 1979 ص 188).» (الأسود 2008: 98 ـ 99).

أما الجنس غير الشرعي بين العشاق فكان يمارس أيضاً، وكان هناك ما يعرف بـ (العشتاريين) الذين كانوا يتّخذون من الإلهة عشتار قدوة لهم، ومن ضمنهم كهنة عشتار الذين كانوا من نوع العابرين للجنس ويقومون بممارسته كما يشتهون.

لا نعتقد بوجود ما يعرف بـ (عبادة القضيب) في وادي الرافدين، لكن اعتبار الإله إنكي سبباً في الخلق الكوني أو البشري أعطاه صفاتٍ قضيبية سببت مثل هذا اللبس عند بعض الباحثين.

أما العلاقات الجنسية مع الحيوانات فهناك ما يشير لها، وهناك، أولاً، ما يؤيدها، في النصوص الشعرية، بين عشتار وبعض الحيوانات.

وهناك تعويذة أسطورية المنحى تصف العلاقة بين إله القمر وبقرته التي كان اسمها (جيمي ـ سين) الذي يقوم بتلقيح بقرته، ثم تمر بآلام الحمل والمخاض، وحين يسمعها تبكي وهو في السماء يرسل لها روحين مساعدين لها يعملان على فعل طقسٍ، ثم يسهّلان ولادتها، فتنجب العجل (بور سزبي أي عجل الحليب)، ثم تنتهي القطعة المكتوبة بتضرع للإله سين ليسهّل ولادة المرأة المقصودة من هذه التعويذة الأسطورية السحرية. وفيما يلي نصّ هذه المقطوعة:

«وتشير أيضاً الفؤول الجنسية والرقى والتعاويذ السحرية إلى حالة فعل الانتصاب الذكري كجزء من الرغبة الجنسية التي تقود للعمل الجنسي المباشر (Leick.p.21) كما جاء في أحد النصوص المسمارية ما نصه: (المرأة تقود الرجل بواسطة مسك عضوه الذكري بيدها) (Nemet-Nejat.2002.p. 137) وزودتنا النصوص المسمارية بنص رقية تصف القضيب:

لعل قضيبك يصبح طويلاً مثل سلاح masgasu (وهو سلاح على شكل رأس صولجان (CDA.p.202).

ورقية أخرى المعنى نفسه:

لعل مهبلي يمسك بسرعة قضيبه

لعل قضيبك يصبح طويلاً مثل العصا» (Cooper، 1997.p.92)

«وقد عرف القضيب باللغة السومرية باسم Gis (لابات 2004 رقم 480) وباللغة الأكدية باسم isoru، وقد شبه في نص أدبي بأنه (مثل مقدمة سفينة) لعل في ذلك ما يدل على شكل الانتصاب. 108 .1992.p (.Bottero) «(الأسود 2008: 105).

«وجاء ذكر عشاق عشتار من الحيوانات والتي كانت على علاقة جنسية معهم في ملحمة جلجامش وهم: الشقراق الملون وهو الطائر الذي يختفي تحت الاسم الأكدي الألو Allallu(CDA.p.147). ويتحارب معه بنوع غريب الاسم السومري sipa. Tur أي (الراعي الصغير) (لابات 2004 رقم 295 ورقم 144). وكان للشقراق طاقات محددة للطيران وتظهر صرخته الرثائية بأجلى صورة بالأكدية kappi أي جناحي (CDA.p.147) وكانت عشتار تبدو باكية على انكسار جناحيه كما جاء في النص:

أحببت الشقراق الملون

ثم ضربته بغتة

فكسرت جناحيه

وها هو يلتجئ إلى الغابات

ويصيح جناحي (بوتيرو وكريمر 2005 ص 139و 142).» (الأسود 2008: 108 ـ 109).

وكان الآلهة الذكور يغرمون بالحيوانات حباً أو رغبة، وهو ما تفصح عنه هذه التعويذة المزدانة بنص عشقي من الإله سين لبقرته المحبوبة:

«كانت لسين بقرة، وكان اسمها جيمي ـ سين

كانت مزدانة بكل المفاتن

كانت مغرية الشكل. وإذا رآها سين أغرم بها

ووضع عليها علامة سين الخاصة البديعة. راعي القطيع تب....

وجعلها تسير في مقدمة القطيع

ووراءها كان جميع الرعاة يسيرون

وكانوا يرعونها من العشب الأكثر نضارة

ويسقونها بالماء من أغزر مورد

بدون علم الرعاة الشباب، ودون أن يراه الرعيان

سين الثور الفتي الوثاب داهم البقرة ونزا على بكارتها

امتطى البقرة. رفعت ذيلها

وحينما بلغت الأيام مدتها وكملت الأشهر

البقرة ارتعشت وخافت

راعيها رأسه انحنى. كل صبيان القطيع انتحبوا معه

وعند أنينها وصرخة نجاتها ارتاع ننار

سين في السماوات سمع صرختها ورفع يده نحو السماء

نزل اثنان من Lamassu من السماء. كان الواحد يحمل زيت القارورة

والآخر أنزل مياه النجاة

لمس الأول جبهتها بزيت القارورة

ونضح الآخر جسدها كله بمياه النجاة

حينما لمساه للمرة الثالثة

سقط العجل مثل رشا الغزال على الأرض

وأعطت البقرة العجل اسم (امار ـ كا) أي (عجل الحليب)

فكما ولدت جيمي ـ سين هكذا بصورة طبيعية

لتلد أيضاً هذه المرأة الشابة المتألمة

ولا يقف مانع أمام القابلة. ولتنجز المخاض بيسر

(لابات 1988 ص 339 وVeldhuis.p.9).» (الأسود 2008: 112 ـ 113).

ثامناً: المطبخ البابلي

كان المطبخ البابلي استمراراً نوعياً للمطبخ السومري، وقد عثر، في بابل، على أقدم ألواح تشرح طبيعة الطبخ البابلي حوالي 1600 ق.م، وهو مجموعة من الألواح المكسورة التي ينقصها أجزاء مفقودة.



لوح الطبخ البابلي من العصر البابلي القديم، حوالي 1750 ق.م

YBC 4644برقم (مكتبة جامعة ييل)

يعتقد أن البابليين كانوا من الأوائل الذين حولوا اللحم المغلي إلى وجبة نوعية، وكانت هذه سمة مميزة لأسلوبهم في الطهي، لقد بدأت كل وصفة الطعام في حشوهم لكرات اللحم الغليظة بعد إشباعها بكميات كبيرة من الدهون في وعاء من الماء المغلي. وهذه وصفة بسيطة من اللوح:

لحم الضأن مع عرق السوس والتوت العرعر

توضع ساق لحم الضأن في الماء مع إضافة الدهون المغلية. ويضاف لها عرق السوس البري مع خشب السرو [التوت العرعر] والبصل والصاميدو [سميد] والكمون والكزبرة والكراث والثوم المهروس مع كيسيمو [كريم أو اللبن الزبادي].

أواني الطبخ: شوكات العظام ذات السن الواحد، السكاكين، الملاعق العظمية، الصحون، الطاسات، الفناجين الفخارية والخشبية والحجرية والمعدنية.

المدقات والهواوني المصنوعة من الصلصال المشوي والحجارة

الطاحونة لطحن الحبوب وهي طواحين يدوية من الحجارة البركانية الصلبة المستوردة عادة. ويطبخ الطعام في فرن في داخل البيت أو خارجه.

وجبات الطعام والخبز: كانت صناعة الخبز مختلفة، لكن أكثرها شيوعاً هو وضع قطع العجين على صفيحٍ ساخنٍ وتقليبه حتى ينتفخ وينضج، أو وضع العجين سائحاً على سطح درعٍ معدنيّ أملس فينتشر عليه ويكوّن رغيف خبز شفاف وكبير.

الشراب: عصير الجعة، عصير شجرة النخيل الناتج عن شق جذع النخلة من أعلاها وجمع عصيرها وقد يخمّر هذا العصير فيصبح مسكراً بعد ثلاثة أيام.

وجبات الطعام

لابد من التنويه أن البابليين كانوا من الكرم والذوق بحيث أنهم كانوا يمنحون الحصص الغذائية لأهل سبي يهوذا ، فقد عثر على رقيم طيني يصف هذه الحصص ويحدد كمياتها.



لوحة من الطين ترجع لـ 595-570 ق. م من بابل القديمة يصف الحصص الغذائية الشهرية التي يسمح لأهل يهوذا بها والذين تم سبيهم إلى بابل وقد اكتشف في أطلال مدينة بابل عام 1900 م واللوح محفوظ الآن في متحف برغامون في مدينة برلين الالمانية

تاسعاً: الحدائق البابلية

كانت حدائق وبساتين بابل نموذجاً فريداً لحدائق العالم القديم، ورغم أن جنائن بابل العالية لم توجد في بابل بل في آشور كما ذهبت ستيفاني دادلي، لكن شهرة الجنائن المعلقة ذهبت إلى بابل وحملت طراز وذوق البابليين في تصميم وترتيب حدائقهم.

كانت للحدائق أبنية وأحواش، وكانت الكثير من النصب تسجل الحيوانات التي تكون فيها مثل الإوز والبط والحمام، وكانت البساتين مكاناً لطيران وأعشاش طائر السمان والشحارير والعصافير والقبرات والكركي ومالك الحزين والحجل والدراج والعقبان والنسور، وحفلت الأهوار بأسراب الطيور والبجع.

في نص (بستان بلادان) دوّن الملك (مردوخ بلادن) الذي ينتمي للأسرة العاشرة وحكم للفترة بين (722 ـ 711) ق.م وهو المكافح العظيم ضد الآشوريين لصالح استقلال بابل، وتضمن النص تفاصيل عن بستانٍ للخضار المصنفة بطريقة خاصة.

جرى تصنيف الخضار حسب طبيعتها، فهناك الأعشاب الحادة الطعم مثل (الثوم والبصل والكرّاث)، وهناك الأعشاب العطرية مثل (النعناع والريحان)، وهناك نباتات التوابل مثل (الزعفران والكزبرة والزعتر والفستق والصمغ)، وهناك نباتات الصيف كالقرع والبطيخ، وهناك خضروات اللوتس والهندباء، وهناك نباتات البذور القوية الرائحة مثل الحبة السوداء وبعض أنواع الجزر. وهناك خضروات العدس والشونذر واللفت... إلخ.

أما الأشجار الكبيرة فقد صنفتها بطريقة خاصة أيضاً، فهناك أشجار الفاكهة كالنخيل والمشمش والخوخ والكمثرى والإجاص والتين.. إلخ.

ويذكر أن بساتين وحدائق بابل كانت تضم كل هذه الأشجار ومعها أشجار الكروم والزيتون وأشجار الزينة والأزهار والورود بأنواعها.



بقايا الآثار التي كان يُعتقد أنها آثار جنائن بابل المعلقة في مدينة بابل

عاشراً: الحياة اليومية للإنسان البابلي

تحية الصباح: كان الناس يلقون التحية على بعضهم، وكان المقربون من بعضهم يقبلون بعضهم قبلة التحية.

كان الاستحمام لعامة الناس في الأنهار، وأحياناً في الأحواض داخل باحات المنازل.. وكانت القصور تضم حمامات بخارية وأدوات تدليك وتنظيفٍ منوعة.

وكان يتم مسح الجسد والشعر بالزيت العطري الذي يساهم بنعومة البشرة.

وبينما كان السومريون يحلقون لحاهم، صار عموم البابليين يملكون لحى قصيرة، أما كبار الموظفين فلحاهم طويلة ومقصوصة بشكلٍ مربع. أما ما نلاحظه من حليقي اللحى من

البابليين والآشوريين فهم من الخصيان السمان الوجوه والذين كان يشيع وجودهم في البلاطات وفي فصائل الجيوش الخدمية.

«أما الموتى فكانوا يحنطونهم بالعسل. وكانت شعائر الدفن لا تختلف كثيراً عندهم عما كان متبعاً عند قدماء المصريين. وكلما ضاجع بابلي امرأته وجب عليه أن يحرق بخوراً ويجلس قربه، وكذلك تفعل المرأة. ثم يغتسلان عند بزوغ الفجر، لأنه لم يكن من الجائز لهما أن يمسّا آنية ما لم يغتسلا، والعرب أيضاً يراعون هذه العادة. تلك كانت الشرائع والعادات المرعية عند البابليين. وكانت ثلاث قبائل منهم لا تأكل إلاّ السمك. وكانوا بعد صيده يجففونه في الشمس. ثم يسحنوه في المساحن وينخلونه بالمناخل، ويصنعون منه فطائر وخبزاً.» (لوبون 2017: 89).

يكدح البابليون في أعمالهم الوظيفية الحكومية أو الخاصة، وحين يعودون في المساء إلى بيوتهم يجدون طعامهم جاهزاً ويقضون وقتاً مع عوائلهم، ثم يخلدون للنوم.

الفصل العاشر: المظهر النفسي

(سايكولوجيا المجتمع والفرد في الحضارة البابلية)



المبحث الأول: مقدمة في علوم السايكولوجيا الاجتماعية والحضارية

أولاً: علم النفس الاجتماعي Social psychology

فرع من فروع علم النفس العام يهتم بالدراسة العلمية للإنسان ككائن اجتماعي وليس كفرد، وهو يهتم بدراسة (الفرد والمجتمع والعلاقة بينهما) في الأمور الآتية:

رغم الصعوبات التي تتمثل بالكشف عن سايكولوجيا الشعوب القديمة والتي اختفت من الوجود الآن، لكن هذا العلم يحاول ترميم صورة المجتمع النفسية ومجمل توجهاتها، وكذلك صورة الفرد النفسية ووجوده في عصره وعلاقته بمجتمعه والمجتمعات الأخرى التي حوله والقريبة منه.

نبدأ من شخصية وسايكولوجيا الملك الفرد الذي كان يتميز بحكم يطلق عليه اصطلاحياً بالـ (موناركية Monarchy)، وهي كلمة مكونة من مقطعين هما (مونا وتعني وحيداً أو منفرداً) و(أركي بمعنى حكم) فيكون معناها (الحكم الفردي) وهذا المصطلح يستخدم لوصف الكثير من أنظمة الحكم الدينية الشرقية القديمة ومنها النظام البابلي، والذي يتضمن نوعاً من الاستبداد وعدم التشاور في الحكم، وتحت مسمّى الموناركية حكم الملك البابلي باعتباره (نائب الإله)، «الدلالة الثانية لمصطلح الموناركية لا تشير إلى الممارسة فحسب، وإنما كذلك إلى اكتساب هذه السلطة السيادية العليا، وبهذا، المعنى أيضاً تشير الكلمة إلى الحكم الوراثي، أي حكم الأسرة السلالية ـ Dynastic Rule ـ عندما تنتقل فيه رئاسة الدولة من عضو لآخر من الأسرة نفسها. عضوية الأسرة هنا هي ما يكسب هذا الحق، أي أنها الأساس الأولى لأهلية من يصل إلى هذا المنصب الأرفع بعد موت من سبق فيه أو إزاحته، وبهذا المعنى تكون (الجمهورية) هي مقابل الموناركية» (لويس 2017: 213).

ويختلف مصطلح الموناركية عن الأوليجاركية بأنه يعني الحكم الفردي في العصور القديمة، بينما الأوليجاركية تعني حكم الأرستقراطية في التأريخ الوسيط الذي يتضمن نوعاً من المشاركة أو الشورى في الحكم.

أثرت الموناركية في حياة الناس وكانت السبب المباشر في نمو النزعة الفردية داخل المجتمع، وهو ما جعل المجتمعات القديمة أقل تماسكاً، فقد كانت تُقاد بقوة للمعارك والأعمال الجماعية بسبب تمترس الكيان الفردي لكلّ فردٍ مهما صغرت قيمته.

ورغم ذلك تتولد أحاسيس الافتخار المميزة عند الأفراد تجاه جماعتهم، بحكم استقرارها في نفوسهم، ويجعلهم أكثر اعتداداً، لكن هذا الافتخار لا يكسر إحساسهم النفسي الفردي وتفردهم الخاص بل يعززه.

«ينشأ لدى الناس عادة الولاء تجاه جماعاتهم والإحساس بالافتخار بها، وهو إحساس بأن جماعاتهم هي أفضل في بعض النواحي من الجماعات المقارنة التي لا يرتبطون بها. وسواء أكانت هذه المشاعر مبررة أم لا، فإن أعضاء الجماعة يتأثرون بها. ويوحد الولاء للجماعة الأعضاء في حالات معينة ويبقى على قيام الأعضاء بالإنجازات الكبيرة. وحيث إن الافتخار بالجماعة غالباً ما يتدعم بالمقارنات السلبية مع الجماعات المشابهة، فإنه يصبح مصدراً ممكناً للتنازع والصراع كلما اتصلت الجماعات ببعضها. وفي الواقع، فإن الكثير من الصراع الذي نلاحظه بين تلك الأحياء، والجماعات الدينية، والأمم يقوم على المشاعر المبالغ فيها بالافتخار بالجماعة. ولا يمكننا أن نفسر هذه الأمثلة للصراع بين الجماعات بمجرد زيادة معرفتنا بالتفاعل في داخل الجماعات. بل إننا نحتاج لمعلومات حول الاتصال الاجتماعي الفعلي بين الجماعات وآثار مثل هذا الاتصال على سلوك أعضاء الجماعة.» (لامبرت 1993: 206).

إن الحكم الفردي يولد الإحساس بالسايكولوجيا الفردية أكثر من توليده للسايكولوجيا الجماعية التي تبني مجتمعات متحضرة تعمل بروح الجماعة.

تتولد صفات الجماعة في الفرد من خلال اندراجه في المجتمع الذي ينتمي له، وتكون كامنة في عزلته الفردية، ولذلك أظهر البابليون صفات مجتمعهم بسلبياتها وإيجابياتها، حيث يقول هاشم صالح مترجم كتاب سايكولوجيا الجماهير لغوستاف لوبون: «ولكن الشيء المعروف والمتفق عليه أيضاً من قبل كل علماء النفس ـ بمن فيهم فرويد ـ أن الفرد ما إن ينخرط في جمهور محدد حتى يتخذ سمات خاصة ما كانت موجودة فيه سابقاً. أو قل إنها كانت موجودة ولكنه لم يكن يجرؤ على البوح بها أو التعبير عنها بمثل هذه الصراحة والقوة. لهذا السبب يمكن القول بأن علم النفس المطبق على الجماعات ـ أو على

الجماهير ـ يختلف من حيث المنهج والنتائج عن علم النفس الفردي. وبالتالي فله خصوصيته المشروعة. ليس غريباً ـ والحالة هذه ـ أن يكون قد تشكل على هيأة علم متمايز يحتل أهمية كبيرة في ساحة العلوم الإنسانية الحديثة.»(لوبون 1991: 6).

الأمر المؤكد أن النخب العلمية والثقافية وأصحاب المواهب النادرة هم الذين طوّروا نواميس الحضارة البابلية وأعطوها مداها، ولا شك أن صفاتهم النفسية الخاصة لعبت الدور الأكبر في ذلك، ولكن إرث الحضارة البابلية المتراكم وجذوره السومرية كان له الأثر الكبير فضلاً عن الميل الطبيعي لهذه الحضارة للإبداع.

ثانياً: علم النفس الثقافي (الحضاري) Cultural Psychology

فرع من فروع علم النفس العام يهتم بالدراسة العلمية للإنسان ككائن ثقافي وليس كفرد، وهو يهتم بدراسة (سايكولوجيا الأفراد والمجتمع والعلاقة الثقافية والحضارية بينهما) في الأمور الآتية:

«لا يعد علم النفس سحراً ولا نظاماً دينياً. ولا يدافع علم النفس عن الفرضية القائلة بوجود أرواح شريرة أو عن فرضية وجود روح تطير نحو السماء. وبما أن علم النفس ميدان خاص بالمعارف العلمية، فإنه ينشأ عن مفهوم ينادي بالمذهب الطبيعي الذي تتضارب الآراء حوله بالطبع ولكن ينظر إلى العقل ونموه على أنهما «شيء» و«عملية» طبيعيين. ولا يخفى أيضاً أن علم النفس بصفته علماً فهو متعدد بالضرورة و«قابل للتحلل الإحيائي» (موران، 1982). ويطرح علم النفس نظريات متعددة تخضع للتطور المستمر كما أنها قابلة للنقض والدحض. ينبغي على كل فرد أن يسير في «طريقه» الخاص وأن يعمل على تحويله أثناء مضيه قدماً فيه. نخلص إلى القول، وبحسب جيروم برونر (1999). إلى أن «علم النفس لا يعد: «خارجاً» عن الثقافة أو «وراءها» بل إنه جزء منها. ومن هذا المنطلق يعكس علم النفس الثقافة ويساهم أيضاً في عملية تبديلها، ويلعب علماء النفس وأناس كثيرون غيرهم دور الفاعلين في ثقافتهم. (ص. 232). إن هذا الكتاب يعكس ثقافتي.» (تروادك 2009: 338).

ثالثاً: علم النفس عبر الثقافي Cross-Cultural Psychology

في أمريكا ما زال يعرف بـ (cross-cultural) وفي مجالات البحث العلمي والدراسات الأكاديمية نجد أن الكثير من الباحثين الناطقين بالإنجليزية يستخدمون مصطلح (Intercultural Psychology) للحديث عن «علم النفس العبر ـ ثقافي» إلا أن أشهر الكتب التي درست الظاهرة وقُدمت من قبل أشهر الباحثين وعلماء النفس في هذه الظاهرة.

علم النفس عبر الثقافي Intercultural Psychology

وهو علم يدرس مشكلات الظواهر النفسية ـ الثقافية، ويحاول أن يُغني المعرفة النفسية، ويبحث في التطور التاريخي النفسي وتأثره بالعلاقات الدولية، ويناقش مفاهيم الثقافي وعبر الثقافي من جهة المركزية العرقية أو الإحساس بالهامشية الثقافية، والمدخل الإسقاطي المتمركز حول الثقافة، والتبادل الثقافي مع الشعوب الأخرى، وانعكاسات تصور الإنسان عن العوامل النفسية في الثقافات المحلية والمتبادلة. ويدرس الظواهر النفسية والاجتماعية في المجتمعات المتعددة الثقافة. وتعرض قراءة تحليلية مقارنة لنظريات استراتيجيات الهوية واستراتيجية التثاقف وتقترح الجمع بينهما في منحى توفيقي يربط بين المستوى الفردي السايكولوجي الفردي والمستوى الاجتماعي السوسيولوجي الجماعي في التحليل والتعميم. ويهدف علم النفس عبر الثقافي لرؤية شاملة عابرة تهدف إلى تجاوز الجزئيات، والوقوف بوجه نزعة الرد السايكولوجية الضيقة نحو فهم أكثر شمولية لسلوك الفرد في المجتمعات التعددية.

«سنبدأ إذن بتحديد مفهوم الثقافة مما يتيح التمييز بين مجموعتين من التحديدات: 1. الثقافة التي ينظر إليها كإرث يتلقاه الأفراد؛ 2. الثقافة التي ينظر إليها كعملية بناء معان في إطار المشاركة في النشاطات التي يقوم بها الأفراد. هاتان المجموعتان من التحديدات تتطابقان على وجه التقريب مع مجموعتين من الأبحاث السايكولوجية: 1. علم النفس التثاقفي المقارن (Groo - Cultural Pasychology)؛ 2. علم النفس الثقافي. هذا الانفصال بين «معسكرين» كان موضوع إزعاج لكاتب هذه السطور (Troadec, 2003b,

2993c). من هنا إن ما تبقى من الفصل يشكل تحليلاً أيديولوجياً لهاتين «المجموعتين»، تحليلاً يتيح تحديد الأفكار الرئيسية التي هي في أساس الأبحاث التثاقفية كما يوضح كيفية تعارضها: الشمولية قبالة النسبية تلاقي الحضارات قبالة تباين الحضارات؛ 3. تقويم الذات قبالة الحطّ من قيمة الآخر. وذلك ما بإمكانه أن يؤدي إلى استخلاص نموذج مختلف من شأنه أن يربط الأضداد في وحدات معقدة عوضاً عن أن يجعل الأضداد في «معسكرين» متعارضين (مورين 1990)» (تروادك 2009: 17).

من أهم أعلامه هم (هاري تريانديس (Harry C. Triandis) و(هاري هوي (Harry Hui) وغيرهما من الباحثين الذين قدموا العشرات من الكتب والمقالات حول الأبعاد النفسية والاجتماعية والجوانب المتعلقة بظاهرة التبادل الثقافي والمتكيفات الثقافية والإدارة البين ـ ثقافية وغيرها من الموضوعات الشائكة والمتعددة، لدرجة جعلت من هذا الفرع البحثي يبدو وكأنه علم جديد.

لا شك أن هذا العلم يعطينا فكرة واضحة عن تفاعل الثقافة والحضارة مع السايكولوجيا الفردية والاجتماعية ويخرج بنتائج مهمة حول قيمة كل هذا وأثره على نمو ثقافات الشعوب، ولا شك أن فائدته تصبح أعظم بكثير في المجتمعات الحاضرة الحية أكثر من المجتمعات الغاربة المندثرة.

«الأحداث الاجتماعية الثقافية الكبرى يمكن أن تفهم بصورة أفضل إذا نظر إليها كعالم مكبر للعمليات الاجتماعية النفسية. فغالباً ما يكون الحديث عن وقوع الأحداث الاجتماعية الثقافية الضخمة مجرد وسيلة للحديث عن تجمعات لأحداث اجتماعية نفسية متنوعة أصغر. أي أن المادة نفسها التي تتألف منها الأحداث الاجتماعية الثقافية غالباً ما تكون اجتماعية نفسية، مثل ما يحدث عندما يعكس العمل التشريعي تغير الاتجاهات والإدراكات الاجتماعية للشرعيين أو القضاة، وعندما يتوقف تنفيذ القانون الجديد على العادات والقيم البطيئة التغير لدى المواطنين ورجال الشرطة. والدبلوماسية والسياسة هي أيضاً التفاعلات المعقدة للأشخاص والاتجاهات؛ والنمو الاقتصادي يتوقف على تغيير اتجاهات

وقرارات الناس: وغالباً ما تكون الاختراعات والثورات نتائج للإدراكات الاجتماعية أو الاتجاهات الجديدة عند عدد صغير من البشر ذوي الفاعلية. والإيمان بالديمقراطية يعني الاعتراف بأن رفاهية الجميع قد تتهدد من تصلب القلة. ومع ذلك، فنحن نعترف أيضاً بالطبيعة الاجتماعية النفسية وبالخاصة الإنسانية للمؤسسات الكبرى وذلك عندما نحكم على نجاح النظام الديمقراطي بالدرجة التي يدافع بها عن حقوق جماعات الأقلية بالإضافة إلى دفاعه عن حقوق الأفراد.»(لامبرت 1993: 217).

المبحث الثاني: السايكولوجيا الاجتماعية البابلية

أولاً: الميزات الأساسية للمجتمع البابلي

1. لم يكن المجتمع البابلي ثابت التكوين على طول امتداد تأريخ حضارته، بل كان يتغير في مكوناته حسب ظروفه التأريخية المعروفة، كان المجتمع البابلي القديم مكوناً من الأموريين. أما المجتمع البابليّ الوسيط فقد اجتمعت فيه مع الأموريين شعوب البحر الخليطة من سومريين وأكديين، ومن القليل من الكاشيين رغم كونهم حكام بابل فقط. وفي المجتمع البابلي الحديث ساد العنصران الكلدوي والآرامي على بقية المكونات القديمة. لكن ذلك لم يمنع تجانس كل هذه المكونات وتفاعلها لتنتج حضارة كبيرة كالحضارة البابلية، التي يكمن سرّ عظمتها في تعدد أعراقها.

2. تخلص المجتمع البابلي من طباع نشأته البدوية وصار منذ الأسرة الأولى شعباً متحضراً مترفاً وكان ميله لسيادة القانون واضحاً وكذلك ميله للبناء والعمران والثقافة والآداب والفنون.

3. أنتج المجتمع البابلي للحضارة البشرية، من خامات سومرية وأكدية، أعظم ملحمة قديمة هي (ملحمة جلجامش) بألواحها السبعة ثم ألواحها الأحد عشر، قبل صياغتها النهائية الآشورية التي جعلتها باثني عشر لوحاً. وعلى مستوى النصوص المقدسة فقد أنتج

أعظم أسطورة للخليقة في العالم القديم وهي (أسطورة الخليقة البابلية: إينوما إليش) التي تعدّ بمثابة الكتاب المقدّس القديم لشعوب الشرق الأدنى.

4. أنتجت بابل الصيغة الناضجة العميقة من قوانين بلاد الرافدين، فبعد الجهد السومري الحثيث في ما يقرب من ست دفعات من القوانين والإصلاحات المهمة، أنتجت بابل ما يقرب من ثمانية من هذه الإصلاحات والقوانين وكانت قوانين حمورابي تاجها العظيم الذي تُعد شريعته أقدم وأكبر شريعة شهدها العالم القديم فهي تحتوي على ما يقرب من 282 من القوانين التي شهدت تطبيقاً واسعاً في المجتمعات الرافدينية بأكملها ومن ضمنها الآشورية، وكان هناك ما يشير إلى هذه التطبيقات بشرح حالات العقوبات وما تركته دور القضاء والمحاكم من وثائق تُشير لهذه التطبيقات.. وهو يؤكد، أيضاً، ميل الشعب البابلي للسير وفق القوانين والدساتير في حياته اليومية وهي دلالة تحضّرٍ مبكرة.

5. تطور نظام المقايضة من البضائع إلى مادة الشعير ثم نحو النقود العمياء (بدون نقوش صورية عليها) أي المعتمدة على أوزان ثابتة من الفضة، وهو ما نجده في مقدمات شريعتي إيسن لبت عشتار وأشنونا بلالاما. وهو تطور لافت مهّد بل ساهم في ظهور النقود الليدية في عهد قارون الليدي في القرن الخامس قبل الميلاد.

6. ميل الشعب البابلي للسلام أكثر من ميله للحروب، فقد كان مضطراً للحرب حين تفرض عليه، وهناك شواهد دالة على ذلك مع الآشوريين بشكل خاص، لكن ما يؤاخذ عليه الشعب البابلي هو إفراطه في التساهل بقبول الحكّام الأجانب من غير البابليين كما حصل مع الكاشيين القادمين من الجبال والذين حكموا بابل أربعة قرونٍ متواصلة، وكما حصل في عدم مجابهتهم الجدية للغزو الفارسي الأخميني لجيوش كورش، وهي لحظة فاصلة في التاريخ، فحين قبلوا الغزو لأسباب دينية، وإن كان الأمر بسبب رجال الدين وأسرى يهوذا، لكن ذلك ذهب بحضارات وادي الرافدين كلّها وجعلها تنطمر تحت الغزو الفارسي، بل وكان نهاية هذا الطراز الحضاري الفريد الذي أنتجه وادي الرافدين في التاريخ القديم.

ثانياً: ملامح السايكولوجيا الاجتماعية البابلية

1.سايكولوجيا الفرد البابلي والإثنيات كنواة لسايكولوجيا المجتمع البابلي

يصعب التكهن الدقيق بسايكولوجيا الفرد البابلي دون القيام بالتحليل النفسي المباشر له، لكننا يمكن أن نحدد بعض ملامحها من خلال الموروث الثقافي الذي تركته النصوص الأدبية والاجتماعية. فضلاً عن دراسة الإثنيات العرقية والثقافية والحضارة البابلية فقد أصبح الاعتماد على العرق والإثنية البايولوجية أمراً مرفوضاً من قبل كل العلماء، وأصبح التركيز على الإثنيات الثقافية أكثر جدوى مع حذر لازمٍ من الوقوع في التحليل العرقي الصرف.

لم يكن البابليون من منبعٍ إثني واحد، ففيهم الأموريون والآراميون والكلديون وكذلك القليل من الآشوريين وكلّ هؤلاء ساميون (ساريون) تجمعهم لغة متقاربة. وهناك (الكاشيون الخليط من القوقازيين والآريين، وشعب القطر البحري وهم من بقايا الأكديين والسومريين.. إلخ. كل هذه الشعوب المختلفة الأعراق والثقافات ساهمت في صنع الحضارة البابلية، وهذه إشارة مهمة تفسر عظمة بابل وأفقها الحضاري الواسع حيث الاختلاط اليسير بين الشعوب والأعراق، ومعروف عن بابل أسطورة بلبلة الألسن التي تُلمّح لكثرة شعوبها ولغاتهم المختلفة.

لا يصحّ الوصف الإثني لشعب من الشعوب إلّا من خلال الثقافات والحضارة التي ينتجها، ولا يكون العرق مقبول التفسير إلّا من خلال الأمة والشعب كوحدة حضارية، وسيكون مرفوضاً من خلال القيمة البايولوجية. والبابليون قدموا خير مثل لهذا فاسم بابل المدينة هو الذي جمعهم وهم من أعراقٍ وشعبوبٍ شتّى.

2.العناصر الحضارية كمظهر لروح الشعب البابلي

العناصر المادية للحضارة البابلية جاءت من بيئتها الطبيعية ومن جهد أهلها في ترسيخ كل ما يسعدهم من المواد والطاقات والعلوم والتقنيات لصالح تقدمهم الحضاري، وقد نجحوا

في تطويع طبيعتهم وقواهم وطاقاتهم أيما نجاح. استثمروا بعبقرية جغرافية بابل وأقاموا عاصمتهم بعمران وأسوار لم يشهد لها التأريخ القديم مثيلاً.

ومع حمورابي تمكنوا من صياغة أعظم نظام ملكي بيروقراطي محكوم بالقوانين والأعراف ليكون، بعده، ناموساً حضارياً رغم فترات الضعف التي مرّت ببابل.

وكانت جوانب التجييش والعسكرية البابلية نموذجاً يُحتذى، وتنظيم الاقتصاد بالضرائب وقوانين المِلكية والرقابة والربا والتجارة المنظّمة. حتى بدا وكأنه نظام رأسماليّ مبكر في المناخ الموبوء لمجتمعات الإقطاع والعبودية في الشرق.

العناصر الاجتماعية انتظمت وفقاً للقوانين وتداخلت الطبقات الاجتماعية، ورغم وجود الفقر الكبير في المعادن والأخشاب في بابل ووادي الرافدين عموماً، لكن بابل نشّطت التجارة الخارجية وقايضت مزروعاتها ومصنوعاتها بالمواد المعدنية الخام والمود الأخرى غير المتوفرة.

في الجانب العلمي والتكنولوجيا استطاعت بابل أن تقدّم التنوع الشديد في علوم الرياضيات والهندسة والطب والفلك والعلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا والتربية والتخطيط الحضري.

كل هذا التقدم المادي رافقه نقد ثقافي هائل في شتى المجالات فالتأريخ تعزز بحوليات الملوك وسردياتهم، والقانون بالمسلات وقوانين الإصلاح والشرائع، والجوانب المدنية كانت ذات أوجه هائلة في الحرية والرفاه والبهجة والترف والفنون وغيرها، والأدب كان زاخراً ونوعياً بملحمة جلجامش وغيرها من القصص، وأنواع الأدب ومصنفاته كلّها، وكان هناك نوع السايكولوجيا الفردية والجماعية المتفائلة والخصبة وغير الغوغائية رغم كل النكسات والحروب من عيلامية وكاشية وحيثية وآشورية..فقد كانت بابل تمتص كل هذا الغوغاء الذي حولها وتعيد إنتاجه لترف ومجون وجمال.

كانت ديانتها باذخة وكانت أسطورة الخليقة البابلية بمثابة الكتاب المقدّس الأول في العالم كله بجمعه للرصانة المثولوجية ورموزها وأعماقها وتجلياتها المتعددة. أما الفنون البابلية فقد تجسدت، بشكل كبير، في فن العمارة. وجاء النحت بعدها والفنون الصغيرة وضعف الرسم الجداري، ولكنها تفوقت في الموسيقى والأزياء بشكل واضح ومثير.

وجاءت الأخلاق البابلية خالية من التعصب والازدراء للشعوب، فكانت تمتلك القدرة الهائلة على التوازن الحضاري الواضح.

هذه العناصر التي عبرت عن روح وتكوين الشعب البابلي كانت بمثابة الهيكل المنظور لصفاته وعبقريته الحضارية.

3.العناصر الثقافية والسايكولوجيا الاجتماعية

يمكننا دراسة كلّ الثورات الاجتماعية في بابل على أساس سايكولوجيا الجماعة، وذلك لأسباب دينية واقتصادية.

التحليل النفسي للجماعة (وفق فرويد الذي يرفض اللاشعور الجمعي اليونغي): اللبيدو غريزة الحياة، الأنا العليا، ولذلك تتجلى المُثل وتعطي غريزة الحياة والبقاء مداها الأقصى في حضارة تعبر عن نفسها عن طريق الاختراع والاكتشاف والترف الاقتصادي.

النفسية الجماعية لمجموعة ما هي ليست مجموع النفسيات الفردية لأعضائها حسب ما يقوله روبير ماندرو، وهي فكرجشطالتية واضحة. بل هي التفاعل المخصب والمبدع لها، وقد كان الشعب البابلي شعباً مبدعاً في حضارته.

4.عقل الفرد وعقل المجتمع

يتكون عقل الفرد من أربعة عقول مندمجة ببعضها: عقله الفردي وعقل الجماعة التي ينتمي لها (الدين والطائفة والطبقة والفئة.. إلخ)، وعقل المجتمع العام الذي ينتسب له

(الأمة، الشعب، البلد..إلخ)، وعقل الثقافة الإنسانية التي تشمل عقل البشرية العام التي تحضر بنسبة أو بأخرى وتشمل عقل المدنية الحديثة العامة التي نحن فيها. وكل هذه العقول تنفتح وتتفاعل في صعود الحالة الحضارية للشعب.

5.علم الجماهير أم علم النفس الاجتماعي؟

ندرس كيف أن المجتمعات القديمة، ومنها البابلية، كانت تحركها قياداتها السياسية بفعل عوامل دينية وقومية واقتصادية، وأديولوجيات إمبراطورية النزعة كما هو حاصل مع الإمبراطوريتين البابليتين القديمة والحديثة.

يقول هاشم صالح مترجم كتاب سايكولوجيا الجماهير لغوستاف لوبون: «أما علم النفس الجماعي (La psychologic collective) فهو ليس إلاّ الفرع الأخير من فروع علم النفس الاجتماعي، وكثيراً ما يدري كآخر فصل في فصوله، وكأنه شيء مهمل أو ثانوي. ولكن يبدو من الصعب في عصرنا هذا إهمال مثل هذا العلم الخطير حيث نجد أن كل شيء يعبر عن نفسه بواسطة الكمية والعدد (كالاقتصاد، والدعاية، والإعلان، والأيديولوجيات السياسية أو الحزبية أو النقابية أو الدينية، ثم الاضطرابات الاجتماعية التي تقوم بها الجماهير، والاضطرابات العمالية أو الطلابية، والثورات، إلخ..). كل هذه الظواهر تندرج تحت إطار علم النفس الجماعي، أو علم نفسية الجماهير وبالتالي فمن الصعب إهمالها أو استبعادها من ساحة الدراسة العلمية. نقول ذلك وخصوصاً أن علم النفس الجماعي سابق من حيث المنشأ الزمني على علم النفس الاجتماعي، فهو قد نشأ في القرن التاسع عشر على يد بعض الباحثين الإيطاليين قبل أن يتبلور بشكل علمي على يد غوستاف لوبون. يضاف إلى ذلك أن علم النفس الجماعي أو الجماهيري كان أول من اهتم بمسألة هامة جداً: هي مسألة تلك الجاذبية الساحرة التي يمارسها بعض القادة أو الديكتاتوريين على الجماهير والشعوب.
وعلم النفس الجماعي يفيدنا ويضيء عقولنا عندما يشرح لنا جذور تصرفاتنا العمياء والأسباب التي تدفعنا للانخراط في جمهور ما والتحمس أشد الحماسة للزعيم، فلا نعي ما

فعلناه إلا بعد أن نستفيق من الغيبوبة. وربما جعلنا ذلك أكثر حيطة وحذراً في «الانبطاح» أمام زعيم جديد قد يظهر.» (لوبون 1991: 7-8).

يمكننا أن نضع حمورابي ونبوخذ نصّر موضع تساؤل اليوم، فهل كانوا محقّين في حروبهم وإخضاع الشعوب الأخرى بالقوة لأجل أمجاد لا نعرفها تحت حجة توسيع النفوذ الإقليمي والاقتصادي؟

لا شك أن هناك مئات الأخطاء التي ارتكبوها بحق شعوبهم والشعوب الأخرى ولا شك أنهم كانوا حالمين بأمجاد شخصية رغم كل شعاراتهم العامة.

6.الجمهور وسقوط بابل

«ولكن مصطلح الجمهور يتخذ معنى آخر مختلفاً تماماً من وجهة النظر النفسية. ففي بعض الظروف المعينة، وفي هذه الظروف فقط، يمكن لتكتل ما من البشر أن يمتلك خصائص جديدة مختلفة جداً عن خصائص كل فرد يشكله. فعندئذ تنطمس الشخصية الواعية للفرد، وتصبح عواطف وأفكار الوحدات المصغرة المشكلة للجمهور موجهة في الاتجاه نفسه. وعندئذ تتشكل روح جماعية، عابرة ومؤقتة بدون شك، ولكنها تتمتع بخصائص محددة ومتبلورة تماماً. وعندئذ تصبح هذه الجماعة ما سأدعوه بالجمهور المنظم نظراً لعدم امتلاكي مصطلحاً آخر. أو قل إنها تصبح جمهوراً نفسياً (سايكولوجياً). إنها تشكل عندئذ كينونة واحدة وتصبح خاضعة لقانون الوحدة العقلية للجماهير.»(لوبون 1991: 53).

يمكننا استنباط مجمل السايكولوجيا المجتمعية الحضارية للبابليين من العوامل الآتية:

1. الطبائع والميول والأخلاق العامة: كانت الطبائع والميول العامة تميل إلى التحضّر والسلام والابتكار وحل المشكلات عن طريق القانون، فقد ساد التحضر مجتمع بابل منذ الأسرة الأولى وحتى الأسرة الأخيرة.

2. العقائد الثابتة نسبياً (الدين، المذهب، الأفكار السياسية العامة): لا شك أن البابليين شعب متدين، كان يعد أن رعاية الإله مردوخ له هي رعاية كونية، وأنه بتمثيله لكوكب المشتري يسخّر الكواكب لهذا الشعب، ولذلك كان الخروج على مردوخ يعدّ أمراً مخالفاً للدين والأعراف، وهذا ما يؤيد رفض البابليين لعقيدة آخر ملك بابلي (نبونائيد) حين حاول أن يجعل من عبادة الإله سين بديلة عن عبادة مردوخ، بل كان هذا سبب ضياع الحضارة البابلية كلّها.

3. الفولكلور والأنثروبولوجيا والعادات الموروثة: حافظ البابليون على تراثهم المتوارث، قدر الإمكان، رغم أنهم تأثروا بسطوة التراث والفن الآشوري في منتصف عصرهم الوسيط، وكان ذلك بسبب سطوة وقوة وتأثير هذا التراث في زمن ذروة الإمبراطورية الآشورية.

4. الاقتصاد الاجتماعي وحركة المال والعمل: كان البابليون من أكثر تجار العالم القديم شطارة وذكاءً، وكانت قدرتهم على الابتكار والمرونة كبيرة للغاية وهو ما أعطى طابع الترف للحضارة البابلية وأمدها بعوامل البقاء والزينة والجمال، فقد كانت تجارة المال والبشر ونشوء الصيرفة وشيوع العملات البابلية في العالم القديم من الأمور التي جعلت الجماعة البابلية محط ترحاب في العالم القديم كلّه.

5. اللاشعور الجمعي ومخزونه الرمزي والأسطوري والحسيّ: لا شك أن زمن الراحة والترف والاستقرار في تاريخ بابل أعطى الوقت والحرية لمخزونهم الجمعي الديني والأركيتايبي العام لكي يتجلّى ويتّضح، وهو ما يساهم في بلورة الشخصية الحضارية وصقلها.

الفصل الحادي عشر: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل





إله الشمس (شمش) في مركبه الشمسي في الأعالي

ومجموعة من العمال البابليين يعملون على الأرض

المبحث الأول: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل

أولاً: التكنولوجيا والمادة

التكنولوجيا: تمتعت بابل بطاقات الشمس والرياح والمياه، وهي الأنواع الطبيعية المتوفرة في وادي الرافدين، واستثمرتها استثماراً معقولاً قياساً للزمن الذي ظهرت فيه، عرفت النفط ولكنها لم تعرف كيفية استثماره واستعملت القير في البناء ورصف بعض الشوارع، وكانت التقنيات المستخدمة في ذلك بسيطة.

القاعدة المادية: رغم افتقار بلاد بابل للمواد الصلبة والأساسية في البناء كالحجارة والأخشاب، لكن البابليين استطاعوا بموادهم المحلية بناء ما يعجز عن وصفه اللسان من معابد وأسوار وقصور وبيوت ومؤسسات حكومية وشوارع، واستعانوا ببعض المواد المستوردة من أطراف إمبراطوريتهم.

المواد المحلية:

الطين: المادة الأساسية في البناء بسبب افتقار المناطق الجنوبية في وادي الرافدين للحجارة، ولذلك صنع الطوب من الطين الممزوج بالرمل والتبن الناعم، وصنع الآجر الطيني النقيّ المشوي على شكل طوب أو طابوق مستطيل أو مربع، وكانت المادة البينية في البناء إما الطين العادي أو القار. وهو عازل حراري مهم يقلل درجات حرارة الصيف ويحمي البيوت من برد الشتاء.

وكان الآجر مادة لتبليط الأرضيات والمعابد، والآجر المزجج في بناء الزقورة البابلية وهو باللون الأزرق، وكذلك لتصميم جداريات المعابد التي كانت تُصمم عليها الرسومات المختلفة.

القير: استخدم القير كمادة رابطة بين طابوق البناء، واستخدم كمادة عازلة في أساسيات المعابد والقصور، وكذلك في إكساء الشوارع مثل شارع الموكب. واستخدم أيضاً في تصميم مجاري تصريف المياه الثقيلة تحت الأرض، وفي طلاء نهايات العوارض الخشبية التي استخدمت في تقوية الجدران.

الجص والملاط: كان الجص يستخدم في طلاء البيوت من الداخل، وفي تجديد المعابد والأبنية، وكذلك يستخدم للرسم والنحت، وكان يُجهّز من وسط وشمال العراق.

المواد المستوردة:

الخشب: افتقر وادي الرافدين للغابات والأشجار الضخمة، ولذلك اعتمد على غابات لبنان وشجرة الإرز والسدر كمصدرٍ أساسي للأشجار والأخشاب، ورغم ذلك كان البابليون يستخدمون النخيل كمادة خشب محلية أساسية.واستخدمت الأخشاب على نطاق واسع في البناء وفي صناعة بعض الأعمدة الساندة والمنحوتات الخشبية الملازمة للعمارة الداخلية.

الحجارة: استخدمت الأحجار البركانية في بعض الشوارع والمباني، وكانت تستورد من بلاد الشام وآسيا الصغرى.

المعادن: استخدمت المعادن كالنحاس والبرونز والحديد في الصناعات اليدوية، واستخدم الحديد في العمران، وكذلك الذهب والفضة في التزيين والحلي.. وكل هذه المعادن كانت تستورد من أماكن توفرها.

ثانياً: الطاقة والعمل

1.العمل في بابل

ازدادت وتيرة العمل والبناء في العصر البابلي الحديث، وحظيت المعابد بالحصة الأكبر في البناء وخصوصاً في عصر نبوخذ نصّر، وهو ما يشير إلى أمرين: الأول زيادة العمّال المحليين والأجانب الذين تم جلبهم كأسرى أو خبراء لتحسين مستوى العمل ونوعيته، والثاني هو تعاظم دور رجال الدين في المجتمع لدرجة أنهم كانوا يسيّرون الملوك ويخلعونهم وينصبونهم.

2.تنظيم طاقة المياه

كان الرافدان الرئيسيان مع روافدهما الصغيرة مصدر طاقة المياه الرئيسية، وكانا يربطان المدن والقرى والقصبات، بل ويربطان وادي الرافدين بلبنان والبحر المتوسط، وكذلك الخليج العربي وجزره وسواحله، وكان النقل يتم عن طريق المراكب والسفن الشراعية.

كانت السفينة الكبيرة تسمى، عند البابليين، (إليبو رابيتو)، والسفينة الصغيرة تسمى (ماتورّو)، والسفينة الجديدة تسمى (إليبو إيششتو) أما السفينة المستهلكة فتسمى (إليبو خروبتو).

الري والقنوات:

عانى وادي الرافدين من مشكلة كبيرة هي الفيضانات المضطربة والكاسحة لنهري دجلة والفرات، ولذلك كان تخزين المياه في منخفضات مائية يأتي بالكثير من الضرر للبلاد، إذ تساهم خزانات المياه هذه بزيادة حجم الكارثة حين تحلّ الفيضانات.

ولذلك كانت القنوات هي الحلّ الأفضل، فالقنوات المائية التي توازي النهرين وتتشعب كثيراً تساهم في إرواء أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية كما أنها تساهم في زيادة الملاحة المائية بين المدن وتسهيل النقل والتجارة الداخلية.

وكذلك كان من الضروري بناء القنوات عند بناء أسوار المدن قريبة منها ومحيطة بها فهي تساعد في أمرين أولهما أنها تساهم في بناء الأسوار وثانيهما أنها تكوّن خندقاً مائياً محيطاً بالأسوار لحماية المدينة وهذا ما حصل في بابل تحديداً.

كان إنشاء القنوات أمراً يعادل الانتصارات العسكرية والإنجازات النوعية، يفتخر به أي ملك أو حاكمٍ لأنه سيؤمن عيش الناس ويمنحهم مواسم زراعية خصبة. وكانت القنوات تحتاج إلى إزالة الطمي والقصب والأعشاب الضارة التي تنمو فيها بشكل دائم، وتسمى هذه بصيانة القنوات المائية واستدامتها.

وكان الناعور (الشادوف) وسيلة مهمة لديمومة تدفق المياه من الأنهار إلى القنوات والأراضي الزراعية.

ولقد وصل السير ليونارد وولي خلال تنقيباته في مدينة أور إلى طبقة من خزان للنهر أدى إلى تدمير استمرار الحضارة في ذلك الموقع تماماً. وقد توصل «واتلان» إلى ذات الاكتشاف في مدينة «كيش» ولكن على مستوى عمل مغاير. لقد كان هذا يشير إلى فيضانين مختلفين، وهما طوفانان متكرران من هذه الصفة التي أدت إلى ظهور قصة طوفان بابل التي استنفدت قسماً تاماً من ملحمة كلكامش. (كونتينو 1986: 74 ـ 75).

كان السير ليونارد وولي Sir Leonard Woolley من أشهر المنقبين البريطانيين عن الآثار في العراق، ركز تنقيباته في مدينة أور وهو الذي كشف فيها عن المقبرة الملكية وما كانت تضمه من كنوز واستمرت تنقيباته هناك من 1922 إلى 1934 وضع عدة مؤلفات قيمة عن تنقيباته منها التنقيب عن الماضي، وأور، ومملكة الحثيين.

وكان واتلان CH. Watlin الآثاري الفرنسي الذي ولد سنة 1874 وأشرف على إدارة البعثة التي نقبت في كيش في الفترة 1926 ـ 1933. وتوفي سنة 1934.

طاقة الرياح والمياه

الحقل الواسع الذي كان يناسب استغلال طاقة الرياح والمياه في بابل هو وسائط النقل النهرية والبحرية وكان أهمها هي:

1. القوارب (الأبلام والمشاحيف): كانت تصنع من الخشب أو القصب أو البردي وتطلى بالقار، وتستخدم لنقل الأشخاص والكميات القليلة من المواد والمحاصيل الزراعية، وكانت الأنواع الكبيرة من القوارب تصل إلى طول 40 قدماً ويشرف على سيرها مجموعة من الأشخاص.

2. السفن: كانت السفينة تعرف باللغة البابلية باسم (سابيناتو) و(لبيتو) و(إليبو)، وكانت تستخدم للنقل والتجارة وللأغراض الدينية والعسكرية.

3. الأكلاك: ويسمى بالأكدية (كلاكوم)، وهو تكوين خشبي أو برديّ أو قصبيّ أو جلدي صغير يستخدم للعبور والنقل البسيط.

المبحث الثاني: الصادرات والواردات البابلية

«أما أماكن تواجد المواد الأولية، فقد حددت الاتجاهات والمسارات الرئيسة للاتصالات التجارية حيث تاجر العراقيون مع بلدان عديدة ساهمت في إثراء مدن بلاد الرافدين إذ استقبلت مختلف المواد التجارية، ومن خلال ملاحظة الخريطة، التي توضح التوزيع الجغرافي للواردات العراقية أشارت الشواهد التأريخية إلى وجود اتصالات تجارية مع بلاد الشام لاستيراد أنواع الأخشاب، وباتجاه الشرق مع بلاد عيلام وبلاد الهند وغيرها، وباتجاه الشمال مع بلاد الأناضول وباتجاه الجنوب مع بلدان الخليج العربي، بالإضافة إلى العديد من البلدان الأفريقية وهذا يوضح مدى اتساع الرقعة الجغرافية لعلاقات العراق التجارية فعن طريق هذا الاتصال كانت المواد الأساسية ترد إلى بلاد بابل مما هيأ فرص قيام تبادل تجاري واسع ومنتظم مع إيران، مصر، عُمان، أفغانستان، الأناضول، سوريا، لبنان، حبشة، البحرين، بلاد الإغريق، اليمن، الجزيرة العربية.»(جبيل 2008: 355).

كانت أهم الواردات تتركز على المعادن والأحجار النوعية والأخشاب، وهي واردات مهمة للعمل الدائم في البلاد، ثم تأتي بعدها واردات الاستهلاك اليومي، وقد وضع الباحث جبار عبد جبيل، اعتماداً على مراجع مسمارية وعامة رصينة، جدولاً لأنواع الواردات العراقية في العصر البابلي وهي كما يلي:

جدول الهيكل السلعي للواردات العراقية القديمة في العصر البابلي

(جبيل 2008: 353 ـ 354).

اتسعت التجارة الخارجية للدولة البابلية القديمة والحديثة بحكم فضائها الإمبراطوري، ومضت متسارعة في الاتجاهات الأربعة:

باتجاه الشمال: مع دول ومدن بلاد الأناضول.

باتجاه الشرق: مع عيلام ومع مراكز ايران ومدنها وبلاد الهند.

باتجاه الغرب: مع بلاد الشام لاستيراد الخشب بكافة أنواعه وخاصة خشب الأرز من لبنان.

باتجاه الجنوب: مع مراكز الخليج العربي بضفتيه الغربية والشرقية، وصولاً إلى اليمن وجزيرة العرب.

«أما بالنسبة لقطاع الصادرات فقد كان متطوراً مثلما كان قطاع الاستيراد مزدهراً، حيث كانت الصادرات هي المواد التي كانت تجارة العراق الخارجية تطفئ بواسطتها كمية وارداتها، ومن خلال (الجدول 2) نلاحظ تنوع المواد المصدرة وتأتي في مقدمتها السلع الزراعية مثل الحنطة والشعير، والكتان والزيوت النباتية والسمسم، والسمن الحيواني وغيرها من السلع الزراعية وهي مواد تزخر في إنتاجها بيئات العراق المختلفة والتي عن طريقها نجح العراقيون في تبادل كميات من النحاس والأخشاب بأنواعها، الذهب، العاج، الأحجار الكريمة، العطور، المواد الصمغية، والصخور بأنواعها والسلع الأخرى.»(جبيل 2008: 355).

جدول الهيكل السلعي للصادرات العراقية القديمة في العصر البابلي

(جبيل 2008: 358).

الفصل الثاني عشر: المظهر الديني



مردوخ، الإله القومي للبابليين، مع تنينه (موشخوشو)

رسم توضيحي عن ختم أسطواني كاشي من القرن التاسع قبل الميلاد من بابل

كلمة دين التي أصبحت مصطلحاً للدين أكدية الأصل، جاءت من مصطلح سومري هو (دي) ومعناه دعوة قضائية، محاكمة، قرار قانوني، وتعني حرفياً (إلى القضاء) وتبدو الكلمة وكأنها تسوق الإنسان سوقاً للمحاكمة.

أما كلمة (دي ـ كود) فتعني (إلى القاضي) بالسومرية

وكلمة (دي ـ تل ـ لا) فتعني دعوة قضائية منجزة

وهناك كلمة (أورو) السومرية التي تعني القضاء أيضاً وتعني المدينة لأن المدينة فيها محكمة قضائية.

الكلمة الأكدية (دينوم) تقابل (دي ـ تل -لا) السومرية وتعني الدعوة القضائية المنجزة.والتي يرجح أن تكون أصل كلمة (دين)، وربما كان كلمة (دي) السومرية هي أصل كلمة (دين) الأكدية ولكنها تحولت في الأكدية إلى (دينوم).

وفي شريعة حمورابي ترد كلمة (ديمات) أي (أحكام) وديمات مسارم أحكام العدالة، العدالة = مسارم.

وكذلك ترد مساروم سكانوم بمعنى إقامة العدالة.

سنناقش، على مدى ثمانية مباحث، المكونات الأساسية والثانوية للدين البابلي بشكل موجز، وسنستخلص منها طبيعة وأهمية هذا الدين الذي كان، من وجهة نظرنا، أساس الأديان السارية (السامية) بسبب وفرة نصوصه وحيويتها ومقدار ما تحمله من الشغف الروحي.

القسم الأول: المكونات الرئيسية للدين البابلي

المبحث الأول: المعتقدات الدينية

أولاً: المعتقدات الألوهية

الآلهة: ازداد عدد الآلهة البابلية، مع مرور الزمن، حتى بلغ عشرات الآلاف مع الدولة الكلدية، وكان الإله الرسمي القومي للبابليين هو الإله مردوخ الذي منحته أسطورة الخليقة البابلية لقب (ملك الآلهة) وحاز فيها على 50 اسماً تجعله إلهاً واسع الإرادة والقوة. وكان معبده

(إيساجيل) في بابل مركز العبادة البابلية ومحجّها وكان الإله مردوخ يلقب بـ(بل، بعل) أي السيد.

المدن البابلية كان لها آلهة محلية حيث معابد إله الشمس في لارسا وسبّار، ومعابد إلهة الزهرة والحب عشتار في أوروك ومعابد إله القمر سين في أور. وكان لكل أسرة إلهها الذي تقدم له الخمور كلّ صباح ومساء وتقيم له الصلاة، بل إن لكلّ فرد إلهاً يحميه ويعتني به وهو بمثابة الملاك الحارس له.

ظل التفريد Henothesim هو السائد في عقائد الربوبية البابلية ممثلاً بالإله مردوخ الذي أصبح ملك الآلهة البابلية، ولم يرتق هذا التفريد إلى مرحلة التوحيد. ولا بد من ذكر محاولة آخر ملك بابلي وهو (نبونائيد) الذي حاول فرض التوحيد الإلهي متمثلاً بالإله القمر (سين) وإلغاء بقية الآلهة لكن هذا الفرض جوبه بقوة من قبل كهنة مردوخ وكان الثمن هو احتلال كورش لبابل ونهاية سيادة وادي الرافدين وخضوعها للاحتلال الفارسي أكثر من ألف سنة.

رُسل الآلهة: كان للآلهة الكبيرة رسل أو وزراء ينفذون أوامرها ويؤدون المهام المتعلقة بهم، ومن أهمهم:

1. ببسوكال رسول الإله آن والإله زبابا.

2. ننشوبر رسول الإلهة إنانا والإله آن.

3. يسكو رسول الإله إنليل.

4. أسيمو أو إيسيمود رسول الإله إنكي

5. ممو رسول الإله إبسو

6. بوننه رسول الإله أوتو

7. نمتار رسول الإلهة أريشكيجال.

8. أشوم رسول الإله إيرا.

مجمّع الآلهة ومجالسها: تتضح صورة مجلس الآلهة بأكثر أشكالها تميّزاً في أسطورة الخليقة البابلية حين طلبت الآلهة من مردوخ أن يكون ملكاً للكون بأكمله «لقد أعطيناك ملوكية الكون بأكمله.. وأنت (حين) تجلس، في المجلس، تكون كلمتك هي العليا» (إينوما أليش، اللوح الرابع: 14 ـ 15).

1. مجمع الآلهة البابليون (بانثيون) ويضم كل الآلهة البابلية في تدرجاتها وأجيالها المعروفة.

2. مجلس الآلهة البابلية (آلهة الأنوناكي السبعة):

(آنو، إنليل، إيا، ننخرساج، ننمار، شمش، عشتار).

يتكون من رئيس المجلس وهو آنو، لكن المجلس كلّف مردوخ ابن إيا، بسبب الحرب مع تيامت، أن يكون هو رئيس المجلس.

3. مجموعة الإيجيجي: وهم آلهة الدرجة الثانية الذين يسمون بـ(آلهة الأرض) أو (الآلهة الصغار)، وهم آلهة الحياة اليومية الذين كانوا يخدمون الآلهة الكبار.

4. مجلس الخمسون: وهم الآلهة الخمسون الذين يترأسهم مردوخ. وكان الإله ننورتا يترأس هذا المجلس وقبله الإله السومري إنليل.

5. الثالوث الأول: وهو ثلاثة آلهة هي (آنو، إنليل، إيا) وهم آلهة الخلق الرئيسيون.

6. الثالوث الثاني: ثلاثة آلهة هي (سين، شمش،، عشتار) وهم آلهة كوكبية.

الثيولوجيا (الآلهة والشياطين)

كانت الآلهة تمثل الجانب الخيّر والمضيء في الديانة البابلية وهي كثيرة ولها صفات معروفة لا تختلف كثيراً عن صفات الآلهة السومرية التي شرحناها.

في المقابل كان هناك الشياطين والأرواح والأشباح، فالأرواح هي الطاقة المتبقية الهائمة أو الشاردة من أجساد الموتى بعضها خيّر إيجابي والآخر شرير سلبي ويتبع ذلك طريقة موت صاحبها، ويمكن أن تأخذ أشكالاً حيوانية، وكانت الأرواح الأنثوية تسمى (ليلي) والذكرية تسمى (ليل).

«لم يكن الشياطين خلائق العالم الآخر فحسب، فكثير منهم كانوا يُعدون آلهة ولدوا في السماوات، ولكن طبيعتهم الشريرة أصلاً كانت قد طرحتهم إلى الأبد في طرق الشر، من حيث المبدأ، كان أنو الإله السماوي الكبير يكبح جماحهم بشدة، ويستخدمهم بصفة رسل له ـ أدوات لمعاقباته أو نقماته. ولكنه كان يحدث أنهم بغير علم منه، يطلقون العنان لإساءاتهم عبر السماء. وهكذا فإنهم كانوا مسؤولين عن خسوفات، حينما كانوا، بظلماتهم، يهاجمون قرص القمر المنير.» (لابات 1988: 151).

أما الشياطين فتسمى (ألو) و(كالو) و(أتوكو) وهي تنشط في الليل وتختبئ في الأماكن المقفرة والمقابر، وحين تصل إلى بيوت الناس تحدث الكوارث والأمراض كالمشاجرات والعواصف والصداع والحمّى..إلخ.

«كانت جيوش الأرواح الشريرة التي هددت البابليين والآشوريين ذات أنواعٍ عديدة، فهؤلاء الشياطين وهم أولاد Anu آنو يعشعشون في الجبال في الغرب، وكان يشار إليهم، غالباً، باسم السبعة، مع أنه كان هناك أكثر من سبعة. كان هناك لاماشو التي طالما اشير إليها وكانت روحاً شريرة هددت النساء حين الولادة وكانت تسرق الأطفال الرضع من صدور أمهاتهم. وكان هناك ناما تارو وهو شيطان الطاعون وهو رسول نبجرين إله العالم السفلي، وكانوا يخشونه كثيراً، ورابيسو الذي كان يترصد على الأبواب والزوايا المظلمة، ثم هناك

ليتيتو Lititu الذي كان يزور الرجال وينغص عليهم نومهم بإشارات فاسقة وداعرة. وكان هناك بعض الوحوش التي لا وجوه لها وكانوا يمزقون الناس إرباً إرباً وكانوا يتجمعون حول فراش الرجل المريض إيذاناً بموته» (ساغز 2008: 331).

كانت الشياطين سبب الأمراض أيضاً، فهي بمثابة الكائنات الدقيقة التي لا ترى والتي تصيب الجسد بالمرض «حيث اعتقد الإنسان العراقي القديم بأنها سبب الأمراض واللعنات الجسدية والروحية والعقلية، وأن أبرز ما يميز السيكولوجية الدينية في أرض الرافدين فيما يتعلق بالشياطين هو أنه كان ينظر إلى الإنسان على أنه عاصم له منها فعلاً، فحتى المرء الذي يحيا حياة طاهرة ولا يسيء إلى إله من الآلهه يمكن دائماً أن يقع فريسة لمكائد ساحر شرير، أو أن يتصل عن غير قصد بكائن أو شيء نجس فالإنسان يمكن أن يكون ضحيه بريئة لقوى شريرة» (موسكاتي د.ت: 76 ـ 77).

ولعل أهم الشياطين البابلية هي: أساك، نمتار، ألو، إكيم، جالين. وقد وصفها نص قصير كما يلي:

«بالعفاريت» «اساك». ضد حياة الإنسان القاسي «نِمتور». ضد خلق الإنسان الضار»أوتوك». ضد صدر الإنسان المٌفسد «الو». ضد احشاء الإنسان الشرير «إكيم». ضد يد الإنسان الرهيب «جالين».»

الإله الشخصي (الحامي): هو بمثابة الملاك الحارس للشخص، والذي يقوم بحماية الفرد وحلّ مشاكله اليومية، وكان مهماً جداً في حياة الإنسان البابلي حياتياً ودينياً لدرجة أنه يسمي نفسه ابن هذا الإله الشخصي بالإضافة إلى كونه عبداً له.وكان هذا الشخص «ابناً لإلهه بالمعنى الفيزيولوجي المباشر ولم يكن هذا الإله أوالآلهة أبا للـ(ابن) فقط بل للسلالة العائلية بالكامل فالإله الشخصي كان نفسه للابن والأب والجد وهكذا إلى بقية العائلة وهذا ما يؤكده النص الآتي:

إلى إلهي، أبي، قل لي هكذا يقول عبدك(...)

لماذا تزدريني؟ من سوف يعطيك آخر مثلي،

اكتب إلى الإله مردوخ الذي يحبك،

واطلب منه أن يغفر لي ذنوبي لأرى وجهك،

سألحس أقدامك، اعطف على عائلتي،

الصغار والكبار، اعطف علي من أجلهم...» (الشمري وفيروز 2016: 1959).

كان الإله الشخصي من الآلهة الثانوية في الغالب، لكنه قد يكون عند بعض الملوك من الآلهة الكبيرة المعروفة،.

أشهر الآلهة الشخصية هو الإله لاماسو (بالسومرية لاما) وهو ذكر أما صيغته الأنثوية فهي(لاماتو)، كان السومريون يتصورونه على شكل ثور جالسٍ بوجه إنسان، وهو ذاته الذي تطور عند الآشوريين إلى الثور المجنح الذي أصبح حامياً للمدن.

آلهة التضحية: وهي الآلهة التي يضحى بها من أجل خلق الإنسان من دمها ومن الطين، وكان الإله المضحى به عند السومريين هو (وي) وعند البابليين هو (أويلاه) وكذلك (كنكو).

«وفي النصوص البابلية، بعد أن خلق مردوخ السماء أراد مردوخ خلق كائن يسمى الإنسان وعرض المشروع على أبيه أيا فوافق ورأى أن من الضروري التضحية بأحد الآلهة حتى يمكن خلق الإنسان:

أجابه أيا وقال له كلمة

من أجل راحة الآلهة شرح له تفاصيل الخطة،

ليسلم أحد إخوتهم، ليدمر ذلك الإله كي يمكن خلق البشر.

ليجتمع الآلهة العظام

ليسلم المذنب ويتحمل الآلهة ذلك(؟)على أنفسهم»

وتشير الملحمة بشكل صريح إلى الإله المضحى به والذي خلق الإنسان من دمه:

من منكم أوغر صدرتايامت

كنكو كنكو هو الذي ثار،

قتل كنكو قطعت شرايينه،

سال الدم ومن الدم خلق الإنسان،

خلق الإنسان ليعبد الآلهة، ويخدمها» (الشمري وفيروز 2016: 1961).



خمسة عفاريت بابلية: لخمو، باشمو(التنين الأفعى)، موشوشو من «السومرية موش خوش»، أوجولا، أوريدمّو

الروح: لم يختلف تصور الروح عند البابليين عنه عند السومريين، فهي كيان أثيري يشكل طاقة الجسد وقدرته على التواصل مع الآلهة والكون، فتنفصل الروح عن الجسد عند

الموت وتذهب إلى العالم الأسفل وليس إلى السماء، وفي العالم الأسفل تعيش مع بقية الأرواح في عالم مقفر مترب بلا حساب ولا جنة ولا نار.

أما الأرواح التي لا يدفن جسدها فتهيم في عالم الأرض وفي أماكنه المقفرة مثل الشياطين وقد تكون خيّرة أو شريرة ويتوقف ذلك حسب طريقة موت صاحبها وحسب طبيعتها، ولكنها بشكل عام تهاجم الناس وتطلب الراحة بصراخها.

العالم الميتافيزيقي: عالم الآلهة يسيطر عليه من قبل مجمّع الآلهة (بانثيون) فهناك إله بعيد لا شأن له بالعالم هو الإله (آنو) وقرينته (آنتو) أما ملك البانثيون البابلي ورئيسه فهو الإله مردوخ الذي يترأس المجلس الأصغر المكوّن من سبعة آلهة والمجلس الأكبر المكون من خمسين إلهاً.

وكانت الكواكب بمثابة مساكن للآلهة فالشمس مسكن الإله شمش الذي هو إله الضوء والعدالة، والقمر مسكن الإله سين وهو إله النور والمحبة والمؤثر على المد والجزر وتنوع النباتات وغيرها، والزهرة مسكن الإلهة عشتار إلهة الحب والجمال والحرب أيضاً، والمشتري مسكن الإله مردوخ وهكذا... وهو ما يجعل البعض معتبراً الديانة البابلية ديانة عبادة كواكب وهذا غير صحيح لأن تقديس الكواكب هو جزء منها وليس كلّها.

ثانياً: المعتقدات (الدنيوية) العملية

كان البابليون متسامحين، دينياً، ولا يجبرون أحداً على الدخول في دينهم، ولكنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مرتبطين بالإله (مردوخ) وأنه اختارهم كشعب له وأنه يرأف بهم أكثر من غيرهم وهذا أمر طبيعي في عبادة الإله التفريدي. لكن الخطورة تكمن في جعل شعب واحد محدد مختاراً من قبل الإله التوحيدي أي أنه يكون الشعب الأفضل في العالم كله وهو ما حصل في اليهودية بشكل خاص.

النبوة درجة دينية عليا في الأديان التوحيدية لم تكن موجودة في الأديان السامية التي سبقتها، لكننا لا بد أن نشير إلى أن هذه الكلمة لها علاقة بالإله البابلي (نبو) وهو إله المعرفة والذي له جذور سومرية تسميه (توتو، نبو) وهو (تحوت) المصري والذي نعتقد أن له كهنة أعلون يسمون (نبو) أو (نبي) وهو ما جعل هذا المنصب يتسرب إلى الأديان التوحيدية، خصوصاً أن (نبو) هو ابن كبير آلهة بابل (مردوخ).

لم يكن مبدأ الثواب والعقاب موجوداً في عالم ما بعد الموت في الديانة البابلية، ولكنه كان موجوداً في الحياة.

كانت إقامة الواجبات الإلهية من قبل الإنسان أمراً يرضي الآلهة ويجعلها تردّ عليه بثواب قوامه الصحة والإنجاب والثروة والسعادة.

أما اختراق القانون الإلهي وانتهاكه من قبل الإنسان، في الحياة، فكان أمراً خطيراً يؤدي إلى تخلي الإله أو الآلهة عنه، وأول ما يتخلى عنه هو (الإله الحامي) الذي يصعب استرضاؤه فيما بعد أو جعله يعود حامياً للإنسان المخطئ.

ولعلّ في أشهر قطعة حكمة بابلية تسمى (لود ـ لول بيل ـ نميقي) أو (لأمجدّن ربّ الحكمة) خير شاهد على العذاب الإنساني الذي نتج عن خطأ كهذا.

كانت فكرة الخطيئة، التي هي سبب العقاب، حالة جسدية ونفسية ولم تكن مجرد فكرة ولذلك فهي تنعكس على الجسد والنفس بقوة وتؤدي إلى العقاب.

تظهر مؤشرات الحلال والحرام قوية في القوانين البابلية وخصوصاً في حقل الأحوال الشخصية فقد جاء في بعضها أنه من الحلال اختيار الرجل للزوجة التي يريدها، ومن الحرام الاتصال الجنسي بها قبل الزواج، وهناك من المحرمات الأخرى مثل اتصال المرأة الجنسي برجل آخر، أو اتصال الرجل الجنسي بالابنة وزوجة الابن والأم.

كان القضاء والقدر مرسومين من قبل الآلهة على الإنسان وكان عليه أن يقبل بهما، وكان الإله (إنليل) ثم الإله (مردوخ) مسؤولين عن ألواح القدر التي كانت تدون فيها ما يحدث للعالم والبشر، وحين قام الإله الطائر (زو) بسرقة ألواح القدر من إنليل فقد العالم توازنه واغتصب السلطة والسيادة وعمّ الصمت وسرقت هيبة الحرم المقدس حتى تمكن الإله (ننورتا) من استعادة الألواح وبتر جناحي زو وقدمه أسيراً للآلهة ثم قتله.

كان التشجيع على الزواج والإنجاب أمراً مهماً في الديانة البابلية وكان الأبناء يحيون على حبّ الآلهة والتقيد بتعاليمها، وظهرت حالات التبني للأطفال الأيتام.

كانت طبقة الحكام مكونة من (الملوك ورجال الدين) أما طبقات الشعب فمكونة من (الأحرار، الموشكينو، العبيد) وكانت طبقة الأحرار مكونة من أصحاب المزارع والتجار والحرف الأخرى، أما الموشكينو فهي الطبقة الوسطى من المعتدلين في حياتهم وبضمنهم الفقراء الأحرار، والعبيد هم من سكان البلد الأصليين المعدمين ومن الأسرى الأجانب..
وكانوا يتبعون أمهاتهم في النسب عكس بقية الطبقات الذين يتبعون آبائهم.

كانت الزوجة الواحدة هي العادة السائدة في الزواج وكان وجود زوجة ثانية أمراً منفراً وله شروط وحقوق وواجبات تنص عليها شرائع الآلهة. وكانت المرأة المطلقة أو الأرملة تختار زوجها بمحض إرادتها.

كانت المرأة تحظى بمركز اجتماعي عظيم فلها أموالها الخاصة وشهادتها كشهادة الرجل وتعمل في التجارة والوظائف الأخرى.

ثالثاً: المؤسسة الدينية

1.الآلهة:

كانت الآلهة تنتظم في مجلس يسمى بالسومرية (أوكن Ukkin) وبالأكدية (بو ـ روم - Pu rum)، وهو ما يدل على مجلس القضاء والمدينة، وكان هذا المجلس، في البابلية، يقاد من

قبل مردوخ ملك الآلهة.

أصبحت المؤسسة الإلهية البابلية أكثر تماسكاً وقوة بسبب مركزية (مردوخ)، فقد عمل كهنة هذا الإله على إضفاء الهيبة والجلالة عليه وعلى معبده، وكان تمتعه بخمسين اسماً يمنحه القدرة على امتلاك طاقة خمسين إلهاً.

الطبقة التي تلي مردوخ تتكون من الآلهة الأبناء والأحفاد ممن لهم علاقة بالطبيعة وعناصرها، أما الطبقة الأخيرة السفلى فتتكون من آلهة العالم الأسفل وشياطينه.

الطبقة الأعلى (الأولى) تتكون من الآلهة التي سبقت وجود مردوخ وهم آلهة الخليقة الذين تذكرهم أسطورة الخليقة البابلية ابتداءً من تيامت وزوجها أبسو ووصولاً إلى (إيا) إله الماء والأرض والد مردوخ.

2. المؤسسة الكهنوتية:

انفصلت المؤسسة الكهنوتية عن المؤسسة الملكية وعهد للكهنة المختصين (شانجو) العمل على تأسيسها تحت إشراف الكهنة الكبار الذين كان يجب أن يكونوا سليمين من الناحية الصحية والتعليمية، وكان من «يدخل من المحراب (أريب بيتي Eribbiti) بصحبة أولئك الذين يقومون بتقديم القرابين وصب السكائب والتطهير، والمسح بالزيت، في حين ينشغل آخرون بتهدئة إله غاضب عن طريق تلاوة التعاويذ والرقى أو عن طريق الغناء والإنشاد والموسيقى. ويعمل كهنة التعاويذ والعرافون داخل المعبد وخارجه وكثيراً ما يذهبون إلى المنازل الخاصة. وحول المعبد توجد بيوت الخصيان، وعبيد المعبد، والبغايا المقدسات، فضلاً عن جيش ضخم من التجار والحرفيين والجزارين والنجارين وعمال المعادن والفضة والخشب الذين يقومون بإعداد القرابين وصيانة المبنى وما يحتوي عليه من تماثيل، كما يقوم الرعاة بالعناية بقطعان المعبد والفلاحون بالحقول» (باردنر: 1993: 25).



هرم المؤسسة الدينية البابلية

3.المعابد والمباني الدينية:

يسمى المعبد بالسومرية (إي (Eوبالأكدية (بيت، بيتو Bitu)، ويسمى المعبد بيت الإله (بيت إيلي bit - ili)، وكان الإله مردوخ يعبد كإله ثانوي قبل ظهور بابل ثم عبد في معبده (أي ساجيل، إيساجيلا)، بينما كان الإله نرجال، وهو إله شمسي نظيراً لمردوخ في العالم الأسفل، يعبد في مدينة (كوثى) ويسمى معبد (أي ـ ميسلام، ميسلام) ومعناه (شجرة الميسة اليانعة) وقد شيده الملك السومري شولجي.

بلغ عدد المعابد، الصغيرة والكبيرة، في مدينة بابل 1179 معبداً، فيما بلغ عدد المعابد الكبيرة المخصصة لعبادة مشاهير الآلهة 153 معبداً، وهناك المزارات الصغيرة واماكن تقديم القرابين التي توزعت على شوارع المدينة، واهم معابد بابل هو المعبد الرئيسي الضخم المخصص لعبادة الإله مردوخ والذي يعرف بـ (معبد إيساكيلا) الذي يقال إن بوابته كانت من البرونز وان اعمدة سقوف غرف المعبد قد غلفت بالذهب كما أن وزن تمثال الاله مردوخ بلغ زهاء ثلاثة أطنان من الذهب، وكان موقع هذا المعبد التل الأثري في مدينة بابل القديمة وتحديداً، تحت مرقد عمران بن علي الحالي، بعمق يصل إلى 18 قدماً تحت الأرض، وكانت محتوياته قد سلبت من قبل الاخمينيين الفرس عام 539ق.م.

كانت المعابد البابلية بمثابة مؤسسات اقتصادية كبيرة على الأرض رغم وظيفتهم الدينية، بل يمكننا القول أن رجال الدين استثمروا الوظيفة الدينية لتدعيم الجانب الاقتصادي للمعابد لكي يتمكنوا من تكوين أموال خاصة بهم تضمن لهم السيطرة على الناس وعلى المؤسسة السياسية.وكانت سلطة المعابد ورجال الدين أكبر بكثير من سلطة المؤسسات السياسية والملك في بابل الكلدية.

استطاع الجهاز الإداري للمعبد البابلي أن يحكم سيطرته الاقتصادية وكان مؤلفاً من ثلاثة إداريين هم: (شتامّو أي حارس المنطقة، كبّو أي الناظر، أبشارو أي الكاتب) وكانوا يقومون بعمليات تأجير الأراضي ومقاطعات المعبد الواسعة وتحديد الحقوق والواجبات الخاصة بتنظيم قنوات الريّ والإشراف العام على إنتاج الأراضي والقنوات وغير ذلك.

كان هناك، في بابل، ما يعرف بـ (المنطقة المقدسة) التي كانت تضم المعابد المهمة والكبيرة الواحد جنب أو لصق الآخر والمجهزة بقنوات لتصريف المياه خارجها، وكانت هذه المنطقة محاطة بسورٍ يحتوي على ستة أبوابٍ.

كان عدد المعابد البابلية، ينافس المؤسسات الحكومية والسياسية. وكانت المعابد البابلية تناظر المعابد السومرية وتتفوق عليها بمنحوتاتها التي تظهر في الأجزاء المدورة والبارزة برسومات ومنحوتات الآلهة والمصلين، وكانت المسلات البابلية لنصوص الشرائع وليس لتسجيل الانتصارات.

ويمكن وصف شارع الموكب بـ (الشارع المقدّس) لأنه كان شارع الاحتفالات الدينية (طوله 710 كم) وعرضه (10 ـ 20 م) المرصوف بنوعين من الحجارة البركانية ذات اللون الأرجواني، خصوصاً في احتفالات الأكيتو، وهو يبدأ من خارج سور المدينة ثم يخترق مدخلها (بوابة عشتار) ويستمر متجهاً نحو الجنوب حتى يصل إلى سور زقورة (الإيتمنانكي) ومعبد مردوخ (إيساجيل) ثم يتجه نحو (بيت أكيتو) الذي يقع خارج مدينة بابل.

وهناك شارع موكب الإله نبو الذي يأتي من مدينة بورسبّا ويدخل مدينة بابل للاشتراك في طقوس رأس السنة البابلية.

أهم معبد بابلي هو هيكل مردوخ (إيساجيل) الذي بلغت مساحته 550 م2 وكان، مع الإيتامامنكي، يحتلان قلب بابل. وكانت له زقورة ترتفع لمدى 90 متراً فوق الأرض. وتعني كلمة إيساجيل (معبد الرأس العالي).

4. علاقة المؤسسة الدينية بالمؤسسة السياسية:

أصبح لرجال الدين، في بابل، سيطرة كبيرة على الملك ومؤسساته بحكم نفوذهم في حياة العامة وثقل مكانتهم الاقتصادية، وكانوا يتحكمون بتعيين الملوك وتنصيبهم، فقد نصبوا آخر ملك بابلي هو (نبونائيد) الذي كان رجل دين له مكانة كبيرة في عبادة الإله القمر (سين). وكانوا هم من يبارك الملوك ويبررون سلطتهم.

«يمكن القول أن الملك كان يتوازى مع النموذج الإلهي ولكن دون أن يصبح إلهاً. إنه يمثل الإله، الأمر الذي اقتضى في مراحل قديمة من الثقافة، أن يكون بنوعٍ ما ممثلاً لصورته.. على كلّ حال، وبوصفه وسيطاً بين عالم البشر وعالم الآلهة فإن الملك (الميزوبوتامي) كان ينجز في شخصه ذاته، اتحاداً شعائرياً بين الوضعين في الوجود، إلهي وبشري، وأنه بفضل هذه الطبيعة المزدوجة كان الملك يُعتبر، على الأقل، مجازياً خالقاً للحياة والخصب. إلا أنه ليس إلهاً عضواً جديداً في البانثيون (كما كان فرعون مصر). إن المؤمنين لم يكونوا يتوجهون إليه بصلواتهم، بل على العكس، إنهم كانوا يدعون الآلهة ليباركوا مليكهم لأن الملوك رغم علاقتهم الصحيحة مع العالم الإلهي، ورغم الزواج المختلط Heiros games مع بعض الربّات، لم يتوصلوا لتحويل الشرط البشري. وفي نهاية المطاف، لقد بقوا خاضعين للموت. ولا ننسى أنه حتى ملك أوروك الأسطوري جلجامش قد أخفق في شروعه الهادف لاكتساب الخلود» (إلياد 1986-1987: 101).

رابعاً: معتقدات الأبدية

دوّن البابليون أجرأ محاولة لنيل الخلود في وادي الرافدين عن طريق ملحمة جلجامش من أصول سومرية ما زال بعضها مفقوداً، كانت النسخة البابلية القديمة (في زمن حمورابي تقريباً) مكونة من ثمانية ألواح، ثم ازدادت النسخة البابلية الوسيطة إلى أحد عشر لوحاً وفي العصر الآشوري أصبحت مكونة من اثني عشر لوحاً.

وفي المقابل كانت هذه آخر محاولة للبحث عن الخلود، فقد خلص الفكر البابلي إلى أن الخلود الجسدي أمرٌ مستحيل وأن من الصعب التماثل مع الآلهة في خلودها الأثيري. لكن خلود الإنسان يكمن في اسمه وعمله وما يقدمه للناس وفي نسله الذي يحفظه من الضياع.

المبحث الثاني: المِثولوجيا الدينية

أولاً: الرموز الدينية

استمر البابليون بوضع الرموز الدينية سيراً على نهج السومريين فكانت مقاربة لها، وسنتناولها حسب شجرة الآلهة التي وضعناها.

1.تيامت: رمزها هو الأفعى التي ظهرت في الرسومات البابلية والآشورية بشكلين هما الأفعى الزاحفة ذات القرن واليدين، والأفعى المجنحة بيدي أسد وقدمي نسر وجسد حرشفي وقرنين في الرأس ونتوء بارز بين الفخذين. وهي تينية البحر المتوحشة ورسمها هذا جاء من ريليف في نمرود الآشورية.

2. إيا: إله الماء البابلي ويناظر الإله السومري (إنكي) وكانت رموزه على شكل رأس خروف مع ساقه (1800) ق.م، وعلى شكل خروف سمكي على ظهره معبد يظهر منه رقبة ورأس كبش (1200)ق.م وعلى شكل دكة المعبد المقرّنة (1200) ق.م وعلى شكل خروف يخرج من معبد على قمته رأس كبش حرشفي (نهاية الألف الثاني ق.م) ومن هذه الفترة يظهر أيضاً على شكل سلحفاة.

4.رمزه السومري القديم هو (دنجير) الذي يشير إلى الاتجاهات الثمانية، وهو إله السماء البابلي الذي يظهر رمزه، الذي يسمى بالسومرية (كي.لوس Ki.Ius) الذي يظهر كقبعة مسطحة ذات قرون موضوعة على دكة المعبد المقرّن. وقد أصبح رمز المعبد المقرن رمزاً للإله إنليل أيضاً. وقد يظهر على شكل تاج طويل موضوع فوق دكة مطوق بأزواج من القرون تتراوح ما بين ثلاثة إلى سبعة قرون تتجه نحو الأعلى

4. موش خوش Mush. Kuush، موشوشو Mushussu، سرّوش Sirrush، بشمو Bashmu: وهو التنين المصاحب لمردوخ والمكون من تركيب بضعة حيوانات (جسد حرشفي أفعواني ورأس أفعى، أرجل خلفية تشبه مخالب النسر، أرجل أمامية تشبه أقدامها أقدام الأسد...).

صيغة موشوشو أكدية مترجمة عن الصيغة السومرية موش خوش التي تعني (الأفعى الحمراء) أو الثعبان العنيف، نجدها على بوابة عشتار. وهو الحيوان المقدس لمردوخ وابنه نابو في الإمبراطورية البابلية الحديثة، وقد استولى مردوخ على هذا الكائن من تشباك الإله المحلي لأشنونا.

تسمى كوكبة هيدرا في النصوص الفلكية البابلية باسم بشمو (الثعبان موش) الذي يحتوي على جذع سمكة وذيل ثعبان ومقدمة أسد وساقين خلفيين للنسر مع أجنحة وبرأس يشبه التنين.. وقد يكون هذا الكائن هو الملهم في تصوير هيدرا الإغريقية.

5. كي (ننخرساج) زوجة إيا وأم مردوخ وكانت تحمل رمزاً بابلياً عبارة عن معبد عليه شكل الرحم.

6.أسد بابل: هناك عدة أشكال ورسومات للأسد في بابل، والأسد المعروف بـ(أسد بابل) والذي عثر عليه في مدينة بابل الأثرية في العراق في سنة 1776 من قبل بعثة حفريات أثرية ألمانية، مصنوع من حجر البازلت الأسود الصلب الذي لا يوجد منه في العراق، يظهر على شكل أسد يقف على شخص بشري، ويرجح بناؤه من قبل الملك البابلي الكلدوي

نبوخذ نصر الثاني (605-562 ق م)، لكن بعض العلماء رجّحوا أنه يعود إلى فترة الحيثيين، أو أنه من غنائم البابليين أثناء فترة حكم نبوخذ نصر الثاني أثناء إغارته على بلاد حاتي.

هو رمز لقوة ولعظمة المدينة فالأسد يمثل مدينة بابل وهو ينقضّ على فريسته، والرجل الذي تحته يرمز لصراع الأعداء مع بابل حيث اليد اليسرى للمصارع تتوقى فم الأسد والرجل اليسرى معقوفة، ويمكننا التعرف على هوية الرجل الأجنبية من وزرته التي يأتزر بها.

وبشكل عام فإن الأسد في جدران شارع الموكب وعلى جدارية نبوخذ نصّر يظهر حوالي (مائة وعشرين مرة) بهيأة أخرى، وهو تجسيد لقوة بابل وفرض سلطتها على الشعوب، وهو يمثل رمز تموز حين يظهر مع عشتار البابلية.

7.ثور بابل: هو ثور الإله أدد إله الطقس والعواصف، ويظهر أحياناً على أنه رمز للقمر.



أسد وثور وتنين بابل المرسومة على بوابة بابل

/https://nl.pinterest.com/pin/496944140115019466



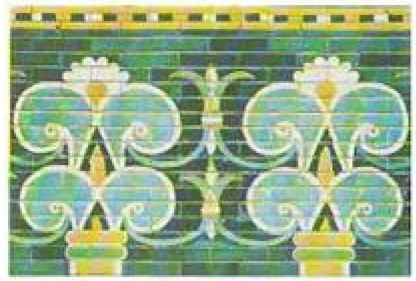
تمثال أسد بابل

زهرة اللؤلؤ (الأقحوان): ترمز زهرة الأقحوان (اللؤلؤ) للإلهة عشتار باعتبارها إلهة كوكب الزهرة التي تظهر بشكل عام بأشعة ثمانية، لكن زهرة الأقحوان ذات المركز الأصفر والوريقات البيضاء الطويلة المحيطة به فتظهر، في الزخارف البابلية، بعدد أكبر من ذلك. وتعبر هذه الزهرة التي تسمى بزهرة الدنيا وزهرة المرأة وزهرة العمر وزهرة عشتار وزهرة الربيع عن الحب والحياة والرفاهية.

وهي زهرة البيبون (البابنج) التي ترمز زهرة البابونج في بابل إلى: الربيع، الطهر، النصر، السعادة، حماية الإلهة عشتار.



زهرة البيبون بتشكيل مبدع على بوابة عشتار



مزاوجة زهرتي اللؤلؤ واللوتس

بوابة عشتار: رمز مدينة بابل، وقد تحدثنا عنها في الفصل الأول.



رموز الآلهة الكاشية البابلية:

عبد الكاشيون خليطاً من آلهتهم الخاصة والآلهة البابلية، أهمها إلههم القومي شقمونه (شيكامونو) وهو الإله المرتبط بالملوك الكاشيين.

ثانياً: شجرة الآلهة البابلية

تتكون شجرة الآلهة البابلية من أربعة أجيال كبيرة من الآلهة هي:

أولاً: الآلهة العتيقة (الهيولى) عددها 3:

1. أبسو: إله المياه العذبة.. ماء النهر وهو الإله الأب الأول البابلي

2. تيامت: إلهة المياه المالحة.. ماء البحر وهي الإلهة الأم البابلية الأولى

3. ممو: إله الضباب وهو ابنهما الأول وخادمهما.

ثانياً: آلهة الكون الأول (عددها 4):

وحين دبّت الحركة في الآلهة الثلاثة السابقة نتج عنها أزواج من الآلهة هم:

1. لخامو إله الطمي + لخمو إلهة الطمي

2. إنشار إله الأفق الأعلى + كيشار إلهة الأفق الأسفل

ثالثاً: آلهة العناصر الأربعة (عددها 4):

1.. آن إله السماء (إله النار) + كي إلهة الأرض (إلهة التراب)

2.إنليل (إله الهواء) + إيا (إله الماء)

رابعاً: آلهة الكواكب السبعة والطقس، هي:

1. ننورتا: زحل ابن الإله إنليل (الهواء)

2. مردوخ: المشتري ابن الإله إيا (الماء)

3. نرجال: المريخ ابن الإلهة كي (الأرض)

4. نبو: ابن الإله مردوخ (المشتري) وهو الإله عطارد

5. سين: إله القمر ابن الإله مردوخ

6. عشتار: إلهة الزهرة ابنة الإله سين إلهة الحب والجمال والحرب

7. شمش: إله الشمس ابن الإله سين، إله الشمس والعدل

خامساً: آلهة الأرض والعمران: وتضم آلهة الفصلين الأساسين (إيمش: الصيف، إينتين: الشتاء)، وآلهة الرياح الأربع، والمهن الأربع الكبرى (لحار: الراعي، إنكمدو: الفلاح، كورو: المعادن، أنشان: الحبوب والغلّة).

وتضم أبناء الإله الشمس من (آيا) هم: بونينه (سائق عربة الشمس)، خار (سيد الحيوانات البرية)، سموكان (سيد الحيوانات الجبلية، سيسكال (العاصفة)، نكجينا (الحق)، مامو (الأحلام).

سادساً: آلهة العالم الأسفل: وهم نرجال وزوجته أرشكيجال ونسلهما. وكذلك الحكام المتألهون وهم (جلجامش، تموز..إلخ) ويسمى العالم الأسفل باللغة الأكدية (إرصتو: الأرض، صرو: البادية...إلخ)

نرجال: «واعتبرت الإلهة «كوتو ـ شارا» وتعني الملكة العظيمة أماً له، وذكر أيضاً بأنه ابن للإلهة «بعلة ـ إيلي». وهو لقب كان يطلق بالدرجة الأولى الإلهة «دام ـ كينا» زوجة الإله «أيا»، أما رسوله العظيم ومستشاره في العالم الأسفل فكان الإلهة «أيشوم». لقب الإله نركال بعدة ألقاب منها المفجع «gur ـ u» و«واللاكلا» و«اللامو»، «المو»، «بل ـ تشا»، «بعل –صربي» وهذا اللقب يعني «سيد شجرة الصفصاف» ومن ألقابه أيضاً البطل «ga ـ dun» والموقد المقدس «ku-e-gir» وغضب العالم الأسفل «uru ـ hus» والعديم الشفقة «la ـ ma-har»، والرجل المرعب «Iu-hus»، وملك البحار السفلية «lugal-a-a-ba-ba»، والملك المسبب لكوارث الشمس «lugal-du-su-a» ملك كوثي «agi-lugal-gu-du»، الملك المحارب المرعب «gud-si-su ـ lugal» وملك الأرض العظيمة «ki-gu-la» وملك النهر «نهر العالم الأسفل lugal-id-da» والكثير من النعوت أو الألقاب الأخرى.» (علي 2018: 57-58).

«أما الشهر المخصص لعبادة الإله نركال فكان يدعى «كسليف» وهو شهر كانون الأول ويكون ترتيبه الشهر التاسع في السنة البابلية التي تبدأ في نيسان، ومن ضمن الشعائر التي كانت تقام له في هذا الشهر رفع المشاعل في الليل في بيوت وشوارع المدن البابلية والآشورية إذ كان في اليوم الأول منه يسكب الماء وينشر التمر في الهواء وفي اليوم الخامس والسادس عشر منه يسكب الماء لزوجته الإلهة إيريش ـ كيكال، وإضافة إلى هذا الشهر كان اليوم السابع والعشرون من شهر نيسان يشهد إقامة الشعائر المصحوبة بالترانيم إلى الإله نركال.» (علي 2018: 76).

وكانت الإلهة أرشكيجال إلهة العالم الأسفل نظيرة للإلهة عشتار تحت الأرض. أما الإله نرجال (زوجها) فهو إله العالم الأسفل نظير الإله شمش تحت الأرض.



الإله أدد ورموزه وحيوانه الخرافي الذي يخرج من فمه البرق

ثالثاً: الأساطير البابلية

1.أساطير الخليقة (التكوين)

هناك أربعة أساطير مهمة للخليقة البابلية وهي على التوالي:

1. أسطورة الخليقة الأساسية (إينوما إليش)

2. أسطورة الخليقة الكوثية

3. أسطورة (دنّو)

4. أسطورة برعوشا التي رواها عن خلق العالم في شذرات من كتابه (بابلونيا)

تعد أسطورة الخليقة البابلية (إينوما إليش) أندر وأعرق وأوسع أسطورة خليقة أو تكوين (Gensis) في العالم القديم، وهي بسبب عراقتها هذه كانت مصدراً أساسياً لأغلب أساطير التكوين في ذلك الوقت. وتبدأ الأسطورة بذكر (الاسم) باعتبار أن إطلاق الكلمة هو فعل الخلق الأساسي في العقيدة الدينية البابلية.

أ. ثيوغونيا (خلق الآلهة)

يبدو أن العماء الكوني الأول كان مكوناً من ثالوث إلهي هو: (تيامت، أبسو، مُمّو).

بدأ فعل الخلق عندما تحركت هذه الآلهة وظهر من حركتها آلهة جدد هم آلهة: (الطمي، الأفق، السماء) ثم أنجبت السماء الماء الذي هو (إيا) ويلاحظ اختفاء الإله إنليل من هذه المنظومة الكونية البابلية، لأنه الإله القومي لسومر، ولذلك عبر عنه الكهنة البابليون عندما دوّنوا هذه الأسطورة وأصبحت قدراته كلها في الإله مردوخ الذي سيتحول إلى الإله القومي لبابل.

إذا كانت تيامت تمثل مياه البحار المالحة، وأبسو يمثل ماء الأنهار العذب، فإن مُمُّو الذي يوصف بأنه حاجب أو وزير أو ابن أبسو يمثل الضباب الذي يخيم على اختلاطهما.

وواضح أن هذه الصورة مأخوذة من مصبي دجلة والفرات (آنذاك) في الخليج العربي وربما في الأهوار كما يلمح النص لذلك.

إن قتل (إيا) لأبيه (أبسو) هو أول إشارة لفكرة قتل الأب التي سيتكرر صداها في أساطير الخليقة ونشوء الآلهة.

اختار (إيا) هيكل المصائر لسكناه. اختار (إيا) (دام ـ كينا) الآلهة زوجة له وأنجب منها ولده العظيم مردوخ، شمخ كالطود كان مديد القامة، نظراته كالبرق ومشيته كالفحل، عندما رآه (آنو) فرح وامتلأ قلبه بهجة وحبوراً، رفع شأنه بين الآلهة وزاد قدره عليهم فكان أرفعهم مقاماً وأسبقهم في كل شيء، بفن بديع تشكلت أعضاؤه لا تدركه العقول ولا يحيط به خيال، أربعاً كانت آذانه وأربعاً عيونه تتوهج النيران كلما تحركت شفتاه اتسعت آذانه الأربع كلما اتسعت عيونه فأحاط بكل شيء.. كان الأعلى بين الآلهة، ما لهيئته نظير، هائلة أعضاؤه سامقة قامته، عظّموه، بجلّوه الابن الشمس، شمس السماوات، مثل نوره كنور عشرة آلهة معه، الجبار العتيّ، أُسبغت عليه الجلالة النورانية المهيبة، خلق (آنو) الرياح الأربع وأنشأها وأسلم أمرها لسيد الرهط، (مردوخ) الذي أحدث الأمواج فاضطربت لها (تيامت) قلقة. صارت، تحوم على غير هدى ونسيت الآلهة القديمة الراحة، وفي خضّم العواصف أضمروا الشر في سرائرهم وجاؤوا إلى أمهم (تيامت).

تشير الأسطورة إلى أن تيامت تنجب هذه الأسلحة أو الكائنات المسخ الرهيبة دون الحاجة إلى ذكر وقد يوحي بأن هذه الكائنات هي باطن تيامت المليء بالشرور والمسوخ.

ومعروف أن الأسطورة عندما تصم الإلهة الأم البابلية الأولى بالشرور هكذا فإنها تشير إلى ماضٍ أمومي مقيت بالنسبة لمؤلفيها ويكتمل هذا الانقلاب الذكوري تماماً عندما سيقوم مردوخ بقتل تيامت وتفسيخ جسدها.

هذه النظرة للأم والماضي الأمومي غير موجودة عند السومريين، ولذلك فهي صنع كهنة يعكسون طبيعة العقل السامي المتميز بالذكورية والمركزية وحب السلطة.

يبدو أن خوف وتراجع الآلهة الجدد كان في مقدمة لجعل مردوخ بطلاً ويوضح هذا أيضاً جعله إله بابل القومي حيث تصبح الآلهة في المحيط، بينما يصبح مردوخ في المركز وهذا

هو ما يسميه علم الأديان بالتفريد Henotheism وهو مرحلة دون التوحيد فوق التعدد. ويمثلها هنا مردوخ خير تمثيل.

تأتي فكرة الأسماء الخمسين للإله مردوخ من أن الرقم الرمزي أو السري لهذا الإله هو (50)، وسبق لنا أن عرفنا أن الرقم السري للإله (إنليل) هو (50)، وبذلك يتأكد لنا من أن مردوخ ورث صفات إنليل السومري. وكان الإله إنليل يترأس مجلساً إلهياً يسمى (الأنونا) أي مجلس الخمسين إلهاً. ويبدو أن استبدال مردوخ بالإله إنليل عند البابليين وإمعاناً في تفريد مردوخ جعلهم ينسبون لمردوخ أسماء هؤلاء الآلهة، بدليل أن أسماءهم في هذه الفقرة ترد باللغة السومرية، ولها معاني خاصة. إن إعطاء الإله مردوخ هذه الأسماء هو نوعٌ من سلب صفات هذه الآلهة وتهميشها وجعلها في مردوخ. ونعتقد أن النقوش التي على ثوب مردوخ في رسمه الشهير هذا ما هي إلّا بعض رموز الأسماء الخمسين.



الإله مردوخ مع كائنه ورمزه موش خوش

وقد تكون رمز مردوخ وهو موش خوش المكون من سبعة حيوانات معروفة في حيوان خرافي واحد يسعى ليخدم مردوخ ويرافقه، وربما جاءت فكرة القطة بسبع أرواح من مطابقتها مع هذا الحيوان الخرافي.

إن ألواح القدر التي يذكرها النص هي حسب التصور الأكدي ألواح مكتوب عليها مصير وحياة البشر والعالم، ومن يستطيع امتلاكها فإنه يستطيع حكم العالم والكون.

وعند السومريين كان الإله إنليل هو الذي يملكها. أما عند البابليين فقد كانت أولاً ملكاً للإلهة تيامت ثم تسلمها وزيرها كنجو ثم أصبحت ملك مردوخ واستلمها (نبو) ابن مردوخ الذي سيظهر فيما بعد وكأنه هو الذي كتبها. وهناك ألواح قدر خاصة بالعالم السفلي مؤلفتها والمسؤولة عنها الإلهة (بلت صيري) ويمكن أن تكون حاوية على أسماء الموتى ومصائرهم.

الصراع بين البطل والتنين موضوع أثير في عموم أساطير العالم وملاحمه.

ومن أجل تمجيد مردوخ كانت الآلهة الأولى (عصر البدء)، وعلى رأسهم تيامت، مثقلين بالقيم الشيطانية. إن تيامت ليست فقط المجموعة العمائية البدائية التي تسبق كل نشكونية Cosmogony، بل ظهر أيضاً أنها صانعة الغيلان التي لا حصر لها.

إن إبداعيتها سلبية تماماً. ذلك هو ما تثيره الإينوما أيلش، فالتقدم الخلّاق تعرض، في وقت مبكر جداً، للخطر برغبة أبسو إعدام الآلهة الشباب، أي باختصار لوقف الكون في بذرته.

صارت تيامت المصدر الأول للسحر الأسود عند البابليين بسبب جيشها العفاريتي وأسلحتها الشيطانية وسمومها، ويتضح لنا من الأسطورة أنها استعملت السحر في أول وهلة للصراع بينها وبين تيامت ويبدو أن قتال مردوخ حصل بالدرجة الأساس مع تيامت، وما أن صرعها حتى هرب جندها فأسرهم ثم أسر قائدهم كنجو الذي سيكون الإله المذبوح.. مادة جسد الإنسان عندما تقرر الآلهة خلق الإنسان.

ب.كوزموغونيا (خلق الكون)

الكون البدائي انتهى دوره بموت تيامت، وها هو الإله الشاب مردوخ يصنع الكون من جديد، إن مادة صنع الكون، هذه المرة، لم تكن من المادة الهيولية الكاؤوسية الأولى، بل من

جسد تيامت، ولذلك تكون مادة الكون مادةً شريرة قابلة لقذف الشر في أية لحظة.

لكن مردوخ لا يصنع السماء والأرض. فقد تكونا قبله بل يصنع من جسد تيامت (شقها العلوي) السحاب، ومن شقها السفلي البحار، والسحاب والبحار يتناسبان مع الطبيعة المائية لتيامت.

ويقرر موقع الآلهة: فالسماء لآنو والأرض لإنليل ومياه الأعماق لإيا ونراه بعد أن نظم النجوم والكواكب يتجه لتنظيم الزمن من خلال القمر الذي يعد مصدر تنظيم الزمن في العراق القديم بسبب من طبيعته المتغيرة التي تؤشر تغير الزمن.

إن الكون ينقسم، إذن، إلى طبيعة مزدوجة: مادة شيطانية ومادة إلهية والقبة السماوية مشكّلة من نصف جسد تيامت، ولكن النجوم والأفلاك تصبح مقرات أو صوراً للآلهة. وإن الأرض ذاتها تضم النصف الثاني من تيامت، وأعضاؤها المختلفة، ولكنها تقدست بالمدن والمعابد وبنتيجة الحساب فإن العالم يظهر حصيلة لخليط من (أولية) عمائية وشيطانية من جهة، وإبداعية حضور وحكمة إلهية، من الجهة الأخرى. وهذه قد تكون الصيغة النشكونية الأكثر تعقيداً التي توصل إليها التفكير والتأمل البابلي.

ج.أنثروبوغونيا(خلق الإنسان)

جمعنا في هذه الفقرة أكثر من أسطورة بابلية في خلق الإنسان ووضعناها في سياق واحد، منها الجزء الخاص بخلق الإنسان في أسطورة الخليقة البابلية وحقيقة الأمر أن خلق الإنسان (أنثروبوغونيا) البابلي يتم بعدة طرق منها خلق الإنسان من الطين ودم الآلهة، وعن طريق الكلمة. ولكن الأسطورة الشائعة هي خلقه عن طريق مزج دماء آلهة العمل مع الصلصال.

الأسطورة الأولى للإينوما إليش: مردوخ يخلق الإنسان من دم كنجو والطين

ولا يأخذ الإله إنليل دوراً في هذه الأسطورة، في حين يأخذ مردوخ هذا الدور واضحاً في ملحمة الخليقة البابلية ويبدو أنه هو الذي رسم لإيا كيفية خلق الإنسان.

وتبدو حركة الآلهة التمردية وكأنها حركة تمرد حقيقية، تشبه ما يضعه الإنسان وهذا بالطبع يؤكد إحدى صفات الألوهية عن البابليين وهي تشبيه الآلهة بالإنسان (Anthropomorphism).

الأسطورة الثانية: في أوزوموا خلق الإنسان

تبدأ قصة خلق الإنسان البابلية من ثورة الآلهة الصغار ومطالبتهم للآلهة الكبار برفع العناء عنهم، وخلق كائن يقوم بخدمة الآلهة والعمل بدلاً عنهم.

في أوزوموا التي هي رباط السماء والأرض، أوزوموا المنطقة التي ما زالت الأرض تتصل فيها بالسماء، في منطقة دور إنكي، في اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر، في أوزوموا قال الإله (إيا):

ـ سأقيم طقوس الغسل، سأقيم الحمام وليذبح الآلهة إلهاً من بينهم إذ لا بدّ للطين من روح، جسد الأرض سيكون من الأبسو، نفسه، روحه ستكون من إله.

كان الآلهة يدورون وراء (إيا) و(مامي) يذهبون إلى حيث يذهبان يتطلعون إلى قرارهما وعملهما، كانوا كالزنابير على قطعة العسل فهمّوا وتداركوا الأمر وفكروا بالإله الذي يذبحونه فقال مردوخ لـ (إيا):

ـ عظم رأيك يا (إيا) وعلت مشورتك ولكن أيتها الآلهة.. أيتها الآلهة العظيمة.

فانتبه الجميع إلى مردوخ وأعطوه آذاناً صاغية، فقال:

ـ أريد منكم قول الحق.. وأقسم أني سأنفذ ما عليّ، من الذي بدأ أول الاضطراب في نواميس الخلق والآلهة، من الذي خلق النزاع والثورة، من الذي بسببه لم يهدأ العالم الأسفل

حتى الآن ومن بسببه أصبحتم تحملون السلة والفأس؟ أعني من دفع (تيامت) للثورة وأعدّها لقتالنا؟

2.أساطير العمران

أ. ثيو العمران (عمران الآلهة)

يرى الباحثون أن صعود الإله مردوخ إلى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية يعود إلى أسباب سياسية محضة، فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لا يذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي استطاع أن يمد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أقاصي حدود عالم الشرق القديم، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية، ومركز إشعاعها الحضاري.

وعبارة (ملك الآلهة) هي الإفصاح الدقيق عن مذهب التفريد الذي خّطه الكهنوت البابلي متأثراً بتفريد إنليل عند السومريين ولفظ (لوكال. دم. آن. كي. ا) (Lugal Dimmer An.Ki. A) تعني حرفياً (ملك آلهة الما فوق والما تحت) وهو لقب التفريد كما نرى.

تأتي فكرة الأسماء الخمسين للإله مردوخ من أن الرقم الرمزي أو السري لهذا الإله هو (50)، وسبق لنا أن عرفنا أن الرقم السري للإله إنليل هو (50)، وبذلك يتأكد لنا من أن مردوخ ورث صفات إنليل السومري. وكان الإله إنليل يترأس مجلساً إلهياً يسمى (الأنونا) أي مجلس الخمسين إلهاً. ويبدو أن استبدال مردوخ بالإله إنليل عند البابليين وإمعاناً في تفريد مردوخ جعلهم ينسبون لمردوخ أسماء هؤلاء الآلهة، بدليل أن أسماءهم في هذه الفقرة ترد باللغة السومرية، ولها معانٍ خاصة. إن إعطاء الإله مردوخ هذه الأسماء هو نوع من سلب صفات هذه الآلهة وتهميشها وجعلها في مردوخ.

ب.كوزمو العمران (عمران الكون)

يواصل مردوخ صناعة وتنظيم الطبيعة من جسد تيامت، وأصبحنا نعرف أن نهري دجلة والفرات ينبعان من عينيها وأن كل جزءٍ من جسدها له علاقة بالطبيعة، ولنلاحظ أن الإله (إنكي) أو (إيا) هو الذي ينظم الطبيعة في سومر، أما الإله إنليل فيعتني بالكواكب والظلام والأنواء.

لكن مردوخ هنا هو الذي يقوم بهذا الدور كاملاً.

وستصبح استعادة لحظة أو حادثة الخلق هذه من خلال العيد البابلي (أكيتو) هي عماد هذا العيد حيث يتضمن هذا السيناريو الأسطوري ـ الشعائري التمجيد للملك وأسر مردوخ (ويرمز هذا إلى ارتداد العالم للعماء) ما قبل (الكوني).

وفي مقبرة مردوخ كان الكاهن الأكبر يجرد الملك من شاراته (الصولجان والخاتم، والسيف والتاج). وكان خروج مردوخ إلى العالم هو بدء خلق الكون من جديد.

يوزع مردوخ آلهة الأنوناكي (وهم آلهة السماء والأرض).

ثم يبني مركز الأرض (آنذاك) بابل، ويبني في مركزها معبده (إيساجيل) الذي يضم الآلهة الخمسون العظام وآلهة المصائر السبعة.

مركزية بابل أومفالوس:

تخبرنا أسطورة الخليقة البابلية حول بابل كسرةٍ للعالم (أومفالوس) وهو ما يعرف بـ (أكسس موندي) أي مركز العالم، وكما يلي: «لما لم تكن قد أنشئت أية مدينة بعد، ولم يكن قد تكوّن أي تجمع، يوم كانت البلدان قاطبة مغمورة في لجة «البحر» يومذاك أنشئت «المدينة العامرة» وشيد الإيساجيل، هذا المقر الذي سكنه مردوخ وسط الأوقيانوس؛ ولما كانت بابل قد أنشئت، ومقر الإله قد انتهى بناؤه خلق مردوخ الأنونانكي الذين أغدقوا على المدينة «اسماً شهيراً». ثم جدل مردوخ على صفحة المياه حصيرة، وضع تراباً أفرغه

فوقها، وأفرغ ماء أيضاً. ثم خلق الإنسانية في ما بعد ليسكن الآلهة في مقر بديع».(روثن 1984: 10).

ما زال تكاثر الآلهة وتوالدهم وتكوين شجرة نسلهم وتعيين مناصبهم ومسؤولياتهم هو العمل الأساس. فأبناء مردوخ من زوجته صربانيت، التي يعني اسمها الفضة اللامعة، وتلقب بـ (أروى)، ومعناه بالبابلية (ذربنيتو) أي باذرة الذرية وخالقة النسل، ويقابله بالآشورية شرويا زوجة الإله آشور.

شكّلوا في أغلبهم آلهة الكواكب حيث سين (القمر) وابنه نبو (عطارد) ومن سين ظهر شمش (الشمس) وعشتار (الزهرة)، وظهرت أرشكيگال التي ستصبح فيما بعد إلهة العالم الأسفل.

أي أن مردوخ يلد النور والظلام، والنور يتجسد في الكواكب، أما الظلام فيتجسد في ما يحيط بهذه الكواكب وفي العالم الأسفل الذي يقع تحت الأرض. وتبدو فكرة النور والظلام هذه (السومرية الأصل مع إنليل) هي أساس الديانات الثنوية التي ظهرت بشكل خاص في الديانات الفارسية المجاورة، ثقافياً، للديانات العراقية القديمة والتي أخذت منها الكثير. وإذا كانت الديانات العراقية القديمة قد امتازت بـ (التعددية والتفريدية والتوحيدية) فإن الديانات الفارسية امتازت بـ (التعددية ثم الثنوية).

العوالم السبعة للكون البابلي

تتكون هذه العوالم من طبقات أطلق عليها البابليون أسماءً معروفة وهي موضحة في هذا الجدول:

ج.أنثروبو العمران (عمران الإنسان)

إن فكرة الفردوس الأرضي، أو جنة عدن السومرية تعطي انطباعاً عن إمكانية نشوء عصر ذهبي للإنسان. ولكن هذا العصر لا يمكن تحديده، وربما أمكن معرفة مواصفاته ومنها

الحياة العادلة الهانئة لكن نصّاً بابلياً يوحي لنا أن الإنسان كان فيما مضى لا يموت موتاً طبيعياً بل يموتُ بسبب غضب الآلهة عليه، لكنه بعد الطوفان أصبح كذلك.

وبفتح وعي الإنسان يبدأ معرفته بالآلهة وإحساسه بها، وكذلك اتخاذه إلهاً حمياً له. وكان هذا النوع من الآلهة يعمل على حراسة ذلك الشخص أو ممتلكاته وقد سمي بـ (لاماسو) أو (شيدو).. وهي آلهة صارت فيما بعد تحمي المدن والدول.

قدّم التراث العراقي وصفاً لذلك العالم الذهبي وحدوده، فقد كانت أرض سومر وبابل في جنوب هذا العالم الذي يحده الخليج (البحر الأسفل) أما شرقه فكانت جبال حمازي التي تمتد إلى جبال شوبور الشمالية، وكان شماله أرض أوري التي عرفت فيما بعد بأرض أكد وآشور، وكانت (مارتو) هي الأرض الغربية التي تمتد إلى سواحل المتوسط آنذاك قبل أن تبدأ الحروب وحركات الغزو والهجرات الكبرى. وسيبدأ العصر الذهبي بالأفول ويبدأ عصر الشرور الذي سينتهي بالطوفان.

ثالثاً: أساطير الخراب

حوار ساجل ـ كينا موبيب

تسمى هذه القطعة الأدبية من أدب الحكمة البابلي باسم (الحوارية البابلية) أو (حوار العدالة الإلهية) وقد كتبها كاهن الأشيبو المعزم (ساجل ـ كينا موبيب - Saggil Kenamoubbib) الذي يقدر أنه عاش في زمن حكم الملك نبوخذ نصر الأول (1124 ـ 1103) ق.م. ويعتبر هذا الكاهن من (حكماء الأزمنة القديمة). فإذا أخذنا المقطع الأخير من اسمه (أوبّيب) فإن ذلك يوحي لنا أن هناك بين هذا الاسم واسم (أيوب)، ويمكن أن يكون كتاب التوراة قد أخذوا بهذا الاسم وصحّفوه قليلاً فأصبح (أيوب).

ويعتبر هذا النص مع نص (لأمجدن ربّ الحكمة) من أعظم نصوص الحكمة في العالم القديم وهما يطرحان مشكلة العدالة الإلهية على شكل حوار بين يائس معذب وبين مؤمن.

وبمعنى آخر يجسد هذا النص الوجودي مسألة الشك بوجود الآلهة وعدالتها عبر حوار مليء بالحيوية والجمال

لأمجدنَّ ربَّ الحكمة

هذه واحدة من أشهر قطع أدب الحكمة البابلي وقد اشتهرت باسمها البابلي أيضاً (لدلول بيل نميقي Ludlul Bel Nemeqi) وترجمت عدة ترجمات.

وسمي هذا العمل بـ (أيوب البابلي) وظهرت دراسات عدة حول المقارنة بين (أيوب التوراتي) و(أيوب البابلي)، وقد سبق البابلي التوارتي بأكثر من ألف سنة.

ويبدو أن صاحب هذا النص أو المقصود بأيوب البابلي هو: شوبشي مشري شكّان (Shkkan ـ Mesher ـ Shubshi) وهو رجلٌ عادل ومقربٌ من الآلهة والملك وكانت سيرته وضاءة، لكنه فجأة تعرض إلى تجربة قاسية على المستوى الاجتماعي والنفسي والصحي أدت إلى انحداره تماماً. وقد عرف محاوره الأول من نفّر والثاني من بابل، وكان لأيوب أيضاً ثلاثة من المحاورين.

رابعاً: أساطير الموت

تعتبر الملحمة الأسطورة التي يمكن أن نسميها (ملحمة أتراحاسس) أول ملحمة بشرية كبيرة تشير إلى أقدم الأزمان (منذ الخليقة وحتى الطوفان) وتسمى هذه الملحمة من قبل البابليين أنفسهم (حينما الإله مثل الإنسان) أي (اينوما إيلوأويلوم). وقد قام الناسخ البابلي كسف آية (Aya ـ Kasap) أو نور آية (Aya ـ Nur) ومعنى اسمه (نور الشمس)، قام بجمعها ونسخها وعرضها كملحمة كبيرة (وهي ملحمة لأن الإنسان بطلها، ولو كان بطلها إلهاً لأسميناها أسطورة) ويمكننا تقسيم مراحل هذه الملحمة كما يلي:

1 ـ قبل خلق الإنسان وتمرد الآلهة.

2 ـ خلق الإنسان من الصلصال ودم الإله.

3 ـ تكاثر البشر وضجيج الإنسان.

4 ـ ضجر إنليل وإطلاق **البلاء الأول**: الوباء.

5 ـ ظهور أتراحاسس وتدخله واستجابة إنكي وعبادة نمتار.

6 ـ تكاثر البشر من جديد وتوسع البلاد.

7 ـ **البلاء الثاني**: الجفاف والمجاعة.

8 ـ تدخل أتراحاسس واستجابة أدد.

9 ـ ضجر إنليل واقتراح مشروع الطوفان.

10 ـ تدخل إنكي واتفاقه مع أتراحاسس.

11 ـ صناعة السفينة.

12 ـ الطوفان (**البلاء الثالث**).

كان الإله أدد (في الغالب) إلهاً للعقاب والغضب الإلهي. وكان صوته المدوي في السماء إنذاراً للناس بالعقاب والدمار، أما الإله (شمش) فقد غلبت عليه صفة العدالة، ولم يظهر كإله غاضب مدمر، وكان الناس يلجأون إليه باعتباره صاحب ميزان العدالة، وهو الذي يدير حركة الشمس بحكمة والشمس تعبر عن العدالة لأنها ضد الظلام الذي يرمز للخطيئة والانحراف والجريمة.

وكان الأذى ينشب من ظهور الكائنات الشريرة في العالم والتي تخرج من العالم الأسفل وتهدد نواميس العالم الأعلى وتهجم على الناس وتسبب لهم الآلام.

لو أننا حلّلنا ملحمة الطوفان تحليلاً رمزياً لخرجنا بنتائج مدهشة حقاً، ولو اكتفينا بتحليل بسيط لها لدرجناها ضمن أساطير الشعوب القديمة دون أي امتياز لها.

إن أسطورة أو ملحمة الطوفان مثقلةٌ بالمعاني الرمزية.. (كما يرى ذلك مرسيا إلياد) وإن جوهر أسبابها يكمن في ذنوب البشر وفي عجز العالم، أي أن الكون الحي ينتج ويفسد تدريجياً وينتهي إلى التلف وهذا هو السبب الذي من أجله يجب عودة الخلق. وبعبارة أخرى إن الطوفان يحقق على المقياس الكوني الكبير Macrocosmic ما ينجز رمزياً أثناء عيد السنة الجديدة: نهاية العالم، وبشرية آثمة. لتتاح إمكانية خلق جديد.

إن الطوفان يمثل عوداً أبدياً من مرحلة الكون إلى مرحلة العماء المائي ثانية ثم من هذه المرحلة إلى الكون والتكوين ثانية ويستعاد هذا العود الأبدي في أعياد رأس السنة البابلية (الأكيتو).

ثم إن السفينة المكعبة التي ستحمل بذرة الحياة ستكون وسط أمواج البحر الهائجة مثل شكل المندالا (المركز والمحيط) حيث تجسدُ أيضاً فكرة رمزيةً عميقةً.

ويمثل عودة الجنس البشري إلى طين من جديد نوعاً من العود الأبدي، فقد خلق الإنسان من الطين بإشراف الآلهة وها هو يعود إلى الطين بإشراف الآلهة أيضاً وهذا أيضاً نوع من العود الأبدي.

روى برعوشا (بيروس) وهو كاهن بابلي عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد رواية أخرى عن الطوفان ونشرت هذه الرواية في كتاب له عن بابل عام 275 ق.م. ولكن هذا الكتاب ضاع، وظهرت منه مقتبسات في أعمال الكاتب ألكسندر بوليستر في القرن الأول قبل الميلاد جاء فيها أنه بعد موت الملك أرديتس تولى ابنه (أكسوثروس) الحكم الذي وقع الطوفان في زمنه، فقد تجلى له ذات ليلة الإله (كرونوس) وهو يقابل الإله البابلي (إيا) وأنبأه في الحلم أنه سيقوم في 15/ تموز بإهلاك الحياة على الأرض بواسطة طوفان مدمر لا يبقي على شيء. وأمره أن يكتب على ألواح بداية كل شيء وتطوره

ونهايته أي الحفاظ على منجزات الحضارة لكي لا تضيع، وأن يطمر هذه الألواح في مدينة (سيبار) مدينة إله الشمس، وأمره أن يبني سفينة ويقلع فيها مع عائلته وأقربائه، وأن يخزن فيها الماء والطعام ويحمل إليها الحيوانات الحية من الطيور والحيوانات الدابّة، وإذا سئل إلى أين يبغي الذهاب عليه أن يقول: (إلى الآلهة لأصلي لها عسى أن تكون رفيقةً بالبشر) ففعل الملك ذلك وبنى سفينة.

وصار الطوفان وأرسل الملك الطيور ورست السفينة على جبل، ونزل الملك من السفينة مع زوجته وابنته وملاح السفينة فرفعتهم الآلهة إلى السماء، وأخبرهم صوت من السماء أن مكانهم هذا في أرمينيا وعليهم العودة إلى بابل واستعادة الألواح من (سبار)، فقدم الناس الأضاحي إلى الآلهة وعادوا إلى سبار وأخرجوا الألواح وبنوا بابل من جديد ومعها مدن وهياكل ومعابد أخرى.

رغم أن ملحمة گلگامش تسرد في لوحها الحادي عشر قصة أتونابشتم وتسمّيه منذ البداية بهذا الاسم، إلا أن اسم أتراحاسس يرد أيضاً في ملحمة أخرى للطوفان ويمكننا القول إن الآلهة أطلقت اسم أتونابشتم على أتراحاسس بعد أن منحته حياة خالدة، وفي معنى الاسمين ما يشير إلى ذلك فأتراحاسس (فائق الحكمة) يدل على حكمة هذا البطل.

معنى اسم أتونابشتم (وجدت حياتي أو الذي أدرك الحياة) تدل على الحياة الخالدة. ولذلك نرجّح أن الآلهة هي التي حوّلت اسمه مع منحه الخلود وسنلتقي بأوتونابشتم في ملحمة جلجامش بشكل خاص.

ولا بدّ من الإشارة إلى مكان أثري مهم يعتقد أن له علاقة بحدوث الطوفان في جنوب العراق، ففضلاً عن موقع مدينة شوروباك، وهي مدينة سومرية قديمة تبعد 35 ميلاً جنوب نيبور مطلة على نهر الفرات تسمى حالياً بتل فارا وتعتبر ضمن محافظة القادسية، هناك أطلال مدينة أو قرية آثارية قديمة تسمى (تل أبيب) ولفظه بالبابلية (تل أبيبو) أي (تل الطوفان)، ويرجح أن تكون حاضرة ـ قرية ـ تقع في جنوب العراق على بعد سبعة كيلومترات إلى الشّمال الشرقي من مدينة عفك، وهي من الأقضية الشماليّة لمحافظة

القادسية، والتي تبعد بدورها مسافة 41 كيلومتراً إلى الشّرق من مدينة الدّيوانيّة، و(تل أبيبو) إحدى حواضر مدينة نيبور العاصمة الدينية للسومريين، وهي قريبة من مدينة شوروباك، وما زال التنقيب فيها غير رسمي باستثناء ما يسرقه من آثارها بعض المهربين الذين يخدمون أغراضاً مشبوهة لأسباب معروفة.

وهناك من يزعم أن هذه المدينة هي مكان سكن فيه النبي اليهودي (حزقيال) الذي لا نعرف أيّ دليلٍ آثاري عنه، ويزعم آخرون أنها مكان النبي (ذ والكفل) الذي ورد ذكره في القرآن، وهو غير حزقيال كما يدّعي البعض، وتذكر بعض المصادر اليهودية أن (تل أبيب) وادي الرافدين معنى اسمها هو (تل السنبلة) وهذا غير صحيح، كما أنها لا تقع على نهر الخابور الذي يقع على نهر الفرات، بل هناك نهر أو شط في مدينة الكفل تقع عليه هذه المدينة.

وبين كلّ هذه الادعاءات نحتاج إلى أدلة آثارية علمية تضع الحقائق في نصابها التاريخي كما يجب.



قبر حزقيال وقبر ذي الكفل في مدينة (الكفل)

المبحث الثالث: الطقوس والشعائر البابلية

أولاً: االطقوس اليومية

1. الاغتسال والوضوء: كانت طقوس الاغتسال والوضوء تجري عند الأنهر أو أحواض الماء في المعابد، وكانت أنظمة الاغتسال مختلفة، لكن الكهنة كانوا يحرصون على إجرائها عند أداء طقوس أكبر أو عند الصلاة، وكان الاغتسال يجري برش ماء الفرات على أجزاء الجسم الظاهرة.

2. الصلاة: كانت دون مواعيد محددة وأساسها أن يؤدي المتعبد صلاته أمام إله أو حين يتذكره في أي وقت، وكانت تؤدى منفردةً أو بصحبة كاهن، وهناك نماذج من أوضاع المصلين، جسدتها التماثيل، وهم يركعون أمام تماثيل الآلهة. وهناك صلاة للتوبة يحرقون فيها البخور ويسكبون السوائل المقدسة، وكانت تؤدى في المعبد أو في غيره، وفيما يلي هذا النموذج من صلاة بابلية موجهة للإلهة عشتار:

«أيتها البطلة العظيمة عشتار الإلهة الخالية من الدنيس

أنت مشعل السماء والأرض والإشعاع المسلط على القائدات

أنت سيدة السماء وأول مولودة للإله سن والإلهة نيغال

أنت الأخت التوأم لـ... البطل شمش (إله الشمس)

يا عشترا، أنت آنو (الإله العظيم) أنت تحكمين السماوات.

وبمساعدة إنليل أنت تنصحين الإنسانية

أنت خالقة الطقوس لغسل اليد...

وحين تكون المحادثة فإنك شأنك شأن شمش سوف تبذلين الانتباه التام..

أنت تغيرين مصائر البشر وتجعلين الحوادث السيئة حوادث جيدة

إنني أتوجه إليك بين الآلهة وذلك لأن الاسترحام يُقدم لك

إليك ومن بين جميع الآلهة لقد توجهت وأتوسل إليك

وذلك لأنه يقع أمامك الجني شيدو وخلفك لاماشو (وهو جني آخر)

وعلى يمينك تقع العدالة وإلى يسارك تقع الجودة

وقد ثبت فوق رأسك هناك السلام والعطف

وجانباك محاطان بالحياة والأخلاق

كم من الجودة أن أصلي لك كم من البركة أن تستمعي لي

إن نظرتك هي الجمهور وإن ما تقولينه هو النور

اشفقي عليَّ عشتار، دعيني أتمتع بالازدهار والسعادة

انظري إليَّ نظرات المحبة والثقة واقبلي صلاتي وتضرعي

لقد تحمَّلت نيرك أتوسل إليك أن تهبيني الهدوء والسلام

لقد ابتغيت وجهك الساطع وأرجو أن يكون وجهي لامعاً

ولقد توجهت إلى ملكوتك ألا تهبين لي الحياة والعيش الآمن

ألا أستطيع أن أمتلك (شيدو) مناسباً كالذي أراه أمامك؟

ألا أستطيع أن أمتلك لاماشو كالذي يجري خلفك؟

ألا أستطيع أن أؤمن الازدهار الواقع عند يدك اليمنى؟

ألا أستطيع أن أمتلك المعطف الإلهي الواقع عند يدك اليسرى؟

أتوسل إليك أن تُطيلي أيام عمري، وتهبيني الحياة

دعيني أعيش، دعيني في صحة جيدة ودعيني أعلن ألوهيتك

ودعيني أصرف ما أرغب به وأتمناه

وفي نهاية الصلاة تأتي الخاتمة:

هذه الكلمات الموجهة إلى عشتار؛ وأما عشتار فسوف تضع مبخرة من خشب شجر العرعر وسوف تصب الإراقة وسوف تتلو الدعاء ثلاث مرات.»

(ساغز 2008: 347 ـ 348).

3. الصوم: كان الكلدويون يصومون 30 يوماً أي بعدد الأيام التي تقطعها الشمس من كل برج من أبراجها، لا يأكلون ولا يشربون من شروق الشمس إلى غروبها، وكأن الصوم طقس موجه للشمس (شمش)، ويكون الإفطار خالياً من اللحوم ويركز على الألبان والنباتات.

4. التراتيل: كانت التراتيل الموجهة للآلهة كثيرة وبعضها يؤدى على أدوات موسيقية كالقيثار، هناك تراتيل موجهة للإله مردوخ وللإله نبو والإلهة عشتار، وهناك تراتيل غريبة من نوعها فهي موجهة للإله المعبود، دون ذكر اسمه، ولكنها تعطيه صفات بقية الآلهة وكأنها نوع من التراتيل (التفريدية) أي التي تجمع صفات الآلهة في إله واحد دون نكران بقية الآلهة ومنها هذه الترتيلة:

«إن عينيك يا سيدي هما إنليل وننليل

وأما أسنانكَ فهي السبعة الذين تغلبوا على الشرّ

إن طلّة وجنتك يا سيدي هي ظهور النجوم

وأما أذنكَ فهما (إيا) إله الحكمة والفهم، ودوما كينو زوجته وهما أمراء الحكمة

أما عنقكَ فهي مردوخ قاضي السماء والأرض» (ساغز: 2008: 351).

5. الأدعية: كانت الأدعية تؤدى مع الصلاة أو بدونها، وخلالها يرفع المتعبد يده عند الدعاء، والأدعية على أنواع منها ما يطلب من الآلهة خيراً للمتعبد وللآخرين ومنها ما يطلب المتعبد شراً بالآخرين الذين سببّوا له الأذى.

2.الأدعية:

دعاء:

أيها المبتهج غيرا ابن آنو البطل أنت أشد إخوانك شراسة، أنت الذي تحكم بالعدل مثل الإله سن وشمش، أرجوك أن تحكم في قضيتي وقرر شيئاً لمساعدتي، احرق الساحر والساحرة احرقهم، اربطهم ياغيرا اقضِ عليهم، آه ياغيرا اطردهم خارجاً.

(ساغز 2008: 327).

دعاء:

«إن بإدا ـ آه ـ إيدينا يخاطب الإله العظيم نينوترا بقوله: يا نينوترا، أيها السيد العظيم مزّق القلب، واطفئ الحياة، واقتل الزوجة، والأولاد والأقارب والموالين، والاسم والبذرة والأنسال التي تخصّ باوا ـ آه ـ إيدينا.»

(ساغز 2008: 340).

ب. الزواج: من طقوس المناسبات وهو طقس ديني عند البابليين ونموذجه زواج الملك بالكاهنة العليا وكانت مراسمه تقام في المعبد «وتحت إشراف الكهنة ويتم زواجهما في الكيبارو إذ يُعدّ فيه للعروسين سرير خشب الأرز مطعّم باللازورد، وعند وصول الملك بموكبه إلى المعبد يأخذه الكاهن من يده إلى حجرة الكاهنة العروس وهي في أجمل حللها وزينتها ثم تنشد أغنية تدعوه إلى وصالها، ثم يتصل الملك بالكاهنة والذي هو محاكاة طقوسية لزواج ربة الخصب إنانا من تموز» (الأحمد: 2013: 54 ـ 55).

ثانياً: شعائر المناسبات

1.البناء:

كان البناء، بشكل عام، يجري دون طقوس دينية، لكن بناء المعابد والمؤسسات الدينية كان مشروطاً بوجود طقوس دينية محكمة يضعها رجال الدين، ولا يمكن التغاضي عنها، وكانوا يرون أن التغاضي عنها قد يجلب اللعنات والأذى على الناس والمسؤولين عن المعبد وسيجعل الآلهة تغضب عليهم. وكانت طقوس البناء تجري بطريقة تتناسب مع مراحل البناء وكما يلي:

أ.طلب الإذن والموافقة من الآلهة:

يجب على الملك أن يأخذ الإذن والموافقة من الآلهة قبل الشروع بأعمال البناء والترميم وغالباً ما تتم تلك الموافقة عن طريق الأحلام أثناء النوم أو عن طريق قراءة طالع الملك من قبل الكهنة المختصين بهذا الجانب وغالباً ما كانت الآلهة تتدخل في اختيار قياسات المعبد وكذلك قياسات الآجر الذي استخدم في عملية البناء ونوعيته وهذا يعني أن العملية برمتها مرهونة بيد الآلهة وليس البشر.ما أن تحصل الموافقة حتى تبدأ طقوس البناء إذ يرافق صنع اللبن والآجر عادةً احتفال خاص يدل على اهتمام البابليين القدامى بهذه العملية ومن بين الشواهد الأثرية التي أشارت إلى هذا الاهتمام هو مساهمة الملوك في أعمال قطع اللبن وحمل الآجر أثناء عملية البناء، ودائماً ما كانوا يبدأون بالطقوس الدينية

الخاصة بتهيئة المواد الإنشائية المستخدمة في البناء إذ نجد قسما منهم وقد حملوا التراب الذي استخدم لصب اول لبنة استخدمت في بناء المعبد أو بحمل اللبنة الأولى التي وضعت في اساس المعبد واصبح ذلك عرفا سائدا عند ملوك بلاد الرافدين إذ وجدناهم وهم يحملون سلة الطابوق والتراب على رؤوسهم عند بناء المعابد،» (سلمان 2008: 265).

ب. مشاركة الملك وأبنائه في البناء:

يكون البناء بتوجيه زوايا المعبد بانتظام مع الجهات الأربع

«وصلتنا من عهد مؤسس السلالة الكلدية نبوبلاصر نص يشير إلى انه أشرك ولديه (نبوخذ نصر الثاني) و(نابوشوم ليشر) في عملية تحضير وصنع الآجر، كما أشار النص إلى أن الملك البابلي قد حمل على رأسه سلة الآجر والطين وهو يرتدي لباسه الملكي وفي ذلك دليل على القدسية التي كانت تحملها عملية بناء المعالم الدينية عند ملوك العراق القديم الذين أظهروا بعض التواضع من خلال تلك الأعمال حيث صوروا أنفسهم وهم يقومون بنفس العمل الذي كان يزاوله العاملون في عملية البناء مثل تخمير الطين وحمل الآجر والطين على رؤوسهم إذ جاء في النص:

(أنا نبوبلاصر، سيد بلاد بابل، ملك بلاد سومر وأكد، انحنيت أمام سيد الآلهة مردوخ وحملت فوق رأسي الآجر والطين وأنا أرتدي لباسي الملكي، وأمرت بصنع سلاسل الآجر من الذهب وجعلت أبني الأكبر نبوخذ نصر، المحبب إلى قلبي يمزج الطين والشراب والزيت والأعشاب ويحمل المواد مثل بقية العاملين،وجعلت أخاه الصغير نابوشوم ليشر يمسك المر والمسحاة، ويحمل فوق رأسه سلة الآجر) (سلمان 2008: 265 ـ 266).

ت. وضع التماثيل المقدسة في أساسات المعبد:

يستمر البناء مترافقاً مع الطقوس الدينية الخاصة بالبناء ومنها الأناشيد والأغاني الدينية، واعتاد البابليون على وضع تماثيل الآلهة في أساسات المعابد لطرد الشرور والشياطين

منها، وتقديم القرابين والأضاحي خلال مراحل البناء.

ث.الاحتفالات الدينية بعد الانتهاء من البناء:

حين ينتهي بناء المعبد تكون هناك احتفالات دينية بإشراف الكهنة، تقدم فيها الأضاحي ويحضرها الملك وكبار رجال الدين وسفراء الدول الموجودين في بابل.

2.الموت:

تدلُّ أبيات من اللوح الثامن من ملحمة جلجامش «بشكل واضح على أن الغاية من التجهيزات الجنائزية التي كانت تدفن في القبور مع الأموات لم تكن لاستعمالها من قبل روح المتوفى في العالم السفلي، كما يفترض بعض الباحثين، ولم تكن مقتصرة على الحاجيات الشخصية التي كان المتوفى قد استعملها في أثناء حياته، وإنما تشمل أثاثاً ومواد جديدة هُيئت خصيصاً لتدفن في القبر مع جسد المتوفى لتنزل مع روحه إلى العالم السفلي حيث يقوم هناك بتقديمها إلى آلهة ذلك العالم بُغية نيل رضاهم وكسب شفاعتهم وحسن معاملتهم للروح ذاتها طوال إقامتها الأبدية في عالم الأرواح.»(حنون 2006ب: 186 ـ 187).

وهناك طقوس غريبة تمارس بعد الموت فقد «اكتشفت رسالة أخرى من عصر سلالة بابل الأولى أيضاً، ومرسلها سمسو ـ ديتانا (1692 ـ 1595 ق.م) آخر ملوك السلالة، يطلب فيها تجهيز كمية من السلاحف لتقديمها في القرابين الجنائزية لشهر آب، ويذكر أيضاً بعض الأصناف من الأطعمة ومواد فضية وجلدية فضلاً على قدور وسلال. ومن الجدير بالذكر أن السلحفاة كانت تُعتبر أحد رموز نرجال، إله الموت وحاكم العالم السفلي، وتُستعمل في صناعة بعض الأدوية فضلاً على استعمالها في طقوس طرد الأرواح الشريرة. وفضلاً عن شهر آب وردت إشارة في أحد النصوص الآشورية إلى شعائر جنائزية كانت تقام سنوياً في شهر شباط لأرواح الموتى. وشهر شباط كان الشهر الحادي عشر من السنة في التقويم القديم لبلاد الرافدين.» (حنون 2006 ب: 189).

«والغاية الأخرى من إقامة الشعائر وتقديم القرابين الجنائزية، إطعام أرواح الموتى وإرواء أرواحهم الظمأى في العالم السفلي. فالميت الذي لم يكن له من يُعنى بإقامة الشعائر الجنائزية من أجله كانت روحه تعاني معاناة قاسية في العالم السفلي، وهذا ما نعرفه من نص اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش. ففي هذا النص يجيب شبح أنكيدو، القادم من العالم السفلي، على سؤال جلجامش له عن حالة روح من ليس له أحد في عالم الأحياء يتابع إقامة الشعائر الجنائزية وتقديم القرابين من أجله. ويكون جواب أنكيدو أن تلك الروح لا تحصل سوى على فضلة القدر وفتات الخبز الملقاة على الدرب. وترجمة هذا المقطع من النص كما يأتي:

«هل رأيت روح من ليس له أحد يقدم القرابين الجنائزية

لقد رأيته،

كيف هي حاله؟

إنه يأكل فضلات القدر وفتات الخبز الملقاة في الدرب» (حنون 2006: 190).

ثالثاً: الطقوس الدورية

عيد عشتار في بابل:

«هذا العيد لعشتار الذي لم تُحتمل تقاليده بصورة دائمة هو حقيقة راهنة. فالفسق والمجون كانا من أقدم وأكثر الممارسات احتراماً لدى الشعب. والجدود الأقدمون في العصور السحيقة قبل الطوفان، كانوا يحتفلون بعيد عشتار في الخامس من شهر آب، وكانت الإلهة المذكورة تحدد في هذا اليوم مصائرهم بواسطة الكهنة الوسطاء، وأشهر المصائر التي حددتها لم تتعدَّ تعاقب الأحداث المدونة في تأريخ الشعب البابلي. وقد حدث ذلك في سبار، عندما الملك أنميدورانكي المؤتمن على الأسرار الإلهية ومبتكر التنبؤ والتنجيم، طلب من الإلهة أن تحدد مصائر ملك بلاد الكلدويين.»(تابوي 1994: 129).

أكيتو: عيد رأس السنة

في وادي الرافدين ظهرت طقوس رأس السنة مبكراً في حضارات الإنسان كنوع من العود الأبدي والتكرار المثولوجي لموت عالم قديم وولادة عالم جديد. ونرى أن احتفالات عيد رأس السنة الرافدينية كانت هي رحم المسرح الديني الحقيقي الذي لم يتطور إلى مسرح دنيوي إلاّ بوجهه الشعبي العام.

كانت أسطورة التكرار الأبدي والنماذج البدئية قد تأسست منذ عصور ما قبل التاريخ وقبل وبعد مجيء السومريين والمصريين والبابليين على أسس مثولوجية معروفة، وكان ميكانزم العود الأبدي يجري على شكل طقوس وأعياد رأس السنة وغيرها من الأعياد الدورية.

يتضمن استعادة الزمن الميطيقي، بالإضافة إلى التطابق مع النماذج البدئية والالتحام مع رموز الأسطورة، طرداً للأخطاء والشياطين والظلام والخطايا والأمراض ولكل ما هو سلبي: ففي هذه الاستعادة تتم عملية تطهير السنة الجديدة من الشرور المحيطة بها القادمة من تاريخية السنة الماضية. وهو ما يجعلنا نتصور أهمية الطقوس التي يُقضى بموجبها على غولة الماضي وثعبانه.

العود الأبدي، إذن، هو التكرار الدائم للظاهرة وما يرافقها من طقوس وشعائر تؤكد هذا التكرار وتوضحه وتحتفي به أملاً في الخلاص أو العودة إلى زمن أسطوري لا يمارس فيه الزمن التاريخي فاعلية قسرية في حياة الإنسان الهارب من هذا الزمن التاريخي الدنيوي والملتجئ إلى الزمن الأسطوري الديني.

العود الأبدي زمن ساكن مطلق قياساً إلى التاريخ الذي هو زمن دنيوي تحركه الصيرورة «إن إلغاء الزمن الدنيوي والزج بالإنسان في زمن ميطيقي لا يحدثان إلا في أوقاتٍ ذات صفةٍ جوهرية، أي في الأوقات التي يكون فيها الإنسان هو نفسه حقاً: في الولادة، الاحتفالات، القنص، الصيد، الحرب، العمل...الخ، (إلياد1987: 72)

يرتبط العود الأبدي بمفهوم نهاية دورة زمنية وبداية أخرى وهو ما يؤكده(مرسيا إلياد) الذي يراه قائماً على أساس ملاحظة الإيقاعات الحيوية الكونية ويدخل في إطار نظامٍ أوسع، هو نظام التطهيرات الدورية والنظافة، الصوم، الإعتراف بالذنب..الخ عند نهاية الموسم، وتجديد الحياة دورياً. فهذه الضرورة من التجديد الدوري الذي يفترض خلقاً جديداً أي تكراراً كوسموغونياً (تكرار فعل ولادة كونية)، هذا المفهوم من الخلق الدوري، أي تجديد الزمان دورياً يطرح علينا مشكلة إبطال التاريخ.(إلياد1987: 100)

وقد اعتاد سكان وادي الرافدين المعاصرون النظر إلى يوم 21 آذار من كلِّ سنةٍ كعيد قومي للفرس ثم للأكراد وأصبح هذا العيد الذي يسميه الفرس والأكراد(عيد نوروز). يرمز إلى الربيع والذي تكرّس لهم، بصورة خاصة، كمناسبة قومية تمثل انتصار البطل الكردي (كاوه) الحداد على الملك الطاغية (الضحّاك) فأصبح هذا اليوم رمزاً للربيع والحرية. لكن هذا اليوم، في حقيقة الأمر، يمثل عيداً لكل القوميات والأديان والطوائف العراقية في الحاضر والماضي. وهو أقدم عيد عراقي على الإطلاق لأنه يمثل عيد رأس السنة السومري منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، ولا يصح اعتباره عيداً لقومية واحدة أو لديانة واحدة أو لمذهبٍ واحد بل هو في حقيقته نوع من طقوس العود الأبدي التي تمثل أعياد رأس السنة نموذجاً فريداً لها.

يشكل عيد رأس السنة في وادي الرافدين نمطاً فريداً من مسرح الترانيم ومسرح الاحتفالات وبعمق روحيّ وطقسيّ نادرٍ، ولا بدّ من دراسته بدقة لكشف جذور الترانيم الدرامية الأولى.

الجذور السومرية: زكمك الأول والثاني

أدرك السومريون، من خلال مراقبتهم لطول الليل والنهار، أنهما يتساويان مرتين في السنة، المرة الأولى في 21 آذار والمرة الثانية في 21 أيلول ويقل طول الليل بعد 21 آذار ويزداد النهار، بينما يزداد طول الليل بعد 21 أيلول ويقل النهار، ولذلك جعلوا عيد رأس السنة السومرية في 21 آذار (ويسمى شهر آذار عند السومريين شيكوركو) وأسموه عيد (زكَمك

الأول) الذي يعني عيد الولادة والتجدد وهو عيد الاعتدال الربيعي حيث يصادف الحصاد ونشاط ولادة الحيوانات وانتعاش الرغبات الجنسية عند الإنسان ولذلك أصبح أسطورياً عيد بعث وولادة دموزي وزواجه من الإلهة إنانا في زواج مقدس يقوم به الملك والكاهنة العليا رمزياً بين المعبد والقصر.

أما في 21 أيلول (ويسمى شهر أيلول عند السومريين آكيتي) فيحصل الاعتدال الخريفي حيث يكون عيد (زكَمك الثاني) الذي يعني الموت والبذار (دفن البذور) وموت دموزي ونزول إنانا ودموزي إلى العالم الأسفل ومواكب العزاء الجماعي.

ويتضح من ذلك أن السنة السومرية منقسمة إلى قسمين الأول ربيعي يبدأ في 21 آذار بعيد زكَمك الأول ويستمر ستة أشهر والثاني خريفي يبدأ في 21 أيلول بعيد زكَمك الثاني ويستمر ستة أشهر. وتكتمل السنة بهذين القسمين. وقد أصبح هذا الناموس الذي وضعه السومريون عن وعي وترصد للطبيعة أساساً بُنيت عليه أعياد رأس السنة في العالم القديم كلّه بشكل خاص.

وبتقدم الزمن أصبح السومريون يطلقون على هذا العيد اسم (آكيتو) الذي كان عيداً منفصلاً عندهم يعتني بطقوس استنزال المطر وتنصيب الملك. وأخذت الترانيم الرافدينية شكلها المسرحي الطقس في احتفالات رأس السنة السومرية والبابلية (زكمك وأكيتو).

البابليون والآشوريون:

وضع البابليون والآشوريون تقويماً جديداً لهم يبدأ من 21 آذار السومري وكان عندهم يعادل 1 نيسان (نيسانو) أي أن نيسان عندهم لا يطابق نيسان الحالي في تقويمنا بل يطابق 21 آذار في تقويمنا وربما كانت بداية العيد تبدأ مع ظهور أول بدر بعد (21 آذار) وهو احتمال وارد في التقويم البابلي. وهو بداية السنة عندهم وقد أصبح عيد رأس السنة عندهم يسمى بـ (آكيتو).

وكلمة (آكيتو) البابلية ذات جذر سومري لأن أقدم صيغة لها جاءتنا بحدود 2400 ق.م وعلى شكل (آ-كي-تي)، العلامة (آ) تعني الماء ومجازاً المطر و(كي) تعني الأرض و(تي) فعل بمعنى يقرب، فيكون بذلك معنى الكلمة كاملاً (تقريب الماء إلى الأرض) أي الاستسقاء. (رشيد 1981: 85).

ونرى أن طقوس الاستسقاء تعود إلى فترة حضارة سامراء في الألف السادس قبل الميلاد حيث شكلت هذه الطقوس بذرة العيد الأكبر آنذاك.

كانت مدة العيد اثني عشر يوماً (أي بعدد أشهر السنة) تبدأ من الأول من نيسان وتنتهي في الثاني عشر منه. ففي بداية هذه الأعياد من كل سنـة جديدة يأتي الإله نابو من معبده، البيت الحصين (E-Zida) في بورسيبّا (برس نمرود) لزيارة والده الإله مردوخ في بابل والاشتراك في هذه الاحتفالات التي تقام فيها. (الأمين1962: 16).

كان البابليون يزينون النخيل وأشجار السرو والصفصاف وغيرها في الأكيتو، استعداداً لقدوم سنة جديدة مليئة بالخصب، وكان يصاحب ذلك الموسيقى والرقص والحفلات الدينية والتنكرية وغيرها من الألعاب. وبعد غزو الإسكندر المقدوني واحتلاله لبابل انتقل هذا التقليد من بابل إلى الإغريق والى الرومان ثم إلى باقي بلدان أوروبا، وفي المسيحية اتخذوا من شجرة عيد الميلاد أحد أهم رموز رأس السنة.

كان للاحتفالات بيت يعرف ببيت الأكيتو يقع خارج المدينة كما في الوركاء وآشور وبابل وكانت الأربعة أيام الأولى لتقديم الضحايا والقرابين وتعيين درجات الكهنة وقراءة ملحمة الخليقة البابلية. وفي اليوم الخامس يحمل تمثال الإله نابو من بورسيبا إلى بابل في سفينة مذهبة وفي اليوم السادس تجري محاكمة الملك ونزع شاراته الملكية في معبد الإيساجيل في بابل ويسحب من أذنيه حتى يركع أمام الإله ويؤدي صلاة الغفران.

وفي اليوم السابع تمثل دراما محزنة لموت الإله مردوخ وصعوده إلى السماء وتسود الفوضى المدينة حيث تجري عربة هائجة في شوارع بابل وتخربها بسبب غياب مردوخ

ويُنصّب ملك مزيف للحكم في هذا اليوم. وفي اليوم الثامن يعود مردوخ إلى الحياة وتنتظم بعودته الأشياء وتجتمع الآلهة في مخدع المصائر ويقررون مصائر البشر للسنة الجديدة، وتعاد شارات الملك إلى الملك الحقيقي ويسير الكهنة في موكب نحو بيت الأكيتو خارج المدينة ليمكثوا ثلاثة أيام لتمثيل دراما رمزية للخليقة وفي مساء اليوم الحادي عشر يعود الكهنة إلى المدينة ويدخلون المعبد ويقضي الإله مردوخ ممثلاً بالملك ليلة مع الكاهنة العليا في معبد الإله وفي اليوم الثاني عشر تغادر الآلهة بابل فيذهب كل إله إلى معبد مدينته.

إن هذا العيد الذي يمثل أكبر احتفال درامي في بابل كان راسخاً في حياة العراقيين القدامى وقد جرت ممارستهُ لأكثر من ألفي سنة وكان علامة مهمة من علامات وادي الرافدين وتراثها. كان يجرى في 21 آذار (حسب توقيتنا من كل سنة) وهو الرحم الذي ظهرت منه الدراما الكوميدية والتراجيدية فيما بعد عند الإغريق فيما بعد. وهناك وصفٌ مطول له في رقم طينية ترجمها عن اللغة الأكدية (ثورو دنجان) و(بريشارد) و(ساكز).

لقد كان إحياء ذكرى الخلق إعادة فعلية لولادة الكون، والبرهان على ذلك نجده في الطقوس كما نجده في الصيغ التي كانوا ينطقون بها في أثناء الاحتفال. أما القتال بين تيامت ومردوك فكانت تجري محاكاته في المبارزة التي كان يؤديها فريقان من المشخصين. هذا الاحتفال نجده دائماً في إطار دراما العام الجديد عند الحيثيين، كما نجده عند المصريين وفي أوغاريت. إن الصراع بين فريقين من المشخصين لا يحيي ذكرى القتال البدئي بين تيامت ومردوك وحسب، وإنما كان يكرر ويخلق فعل ولادة الكون، أي الانتقال من العماء إلى الكون وبذلك يكون الحدث الميطيقي حاضراً.(إلياد1987: 106)

كان هذا العيد أحد الأسباب الذي سقطت من أجله بابل الكلدية (539 ق.م) على يد الفرس الإخمينيين فقد قرر آخر ملوك بابل نبونائيد عدم إقامة عيد الأكيتو لذلك العام وكان كورش الذي يتربص ببابل يُرسل الرسائل للبابليين بأنه سيدعم بقوة إقامة هذا العيد ونبذ

عقيدة نبونائيد القمرية المؤيدة للإله (سين) فرحب كهنة مردوخ بكورش لأنه ناصرهم ونبذوا نبونائيد لأنه غيّر تقاليدهم.

ولكن كورش بعد أن فتح بابل ورعى هذا العيد لسنوات قام هو الآخر وأتباعه من بعده بتغيير جوهر العيد وفرض الغزاة الفرس إلههم (أهورا مزدا) بدلاً من (مردوخ) على بابل وتحول العيد تدريجياً إلى عيد فارسي وترجموه إلى نوروز أي اليوم الجديد الذي يقابل الاسم البابلي الآخر وهو (يومو نيسانو) أي يوم نيسان أو اليوم الجديد.

ومع ذبول بابل وصعود الفرس انتعش نوروز وغاب الأكيتو وبقي في الذاكرة هذا العيد بصورته الفارسية في 21 آذار وانتقل إلى كل شعوب إيران ومن ضمنهم الشعب الكردي. وتغيرت مضامينهُ الأسطورية والطقسية حسب الشعوب التي دخل إليها.

ولا بدّ من التنويه أن هذا العيد انتقل إلى الفينيقيين تحت اسم (الأدونيات) وتحديداً عيد الهفريس وهو عيد القيامة وبعث أدونيس في بداية الربيع ومثله عيد بعل عند الكنعانيين وعيد إيزيس وأوزوريس عند المصريين وعيد ديونسيوس عند الإغريق. كل هذه الأعياد كان مصدرها عيد الأكيتو البابلي الذي انتشر شرقاً وغرباً وكان هو مصدر إلهام عيد رأس السنة الحالي الذي تحول إلى بداية السنة الميلادية المسيحية.

وربما تحورت كلمة (آكيتو) مع الزمن لتتحول في اللغات السامية إلى (حاكيتو) و(حجيتو) ثم إلى (حج) والتي ما زالت في السريانية تعني (عيد)، وربما تضمن ذلك ظهور كلمة (حكاية) من (حكيتو) بسبب ما كان يبدأ به احتفال الأكيتو من سرد قصصي لأسطورة الخليقة البابلية وفي الأيام الأخرى لحكايات وقصص أخرى مثل جلجامش.

وينطبق هذا على (نيسانو) الشهر الذي كان يمثل بداية رأس السنة حيث كان يعني في البداية شهر الخصب والتلاقح الجنسي (نيش) ثم أصبح شهر البشارة والنيشان (نيشانو) أي العلامة الفارقة ومنه ظهرت كلمة (نيشان) في مراحل الزواج.

كان عيد الأكيتو قد نشأ كعيد من أعياد الطبيعة وهو يتميز بنوعين من المظاهر فيعبر المظهر الأول عن حزن الطبيعة على موت كل الأشياء النامية ويعبر المظهر الثاني عن فرحة الطبيعة بعودة الحياة إلى هذه الأشياء. وأضيف إلى هذا العيد تمجيد مردوخ فيحتفل بالمآثر دفعته إلى مقامه الجليل بين الآلهة (انظر كونتينو1979: 474).

ونرى أن عيد الأكيتو البابلي استبدل الإله الشعبي السومري دموزي بالإله الرسمي مردوخ وأسبغ عليه من صفات دموزي ما ليس فيه مثل علاقته بالخصب واختطافه المشابه لنـزول دموزي إلى العالم الأسفل والزواج المقدس وغيرها. أي أن الزكَمك عيد سومري شعبي والأكيتو عيد بابلي رسمي يكوّن الملك ومردوخ ونبو عناصرَهُ الأساسية.

ويُمثل الاحتفال بعيد رأس السنة البابلية (أكيتو) نموذجاً جيداً لهذا النمط من استعادة الزمن الأسطوري. وكان هذا يجري في الأول من نيسان (الذي يصادف الآن 21 آذار) ويستمر العيد لمدة اثني عشر يوماً. ولهذا العدد دلالة هامة جداً فكل يوم من أيام الاحتفال يمثل أو يرمز لشهر جديد قادم من أشهر السنة الجديدة. ولذلك عمد المحتفلون على وضع جدولٍ طقسي لكل يوم.

ويُظهر تحليلنا لاحتفالات عيد الأكيتو أن هذه الأيام الاثني عشر مقسمة بالتساوي بين طقوس تراجيدية للأيام الستة الأولى وطقوس كوميدية للأيام الستة التالية.

وهذا ما دعانا إلى التفكير بأن التراجيديا والكوميديا بمعناهما الدرامي الديني الاحتفالي كانا يجريان في هذا العيد وفق أساليب منظمة ودقيقة في الدراما الدينية السومرية والبابلية قبل ظهورهما المنظم والدنيوي في المسرح الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد.

في تراجيديا الأكيتو تدلّ الطقوس على ظهور الفوضى والغرق في العماء ومحاسبة الملك وتحوّل العبيد إلى أسياد وظهور الملك الكاذب وإزاحة الرتب والاعتراف السلبي.

وفي كوميديا الأكيتو يولد عالم جديد وتعاد هيبة الملك والإله مردوخ وتعمّ الاحتفالات والأفراح ومآدب الطعام ويتيح الزواج المقدس ولادةً جديدة للأرض والبلاد والإنسان.

إن النصف التراجيدي الأول يقتضي العودة إلى العماء والظلام في حين يتصف النصف الكوميدي الثاني بولادة كون جديد وتكوين زمن جديد وسنة جديدة.

وهكذا يكون عيد الأكيتو متضمناً للأركيتايب السلبية التي يغرق بها العام الماضي وللأركيتايب الإيجابية التي يولد منها العام الجديد، وهكذا يُعاد خلق الكون من جديد، في عيد الأكيتو، كترميز لتطهير الزمن من التاريخ وعودته إلى الأسطورة. وبلغةٍ أخرى لتخليص الزمن من الإنسان وإعادته إلى الله أو الآلهة كنوعٍ من تطهير فساده الذي اكتسبه من أفعال البشر.

ومن هنا، بالضبط، يمكننا فهم الطوفان (والكوارث الكونية الكبرى) على أنها غسل تطهيري للعالم من شروره التاريخية لإعادة ولادته بمباركة الآلهة والآباء الكبار المرتبطين بها. وفي حادثة كالطوفان يلتقي الآلهة بالأبطال الأسطوريين ويمنح هؤلاء الأبطال مسحةً إلهية ربما تكون عن طريق الخلود.

إن نوح وزيوسيدرا وأتونابشتم هم الأبطال الملحميون الذين يلتقون في لحظة نهاية الطوفان مع الآلهة، فُمنح نوح طول العمر وزيو سيدرا وأتونابشتم الخلود في دلمون، إن منطقة التحام السنة القديمة بالسنة الجديدة هي منطقة تعايش التناقضات، فأرواح الموتى غالباً ما تحضر جنباً إلى جنب مع الأحياء، والسماء والأرض والعالم الأسفل تكون متصلة مع بعضها، لأن نهاية العام القديم الاسكاتولوجية تعني بداية العام الجديد الكوزموغونية. وهذا الجدل يتّضح تماماً في احتفالات أعياد رأس السنة تحديداً.

تراجيديا وكوميديا الأكيتو

الأكيتو هو نواة الدراما الشعبية والدينية التي ظهر منها المسرح في التاريخ القديم، وقد بدأت أعياد الأكيتو بالظهور في سومر مبكراً قبل أن تظهر في أي مكان آخر وكانت طقوس ديموزي وتنصيب الملك الجديد

هي قوامها القديم، ثم نضجت وأصبحت كاملة المعمار والبناء عند البابليين والآشوريين

ويُظهر تحليلنا لاحتفالات عيد الأكيتو أن هذه الأيام الاثني عشر مقسمة بالتساوي بين طقوس تراجيدية للأيام الستة الأولى وطقوس كوميدية للأيام الستة التالية وكما يلي:

تراجيديا الأكيتو: وداع العام الماضي

اليوم الأول: التطهير

اليوم الثاني: الإنشاد

اليوم الثالث: النحت

اليوم الرابع: التلاوة والتمثيل

اليوم الخامس: تحرير الملك ومردوخ

اليوم السادس: استقبال وفود آلهة المدن

إن إلغاء السنة القديمة والزمن الماضي بأكمله هو إيقاف لمسرى (التاريخ) بواسطة حضور (الأبد) الذي هو (أسطورة) لا زمان ولا مكان لها. وبمعنى آخر إن إلغاء التاريخ هو وسيلة لولادة عالم جديد يبدأ أسطورياً لكنه سرعان ما يندرج في التاريخ، من جديد، بسبب سيادة الأعمال الدنيوية وندرة الأعمال الطقسية.

كان الإنسان في عصور ما قبل التاريخ يعيش نوعاً من (الأبد) حيث تترعرع (النماذج البدئية) و(الأسطورة) ويختفي التاريخ بسجلاته الكرونولوجية. ولذلك ظهرت في تلك العصور فكرة الخلود لأن

الإنسان لا يمكن أن يتصور حياةً فانيةً في ظل دورة أبدية يحركها هو والقوى الغيبية التي يعتقد أنها تحيط به.ولذلك حين بدأت العصور التاريخية (بعد الكتابة) بدا الإنسان وكأنه يدون يومياته عن طريق الكتابة رغم

إنَّ ظلّ الآلهة لم يكن غائباً، لكن الكتابة كانت، بطريقة أو بأخرى، نوعاً من التاريخ في حين كان الرسم نوعاً من الأبدية.

هل يمكننا وفق هذا تفسير العدد الهائل من الصور الذي تحفل به الكتابة الهيروغليفية المصرية التي تنسجم كثيراً مع التراث المصري المثقل بفكرة الخلود والأبد، في حين تختفي الصور نهائياً في الكتابة الرافدينية بسبب من عقائدهم التي لا تهتم بالخلود كحقيقةٍ ثابتة مطلقة بل تسعى إليه مغامراتهم وأخيلتهم أحياناً.

ما قبل التاريخ أبد مزروع بالرموز والصور والأخيلة والنماذج البدئية والأشكال التي تعطي للإنسان إحساساً باللامتناهي. أما العصور التاريخية وظهور الحضارات فكان تدويناً للتاريخ وابتعاداً متدرجاً عن الأسطورة والأبدية باتجاه الحياة اليومية المادية الواقعية.

كوميديا الأكيتو: استقبال العام الجديد

اليوم السابع: الاحتفال

اليوم الثامن: التمثيل

اليوم التاسع: الاحتفال والطعام

اليوم العاشر: الزواج المقدس (الملك والكاهنة العليا)

اليوم الحادي عشر: تسجيل الأقدار والمصائر

اليوم الثاني عشر: وداع وفود آلهة المدن

وقد سعينا إلى تنظيم الجداول المرفقة لكل فعاليات عيد الأكيتو بأيامه الاثني عشر التراجيدية والكوميدية.

نص مردوخ

صلوات وترانيم الأكيتو للإله مردوخ (مردوك) عند عودته إلى معبد أيزاكيلا بعد الانتهاء من احتفالات الأكيتو البابلية:

نماذج من الصلوات والتراتيل إلى الإله مردوك:

«أيها الرب، في طريقك إلى المعبد (عسى بيتك يقول لك كن لطيفاً)

أيها الأمير، أيها الرب مردوك، في طريقك إلى المعبد عسى بيتك..

أيها البطل العظيم أيها الرب أنبولولو. في طريقك إلى المعبد عسى بيتك..

كن لطيفاً أيها الرب. كن لطيفاً أيها الرب عسى بيتك..

كن لطيفاً يا رب بابل. عسى بيتك..

كن لطيفاً يا رب أيزاكالا. عسى بيتك..

كن لطيفاً يا رب أيمختيلا. عسى بيتك..

(في) أيزاكالا بيت ربوبيتك. عسى بيتك

عسى مدينتك تقول لك كن لطيفاً. عسى بيتك..

عسى أنو العظيم. أب الآلهة يقول لك. إلى متى وكن لطيفاً..

عسى الجبل العظيم. الأب إنليل (يقول لك). إلى متى؟

عسى أمراء المدينة والبيت والأم العظيمة ننليل (تقول لك). إلى متى؟

عسى ننورتا الابن الأكبر للإله انليل. الذراع المفتخر للإله أنو (يقول لك) إلى متى؟

عسى سن. مصباح السماوات والأرض (يقول لك). إلى متى؟

عسى البطل شماش. ذو اللحية. ابن ننكال (يقول لك). إلى متى؟

عسى أيا ملك الغور (يقول لك). إلى متى؟

عسى صريانيتم كنه الغور (تقول لك) إلى متى؟

عسى.. نابو (يقول لك) إلى متى؟

عسى.. الابن البكر للإله أوراش (يقول لك) إلى متى؟

عسى.. تشميتم تقول لك. إلى متى؟ وكن لطيفاً

عسى الأميرة العظيمة. السيدة نانا (تقول لك) إلى متى؟

عسى الرب مادانا مدير أنوناكي (يقول) إلى متى؟

عسى بابا (تقول لك) إلى متى؟

عسى أدد. الابن المحبب إلى آنو (يقول لك) إلى متى؟

عسى شالا الزوجة العظيمة (تقول لك) إلى متى؟

أيها الرب القوي الذي يسكن في ايكور. اجعل روحك الإلهية تجلب لك الراحة.

عسى يا من صفته بطل الآلهة ـ عسى آلهة السماء والأرض تجعل غضبك سروراً.

لا تهلك مدينتك نيبور. أيها الرب كن مسروراً. عسى أن يقول لك.

لا تهلك مدينتك سبار. أيها الرب كن لطيفاً

لا تهلك بابل. مدينة الهناء. أيها الرب كن لطيفاً

الطف ببيتك والطف بمدينتك. أيها الرب كن لطيفاً.

الطف بابل وبأيزاكلا. أيها الرب كن لطيفاً

جدد متراس أيزاكلا وقفلها وأجر ايزيدا وأعدها إلى مكانها..

أيها الرب عسى آلهة الماء والأرض تقول لك كن لطيفاً.

هذه هي نهاية الترنيمة التي تنشد للإله مردوك ولكن النص الآشوري يستمر بالدعاء متوسلاً بالإله مردوك ليحفظ الملك آشوربانيبال» (الأمين 2018: 48 ـ 50).

«وجدت من هذه الترنيمة في نسخ عديدة من رقم الطين ولكن الرقيم الطيني الكامل عثر عليه في مدينة بابل. ووجدت كذلك نسخاً أخرى لهذه الترنيمة ولكن في حالة كسرات من رقم الطين في مدينة نينوى. ويرجع قسم منها إلى زمن الملك آشوربانيبال (686 ـ 626) ق.م. والمعتقد أن هذه الترنيمة سومرية الأصل وقد استنسخها الكاتب البابلي بيل أخم اريبم من زمن الدولة البابلية الحديثة ولا يمكن تحديد زمن النص الأصلي السومري الذي كتب باللهجة السومرية المعروفة بلهجة أمي صال وقد اهتم بنشرها عدد قليل من العلماء الغربيين المختصين بتأريخ حضارات وادي الرافدين في مختلف اللغات الأوربية. والواقع أن هذه الترنيمة قطعة رائعة من الأدب الديني القديم لبلاد وادي الرافدين وتقدم لنا طريقة

التضرع إلى الإله الأعلى والتوسط لدى إخوانه من الآلهة ليعملوا على إزالة صورة الغضب من الإله مردوك حتى يعيش الناس والبلاد بسلام ويمن وسعادة.» (الأمين 2018: 50 ـ 51).

المبحث الرابع: الأخرويات البابلية

أولاً: النهايات والموت الفردي

ألواح القدر

«كيف كان البابليون يتصورون ألواح الأقدار هذه؟ من الصعب الإجابة بدقة. ولكنهم كما يبدو، لم ينظروا إلى جميع الأحداث الآنية والمثبتة في تلك الألواح نهائية وثابتة. وليست هناك أدلة يمكن أن تشير إلى أن حامل الألواح كان يدون فيها أوامر وقرارات جديدة من حين لآخر، بل هناك ما يشير إلى عكس ذلك. عندما جرد مردوخ كينفو من الألواح «مهرها بختمه». وقد تكون ألواح الأقدار مجرد صدى أو تحوير الكلمة السومرية «مي ـ me».
جرت حتى الآن عدة محاولات لتفسير الصيغة السومرية me لأنها تعرضت مع مرور الزمن إلى تغييرات جوهرية. يعتقد ياكوبسن أن الاسم «مي» يتوافق مع الفعل «مي» الذي يفيد «يكون» و«كينونة» أو «الوجود» يراد به شكل أو طريقة الوجود. ويعتقد الباحث أيضاً أن ترجمة هذه الكلمة يجب أن تفيد «معيار» أو «مقياس» وجود هذه الظاهرة أو تلك.»
(كلشكوف 1995: 41).

المصير

«ومن بين أهم المصطلحات الشائعة يمكن الإشارة إلى الكلمة السومرية «نام ـ تار - nam tar» والتي تقابلها الكلمة الأكدية «simtu». تترجم الكلمة السومرية بكلمة «مصير» أو «قدر». وتعني كلمة nam - tar مع إله القدر شيئاً ما قريباً من «مَلَك الموت». والإله (نامتار) يعد من الآلهة المهمة المعروفة في عالم الموتى عند البابليين، وهو وزير العالم الأسفل،

ورسول الربة أرشيكيجال. بالإضافة إلى هذا «النامتار» فإن لكل شخص «نامتاراً» خاصاً به، هو سيد قدره، ومقرر موته في خاتمة الحياة. ويعتقد ت. ياكوبسن أن مفهوم كلمة «نامتار» تطور على النحو التالي: «هذه الكلمة مثل مصطلح nomen agentic، وقد تعني (لا أحد، أو لا شيء) الذي يقرر المصير. وتشير هذه الصيغة إلى الشخص أو الشيء الذي يقرر مصيره: أن nam - tar - mu تعني (ذاك الذي) أو (الشيء الذي) يقرر مصيري. ولكن مصطلح nam - tar قد يعني المصير بالذات. ونعتقد أن الكلمة كانت تستعمل في هذا المعنى أكثر من أي معنى آخر. ويبدو أن الاستعمال الأخير للكلمة نشأ نتيجة استعمال nam - tar للتعبير عن حدث تثبيت أو تقرير المصير، أي أنه المصير في الجوهر.» (كلشكوف 1995: 34 ـ 35).

«ويبدو من النصوص أن قرارات الآلهة وكلمتهم والمصير المقرر من قبلهم تكون «نهائية» و«غير متغيرة» دائماً. وتقرير المصير النهائي (الثابت) للإنسان عند ولادته، لا بدّ وأن يؤدي إلى تقرير مستقبله بشكل تام، ولا بدّ في نهاية المطاف أن يقود إلى القدرية التامة. لذلك لا معنى (من الناحية المنطقية) لأية محاولة للتوجه نحو الآلهة بالرجاء لتبديل الوضع. ومع ذلك فإن النصوص الأكدية تطفح بمثل هذه الأدعية (الرجاء تقرير مصير جيد (أو رديء) للمعبد والمدينة والإنسان، وإطالة العمر وغير ذلك). وكذلك الإشارة إلى أن فلان ابن فلان قضى نحبه في غير موعده، وهكذا، نلاحظ أن كلمة الآلهة التي «لا تخرق» كانت تخرق في حالات كثيرة.» (كلشنكوف 1995: 44).

«هناك قدر من الغموض في نظرة بلاد ما بين النهرين إلى الموت والحياة الأخرى. فالجحيم المظلم أرالو Arallu أو الأرض الهائلة أو «دار الأشباح»، توجد تحت الأرض. وتبلغها أرواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب نهر حُبرة Habour وينعكس هذا الاعتقاد على شكل القوارب التي عثر عليها في بعض القبور، فها هنا نجد مملكة أرشكيجال Erishkigal وزوجها نرجال Nergal مع حاشيتها من الآلهة والموظفين من صرعى الحروب بما في ذلك وزيرهما أشروم وإلهة الكتابة بعلة صيرىBleterstim التي تقوم بتسجيل الداخلين وهؤلاء جميعاً يحتاجون إلى طعام وملابس وأدوات، شأنهم شأن الآلهة الموجودة على سطح الأرض والبشر الذين يعيشون فوقها وتعتمد مرتبة المرء في العالم الآخر على نشاطه إبان

حياته ويتولى الحكم على أرواح الموتى إله الشمس الذي يمر بالعالم السفلي في السماء فيزودهم بالضوء الوحيد الموجود لديهم كما يحكم عليهم أيضاً الإله ننار الذي يقرر نصيبهم.» (باردنر 1993: 21).

«اعبد إلهك كل يوم،

وقدم له القرابين والصلوات،

التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور،

قدّم قربانك طائعاً لإلهك،

لأن ذلك يتناسب مع الآلهة،

قدم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم،

وسوف تثاب على ما تفعل.

عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل

إن التبجيل يولد الحظوة،

والقربان يطيل الحياة،

والصلاة تكفر عن الذنب،

(نصائح الحكمة 135 ـ 145)

«ويستطيع المتعبد الثري، بدلاً من القيام بنفسه بالصلاة والنواح، أن يودع المعبد شيئاً مناسباً على سبيل الهدية (تمثالاً صغيراً، بعض الأواني النحاسية، شاهداً أو حجزاً تذكارياً

Stelao خاتماً، قطعة من المجوهرات، نموذجاً مصغراً). وتوضع هذه الأشياء على مقربة من تمثال الإله لتذكره بالطلب أو لتشكره على نعمة. وقد تكتب الصلوات كذلك على هيأة رسائل توجه بطريقة مناسبة، وتكتب، عادة، في شيء من التفصيل عارضة الشكوى أو الالتماس أو الاحتجاج أو الصلاة، وإيماءات الصلاة، بالإضافة إلى الركوع والسجود، هي رفع اليدين معاً إلى أعلى، أو وضع يد واحدة أمام الفم على أن تكون راحتها تجاه الوجه..» (باردنر 1993: 23).

«ويمكن أن تغفر هذه الخطايا بتلاوة تراتيل التوبة والصلاة أو التفجيع والنواح. كذلك يمكن التحرر منها بتقديم قربان التكفير الذي يحل فيه الحمل مكان الإنسان. غير أن هذا القربان يتكلف كثيراً بالنسبة لعامة الشعب الذين يستطيعون عند الحاجة الماسة استدعاء كاهن متخصص في طرد الأرواح الشريرة لتلاوة التعاويذ المناسبة من كتبه وعندما يكون سبب المرض مجهولاً أو عندما تكون حالة المرض ناتجة من لمسة من يد الإله أو الروح أو الشيطان، فإن الطقوس المصاحبة تنصب في العادة على تحويل الشر إلى شيء جامد فينقلب إلى شيء لا حول له ولا قوة بفعل رمزي كربط تمثال صغير من الطين أو الخشب للمريض المعذب أو إذابة تمثال من الشمع أمام النار. كما يستدعي الكاهن كذلك كلما كان ذلك ضرورياً للتغلب على قوة عدو أو السيطرة على أخطار قوى تفوق الطبيعة تتهدد بناء ما. أما العذاب الجماعي فكان موضوع المرثيات والطقوس الدينية غير أن عذاب الفرد يخلق مشكلة، فأحد نصوص أدب الحكمة المسمى باسم السطر الأولى فيه «لأمتدحن رب الحكمة» (لدلول Ludlul) يمكن أن يقارن بينه وبين سفر أيوب حيث إنه يصف رجلاً غنياً يفقد جميع ممتلكاته كما يفقد صحته وربما عقله أيضاً لسبب مجهول وهو يحاول عبثاً اكتشاف السبب من خلال كهنة التعاويذ والرقى وتأويل الأحلام وغيرهم. ويتعرض لتوبيخ أصدقائه وأسرته كلما ناجى نفسه ليعرف الأسباب الغامضة للشر» (باردنر 1993: 28).

ثانياً: النهايات والموت الجماعي

لا شك أن ملحمة الطوفان سومرية الأصل وقد وسعّت الرواية البابلية للطوفان تفاصيل هذه الرواية، ونقلتها التوراة بصياغة جديدة.

وهناك ما يشير إلى حصول الطوفان في جنوب العراق في حدود 3000 -2900 ق.م. حيث فاض نهرا دجلة والفرات بسبب سقوط وابل هائل من الأمطار في جبال أرمينيا فغمر الطوفان عدة قرى سومرية تزيد مساحتها على أربعين ألف ميل بعمق ثمانية أقدام من الغرين استناداً إلى السير ليوناردوولي في كتابه أور الكلدويين، ولم تسلم من الدمار سوى بضع مدن مشيدة بالآجر.

وقد أشار يوسفوس نقلاً عن بيروسوس وسواه إلى آثار حطام السفينة في أرارات (جبل الجودي قرب بحيرة وان)، وذكر بيروسوس أن الأكراد من أبناء المنطقة ما يزالون ـ أي حتى زمانه ـ يقتطعون القطع من قار السفينة لاستعمالهم الشخصي (؟) ويزعم فريق من الأميركان أنهم عثروا هنا على جذامات خشبية شبه متحجرة يرقى تاريخها إلى ما يقارب 1500 ق.م. ويطلق المؤرخ الأرمني موسى خورينه على هذا المكان المقدس اسم ناخيدشوان (أي مكان النشوء الأول).

وتؤكد التوراة صراحة على الأسباب الأخلاقية وراء قرار دمار الإنسان فالأرض قد فسدت وامتلأت بالعنف والشر. أما النص البابلي فيعطي تلميحاً بالأسباب الأخلاقية حيث نجد (إيا) في آخر النص يخاطب (إنليل)، قائلاً: (حمل المذنب ذنبه والإثم إثمه.. امهله كي لا يفنى ولا تهمله كيلا يفسد) وهذا يدل بوضوح على أن غرض إنليل الأساسي من الطوفان كان القضاء على الشرور والآثام فدمر الجميع دون تمييز بين الصالح والطالح، لكن ملحمة أتراحاسس تطرح سبباً غريباً للطوفان يذكرنا بالسبب الأساسي للصراع بين الآلهة في أسطورة التكوين، فإنليل يشعر بالانزعاج من صخب البشر وضوضائهم فيقرر إفناءهم بعد أن أعيته الحيل في التقليل من عددهم. ولكنه بعمله هذا يناقض العلة الرئيسية لخلق البشر، ألا وهي حمل عبء الكدح عن الآلهة فهل كان يخطط لخلق جديد يعقب الطوفان؟

تختتم ملحمة الطوفان البابلية بصعود إنليل فوق السفينة وهو يمسك بيد أتراحاسس ويجعل زوجته تصعد معه وهو يقف بينهما ويلمس رأسيهما ويباركهما، قائلاً:

ـ لم يكن (أتراحاسس) قبل الآن سوى بشر، ولنمنحه الخلود هو وزوجته فيكونا مثلما نحن الآلهة، وسيعيشان بعيداً في دلمون الأرض التي لا يصلها المرض ولا الشيخوخة، الأرض البيضاء النقية، سيعيشان عند فم الأنهار.

وهكذا حلَّ أتونابشتم في أرض دلمون، وبقي حياً خالداً إلى الأبد مثل الآلهة.

في ملحمة أتراحاسس وردت ثلاث نهايات للعالم، الأولى حصلت من خلال إبادة الجنس البشري بالطاعون، والثانية من خلال الجفاف، والثالة من خلال الطوفان وهي التي كانت موضوع الملحمة. وقد وردت في الأدب المندائي ثلاث نهايات للعالم تشبه هذه النهايات أما النهاية الرابعة التي ننتظرها، حسب الأدب المندائي، فهي من خلال الريح والعاصفة وهو أمر طبيعي لأننا في النصين عرفنا أن نهايات العالم الأربع حصلت موازية للعناصر الأربعة ولم يبق سوى كارثة الريح أو العاصفة التي يمثلها عنصر الهواء.

المثولوجيا البابلية لم تفصح عن هذا، لكننا بحكم الاستنتاج العقلي نضعه هنا، فهل ستكون النهاية الأخيرة من خلال العصف الهوائي أو العاصفة؟ ربما نعم.

القسم الثاني: المكونات الثانوية للدين البابلي

المبحث الأول: الشرائع والأخلاق

بلغت الشرائع الرافدينية ذروتها مع شريعة الملك حمورابي سادس ملوك بابل (حكم بين 1792 ـ 1750 قبل الميلاد) حيث وضع قوانينه في شريعة موسعة أصبحت مثار اهتمام العالم القديم والحديث في صيغتها وبلغ عدد قوانينها 282 مادة قانونية سجلها على مسلة كبيرة أسطوانية الشكل وجاءت كما يلي:

من الأول إلى الخامس خاصة بدعاوى اتهام الباطل وشهادة الزور وتغييرها.

من السادس إلى الخامس والعشرين خاصة بالأموال والسرقات وخطف الأطفال وإيواء العبيد وقوانينه.

من السادس والعشرين إلى الحادي والستين إلى مائة وستة وعشرين خاصة بالتجارة والمواصلات والحانات ومحلات السكن والطرق والديون والرهن والأمانات والودائع وقوانينه.

من مائة وسبعة وعشرين حتى المائة وأربعة وتسعين الخاصة بالزواج والطلاق والإرث وتبني الأطفال والزنا، وقوانينه.

من المائة وخمسة وتسعين حتى المائتين وأربعة عشر المخالفات والشتائم والاستهانة.

من المائتين وخمسة عشر حتى المائتين وأربعين خاصة بالمهن كالأطباء والأطباء البيطريين والحلاقين والبنائين والملاحين وبنائي السفن.

من المائتين والحادي وأربعين وحتى المائتين وثلاث وسبعين خاصة بالماشية والفلاحين والآلات الزراعية وتأجير العربات والحيوانات والعمال.

من المائتين وأربعة وسبعين وحتى المائتين وثمانية وسبعين وحتى المائتين واثنين وثمانين خاصة بالعبيد.

المبحث الثاني: السير المقدّسة

أولاً: سير الملوك العظام

للكثير من ملوك بابل سيرٌ مقدسة بسبب ارتباطهم بالآلهة التي عدّوها آباءً لهم أو عدّوا أنفسهم نواباً لها وحاكمين باسمها، ولايمكننا تناول جميع هؤلاء الملوك في جانبهم المقدّس، لكننا سننتخب ثلاثة من أبرزهم:

1.حمورابي:

حمورابي (ويكتب اسمه: أمو ـ رابي، ومعناه الولي الشافي، من أمو، الولي الأب، ورابي، الشافي) سادس ملوك بابل (من الأسرة البابلية الأولى)، حكم، حسب التاريخ الطويل، من عام 1792 ق.م. حتى 1750 ق.م. وحسب التاريخ القصير من (1728 ق.م. ـ 1686 ق.م.و أصبح أول ملوك الإمبراطورية البابلية بعد تنازل والده (سين مبلط) عن العرش، وعرف بانتصاره في سلسلة حروب ضد الممالك المجاورة. وهو أسرة حاكمة أمورية، وأقام دولة / إمبراطورية مترامية الأطراف، ضمت مناطق بلاد ما بين النهرين، دجلة والفرات كلها، ووصل نفوذه إلى مناطق مجاورة في شمال سوريا وجنوب غرب إيران (عيلام)، وأصبحت دولته أكبر دول الشرق القديم وأكثرها قوة وازدهاراً، ولغة بابل صارت لغة التجارة والأدب والدبلوماسية في العالم القديم، وبقيت كذلك حتى حلت محلها اللغة الآرامية منذ القرن السادس قبل الميلاد.

تمس القداسة حمورابي من كونه على علاقة مميزة بإله الشمس (شمش) الذي هو إله العدالة والذي سلّم لحمورابي بنود مسلته القانونية المعروف، ويظهر هذا جلياً في قسمها العلوي ذي شكل هلالي، حيث يظهر عليه مشهد يمثل الملك حمورابي واقفاً أمام إله الشمس، إله العدالة، وتأخذ هذه العلاقة منحىً نوعياً حين يصوّر حمورابي نفسه على أنه متّصل بالإله شمش. ولا شك أن سيرته المدوّنة في الرقم والنصوص المسمارية توضّح مكانته وسيرته الاستثنائية. وقد ذكرنا في موضع آخر كيف أنه وصف كـ (نبي السماء)، وهو وصف نادر لملك في النصوص المسمارية.

2.نبوخذ نصّر:

يعتبر الملك نبوخذ نصر الثاني (605 ـ 562) ق.م. أعظم ملوك هذه الإمبراطورية، رغم أن عصره كان عصر فتوحات عسكرية إلاّ أنه كان عصراً ذهبياً لبابل وعمرانها. وقد حاصر أورشليم وسبى اليهود مرتين، مرةً إلى مصر حيث نصّب فيها ملكاً تابعاً له هو صدقيا (597 ـ 586) ق.م. ومرةً ثانية إلى بابل عام 587 ق.م. بعد أن دحر الجيش المصري ثانيةً.

وكان مجيء أهل يهوذا إلى بابل حدثاً هاماً في تاريخهم والمنطقة. ففي بابل، رغم أسرهم، تنبهوا إلى ضرورة جمع تراثهم الشفوي وخلطه بتراث وادي الرافدين والتراث الكنعاني وسرقة الماضي الروحي العظيم للمنطقة ونسبته لهم، وقد ظهرت كل هذه الصياغة الجديدة في أسفار العهد القديم قبل السبي، ثم في كتابة التلمود باللغة البابلية الكلدية.

وبالطبع فإن هناك عدداً من الشخصيات العلمية والدينية البابلية التي أثرت وحفزت على مثل هذا المشروع، ولا نستبعد أن يكون للملك والكاهن البابلي العظيم نبونائيد دور في ذلك.

لقد كان عصر نبوخذ نصر آخر عصور الرافدين القديمة المزدهرة، وبغيابه بدأ الانحدار نحو الهاوية.. وكانت هذه الهاوية تطلّ على أكثر من ألف سنة من الغياب. دام حكمه ثمانية وخمسين عاماً، فرض سلطانه على دمشق وصور وصيدا وأورشليم ودمر عسقلان وحشد

جيوشه وقاتل فرعون مصر ولكن يهوياكيم ملك يهودا انقطع عن دفع الجزية، فحاصر نبوخذ نصر أورشليم ومات يهوياكيم وأسر من اليهود ثلاثة آلاف ونصب على مملكة يهودا (صدقيا) ولكن فرعون مصر حوفرا حاصر صور وصيدا وأمال صدقيا له، فخلع ولاءه لنبوخذ نصر فحاصر نبوخذ نصر أورشليم واستسلمت له وقتل صدقيا ودمرت أورشليم ودكت معالم هيكل سلمان وأسر من اليهود أربعين ألفاً وكان أغلبهم من الكهنة والعارفين وجاء بهم إلى بابل، ووضعهم داخل سور كبير فاجتمعوا على كتابة أسفار العهد القديم والتوراة والتلمود حيث دام أسرهم سبعين عاماً ونهبوا من سفر سومر وسفر بابل وتشبعوا بثقافتها وهناك داخل الأسوار اكتمل دين يهود، وكادوا كيداً شديداً لنبوخذ نصر وبابل وظهر في بابل أنبياء يهود ودونوا توراة بابل. وعاقب نبوخذ نصر مدن كنعان وأخضع قبائل العرب والتفت إلى حاضرته بابل فعمرها، وأصبحت في عصره أعظم مدن الأرض، انظر إليها بابل العظيمة باب الإله وهي أري دوع المدينة العامرة وأري شار مدينة الكل فيها ثلاثة وخمسون هيكلاً لكبار الآلهة وخمسة وخمسون هيكلاً لمردوخ وثلاثمائة هيكل لإلهة الأرض الأيكيكي وستمائة هيكل لإلهة السماء الأنوناكي ومائة وثمانون مذبحاً للإلهة عشتار ومائة وثمانون مذبحاً للإلهة نرجال وأدد واثنا عشر مذبحاً لآلهة أخرى، ولها ثلاثة مجاري مياه وثمانية أبواب وفيها قصر الصيف ومتحفه العظيم وقصر نبوخذ نصر الكبير مقر سلطانه المطلق، الذي دك جداره الخارجي بالآجر ووطد أساسه على سطح الماء وجعل أبوابه من خشب الأرز المغلف بالنحاس وزينه بالنقوش وكدس فيه الفضة والذهب والأحجار الكريمة واستعمل في سطحه جذوع الأرز الضخمة سليلة الجبال الشاهقة وجذوع الصنوبر والسرو وجعل مصارع أبوابه من خشب الآبنوس والأرز والسرو والشمشاد والعاج المغطى بالفضة والذهب، ووضع في أبوابه عتبات وجاور النحاس وأحاطه بسور كبير وزين صالة العرش بزخارف ولوحات صيد.

3.نبونائيد:

تحيط بشخصية هذا الملك أحداث غامضة، وتحفّ دعوته الدينية أسرار ما زال الكشفُ عنها صعباً ومعقداً وربما كان الكشف عنها مدعاةً لإعادة النظر كلياً بالديانة اليهودية

وأصولها، فعلى الأرجح أن نبونائيد لعب دوراً هاماً في إعادة صياغة الديانة العبرية وتحويلها إلى الديانة اليهودية المعروفة.

لقد كان نبونائيد موحداً، وقد أدرك ببصيرته الثاقبة أن مأزق بابل الحقيقي ليس سياسياً، وأن العقيدة الدينية لها كانت بحاجة إلى ثورة جذرية لكي تجابه نزعات التفريد العبرية من خلال (يهوه) ونزعات الثنوية الزرادشتية من خلال إلهي النور والظلام.

كان لا بدّ من القيام بثورة توحيدية تنطلق من أرض بابل التي كانت مصدر ديانات الشرق الأدنى القديم والعالم كله. وكان نبونائيد قد تربى في أحضان عقيدة أمه (أدد كبي) النزّاعة نحو التوحيد من خلال تفريدها للإله (سين) واعتباره أعظم الآلهة وأعلاهم. أما هو فقد قرر، على ما يبدو، نهائياً الإطاحة بجميع آلهة بابل واعلن الإله سين إلهاً واحداً للعالم كله.

ولا نملك أدلة كافية ومفصلة على تفاصيل دعوته هذه، ولكن شذرات منها ومن سيرته تدل على هذا، لقد شعر نبونائيد أن الإله مردوخ لم يعد صالحاً لتقديم عقيدة دينية جديدة ولذلك رفض المشاركة في احتفالات رأس السنة البابلية لعدم إيمانه بمردوخ.

وكان كهنة بابل المحافظون ينظرون إلى عقيدته وتصرفاته بريبة وخوف، ولذلك دبّروا فاجعة هائلة يوم تآمروا مع اليهود داخل بابل والفرس خارجها للإطاحة بنبونائيد وحكمه والتخلص من الدين الجديد الذي كان يبشر به في حران ويثرب وخيبر وتيماء وددان... الخ.

وهكذا أعدوا هاوية لعقيدة نبونائيد التوحيدية وقد حسبوا إنها ستكون فقط له ولدعاته، ولكن الهاوية ابتلعت بابل كلها بل وابتلعت أمجاد وادي الرافدين والعراق القديم بأكملها. ولم ينهض هذا البلد إلاّ بعد أكثر من ألف عام من هذه الفاجعة.

وذهبت أوهام كهنة مردوخ سدىً إذ إن الفاتح الأخميني كورش ومن تلاه قدّموا شكلياً الولاء لمردوخ في بداية احتلالهم، ثم فرضوا عبادة أهورامزدا إله فارس الجديد الذي كان

يمضي باتجاه التوحيد.

وهكذا فلتت عن بابل أعظم فرصة تاريخية كان يمكن أن تقوم بها وهي فرصة دعوة التوحيد التي تقوم على أسس لاهوتية راسخة.

وتلقف هذه الفرصة أنبياء يهود وفارس في صيغ مربكة للتوحيد، فهي بين أن تكون صيغاً تفريدية أو غارقة في أشباح التعددية القديمة.

المبحث الثالث: الجماعة والطوائف والمذاهب

أولاً: عبادة مردوخ وعبادة سين

يرى الباحثون أن صعود الإله مردوخ إلى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية يعود إلى أسباب سياسية محضة، فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لا يذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي استطاع أن يمّد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أقاصي حدود عالم الشرق القديم، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية، ومركز إشعاعها الحضاري.

وعبارة (ملك الآلهة) هي الإفصاح الدقيق عن مذهب التفريد الذي خّطه الكهنوت البابلي متأثراً بتفريد إنليل عند السومريين ولفظ (لوكال. دم. آن. كي. ا) (Lugal Dimmer An.Ki. A) تعني حرفياً (ملك آلهة الما فوق والما تحت) وهو لقب التفريد كما نرى.

كان الإله مردوخ ابن الإله إنكي، وقد ورد ذلك في مقدمة حمورابي وهي واحدة من أقدم الوثائق البابلية «وتقول إن الإله آن والإله (إنليل) حملاه الإنليلية (نسبة إلى إنليل) ليحكم بواسطتها البشر» (إدزارد 2000: 160).

وهذا يعني انقلاباً ذكورياً مزدوجاً وضع مردوخ في مركزية ذكورية عالية، حيث نقل نسب مردوخ من كونه ابناً لإنكي إلى إنليل، ثم أنه طوبق مع ابن إنكي (إسالوحي) إله الغيوم

والطقس وأخذ صفاته ثم وضع في الإنليلية التي تعني السلطة والحكم.

ويرى إدزارد أن السبب في صعود الإله (مردوخ) إلى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية يعود لأسبابٍ سياسيةٍ محضة «فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لا يذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي استطاع أن يمد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أقصى حدود عالم الشرق القديم، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية، ومركز إشعاعها الحضاري، ونجد التبرير اللاهوتي المقنع في القصيدة التعليمية (إنوما إليش) حيث تصوّر القصيدة أمجاد مردوخ وانتصاره على (تيامت) التي كانت تهدد أجيال الآلهة الشابة بالفناء، وتذكر القصيدة أسماءه الحسنى الخمسين» (إدزارد 2000: 161).

كان صدى إله القمر السومري (ننار،نانا) الذي كان يسمى (سين) يتردد قوياً بعد سقوط الدولة السومرية الحديثة ومدينة أور التي كانت مقره حيث زقورته الشهيرة هناك، وقد بقي الهاً كبيراً وانتشرت عبادته في بلاد بابل في العصر البابليّ القديم، وتحول شيئاً فشيئاً إلى إله سريّ يتداول ذكره وعبادته الكهنة والخاصة من المتعبدين، وبقي يعبد كإله مهم في أور وفي حرّان، وقد اهتمت كاهنته العليا (أدد كبّي) بعبادته ونشرها وجعلت ولدها الكاهن (نبونائيد) وهو آخر ملك بابلي يتأثر بها ويتّخذ منها ديانة شاملة للتوحيد.

أصبح الصراع واضحاً بين عبادتين بابليتين هما عبادة مردوخ الرسمية المعلنة وعبادة سين الخاصة السريّة التي بدأت بالنمو والوضوح.. وقد قاد كهنة مردوخ حرباً شعواء على عبادة سين انطلاقاً من مصالحهم الدينية والمادية وهو ما دفعهم للاتصال بكورش الذي كانت عبادته شمسية قريبة من عبادة مردوخ، وكان هذا الاتصال بمثابة حصان طروادة الذي أسقط بابل بيد الفرس الأخمينيين.

ثانياً: عبادة تموز البابلي الشعبية

تموز البابليّ هو وريث دِموزي السومريّ الذي يعني اسمه (الابن المخلص) فهو ابن الإله (ابن الله) وهو الذي سيكون مخلّصاً للآلهة والبشر ربما بسبب صفاته الخصيبة وكونه راعياً يقدم خدماته لهم جميعاً، وهو أحد حارسي بوابة السماء (الحارس الآخر هو أخوه ننكشزيدا إله الطب وأحد آلهة العالم الأسفل) والغريب أننا نجدهما في السماء مثلما في الأرض، وهو المسؤول عن دورة الفصول عندما يبعث حياً كل ستة أشهر عند شهر تموز رابع شهور التقويم البابلي ويموت في شهر أيلول، ومن ألقابه الراعي والثور الوحشي ومن وظائفه الأخرى الإشراف على المراعي وهو إله الحظائر ويمثل عنصر الذكورة في الطبيعة وزوجته هي الإلهة عشتار.

هذا الإله ظل هو الإله الشعبي المفضّل عند البابليين لأنه أقرب لهم في صفاته البشرية، ولأنه يمنحهم الشعور بالحب والتضحية ويمنحهم فصل الربيع ومسافدة الأبقار والأغنام، وهو الذي يزيد من وجدهم العاطفيّ والجنسي، فهو أفضل من مردوخ (ملك الآلهة) البعيد في كوكب المشتري وأفضل من (سين) البعيد في كوكب القمر. ولهذا شكّل هذا الإله وأسطورته البابلية فضاءً شعبياً وعبادة خصيبة بين الناس.

رُمز إلى تموز بالنخلة، حيث يمثل قوة الحياة فيها، وكان الرمز عبارة عن جذع النخلة التي تحمل في قمتها نجمة ثمانية أو تاج النخلة (سعفها)، أما كوكبه فهو الجوزاء وكان رمزه الحيواني هو الثور البري ولذلك يلّقب بثور السماء العظيم (أمو شومكال أنّا).

سادت صفة «الإله المتوفى والمرتفع» وكانت هذه الصفة تشير إلى الموت والانبعاث، وهي إشارة تقترب كثيراً من صفة السيد المسيح الذي توفي ثم ارتفع إلى ملكوت السماء، وهذا أيضاً مثّل نوعاً من العزاء للفئات الشعبية في بابل لكي يكون شفيعهم بعد الموت.

المبحث الرابع: الباطنيات والأسرار

أولاً: السحر والعرافة والخيمياء

1.السحر البابلي

يمكننا التمييز في الحياة البابلية بين السحر والدين حينما يختلطان في ما يشبه الأداء الواحد شكلياً، فالكاهن يستخدم السحر في أغراض دينية، بينما الساحر يستخدم السحر لأغراض شخصية.

«السحر الكلدوي كان مقدمة لسحر العصور الوسطى الأوروبي، بصرف النظر عن السحر والشعوذة، ليس فقط عن طريق التشابه بين الأنظمة ولكن عن طريق إدخال أسماء الآلهة والسحرة البابلية والآشورية في السحر من العصور الوسطى. مراراً وتكراراً، يُطلب من بابل تكراراً أكثر من مصر، ونلتقي باستمرار بأسماء بعلزبول وعشتار (مثل أستارتي) وبعل ومولوش، في حين أن أسماء الشياطين، التي من الواضح أنها من أصل بابلي، تصادف في كل مرة تقريباً العمل على هذا الموضوع. يتم أيضاً استخدام التلميحات المتكررة إلى «الحكماء» و«مستحضر الأرواح» في بابل، و«نظرات النجوم» في «كلديا». (Spence (1917: Chapter X

ارتبط السحر البابلي بالشياطين الذين كان لهم حضور فاعل في الاستدعاء والتنفيذ، وهم بذلك يقتربون من القوة أو الطاقة التي يناديها الساحر قبل ظهور الأديان، فالكائنات الشيطانية أقرب إلى هذه الطاقة لأنها تمثل الطاقة السلبية في الكون. ويبدو أن هناك كآبة أعمق، وروحاً مشؤومة وغامضة في السحر البابلي، يبدو أن ملاذاته العظيمة وأبراجها الطموحة في السماء مبنية على هذا الاعتقاد بفعالية التعويذة المنطوقة، الاحتجاج المكرر. الآلاف من الأرواح متنوعة وغريبة، الأشباح والعفاريت وهم يطاردون أسوار المعبد وغيرها.

كان الشياطين يرفرفون في الشوارع ليلاً، ويُقلقون السكان في المنازل. ومنها ما يعتقد بأنهم من مصاصي

الدماء، والغيلان والأرواح الشاردة والجن، ويبدو أن هناك نوعاً من الوجود الخارق لم يكن معروفاً لبقية الشعوب. ولذلك يجب وضع جميع الأشياء وتطهيرها أو تهدئتها، ولذلك ازدهرت فيها تجارة استحضارالأرواح بشكل مفرط.

كان الكهنة الذين يحتكون بالسحرة ويتأثرون بهم هم العرافون والعشابون (بارو، أشيبو) أما السحرة فهم (كسبو، كسبتو) ويسمى السحرالأسود (كشفو) أيضاً. وتصور نصوص المقلو البابلية كيف أن الساحرة تجوب الشوارع، وتبحث عن الضحايا، وتنتزع الحب من الرجال الوسيمين ، وتدمر النساء الحزينات. وفي وقت آخر تم تصويرها وهي جالسة في ظلال الجدار وفي تعويذات وصورٍ أنيقة. وللتخلص منه شرها يصلي المؤيد أن سحرها قد يعود على نفسها ، وأن صورة التي لها ستكون في يد الكاهن ، ويجب أن تُحرق من قبل إله النار، أن كلماتها قد تضطر إلى العودة إلى فمها . وقد يكون فمها سميناً ، ويكون لسانها مالحاً.

الاسم وكلمة القوة:

كان السحرة يحتفظون بكلمة القوة بتقديس كبير، وخصوصاً اسم الإله السريّ الذي يمتلك قوة كافية لهزيمة جحافل الأشياء الشريرة التي محاط ومضايقة للبشرية. ربما تم استخدام اسمَي إيا ومردوخ كما هما، لكن السحرة يحتفظون باسميهما السريين، حيث الاسم السريّ تكون له القابلية الأكبر على التدمير والمحق، وكان من الضروري أيضاً معرفة اسم الشيطان أو الشخص الذي كانت نوباته موجهة ضده. إذا كان من الممكن إضافة قطعة من الشّعر، أو قطع الإظفر ليعطي فعالية خاصة للسحر.

وكان الاسم هو السلك الموصل بين الساحر وبين ضحيته، ولم يكن البابليون في علاج المريض أو المرض من أي نوع يقرأون قوائم طويلة من أسماء الأرواح الشريرة والشياطين على أمل أن يفعلوا ذلك بفرصة لإلقاء الضوء على ذلك الشخص المميز الذي كان سبب المرض.

السحر الأسود:

كان أصل أفكار السحر الأسود من بابل وآشور قبل أغلب الشعوب الأخرى، إن أغلب النصوص السحرية قد أتى من سومر، ثم أعيدت كتابته بالأكدية زمن سلالة بابل الأولى، وكان السحر يسمى عند البابليين باسم كشفو أو كيشبو «والذي يعنى أضرار السحر. إن المبشرين والوعاظ الخاصين به يسمى أحدهم باسم (كاشبو) أي الساحر و(كاشابتو) أي الساحرة، أما طريقة عمل هؤلاء فتتركز على (التسخير) أي جعل الأفراد تحت سيطرتهم السحرية أو الإسهام في حالات مؤذية من السحر(بوتيرو 1970: 158).

«وتعتبر نصوص المقلو والشوربو (Maqlu، Shurpu) السحرية من أهم النصوص التي ظهرت في بابل وكانت مكرسة للتضاد مع السحر الأسود وإبطال مفعوله، أما السحر الأبيض المنتج والخير فقد كانت الدولة تشرف عليه وهو دينيّ إلهامه وغاياته للخير. فهناك التعاويذ والطقوس السحرية الكثيرة لأغلب المناسبات والتي تستند على عناصر عامة لغالبية أشغال السحر. فاللون والعقد وقواها، والدائرة وأهميتها والتطهير بالماء ثم النار (الأحمد 1975: 58).

وكانت ممارسة السحر مشروعة وكان الطابع العام للسحر الرافديني خيّراً ومنتجاً، أما السحر الضار والأسود فقد حرّمه القانون وصدرت تشريعات بحقه.

اسم الكشفو أو الكاشف، فالأخير يعزل الساحر عن الكاهن ويشير تحديداً إلى السحر الضار أو الأسود.» لكن الكاهن المعزّم هو الذي اكتسب صفة الساحر أيضاً في الاديان الرافدينية وكان يسمى، على العموم، باسم المشماشو الذي يؤدي الطقوس والتعاويذ السحرية في المعبد كالتطهير وادارة المعبد وأحياناً في بيوت المصابين بالسحر ويبدو أن واحداً من واجباته هو المسح بالزيت كما يدل عليه اسمه ولا شك أن للقب المسيح علاقة بهذا الاسم، أما الكاهن الآخر فهو الأشيبو وهو مساعد المشماشو أو الكاهن المختص الذي يناظره وهو الطبيب الروحي كما عرفناه، أما كاهن الكَالو أو الكَالا بالسومرية Kalu، Gala هو طارد الأرواح الذي يطيّب قلب الإله بموسيقاه الدينية وكذلك الكاهن.

وكان الساحر يقوم بأعمال أخرى تخصّ الآلهة فهو الذي يسهر على رعاية تماثيلهم في المعبد وخارجه، وهو المسؤول عن رفع مركزهم إلى مستوى التقديس وإحاطة وجودهم بالتعظيم والوقار، كذلك فهو المسؤول عن إعادتهم إلى الحياة بفتح أفواه التماثيل وغسلها، وهو الطقس الذي يسمّى بطقس (غسل الفم) وتتألف هذه العملية من لمسهم بأداة مناسبة وكذلك من تلاوة بعض الصيغ وبهذه الوسيلة تعود التماثيل إلى الحياة ومعها تعود كذلك المواد التي تستعمل في الطقوس الدينية الخاصة بها كالأدوات الموسيقية ومنها الطبلة المقدسة التي تعرف باسم (ليلسّو Lilissu) والتي تستعمل في العزف الموسيقي (كونتينو1979: 485).

وكان الكاهن الساحر أو المعزّم يقوم بأعمالٍ أخرى بحكم صلته بالآلهة، كان يقدم المساعدة لها عندما تقع في الحرج أو الضعف، فعلى سبيل المثال كان الأشيبو يقوم بقراءة التعاويذ وأداء الصلوات لينقذ، مع بقية الآلهة، الإله (سين) إله القمر عندما كانت العفاريت تهاجمه، أي عندما يحصل الخسوف ويقوم بدور مشابه عندما يختطف الإله مردوخ إلى العالم الأسفل.

أدوات ووسائل السحر البابلي:

كانت شخصية الساحر الديني أقوى في فاعليتها من شخصية الكهنة الآخرين لأنها كانت تستلهم من السحر القوة والقدرة على التأثير الحاد والمباشر في الأحداث بينما كان الكهنة الآخرون يقومون بأعمالٍ تنظيميةٍ وإداريةٍ ودينيةٍ عامةٍ.أما الوسائل التي كان يعتمدها الساحر فكانت عديدة وهي كما يلي:

1. الكلمة

كانت الكلمة مقدسة عند العراقيين القدامى فبالكلمة خُلق العالم، وتذكر الأساطير كيف أن كلمة إنليل لا تتبدل وأنها حياة جميع البلاد،« حكمتك هي الزرع، كلمتك هي الحبوب، كلمتك هي الماء الغامر حياة جميع البلاد».(كريمر1986: 81).

وتستخدم الكلمة منطوقة أو مكتوبة من قبل الساحر لأنها تمتلك الطاقة أو القوة السحرية الكبرى. والجدير بالذكر أن الكلمة السحرية كانت تسمى عند المصريين كلمة القوة أو كلمة الحق (حقو أو هيكاو Hekau) (Budge 1898).

2. الاسم

كان العراقيون القدماء يعتقدون أن لا وجود للشيء دون أن يكون له اسم، وكان الاسم عندهم بمثابة الشيء أو الشخص نفسه، ومعروف أن أسطورة الخليقة البابلية تؤكد على أن الكون لم يكن موجوداً ولم يكن للسماء أو للأرض اسم. وكان الساحر يعتقد بوجود القوة في الاسم فيستعمله وكأنه يستعمل الاسم نفسه، ويمكن لقانون التشابه السحري أن يؤكد هذا فاسم الإنسان أو الشيء شبيه به، ولذلك يستعمل في الطقس السحري على أنه هو ذاته. وكان على الساحر معرفة اسم المريض الذي يشافيه متلفظاً باسمه بصوت ملائمٍ أو كاتباً إياه بطريقةٍ معينة.

3. التعويذة

التعويذة أو التميمة أو الحجاب نوع من المواد أو أدوات الزينة أو قطع الملابس، وتعمل، من مواد أخرى مختلفة، وهي إما أن تكتسب قوتها من المادة المصنوعة أو منها، أو من الطلاسم والكلمات التي تحتويها أو من كليهما. والتعويذة تُلبس أو تُحمل لدرء الأخطار عن صاحبها ويرى والاس بدج، عالم المصريات المعروف، أن كلمة تعويذة Amulet مشتقة من جذر عربي بمعنى (حمل) وتهدف التعاويذ المصاحبة للموتى إلى حماية أجسادهم من التفسخ. ويرى بدج أيضاً أنها تجعل الآلهة تحت سيطرة الموت لإجبارها على تنفيذ إرادته (Budge 1898)..

وتسمى التعويذة في البابلية (شبيتو) ويلبسها حتى الأرباب فقد كان مردوخ في حربه ضد تيامت لابساً تعويذة من الطين الأحمر وممسكاً في يده نبتاً يُبطل السمّ ويوقفه.

4. الاشكال السحرية

وهي الرموز والشعارات والصور التي تدلّ على الآلهة أو الشياطين، والتي يمكن للساحر استخدامها لأغراضه السحرية ويزخر تراث وادي الرافدين منذ العصر الحجري الحديث بمثل هذه الأشكال والرموز كالمندالا والسواستيكا والنجمة الثمانية والسباعية والصليب ورموز الآلهة كالقصبة المطوية النهاية لعشتار والتاج المقرّن الموضوع فوق دكة للإله آنو والإله إنليل والعجل النصفي الظاهر من بناية معبد الإله إنكي وقرص الشمس الذي يحتوي على أربع من أشعة معقوفة متحركة وأربع ساكنة للإله أوتو (شمش) أما رمز الإله مردوخ فهو الحيوان المركّب الذي يسمى باللغة البابليه (موشخوشو) الذي يظهر وحده أو خارجاً من دكة المعبد. والإله آشور يُرمز له بالقوّاس الذي له جناحان والمحاط بقرصٍ ذي لهبٍ. أما الإله (ننكَرسو) فرمزه هو الطائر المعروف باسم (إنزو) أو طائر الصاعقة.

هذا عن بعض الآلهة، أما الشياطين التي هي أشد ارتباطاً بالسحر فإن لها رموزاً وأشكالاً متميزة فالإلهة (تيامت) ربة العماء الأول لها شكل وحشيّ متميز، و(خمبابا) الشيطان وحارس غابة الأرز له قناع متميز كان يستخدمه السحرة في طقوسهم، وطائر (أمدوجد) أو الصاعقة الذي يرمز إلى الشيطان (زو) له رمز معروف يتمثل بجناحين. أما الآلهة (ليليث) إلهة الظلام وسيدة السحر الأسود فتمثل بجناحين ونراها واقفه على لبوتين، ممسكة بالعصا والصولجان وهي عارية.

وتعددت الأشكال السحرية الخاصة بالشياطين في العصر الآشوري، فقد اتخذ الشيطان لاماستو شكل الثور المجنّح ذي الرأس البشري والأرجل الخمس، وقد نُحت هذا الشكل وهو يحملُ سطلاً وأدوات تُستعمل لطقس التطهير، ونُصب على البوابات الآشورية الكبرى. أما الشيطان (بوزوزو) فصوّر بأجنحةٍ وبأرجلٍ تشبه أرجل النسرِ، وهناك الكثير من الشواهد على هذه الأشكال السحرية والرمزية التي كانت تستخدم في طقوس السحر.

وهناك رموز من نوع آخر، فالوعاء المقدس (أغابو) يرمز إلى ملكة التعاويذ أي شجره الطرفاء. وآنو إلى إكليل النخلة وترمز إلى القصبة، وننورتا إلى شجرة الأرز وأدد إلى الفضة

وهي القمر والذهب هو الشمس والنحاس هو إيا، والرصاص نينماه، والمجرة هي الإلهة أوراس، والشعلة هي كيبيل، والجبس هي ننورتا، وأما العاصفة فترمز إلى السلاح ذي الرؤوس السبعة لشجرة الغار. (كونتينو 1979: 298).

وهكذا نرى الرموز تُشتق من عوالم النبات أو الحيوان أو الجماد وقد تُشتق من العوالم الهندسية المجردة أو من العوالم الفلكية كالنجمة الثمانية التي تمثل عشتار، وقد ترسم هذه الأشكال على أحجار أو رقم طينية أو فخارية أو على أختامٍ أسطوانية أو على جلود الحيوانات أو تُمثل بصيغة منحوتات وتماثيل باحجام مختلفة وقد تُصنع من الحجر أو المعادن أو الخشب أو عظام الحيوانات.

5. الأعداد

كان للأعداد سلطان عظيم في نفوس الأقوام القديمة عموماً، وأقوام وادي الرافدين، بشكل خاص، فقد وضع السومريون أول نظامٍ عددي هو النظام الستيني، وأعطوه صفة فلكية وتنجيمية دينية، وقد قسّموا السنة على ضوئه إلى 360 يوما و12 شهراً وقسموا الشهر إلى أربعة أسابيع والأسبوع إلى سبعة أيام. واكتسب الكثير من الأعداد قداسته من خلال منظور ديني وصار لهذه القدسية صفة سحرية أيضاً. فالرقم (1) كان يدل على الإنسان نفسه، والرقم (2) عرفه الإنسان من الأعضاء المتناظرة في جسده كاليدين والقدمين والعينين... الخ. أما الرقم (3) فكان يدلّ على الجمع والكثرة واستعمل الرقم (7) ليدلّ على الكثرة أيضاً، واكتسب هذا الرقم صفة دينية مقدسة مع العدد 12 الذي يدل على التكامل وكذلك العدد (40) ثم العدد (60) الذي يدلّ على اكتمال النظام الستيني.

6. **الحيوانات**

كان يُنظر إلى الحيوانات وكأنها كائنات بشرية مسحورة رغم أن الكثير منها كان يرمز إلى الآلهة، وكانت على العموم تُرى وكأنها كائنات خارجة من العالم الأسفل بسبب أشكالها التي كانت تقارب أشكال الشياطين والعفاريت.

وبصورة عامة كانت النظرة السحرية أو الدينية عموماً تتعامل مع الحيوانات بمستويات ثلاثة هى (رموز إلهية ، مسوخ بشريّة ، كائنات سفليّة) .

إن هذه النظرية كانت تاتي من رسوخ العقائد السحرية القديمة في ديانات وادي الرافدين فالحيوانات بصفتها رموزاً الهية تعكس الجذر الطوطمي البعيد لها، والحيوانات بصفتها مسوخاً بشرية تعكس أفكار التناسخ التي شاعت في الديانات الأرواحية وغيرها، والحيوانات بصفتها كائنات سفلية أو آلهة معاقبة تعكس النظرة الدينية البدائية أيضاً، وفي كلّ الأحوال كان السحر يعتمد على الحيوانات ويسخرها ويستخدمها في طقوس، وبجميع مستويات التعامل التي أشرنا إليها.

لقد كان الثور رمزاً للإلهين إنليل وديموزي، والبقرة رمزاً للإلهة الأم ولعشتار والجدي رمزاً للإله إنكي والذبابة رمزاً للإله نرجال إله الطاعون والموت، والكلب رمزاً للإلهة (باو) إلهة الشفاء وغير ذلك مما ذكرناه. وكان السحرة يكتبون أو يصممون تعاويذهم في الكثير من الأحيان على شكل واحد من الحيوانات الدالة. كما أن هناك الكثير من الأدوية السحرية كانت أجزاء من أجساد حيوانات كبيرة أو صغيرة في مكونتها، إضافة إلى توسيط الحيوان كأضحية يقوم عليها فعل العقاب أو الأذى لتدرأ عن الشخص ما يؤذيه، وفي ذلك استخدام لقانون سحري أيضاً.

ومن الجدير بالذكر أن استعمال الحيوانات سحرياً في وادي الرافدين لا يقارن باستعمالها في وادي النيل، ففي مصر القديمة كان الحيوان يقوم بأدوارٍ سحرية أوسع وأكبر، وكانت الجعران والنسر وابن آوى والأفعى والضفدع وأبو قردان وغيرها تحتل مكانة كبيرة في السحر المصري. وتعتبر المسوخ الحيوانية (الحيوانات المركبة) أساسية في الرموز الإلهية ومنها الحيوان المسمى (موشخوشو) الذي يتألف من (أسد وأفعى ونسر) والذي يرمز للإله مردوخ، والحيوان المسمى (كوساريغفو) الذي يتألف من (معزى وسمكة) يرمز للإله إيا.

7.طقوس الحرق والدفن والماء وحل العقد والبناء

كانت هذه الآليات السحرية التي يقوم بها الساحر جزءاً من الطقوس السحرية التي تكمل عمله، وكانت هذه الطقوس تقام حسب نوعية السحر المراد تنفيذه، فكان الساحر في بعض الأحيان يقوم بإحراق دمية تمثل العدو أو المسبب للمرض أو إتلافها أو طعنها كدلالة رمزية على زوال السبب. وفي بعض الأحيان كانت تقام بعض الطقوس السحرية الخاصة التي تسمى (الفوهو) «والتي تعالج بعض المرضى المصابين بأمراض الخرس أو شلل عضلات الحنجرة وكان يقام أثناءها دفن جدي وإرزة فالجدي هو تموز والإرزة هي تموز أو عشتار وربما الأخيرة، حيث يدفنان رمزياً في الصحراء ويوجد المريض مع تموز على أتم ما يمكن، والنتيجة النهائية الإبلال من المرض» (هوك 1987: 96).

وكان هناك بعض الطقوس التي تستوجب الإغراق بماء النهر أو التطهير بالماء أو الزيت.

«وكان طقس ربط العقد السحرية وحلّها شائعاً في وادي الرافدين، ويستعمل وقاية للنساء الحوامل. وكانت العقد تستعمل أيضاً للسيطرة على عدو بعقدها، فإذا انفكت العقد انكسرت قوة السحر أو الساحر ففي أحد رُقم (مقلو) تعزيمة أعدت لإبطال السحر تختم بهذه الكلمات «عقدتها انفكت، سحرها قد بطل، وملأت جميع رقاها الصحراء» (هوك 1987: 133).

وكان السحرة يقومون أيضاً بالتعزيم لطقوس البناء والحفر وكان سكان وادي الرافدين إذا فرغوا من البناء ينادون كاهن الأشيبو فيقوم بوضع تمثال صغير من طين يمثل إله القرميد أو الآجر ومعه بعض مؤونة في قارب صغير يصار، من بعد، إلى تحطيمه ثم يتلو هذه التعويذة «يا إله القرميد، إنك الآن قد تشققت وتقطعت وساموك سخفاً يا إله القرميد، أستحلفك بالسماء أستحلفك بالأرض أستحلفك بألال ALAL وبليلي BELILI، أستحلفك بلحمو ولحامو، أستحلفك بإلهة السماء وأستحلفك بالهة الأرض، وأستحلفك بأبسو (العميق)، استحلفك بإلهة دوكو (الجبل المضيء)، أن تتشقق وتغادرنا وتزول عنا، وأن تهن عزيمتك، وأن تذهب عنا. وأستحلفك بألاّ تعود» (هوك 1987: 134).

كانت النُّصب المصوّرة، غالباً ما تمثل الشياطين بعدد سبعة وبشكل حيواني: فهد، أسد له أذنان كبيرتان، ذئب، كبش، تيس، طير جارح، حية ـ أو فهد، كلب خطاف، أسد حية، تيس ـ أو ظبي، حية، ثعلب، ذئب، تيس، فهد ـ أو ثعلب، كبش، ظبي، خطاف، تيس، حية، فهد..إلخ وكانت تكتب ضدها التعاويذ والرقى السحرية.

8.التعاويذ والرقى السحرية:

كان الشياطين مصدر أذى للناس، فهم بمثابة جراثيم الأمراض «وكانوا أيضاً يجتاحون أرض البشر، فيلازمون الليالي والأماكن المظلمة والعزلات والخرائب والرياح والمياه الجارية أو الراكدة. وكانوا في الغالب غير منظورين، إلا أنهم كانوا أحياناً يظهرون ذواتهم بمختلف الأشكال، القبيحة منها والفاتنة. وكانوا ينقضّون فجأة على الضحية المختارة، فيشبعونها ضرباً ويسحرونها ويستحوذون عليها أو يفقدونها صوابها.للاحتماء ضد هذه الهجمات، العنيفة أو الماكرة، كان الناس يلجؤون إلى خدمات الكهّان المعزمين. وكانت رتب هؤلاء وتعاويذهم غنية ومتنوعة إلى أقصى حدّ، إذ كان ينبغي، لكي تبلغ الأقوال وحركات اليد هدفها، أن تكون مطابقة بدقة لكل حالة أو ظرف. وكان ثمة عدد كبير من رتب منعزلة، ولكن كانت هناك أيضاً رتب أخرى لا تقل عنها عدداً، وكانت مجموعة ومنظمة ضمن مجموعات قانونية طويلة.» (لابات 1988: 151).

أحد «الكتب السحرية البابلية «تمثل نموذجاً للرقى والتعاويذ السحرية حيث المقطع الأول يذكّر بدور الشياطين في خسوف القمر. أما المقطعان الآخران فيتعلقان بعمل المتعوذ، في صراعه ضد العوامل الشيطانية في أمراض الإنسان. وأن نص هذا اللوح السادس عشر من السلسلة منشور. وقد جاء كله بلغتين ويتضمن عادة ترجمة بابلية مقرونة، سطراً فسطراً بالترجمة السومرية.

أوتو كّو الأشرار» الفصل 16

إنهم عواصف صادمة، هؤلاء الآلهة الأشرار،

إنهم جنّ بغير رأفة، ولدوا في قبة السماوات،

إنهم عملاء الشؤم،

إنهم عملاء الشر الذين، كل يوم، لا يفكرون إلا في الشر،

وهم دوماً في المقدمة لاقتراف الاغتيالات.

من سبعتهم، الأول هو «ريح الجنوب» (المجففة)،

الثاني هو تنين مفغور فمه،

الثالث هو نسر ثائر، (مثل الوحش الذي) سلبوا منه صغاره،

الرابع هو حية مرعبة (....)،

الخامس هو أسد هائج لا يمكن دحره،

السادس هو (كبش) مدرّب (يهاجم حتى) الإله والملك،

السابع هو عاصفة، ريح شريرة لا ترحم أحداً،

سبعتهم هم مرسّلو الملك آنو.

هم الذين يجذبون الظلمة على مدينة أثر مدينة،

إنهم الإعصار الذي يصطاد بضراوة في السماوات،

إنهم السحب الكثيفة التي تجلب الظلمة إلى الماء، إنهم هبوب الرياح المائية

التي تجلب الظلام في النهار النيّر،

إنهم أولئك الذين يضربون بالمرض الخبيث الآتي من الريح الرديئة،

إنهم الوابل الطوفاني لأدد واضطراباته القديرة،

(إنهم أولئك الذين) يسيرون عن يمين أدد،

والذين، في قاعدة السماء مثل البرق، يصعقون من كل جهة،

إنهم في المقدمة دوماً لاقتراف الاغتيالات.

في سماوات الملك آنو الفسيحة،

إنهم هناك، بوقاحة، ولا خصم لهم.

يمكن حينما سمع إنليل الخبر،

تأمل فيه طويلاً في نفسه

ويتفاوض بشأنه مع أيا، مستشار الآلهة السامي،

وضعا سين وشمش وعشتار لضمان النظام في قبة السماوات.

وجعلاهم، مع أو وإنليل، يشاركون السيادة على مجموع السماوات:

هؤلاء الآلهة الثلاثة أبناؤه،

أعطى مهمة الحضور دوماً فيها، ليلاً ونهاراً.

أذ ذاك، هم الآلهة الأشرار

هاجوا في قبة السماوات.

مهاجمين سين، النير الإلهي، وأحاطوه بوقاحة من كل جهة،

وغرروا، من جهتهم، بالبطل، شمش وأدد الباسل...

....

سين، الذي يحب البشرية (يجلب الآن) اضطرابات للبلاد،

ظهوره مضطرب، وقد أصبح صامتاً وخائر القوى.

إنهم الآلهة الأشرار، رسل انو،

هم عملاء الشر يخبطون في كل موضع في الليل،

هم في كل مكان ودوماً، يبحثون عن الشر.

من وسط السماوات، مثل ريح، انطلقوا نحو البلاد.

حينما رأى إنليل في السماء تعتيم سين، البطل،

هو السيد، دعا نوسكو رسوله:

نوسكو، رسولي، احمل أقوالي إلى أبسو،

وابلغ الخبر إلى إيا في أبسو،

إن ابني، سين، في السماء، قد أظلم، بصورة مؤلمة.»

أذعن نوسكو باحترام إلى أقوال سيده،

فذهب مسرعاً إلى إيا في أبسو

وللأمير، المستشار السامي، السيد نوديمود،

أعاد حرفياً كل ما قاله له سيده.

وإذ سمع إيا في أبسو هذا الأقوال،

عض شفته وملأ فمه من الأسف.

ثم دعا ابنه مردوخ وأطلعه على الأمر:

«اذهب، يا ابني مردوخ

من أجل ابن الأمير، النير الإلهي، سين الذي أظلم في السماء بصورة مؤلمة،

كي يعود ظلامه مشعاً في السماوات،

إنهم السبعة، الآلهة الأشرار، الذين ينطلقون كالطوفان ويعبرون فوق البلاد،

هم يجتاحون البلاد، مثل عاصفة،

فهاجموا النير الإلهي سين وأحاطوا به من كل صوب بوقاحة،

وغرروا من جهتهم بالبطل شمس وأدد الباسل.» (لابات 1988: 152 ـ 154).

«أوتوگو الأشرار»، الفصل 3

حينما أدنو من المريض، حينما أدخل إلى بيته وأضع يدي على رأسه، وأفحص أوردة جسمه وعضلاته، حينما ألفظ تعويذة «أريدو»، حينما أطلق التعويذة على المريض، وليكن من جانبيَّ حارس خيّر. أناشدك بننخرسو، الإله الشرير، رابيزو الشرير. فلا يدنو مني هؤلاء

الأشرار، ولا يجتاحوا أمامي، ولا يذهبوا ورائي. لا يدخلوا بيتي، ولا يصعدوا إلى سقفي، ولا يدخلوا منزلي. (أيّاً كنت) أناشدك بالسماء، أناشدك بالأرض.

إنهم رابيزو الأشرار. لقد خرجوا من عالم الجحيم. إنهم مرسّلو إنليل، سيد البلدان: أوتوكو الشرير الذي في الصحراء يقتل الإنسان المتمتع بصحة جيدة. ألو الشرير الذي يغطي مثل ثوب، أتيمو الشرير، جالو الشرير اللذان يقيدان الجسد، لامشتو، لابازو، اللذان يجعلان الجسم متألماً، ليلو الذي يتجول في كل موضع من الصحراء، إنهم اقتربوا من الإنسان الذي أصبح لذلك مضطرباً: وضعوا في جسمه أزاكّو المؤلم، إنهم في جسمه ماميت السيئة، وضعوا في جسمه دماً فاسداً، إنهم في جسمه المصير السّيئ، إنهم في جسمه السم الرديء، إنهم في جسمه اللعنة السيئة، إنهم في جسمه الشر والخطيئة، أنهم عليه السم والعقاب، لقد وضعوا (عليه) الشؤم.

أيها الرجل الشرير، العين الشريرة، الكلمة الرديئة، اللسان السيّئ، السحر، الحيلة السحرية، الفتن، الحيل المؤذية، التي توجد في جسم المريض والتي تجعله يئنُّ مثل جرةٍ، أيتها الحيل المؤذية التي تقيد الفم، الحيل الرديئة التي تمنع اللسان، سيد الشر، الإله الشرير الذي، على الطريق الواسع، توجَّه تواً نحو هذا الإنسان... أنا، رجل أيا، أنا رجل دمكينا، أنا مرسل مردوخ. إنما لشفاء هذا الإنسان من مرضه قد أرسلني السيد الكبير. لقد وضع تعويذته المقدسة في تعويذتي، ووضع فمه المقدس في فمي، ووضع ريقه المقدس في ريقي، ووضع صلاته المقدسة في صلاتي. حتى إذا كان بوسع ما في جسم المريض أن يهدم المعابد، فبهذه التعويذة. كلام أيا، ليكن الأشرار منتزعين.

في يدي أحمل القرانية، السلاح السامي لآنو، فمي لحياتي وخلاصي، أن يسير دوماً ورائي دوب ـ ساك ـ أونوك، المنادي الحربي لكولاّب. (انظروا) روحاً مؤاتية تسير عن يميني وحارساً مؤاتياً يسير عن يساري. نينانّا، الكاتبة السامية للجحيم، أمامي، تتلو التعويذة المقدسة. بننخرسو، ملك الأسلحة، كونوا مناشدين.»(لابات 1988: 155 ـ 156).

2.العرافة البابلية

التنبؤات البابلية تنقسم إلى قسمين هما:

1. التنبؤات العالية المستوى: وهي التنبؤات الخاصة بالملوك والموظفين الكبار في البلاط التي تخص البلاد بعامة، فهي، كما يعتقدون، تؤثر على مصائر البلاد.وكانت تتم عن طريق التنجيم أو تفسير الأحلام أو تفسير حركة الحيوانات والرياح والأشجار.

2.التنبؤات العادية للأفراد وهي أعمال روتينية يقوم بها العرّافون للناس بعامة كنوع من الحرفة الخاصة.

وفي كلا الحالين تكون التنبؤات عن طريقين أساسيين هما قراءة الكبد وقراءة الأفلاك أي (التنجيم).

يمكننا اقتباس بعض التنبؤات النموذجية الآتية:

«إذا كانت المدينة مبنية على تلة فإن ذلك لن يكون خيراً بالنسبة للقاطنين في تلك المدينة. ويتبع ذلك ما يلي:

إذا كانت البلدة مبنية في مكان منخفض من الأرض فإن ذلك خير لقاطني تلك المدينة. وهناك تنبؤات أخرى تشمل:

إذا رئي في البيت المالك القديم الميت فإن ابنه سوف يموت.

إذا رئيت في البيت السيدة المالكة القديمة للبيت فإن زوجها المالك الجديد للبيت سوف يموت.

إذا رئي النمل الأسود في أسس البناء فإن ذلك البيت سوف يتم بناؤه ولسوف يعيش صاحبه طويلاً.

إذا رئي النمل الأبيض فإن صاحب البيت سوف يموت.

إذا رئي النمل الأحمر في البيت فإن مالك البيت سوف يموت في غير أوانه.

وكانت التنبؤات أحياناً تأتي من السلوك العرضي لبعض المخلوقات الأخرى.

إذا صادف أن عض ثعبان معتدٍ رجلاً، فإن أوقاتاً عصيبة سوف تصيب خصم ذلك الرجل.

إذا مرَّ ثعبان من يمين رجل إلى يساره، فإن هذا الرجل سوف يصيبه حظ جيد ويصبح اسمه مشهوراً.

أما إذا مرَّ الثعبان من يسار الرجل إلى يمينه، فإن هذا الرجل سوف يصادف وقتاً عصيباً.

إذا ظهر ثعبان في مكان كان الرجل وزوجته يتكلمان فيه فإن الرجل وزوجته سوف يتطلقان.

إذا استمر الثعبان في الحركة داخل البيت فإن هذا البيت سوف يتهدم.

إذا قتل عقرب ثعباناً في بيت رجل فإن أبناء ذلك الرجل سوف يقتلونه وسوف يموت.

إذا قتل النمس ثعباناً في بيت أحدهم فإن هذا يعني وصول الشعير والفضة إلى البيت.

إذا سقط ثعبان من السقف وأصاب رجلاً وامرأته فإن هذين الزوجين سوف يطلقان.

إذا تحرك عقرب في فراش رجل فإن هذا الرجل سوف يصبح غنياً.

إذا وقف عقرب على رأس رجل مريض فإن هذا الرجل سوف يشفى من المرض.

إذا صادف أن داس رجل على سحلية وقتلها فإن هذا الرجل سوف ينتصر على أعدائه.

إذا كثر النمل على مدخل بيت كبير فإن المدينة سوف تسقط.

إذا حدثت معركة بين النمل فإن جيشاً عظيماً سوف ينهزم.

إذا وجد نمل ذو أجنحة سوداء في المدينة فإن المطر والطوفان سوف يسودان المدينة.

إذا وجد ثور وكان قرنه الأيسر بارزاً بشكل مستقيم وكان قرنه الأيمن متجهاً إلى اليمين فإن المواشي سوف تكثر في ذلك البيت.

إذا انهمرت الدموع من عيني أحد الثيران فإن شراً عظيماً سوف يصيب مالك البيت.

إذا ركب حمار رجلاً فإن ذلك الرجل سوف يباع دفعاً لديونه.

إذا وجد حمار له رأسان فإنه سوف يحصل تغيير في العرش.

إذا دخل حصان بيت رجل وعطس حمار أو رجل فإن مالك البيت سوف يموت وسوف تتناثر أمتعة البيت.

إذا صادف أن كان رجل نبيل راكباً عربة وسقط الرجل خلف العربة فإن الحكومة سوف تسائله حول ماضيه.

إذا ركض حصان ودخل منزل أحد النبلاء وكسر أحد الكراسي (البقية غير مفهومة)

إذا رأى رجل السحالي تتراوح وأمسك بها وقتل أحدها فإن الفضيحة سوف تصيب هذا الرجل وسوف يموت من الفضيحة.

إذا ظهر ثور أمام أحد البوابات الكبيرة فإن العدو سوف يخترق المدينة.

إذا صادف ثور بري قطيعاً من البقر وبدأ يرعى مع البقر يوماً فإن هذا نذير خير، أما إذا انفصل الثور عن القطيع وذهب بعيداً فإن هذا لا يدل على الخير.

إذا ركض ثعلب في ساحة عامة فإن البلدة سوف تُدمَر.

إذا صادف أن بدأت الخنازير تصرُّ بأسنانها فإن المدينة سوف تتفرق شذراً مذراً.

إذ ولدت خنزيرة ثلاثة خنازير وكانت رؤوسهم بيضاء وأذنابهم سوداء فإن مفروشات ذلك البيت سوف تُرهن من أجل الحصول على الفضة.

إذا حدث وبال كلب أسود أمام رجل (الكلمات الباقية مفقودة).

إذا اضطجع الإله على فراش أحدهم فإن إله ذلك الرجل غضبان.

إذا بال كلب أبيض على رجل فإن هذا الرجل سوف يصادف أوقاتاً عصيبة.

إذا ركب كلب كلباً آخر فإن المرأة سوف تمارس السحاق.

إذا حدث الطوفان في شهر نيسان وبدأ النهر وكأنه مغطى بالدم فإن أمراضاً سوف تحدث في البلاد.

إذا كثر السمك في النهر فإن هذا يعني العيش المريح لأهالي تلك المنطقة.

إذا وجد بئر مفتوح في مكان ما وكان ماؤه أصفر فإن السمك والطيور سوف لا تضع البيوض في تلك البلاد.

إذا ظهر البيتومين في أحد الآبار فإن البلاد سوف تخرب.

إذا ظهر البترول في أحد الآبار فإن العدو سوف يقترب من تلك البلاد.

إذا أكل الصقر طيراً وهو على سطح بيت رجل فإن شخصاً ما سوف يموت.»(ساغز 2008: 343-344).

وفيما يأتي ترجمة لنصوص الفأل البابلية الخاصة بالزراعة والأشجار والنباتات:

«1. إذا اشترى شخص ما أرضاً بوراً في قلب المدينة وحولها إلى حقل مزروع في شهر أيار، فيومه سيكون طويلاً ودار الشخص المعني سوف تتوسع.

2. إذا اشترى شخص ما أرضاً بوراً في قلب المدينة وحولها إلى حقل مزروع في شهر سيمانو، فسوف يغتني ملكاً غريباً وذلك الشخص يبقى على قيد الحياة.

3. إذا اشترى شخص ما أرضاً بوراً في قلب المدينة وحولها إلى حقل مزروع في شهر تشرين فسوف يدهس خصمه، هو بحال طيبة.

4. إذا اشترى شخص ما أرضاً بوراً في قلب المدينة وحولها إلى حقل مزروع في شهر ارخمسمنا، فسوف يحقق أمنيته وسيكون لذلك الشخص إله حام.

5. إذا اشترى شخص ما أرضاً بوراً في قلب المدينة وحولها إلى حقل مزروع، فالعدو سوف لن يتحول عن بوابة المدينة تلك، وذلك الشخص لن يكون متعافياً.

6. إذا حفر شخص ما قناة في حقل المدينة، فذلك الشخص في حال يحسد عليها وسوف يتزوج، وداره سوف تزدهر.

7. إذا بنى شخص في حقل المدينة معبداً، تملك هما ذلك الحقل سيبقى مقفراً.

8. إذا زرع شخص ما حقلاً غير مناسب في المدينة، فسوف تسود عداوة الإله على المدينة. ذلك الشخص سوف يواجه قلب إله المدينة ثانية.

9. إذا زُرع شعير في حقل المدينة، فسوف يقتل بالسلاح وتركته سوف تباد.» (إسماعيل وحسين 2010: 192).

وفيما يلي ترجمة لنص الفأل البابلية الخاص بالقنوات والآبار:

«1. إذا جرى ماؤه مثل المرارة على سطحه في المجرى المائي وتدفق من جانب المجرى المائي إلى وسطه، فسوف ينمو المحصول للبلاد الواسعة، والبلاد الصغيرة سوف تصبح بلاداً كبيرة، البلاد الكبيرة تأتي إلى البلاد الصغيرة لكي يُمكن العيش.

2. إذا جرى ماؤه مثل سائل المرارة في المجرى المائي وملأ ماؤه من وسط المجرى المائي شاطئ المجرى المائي وإن تراخى جدارا الشاطئ وارتقى الماء جانب المجرى المائي.. نما المحصول للبلاد الكبيرة والبلاد الصغيرة تأتي إلى البلاد الكبيرة لكي تستطيع العيش.

3. إذا كان الماء طبيعياً في شهر آذار وتصاعد منه اللهب، فسوف يتكون فيض مدمر، يأتي الفيضان ويجرف معه الطين.

4. إذا جلب المجرى المائي معه كمية طبيعية من الماء وتصاعد منه اللهب، فذلك المجرى سوف يُعاق، المدن على المجرى المائي سوف تبتلى بانتفاضة سيئة.

5. إذا جلب المجرى المائي معه كمية طبيعية من الماء وتصاعد من وسطه اللهب إلى الشاطئ، فسوف يفقد ذلك المجرى المائي الماء.

6. إذا جلب المجرى المائي معه كمية طبيعية من الماء وقفزت من وسطه أحجار (bissuru) إلى الشاطئ، فسوف يُعاق ذلك المجرى ويفقد المراعي والمساقي.

7. إذا جلب المجرى المائي معه كمية طبيعية من الماء وقفزت من وسطه أنقاض إلى الشاطئ، فالعدو سوف يُحارب باستمرار جيران ذلك النهر.

8. إذا جلب المجرى المائي معه كمية طبيعية من الماء وقفز من وسطه إناء قليل العمق إلى الشاطئ، فسوف يفقد ذلك المجرى المائي الماء، والبلاد ستقع فريسة السلب والنهب، الناس سوف يُسحبون كغنائم.

9. إذا جلب المجموع المائي معه كمية طبيعية من الماء، وزال ماؤه مثل ماء مطر منهمر جاف، فالبرق سوف يسير في تلك البلاد.» (إسماعيل وحسين 2010: 197 ـ 198).

(سيبيل) العرّافة البابلية الأصل:

يذكر المؤرخ البابلي (برعوشا)، في روايته عن الطوفان، بأن آخر الملوك بعد الطوفان (زيثوثوروس) لم يكونا هما الوحيدان اللذان أنعمت عليهما الآلهة بنعمة الخلود، فهناك ربان السفينة الذي اسمه (بوزورد كورجال) الذي تولى إدارة البيت الكبير بعد الطوفان، وهناك زوجة ابن زيسيثوروس التي كادت تغرق مع آخرين لكنه تم إنقاذها وكان اسمها الكلدوي (سامبيث)، وهي أول عرّافة (سيبيل)، وتظهر في بداية الأسطورة البابلية وهي تغني كصوت من الهواء «الذي يروي إلى الكائنات التي أُنقذت من الطوفان ما حدث لزملائهم وتمّ توجيههم حول الطريقة التي يمكنهم بها المعيشة وكيف يمكنهم إنقاذ الكتب التي تُصنّف مستقبل البشرية من مكتبة سيبار، لقد كانت سيبيل قناة أخرى للاتصال بين الآلهة والإنسان وكانت معروفة لذا لا يمكن أن تتحدث بشكل مرئي من الهواء أو السماء بصوت شأنها شأن الأصوات التي يتم سماعها اليوم في صلاة المتعبدين في المعابد» (جاو 2010: 44).

في آسيا الصغرى القديمة ظهرت سيبيل كإلهة للطبيعة «وبخاصة عند الفريجيين.انتقلت عبادتها من آسيا الصغرى إلى بلاد اليونان حيث وجد الإغريق شبهاً بينها وبين إلهتهم ريا، ومن ثم انتقلت عبادتها إلى رامة. وقد أطلق الرومان عليها لقب (الأم الكبرى للآلهة)» (البعلبكي 1992: 248).

ويبدو أن العرافة سيبيل انتقلت غرباً وفي اليونان القديمة وهي تتنبأ في الأماكن المقدسة، وكانت نبوءاتها قد تأثرت بالإلهام الإلهي من الإله. في الأصل في دلفي والذي ظهر في العصور القديمة المتأخرة، وظهر لها العديد من الكتب الإلهية الوحي، مثلما ظهرت أسماء سيبيل العرّافة في اليونان وإيطاليا والشام وآسيا الصغرى. وصارت كلمة سيبيل تدل على العرافة وهي المتنبئة بالمستقبل. حيث يطلق اسمها على النساء العرّافات في كلّ مكان.

3.التنجيم البابلي

كان التنجيم البابلي أول صياغةٍ منظمةٍ للتنجيم، في التاريخ القديم، حيث نشأ في الألفية الثانية قبل الميلاد. ولا شك أنه نما من جذورٍ سومرية كانت قد ظهرت في الفترة

السومرية في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وكذلك من فنون العرافة السومرية التي تواصلت تقاليدها البابلية بطريقة نوعية، أما تاريخ العرافة السماوية العلمية (أي الفلك) فيبدأ، عادة، بالنصوص البابلية القديمة المتأخرة (1800 قبل الميلاد)، وتستمر خلال الفترات الآشورية الوسيطة والبابلية الوسطية (1200 قبل الميلاد).

في القرن السادس عشر قبل الميلاد، يمكن أن يتضح العمل الواسع للتنجيم القائم على العرافة في تجميع عمل مرجعي شامل يعرف باسم (إنوما أنو إنليل)، محتوياته تتألف من سبعين لوحاً مسمارياً تتألف من 7000 من العرافات السماوية.وكانت هذه النصوص تشير إلى تقليد شفهي أقدم. في هذا الوقت كان علم التنجيم البابلي دنيوياً فقط، وقبل القرن السابع قبل الميلاد كان فهم الممارسين لعلم الفلك بدائياً إلى حد ما. بسبب عدم قدرتها على التنبؤ بدقة الظواهر السماوية المستقبلية وصعوبة رصد حركة الكواكب البعيدة جداً.

منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن الرابع قبل الميلاد تطور علم الفلك على حساب التنجيم، ودخلت أساليب رياضية لحساب الكواكب في المستقبل بدقة معقولة، وعند هذه النقطة بدأت الجداول الرياضية الواسعة (ephemerides) بالظهور.

علم الفلك والتنجيم.. علم عشتار

سمى العرب علم الفلك: (علم النجوم) أو (علم الهيأة).. لكن كلمة الفلك بقيت هي الأقوى بسبب جذورها الضاربة في القدم فهي من أصل بابلي كما قلنا (بلوكّو Pulukku) التي تعني مراقبة النجوم وهذه من أصل سومري هو (أفكلّو أو أبكلّو) التي تشير إلى خبير العرافين.

ولو أننا تمعنا جيداً في اشتقاق المصطلح اللاتيني لعلم الفلك Srtonomy وعلم التنجيم Astrology لوجدنا أنهما يعتمدان على الجذر اللاتيني (Astro) الذي يعني نجمة أو نجوم ويشير إلى الكواكب والأفلاك بصورة عامة.. وهذه الكلمة اللاتينية، في حقيقة الأمر، كلمة مصحفة عن اسم الآلهة الأكدية ثم البابلية عشتار التي تحولت في اللغة العبرية إلى أستير

وقد ورد سفر أستير قبل أيوب في (العهد القديم) ثم تحولت أستير هذه إلى أستر Aster Astr.

وصارت كذلك مصدراً لكلمة نجمة (star) في اللغات الأوربية، وصارت آلهة العدالة في اليونان واسمها أستيريا Astraea.

ومن المعروف أن كلمة عشتار من أصل سومري (كشدار) وهي تعبر عن الآلهة السومرية إنانا، وصارت إنانا وعشتار ترمزان لكوكب الزهرة، وصعدت منذ العصر الأكدي الصفة الكوكبية للإلهة عشتار وشاع ذكر اسمها في العالم القديم كله وانتقلت إلى الشرق والغرب إما بنفس الاسم أو تحت أسماء أخرى مشيرة إلى نجمة الصباح أو نجمة المساء، وكانت ترمز إلى الحب والإخصاب ويؤثر ظهورها واختفاؤها على حياة الناس في الأرض.

ومثلما رأينا في مبحث سابق أن أصل كلمة أسطورة جاء من اسم عشتار بعد أن تحرّف الأخيرة وأصبح إستار وأسطار وأسطورة، فإننا نرى هنا أن اسم عشتار كان مصدر اسم علمي الفلك والتنجيم في اللغات الأوروبية المعاصرة ويحق لنا أن نسميهما مجازاً علمي عشتار.

ومثل ذلك نجد كلمة قصة (story) وكلمة أسطرلاب (Strolabe) التي تعني مرآة النجوم.. وهو جهاز لقياس ارتفاع النجوم وأبعادها اخترعه البابليون أولاً ثم استعمله الإغريق وشاع استعماله اسماً وجهازاً عند العرب دون أن يعرفوا مصدره البعيد.

يأخذ التنجيم البابلي مكانه كأحد الوسيلتين الرئيسيتين تحت تصرف الكهنة:

1. الكهنة الذين كان يطلق عليهم (العراة) أو (حالقو الرأس)أو (المفتشون) للتأكيد على إرادة ونية الآلهة.

2. الكهنة الفاحصون عن المصائر والتنجيم من خلال التفتيش في تفاصيل كبد الحيوانات الذبيحة، وتأويلها.

أولاً: الكون ـ بدايته وشكله ونهايته ـ جسد تيامت

1. بداية الكون

تتضح لنا صورة الكون عند البابليين من خلال أسطورة الخليقة البابلية (إينوما إيليش) (حينما في العلى). ورغم أن هذه الأسطورة توضح تطور صورة الكون إلاّ أن هناك أساطير أخرى صغيرة توضح معها هذه الصورة بتفصيلات أكثر، وبصورة عامة نلاحظ أن الكون في المثولوجيا البابلية تطور بأربع صور أو أشكال هي:

أ. الكون الهيولي: وهو الكون الذي كان مكوناً من الماء فقط.. وتحديداً الماء المالح الذي كانت تمثله الإلهة البابلية الأم (تيامت) حيث لم يكن سواها وهي في حالة سكون ونوم أبدي.

ب. الكون المائي الثلاثي: تحركت تيامت وأنتجت من جسدها الإله أبسو (إله المياه العذبة) وكان بمثابة زوجها، ثم ظهر (ممّو) وهو (إله الضباب) الذي كان يخيّم فوق المياه المالحة والعذبة وهو بمثابة ابنهما أو حارسهما.

ج. الكون البدائي: وهو الكون الذي ظهر من تزاوج أبسو وتيامت، حيث ظهر الإله (لخمو) والإلهة لخامو وهما إلها الطمي الأولان الذكر والأنثى. اللذان تزاوجا وظهر منهما (إنشار) و(كيشار) وهما دائرتا الكون العليا والكون السفلي.

د. الكون القديم: وهو الكون المكون من السماء والأرض، فقد ولد إنشار وكيشار ابنين لهما هما إله السماء (آنو) وإلهة الأرض (كي) ومنهما يولد الإله إيا (إله الماء) الذي يصبح سيد آبائه ويقوم بقتل جده (أبسو) ويقوم بدفنه في الأعماق فيكون رمزاً للمياه الجوفية داخل الأرض أما (ممّو) فيقيّده ويكون رمزاً للسحب والضباب القريب من سطح الأرض. ويبدو أن السماء والأرض، كانتا غير منفصلتين.

الوحوش التي قاتلت إلى جنب تيامت كان عددها 11 وحشاً أو شيطاناً (كما تصفها الملحمة) يقودهم كنجو زوجها الجديد، وهي:

1. بشمو (Bašmu «الثعبان السام»،

2. أشموكالا Ušumgallu، «التنين العظيم»،

3. موشماهو Mušmaḫḫū، «الثعبان العالي «

4. موشوشو Mušḫuššu، «الأفعى الغاضب»،

5. لخمو (Lahmu)، «المشعر»،

6. أوكالو Ugallu، «وحش الطقس الكبير «،

7. أوريديمّو Uridimmu، «جنون الأسد»،

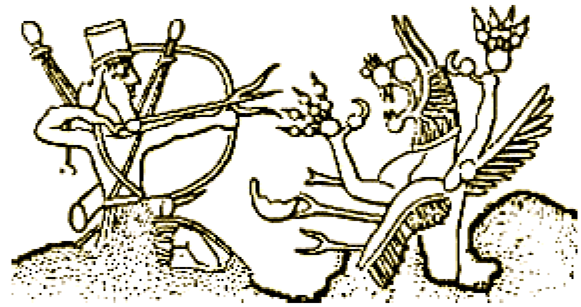
8. جريتوبولولو Girtablullû، «الرجل العقرب «،

9. أومو دابروتو UMU dabrūtu، «العواصف العنيفة»،

10. كولولو Kulullû، «الرجل السمكة «،

11. كوساريكو وKusarikku، «الرجل الثور «).







مردوخ يصارع تيامت في صور بابلية مختلفة

https://sites.google.com/site/tamiletymology/vedic-period-1/indra/second-opinion-on-marduk-killing-tiamat

هـ الكون الجديد:

وهو الكون الذي يخلقه بصورته النهائية الإله (مردوخ) ملك الآلهة الذي انتصر على الآلهة القديمة، وقام بصنع الكون من جسد الإلهة تيامت فشق جسدها نصفين ونفخ الهواء في

النصف الأول:

1. رفعه إلى الأعلى وسقّف به السماوات وخط حدود هذه السماوات ووضع حراساً وخوّلهم مهمة منع مياهها من الخروج ثم اجتاز السماوات وفتش مواقعها ووضع فيها مسكن الإله (إيا) إله الماء ووالده ثم أسس معبد (إشارا) في السماء على صورة الإله أبسو.

2. وضع الطرق السماوية لـ(آنو، إنليل، إيا)، ثم ثبت النجوم وصورها وعيّن السنة ورسم الفصول، ووضع ثلاث نجوم لكل من الاثني عشر شهراً.

«صنع (مرودوك) مقراً للآلهة العظام

ووضع كواكبها، وهي أبراج لوماشي على مثالهم

وعين لكل شهرٍ من الأشهرِ الاثني عشر ثلاثة كواكب

وبعد أن عيّن أسماء السنةِ

عيّن موضع نبيرو ليحدد عدد الأيام

لكي لايزيد مقدار أحدها أو ينقص

وأقام موضعيّ إنليل وإيا معه (أي مع نبيرو)» (النعيمي 2006: 8).

وأسس مجموعة نجمية اسمها (لوماشي) المكونة من سبعة من النجوم وهي (نجمة الجبار، نجمة الدجاجة، برج الأسد، نجمة الكلب، نجمة الأصغر، نجمة قنطروس أو برج القوس).

3. أسس محطة نبيرو (كوكب المشتري) لتحديد الروابط بين النجوم لئلا يرتكب أحدها خطأً أو إهمالاً.

4. وضع بجانب نجمة القطب محطات إنليل وإيا.

5. فتح أبواباً من جانبي السماء ووضع لها مزاليج قوية شمالاً ويميناً.

6. في كبد تيامت وضع أعالي السماء وأضاء فيه القمر وأودعه الليل، وعيّن له أن يكون جوهرة الليل وجعل منه روزنامة الشهر ونظم به تقويم الأيام والأسابيع.

7. عيّن طريق الشمس وأوكل للإله شمش حساب الأيام (النهارات)، وفصل بين تخوم النهار وتخوم الليل.

8. جمع لعاب تيامت وخلق منه الثلج والجليد.

9. كثّف السحب وسقى منها الأرض وعيّن لذاته وأولى يده أن يزج بالرياح ويمطر ويسبب البرد ويدخّن الضباب ويبسط لعاب تيامت.

10. قطع رأس تيامت وجمع فوقها جبلاً وفتح فيه الينابيع وجرى منها الماء الحي.

11. من عيني تيامت فتح الفرات ودجلة وسدّ منخريها واحتفظ بها للفيضانات.

12. على صدر تيامت كدّس الجبال البعيدة وثقب فيها تدفقات الماء لتجري الينابيع، ولوى ذيلها وعقد الرباط الكبير.

13. وضع أبسو تحت قدميها.

14. رتّب أردافها وثبت السماوات.

15. بسط نصفها الأسفل وجعل منه أرضاً مستوية وصبّ تراباً داخل تيامت وبسط حولها شباكه ونشرها تماماً.

16. بعد أن شيد السماوات والأرض عقد أربطتها لكي تكون مُحكمة الحبك.

هذه هي خطوات صنع الكون الجديد من قبل مردوخ (انظر لابات 1988: 56 ـ 58).

وهي صورة مثولوجية محكمة أضيفت لها بعد ذلك ما يكملها. ففي تعويذة بابلية نتعرف إلى خلق أرضي كما يلي:

«كانت مجموعة البلدان بحراً

ونبع وسط البحر قناة متفجرة

إذ ذاك شّيدت أريدو، وخلق إيزاكيل الذي اسمه (لوكال دوكوكا) في حضن أبسو

شيدت بابل وأكمل إيزاكيل

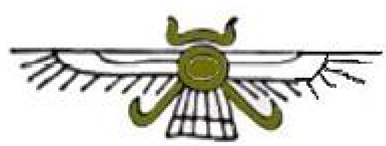
الإلهة أنوناكي التي خلقها مردوخ بالتساوي

دعتها باحتفال المدينة المقدسة، مسكن رضاهم

وجمع مردوخ فوق سطح المياه طوفاً

خلق الغبار وجمعه بالطين لوضع الآلهة في مسكن مرضٍ» (لابات: 1988: 78).





1.رمز مردوخ وهو الأفق المجنح

2.رمز مردوخ وهو أداة تستعمل في التخميرلصناعة الجعة في بابل

/http://brookstonbeerbulletin.com/about/about-our-symbol

وإيزاكيل (إيزاجيل) في هذا النص ليس المقصود منه معبد إيزاكيل المعروف في بابل، بل يبدو أنه معبد آخر اسمه الحقيقي (لوكال دوكوكا) أي ملك الأكمة المقدسة في أريدو في جزيرة من المستنقع.

وفي صورة لاحقة يبدو أن مردوخ يخلق الأرض أو يخلق غيرها أو يضفرها مثل حصير ويضع شيئاً من التراب ويخلطه مع الحصير وبهذا يتكون لوح صلب فوق المياه هو الأرض (انظر بوتيرو: 1970: 96).

كانت بابل مركز الأرض وكان معبد مردوخ مركز بابل. أما باقي جهات الأرض فقد كانت أربعاً هي (عيلام، سوبارتو، أمورو، أكد)

«لقد كان المنجمون البابليون يفترضون أن المواقع الأرضية تنعكس على قبة السماء وأنه يوجد بين الصورتين علاقات أساسية ومرهفة، فمربع بيغاز Pegase يمثل معبد بابل، والسرطان يمثل مدينة سبار Sippar والدب الأكبر يمثل مدينة نيبور Nippour وكان سطح القمر بذاته مقسوماً إلى أربع مناطق تتوافق مع أحد البلدان الأربعة في العالم البابلي: عيلام Elam، أكد Akkad، آمورو Amorrou، سوبارتو Soubartou، وهذه المناطق بالذات كان لها انعكاس سماوي أعم مرتكز على الجهات الأربع الرئيسية» (انظر تاتون: 1988: 84).

تكونت السماء عند البابليين من عدة طبقات يرجّح أن تكون سبع طبقات حيث كان الإله آنو يسكن في نهاية السماء السابعة، وتتسلسل الكواكب المعروفة في كل طبقةٍ من طبقات السماء وكأن كل طبقة عبارة عن مدار أو مستقر لأحد هذه الكواكب السبعة وأقرب طبقة أو مدار بالنسبة للأرض (التي هي مركز الكون) تقع فيها الشمس، وفي الثانية القمر، وفي الثالثة المريخ، وفي الرابعة عطارد والخامسة المشتري والسادسة الزهرة والسابعة زحل.

ويبدو أن حجوم هذه الكواكب وشدة ظهورها كانت أساس هذا التقسيم، والغريب أن هذا التقسيم يتناسب مع تسلسل أيام الأسبوع السبعة المعمول بها الآن التي تبدأ بالأحد الذي

هو يوم الشمس Sunday، وتنتهي بيوم السبت Saterday الذي هو يوم زحل كما سنرى.

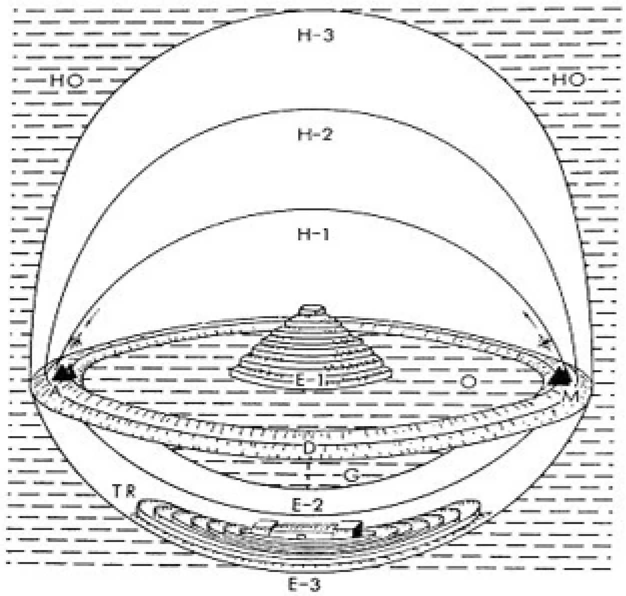
وهكذا في نهاية المطاف نرى أن الكون البابلي يتكون أساساً من مركز ثابت هو الأرض (التي تبدو مثل حصير يطفو على الماء) وكانت المياه المحيطة بالأرض هي مياه البحر الأعلى (البحر المتوسط) ومياه البحر الأسفل (الخليج العربي). وفي العمق مياه الأبسو التي تحيط بها مداريات آلهة الطمي (لخمو ولخامو) ثم مدارات آلهة الأفق (كيشار وأنشار) وهي الآلهة الكونية العتيقة.

ويقع العالم الأسفل في القاع الكوني وهو يحتوي على قصر الإلهين نركال وأرشكيكال ويحتوي على أرواح الموتى والشياطين. ويبرز منه في الشرق وفي الغرب جبل ماشو الذي يرتفع ليسند السماء ويمنعها من السقوط.

تتكون السماء من طبقات أو مدارات كوكبية تقع فيها الكواكب السبعة ويسكن آنو فوق السماء السابعة. وتنقسم السماء إلى طرق سماوية لآنو وإنليل وإيا.

2.شكل الكون البابلي:

صمم البابليون شكل الكون على أسس سومرية، واستبدلوا مركزه فأصبحت بابل هي مركز الكون وأصبح معبد مردوخ (إيساجيل) على وجه التحديد هو المركز الذي يربط السماء بالأرض. ويكون الكون من السماء ذات الطبقات الثلاث. والأرض ذات الطبقات الثلاث أيضاً (سطح الأرض، الأبسو، العالم الأسفل الذي يتوسطه قصر أرشكيجال ونرجال آلهة العالم الأسفل.



الكون البابلي

https://www.pinterest.co.uk/pin/345299496419288418/?lp=true

وظهرت خارطة بابل التي تصور بابل في وسط العالم في رقيم يعود إلى زمن يتراوح بين (600 ـ 500) ق.م، فقد كانت بابل، خلال القرن الخامس، مدينة مزدهرة، تعتبر المركز ـ «المحور» ـ الكون.الخريطة تحاول تصوير العالم بأسره مدعومة بالنص المجاور الذي يشير إلى «سبع مناطق خارجية خارج المحيط. هذا هو المفهوم المختلف قليلاً عن مفهوم الإغريق في وقت مبكر، والذين جعلوا المحيط خارج جميع الأراضي المعروفة.

يظهر هنا قرص طين غير المشوي، المحفوظ الآن في المتحف البريطاني، يحتوي على نص مصحوب بخريطة. على الرغم من أنه يعتقد أنه تم العثور عليها في سيبار أو بورسيبا، العراق، ومن المرجح أن يكون قد تم صنعها في بابل في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد. ومع ذلك، تشير ملاحظة مسجلة على اللوحة إلى أنه تم نسخها من قرص قديم (يبدو من الأدلة الداخلية) في القرن التاسع قبل الميلاد..

هذا القرص البابلي يحتوي على وصف مكتوب وصورة تخطيطية للعالم كما تصور في وقت ما بعد 900 قبل الميلاد. وهي تصور مجموعة جغرافية شاملة تشمل البيئة المحلية ولكنها لا تقتصر عليها. الدوائر تمثل المدن والخطوط الموازية الأنهار كما هو الحال في خريطة نوزي. وأكبر منطقة الترسيم، كما هو مبين على شكل مستطيل على الجزء المركزي العلوي، هي بابل، وجهة النظر التي من المفترض أن الخريطة من صنعها. وهناك أيضاً على الخريطة هي ولايات أورارتو وآشور، والأخير مكتوب مع كور محدد، «الأرض». يتم تضمين مدينتي دير وسوزا وإقليم بيت ياكين. يتم ترتيب المناطق والمدن والسمات الجغرافية الأخرى مثل المستنقع وقناة المياه داخل دائرة محاطة بمياه المحيط، وتسمى بالنهر المرير حول كامل الفرقة المحاطة.

3. نهاية الكون: الإسكاتولوجيا البابلية

تعرّف الإسكاتولوجيا Eschatology بأنها العلم الذي يتعلق بالموت ونهاية الأشياء. وقد اتسع استخدام هذا المصطلح ليشمل كل مراحل الموت وما قبله وبعده وأصبح يدل على موت ونهاية الكون والآلهة والإنسان والأشياء بصورة عامة.

وقد ارتبطت التصورات الإسكاتولوجية منذ القدم بالتصورات المثولوجية وتبادلت معها الأنظمة والقيم.. وظلت هكذا فقد حملت الأساطير أفكاراً أساسية عن موت العالم ونهايته وموت الإنسان وفنائه.

لكن النقلة الكبيرة للإسكاتولوجيا الكونية كانت بسبب علم الفلك البابلي الذي أعطانا تصورات جديدة مبنية على أسس فلكية وحسابات رياضية ونتج عن ذلك ظهور مفهوم (الدورات الكونية الكبرى) و(العود الأبدي) و(أدوار العالم).

فالدورات الكونية، والزمنية بشكل عام، كانت تحدد بداية للعالم ونهاية له على أساس فلكي. وقد أسس البابليون في وقت مبكر هذا المفهوم وانتقل عنهم إلى الشرق عند الهنود

والصينيين والفرس أولاً، وأثّر تأثيراً كبيراً في دياناتهم. كما انتقل إلى الغرب القديم عند الإغريق والرومان وأصبح جزءاً من علومهم الفلكية والفلسفية والدينية.

إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهرياً على قصة الطوفان السومرية هذه لكن تفاصيلها تزداد وتتشعب (وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على أصل سومري).

عثر على النص السومري للطوفان في مدينة (نفّر) وهو بحالة مهشمة فبعد أسطره السبعة والثلاثين الأولى الممحوة يظهر الإله (إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار ثم يتطرق النص إلى خلق الإنسان على يد الإلهين آن وإنليل والإلهة ننخرساج، ثم تأتي فجوة، بعدها يتحدث النص عن نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة الملوك السومرية قبل الطوفان مع ذكر اسم إله المدينة.

ويبدو أن مجلس الآلهة اجتمع لسبب غير واضح وقرر هلاك ذرية الإنسان عن طريق الأعاصير والأمطار التي ستسبب الطوفان وأنه لا بدّ من إسقاط الملكية التي منحها الآلهة للإنسان. وكانت هذه الملوكية قد استقرت في مدينة شروباك في ذلك الوقت التي كان يحكمها ملك حكيم اسمه (زيوسدرا Ziusudra) ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة). فيقوم الإله إنكي بالاتصال خفية بزيوسدرا (ربما عن طريق الحلم) ويخبره بقرار الآلهة تدمير الأرض عن طريق الطوفان وينصحه بصناعة سفينة تنقذه مع أهله ومن يحب.

ثم يأتي الطوفان ويدمر كل شيء.

«وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير العواصم

وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليال وجعلت الأعاصير

المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية (وعندما انتهى الطوفان) بزغت

الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وعندئذ) فتح زيوسدرا كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فركع زيوسدرا أمام إله الشمس

ونحر الملك (زيوسدرا) أعداداً كبيرة من الثيران والأغنام» (علي: 1975: 121).

بعدها يركع زيوسدرا أمام الإلهين آن وإنليل اللذين يقومان بمكافأته وإعطائه الحياة الأبدية أي (الخلود) ويسكنانه في بلد على البحر، في (دلمون)

وهو الفردوس الإلهي الذي عرفناه.

إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهرياً على قصة الطوفان السومرية هذه لكن تفاصيلها تزداد وتتشعب (وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على أصل سومري).

ثانياً: أدوار العالم (سار)

الزمن الدوري (الدورات الكونية):

عرف السومريون ثم البابليون فكرة الزمن الدوري في أبسط أشكاله من تتابع الليل والنهار وربما قبل ذلك من تتابع الساعات والنبضات (الثواني) وتكرارها. ولكنهم عرفوا السنة الكونية الكبرى التي أسموها الـ(سار Sar). وقد اقتبسها الإغريق بما أسموه بدورة الساروس Saros من البابليين، وقد كانت السار أو الشار تعني الدائرة وتشكلها عددياً أربع علامات مسمارية متصلة تحاول أن ترسم دائرة بعلامة، وهذه العلامة تشير إلى العدد

(3600)، وقلنا إن هذه اللفظة تشير أيضاً إلى معنى الملك أو الشهر وتشير إلى الدورة السماوية والأرضية.

ولكن المصطلح الفلكي لها هو الدورة الكونية التي يكون طولها 3600 سنة، أي أن الكون يبدأ خلقه بزمن ثم ينتهي هذا الكون بعد 3600 سنة إما بالطوفان أو بالحريق. ولذلك نرى أن زمن ما قبل الطوفان يقترب من عشرة أضعاف هذا الزمن.

وهكذا قدّر الإغريق زمن دورة الساروس بـ 3600 بعد أن وجدوا أن حركة الكوكب في فلكه دائرية تنتهي في النقطة التي بدأت منها وهي ذات الفكرة التي ظهرت فيما بعد عند هيراقليطس وأفلاطون من فلاسفة اليونان.

وهذه الدورة هي بداية ونهاية الحياة ثم عودة بدئها من جديد. وإذا عدنا إلى رقمها البابلي فسنجده يرسم ذات الدائرة التي تشير للرقم 3600 وفي وسطها علامة الرقم 10 بالبابلية وهذا يعني 3600× 10= 36000 وهو عدد سنين دورة الساروس اليونانية.

وعلامة السار البابلية الكبرى (36000) تحمل دلالة رمزية عميقة لأن وجود رقم 10 الذي يشير إلى الإله ننورتا إله العاصفة والأمطار والكواكب زحل يعني فيما يعنيه.

وإن هذه الدائرة بلغت ذروتها عندما توسطها زحل وهذا يعني نهاية الزمان الدوري الكوني بالطوفان. وهذا يتفق مع أفكار نهاية الكون عند البابليين بالفيضان العام أو الحريق العام لتبدأ بعدها دورة جديدة، لأنه حين يحدث اتصال الكواكب في برج السرطان تنخفض كل الأشياء وتعود إلى أصلها وتتحول إلى ماء. وحين يحدث اتصال الكواكب في برج الجدي فإن كل الأشياء تتصاعد وتلتهب وتتحد مع النار وتفنى فيها.

وعلى هذا الأساس نرى أن الخليقة الأولى انتهت بالطوفان كما تذكر ذلك الأساطير السومرية والبابلية بالإضافة إلى جدول إثبات الملوك السومريين وبنفس الطريقة عرف البابليون دورة (شار)، ودورة النيراس عند (البابليين) والسنة الكونية الأصغر (الساسوس)

التي سمّاها البابليون (كيش) والتي يبلغ عدد سنواتها ستون. وفيما يلي الدورات الكونية الكبرى التي عرفها البابليون ثم الإغريق وكذلك الدورات الزمنية الصغيرة:

الكونية الكبرى:

1. دورة الساروس الكبرى 10× 60×60= 36000 سنة في البابلية (شار)

2. دورة الساروس الصغرى 60 × 60 =3600 سنة (شار)

3. دورة النيراس 10× 60 = 600 في البابلية (كيش)

4. دورة الساسوس 60 سنة (كيش)

الزمنية الصغرى:

5. الدورة السنوية = سنة واحدة 360 درجة (يوم) وتسمى ديش

6. الدورة الفصلية = 360 ÷ 4 = 90 درجة (يوم)

7. الدورة الشهرية = 360 ÷ 12 = 30 درجة (يوم)

8. الدورة اليومية = 360 ÷ أوش= 4 دقائق (أي 12 ساعة مضاعفة)

9. دورة الساعة = 3600 ثانية (والثانية هي النبض)

وهكذا يكون البابليون قد عرفوا الدورات الكونية الكبرى والدورات الزمنية الصغرى وفق سياق رياضي فلكي منتظم أسس عليه الإغريق نظرياتهم المعروفة في هذا المجال.

تعتبر الثانية هي أبسط دورة وتعبر عنها نبضة القلب، وأول دورة زمنية تتكون من 60 ثانية وهي الدقيقة، ثم تأتي الساعة.أما اليوم فكان ينظر له على أنه مكون من 12 ساعة

مضاعفة أو من 360 أوش (حيث الأوش يساوي 4 دقائق) وقد يشير هذا إلى أن البابليين قد أكدوا ضمنياً ما عرفناه نحن فيما بعد بخطوط الطول التي تحتاج الأرض في حركتها حول نفسها أن تقطع المسافة بين خط وآخر بأربع دقائق، أي أنها تقطع في النهار والليل 360 خطاً وهكذا تنتظم بقية الدورات الزمنية. وتنتهي كل دورة زمنية بنوع من الكارثة وتبدأ بنوع من الحياة، فالدورة اليومية تبدأ بشروق الشمس وينتهي نصفها الأول بغروبها، ثم يبدأ نصفها الثاني بظهور القمر وينتهي بغيابه. أما الدورة الشهرية وكانت تبدأ بظهور وولادة القمر (سين) وتنتهي باحتجازه في العالم الأسفل ليومين أو ثلاثة.

والدورة الفصلية كانت تبدأ مع الربيع حيث يبعث تموز من الموت وتنتهي بمقتل تموز ودفنه في الخريف.

والدورة السنوية كانت تبدأ في الربيع وتنتهي عند مشارفه وكان عيد الأكيتو البابلي يعبر عن هذه الدورة خير تعبير حيث يمثل نهاية العام الماضي بخلع الملك وبدايته بإعادة تتويجه وزواج الإلهي المقدس.

وقد انتقلت هذه الدورات بفلسفتها وعمقها الميثولوجي والإسكاتولوجي إلى جميع الأرض وتمثلتها بطريقة مشابهة أو أجرت فيها بعض التغيرات.

فقد كان الهنود في الحقبة الفيدية والبراهمية يعدون أن وحدة قياس الدورة الكاملة وعمرها 12000 سنة تتألف من أربعة عصور متناقصة حيث العالم يتدهور خلالها. ومن العصر الذهبي (الربيعي) وحتى العصر الأخير تنحل البيضة الكونية الكبرى فلا يبقى منها سوى المحيط الأولي الذي ينام فوقه فيشنو الإله الأكبر ثم يبدأ دورة جديدة وهكذا.

إن السار ودورة السار يشكلان جوهراً أساسياً في الفكر البابلي ويعبران عن تكامله وقوته المتماسكة، فيهما يعتمدان على الرياضيات الستينية التي كانت منطلق الفلاسفة اليونان في الفلسفة. الأدوار الكونية والمدارات الفيضية لاحقاً. ونرى ذلك في أوضح صورة عند أفلاطون وفيثاغورس ثم أفلوطين. فضلاً عن تأثيرها في فلسفة الفلك اليوناني فقد وجدنا

السنة الكبرى لدى اليونانيين موزعة بين 18 سنة و1000 سنة و10800 سنة و18000 تفتقر هي الأخرى إلى المقياس الذي تؤشر فيه خاتمة المطاف للدور الفلكي باستثناء المدة المقررة بـ 10800 سنة فإنها مرتبطة بظاهرة السعد والتفاؤل لأنها حصيلة علاقة بعالم الفلك معبراً عنها بالمعادلة (حاصل ضرب 30× 360 = 10800) التي تعني حاصل ضرب متوسط عمر جيل الإنسان والجيل الثاني وهو عدد درجات اليوم في الحساب البابلي. ونلاحظ هنا أن الفلك اليوناني وفكرة (السنة الكبرى) لم يفلتا من تأثيرات الفلك البابلي القائم على الحساب الستيني، (الجابري: 1985: 57 ـ 58) وسنرى أن البابليين قد حددوا بداية دورة الساروس بالعصر الذهبي الذي تغنوا به حيث تتطابق الأشياء مع كمالها كما تتطابق الدرجات الـ 360 مع بعضها فيكون محيط الدائرة هو مركزها تماماً ثم تبدأ الدائرة بالاتساع والتكون حتى تنتهي الدورة الكونية بالانفجار بعد أن تكتمل حيث تتضاعف إلى (36000) وفيها يكون (الفيضان العام) و(الحريق العام)، وهو يوم الفناء والمعاد وهكذا..

وقد تسربت هذه الأفكار الكونية الفلسفية إلى الفلسفة اليونانية ثم إلى الأديان السماوية وكان لها نتائج في غاية الأهمية.وبهذه يتكون الزمن من حدين مطلقين غير مادتين هما (الماضي ـ المستقبل) ومن حد نسبي مادي (حاضر).

وتذكّر الصورة السابقة بما قدمته نظرية الانفجار الكبير (Big Bang) حول نشأة الكون وامتداده وتقلصه التي وضعها أدورد لومتير عام 1927.

ثالثاً: التنجيم والأفكار الدينية

استمرت الأصول المثولوجية السومرية في تغذية المثولوجيا البابلية باتجاه صورة فلكية وتنجيمية جديدة، خصوصاً أن المؤثرات الأكدية الشمسية الطابع والتي دفعت بعشتار إلى أمام تلتها شحنة جديدة من الإله مردوخ الذي مثل كوكب المشتري. وأصبح مردوخ هو المركز الفلكي المثولوجي.

وسنتناول هنا الأصول المثولوجية للطرق السماوية والكواكب السبعة.

الطرق السماوية:

طوّر البابليون مفهوم الطرق السماوية السومرية ويبدو أنهم وصلوا به إلى مرحلة متقدمة، ولم يصل إلينا جميع ما طوّروه.

ولكننا نعرف أن الطرق السماوية الثلاث (آنو) على خط الاستواء السماوي وإنليل على مدار السرطان السماوي، وإيا على مدار الجدي السماوي ما زالت تستخدم كخطوط لتحديد حركة الكواكب. وازداد رصد وتسمية الكواكب في هذه الطرق السماوية.

والملاحظ أنه لم يعد الآلهة العظام آنو، إنليل، إيا يُمثلون بكواكب معينة كما عند السومريين بل أصبحوا المسيرين لجميع الكواكب، واكتفى البابليون بإطلاق أسمائهم على الطرق السماوية العظمى.

العود الأبدي:

لم تكن فكرة العود الأبدي اليونانية والتي طورها وقدمها لنا الفيلسوف نيتشه في صياغة جديدة، لم تكن هذه الفكرة جديدة عندما استغرق في شرحها وتفصيلها المفكرون والعلماء الإغريق، بل كانت تمتد بجذرها العميق إلى التراث السومري والبابلي. ولعل فكرة الزمن الدوري التي شرحناها تمثل وجهاً أساسياً من وجوهها الفلكية، لكن هذه الفكرة تستند إلى المثولوجيا الرافدينية بشكل أساس وتجد تطبيقاتها في الطقوس والشعائر الدورية وفي الأعياد بشكل خاص.

يعتبر عصر الخليقة الأول الذي بدأ به الكون والآلهة هو العصر المثالي الذي احتوى على بذرة العالم الأولى. وفي هذا العصر تقرر كل شيء وخلق كل شيء ورسمت أحداث المستقبل القادمة كلها. ولذلك فإن هذا العصر هو العصر الحق الذي سيعود له العالم ذات يوم أو يجب استعادته بين وقت وآخر للتذكير به.

وقد رأينا على المستوى الفلكي والتنجيمي كيف كان البابليون يرون أن ما يحدث في الأرض هو صدى لما يحدث في السماء وأن شكل مدن ومعابد وعمران الأرض مرسوم في السماء سلفاً إذ إن هناك فرات سماوي ودجلة سماوية ونفّر سماوية وبابل سماوية مرسومة لمقاسات النجوم أو على لوح النجوم.

أما كيف سيعود العالم إلى ذلك العالم المثالي الذي هو عالم التكون أو الخليقة الأولى؟ فقد كان السومريون والبابليون يرون أن العالم يمر بأدوار (سنشرحها في الفقرة القادمة) تبدأ بعد عصر الخليقة قوية نشطة ثم تبدأ بالذبول والتلف ثم النهاية التي تتم عادة عن طريق الطوفان أو الحريق أو العواصف أو الزلازل على المستوى الكوني.. فينتهي ذلك العالم الذي دبّ فيه الخراب والفساد. ويتطهر (بالماء أو النار أو الهواء أو التراب) وهي نفسها عناصر الخلق الأولى ويعود إلى هذه العناصر من جديد وتبدأ خليقة جديدة وعالم جديد وآلهة (ربما جديدة).. وهكذا.

وان مرسيا إلياد يرى أن الطوفان يمثل عوداً أبدياً إلى مرحلة الكون الأول أو إلى مرحلة العماد المائي ثانية ثم يبدأ من هذه المرحلة من جديد التكوين ثانية ولذلك تكون أسطورة الطوفان السومرية المنشأ والعالمية الانتشار أسطورة تجسد فكرة العود البدي وتحتشد بالمعاني الرمزية العميقة (انظر إلياد 1986: 87).

أما كيف يستعيد الإنسان حياته ذلك العالم المثالي ويتذكر تلك البداية المثالية الإلهية الكونية البدئية، فقد كانت عن طريق القانون الثاني لفكرة العود الأبدي وهي الطقوس والشعائر الدورية. ولعل أهم هذه الطقوس طقس عيد رأس السنة البابلية (الأكيتو) الذي كان بمثابة عيد العود الأبدي بمعنى الكلمة.

وإذا كان عيد الأكيتو النيوليثي في سامراء غايته استنزال المطر عن طريق حركة شعور النساء الراقصات ورمزية الكون الدائري والصليب المعقوف (السواستيكا) وحركته الدائمة، فإن عيد الأكيتو السومري أصبح يقام في أوقات دورية بمعدل مرتين في العام الأول في

فترة الاعتدال الخريفي عند بذر البذور والثاني في فترة الاعتدال الربيعي وهي فترة الحصاد وولادة الحيوانات وطقوس الزواج المقدس.

وكان هذا يعني ضمناً أن الأكيتو الربيعي هو عيد استعادة الولادة الكونية الأولى والإخصاب. أما الأكيتو الخريفي فهو عيد تذكر موت الكون ودفن عناصره الأولى (البذور) لكي تعود في الربيع وهكذا. ومن جوهر هذين العيدين السومريين ظهر عيد الأكيتو البابلي الذي وسّع مفهوم العود الأبدي كثيراً.

في الأكيتو البابلي يستمر لمدة (12) يوماً كانت أسطورة الخليقة للعالم، وكان يزاح تاج الملك وتسود العالم فوضى، وهو ما يشير إلى عودة العالم إلى بدايته قبل أن تنظمه القوانين أي الهيولى قبل التكوين.. ثم يستعيد الملك تاجه وعصا ملكه وتعود للعالم القوانين والتوازنات ويبدأ عصر جديد تكون فاتحته عملية الإخصاب الإلهي الذي كان يعبر عنها بزواج الملك (ممثل الإله مردوخ) من الكاهنة العليا (ممثلة الإلهة صربانيت زوجة مردوخ).ومن الإخصاب الإلهي (الملكي) الأرضي تتم استعادة الخلق الجديد للعالم.

هذا الطقس هو طقس عود أبدي بامتياز لأنه كان يمثل موت العالم القديم وظهور العالم الجديد في الوقت نفسه.

التنجيم والطب

تربطُ بين التنجيم البابلي والطب البابلي علاقة مثولوجية عميقة تتمثل في أن إله التنجيم البابلي هو مردوخ أما إله الطب البابلي فهو (إيا) إله الماء وهو أب مردوخ. وهكذا يصبح التنجيم مثولوجياً ابناً للسحر والطب.

وتعكس هذه العلاقة، في حقيقة الأمر، الأصل السحري للطب والتنجيم معاً لأن الإله إيا هو إله السحر. وربما عكس الإله (أسارلوحي) وهو الجذر الأول للإله مردوخ السحر والتنجيم معاً وهو أيضاً ابن للإله (إنكي) السومري (إيا) البابلي.

وكانت علاقة التنجيم بالطب تتجسد في أمور كثيرة لعلّ أبرزها هو أثر النجوم على ولادة الإنسان وصحته في المستقبل.. وكان بعض المنجمين يربطون بين علل الإنسان وحركة الكواكب أو مواقع النجوم ساعة الولادة.. وارتباط نجوم بعينها أو كواكب بعينها بصحة الإنسان يعني بالضرورة ارتباطها بأعضاء معينة في جسد الإنسان.

وهناك تعويذتان الأولى تسمى (تعويذة السوس ووجع الأسنان) تربط بين الكون البابلي وخلقه ومرض تسوس الأسنان الذي تسببه (دودة المستنقع) كما تقول التعويذة:

«بعد أن خلق آنو السماء

وخلقت السماء الأرض

وخلقت الأرض سيول الأنهار

والأنهار خلقت القنوات

وخلقت القنوات المستنقع

وخلق المستنقع الدودة

ذهبت الدودة وبكت أمام شمش

وذرفت دموعها في حضرة إيا؛

ـ ماذا تعطيني لآكل؟

ـ ماذا تعطيني لأمتص؟

ـ سأعطيك تينة ناضجة

أو مشمشة؟

ـ وماذا أعملُ بالتين الناضج أو بالمشمش؟

ـ ارفعني وأسكنّي

بين السنان واللثة

أريد أن أنجز من اللثة تجاويفها

(اغرز الإبرة في السن واقبض على طرف الدودة

لكنكِ قلتِ هذا أيتها الدودة

ليضربك إيا بيده القديرة) (لابات 1988: 81-82).

وتبدو الأبيات الأخيرة موجهة إلى الطبيب الجراح معها وصفة طبية لمعالجة الأسنان.

أما التعويذة الثانية فهي تعويذة القشة التي تربط بين الشمس والقمر والقشة التي تدخل عين الإنسان وتسبب له المرض:

«في البدء، قبل الخلق، انحدر نشيد العمل البهيج على الأرض أنتج المحراث الأخدود، والأخدود النبتة، والنبتة الجذع والجذع العقدة، والعقدة السنبلة، والسنبلة القشة. والإله الشمس حصد، والإله القمر التقط وبينما كان الإله الشمس يحصد، وبينما كان الإله القمر يلتقط، دخلت القشة في عين الإنسان.

أيها الشمس والقمر كونا حاضرين لكي أخرج القشة (من عين هذا الإنسان)» (لابات 1988: 82).

ولا شك أن الطبيب الروحي البابلي كان يعقد الصلة بين برج الإنسان وصحته وربما ببعض أعضائه، وهناك إشارات بسيطة تخص العلاقة بين النجوم والكواكب الموجودة في هذه الأبراج وبين صحة الإنسان وأعضائه.

ويبدو أن البابليين كانوا الأساس الذي جعل العلاقة بين الطب والتنجيم قائمة في تراث وتقاليد الشعوب الأخرى التي استمرت إلى حوالي القرن الثامن عشر الميلادي، «وكانت أجزاء الجسم المختلفة تعتبر خاضعة لتأثير أبراج وسيّارات خاصة. لها علاقة بأمراض معينة. لكن، من زمن ليس ببعيد أخذ المنجمون يشددون على العلاقات القائمة بين صور البروج والجهازين الغديّ والعصبي. معتبرين أن هذه العلاقة كثيراً ما تكون علاقة تناقض. فمولود برج الحمل مثلاً قد يشكو اعتلالاً في أجزاء من جسمه تسيطر عليه صورة الميزان المقابلة، لذلك يقسم علم التشريح التنجيمي الجسم ليس وفقاً للأبراج التي تسيطر عليها فحسب بل ووفقاً للأبراج المقابلة لها أيضاً» (النيهوم 1979: 54).

ونرى في الشكل المرفق كيف أن جسد الإنسان تسيطر عليه الأبراج حسب تسلسلها من الحمل إلى الحوت بادئة بالرأس ومنتهية بالأقدام:

الحمل: يسيطر الحمل على الرأس، لذلك كثيراً ما يشكو مواليد هذا البرج من الصداع. يضبط الحمل أيضاً إنتاج الأدرينالين.

الثور: يسيطر الثور على الصدر. هذا ما يجعل مواليد هذا البرج عرضة للزكام والقشعريرة.

السرطان: يسيطر السرطان على المعدة والفناة الهضمية. لذلك يكون عسر الهضم وقروح المعدة شائعة بين مواليد هذا البرج.

العذراء: تسيطر العذراء على الجهاز العصبي والأمعاء. لذلك يعاني مواليد هذا البرج عسر الهضم.

الرامي(القوس): يسيطر الرامي على الكبد والوركين والفخذين. بما أن مواليد هذا البرج ناشطون بالطبع. فإنهم يخملون إذا لم يقوموا بتمارين رياضية كثيرة. وهم يميلون إلى زيادة في الوزن تظهر عند النساء في الوركين والفخذين.

الدلو: يسيطر الدلو على الدورة الدموية. لذلك يشكو مواليد هذا البرج من داء الدوالي ومن تصلب الشرايين.

الجوزاء: تسيطر الجوزاء على الرئتين والعصاب والذراعين والكتفين. مواليد هذا البرج معرضون لعطب الترقوة.

الأسد: يسيطر الأسد على القلب والنخاع الشوكي والظهر، مواليد هذا البرج معرضون للنوبات القلبية.

الميزان: يسيطر الميزان على الكليتين. فكل خلل في طريقة الحياة المتزنة عادة لمواليد هذا البرج لا يلبث أن يحدث علة خطيرة في الكليتين.

العقرب: يسيطر العقرب على الأعضاء التناسلية. فالغريزة الجنسية على أقواها عند مواليد هذا البرج. وبما أنهم لا يميلون إلى أنصاف الحلول. فكل حرمان أو زوال لهذه الطاقة الجنسية قد يؤدي إلى تصرف مزعج أو شرس.

الجدي: يسيطر الجدي على الركبتين والعظام والأسنان. لذلك تكون آفات هذه الأجزاء شائعة نسبياً عند مواليده. وكذلك كل مرض يحد من الحركة مثل داء المفاصل.

الحوت: يسيطر الحوت على الرجلين. ومواليده يستجيبون للعقاقير استجابة حسنة.

ويمكننا تلخيص علاقة البروج بأعضاء الجسم والطب والأمراض بالجدول التالي:

جدول حديث يبين العلاقة بين الأبراج وأعضاء الجسم والطب

التنجيم والعرافة والسحر

كان التنجيم البابلي يعتمد على الفلك المبني على أسس علمية ولكنه كان ينحرف به نحو العرافة والسحر. ويحصل هذا بشكل خاص عندما يصبح التنجيم علماً شعبياً يتداوله الناس ويربطون مصائرهم وحياتهم بحركة الأفلاك ويربطون بينها وبين المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عندهم. وكان التنجيم الشعبي هذا يمارس، على الأغلب، من قبل ذوي القدرات المحدودة ولذلك كان مشوباً بالخرافة والشعوذات.

وهناك التنجيم الرسمي الذي كان يعتمده الملوك والأمراء فالمنجمون جزءٌ من البلاط وعامل أساس فيه.. ومهنة التنجيم هنا تستوجب شخصاً ذا قدرة استثنائية فائقة قادرة على الربط بين حركة الأفلاك وحركة الحياة على الأرض، وكانت تنبؤاتهم تخضع للمراقبة ويمتحن البلاط صدقهم وقد يؤدون بحياتهم ثمناً إن لم يوفقوا في مهمتهم هذه.

وفي الحالين عندما يختلط الفلك والتنجيم بعقائد الناس الدينية والروحية ويعمل الكهنة على القيام بالأعمال الفلكية يظهر منجمون ومتنبئون ويسمى مثل هؤلاء الكهنة بالعرّافين وأحياناً بالسحرة، والعرّافون في البابلية هم الـ(بارو). وكانت للمنجمين غرفٌ خاصة في المعابد والقصور، ولقد تحرك كل من علم التنجيم وعلم الفلك الرياضي في دوائر اجتماعية وعقلية مختلفة، ومارس كلّ منهما تأثيراً كبيراً على بلاد مصر والغرب الهيلنستي مباشرة أو عن طريق الوساطة (أنظر أوبنهايم 1981: 406).

«وكانوا يقولون إن الباحثين المهرة يمكنهم أن يتنبئوا بالغيب بمجرد النظر إلى الشروق والغروب، ولون الكواكب، فيخبرون بما سيقع من العواصف والأمطار، والحرارة الشديدة وظهور الكواكب، والخسوف والكسوف، والزلازل، وكل ما يقع على الأرض من التغيرات، وفي ذلك كثير من إشارات السعود أو النحوس للأفراد، والبلدان، والأمم، ولا سيما الملوك.وكانوا يقولون إن في الطبقة السفلى من تلك الكواكب الخمسة، ثلاثين كوكباً اسمها الآلهة «المستشارة»، نصفها يتجه إلى سطح الأرض ونصفها الآخر يتجه إلى قاعها. وهي كلها رقيبة على ما يجري بين الناس وفي السماء. حتى أن كل عشرة أيام يقوم من بينها

كوكب مندوباً عنها من المناطق العليا إلى السفلى، بينما ينتقل كوكب آخر من جوف الأرض إلى ما فوقه، وذلك في أوقات معينة. ومن بين هذه الكواكب المستشارة اثنا عشر كوكباً يتحكم كل منها في شهر من شهور السنة، ويكون واحداً من اثني عشر رمزاً لمنطقة البروج. وكل من الشمس والقمر والكواكب الخمسة المتقدم ذكرها تمر بهذه الرموز فتتم الشمس دورتها في مدى سنة، وأما القمر ففي مدى شهر.ولكل كوكب مدار خاص. وتختلف الكواكب بعضها عن بعض باختلاف سرعتها والزمن الذي يقطعه مدارها، وتؤثر في ميلاد الناس وحظوظهم، ولذلك يتخذها الباحثون كتاباً يقرأون في سطوره الغيب. فذكروا نبوءات كثيرة لعدد لا يحصى من الملوك. كداريوس الظافر، وإسكندر، وانتيجون، وسلوقيوس نيكاتور. ويظهر أن هذه النبوءات صدقت ولم تخطئ،» (لوبون 2017: 58).

اعتمد المنجمون على ثلاثة أمور أساسية في التنجيم وهي: (حالة النجوم، الزمان والمكان، الأنواء الجوية).

1. أحوال النجوم: حيث كانوا يرون أن للنجوم والكواكب دلالات أرضية، فقد كان المشتري يمثل ملك أكد أو ملك آشور أما المريخ (مارس) فيمثل عدوه كأن يكون أمورو أو عيلام ولذلك فإن ظهور أحدهما دون الآخر أو سطوعه الأشد كان ينعكس على مصير الملوك في الأرض. وكان كوكب زحل (ساتران) يدل على معنى النظام العام وعلى السلام والعدالة لأن هذا الكوكب هو المقابل الليلي للشمس التي كانت تمثل العدالة. أما الزهرة فكانت خيراً أو شراً. وكان عطارد يمثل ولي العهد بصورة خاصة. وهذا يعني أن ظهور وحركة وتنافر هذه الكواكب كان يحمل دلالة أحداث على الأرض.

وكان ضوء قوة النجوم (شحوبه أو شدته) له دلالة تنجيمية، حيث الشحوب يعني ضعف الملك ومرضه واللمعان يعني قوته ونصره ورفاه شعبه.

وكانت حركة النجوم لها دلالتها فإذا اقترب المريخ من المشتري فإن أمورو تمارس ضغطاً خطيراً على بلاد أكد، وإذا كان المشتري في برج القوس أو يتوجه نحو برج الثور فهذا

يعني الموت بالنسبة لملك أكد، أما إذا توجه المريخ نحو برج السرطان فالعكس، إن ذلك يعني بالنسبة إلى الملك ملكاً مطمئناً وسعادة للرعية (أنظر تاتون 1988: 48).

2. الزمان والمكان: كان للحظة التي يقع فيها التنبؤ أو التنجيم، وللمكان الذي يقع فيه أهمية استثنائية. فقد كان هناك منجّمان، على سبيل المثال في ساعة الولادة أحدهما يسجل زمن الولادة الدقيق وساعته والآخر يراقب حركة أفلاك السماء في حالة الولادة أثناء الليل أو حركة الشمس أثناء النهار. وكانت الأيام والأشهر توزع بين البلدان الأربعة وتحدد أوقات النحس والحظ فيها.

3. الأنواء الجوية: كان للظواهر الطقسية والهالات القمرية وللبرق والرعد والمطر والرياح دور بمثابة الإشارات التنجيمية المكملة ويقول كونتينو: «لقد اتخذ التنجيم البابلي من الأنواء الجوية قاعدة له، ذلك لأنه كان يقوم على أساس مراقبة الرياح، وألوان النجوم والكواكب السيارة، والخسوف والكسوف. أما النصيحة التي كان يقدمها فإنه من الممكن تفسيرها بعدة وجوه لأنها لم تكن تشير إلى مسائل السياسة ذات المستوى العالي بل إلى الحياة اليومية للإنسان العادي كالزراعة، لقد كان التنجيم في الحقيقة معادلاً من قريب أو بعيد للتنبؤات الجوية الحديثة» (أنظر كونتينو 1979: 480).

إن الفكر التنجيمي البابلي كان يميل إلى نوع من الدقة العلمية (رغم طبيعته التنبؤية) ولم يك يُسرف في الغيب والخرافة. لأنه كان يعتمد على الفلك كأساس له. فما الذي يجعله يميل نحو الغيب؟

إنه السحر، لقد كان السحر البابلي نافذاً وقوياً، وكانت قوانين السحر الضمنية التي قد لا يدركها الساحر نفسه وهو يمارسها تعتمد على نوعين هما التشبيه والاتصال.

فالتشبيه يتضمن عقد صلةٍ بين شيئين متشابهين سواء كان هذا التشابه حقيقياً أم افتراضياً. ثم الاعتقاد بأن ما يؤثر على أحدهما يؤثر على الآخر. وفي التنجيم ربط المنجمون سحرياً بين الملوك (باعتبارهم نجوماً على الأرض) وبين نجوم السماء وأصبحوا يرصدون نجوم السماء ليعرفوا مستقبل الملوك على هذا الأساس. وكذلك الناس بصورة عامة عندما يعرف الكوكب الخاص بولادة الإنسان فإنه يرصد دائماً لمعرفة مصير وحال ذلك الإنسان. وكان إلها العرافة (أدد) و(شمش) يساعدان في ذلك، أما الاتصال فهو الاعتقاد بأن الأشياء التي كانت متصلة ذات يوم يبقى يؤثر بعضها على بعض عندما تنفصل. مثل البذرة التي تنتج عنها شجرة أو فاكهة فإن ما يصيب البذور يصيب الفواكه حتى بعد أن ينفصلا وهكذا. وفي التنجيم اعتقد المنجمون أن الإله الذي كان نجماً أو ريحاً أو برقاً أو كوكباً (مثل إله المشتري، إله الشمش، إله الرعد...إلخ) هذا الإله الذي سيتخذ منه الملك إلهاً خاصاً له ولشعبه أو أحياناً يكون الملك بمثابة الابن له سيكون تأثيره قائماً في الشيئين اللذين كانا من صلبه وهما (النجم والملك) وسيتبادل هذان العلاقة فيما بينهما لأنهما من أصل إلهي واحد.

هذان القانونان السحريان دفعا بالفلك نحو التنجيم، وفرشا أرضية سحرية للتنجيم ليتحول إلى عرافة كاملة. ورغم أن النوع العلمي من العرافة كان يقوم على أساس تكرار الظواهر وهو ما نسميه بـ(العرافة الاستنتاجية). لكن النوع السحري كان الأكثر انتشاراً بين الناس. ورغم أن التنجيم البابلي كان يتراوح بين العرافة الاستنتاجية والعرافة السحرية، إلا أن ميله كان باتجاه الاستنتاجية عندما يتعلق بالملك. وبالسحرية عندما يتعلق بالناس، وبكليهما عندما تتصاعد الأحداث وتدلّهم الخطوب.

ولا يمكننا مطلقاً إطلاق حكم عام وشامل على التنجيم البابلي، إذ إن علم التنجيم البابلي هو علم معقد متعدد العناصر ويتطلب دقة بيانية تفرض نفسها بتحكم على فكر معتنقها. ولكن مهما كان التأثير الذي مارسه المنجمون، وبصورة خاصة في بلاط نينوى فإن علم

النجوم كما سبق القول لم يبلغ أوجه إلاّ بعد تراجع الحضارة الميزوبوتامية. ومن جراء هذا لا يمكن أن يعد مظهراً بارزاً أو أبرز للدلالة على عبقريته. (تاتون 1988: 85).

وهكذا يتضح لنا أن علم التنجيم البابلي لا ينطوي بأكمله على عناصر سحرية بل هو نسيج سحري/ علمي أو عرافي/ إرصادي أو تحكمه قوانين خاصة تستوجب الدرس العميق بسبب من تداخل عناصره وكثافتها وغزارتها. «إن التأمل ودراسة النجوم والعناصر الكونية الأخرى المتعلقة بها طوال ألفين من السنين من بعد سلالة بابل الأولى أدت إلى علم متكامل خاص بالتنجيم، وخاصة أننا نجد تعمقاً في هذه الدراسة وتكاملها في العصر الآشوري الحديث، وأعطت هذه من جديد إلى البابليين نوعاً من المعرفة مبنياً على مبدأ التعاطف أو الجذب الكوني أو العالمي، وهذا يتجسم في الرمزية الخاصة بالنجوم في عالم وادي الرافدين القديم» (بوتيرو 1970: 171).

وكانت عرافة الأكباد نادراً ما تستعمل في الرصد الفلكي... ولكن ربما تمّ ربطها بالنجوم أحياناً.

رابعاً: مثولوجيا الكواكب السبعة (لورسك آنو إنليل)

حفظ لنا الإغريق صفحات التنجيم البابلي في كتاب كبير يسمى (لورسك آنو إنليل Lorsque Anu Enlil) ويقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام تتخصص، على التوالي، للنشاطات الكوكبية للآلهة: (سين ـ القمر، شمش ـ الشمس، عشتار ـ الزهرة، أدد ـ العاصفة وأحوال الجو) وكانت التنبؤات تؤخذ من مظهر أو حركة الكواكب أو من علاقتها فيما بينها أو من الظواهر السماوية أو من الاضطرابات الجوية (انظر تاتون 1988: 83).

واعتبرت تحركات الشمس والقمر والكواكب نشاطات الآلهة المسؤولة عنها، جنباً إلى جنب مع إله القمر سين وإله الشمس شمش، وهي المسؤولة عن حدوث الأمراض على الأرض. وبقراءة أحوال الكواكب السبعة يمكن للمرء أن يقرأ ويفسر بشكل صحيح نشاط هذه االآلهة وما كانت الآلهة تهدف إلى تحقيقه.

إله الشمس:

وقد تقدمت الشمس في المثولوجيا والفلك البابليين. وأصبح الإله شمش منذ العهد الأكدي وصولاً إلى العهد الأموري هو الإله الأعظم وهو الإله مانح الحياة وراعي العدالة. وكان يعبده كلّ من سرجون وحمورابي أعظم ملكين ساميين في تلك العهود القديمة.

لقد تصور الأكديون والبابليون أن كوكب الشمس يشرق من جبل (ماشو) ويغرب خلفه ولذلك نراه مصوراً على طبقات الأختام الأسطوانية منذ العصر الأكدي القديم صاعداً من خلف الجبال حاملاً أشعة الشمس على ظهره واضعاً رجله اليمنى فوق الجبل، ويفتح له إلهان واقفان أمامه أبواب السماء وهو يحمل بيده آلة المنشار يقص بها الظلام، أما في الليل فإنه عندما يختفي من قبة السماء فإنه يقوم برحلة إلى العالم الأسفل (عالم الأموات) ليزود الأموات بالضوء والطعام والشراب ويوصف بالمدائح الإلهية بـ(شمس الأرواح الميتة) (انظر أدزارد 1987: 42).

أما رموزه السياسية فقد أصبحت في العصر البابلي المنشار وقرص الشمس المكون من ثماني أشعة مدببة (وهو رمز الألوهية الأول) وبينها ثماني أشعة متموجة إشارة إلى أشعة الشمس اللاهبة. بينما قرص الشمس مكون من ثلاث دوائر متداخلة.



الإله شمس: إله الشمس الشمس البابلي مع شعاره قرص أشعة الشمس المثلثة والمتموجة الثمانية

ومن الأناشيد الكبرى الموجهة لشمش تلك الأنشودة التي تصفه كإله عالمي وكوني عظيم:

«يا منير الأرض، يا حاكم السماوات

الذي يضيء الظلمات، ويرعى العلى والأعماق

شمش! منير الأرض حاكم السماوات

الذي يضيء الظلمات، ويرعى العلى والأعماق

شعاعك مثل شبكة (تمتد على العالم)

إنك تضيء ظلمة أبعد الجبال

بظهورك يبتهج الآلهة المستشارون

وجميع الإيكيكي سعداء برؤيتك..

يا شمش عند شروقك تسجد الشعوب

وجميع البلدان (تركع عند رؤيتك)

أيها المنير الذي يبعد الظلمات عن جيد السماوات

الذي يلهب لحية النهار فوق مزارع القمح، حياة البلاد!

مجدك يوشح أبعد الجبال

وشعاعك ملأ امتداد العالم» (لابات 1988: 322).

وكان الإله شمش والإله أدد إلهَي العرافة وربما اختص شمش بعرافة السماء واختص أدد بعرافة الأرض، وكانت عرافة السماء تعني التنجيم وكان العرّاف في البابلية يسمى (بارو) والعرافة (باروتو).

وتشرح أنشودة كيف أن شمش وأدد دعيا الملك السومري القديم (أنمرور إنكي) وأعطوه فن العرافة، وكيف أن شمش استدعى أناساً جدداً ليسلمهم العرافة.

«استخدم أناساً مولودين في نيبور وسبار وبابل

وأكرمهم وأجلسهم على كراسٍ

وكشف لهم كيف يلاحظون الزيت فوق الماء، سرّ آنو وإنليل وإيا،

وأعطاهم لوح الآلهة (الكبد) سرّ السماوات والأرض

وجلب لهم الأرز، الذي يحبه الآلهة العظام

لوح الآلهة (الكبد) سرّ السماوات والأرض

كيف يلاحظون الزيت فوق الماء، سرّ آنو وإنليل وإيا،

مع شروحه، (سلسلة): حينما آنو إنليل...»

وأن يجروا الحسابات الخاصة» (لابات 1988: 328 ـ 329).

إن سلسلة (حينما آنو إنليل) هذه هي سلسلة فلكية وتشير (الحسابات الخاصة) إلى حسابات فلكية.

إله القمر:

أما الإله سين (إله القمر) فقد كان النجم الأعظم عند المنجمين الذي احتفظ بأهميته الفلكية والتنجيمية عند البابليين، وكانت علامات الخسوف دالةً على أشياء ذات رهبةٍ وقوة. وقد ارتبطت النساء العظيمات بالإله سين ومعبده فقد أعطيت ابنة سرجون الأكدي زوجةً له وكرست كمنجمة وعابدة له واسمها أنخيدوانا. وكذلك حفيدة نرام سين بعدها بأكثر من مائة سنة كانت عازفة قيثارة في معبده، ثم صارت إحدى أخوات ملكي لارسا الأخيرين الكاهنة العظيمة لهذا الإله في أور. وعيّن آشور بايديبال أحد أصغر إخوته كاهناً عظيماً لمعبد القمر في حرّان. ثم أصبحت أددكبي أم نبونائيد الملك الكلدوي الأخير كاهنة له. وقد بشّر نبونائيد بالتوحيد القمري في آخر سنوات حياته.



سين: إله القمر البابلي

ومن رموز القمر في العصر البابلي الهلال المكمل بدائرة.. رغم بقاء الرمز السومري القديم أيضاً. وهناك صلاة ملكية للخسوف:

«الآلهة العظام يسجدون أمامك، القرار للبلاد منك

الشر ينذر بخسوف القمر الذي أحدث في كذا يوم

الشر الذي أعلنته، العلامات والإشارات سيئة وقبيحة

الذين يحتفون في قصري وفي بلادي

الآلهة العظام يسألونك حتى تجيب

إنهم هنا جميعهم الذين يتبادلون الرأي

ياسين الإله المنير و(إيكور) يسألونك

وتعطي الوحي والإلهام للآلهة

يوم القمر الجديد هو يوم وحيك، سرّ الآلهة العظام

اليوم الثلاثون هو عيدك يوم تعظيم ألوهيتك

يا نرام سين بقوةٍ غير متساوية لا يعرف أحدٌ رأيك

أفرغت لك شراباً أصيلاً ليلاً، لأجلك وزعت الجعة النقية

ها أنا راكع متجه إليك» (سعيد 1984: 206).

إلهة الزهرة:

أما الزهرة (الإلهة عشتار) فقد ارتفعت في العصر البابلي مكانتها الكوكبية فقد كانت نجمة للسماء (الزهرة أو فينوس) حيث إنها تعرّف نفسها أمام حارس بوابة العالم السفلي حين توجهها إلى هناك بالكلمات التالية (أنا إنانا من مشرق الشمس) وفعلاً تصور إنانا على المنحوتات وأشعة الشمس تظهر خلف ظهرها، كما تظهر على منحوتات حجر الحدود في العصر البابلي الوسيط والحديث على شكل نجم مثمن مشع، وقد يندمج رمزها هذا برموز آلهة سماوية أخرى مثل هلال القمر وقرص الشمس (انظر ادزارد 1978: 58).

أوجد البابليون علاقة أسطورية بين القمر وابنته الزُّهرة، فهم يعتبرون اكتمال القمر بدراً علامة لـ(حيض عشتار) ولذلك لا بدّ من استراحتها من كل أعمالها كالسفر وأكل الطعام المطبوخ وإشعال النار، وهي نفس الأمور التي تستريح منها المرأة الحائض، وقد دُعي هذا اليوم بيوم (سباتو) أي يوم الراحة، وكانوا يحتفلون به كل شهر، ثم احتفلوا به مرة في كل ربع من أرباع الشهر القمري، وعنهم أخذ اليهود، فيما بعد، هذه العادة فجعلوا يوم السبت يوم راحة، ووظفوها لصالح إلههم الكبير حيث استراح من عناء الخلق ودعوا ذلك اليوم بيوم الـ(سبات) ووضعوا محرمات مشابهة ما زالوا يمارسون تحريمها دينياً الآن. وكانت كلمة سبيتو تعني السبعة، عند البابليين، أو اليوم السابع وهو يوم السبت أي يوم الراحة.

وتوضح قصيدة غنائية يطلق عليها اسم (ارتفاع عشتار) كيفية تحول عشتار من آلهة أرضية إلى آلهة سماوية بل سيدة الآلهة وباعتبارها كوكباً مشعاً متساوياً مع النيّرات السماوية الكبرى وكيف أنها تدخل الطرق السماوية لآنو وإنليل وإيا حيث يشركونها في سلطاتهم على هذه الطرق، ثم يتخذها الإله آنو زوجة له لتتربع على عرش الكون ويطلق عليها اسم عشتار الكواكب:

«الكلمات التي يتلفظ بها الآلهة والآلهات أمامك

في أسس الأزلية للسماء والأرض

في مجموعات النجوم الإلهية والثابتة

في البدء آنو وإنليل وإيا

أجروا مقاسمة الحصص:

للإلهين اللذين يسهران على السماوات والأرض

ويفتحان باب آنو

لسين وشمش، بالنهار والليل،

كانتا حصتين متعادلتين

من قاعدة السماوات حتى قمة السماوات

عينوا لها مهامها اليومية

مثل خطوط تتجاور

جميع نجوم السماء:

مثل ثيران الآلهة الذين يمشون في الأمام

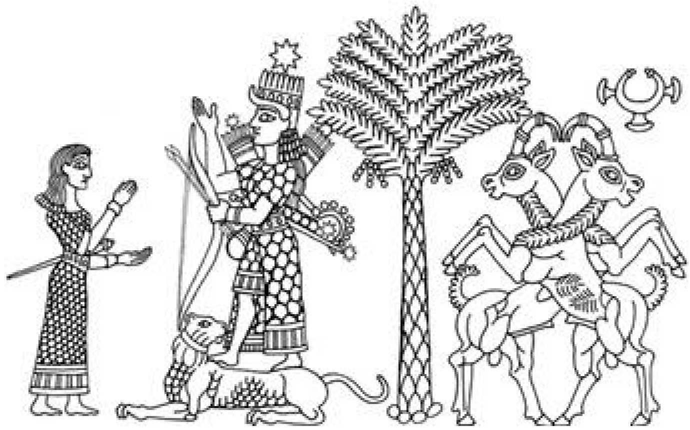
يدلونها على الطريق الحسن

في هذا المكان ارتفعي يا عشتار

إلى الملوكية عليهم جميعاً

يا (إنين) كوني أنتِ، الأكثر تلألؤاً بينهم

ليسموك «عشتار الكواكب»» (لابات 1988: 291-292).



الزُّهرة البابلية: عشتار، بنجمتها الثمانية وبزيها المحارب وأسلحتها ولبوتها

https://therealsamizdat.com/tag/tammuz/

إله المشتري:

أما الإله مردوخ (كوكب المشتري) فقد أصبح بلا منازع الإله القومي للبابليين، وحظي كوكبه بأهمية استثنائية أيضاً. وتشير أسطورة الخليقة البابلية لذلك. وكان اسمه السومري القديم (أمار ـ أوتوك) الذي يعني عجل إله الشمس الصغير، وأصبح بعد ذلك مردوخ إله بابل العظيم الذي كُرّس له معبد إيساجيل في بابل وصارت زوجته صربانيت وهي (نانايا) وابنهما (بنو) إله الحكمة.

وصار إله العدل والقضاء فنافس إله الشمس (شمش) ووصف أحياناً بأنه أخٌ له، ومن جملة ألقابه (سيد الآلهة) و(أب الآلهة) وتكشف لنا أسماؤه الخمسون في نهاية أسطورة الخليقة امتصاصه لبقية الآلهة.

«صنع مردوخ منازل للآلهة

خلف الأبراج، ثبتها في أماكنها

حدد الأزمنة، جعل السنة فصولاً

ولكل شهر من الأشهر الاثني عشر ثلاثة أبراج

حدد الأيام بأبراجها

ثبت برج «نبيرو» رقيباً

فلا يجهل نجمٌ عمله ولا برجٌ وظيفته

في الوسط ثبّت السمت

وإلى الشرق والغرب فتح بوابةً

وسلط القمر على الليل

وجعله زينةً في الليل

به يعرف الناس موعد الأيام

في بدء الشهر يطلّ القمر

يحدد الأسبوع. بعد أسبوعين، في نصف الشهر

يواجه الشمس، يكون بدراً

ينحسرُ ضوء الشمس عن وجهه، يصفّر

يدركه المحاق، يعود ثانية إلى الأرض» (فريحة 1979: 107).

حقيقة كوكب نبيرو: Neberu، Nebiru (Nibiru)

مصطلح في اللغة الأكدية بالعودة لقاموس اللغة الأكدية العربية تعني (العبور، المخاضة، مركب العبور، العبّارة، أحد أسماء كوكب المشتري)(الجبوري 2010: 410).

وهو يشير إلى عبور النهر ونقطة الانتقال في الأنهار بصورة عامة، أما في الفلك والتنجيم فيشير إلى الاعتدال والأجسام الفلكية المرتبطة به. ويقابلها في السومرية اسم كوكب المشتري (كَش ما ديري كَا) و(ساكَ مي كَار). (GIS.MA.DIRI.GA) (SAG.ME.GAR)

اعتبر كوكب نبيرو مقر القائد الذي يرعى النجوم مثل الأغنام، وفي بابل التي تم تحديدها مع مردوخ (ماردوك). ويرد وصف نقطة نبيرو في اللوح 5 من أسطورة الخليقة البابلية (إنوما إليش) «عندما قام مردوخ بإصلاح مواقع نبيرو وإنليل وإي في السماء.

نبيرو هو نجم مردوخ، الذي جعله يظهر في السماوات.. نجوم السماء، دع نبيرو يحدد مساره. دعه يرعى كل الآلهة مثل الأغنام.

هذا التفسير لمردوخ كحاكم للكون قد اقترح من قبل بعض المؤلفين ليشير إلى ميل لتوحيد مبكر في الدين البابلي يسمى (التفريد).

يوصف نبيرو بشكل أوثق على قرص مسماري كامل:

نبيرو، الذي يقال إنه احتل ممرات السماء والأرض، لأن الجميع فوق وتحت يسأل نبيرو إذا لم يتمكنوا من العثور على الممر. نيبيرو هو نجم مردوخ الذي وضعته الآلهة في السماء. ويقف نبيرو كنقطة تحول. أما الآخرون فيقولون عن نبيرو: من يعبر وسط البحر (تيامات) دون هدوء، قد يكون اسمه نبيرو، لأنه يأخذ مركز ذلك، أي لأنه نقطة عبور أو انتقال.

ارتبط نبيرو بمنطقة الميزان: فقد ارتفعت كوكبة نبيرو في شهر تشريتوم، حول الاعتدال الخريفي، ولكن نيبيرو اسم كوكب المشتري عندما لوحظ في شهر تسريتوم. ويتّح اسمه بثلاث صيغ هي:

Marduk (MUL dAMAR.UD), Nibiru (né-bé-ru)، Jupiter (MULSAG.ME.GAR)

مردوخ (مول د. أمار. أود)، نبيرو (ني.بي. رو، المشتري (سكَ.مي.كَار) (ساكميكار)

وهناك إشارة لعلاقته بعطارد، وسبب ذلك، في رأينا، هو أن اسم (نيبي، نبي) الموجودة في مقطع (نبيرو) قد تحيلنا إلى اسم ابن مردوخ نبو (نبي)، وفي هذا يحصل التداخل والتطابق.

الطروحات المزيفة حول نبيرو كنوع من التنجيم:

1.طرح زكريا ستشن في بعض مؤلفاته بأن نبيرو هو الكوكب الثاني عشر في النظام الشمسي، وهو ينسب هذا الاستنتاج إلى التراث السومري ويرى في بعض تفسيراته الخاطئة للنصوص والصور أن هذا الكوكب هو مقر الأنانوكي (آلهة سومر السبعة السماويون)، وأنهم غزوا الأرض قبل 400000 سنة للحصول على الذهب... الخ من خرافته المزعومة. وهي آراء خاطئة رفضها علماء الفلك والسومريات بشكل كامل.

2. في تراث حضارة المايا نبوءة كانت تقول: إن كوكب نبيرو سوف يقترب من الأرض في عام 2012 مسبباً الزلازل والبراكين والأعاصير تؤدي، في النهاية، إلى نهاية الحضارات وخراب الأرض ولكن الزمن أثبت خرافة هذه النبوءة التي ترقبها وصدقها الكثير من الناس.

3. أشيع في بعض الدول المتطورة بأن نبيرو قد يكون هو سبب خلل طبقة الأوزون ودخول أشعة الشمس من الفضاء الواسع على طبقة الأرض الداخلية وهو ما يسبب البراكين والزلازل والأمراض السرطانية الجلدية... وهذا غير صحيح على الإطلاق.

4.أثيرت مخاوف جديدة حول حقيقة هذا الكوكب وقرب اصطدامه بالأرض من قبل جماعات غير علمية أغلبها دينية ومجموعة من المنجمين. وهناك بعض الناس يعتقدون بهذا، وبعض الناس تعتقد أنه النجم الطارق الذي ذكر في القرآن الكريم، وقد نفت وكالة

ناسا كل هذه الأمور وأن سبب هذه الأكاذيب هم رواد فضاء هوليوود الذين قاموا بتصميم أفلام كاذبة بهدف الربح منها، وليس هناك كوكب يسمى نبيرو لأن اسم هذا الكوكب هو مجرد اسم لإحدى الآلهة السومرية في الأساطير القديمة.

إله عطارد:

أما كوكب عطارد فكان يشير له الإله (نبو، نابو) ابن الإله مردوخ وهو إله أكدي كان يشير إلى الحكمة والمعرفة، وبصفته كاتباً فقد كان يحتفظ بألواح القدر وهذا يعني أنه كان يتحكم كإله رئيس بمقدرات الكون فانتزع بذلك أسماء مردوخ الحسنى في المدائح الإلهية، وكان يوصف في إحدى أناشيد العصر الآشوري الحديث بمفجر الينابيع ومانح الخصب والنمو للمزروعات، وهذه صفات من صفات الإله إنكي إله الحكمة والمياه العذبة، وربما كان نبو يجسد اتجاهاً جدياً في تكوين ديانةٍ توحيدية منذ القرن الثامن ق.م حيث تذكر كتابة مدونة على أحد التماثيل في نهايتها ما يلي (أثق بنابو ولا أثق بغيره من الآلهة) (انظر إدزارد 1978: 131).



عطارد: الإله نابو، نبو (ابن مردوخ) بصولجانه ورموز السلطة وحيوانه سروش

الصورة التي في جهة اليسار للإله نابو في كالح على هيأة الملك تجلات بلاصر الثالث محفوظة في المتحف البريطاني

يرد اسم نابو، في العهد القديم إشعياء 46: 1.، باللغة العبرية، (نيبو)، وهو إله الحكمة والكتابة الآشورية والبابلية وابن مردوخ، عند البابليين، وابن آشور، عند الآشوريين وأمه البابلية ساربانيتوم، وهو حفيد إيا الذي ورث عنه الحكمة والكتابة. وكان نابو زوجاً للإلهة تاشميتوم.

كان نابو، في الأصل، أحد الآلهة السامية الغربية الأمورية في بلاد ما بين النهرين، في حدود 2000 قبل الميلاد، وربما كان هو تطوير لاسم الإله (مارتو) إله الآموريين الكبير. وأصبح يعبد في مدينة بروسبّا في معبده (إيزيدا) وكان والده (مردوخ) في حينها إله بابل أما هو فيطلق عليه اسم (كاتب ووزير مردوخ).

أصبح نابو في وقت لاحق أحد الآلهة الرئيسية في آشور، وتناول الآشوريون العديد من الصلوات والنقوش إلى نابو وظهر اسمه في أسماء الأطفال. كان نابو إله الكتابة والكتبة وكان حارس ألواح المصير، حيث تم تسجيل مصير البشرية. كما كان يعبد أحياناً كإله خصوبة وكإله للمياه، وكان إله الكتبة الذي حلّ محل الإلهة السومرية نيسابا وكان يناظر (تحوت) إله الكتابة والمعرفة في مصر. رموزه هي لوح الكتابة الطينية مع قلم الكتابة. يرتدي قبعة مقوسة، ويقف بيدين متشابكتين، في لفتة كهنوتية قديمة. وكان يركب على التنين المجنح (المعروف أيضاً باسم سروش).

سلطته على الوجود الإنساني هائلة، لأن نابو ينقش مصير كل شخص، كما قررت الآلهة، على ألواح السجل المقدس. وبالتالي، لديه القدرة على زيادة أو تقليل، في الإرادة، وطول حياة الإنسان.

إله المريخ:

كوكب المريخ كان يشير له (نرجال) إله العالم الأسفل وكانت له علاقة بالطب وحدوث الأمراض، وكان هذا الإله الوجه السلبي للشمس ولذلك تنسب له قسوة الشمس المحرقة، ولذلك كان يسبب حرائق المحاصيل والحمى والأوبئة التي تصيب البشر والحيوانات. وزوجته الإلهة أرشكيگال إلهة العالم الأسفل وإلهة الموتى.

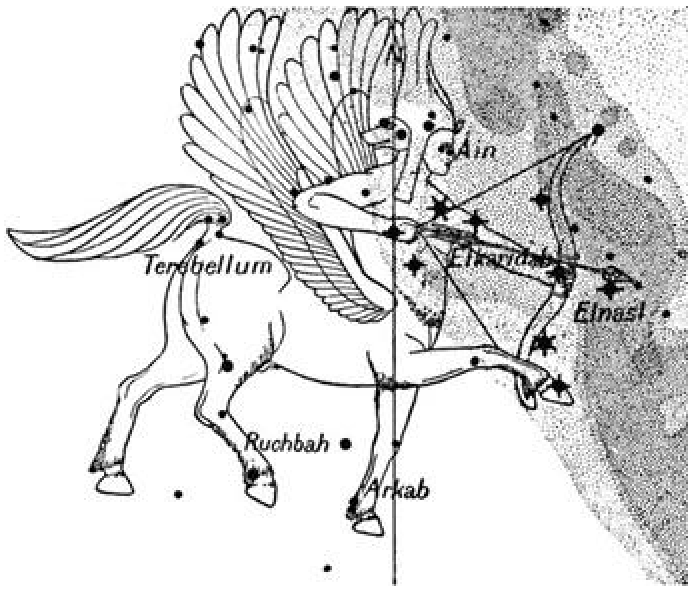
يعد نرجال من الآلهة البابلية الشمسية لأنه بمثابة الشمس وهي في العالم الأسفل أثناء غيابها في الليل، وهو أيضاً إله الحرب والأوبئة وكذلك حاكم العالم السفلي الذي فاز منصبه عن طريق الزواج من إريشكيغال، ملكة الموتى. وكثيراً ما يصور بنصف سفليّ للأسد، أو وهو يحمل صولجاناً برأس الأسد.



المريخ: الإله نرجال، إله كوثى، بهيئة نصفه العلوي بشري بتاج ألوهيّ مقرّن ونصفه الأسفل بجسد أسد

ويصوّر الإله نرجال في الأبراج البابلية على أنه يمثل برج القوس، حيث عرفه البابليون بنفس هيأته التي ذكرناها، فهو مخلوق غريب مثل سينتور يطلق سهماً من القوس. ويصور عموماً بأجنحة، مع رأسين، رأس نمر واحد ورأس إنساني واحد، فضلاً عن نبلة العقرب التي تكون بمكان ذيل الحصان. ويتألف الاسم السومري بابيلساج من عنصرين ـ بابل، وهذا

يعني «القديس الأب الأكبر» وساج، وهذا يعني «رأس، رئيس». وهكذا يمكن ترجمة الاسم باسم «الجد» أو «السلف الرئيسي». وهذا الرقم يذكرنا بالتصوير الحديث للقوس.



تمثيل حديث لبرج القوس الذي يناظر تمثيل نرجال البابلي الممثل لبرج القوس وللمشتري

https://nl.pinterest.com/pin/527132331361364914/



الإغريق حوّلوا قوس نرجال البابلي إلى قوس السنطور ترميزاً لبرج القوس

http://www.constellationsofwords.com/stars/ArkabPrior.html

إله زحل:

كان زحل يشير إلى الإله (ننورتا) الذي كان إله العاصفة والدمار وملك الصواعق المرعبة. وكان الإله أدد مسؤولاً عن الأنواء الجوية بشكل عام كالأمطار والرياح والعواصف.كان ننورتا (السومري، رب الشعير) إله القانون، والكتبة، والزراعة، والصيد. وفي لجش تم التعرف كإله للمدينة، كان الاسم في كثير من الأحيان ترجم نينيب أو نينيب وكان يحلل أحياناً كإله الشمسية.

كان ننورتا غالباً ما يظهر مع القوس والسهم، وسيف المنجل، أو صولجان. الصعود، وسلاحه اسمه شارور القادر على الكلام، ويمكن أن يتخذ شكل أسد مجنح، وربما تمثل نموذجاً للـ (شيدو) في وقت لاحق. وفي نيبور، كان يعبد ننورتا كجزء من ثالوث الآلهة بما في ذلك

والده (إنليل) ووالدته ننليل. وفي الأساطير تظهر والدته، أحياناً، إلهة الحصاد ننخرساج. كان نينورتا في نيبور وباو عندما كان يسمى نينجيرسو.

وفي أسطورة أخرى، يقاتل ننورتا (نينورتا) وحشاً طائراً يسمى بالسومرية إمدوجد (أو أنزو بنسخة بابلية) تتعلق بكيفية سرقته للوح الأقدار، ويعتقد أنها تحتوي على تفاصيل المصير والمستقبل التي دونها إنليل. فيقتل نينورتا أنزو ويعيد لوح الأقدار إلى والده إنليل.

هناك العديد من أوجه التشابه بين أسطورة ننورتا وأسطورة مردوخ (الذي حارب تيامت وانتزع منها لوح الأقدار وأعاده إلى والده إيا).وقد اقترح عدد من العلماء أن الإله ننورتا يناظر الملك الآشوري توكولتي ننورتا الأول الذي قد يكون مصدر إلهام لكتبة الكتاب المقدس حول ما عرف بـ (نمرود).





زحل: الإله ننورتا وهو يرمي بقوسه وهو على حيوانه الشبيه بالأسد ونجمته تحيط به

ويتخذ شكل رأس النسر في حدود 800 ق.م / معبد ننورتا في نمرود

http://sterzoeker.blogspot.nl/2010/01/goden-godinnen-demons-monsters-4.html

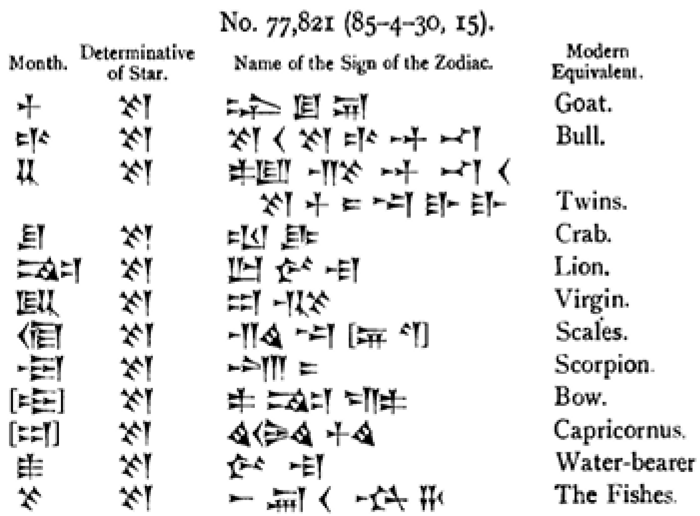
خامساً: نظام الوقت والتنجيم (البروج في السماء، الشهور في الأرض)

هناك في المتحف البريطاني عدة كِسرٍ من النسخة البابلية الجديدة من ألواح الخليقة السبعة، وما زال الموقف الدقيق منها، في الوقت الحاضر، غير مؤكد. واحدة من هذه الكِسر تسمى: (S.2013).

تحمل أهمية خاصة لأنها تتحدث عن كائن علويّ هو «تيامات العليا»، وكائن آخر هو. «تيامات السفلى ». وهذا يدل على أن البابليين كانوا يعتقدون أن جسد تيامت قسمه مردوخ إلى قسمين؛ القسم الأعلى في المحيط السماوي، والقسم الأسفل في المحيط الأرضي، وبعبارة أخرى، إلى قسمين من المياه هما: «المياه التي كانت فوق» و«المياه التي كانت تحت» على التوالي.وهناك قائمة باسم نجوم أو علامات البروج، وهناك في القائمة الشهر الذي كان يرتبط مع كل نجم، لأن الشهر البابلي هو البرج الزودياكيّ باعتبار أن كل شهر بابلي يبدأ من يوم 21 من الشهر الحالي المعروف لدينا، وهذا يعني أن الشهر البابلي

هو ذاته البرج المسمّى به حالياً، وقد ظهرت هذه القائمة في الفترة التي كانت فيها بابل تحت الهيمنة الفارسية الإخمينية. وفيما يلي ترجمة لهذه القائمة من صورة لشكلها المسماريّ تحتها:

الأبراج وتطابقها مع الشهور البابلية



الشهور والأبراج البابلية ونجومها ومعانيها

http://historum.com/blogs/killcarneyklansman/629-cosmic-gameplan-mazzaroth.html

سادساً: نصوص التنجيم البابلية (حينما آنو إنليل)

1. لوح حينما آنو إنليل Enuma Anu Enlil (EAE)

وهو نص تنجيمي لأغراض الفأل يقول عنه الباحثون بأنه يعود إلى الفترة السومرية والأكدية لكن الثابت أن تدوينه بدأ في العصر البابلي الكاشي، ويعتبر من أكثر النصوص التنجيمية قدماً. وهو يتألف من عدة نصوص جمعت على شكل سلاسل Series نقتطف منها المقطع التالي:

«إذا حدث خسوف في شهر سيوان في اليوم الرابع عشر وكان الإله القمر في ظلامه الدامس على الجانب الشرقي من فوق والنور على الجانب الغربي من تحت، وهبت ريح الشمال في ليلة المراقبة الأولى وخفت في منتصف ليلة المراقبة فسيعطي الإله القمر ذو الظلام الدامس على الجانب الشرقي من الأعلى وذو النور على الجانب الغربي من تحت قراراً لمدينة أور وملك أور. سيواجه ملك أور المجاعة وسيكون عدد الموتى كبيراً (أما بالنسبة) لملك أور فسيقاومه ابنه، أما بالنسبة للابن الذي سيقاوم أباه فيقبض عليه شمش (إله الشمس) وسيموت لعقوقه والده وسيعتلي العرش ابن الملك الذي لم يعلن عنه للملوكية» (ساكز 1979: 525).

1.مجموعة من 32 قرصاً مع نماذج الكبد المنقوش، التي يرجع تاريخها إلى حوالي 1875 قبل الميلاد، هي أقدم النصوص المفصلة المعروفة من العرافة البابلية، وتظهر هذه النصوص الطريقة التفسيرية نفسها التي كانت تستخدم في تحليل النصوص السماوية فقد تم تفسير العيوب والعلامات الموجودة على كبد الحيوان الذبيح كعلامات رمزية تقدم رسائل من الآلهة إلى الملك.

كانت الآلهة تقدم أنفسها في الصور السماوية للكواكب أو النجوم التي كانت مرتبطة بها. ومن ثم فإن الأفواج السماوية الشريرة التي تمسك أو تتعلق بهذه الكواكب تعتبر مؤشرات على عدم الرضا أو الإزعاج الذي يمثله هذا الكوكب. وقد قوبلت هذه المؤشرات بمحاولات لاسترضاء الإله وإيجاد طرق يمكن التحكم فيها يمكن من خلالها التعبير عن تعبير الإله دون أن يلحق ضرراً كبيراً بالملك وأسرته.

كان اختلاط النصوص التنجيمية مع النصوص الفلكية أمراً طبيعياً «وكانت الرقم والألواح تجمع أحياناً بينهما والألواح العديدة من هذا النوع تدل على اهتمام بعلم الفلك المواقعي الذي لم يتحرر من المعتقدات السحرية. وكانت نتيجة هذه الحالة الفكرية في ميزوبوتاميا الحد من الإرصاد. فقد كانوا يهتمون قبل كل شيء بموقع الكوكب النسبي وبالإشارة

البروجية، وتوافقها مع الكسوف أو البزوغ الشمسي. ونتج عن ذلك أن علم الفلك البابلي كان بصورة أساسية علماً حرارياً بروجياً» (تاتون: 1988: 122).

وفيما يلي بعض النصوص التنجيمية البابلية التي تخص الكواكب السبعة وأحوالها:

1. الشمس:

* إذا ظهرت الشمس في إحدى ساعات المساء، فإن ذلك يعني فناء لنصف السكان.

* إذا ظهرت الشمس في إحدى ساعات منتصف الليل، فإن ذلك يعني أن هناك ثورة تُرتب في البلاد ضد الملك.

*. إذا ظهرت الشمس في إحدى الساعات الليلية القريبة من الصباح فإن ذلك يعني أن تلك المدينة سوف يكون لها ملك ثانٍ (انظر رشيد1987).

2. القمر:

* إذا حدث خسوف في الشهر الحادي عشر وفي اليوم الرابع عشر منه، فإن العدو سوف يستولي على جزء من بوابة المدينة، والملك سوف يخرج مع مجموعة من جيشه ولكنه سوف يندحر. وبعد موت الملك فإن البلاد سوف تحقق بعض النجاح وسوف يحل السلام. (انظر رشيد 1987).

* إذا أحاطت القمر هالة معتمة (في اليوم الأول) يكون الشهر ماطراً وملبداً بالغيوم وإن أحاطت بالشمس هالة وكانت فتحتها متجهة نحو الجنوب فإن ريحاً ستهب من الجنوب. (انظر روثن 1980: 100-101).

* إذا خسف القمر في اليوم الرابع عشر من تموز فهو نذير للملك الكوتي: سوف يسقط الكوتيون في المعركة وتتحرر البلاد. (انظر الراوي: 1985).

* عندما يشاهد القمر والشمس بذات الوقت في سادس يوم من الشهر فالحرب ستعلن على الملك. عندها يحاصر الملك في قصره طيلة شهر ويقتحم العدو البلد وينتصر. وعندما لا يكون القمر مرئياً مع الشمس في اليوم 14. 15 من شهر تموز فإن الملك سيحاصر في قصره. فإذا رئي القمر في اليوم 16 فهنيئاً لآشور وتعساً لأكد وأمورو. (انظر تاتون 1988: 121 ـ 122).

3. الزهرة:

إذا غاب كوكب الزهرة في الثاني عشر من تسلاب (لعله كانون الأول) عند طلوع الشمس وظل مختفياً شهرين وأربعة أيام ثم عاد للظهور في السادس عشر من شباط عند طلوع الشمس فمعنى هذا أن الزراعة ستكون مخصبة. (انظر هوك 1987: 161 ـ 162).

4. المريخ:

إذا كان المريخ مرئياً في شهر تموز، فإن موقع الجند سيكون فارغاً (أي سيكون هناك حملة عسكرية). (انظر روثن: 1980: 100).

5. المشتري:

في طريق آنو رأوه، لكنه كان منخفضاً وفي الشفق لم يكن واضحاً ولدى شروقه بات واضحاً تحت العربة الواقفة في طريق إنليل، إن تحديد العربة مكتمل، أما بشأن تحديد المشتري (مول ببار) الذي في طريق آنو، وهو لم يكتمل بعد، كما كتبت بذلك سابقاً لسيدي الملك، فليعلم سيدي الملك ذلك. (انظر روثن: 1980: 100).

6. عطارد:

إذا رئي عطارد شمالاً وكانت ثمة جثث فيكون ثمة غزو من قبل ملك أكد لبلد غريب وإن دنا المريخ من الجوزاء مات الملك وقامت عداوة ما. (روثن 1980: 100).

7. زحل:

إذا اقترب زحل من موقع القمر، وزحل هو نجم الشمس فسينتج الآتي: إنه طالع حسن للملك، فالشمس هو نجم الملك. (الراوي: 1988).

نصوص الأبراج التنجيمية

فيما يلي بعض النصوص البابلية التنجيمية (انظر رشيد: 1989).

1. عندما يكون كوكب المشتري في برج الأسد وكوكب زحل في برج الدلو يمكن القول أن مطراً غزيراً ومياهاً عالية سوف تصيب جميع البلدان. وسوف تزيد القوة الشرائية للناس وتحمل الوفرة في محصول الحبوب.

2. إذا ظهر الكوكب عطارد أو الزهرة أو زحل أو المريخ في برج الجدي أو الحوت أو العقرب، وبقوا ثابتين أو ظهر الواحد منهم بعد الآخر فسوف يكون الشتاء قارساً.

3. عندما يكون كوكب المشتري وزحل سوية إما في برج الدلو أو في برج الأسد، يمكن القول أن المطر سيسقط بغزارة وستظهر مياه عالية.

4. إذا مكث كوكب عطارد أو المريخ في برج الدب الكبير (بنات نعش) أو في برج الجدي وسواء كان ذلك في الشرق أو الغرب فهذا يعني أن البرد سيكون قارساً.

5. إذا استمر بقاء الكوكبين (المشتري وزحل) في موضعهما (أي إما في برج الدلو أو برج الأسد) لمدة طويلة وانخسف القمر معهما وانكشفت الشمس، فهذا يعني أن القحط سوف يحل وسوف تتضرر البشرية كثيراً.

6. إذا علمت بأن الكوكب زحل في برج الأسد والقمر في الخسوف، وفي هذه الأثناء كان سعر الكور الواحد من الشعير (وزن الكور الواحد 100 كغم) حدث الشيء نفسه في المستقبل فإن سعر الكور الواحد من الشعير سيساوي أيضاً واحداً من الفضة.

7. إذا كنت ملكاً على بابل وعلمت بأن سلفك قد خسر معركة بسبب الظروف نفسها (أي وجود زحل في برج الأسد والقمر في حالة الخسوف) فيجب أن تتيقن أنك مهما فعلت ومهما تذرعت إلى الآلهة وتقربت إليها فإنك لا تستطيع أن تتجنب الدخول في معركة ولا تستطيع تحقيق سوى الهزيمة.

الأنواء الجوية (البرق، الرعد):

كان يعتقد أن الأنواء الجوية كانت تحت سيطرة الإله أدد بشكل خاص ولذلك نجد، على سبيل المثال، هذين النصين اللذين يخاطبانه:

عندما يسمع صوت أدد في نيسان، يكون ذلك إيذاناً بانتهاء حكم العدو، وعندما يحدث في تموز يخصب الزرع. وعندما يحدث في آذار تخرج البلاد على الملك. وعندما يرعد مثل كلب صغير ينهض الـ(أما ـ نمندا) ولا من يباريهم، وعندما يزأر كالليث يسقط الملك. (انظر هوك: 1987: 161).

«إذا لمع البرق ليلاً في الجنوب أرسل أدد طوفاناً وإذا لمع البرق ليلاً في الشمال أغرق جوثيوم.» (انظر هوك 1978: 161).

وكان (أما ـ نمندا) ملكاً إسكيثياً، وجوثيم هي بلاد الجوتيين شمال شرق وادي الرافدين.

يتضح من الأمثلة السابقة أن التنبؤ يعتمد في الغالب على تكرار الحدث وإمكانية حصوله في فترة لاحقة تحت الظروف نفسها، إذا لم تكن نية رصد النجوم وربطها بالأحداث عملاً تلفيقياً أو عملاً يتصل بربط مسبق غايته الدجل، وهذا ما يبعد بعض هذه النصوص والتنبؤ به عن روح التنجيم ويقربها من التنبؤ الاستنتاجي. ويقيناً إن عدم إنتشار التدوين واختفاء الرقم الطينية المتعلقة بالنجوم والكواكب وطبيعة التداول الشفاهي القابل للتحريف هي التي وضعت الأبراج في منطقة الخرافة وأبعدتها عن استعمالها العلمي. لقد كانت الكواكب السيارة التي تظهر في الأبراج ذات أثر حقيقي على الأنواء الجوية والمناخية ولكن ارتباط

هذه الكواكب بالأبراج جعل الناس تتناسى حركة الكواكب في مجال هذه الأبراج وتتذكر الأبراج فقط على أنها هي المسبب في حدوث هذه الأحوال أو تلك.

1. نص رصد القمر:

«إلى الملك، سيد... من خادمك أددشومو أوصر: عندما لاحظت لأول مرة هلال القمر في اليوم الثلاثين كان مرتفعاً، وكان ارتفاعه كبيراً قياساً لليوم الثلاثين كان موقعه مشابهاً لموقعه في اليوم الثاني، فإذا كان هذا لا يناسب الملك، سيدي، فعليه انتظار تقرير..».

(Walker 1982).

2. نص إضافة الشهر الكبيس:

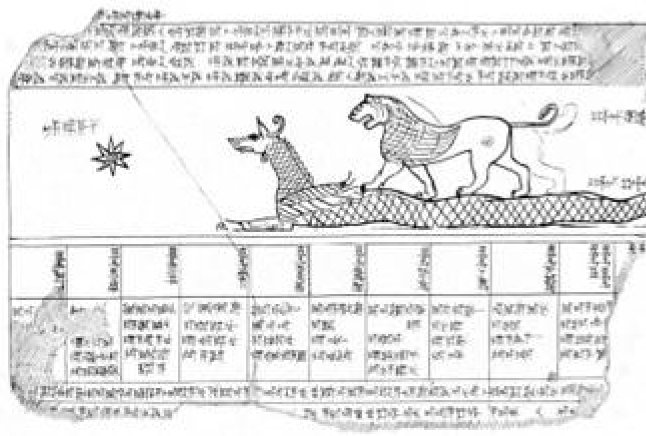
«إلى الملك: سيدي من خادمك مار ـ عشتار: حول ما كتبه سيدي إليّ.. إن شهر أيلول شهر كبيس (مضاف)، هذا الشهر لا يناسب المراسم الدينية، لكنّ (أموسلام) دخل بابل مساءً في اليوم السادس وقدم قبله الإله نابو في اليوم الثالث ستبقى البوابة مفتوحة قبل مجيء البعل ونابو في اليوم الرابع والخامس والسادس ثم تقدم القرابين».

(Walker 1982).

كوكبة الشجاع (الهيدرا)

كوكبة الشجاع (باللاتينية هيدرا) وبالانكليزية (ثعبان البحر) وهي من أكبر الكوكبات، وتظهر في سماء النصفين الشمالي والجنوبي للكرة الأرضية، وتقع بين خطي عرض 10 درجة شمالاً و30 درجة جنوباً.يعتبر شهر أبريل من أفضل الأوقات لرؤيته.

وأهم النجوم التي يمكن رؤيتها في برج الشجاع: ألفا الشجاع (نجم الفرد)، وسيغما الشجاع (نجم منخر الشجاع).رصدها البابليون وأسموها (موشوسو) ومعناها (الثعبان الغاضب).



كوكبة الشجاع (الهيدرا) التي أسماها البابليون (موشوسو) ويظهر الأسد فوقها وكوكب المشتري أمامها

(Langdon1931: 286)

كان موشوسو يظهر مع قرون وأجنحة على لوح طينيّ وبكتابة مسمارية من الفترة الفارسية بعد سقوط بابل بقليل. ووفقاً للأستاذ لانغدون، فإن اسمها كان يطلق على ديموزي السومري بلقب «التنين الثعبان السماوي»، وأشار أيضاً إلى أن نينجيشزيدا الذي يعني اسم «رب الخير» وفقاً لبعض العلماء، كان ديموزي يشكل جانباً منه، ودوموزي يسمى في بعض التراتيل «دامو، الطفل نينجيشزيدا».



صورة كوكبة الهيدرا الحديثة

هميرولوجي hemerology :

هو معرفة التقاويم. أي فن صنع التقاويم، ومثاله في بابل هو نصوص إيقور إبوش.

إيقور إبوش Iqqur Ipuš:

تعني إيقور إبوش (هو دمر، هو بنى) وهي نصوص من علم التقاويم (هميرولوجي) في وادي الرافدين، وصفت لأول مرة بأنها «تقويم من بابل القديمة «، وهو عمل تسجيل الأشهر الجيدة والأشهر الرديئة التي يمكن للمرء أن يختار منها ما يريد لتنفيذ مشاريعه، وهي موجودة في شكلين، عام وشهري، وربما يعود العمل للثلث الأخير من الألفية الثالثة قبل الميلاد.

يحتوي العمل على مئات من الأومينات (التمائم) في مائة وخمسة أقسام تغطي جدولاً مدته اثنا عشر شهراً. أول ستة وستين قسما منها مرتبة حسب النشاطات التي تتعلق بحياة الإنسان اليومية، مثل:

«إذا كان الإنسان يحفر بئراً... في شهر أجار، ثم انه سيكون في حاجة من الحبوب...»، «إذا كان الطفل ولد في شهر أبو، هذا الطفل سيكون مستاءً «،

في حين أن الثلث الأخير من النص يتعلق بالظواهر الطبيعية، مثل الأحداث الأرصاد الجوية، مثل الرعد:

«عندما أدد يطلق صوته «. وهذه السلسلة مثل سلسلة إنوما أنو إنليل، تحتوي على عدد من الظواهر الفلكية، مثل تلك المتعلقة بالزلازل وارتفاع كوكب الزهرة، ولكن، بخلاف ذلك، علاقته مع هذا العمل البارز غير مؤكدة.

سابعاً: الأبراج البابلية (لوماشو)

1. خريطة النجوم Horoscops:

تعني كلمة لوماشو البلبية Lumašu في القاموس الأكدي ثلاثة معانٍ هي: «1. نجم ينتمي إلى مجموعة نجوم يصادف شروقه قبيل أو عند الانقلاب الشمسي الصيفي أو الشتوي ولذا فهو يستخدم لتقسيم السنة، 2.مصطلح لنجم، 3.دائرة البروج (الكواكب) «الجبوري 2010: 307).

ولو تابعنا جذر هذه الكلمة لوجدنا أن كلمة لولوتو Lulutu تعني حيواناً وماشو الجوزاء أو عدداً من الكواكب، وبذلك يكون المعنى التقريبي هو حيوانات النجوم أو الكواكب، وهو المعنى نفسه الذي ترجمه الإغريق فأصبح زودياك بغلتهم ويعني قطيع حيوانات السماء.

كانت خرائط البروج تستخدم أولاً كأداة لضبط وقياس الزمن ولتسجيل الحوادث الهامة وتأثير النجوم على السلوك، وقد قام البروفسور ساكس Sachs قبل أربعين عاماً بنشر أول خريطة للبروج البابلية والتي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وتوجد واحدة أكثر سبقاً منها لكن عدداً مهماً من هذه الخرائط كان يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد وقد استطاع كريستوفر والكر قراءة جانب من جوانب إحدى هذه الخرائط المكتوبة وهي تشير إلى معلومات خاصة بولادة طفل (وهي موجودة في المتحف البريطاني تحت رقم (HM35516) وفيما يلي ترجمة لما قرأه كريستوفر والكر:

«سنة 169، من العهد السلوقي، في شهر آذار (اليوم الأول منه يتزامن مع ما نحن بصدده). الثلاثون (من الشهر الماضي) في ليلة السادس منه، مع بداية الليل. كان القمر على مسافة ذراع واحدة (حوالي 18 إنج) قرب بيت الثور، في اليوم السادس صباحاً ولد الطفل. في وقت كان القمر في بداية الجوزاء والشمس في الحوت والمشتري كان في الميزان، والزهرة والمريخ في الجدي وزحل في الأسد. في هذا الشهر كان القمر واضحاً (للصباح الذي تلا شروق الشمس) الرابع عشر منه، وآخر وضوح للقمر في اليوم السابع والعشرين، ولد الطفل في البيت اللامع للمشتري» (Walker 1982).

ويعلق والكر على هذا النص فيقول: «إن الرقيم كتب بعد حوالي شهر وإن تاريخ ولادة الطفل الذي سجلت خريطة بروجه على هذا الرقيم يمكن أن يعبر عنها بالمقياس الزمني الحديث 1/ آذار/ 142 ق.م» (Walker 1982).

إن هذا الرقيم يخبرنا عن أشياء كثيرة منها أن أسماء البروج اتضحت بصورة أفضل، وأن المبدأ الأساسي لضبط خريطة البروج هو حركة الكواكب السيارة السبعة في دائرة البروج أثناء حصول حادث الولادة أو التتويج أو الوفاة أو الحوادث السياسية المهمة وهذه هي الوظيفة الأساسية لخرائط البروج.

تخبرنا وثائق كثيرة أن تثبيت الأبراج وخرائطها حصل منذ العهد البابلي القديم ولكن تقدم هذا العلم حصل بعد سقوط بابل فقد ثبت تقسيم كل إشارة ثلاثين درجة. الأمر الذي يثبت أن رسم البروج هو من خصائص الميزوبوتاميين. وبهذا الشأن يجب رفض نظرية مكروب Macrobe القرن الخامس الميلادي الذي جعل رسمة الأبراج اختراعاً مصرياً» (تاتون: 1988: 131)

الأبراج السماوية

إذا كان السومريون وضعوا الفكرة الأولية لتقسيم طريق سماء إنكي وهو خط الجنوب إلى اثني عشر حقلاً والتي بمثابة الأبراج السماوية بشكلها الأول المبتكر والجديد، فإن البابليين الأوائل فصّلوا فكرة الأبراج السماوية (الزودياك Zodiac) كحقول للقبة السماوية المدورة وكان القمر دليلهم في الحركة عبر هذه الحقول (ولم تكن الشمس).

ولعلّ الجذر السومري يتضح في اتخاذنا لتقويم الأبراج يوم 21 من كل شهر وذلك لأن السومريين كانوا يبدأون أشهرهم من 21 من شهورنا الحالية، لأن السنة السومرية أصلاً تبدأ بـ(21 آذار) وهو يوم الاعتدال الربيعي حيث يتساوى زمن الليل والنهار. وهكذا تتسلسل الأشهر السومرية كما يتسلسل توقيت الأبراج عندنا أي يوم 21 من كل شهر.

ولتسهيل معرفتهم بالأبراج أطلقوا عليها أسماء حيوانية أو آدمية أو خرافية حسب ما كانوا يلمحونه أو يتخيلونه، وقد اختار الفلكيون البابليون «مجاميع النجوم المكونة للأبراج السماوية كنقاط دلالة في القبة السماوية سريعاً ولذلك يستطيع القارئ أو السامع أن يدرك موضع الكوكب المقصود من خلال ذكر البرج الذي يظهر عنده ذلك الكوكب وبناءً على ذلك فإن وظيفة الأبراج السماوية بالنسبة للفلكيين والمنجمين هي كوظيفة خطوط الطول والعرض على سطح الكرة الأرضي» (رشيد د.ت: 70).

لقد عرفنا بأن مسار القمر اليومي يحدد الليل من النهار، ومساره الشهري يحدد تقويم الأيام، أما مساره السنوي فيحدد البروج السماوية التي كانت وظيفتها معرفة مجاميع النجوم التي يمر بها القمر وفرزها عن المجاميع النجومية الأخرى حتى يسهل معرفة المجاميع النجمية الثابتة بشكل خاص.. هذه هي بداية الأبراج العلمية فهي أشبه بالخرائط السماوية الفلكية.. لكن التنجيم جعلها بعد ذلك تتجه نحو غايات أخرى.

ورغم إيماننا بأن الكواكب والنجوم تؤثر بأمواجها غير المنظورة على سطح الأرض من المد والجزر إلى أمزجة وطابع الناس.. ولكن إيضاح ذلك لا يمكن أن يتم إلا وفق دراسات علمية عميقة وآلات وأدوات في غاية الدقة لم تستطع العصور القديمة الوصول إلى أي شيء منها، ولذلك اعتمد الإنسان على حدسه وقوته البراسايكولوجية وبدأ يربط بين الأفلاك ومجاميع النجوم (التي أصبحت مصنفة في بروج معينة) وبين مصائر الأرض والمدن والدول والملوك والناس، وبسبب النزعة النفعية المباشرة للناس تحولت وظائف هذه البروج من فلكية إلى تنجيمية وطغى الجانب التنجيمي تماماً عليها، ونسيت المهمة العلمية الأولى والتي وضعها أوائل البابليين.

اتخذ البابليون من القمر أساساً، كما قلنا، فدائرة السماء التي يقطعها القمر خلال عام كامل تتكون من 360 درجة، وبذلك يقطع القمر (ذو العدد 30) كل شهر منطقة وتتكون (12) في مسار القمر السنوي، وينقسم كل برج إلى ثلاثين درجة أيضاً.. كل درجة ليوم محدد.

وإذا كانت السنة البابلية تبدأ في الأول من نيسان، فإن ذكرى بداية السنة السومرية ظلت باقية في بداية البرج الأول 21 آذار، وتظهر في كل برج مجموعة من النجوم الثابتة اكتشف البابليون 36 نجمة منها وأعطوها أسماءً (أما عددها الحالي فأكثر بكثير طبعاً) أي أن كل برج يحتوي على ثلاث نجوم ثابتة لامعة وواضحة، أما النجوم المتحركة وهي الكواكب (عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل) فقد كانت تتحرك وتقع أحياناً في برج من الأبراج، وقد سجل البابليون حركة هذه الكواكب والأبراج التي كانت فيها وكان ذلك عاملاً مهماً من عوامل معرفة سنوات وقوع الأحداث في ذلك التاريخ.

أطلق البابليون الأسماء الحالية للأبراج على ضوء رؤية النجوم الثابتة وما تشكله من أشكال حيوانية أو آدمية أو خرافية، وهذه النجوم بعضها براقة تجلب الانتباه كالثور والتوأمين والأسد والعقرب والجدي ومنها ما هو خافت كالعذراء والميزان والدلو، ومنها ما لا يكاد يظهر إلا بعد أن تجهد عينك كالسرطان والحوت والحمل (بدر 1981: 118).

ويتفق هذا التقسيم مع كون النجوم البراقة تظهر في الأبراج الترابية والنارية، أما الخافتة فتظهر في الأبراج المائية.

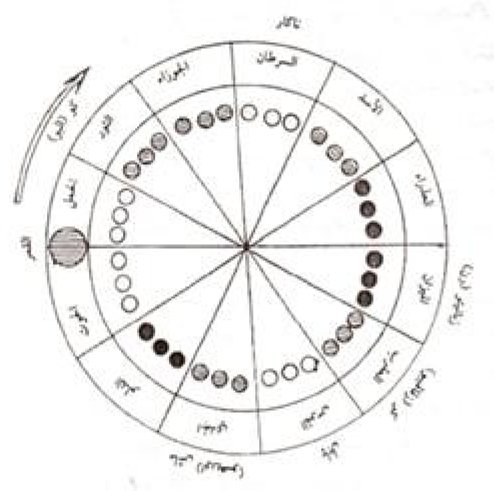
ويقيناً أن أسماء الأبراج كانت تحمل معها قصصها وأساطيرها التي لم تصلنا إلى الآن مع الأسف، بل وصلتنا الأساطير اليونانية التي نجزم أن لها جذوراً بابلية ما زالت مجهولة.

لقد استعمل المنجمون هذه الأبراج للتنجيم من خلال شيئين أولهما إعطاء صفات ثابتة لكل برج على ضوء اسمه وشكل النجوم التي فيه وعلى ضوء طبيعته سواء كانت مائية، هوائية، ترابية أو نارية، وثانيهما المتحرك على ضوء صفاته الفلكية والتنجيمية، وبذلك تختلط كل هذه العوامل لتشكل لنا حدساً معيناً (غير علمي) ولكنه يقع في باب التنبؤ ولتخمين القدرة الفائقة.

وسنحاول في الشكل القادم رسم صورة افتراضية للكيفية التي وضع بها البابليون الأبراج السماوية الاثني عشر من خلال حركة القمر في دائرة القبة السماوية، وتظهر في كل برج

ثلاث نجوم ثابتة مختلفة الوضوح (براقة، خافتة، خافتة جداً) وتسمى هذه بـ(آلهة المستشارين). يرعى نصفهم مناطق الأرض ويتفحصون كل ما يجري بين الناس، ويكونون من الناس ثم يصعد كل عشرة أيام أحدهم من الأرض ويبعث واحداً آخر إلى مناطق أعلى في السماء إلى الكواكب.

وفي كل شهر يترأس الآلهة المستشارون أحدهم (أي أن هناك 12 رئيساً فيهم وربما حمل الرئيس اسم البرج) وسنذكر أسماء بعض هذه البروج بالبابلية وما يقابلها من الأسماء السومرية.



دائرة البروج البابلية

تصميم: خزعل الماجدي تخطيط: فاروق كاظم

دائرة البروج (لوماشو) Lumašu

الأبراج البابلية وصورها (مع أسماء أصولها السومرية) تصميم المؤلف



الشهور والأبراج البابلية ذات الأصل السومري

http://members.westnet.com.au/gary-david-thompson/page11-7.html



صورة نادرة ومهمة للتجمعات الكوبية ومن ضمنها الأبراج وضعها البابليون

http://historum.com/blogs/killcarneyklansman/629-cosmic-gameplan-mazzaroth.html

ثامناً: المنجّمون البابليون

كان علماء بلاد ما بين النهرين (أوماني) أي «الماستر، الماجستير «ينقسمون، عادة، إلى خمس فئات متميزة هي:

1. المنجمون / الكتبة (توبشارو)

2. العرّافون أو البصّارون (بارو)

3. السحرة أو العشّابون (أشيبو)

4. الأطباء (آسو)

5. كهنة الرثاء (كَالو)

علماء الفلك والمنجمون من بلاد ما بين النهرين القديمة

كان المنجّم يسمى (توبسار إنوما أنو إنليلا) أو (كاتب إنوما أنو إنليل).

.Tupšar Enūma Anu Enlilla، ((Scribe of the Enūma Anu Enlil))

وفيما يلي نذكر أسماء الأشخاص التاريخيين كما هو موثق في المصادر المسمارية مثل كتّاب الجداول التنجيمية أو الفلكية، فضلاً عن أسماء علماء الفلك والمنجمين الكلدو (ومنهم الأسطوريون أو غير ذلك) التي تم الاستشهاد بها في وقت لاحق في المصادر اليونانية والرومانية والعبرية والإسلامية. ومنهم هؤلاء الثلاثة (بيرسوس، كدينو، سلوقس) الذين تم الاعتراف بهم، من قبل الفريق العامل التابع للاتحاد الفلكي الدولي لتسمية نظام الكواكب، من خلال اعتماد أسمائهم لتعيين سمة سطحية على كوكب أو قمر كوكبي للنظام الشمسي.

1.بيروسوس (برعوشا): Berosus

بيروسوس (برعوشا) (حوالي 350 ـ 281 ق.م) الكاهن البابلي الكلدوي الذي عاش ما بين القرنين الرابع ـ الثالث قبل الميلاد الذي كان كاهن بيل أو بعل (أي مردوخ)، ومعاصراً للإسكندر الأكبر، تعلّم اليونانية وألمّ بتاريخ بابل واليونان، وسافر إلى جزيرة كوس عام 270 ق.م حيث علم التنجيم فيها.

العمل الذي عُرف به بيروسوس هو، بابلونيكا، أي (تاريخ بابل) وهو عبارة عن ثلاثة كتب تهدف إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة اليونانية حول بابل، والتي ربما كتبت في 281 ق.م، وكانت مكرسة لأنطيوخس الأول، ولم يبقَ منه أي أثر ولكن شظايا واسعة منه ظهرت في مؤلفات كل من: (الباحث كورنيليوس وألكسندر بوليهيستور والمؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس والمؤرخ مسيحي وكرونوغرافي يوسابيوس ومؤلف يدعى أبيدينوس).

كان بابلونيكا منظماً وفقاً للآراء البابلية التقليدية وكان الكتاب مقسماً كما يلي:

1. الكتاب الأول: تناول أصول الثقافة البابلية من خلال الوحي لأول الرجال من أوانيس.

2. الكتاب الثاني: تناول الكهنوت الكلدوي منذ ظهور أوانس قبل الطوفان إلى عهد نبوناصر.

3. الكتاب الثالث: يواصل السرد إلى عهد الإسكندر الأكبر.

إدّعى بيروسوس أن تاريخه كان قائماً على المصادر المسمارية المحفوظة في معبد بيل في بابل، وأكدت ادعاءه بشكل واضح من شظايا كتابه التي تكشف عن استخدام إنوما إليش (ملحمة الخلق البابلية) في الكتاب.

برعوشا المنجّم:

كان علم الفلك والتنجيم البابلي من الموضوعات التي تهم الجمهور اليوناني وقد أراد بيروسوس توصيله في شكل واضح لليونانيين عبر شكل شبه فلسفي واضح الأفكار التي

كانت ضمنية فقد شرح قصة تيامت وكأنه يتحدث عن الطبيعة، وكذلك فسّر مراحل القمر، بعد أن حول النصر على تيامت إلى نظرية علمية على ما يبدو حول مصدر ضوء القمر وحركاته فيما يتعلق بالشمس. وكذلك رؤيته الإسكاتولوجية لنهاية الأرض، وهناك أدلة تشير إلى وجود مناقشة علم الفلك وعلم التنجيم في الكتاب الأول من بابلونيكا تتمثل في ما يلي:

1. السنة العظيمة: وهي سنة الكارثة العظمى التي ستنتهي بها الأرض والتي يرى برعوشا أنها ستحصل بسبب شقوق في الأرض، وانفجار مصادر المياه العذبة، ويحصل ذلك عندما تتجمع الكواكب كلها في مدار السرطان وترسل لهباً عظيماً للأرض.

2. القمر: حاول برعوشا تفسير مراحل القمر التي نراها على الأرض ورأى أن القمرهو كرة، نصفه مضيء والباقي يسوده اللون الأزرق، عندما يمر تحت قرص الشمس تقوم أشعة الشمس بتوليد حرارة كبيرة وتضيء الجانب الذي تتسلط عليه، أما نصفه الأسفل فيكون معتماً وتلقي الحافة الخارجية للجانب المضيء نفسها على الأرض فيكون خيط هلال اليوم الأول، ثم يزداد حجم الضوء حتى يكون نصف القمر مضيئاً ويُرى من الأرض، وحين يواصل القمر صعوده تزداد مساحة الإضاءة حتى يرى بدراً كاملاً وهكذا.

انظر (Burstein1978: 15 - 16).

2.كيدينو (سيديناس) Kidinnu Kidinnu, Cidenas

كيديناس أو سيديناس (حوالي 343 ق.م) هو عالم فلك كلدوي ولد ببابل. عاش في القرن الرابع قبل الميلاد. كان رئيساً للمدرسة الفلكية في شيبرا، اكتشف تبادر الاعتدالين، ووصف بطريقة رياضية حركات كل من القمر والكواكب، حدد طول الشهر القمري بمدة (تسعة وعشرين يوماً، واثنتي عشرة ساعة، وأربعة وأربعين دقيقة وثلاث ثوان). العلم الحديث يحددها في (تسعة وعشرين يوماً، اثنتي عشرة ساعة، أربعاً وأربعين دقيقة وسبع ثوان)،

كان يميل إلى علم الفلك، ونشاطه في التنجيم قليل. وقد تم إطلاق اسم كيدينو على إحدى مناطق الجانب الآخر من سطح القمر.

نقابة المنجّمين البابليين (توبسار إنوما أنو إنليلا):

في بابل الهلنستية يبدو أن المنجمين نظموا ما يشبه «النقابة» المهنية. من أجل أن تصبح مهنة الـ (توبسار إنوما أنو إنليلا) موحدة ويكون الانتماء لها عن طريق اجتياز الامتحان. وهناك أدلة كثيرة تشير إلى أن المهنة كانت وراثية، فإذا اجتاز ابن فلكي معين الفحص، وقبلته «النقابة»، ثم استمر بمهنته فإنه سيتمكن من اتخاذ مكان والده.

وكانت تدفع لهم واحداً أو اثنين من المينا من الفضة وربما قطعة أرض كجزء من خدماته.

وهذه بعض أسماء المنجمين التي ذكرت في النصوص:

المنجّم بيل أبا-أوسور

المنجم ابن بيل

المنجم بل ـ ناسيرشو

المنجم ابن بيل أبا-أوسور

نابو ـ أبلا ـ أوسور

المنجّم بيل أبا ـ أوسور

والد (بيل ـ ناسيرشو)

بيل ـ ناسيرشو

مورانو، مردوخ ـ شابيك ـ زيري، ابن بيل ـ أوباليسو، بيل-أه-أوسور، نابو ـ موشيتيق ـ أودي، ابن إتي ـ مردوخ ـ بالاتو.

ثانياً: تفسير الأحلام والخيمياء البابلية

1.تفسير الأحلام

بعض نصوص الأحلام البابلية مرتبة بطريقة الحلم وتفسيره في جدول: (انظر ساكز 2008: 212 ـ 213).

2.الخيمياء البابلية

كان استخراج المعادن وتنقيتها والعمل على الصناعات الكيميائية من حصة الكيمياء وعلمه الأوليّ في بابل حيث تضمنت مجموعة واسعة من التقنيات لمعالجة المواد الصفية من أجل إنتاج المعادن المصبوغة، والأحجار الكريمة الاصطناعية، والزجاج الملون، والمنسوجات الأرجوانية، ومجموعة متنوعة من المركبات الكيميائية، أما الخيمياء فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير فقد جمعت بين العالمين الدنيوي والديني وبحثت في المشتركات بين الكيمياء والطب والفلسفة الطبيعية. تشمل الخلاصات الخيميائية القديمة أقساماً من أعمال الأطباء المهمين، الذين يتم تقديمهم حتى بوصفهم الكيميائيين المتميزين في بعض الحالات.

لا شك أن الخيمياء السومرية كانت جذر الخيمياء البابلية، فقد ورثوا أغلب قواعدها ثم أضافوا لها الكثير. اعتقد البابليون أن العناصر هي خمسة: (الهواء، النار، التراب، الماء، والسماء وأحياناً يقولون الروح أو الأثير)، وكان هذا يسمح للخيمياء الدخول إلى العالم الغيبي من خلال العنصر الخامس.

كان الأثير هو العنصر الخامس في الخيمياء والفيزياء المبكرة. كان إسم المادة التي يُعتقد أنها تملأ الكون إلى ما وراء الكرة الأرضية. الاعتقاد في الأثير كعنصر كان من قبل

الخيميائيين في العصور الوسطى واليونانيين والبوذيين والهندوس واليابانيين والبون التبتي. يعتقد البابليون القدماء أن العنصر الخامس هو السماء. العنصر الخامس في الصينية وو شينغ هو المعدن وليس الأثير.واعتبر الأثير أيضاً الوسيلة التي حملت موجات الضوء في الفضاء.

الفصل الثالث عشر: المظهر العلمي





القسم الأول: العلوم الطبيعية

المبحث الأول: الرياضيات

أولاً: النظامان الستيني والعشري في الترقيم:

1.النظام الستيني Sixagesimal

اخترع السومريون القدامى النظام الستيني في الألفية الثالثة قبل الميلاد واستخدمه البابليون في أنظمتهم الرياضية والفلكية. ربما لأن الرقم ستين يمكن تقسيمه على عدد كبير من الأرقام الأخرى وخصوصاً الـ 12، في هذه الحالة. هذا يجعل من السهل جداً قياس الأشياء بسرعة ـ يمكنك تقسيم 60 إلى نصفين وثلثين وأرباع وأخماس وأسداس ـ لذلك فمن المنطقي في الواقع أن نستخدم هذا النظام لقياس الوقت والزوايا الهندسية.

استخدم السومريون نظاماً أساسياً للعدد 60، وهو السبب في أننا لا نزال نقسم الدائرة إلى 360 درجة ونحسب عدد الساعات والدقائق والثواني. تم استخدام هذا النظام من أجل الأوزان والمقاييس، وعلم الفلك، ولتطوير الوظائف الرياضية فالتوقيت يعتمد على النظام الستيني (الساعة ستون دقيقة والدقيقة ستون ثانية) وكذلك قياس الزوايا يعتمد على النظام الستيني (الزاوية ستون دقيقة ودقيقة الزاوية ستون ثانية، وزوايا المثلث الثلاث مجموعها 3×60=180) والإحداثيات الجغرافية تعتمد أيضاً على النظام الستيني إلى حدٍّ ما، فخطوط العرض (latitudes) عددها 180 وخطوط الطول (longitudes) عددها 360 وهما من مضاعفات العدد60.

ونرى أن النظام الإمبراطوري الإنجليزي يُظهر بعض التأثر بالنظام الستيني (القدم = 12 بوصة، الباردة = 3 أقدام، الفرسخ = 3 أميال، الجالون = 4 كوارتات.. إلخ)، وكل هذه الأرقام من قواسم الرقم 60.

2.النظام العُشري Numeral

إذا كان الترقيم الذي نستخدمه لتوضيح الوقت اليوم هو النظام الستيني الذي يعمل وفقاً لما يسميه علماء الرياضيات «القاعدة الستينية »، وهي بنية رياضية يبلغ عددها من 1-60. في المقابل، فإن النظام العشري الذي نستخدمه في كل شيء آخر يستخدم الأساس 10 لكننا ما زلنا نحتفظ بالنظام العشري في ثلاثة أمور: قياس الوقت، قياس الزوايا، وإيجاد الإحداثيات الجغرافية.

النظام العشري هو الذي يعتمد على العد من صفر إلى تسعة أو من واحد إلى عشرة، والذي يُستخدم عالمياً الآن، ومأخوذ من العد على أصابع اليدين. طور البابليون نظاماً لكتابة الأرقام باستخدام الأعداد الفردية والعشرات والمئات، مما يدل على أنهم استخدموا نظاماً عشرياً للحياة اليومية. سمح لهم هذا النظام بمعالجة الأعداد الكبيرة بشكل مريح وأداء جميع الوظائف الحسابية الرئيسية.

3.النظام الرياضي البابلي والجمع بين النظامين الستيني والعشري:

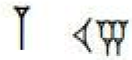
اعتمد البابليون على الرياضيات السومرية، وذلك بالجمع بين النظام العُشري والنظام الستيني في الرياضيات، وكان العدّ يبدأ من الصفر الذي لم تكن له علامة خاصة به بل يُترك فراغاً واضحاً كعلامة على العدم أي الصفر(المربع الأسود داخل الجدول أدناه)، ثم يبدأ العدّ بعده من الرقم واحد الذي يرمز له بمسمار صغير قائم ، وحين نصل إلى العشرة نجد أن رقم العشرة يمثل بعلامة مميزة يتكرر بعدها إضافة مسمار أمامه (في الرقم 11) وهكذا، حتى نصل إلى الرقم 59.. أما الرقم ستين فيكون مسماراً قائماً بحجم أكبر قليلاً من مسمار الرقم واحد . ويوضح لنا الجدول الآتي ما تحدثنا عنه وكيف جمع نظام العدّ البابلي النظامين العشري والستيني معاً، أي أن النظام الستيني يتضمن نظاماً عُشرياً داخلياً:

جدول الأرقام البابلية المسمارية من 1 إلى 59

في مرحلة لاحقة طور البابليون رمزاً للصفر وهو ( ) ولكنهم غالباً ما كانوا يستخدمونه عند الحاجة داخل الأعداد فقط، ولكنه لا يظهر لوحده كقيمة عددية باعتباره لا يمثل شيئاً.

كانت الأرقام تكتب من اليسار إلى اليمين، وكانت الأرقام بعد الستين تعتمد على مايعرف بالقيمة المكانية للرقم أي أن الرقم يأخذ قيمته من موقعه، ويقاس عن طريق جمع العددين المتجاورين، فمثلاً يعبر عن الرقم 67 بعلامة الرقم 60 في اليسار ثم يأتي بعدها علامة الرقم سبعة. أما الرقم 75 فيكون بعلامة الرقم 60 + 15 وعلامة الرقم 15 وهكذا:

= **67** 

 = **75**

الكسور: تكتب الكسور بوضع قيمة بسط الكسر مقسوماً على 60 وهو المقام باتجاه اليمين، فمثلاً حين يتم استخراج قيمة الجذر التربيعي للعدد 2

وكانت هناك جداول للكسور أيضاً للعودة لها.

جداول الأعداد المربعة والمكعبة: نظّم البابليون نوعين من الجداول الحسابية يرجعون لها لمساعدتهم في علوم الحساب. يرجع تاريخهما إلى 2000 ق.م، يوجد بهما قائمة بالأعداد المربعة متدرجة إلى الرقم 59 وتكعيب الأرقام تدريجياً إلى الرقم 32.



قرص رياضي مختوم. فئة جداول الضرب

(YPM BC 018767، YBC 4702 الفترة البابلية القديمة)

Yale Babylonian Collection

ثانياً: الهندسة:

كان عدم الكفاءة في الرياضيات يؤدي إلى الأخطاء والشطط في كل شيء في الحياة، في حين أن تطبيق الممارسات الرياضية السليمة من شأنه أن يجلب للمجتمع العدل والسلام. لذلك ركز البابليون انتباههم على الرياضيات باعتبارها علم العدالة المطلقة التي يمكنها تنظيم صورة واقعية للعدالة على الأرض، الرياضيات أداة لضمان العدل والقسط في العالم.

هذه الفكرة لم تقتصر على أوساط المهتمين بالرياضيات بل راجت أيضاً لدى دوائر القادة الساسة ورجال الدين وكان شكل الرياضيات التطبيقي هو الهندسة العملية التي كان يرمز لها بأدوات القياس. فإن أقوى الصور تأثيراً للملوك في هذه الفترة تمثلهم وهم يقبلون من الآلهة أدوات للقياس ـ أمثال المسطرة وحبل لقياس الحقول ـ وذلك على اعتبار أنها ترمز إلى التزامهم بإحلال العدالة ذات الدقّة الرياضية. وهكذا اعتبرت الهندسة أرفع أداة للتنظيم. ولننظر كيف كان قانون حمورابي معتمداً على الرياضيات:

فهناك على سبيل المثال:»»إذا قام تاجر من التجار بتقديم الحبوب أو الفضة كقرض بفائدة، يتوجب عليه أخذ فائدة 100 12 «سيلة» لكل «غور» (أي ما يعادل نسبة 33 في المئة)، وإذا قام بإعطاء الفضة كقرض بفائدة فهو ملزم بأخذ 36 قطعة من الفضة لكل شيكل (أي ما يعادل فائدة مقدارها 20 في المئة)».

القانون 108: إذا رفضت صاحبة خان قبول الحبوب مقابل سعر الجعة ولم تقبل إلا الفضة الموزونة بالمثقال الكبير بحيث تخفّض قيمة الجعة بالنسبة لقيمة الحبوب، فإنهم سيثبتون ذنب صاحبة الخان تلك فسيرمونها في النهر» (انظر إيلينور روبسون: 11 ـ 12).

1. قياس المساحة والحجم.

2. حساب محيط الدائرة الذي يساوي تقريباً ثلاثة أضعاف القطر.

3. قياس الحجم يساوي 1/ 12 من مربع المحيط.

4. حجم الأسطوانة = الحجم X الارتفاع.

5. مربع وتر المثلث يساوي مجموع مربعي الضلعين القائمين (سميت فيما بعد بنظرية فيثاغورس).

6. وحدات قياس المسافات استعملت في قياس حركة الشمس، وذلك بتحويلها الميل البابلي (يعادل حوالي سبعة أميال من الميل الحديث = 11.3 كيلومتر) إلى ميل زمني، وبالتالي يمثل بها الوقت.

7. نظريات النسب للمثلثات متساوية الساقين.

8. استعمل البابليون نوعاً من تحويل فورييه لحساب التقويم الفلكي (جدول الأوضاع الفلكية).

ثالثاً: علم المثلثات:

1.الأصل البابلي لنظرية فيثاغورس:

كان فيثاغورس فيلسوفاً ورياضياً اشتُهر بمعادلته الشهيرة (نظرية فيثاغورس)، بالإضافة إلى كونه مؤسس الحركة الفيثاغورسية التي وضعت مبادئ أثرت تأثيراً كبيراً على أعمال أرسطو وأفلاطون، وساهمت في تطوير علم الرياضيات.، غادر فيثاغورس مدينة ساموس إلى مصر في حوالي 535 قبل الميلاد للدراسة مع الكهنة في المعابد هناك؛ بعد عشر سنوات، عندما غزت بلاد فارس مصر، أُسر فيثاغورس وأُرسل إلى بابل، حيث التقى علماء الفلك والرياضيات في بابل، وقد وصل إلى الكمال في علم الحساب والموسيقى والعلوم الرياضية الأخرى التي يدرّسها البابليون.اشتهرت نظرية فيثاغورس (مربع طول الوتر

يساوي مجموع الضلعين المتعادلين في مثلث قائم الزاوية) وقد أدرك البابليون هذه النظرية قبل 1000 سنة،

فمن موقع تل حرمل اكتشف العلامة طه باقر، عام 1949، لوحاً طينياً هندسياً يُظهر أن البابليين القدماء بحدود 1800 قبل الميلاد كانوا على علم بكل أسس وقواعد المثلثات والتي تُنسب اليوم للإغريق، حيث

إن هذا اللوح المستطيل الصغير رُسم في قسمه الأعلى مثلث قائم الزاوية وقد قُسِم إلى أربعة مثلثات صغيرة قوائم الزوايا أيضاً، بإقامة عمود من الزاوية القائمة في المثلث الكبير على الوتر وتكرار إقامة الأعمدة في المثلثات الصغيرة المقطوعة من المثلث الكبير، وقد نُقشت أرقام مسمارية تبين أطوال أضلاع المثلث الكبير ومساحات المثلثات الصغيرة، ونُقش تحت الشكل نص المسألة الهندسية ثم حلها بما يمثل اليوم بـ(نظرية فيثاغورس) المتعلقة بالمثلث القائم الزاوية وكذلك بنظرية إقليدس، وحين عرض اللوح في المعرض العراقي للآثار في متحف برلين عام 1964 اندهش العلماء هناك.



لوح تل حرمل الهندسي

2.لوح بلمبتون 322

Plimpton 322

من بين نصف مليون لوحٍ طينيٍّ بابليّ اكتشف في بدايات القرن 19 للميلاد، عدة آلاف منها كانت ذات طبيعة رياضية. وقد يكون خير مثال منها للدلالة على الرياضيات البابلية هو اللوح المعروف باسم (بلمبتون 3)، إشارة بأنه حاصل على العدد 322 في مجموعة جي.آيه.بليمبتن في جامعة كولومبيا. ويفترض البعض أن هذا اللوح تمت كتابته في حوالي 1800 قبل الميلاد في لارسا.

هذا اللوح مبني على وثيقة رياضية مماثلة من لارسا (تل سنكرة) أقدم منه يحوي المعلومات الرياضياتية المهمة والمماثلة لنظرية فيثاغورس، وهذا اللوح تحديداً تمت كتابته بنفس صيغة تلك الوثيقة ولكن لأهداف إدارية أخرى، أكثر منها رياضية كنوع من حفظ لوثائق ذلك الزمن.

وقد تم تفسير الجدول المكتوب على اللوح من قبل رياضيين كبار، وتوصلوا إلى أن المكتوب هو قائمة لثلاثية فيثاغورس، ومن ثم، تم التوصل إلى أبحاث جديدة تعطي اللوح وظائف أخرى. وهو اللوح الأقدم في العالم والأدق وصفاً لعلم المثلثات، مبيناً أن البابليين قد تفوقوا على الإغريق القدماء باختراع علم المثلثات بأكثر من 1000 سنة.

المدون على اللوح يتكون من 4 أعمدة و15 صفاً من الأرقام وهو مكتوب بالنص المسماري الخاص بتلك الحقبة. الأرقام مدونة بنظام العد الستيني والعمودان الثاني والثالث هما العمودان الوحيدان اللذان لا يزالان بحالة سليمة. تم تفسير الجدول المكتوب على هذا اللوح من قبل علماء الرياضيات حيث اتضح أن المكتوب هو قائمة لثلاثية فيثاغورس.

هذا اللوح مكسور جزئياً، وأبعاده هي 13سم عرض، 9 سم طول، وسمكه 2 سم وهو محفوظ الآن في جامعة كولومبيا. ومن الممكن وجود أعمدة إضافية في الجزء الأيسر المكسور من اللوح. إذ إن تحويل هذه الأرقام من النظام الستيني إلى العشري يثير مزيداً من الغموض، فالنظام الستيني البابلي لم يحدد قوة الأرقام الأولية لكل عدد.

تمكن الباحثون بواسطة تطبيق النماذج الرياضية البابلية أن يُظهروا أن اللوح يحتوي على 6 أعمدة و38 صفاً. كما بينوا أيضاً كيف أن علماء الرياضيات استخدموا النظام البابلي لاكتشاف الأرقام التي على اللوح.

يبين الباحثون أن الكتّاب القدماء ربما استخدموا اللوح للقيام بحسابات لبناء القصور، والمعابد، والقنوات المائية. والأكثر من ذلك، وبسبب طريقة كتابة البابليين لعلمهم في الرياضيات والأرض، فإن هذا اللوح يعد الأكثر دقةً في علم المثلثات وأيضاً الأقدم.

والسبب هو أن النظام الستيني له كسور أكثر دقة من النظام العشري، وهذا يعني أقل تقريباً. في حين أن رقمين فقط يقسمون العدد 10 دون أي باقي وهما 2 و5، فإن النظام الستيني لديه أكثر من ذلك.

الكسور الأوضح تعني تقريباتٍ أقل وأكثر دقة في الرياضيات، ويقول الباحثون إنه يمكننا أن نتعلم منها في يومنا هذا. يقول مانسفيلد:» هذا يعني أن له أهميةً كبيرةً لعالمنا الحديث». ويضيف قائلاً: «قد تكون الرياضيات البابلية قديمةً جداً بالنسبة لنا بحوالي أكثر من 3000 سنة، ولكنها تحتوي على تطبيقاتٍ عمليةٍ في المسح، والرسومات الكومبيوترية، والتعليم».

يقول أحد الباحثين، دانيال مانسفيلد يصف لوح بلمبتون أشكال المثلثات قائمة الزاوية باستخدام نوع مبتكر من علم المثلثات استناداً على النسب، ليس الزوايا أو الدوائر، وأنه يُظهِر قائمةً لمعادلات فيثاغورس، وعدد من الأرقام تناسب النماذج المثلثية لحساب الزاوية القائمة للمثلث. ولكن الجدل الكبير كان حول معرفة بماذا تُستخدَم هذه المعادلات.

وخلاصة القول أن هذا اللوح يستخدم الكسور الستينية بدلاً من الكسور العشرية التي نستخدمها اليوم، ويكون بذلك الإجراء قد اخترع نظاماً أكثر دقة يمكن أن يشكّل ثورة في النظام الرقمي الحالي الذي يُستخدم في أجهزة الحاسوب.

هناك ما يشير إلى أن هذا اللوح لا يتضمن فقط نظرية فيثاغورس، فالجميع قد اتفق على هذا لكنه يشير إلى أبعد من ذلك بكثير فهو يعتمد في الكسور على النظام الستيني الذي هو أكثر دقة من النظام العشري لأنه لا يهمل الكسور الصغيرة بل يستوعبها، وهو حين يحدد أبعاد مثلث قائم الزاوية فإنه يحدد أبعاده حين تتناقص أطوال قاعدته حتى تصل إلى الصفر فيتحول إلى خطٍ مستقيم.

ولذلك يعتقد العلماء أن هذا الاكتشاف يسمح لدقة أكبر في مسح الحقول والأشكال المعمارية، بل ويسمح لعمليات المسح والحوسبة والرقميات والتعليم وهي الثورة التي تنتظر الرياضيات في نهاية قرننا الحالي.



لوح بلمبتون 322

انظر:

Britton، John P.): 519–566; (2011). Bruins، Evert M. 52: 629–632.

Bruins، 11: 117–121.Evert M. (1951)، Bruins، E. M..(1949) (1957): 25–28

المبحث الثاني: المترولوجي البابلي

ورث المترولوجي، علم القياسات، البابلي ما سبقه من سومر، ولكنه طوّره تطويراً نوعياً، وقد مرّ تاريخ المترولوجي البابلي بمراحل طويلة على مدى ألفي عام لا يمكن تتبعها بكاملها، ولذلك سنقتصر على حلقتها الأخيرة في العصر البابلي الحديث الكلدوي والذي هو خلاصة تطور بابل كلّها، فقد تم اكتشاف حساب كبير من الأقراص في المدن الرئيسية في جنوب بلاد ما بين النهرين (بابل، بورسيبا، كيش، نيبور، سيبار، أور، أوروك، إلخ). خلال الفترة التي قدمت الجزء الأكبر من المادة (من صعود الأسرة الكلدية في أوآخر القرن السابع ق.م إلى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد عندما ثارت بابل ضد أكسيركيس ـ أحشويريش -) فهناك حوالي 19000 نص متاح للباحثين مباشرة، والعديد من الألواح التي لا تزال غير منشورة والتي تسجل العمليات الاقتصادية لرجال الأعمال أو المعابد البابلية وتشير على نطاق واسع إلى مختلف قياسات الوزن والسعة والطول.

وحدات الوزن:

أوزان بابلية

وحدات السعة (الحجم):

وحدات الطول:

*الذراع وحدة قديمة كانت تساوي حوالي (18) إنجاً أو (44) سنتيمتراً

وحدات المساحة: كان هناك نظامان لقياس مساحات السطح في منطقة بابل المتأخرة وهما:

1. نظام القصب المستخدم للمناطق الأصغر، وخاصة الأراضي الحضرية.

2. نظام البذور المxzx nbستخدم للمناطق الأكبر.

وحدات نظام القصب:

وحدات نظام البذور:

وحدات الزمن: وحدات نظام البذور:

المراجع

للحصول على معالجة مفصلة للمقاييس خلال الفترة البابلية المتأخرة، انظر:

Powell، M. A. 1984:، p. 457- 517، Powell، M. A. 1990 p. 32 -66.، Wunsch، C.، STYX، p. xix-xx و Jursa، M 2005، p. 19، 28، 41.

المبحث الثالث: الهندسة المعمارية

يمثل علم العمارة الهندسي أحد أرفع العلوم التطبيقية، فقد كانت بابل شاهداً على البوابات والقصور والمعابد والأسوار والجنائن المعلقة وغير المعلقة، والزقورات التي كان من المستحيل بناء واحدة دون معرفة بأدوات الجبر وعلم المثلثات، وقد كانت محاولات عديدة لإثبات أن الأبعاد المختلفة في الزقورات البابلية مستمدة مما يسمى أحياناً من (الرياضيات المقدسة) المرتبطة بقياس المسافات بين الأرض والأجرام السماوية مثل الشمس والقمر والكواكب المرئية، ولذلك يكون حساب نسب الزقورة من العرض والارتفاع، وعدد المنصات في انسجام تام مع قياسات السماوات.

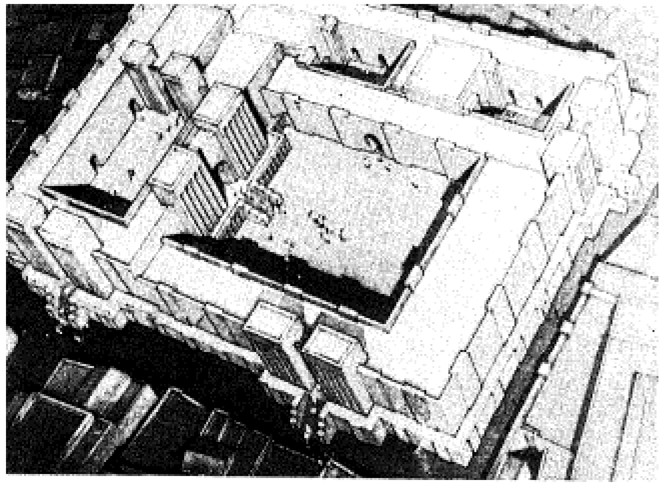
ويمكن متابعة الأطر العامة للهندسة المعمارية من خلال الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب الخاص بالفن البابلي، ومعرفة بعض تفاصيل عمارة المعابد والقصور والبيوت.

على مستوى العمران المدني تظهر مدينة أور في بداية العصر البالي القديم عبارة عن شبكةٍ معقدة من الأزقة الضيقة المؤدية إلى شوارع واسعة، المنازل الثرية بطابقين.

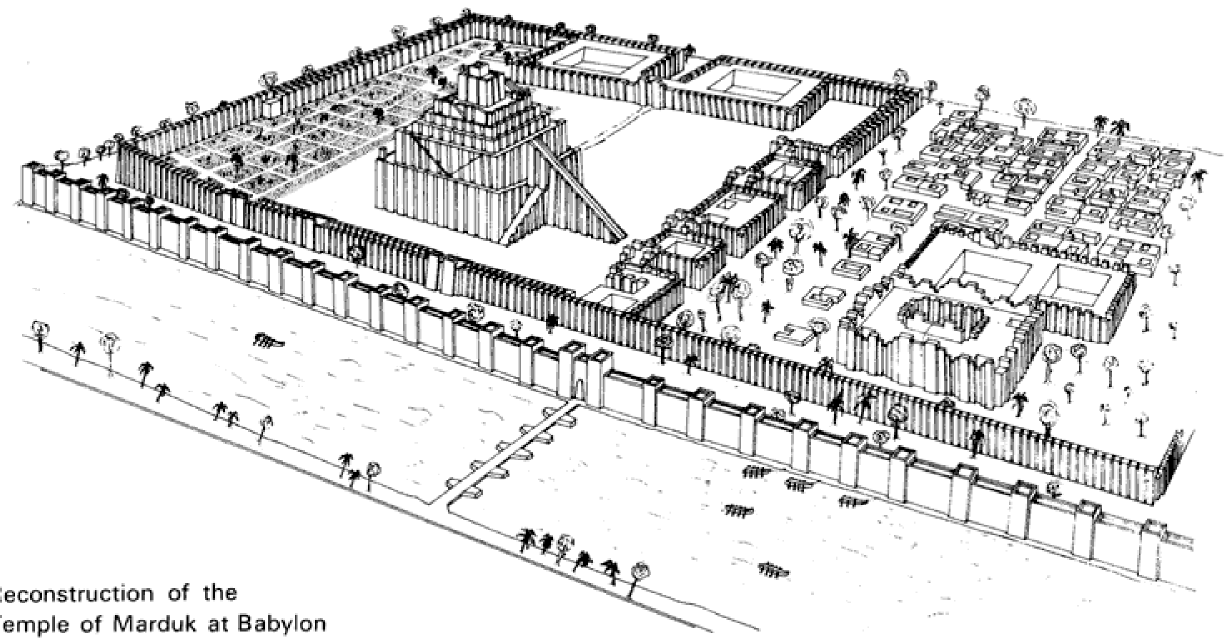


الحي السكني في أور في حدود 1900 ق.م

من مرحلة دويلات المدن الأمورية يبرز معبد عشتار كيتيتوم (عشتار محلية) في نبرييتوم القديمة من دولة أشنونا، والمعبد يرتفع عالياً، ثلاثة أمتار عن الأرض، قياساً للمباني التي حوله وفوق رصيف قرميدي، ويتكون من ثلاثة مزارات منفصلة أكبرها كان أكثر ارتفاعاً من المزارين الآخرين. ويظهر درج يؤدي إلى الباحة الخارجية التي تتصل بباحة الهيكل الرئيسي الذي ينتصب على مستوىً أعلى، وفي ممر البوابة ذات الأبراج الثلاثة.



معبد عشتار كيتيتوم في نبرييتوم القديمة من دولة أشنونا



مدينة بابل يتوسطها معبد مردوخ

https://www.bible-history.com/sketches/ancient/hanging-gardens-babylon.html

المبحث الرابع: علم الفلك البابلي

سمى العرب علم الفلك: (علم النجوم) أو (علم الهيأة).. لكن كلمة الفلك بقيت هي الأقوى بسبب جذورها الضاربة في القدم فهي من أصل بابلي كما قلنا (بلوكّو Pulukku) التي تعني مراقبة النجوم وهذه من أصل سومري هو (أفكلّو أو أبكلّو) التي تشير إلى خبير العرافين.

ولو أننا تمعنا جيداً في اشتقاق المصطلح اللاتيني لعلم الفلك Asrtonomy وعلم التنجيم Astrology لوجدنا أنهما يعتمدان على الجذر اللاتيني (Astro) الذي يعني نجمة أو نجوماً ويشير إلى الكواكب والأفلاك بصورة عامة.. وهذه الكلمة اللاتينية، في حقيقة الأمر، كلمة مصحفة عن اسم الآلهة الأكدية ثم البابلية عشتار التي تحولت في اللغة العبرية إلى أستير Aster وقد ورد سفر أستير قبل أيوب في (العهد القديم) ثم تحولت أستير هذه إلى أستر Astr.

وصارت كذلك مصدراً لكلمة نجمة (star) في اللغات الأوربية، وصارت آلهة العدالة في اليونان واسمها استيريا Astraea.

ومن المعروف أن كلمة عشتار من أصل سومري (كشدار) وهي تعبر عن الآلهة السومرية إنانا، وصارت إنانا وعشتار ترمزان لكوكب الزهرة، وصعدت منذ العصر الأكدي الصفة الكوكبية للإلهة عشتار وشاع ذكر اسمها في العالم القديم كله وانتقلت إلى الشرق والغرب إما بنفس الاسم أو تحت أسماء أخرى مشيرة إلى نجمة الصباح أو نجمة المساء، وكانت ترمز إلى الحب والإخصاب ويؤثر ظهورها واختفاؤها على حياة الناس في الأرض.

ومثلما رأينا في مبحث سابق أن أصل كلمة أسطورة جاء من اسم عشتار بعد أن تحرّف الأخير وأصبح إستار وإسكار وأسطورة فإننا نرى هنا أن اسم عشتار كان مصدر اسم علمي الفلك والتنجيم في اللغات الأوروبية المعاصرة ويحق لنا أن نسميهما مجازاً علمي عشتار.

ومثل ذلك نجد كلمة قصة (story) وكلمة أسطرلاب (Strolabe) التي تعني مرآة النجوم.. وهو جهاز لقياس ارتفاع النجوم وأبعادها اخترعه البابليون أولاً ثم استعمله الإغريق وشاع استعماله اسماً وجهازاً عند العرب دون أن يعرفوا مصدره البعيد.

نرى أن التنجيم، في وادي الرافدين، كان من النتائج الثانوية لعلم الفلك فقد كانت البداية مع علم الفلك الذي كان يركز على أمور مناخية وقياسية للزمن مثل ضبط الفصول والتقويم والزمن وقياسه وحسابه. ثم تطور من الناحية العملية والإرصادية حين وصل إلى القرن السادس قبل الميلاد، ومع تقدم العلوم الرياضية والمترولوجية نضج علم الفلك وتطور واستبدل الرصد المباشر للأجرام السماوية بالحسابات الفلكية فنشأ الفلك الرياضي وبلغ أوجه في العصر السلوقي في القرن الرابع قبل الميلاد حين دخلت الحسابات الأرضية في الفلك. واقتصر الرصد العملي لحركة الكواكب وأماكن النجوم برصدها بالعين المجردة، ومن التلال وببضع أدوات فلكية بسيطة، ونتج عن ذلك الكثير من جداول الرصد للظواهروالأجرام الفلكية.

أولاً: تأريخ الفلك البابلي

نرى أن المدى التأريخي الذي يمكن أن نبحث فيه الفلك البابلي مدى مركب وواسع ومختلط.. يستوعب فترات عديدة بعضها متصل وبعضها منقطع ولكن ما يجمعه، من وجهة نظرنا، هو وحدة الثقافة واتجاه النوازع الفكرية والعقلية.

ولا يمكننا هنا أن ندخل في سرد تأريخي لهذه الأقوام ولكننا نقول بشكل عام إن العراق القديم وهو على عتبة العصور التأريخية كان يضم جنسين مختلفين لغوياً هما السومريون والساميون، وقد وضع السومريون أولاً لبنات الحضارة الرافدينية ثم جاء الساميون، بمختلف أعراقهم وبنوا عليها وطوروها وأنتجوا تراثاً عبقرياً جديداً.

ظهر الأكديون أولاً بين حضارتين سومريتين الأولى قديمة تمتد من 3500 ق.م وحتى ظهورهم في حدود 2400 ق.م أي أكثر من ألف سنة والثانية أتت بعدهم حيث قام

السومريون بطرد الغزاة الكوتيين البرابرة من العراق والذين حطموا الحضارة الأكدية. واستمرت هذه الفترة منذ لكش وحتى نهاية أور حوالي قرنين من الزمان وتسمى السومرية الحديثة.

ورغم الطابع الخاص الذي تركه الأكديون في كل حقول الحضارة إلا أن عدم العثور على عاصمتهم أكد أخفى الكثير من منجزاتهم المادية والثقافية، ولكننا نلمسُ عموماً في مجال الفلك استمراراً للتقاليد السومرية في التوقيت والرصد والنظام الستيني.. وكبس الأشهر أو السنوات.

ونرى أن الاهتمام بالنجوم والكواكب أصبح أكثر أهمية، فقد أصبح الإله القومي للأكديين الإله شمش الذي طغت رموزه الشمسية الواضحة على رموزه الصليبية والرمحية والمنشارية القديمة.

هكذا أصبح شمش ربّ الأكديين الخاص، رغم بقاء عبادة (آنو) كإله للسماء وإيا كإله للأرض. وبجانب شمش ارتفع نصيب الإلهة عشتار وأصبحت صورتها الكوكبية الممثلة بالزهرة هي الأعلى وطغى وجهها المحارب على وجهها العاشق.

هذه التبدلات المثولوجية أثرت كثيراً على الفلك والتنجيم. ونرى وفقاً لذلك أن التنجيم وعرافة النجوم أصبح علماً شعبياً واسع الانتشار بحكم الديانة أولاً وبحكم الطبيعة الصحراوية للشعب الأكدي.

كان التغيير الرئيسي الذي حدث هو صعود الإله مردوخ كإله مركزي عند البابليين. وهذا الانتقال للسلطة من السومريين إلى البابليين (ومن الآلهة القديمة إلى الجديدة) موضح في أسطورة الخليقة البابلية.

في بابل الأمورية التي أتت بعد سقوط سومر الثانية (سلالة أور الثالثة) ومع مجيء حمورابي بشكل خاص نرى انتعاشاً هائلاً لعلمي الفلك والتنجيم وتبدلاً في نسيج العقائد

المثولوجية الفلكية، فقد ارتفع نجم مردوخ (المشتري) وأصبح الفلك مردوخياً إذا صح التعبير وتطورت إلى مدى واسع جداً كما سنرى. وستستمر تقاليد العلوم الفلكية والتنجيمية البابلية هذه في كل عصور بابل البحرية والكاشية وبقية السلالات.

وتأتي بعد ذلك اللمسة التي أضافها الآشوريون للفلك البابلي. ثم تأتي إلى التطور العظيم للفلك والتنجيم على أيدي الكلدويين.

لقد ارتفع مجد بابل الكلدية في هذا العلم حتى صار أساسه الذي انتقل إلى اليونان بمثابة التراث الكلاسيكي للعالم القديم كله والذي كانت بابل الكلدية، بالتأكيد، جذره الأعظم. وقد استمرت تقاليد وأسس الفلك الكلدوي بعد سقوط بابل على أيدي الفرس الأخمينيين واخترق العصر الأخميني وكذلك العصر السلوقي ونرى أنه لم يتوقف على مستوى وادي الرافدين إلا عند عتبتين أساسيتين أحدهما شمالية هي مدينة الحضر (في حدود القرن الميلادي الثاني) والأخرى جنوبية هي مدينة ميسان (بين القرن الثاني قبل الميلاد والثاني الميلادي) حيث برع فيها الهيلنستيون والأنباط والمندائيون في التعامل مع الفلك الكلدوي وأصبح جزءاً من عقائدهم الروحية.

ولكننا لن نتناول هنا هاتين العتبتين الهامتين في كتابنا هذا، وسنركز جهدنا في البحث عن الفلك والتنجيم البابلي الذي ضمّ كل هذا التأريخ الحافل الطول منذ إنجازاته الأكدية الأولى وحتى العصر الفرثي.

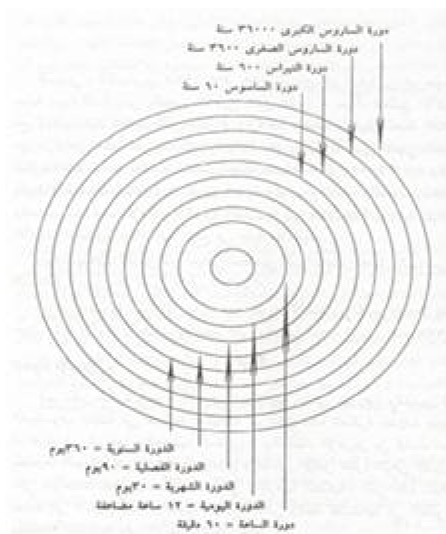
سنحاول من أجل الدقة والمنهجية واعتماداً على الأسس التأريخية والسياسية لبلاد وادي الرافدين في مرحلة ما بعد السومريين، تقسيم تأريخ الفلك والتنجيم البابلي إلى مرحلتين أساسيتين هما:

1. الفلك البابلي القديم (1880 ـ 750) ق.م:

وتمتد هذه المرحلة منذ ظهور سلالة بابل الأولى في حدود 1880 ق.م وحتى نهاية حكم سلالة بابل الثامنة حوالي 750 ق.م وتستمر هذه الفترة لأكثر من ألف سنة كان الفلك البابلي القديم ينهل من الفلك السومري ويتشكل بصورة بابلية ساميّة يختلط فيه التنجيم مع الفلك العلمي.. ويقع أغلب التراث الفلكي الآشوري ضمنه أيضاً.

2. **الفلك البابلي الجديد (750 ق.م ـ 75 م):**

وتمتد هذه المرحلة منذ ظهور سلالة بابل التاسعة حيث البداية النوعية لعلم الفلك بصيغته العلمية ومروراً بالفلك في المرحلة الكلدية وما بعدها من الأخمينية والسلوقية والنصف الأول من العصر الفرثي. حيث تم العثور على آخر رقيم بابلي فلكي يعود لسنة 750 ق. م.



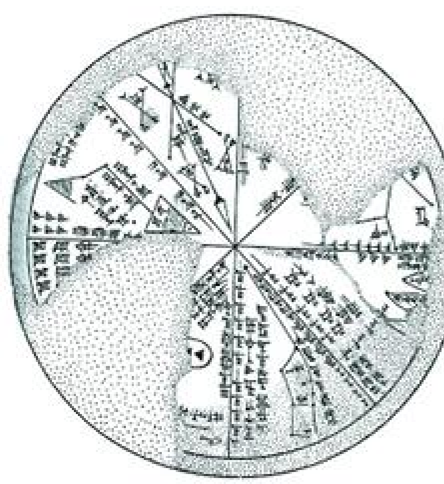
الدورات الزمنية والكونية، تخطيط فاروق كاظم

رغم أن الفلك العراقي القديم عاش عصره الذهبي في المرحلتين الأوليين من العهد الكلدوي، إلاّ أن العصر السلوقي شهد امتزاجاً كبيراً بين الفلك العراقي والفلك اليوناني وحفلت هذه المرحلة بظهور أعلام عراقيين في مجال الفلك، ووضع خريطة البروج البابلية

Horoscopes وظهر الأصل البابلي للهيأة الثلاثية لليونان، وتم رصد مذنب هالي بالإضافة إلى الاستمرار في ظهور الإرصادات والأزياج التي كانت أصولها قد وضعت في الماضي.

لقد وضعنا نهاية هذه المرحلة في حدود (75) م لأن آخر نص فلكي عراقي قديم مدون على رقيم وصل من سنة (75) م، وهذا يعني استمرار منجزات الفلك العراقي القديم بعد السلوقيين ولغاية منتصف العهد الفرثي تقريباً.

وإذا كانت المرحلتان الأولى والثانية من الفلك الكلدوي قد ألهمتا الفلاسفة الإغريق الأوائل مثل طاليس وفيثاغورس ووضع بواكير فلسفتهما في الماء والأعداد والتي مهدت لظهور الفلسفة اليونانية برمتها، فإن هذه المرحلة أعطت اللبنات التأسيسية الحقيقية لعلم الفلك اليوناني بدليل ظهور أعلام اليونان في هذا العلم خلال هذه المرحلة تحديداً وبعدها.



أسطوانة من العقيق الأبيض من بابل بنقش يتكون من الكتابة المسمارية للشمس والقمر وخمسة كواكب وسبع كرات تمثل سبع قوى سماوية

كانت إرصادات بابل الفلكية المصدر الوحيد لهيبارخوس وبطليموس وغيرهم من الفلكيين الذين شكّلوا الجذر القوي لعلم الفلك الحديث، ويرى سيمبليسيوس بأن الكلدويين كانوا يستشهدون في زمن الإسكندر بمشاهدات متتالية عمرها 1903 سنوات وهو تقدير لا مغالاة فيه.

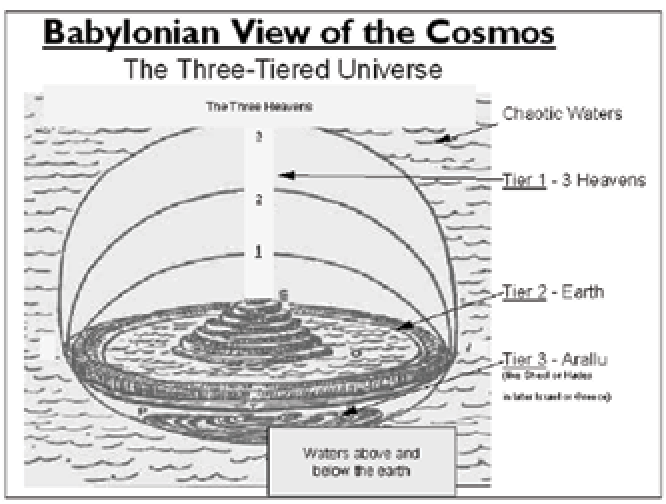
ثانياً: الكون البابلي

رأى البابليون أن الكون محاط بمياه الكاؤوس الأولى وهي الماء الهيولية العتيقة قبل الخلق والتي مثلتها، مثولوجياً، تيامت، وأن المحيطات تسند الأرض والسماء، والأرض على شكل نصف كرة جوفاء تطفو فوق مياهها وتقع في مركزها مملكة الأموات أو العالم الأسفل. وأن العالم يتكون من ثلاث طبقات أساسية هي:

1. طبقة السماء المكونة من ثلاثة مستويات هي مناطق نفوذ الآلهة (آنو، إنليل، إيا) وتتكون من سبع طبقات، وتشير لها كلمة تكبو Tikpu، Tikbu.

2. طبقة الأرض: التي تتوسطها بابل، وفي قلب بابل هناك برج بابل الذي يتصل بالسماء.

3. طبقة العالم السفلي (أرالو): وتحتوي على سبعة أبواب للدخول لها.



نموذج تبسيطي لشكل الكون عند البابليين

«وعلى حافة الأرض، هناك الجبلان ـ التوأم، جبل ماشو ابهما الذي يمر من خلاله شمش (إله الشمس)، وهو يقطع طريقه كل يوم. واستناداً إلى وجود قوارب أحياناً، في المدافن السومرية القديمة، يمكن القول أن ثمة اعتقاداً في مثل هذه المرحلة التاريخية، الألف

الثالث ق.م، مفاده أنه ينبغي على الأموات أن يتوجهوا إلى مدينة أيريشيكال عبر النهر العظيم وعبر مياه الموت، وأغلب الظن أن شمش، إله الشمس كان يقوم بهذه الرحلة وهو يقطع ليلاً هذا الطريق عبر العالم الأسفل من المغيب إلى المشرق، وذلك على الرغم من أن النصوص المسمارية التي تعود إلى تأريخ أحدث لم تحتفظ بما يشير إلى ذلك وأن طريق الشمس قد تم تصوره على نحو آخر. وقام البعض من العلماء المتخصصين برسم صورة لهذا التصور العام للكون» (الجميلي 2011: 4).

ثالثاً: التقويم البابلي

يدرس الفلكيون السماء ويعرفون أنواع المواسم، كان المهم للمزارعين من أجل إنشاء تقويم دقيق. ويتم ذلك عن طريق التسجيل وحساب سلوك الشمس والقمر. دورات القمر التي تستغرق 28 يوماً تعطي عاماً من 12 شهراً قمرياً من 29 أو 30 يوماً ـ مع بضعة أيام غريبة خلفها للحفاظ على السنة القمرية في خطوة مع

السنة الشمسية، الكهنة يضيفون، عادة، الشهر الكبيس، بعد الحصاد، في سبتمبر / أكتوبر، ولكن يبدأ البابليون السنة التقويمية في الربيع.

مواسم السنة:

لا يوجد سوى موسمين:

1. موسم الجفاف (إيمش)،

2. موسم النمو في بداية الربيع (آذار)،

في الوقت المناسب للاستفادة من الفيضانات السنوية في أبريل / مايو من نهري دجلة والفرات من ذوبان الثلوج في جبال الأرمن، وغالباً ما يبدأ الشتاء في سبتمبر / أكتوبر مع وصول الأمطار، على الرغم من أن هذه تقتصر عادة على بلاد ما بين النهرين السفلى.

كل شهر يبدأ من أول رؤية القمر الجديد. لأنه لا يوجد نظام التسمية للأشهر بين جميع مدن بلاد ما بين النهرين، الكتبة تعطي مواعيد أشهر السنة الجديدة مع بدايتها.

أسبوع بلاد ما بين النهرين

يمر القمر بأربع مراحل في كل منها الشهر، وهذه «الأرباع» تنتج مفهوم الأسبوع سبعة أيام، على الرغم من تغير دورات العمل في بلاد ما بين النهرين فإن التغيير يتم فقط بين الأيام المقدسة.

وعادة ما يتم الاحتفال بهذه في الأول، والسابع والخامس عشر من كل شهر. كل المدينة لديها أيام العيد الخاصة بها، والتي تختلف من مكان لآخر.

الفلكيون ضد المنجمين

البابليون يقسمون السماء إلى مناطق للمراقبة. والأهم هوالمنطقة التي تقع على طول خط الاستواء السمائي (مسير الشمس)، المسار الظاهر الذي يليه الشمس والقمر والكواكب عبر السماء. بواسطة تسجيل مستمر لهذه الحركات، يمكن لعلماء الفلك الآن أن يقوموا على التنبؤات على دراسة السجلات السابقة بدلا من الملاحظة.

المنجمون يلاحظون تحركات الكواكب وألمع النجوم لمعرفة أحداث المستقبل، وما يجعلنا نتنبأ بمصير الإنسان نتعلم أنه «عندما يحيط هالة القمر والمشتري يقف داخلها، ملك سيتم محاصرة أكد «أو» عندما يكون عطارد مرئياً مع المريخ عند غروب الشمس ستكون هناك أمطار وفيضانات. عندما كوكب المشتري يظهر في بداية العام، في تلك السنة ستزدهر محاصيلها»وتقريبا كل هذه الأنواع من الفلكية يتعلق التنبؤ إما بمصيرالنخبة الحاكمة أو رفاهية الطعام العرض، وبالتالي حالة إنتاج السوق.

علماء الفلك في بلاد ما بين النهرين يستخدمون السماء للمساعدة في تنظيم دورات العالم الطبيعية بينما المنجمون يفسرون الحركات السماوية كما تصاميم الآلهة الذين لهم

السيطرة على كل شيء.

ساعات من اليوم

يبدأ اليوم عند غروب الشمس وينقسم إلى ست «ساعات». تدوم كل ساعة حوالي أربع ساعات.

يختلف طول الساعة السومرية حسب الموسم لأن الساعة تقاس بأنها سدس ما هو متاح من ضوء النهار؛ ساعة الصيف أطول من ساعة الشتاء لأن يوم الصيف هو طويل.

لا يتساوى طول الليل والنهار إلّا مرتين في السنة (في 21 آذار الحالي وفي 21 أيلول الحالي) «(كلشكوف 1995: 10 - 32).

«ومهما يكن طول النهار والليل أو قصرهما، فقد قسم العراقيون القدماء كلًّا منهما إلى ثلاثة مواقيت عرفت بالهجعات والتي غالباً ما كانت تختلف في كل موسم من المواسم الأربعة وللهجعات في بابل تسميات خاصة فتسمى هجعة ما بعد الغروب بالهجعة الأولى أو هجعة جزء من الليل وعرفت في اللغة الأكدية بصيغة مَصَارت Massartu للدلالة على تلألؤ النجوم التي تضيء وتسطع في ليل الشرق الصافي، والهجعة الثانية هي هجعة منتصف الليل، التي عبر عنها بصيغة شات أُر sat urri والثالثة هجعة الفجر التي عبر عنها بصيغة نماريت Namdrini، وتشير إلى أولى تباشير النهار التي تجعل من السماء شاحبة وتعلن عن انتهاء الليل، هجعة النهار الأولى هي هجعة شروق الشمس، وتليها الساعات حيث الشمس الشديدة تنتشر أشعتها، فهي هجعة السماء المحرقة، والهجعة الأخيرة هي هجعة الغروب.»

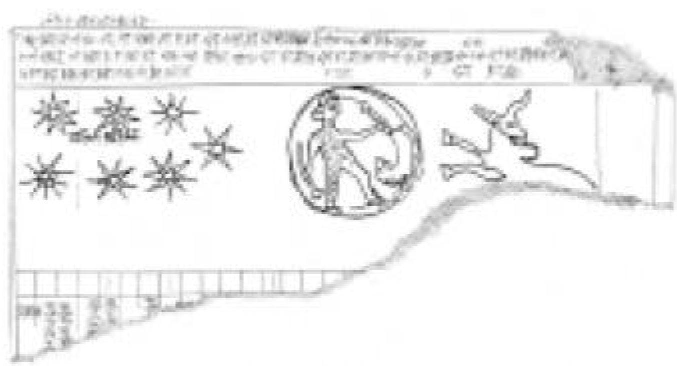
«وكان العراقيون القدماء يميزون ساعات الليل عن ساعات النهار، فثمة نصوص متأخرة تعطينا معلومات مستقاة من أخبار تسجل لنا الساعة التي حدث فيها كسوف ما، وتدلل على أن العراقيين القدماء كانوا يقسمون الليل والنهار إلى 12 ساعة (بيرو beru) وكل ساعة إلى 30 دقيقة (GIS)، وكان كل بيرو beru يساوي 1 من 12 من اليوم والـ كش Gis

يساوي 1 من 30 من بيرو beru. ومن البديهي أن تقسيم الزمن إلى سنة مثالية مكونة من 360 يوماً و12 شهراً، وإضافة أشهر إضافية متداخلة، كان يلزم الفلكيين بتحديد مطلع كل شهر.» (الجميلي 2011: 17).

أما فصول السنة فسنجدها موزعة في هذا الجدول:

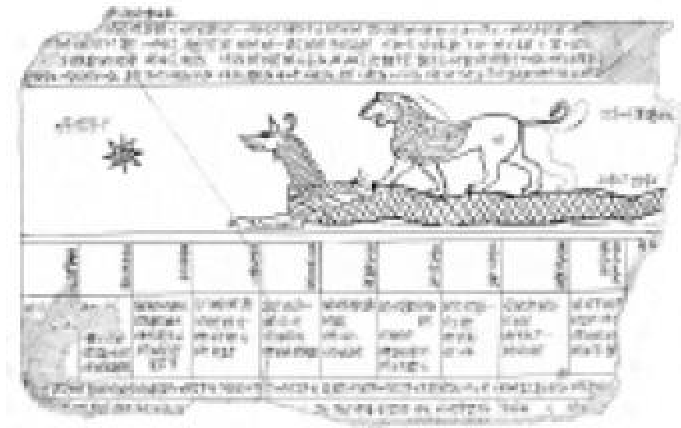
https://web.archive.org/web/20190526045415/http://www.angelfire.com/tx/tintirbabylon/caledarintro.html

رابعاً: أسماء النجوم البابلية

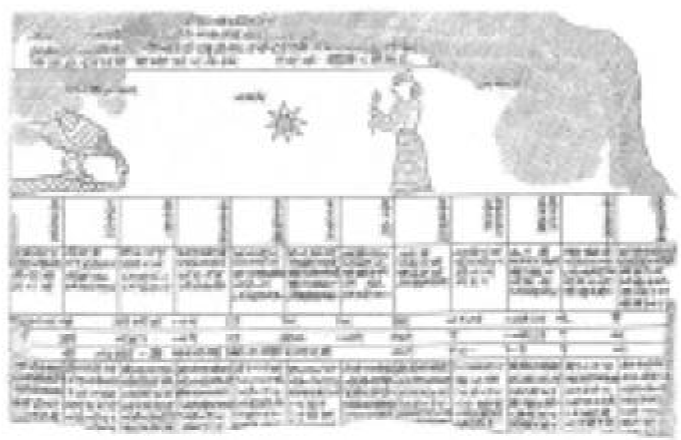


تجمعات النجوم في رقيم بابلي

https://www.staff.science.uu.nl/~gent0113/babylon/babybibl_fixedstars.htm



https://www.staff.science.uu.nl/~gent0113/babylon/babybibl_fixedstars.htm



https://www.staff.science.uu.nl/~gent0113/babylon/babybibl_fixedstars.htm

لا تزال أسماء النجوم البابلية قيد المناقشة فالعديد منها لا يزال غير مؤكد أو غير معروف. وقد تم تجميع هذه القائمة بمساعدة القوائم البابلية (مول. آبن): انظر

(KOCH-WESTENHOLZ 1995: 207 - 208)

النجوم ومجاميعها عند البابليين

خامساً: ظواهر فلكية عرفها البابليون

الخسوف والكسوف والملك البديل:

ويمكن أن يدرك سير القمر في السماء، فظاهرة الخسوف المتكررة كل (18) عاماً والتي رصدها الفلكي العراقي القديم وللفترة بين عامي (703) و(378) ق.م، أو عندما يكون في سمت جبروته مستديراً استدارة مثالية (أي أنه يصبح بدراً كاملاً) حيث يهاجم وجه الإله سين (القمر) المشرق (غبش محمر) مثل الظل وكأنه الموت، ونفس الحالة يطارد الإله شمش إذ يزحف على وجه في وضح النهار قرص أسود وعندئذ ينفتح في السماء ثقب في سواد ظلمته (المقصود ظل القمر الذي يحجب بقرصه وجه الشمس وهو الكسوف الكلي للشمس حيث يعم الظلام الكون وتذهب الطيور والحيوانات إلى أعشاشها)، عموماً ظاهرة كسوف الشمس وخسوف القمر نذير بحدوث فيضانات وانتشار الأوبئة والطاعون والأمراض والموت الذي يحول الناس إلى رماد، ولا ينجو منه حتى الملك نفسه من العلة، وفي بعض الأحيان كان أمد الخطر يدوم مائة يوم، فينتقل الملك إلى مقره الريفي حيث يخدعون العفاريت الشريرة بتسميته فلاحاً وعليه الطاعة للآلهة العظام.

وفي تلك الأثناء يجلس على العرش (ملك بديل) (في الأكدية شار بوخي ar pūḫiš) ويتم تزويجه بفتاة عذراء (بتولو، ارداتو) (بالعربي بتول تعني العذراء)» (الصالحي، صلاح رشيد، موقع كاردينيا تاريخ الاقتباس 20/ 8/ 2019،
(https://www.algardenia.com/maqalat/33391-2017-12-27-08-07-47.html)

رصد مرورالمذنب هالي بالأرض: كشف لوح طيني من مدينة بابل عن معلومات عن المذنب (هالي) الذي يمر بالارض كل 76 عاماً، وملاحظات عن حركة القمر والكواكب عام 164 قبل الميلاد. ولذلك تمكن رصد ظهوره قبل هذه الفترة (أي في عام 240 ق.م) وما قبلها، وكذلك توقعات مروره بعد تاريخ اللوح.

سادساً: الفلكيون البابليون

1. نابو ريمانو: عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وأهم منجزاته:

*جمع الإرصادات التي سبقته بحوالي ربع قرن واستخدمها في جداوله حين رصد حركة الشمس والقمر اليومية والشهرية والسنوية، وبذلك أرخ وقت كسوف وخسوف القمر والشمس وزمن بعض الحوادث الفلكية.

حسب طول السنة الشمسية بـ365 يوماً و6 ساعات و50 دقيقة و41 ثانية وكان هذا، وحسب طول السنة النجمية التي قدرها بـ 365 يوماً و6 ساعات و90 دقيقة و15 ثانية وهو زمن دوران الأرض حول الشمس بالنسبة للنجوم والقياس الحديث يزيد أو ينقص عن هذا المقياس بمقدار 6.5 دقيقة، وكانت قياساته هذه أول قياسات دقيقةٍ في علم الفلك والتوقيت.

2. كدينو: عاش في حدود 379 قبل الميلاد، وبفضل سجلات عن الأرصاد القمرية، خلال فترة 360 سنة سابقة، كانت منجزاته الفلكية هي الأدق، وهي:

تفوق في دقة جداوله على جداول نابو ريمانو فلم تزد أرقامه التي بين بها الوقت اللازم لدورة الشمس والقمر عن ثانية واحدة من الوقت الحقيقي، بل إن بعض حساباته لدورة الأجرام السماوية تعد أكثر دقة وصدقاً من الأرقام التي كان يستخدمها الفلكيون المحدثون حتى وقت قريب.

وجد اختلافاً بين طول السنة الذي يقاس بين الاعتدالين وبين قياسها على أساس الوقت بين مرتين لاقتراب الأرض إلى أدنى بعد ممكن من الشمس. وقد عرف كدينو الـ(نودان) وهو نقطة تقع على تقاطع مدار الكوكب معين مع دائرة سمت الشمس واستطاع أن يقيس النودان الشمسي الأرضي وظهر أنه أقل من الخطأ في الفلك الحديث المسمى (أبوزر).

تخليداً لذكرى هذا العالم والفلكي البابلي، تم إطلاق اسم كيدينو على إحدى مناطق الجانب الآخر من سطح القمر.

3. سودينا (سودينيس): عاش في حدود 240 ق.م هو فلكي ومنجم وعالم رياضيات كلدوي بابلي ذكره عدة كتاب ومؤرخين منهم المؤرخ الروماني سترابون. وقد سافر من بابل لبلاد الإغريق وعمل كمنجم وفلكي خاص بالملك الإغريقي (أتالوس الأول) ملك برغامون، وهو ما فعله برعوشا البابلي قبله، ثم عمل مع الفلكي الهلسنتي المشهور أبرخش.

4. سلوقس السلوقي: ولد ما بين سنة (190-150ق م) وهو فلكي هلسنتي وفيلسوف قدم من مدينة سلوقية على نهر دجلة (عاصمة الإمبراطورية السلوقية)، وأهم منجزاته:

كان من المؤيدين لنظرية أن الشمس هي مركز الكون وليس الأرض. وقد وضع نظريته الخاصة بالمد والجزر.

5. تنكلوشا: يسمى تنكلوشا البابلي القوقاني وهو فلكي نبطي بابلي كلدوي ترجم كتابه أبو بكر بن وحشية النبطي، واسمه الإغريقي (تينكلوس)، ويذكر أن له كتاباً اسمه (الوجود والحدود) وكتاباً في صورة درج الفلك وما تدل عليه من أحوال المولودين.

6. **طينقروس البابلي:** وهو فلكيّ بابلي انتقل لبلاد فارس وكان أحد الموكلين السبعة، مع تنكلوشا، بسدانة البيوت، وربما كان بيت المريخ موكلاً به، ذكره ابن النديم، وله عدة تصانيف منسوبة له.

7. قيطورا البابلي: وهو من السدنة السبعة، ذكره ابن النديم وله كتاب صناعة النجوم.

8. برعوشا: كاهن بابلي من عبدة الإله مردوخ، اسمه بالإغريقية بيرسوس، واسمه البابلي (بل ـ أوسر) أي بعل يحميني، وبعل هو مردوخ، كان مؤرخاً ألف كتابة (بابلونيا)، وهو فلكيّ معروف. انتقل في أوآخر حياته، لأسباب مجهولة، من بابل إلى جزيرة كوس (شمال شرق جزيرة كريت) ومات فيها.

9. **مزابا البابلي:** وهو فلكي ومنجم نبوخذ نصر، ذكره أبو معشر الفلكي وابن النديم، وله كتب منها كتاب الملوك والدول ومنها القرانات والتحاويل.

بعد احتلال بابل من قبل الفرس الأخمينيين انتقل علم الفلك ومعه الفلكيون البابليون إلى ثلاثة شعوب متتالية هي (الفرس ثم الإغريق ثم الهند) الذين أضافوا تجاربهم واكتشافاتهم إلى أن وصل علم الفلك والتنجيم إلى ذروته في عصر كلوديوس بطليموس العالم اليوناني المشهور الذي عاش في القرن الأول الميلادي في الاسكندرية والذي يعد مؤسس علم الفلك القديم رغم الخلط بين الفلك والتنجيم في منهجه.

المبحث الخامس: الطب البابلي

كانت للبابليين مهارات كبيرة في التقنيات المختلفة في الوقاية من الأمراض وانتشارها عن طريق تطبيق تدابير النظافة الشخصية التي تشمل الوضوء المتكرر، غسل اليدين، غليان الماء المستخدم في المشروب الطبي. قاموا بوضع كل هذه التفاصيل على الألواح والرموز والعلامات التي تتوافق مع الأمراض المختلفة المعروفة لهم وكيفية علاجها بشكل فعال.

حقق البابليون نتائج مهمة في علاج الأمراض من المركبات العضوية الطبيعية مثل العسل والنباتات الطبية. الوقاية من الأمراض وانتشارها عن طريق تطبيق تدابير النظافة الشخصية التي تشمل الوضوء المتكرر، وغسل اليدين، وغليان الماء وتنظيف المدينة كعنصر مهم للوقاية من الأمراض.

كان الأطباء البابليون قادرين على شفاء مرضاهم بشكل فعال، وكانت تتم معاقبتهم إذا مات مرضاهم على النحو المنصوص عليه في قانونهم.

عرفوا أمراض الصداع والحمى واللوزتين والروماتيزم والشلل والسل وغيرها، وكانوا يعزونها لأسباب واقعية عند الطبيب المعالج (آسو) ولأسباب نفسية وروحية عند الطبيب

الديني (أشيبو، بارو) الذي كان يرجعها للأرواح والشياطين والجن.

أولاً: التخصصات الطبية

لم يخلُ الطب في مرحلتيه السومرية والأكدية من ملامح متخصصة في حقوله المختلفة، لكنه كان في المرحلة البابلية أشد وضوحاً، في هذا المجال، وعلى مستويات عديدة (الأطباء، التجمعات المهنية، تصنيف الأمراض) فالأطباء تميزوا إلى ثلاثة أنواع كما ورد في مسلة حمورابي:

- طبيب العيون
- الجراح
- الطبيب البيطري

وهناك ما يشير في وثائق أخرى إلى أطباء القلب والنسائية والأطفال وقد ظهر كذلك التخصص الدقيق عند الأطباء الممارسين لمهنة الطب، كما يأتي: (انظر البدري1993: 43 ـ 52).

الواصفو: وهو كاهن ملمٌّ بقدر يسير من الطب وغالباً ما يكون أول من يستدعى لزيارة المريض بمرضٍ بسيطٍ، ولا يتعدى دوره تشخيص المرض وقراءة بعض الأدعية والرقى، ووصف الأدوية البسيطة.

الآسو: أو الآسي الذي يتولى الجانب المادي في العلاج فهو الذي يؤكد تشخيص الواصف أو ينفيه وهو الذي يصف الدواء وكيفية تحضيره ومقدار جرعته وطريقة تعاطيه، وهو الذي يلازم المريض لحين شفائه أو يستدعي الجراح إذا لزم الأمر.

القابلة: (ساب آسي) أي العارفة بأمور الرحم، وهي التي ظلت منفردة بهذا الاختصاص إلى أن أمر إله الحكمة (نبو) بأن تشاركها الآسية (الطبيبة) في العمل، ولا شك في أن هذه التخصصات الدقيقة اتضحت أكثر وموررست في الفترة الآشورية.

أما على مستوى التنظيم النقابي أو المهني للطب، فقد كان هناك تنظيمان أحدهما إلهي والآخر بشري، أما التنظيم النقابي الإلهي فيشمل: (انظر البدري1993: 45).

إله الطب الأكبر (ربي آسي) وهو الإله إيا.

إله الطب المساعد وهو الإله ننكشزيدا ورمزه الحيّة الملتفة على عصا.

إلهة الطب مثل كَولا، بابا، دامو،...

وأما التنظيم النقابي البشرى فيشمل:

آسو جلو: أي الآسي الأجلّ، وهو بمثابة نقيب الأطباء (جليل الأطباء)

آسو جلاتو: أي نقيبة الأطباء (جليلة الأطباء).

آسو جلدتو: أي الأجلاّء من المهنة وهم الاختصاصيون.

كذلك ظهرت التخصصات على مستوى تصنيف الأمراض حسب أقسام الجسم والأعضاء والأجهزة وقد اعتنت أكثر بالأحشاء والأعضاء الداخلية، وهذا يعكس تطور علمي التشريح والجراحة في العصر البابلي.

وقد أطلق البابليون على أمراض الجسم المتخصصة الأسماء الآتية: (انظر الأحمد 1974).

1. أمراض الرأس (موروص فقاري)

2. أمراض العيون (موروص إيني)

3. أمراض الفم (موروص بي)

4. أمراض الأذن (موروص أوزني)

5. أمراض الأسنان (موروص نايابو)

6. أمراض الجهاز الهضمي

7. أمراض الجهاز البولي والتناسلي

8. أمراض القدم

9. أمراض الجملة العصبية والنفسية

10. الأمراض الجلدية

11. الأمراض النسائية وأمراض الولادة

12. الرضوض والأورام

13. الجراحة

14. التسمّم

15. أمراض أخرى (التيفوئيد، الملاريا).

الجراحة

معرفتنا الخاصة بالتحصيل البابلي، للأسف، مقيدة بحقيقة أنه لم ينزل إلينا قرص بابل واحد في الجراحة. ومع ذلك، لا يمكننا أن نشك في وجود مثل هذه الأطروحات في بابل في وقت مبكر في ضوء الوضع القانوني المعترف به والمنظم للجراح في المجتمع البابلي في القرن العشرين قبل الميلاد الذي سبق ذكره.

كانت الجراحة في بلاد ما بين النهرين القديمة أكثر تقدماً مما صرح به البعض حول بابل مثل هيرودوت حيث تكون مدونة حمورابي، مرة أخرى، مصدر معلومات حول الممارسات الطبية ـ هذه المرة لأنها تذكر التفاصيل الخاصة بالعقوبات حول العمليات الجراحية وإزالة متعلقاتها حين تجرى عمليات جراحية مع المشارط البرونزية جراء الجروح وعلى العينين من قبل الأطباء.

(Spiegel and Springer 1997, 70 -74).

كما تم علاج القروح السطحية واللدغات، على أساس سجلات المحكمة، وكانت عملية الإخصاء لبعض العبيد تشير إلى عناية جراحية واضحة، وكذلك العلاجات الجراحية المرافقة لها والتي كانت خاضعة لقوانين حمورابي.

كان على الطبيب أن يكون قادراً على معالجة جراحية بأدوات مثل المبضع؛ وإذا أدى الطبيب إلى تفاقم الجرح فقط، فقد اعتبر أنه يستحق اللوم، وكان علاج جميع الجروح يتم بثلاث خطوات حاسمة: الغسيل،

تطبيق الجص، وربط الجرح.

الممارسات الطبية الحيوية، مثل تجليد وإغلاق الجروح، وكانت غيرها مثل الغسيل وإعداد الكمادات للجروح.

نصوص أخرى تعطي تعليمات مفصلة لعملية جراحية مع مشرط، بما في ذلك الرعاية اللاحقة للعمليات الجراحية مثل خلع الملابس من مواقع العمليات مع الضمادات الكتان الزيتية.

هناك ثمانٍ من خمس عشرة وصفة لإعداد اللصقات الخارجية، ربما للجروح أو القروح وهناك تفاصيل غسل «الجزء المريض» أو الجرح» بالبيرة والماء الساخن، على الرغم من توفر الصابون السائل.

وكانت تقنيات صنع الصابون والتقطير، يتضح من الوصفات التي تشتمل على تفاصيل مزيج من الراتنج أو الدهون مع القلويات، والتي من شأنها أن تؤدي إلى إنتاج الصابون المنظف، وبوجود «خلاصة «من الأرز، والتي كان يمكن أن يكون تم تقطيره وجعله مطهراً ومنظفاً.

طب العيون والعدسات

بالإضافة إلى ذلك، كشفت الفحوصات التي أجريت مؤخراً على بعض الألواح، كما تم الكشف عنها في بردية سميث المصرية، أن بعض الأطباء في بلاد ما بين النهرين ـ مثل زملائهم في مصر ـ مارسوا دون اللجوء إلى المعبد. سواء كانت تعمل من أجل إعتام عدسة العين أو لا ـ الجواب هو: ربما..

الطب النفسي والعقلي

توحي لنا كثرة الوصفات البابلية للاضطرابات العصبية والنفسية، بما في ذلك الصرع والسكتة الدماغية والذهان واضطراب الوسواس القهري والفوبيا والسلوك النفسي والاكتئاب والقلق. بالاهتمام الكبير بهذا الحقل الطبي المهم، ويرجع تاريخ معظم هذه الاهتمامات إلى الأسرة البابلية الأولى فقد كان البابليون مراقبين بحيادية وقوة وموضوعية للاضطرابات الطبية والسلوك البشري، لكن ما كان يعوزهم هو أنهم لم تكن لديهم معرفة بالدماغ أو الوظيفة النفسية. بعض الاضطرابات العصبية والنفسية، على سبيل المثال السكتة الدماغية أو الشلل في الوجه، كان له أساس مادي يتطلب اهتمام الطبيب العيادي (آسو) أو باستخدام علم الأدوية القائم على النباتات والمعادن؛ بعض الاضطرابات مثل الصرع والذهان والاكتئاب والقلق اعتبرت خارقة للطبيعة بسبب شياطين أو أرواح شريرة، أو غضب الآلهة الشخصية، وبالتالي تطلب تدخل الكاهن أو أشيبو؛ اعتُبرت الاضطرابات الأخرى مثل اضطراب الوسواس القهري والسلوك النفسي، لغزاً. كان البابليون أول من وصف الأسس السريرية لعلم الأعصاب والطب النفسي. وحددوها بالأوصاف السريرية المفصلّة.

لم يكن لدى البابليين أي فهم لمفاهيمنا الحديثة للاضطرابات العصبية والنفسية. كانوا لا يعرفون شيئاً عن الدماغ أو الوظيفة النفسية. لقد قاموا ببساطة بتوثيق العديد من الأوصاف التفصيلية والموضوعية. إن بعض الاضطرابات مثل السكتة الدماغية، كان يشتبه في وجود أساس جسدي أو مكون محتمل، فقد كان ينظر إلى معظمها على أنها خارقة للطبيعة، وتحتاج إلى انتباه أشيبو. تم تسجيل بعض الاضطرابات أو السلوكيات على أنها غامضة، ولكن لم يتم فهمها.

إن ما يُنظر إليه اليوم على أنه اضطرابات عقلية كان يعد إلى حد كبير نوعاً من اضطرابات في السلوك والذي يعني «تغيير المزاج» أو الاضطراب السلوكي.

التبخير لعلاج الصرع

التبخير هو وسيلة من وسائل الطب البابلي للشفاء من خلال قوة البخار. فمن خلال التبخير، يمكن للممارسين الطبيين البابليين علاج أمراض مختلفة مثل الاكتئاب، والصرع، ومشاكل في الأذنين والعينين، أو حتى البواسير. وذلك بوضع المسكنات القوية في الماء وإذابتها ثم تبخير المحلول الناتج وجعل الدخان يلامس الأعضاء المريضة. ولإنتاج هذا مزيج يتم خلط مواد مختلفة مع النسغ و/ أو زيت النبات في أوعية خاصة.

تم تبخير أمراض النساء من الأسفل طبقاً لبعض الأغراض والأمراض المتماثلة. في أمراض النساء وتم استخدام التبخير لعلاج العقم، مع وجود حافز لفتح أو تخفيف الرحم للحمل. ومع ذلك، في كثير من الأحيان، تم تطبيق التبخير لإعادة الرحم إلى موضعه الصحيح، إذا كان قد انتقل إلى مكان آخر في الجسم.

للتبخير تأثير مادي سريع المفعول، خاصةً عند استنشاق البخار. بسبب الطريقة السريعة لإعطاء الدواء التي هي أسرع بكثير من الدواء الداخلي. علاوة على ذلك،

فإن استخدام المواد العطرية للتبخير (غالباً ما تستخدم الصنوبريات برائحتها الزكية) التي تترك الآثار النفسية المريحة على المريض.

يرى الكهنة والسحرة البابليون أن التبخير وسيلة ناجحة لطرد الشياطين أيضاً، ففي اللوح المسماري من أوروك القديمة (في حدود القرن الرابع قبل الميلاد) يُذكر المزيج المبخر المثير للغاية. لعلاج الصرع والهجمات الشيطانية التي تسببت فيه. ويتكون المكون الرئيسي من أجزاء من رأس عنزة بالغة ميتة. يمكن

إعادة بناء عملية الطقوس بأكملها على النحو التالي: قام الطبيب الممارس بتلاوة تعويذة (أوه، شر، شر) في أذني الماعز. ربما، بهذه الطريقة تم تنشيط لحم الماعز البالغ بطريقة سحرية لإنتاج المادة الفعالة اللازمة لتبخير الوجود الشيطاني. ثم ذبحه وأخذ أجزاء مختلفة من رأسه المختلط مع النافتا وهي عصارات النباتات والزيوت. بعدها تعطى للمريض أولاً للشرب والأكل. ثم يستخدم هذا المزيج نفسه لمسح جسد المريض وفي النهاية يتم تبخيره.

وصفة للصرع:

أن تأخذ عنزاً ذكراً يافعاً وتتلو عن يمينه وعن يساره تعويذة (أوه، شر، شر) ثم تقوم بذبحه

وتأخذ دماء العين ومركز العين وأنسجة تغطية انخفاضات الرأس والرقبة والسائل الداكن لعينيه، النافتا، المكون من: (زيت السمك، خلاصة الأرز، نبات المشط، نبتة مشتكال، دم البومة، قشر خيار كشّو، قمع خيار كشو، نبات إمهور ـ لم، نبات تراماشا لوبن) وتقوم بسحقها وإذابتها وتجعل المريض يشربها ويمسح جسده بها ثم تبخرها لوحدها، والأفضل أن تبخرها مع العنز اليافع.

A Peculiar Late Babylonian Recipe For Fumigation Against Epilepsy، Strahil V. Panayotov، BabMed Project، Free University Berlin.

https://recipes.hypotheses.org/tag/babylonian-medicine

إن المواد الغريبة المذكورة في هذه الوصفة لها أهمية رمزية، والتي قد تتوافق أحياناً مع الفائدة الكيميائية للمواد، لأن الطب البابلي التقليدي كان يعتمد على تجارب تجريبية استمرت لآلاف السنين. بعض المواد، مثل «دم البومة»، كانت أسماء بديلة للعقاقير.

ثانياً: القوانين الطبية

يبدو أن العهد البابلي القديم شهد إنتاج نصوصٍ قانونية ومعجمية تنمُّ عن رقيّ العلوم الطبية وازدهارها، أما العهد البابلي الكيشي فقد شهد ازدهار الطب بعامة، حيث وصلت مئات الرقم تدلّ على ذلك، وتصاعد هذا الازدهار مع العهد الآشوري، لكن العهد البابلي الحديث (الكلدوي) شهد عدداً أقل من هذه النصوص وكان معظمها يدور حول الفأل والتعويذ.

وبرغم خلوّ قوانين لبت عشتار وأورنّمو السومرية من فقرات خاصة بتنظيم قوانين الطب إلا أن ذلك لا يمنع من وجود أعراف وتقاليد خاصة بهذا المجال، لكن المأثرة الكبرى، في مجال التشريع الطبي، أتت من مسلة حمورابي التي تحتوي على ثلاثة عشر قسماً من المواد القانونية ينصّ القسم العاشر منها الذي يضمّ المواد 215-227 على القوانين الخاصة بالطب، ويمكن تقسيمها إلى ما يلي: (انظر رشيد 1979: 157 ـ 158).

المواد 215-220 خاصة بالعمليات الجراحية، أجورها والقصاص الذي يتلقاه الجراح في حالة فشله.

المواد221 ـ 223 خاصة بتجبير الكسور والأجور التي يتلقاها المجبّر.

المادة 224 خاصة بالجراح البيطري وأجوره.

المادة 225 خاصة بالطبيب البيطري وأجوره.

المواد 226-227 خاصة بالواسم الذي يسمُ العبيد، وهو العمل الذي يقوم به الحلاّق والقصاص الذي يتلقاه في حاله تغير شكل العبد.

وتدل هذه المواد على أن القانون وضع شروطا للجانب العملي من الطبّ وهذا ما يدل على أن الجانب الديني والعرافي من الطب كان غير مشروط بحقوقٍ وواجباتٍ منصوصٍ عليها بل تحكمه أعراف دينية متوارثة كما ان الجانب العلاجي التقليدي الذي يقوم به الآسو لم يخضع للقانون، وطال القانون الجراح ومجبر الكسور والطبيب البيطري والواسم (الحلاق). وقد كان ينظر إلى هذه الجوانب على أنها تسبب عاهات في الإنسان وخسائر اقتصادية في الثروة الحيوانية وتسمح بالتلاعب بحريه العبيد، ولذلك جرى التشديد عليها. أما جوانب العلاج فتركت للإرث الطبي المتراكم والعناية الدينية.

ثالثاً: الطب والسحر والدين

إذا كان وجود القوانين وظهور التخصص في الطب قد ألقيا الضوء على الجانب العلمي والعملي للطب فإن أكثر ما امتاز به الطب البابلي علاقته المنسجمة مع السحر والدين فقد امتلك الكاهن المعزّم (الأشيبو) دوراً مؤثراً في مجرى تاريخ الطب البابلي، ولا شك أن الأشيبو كان يعالج مريضه بالتعاويذ والوسائل السحرية الأخرى عموماً، وإن كان يلجأ أحياناً إلى استعمال العقاقير ولو بمعنى سحري: «يوجد 25 عقاراً من المراهم ضد يد الشبح.. سر (أشيبوتو) الممارسة السحرية. وفي الوقت نفسه يعرف أن الآسو استعمل السحر أحياناً ولو أنه أقرّ أحياناً بأن (التعويذة ليست

تعويذتى بل تعويذة إيا) وبذلك ضمن قوة التعويذة فوق الطبيعة. لم يكن شكلا العلاج منفصلين تماما»(أوتس 1990: 275)..

هذا التوازن الذي وصلت فيه الممارسات الطبية والسحرية تشير له أدلة كثيرة منها ظهور الأشيبو والآسو وهما يعملان معاً وبمنتهى التناسق إذا كان عمل يد الشبح (ويعتقد في أحوال كثيرة أنه سبب حالات الأذنين والعينين) مصدر عذاب شديد بحيث أن الأشيبو عاجز عن إزالته فمزج معاً ثمانية عقاقير (اها الآسو) «(أوتس 1990: 275).

بدأ التلازم الشديد بين الطب والسحر والدين بصورة عامة منذ العهد البابلي القديم واستمر ذلك طويلاً وصادف خلال العهود البابلية المختلفة ارتفاع وانخفاض منزلة كلٍّ من الآسو والأشيبو بشكلٍ أو بآخر إلاّ أن التوازن ظلّ ملازماً لهما.

إن نصاً معروفاً مثل (لأمجدنّ ربّ الحكمة، لدلول بيل نيمقي) ليوضّح لنا مدى التلازم بين الطب والسحر والعرافة. فقد جاء على لسان (شبش ـ مشرى ـ شكّان) الذي اعتاد الباحثون على تسميته بـ(أيوب البابلي) ما يلي:

«إن مرضي يزداد ولا أجد العافية وتوسلتُ بإلهي إلا أنه لم يكترث لي وابتهلتُ إلى إلهتي ولكنها لم ترفع رأسها ولم يميّز العرّاف (بارو) الحالة ولم يفسّر مفسر الأحلام (سائيلو) وضعي الصحي من خلال تقديم النذور، وصليت لروح زاكيكو غير أنها لم تعطِ أي تعليمات ولم يبدّد الساحر (ماشماشو) الغضبَ الشديد عليّ، من أين تاتي الشرور في كل مكان؟ لقد أقلقت أعراض مرضي الماشماشو وحيّرت نذري البارو ولم يشخص الأشيبو طبيعة شكواي كما لم يصنع البارو موعداً لشفائي من المرض»(أوتس 1990: 276).

ويوضح لنا هذا النصّ مساهمة العرّاف (البارو) ومفسّر الأحلام (سائيلو) والعزّام (الأشيبو) وماسح الزيت (ماشماشو) جميعاً في محاولات إشفاء المريض. إضافة إلى

الطبيب السريري (الآسو).

هؤلاء الكهنة هم الأقرب إلى أداء العمليات والطقوس السحرية بصورة عامة، وأقربهم إلى الطبّ السحري وهو الأشيبو وكان هذا الساحر يصيح أثناء ممارسته لعمله قائلاً «الأشيبو الذي خُلق في أريدو، مدينة إيا المقدسة أنا هو ـ ثم ينطق بالكلمات الخاصة بالشعائر اللازمة لطرد العفاريت ويكون المعزم في هذه الحالة لابساً الرداء الأحمر لأنه اللون الواقي من الأرواح الشريرة كما قد يلبس جلداً يشبه السمكة ليؤكد صلته بـ(ايا) إله المياه والهاوية. أما الكلمات التي ينطق بها فلا يقوم بها ارتجالاً بل إنها وحي إلهه «(كونتينو 1979: 484).

ويقوم الأشيبو أثناء أدائه الطقوس السحرية بأعمال غريبة ويصدر أصواتاً غريبة أيضاً، كذلك يرسم أثناء هذه المراسم دوائر حول نفسه بالعصا السحرية ناطقاً بالكلمات الآتية «: بيدي أحمل دائرة سحر إيا، بيدي أحمل عصا الصنوبر، سلاح إيا المقدس، بيدي أحمل غصن شجرة الشعائر العظيمة (كونتينو1979: 485).



أعمال الطبيب البابلي وعلاقتها بالصلاة والسحر، ودواء الأعشاب

رابعاً: مظاهر التلازم بين الطب والسحر

أ. إيا: إله الطب والسحر

يبدو لنا تلازم الطب والسحر كبيراً في الوظيفة المكلف بها الإله (إيا) فهو إله الطب الأعلى، وهو إله السحر، في الوقت نفسه، ولو نظرنا ملياً في الثالوث الإلهي الأكبر عند السومريين المكوّن من (آن، وإنليل، وإنكي) لرأينا أنه ينحدر أصلاً من إلهة الماء الأزلية (نمّو أو نامو) وهي الإلهة الهيولية الأولى والأقدم وإلهة العماء التي تقابلها بابلياً الإلهة (تيامت) ومياه العمق (أبسو) وبذلك تستمر صلة الماء من (نمّو) إلى (أبسو) إلى (إيا) لأن الماء هو مادة الطب والسحر معاً.وتخبرنا الأساطير بأن الإلهين (آن وإنليل) هما الإلهان اللذان لا يودّان الإنسان كثيراً.

ولذلك نرى أن الأغلبية من شياطين العالم الأسفل، الشريرة منها بشكل خاص، من نسلهما أو تحت إمرتهما، وكانوا يستلمون الأوامر بمهاجمة الإنسان وإحداث الأمراض فيه عقاباً له.

وكان الإله إنليل، بشكل خاص، أكثر أهمية من الإله (آنو) لعلاقته بحياة البشر وعلاقته بالعالم الأسفل، بشكل مباشر، وذلك لما كان يتمتع به من قوة شكيمةٍ وغضبٍ، ولما له من أثر في الرياح والأمطار وما يتصل بهما.

أما الإله إنكي (إيا) فكان يحبّ الإنسان لأنه صنعه من الطين، وهو الإله الذي أنقذه من الطوفان ومنحه الحكمة، وهو الإله الشافي، ولذلك فإنه كان يسعى للإنسان بالسحر لنيل ما يريده ومن نسل إنكي انحدر آلهة علويون ساعدوا الإنسان على تنظيم الكون كالإله مردوخ والذي أوكل السحر له أيضاً. ومن نسله عُرفوا باسم (طحال إيا) وكانوا يساعدون في الشفاء، وكان الإله إيا مصدر فنون السحر الوقائي والتعاويذ التي يعتمد عليها الكهنة في دفع الأذى الذي تلحقه بهم القوى العدوانية التي تفوق قواهم، لذلك كان إيا أيضاً هو الإله الذي يرعى مختلف المراتب الكهنوتية

التي تدربت على ممارسة التعزيم وطرد الأرواح الشريرة ومعرفة الرقى والتعاويذ وتفسير الأحلام وقراءة الطالع (هوك 1978: 44).



الإله إيا، إله الماء والطب والسحر والحكمة وهو يتجول في مركب في مياه الأهوار

ب. الطبيب الساحر مثل إيا:

يبدو تلازم الطب والسحر تلازماً قوياً ويصبح كاهن الأشيبو المعزم والساحر معالجاً لجوهر المرض الذي هو جوهر روحي فهو الوسيط بين الإله والإنسان المريض من جهة، والعارف بالمسببات الشيطانية التي سببت المرض، ولذلك فإنه يتوسط عند الآلهة لتنهر أو تزيل هذه المسببات.

أما الآسو فكان الطبيب الفعلي المعالج للأعراض الجسدية أو لمظاهر المرض الجسدية ذات الجوهر الإلهي. ولأن الجوهر والمظهر متلازمان فإن الأشيبو والآسو كانا متلازمين في عملهما.

يحاول الأشيبو تحديد الشيطان أو العفاريت التي تسببت في ذلك المرض، وبعدها يتعرف على الإثم أو الخطيئة التي كانت السبب في مهاجمة الشيطان للمريض.

وتبدو عملية التعرف على الخطيئة والشيطان أمراً مهماً وذلك «بقراءة جداول الآثام لعلّ المريض اقترف بعضاً منها عمداً أو سهواً، وما ان يشخّص الذنب موضوع البحث حتى يتمكن الأشيبو من قهر العفريت الذي استغل الذنب لكى يحلّ في جسم المريض، أما إذا كانت أعراض الحال معروفة جيداً من قبل فإن العفريت يعرف أنه سيشخص بسرعة وتستعمل في مثل هذه الحالة طريقة علاج تلقى القبول بصورة تدريجية وتوازى هذه الطريقة التعويذات وباستطاعتها صد هجمات العفاريت كما أنها تكون مصممة لتجبرها على أن تترك المريض»(كونتينو1979: 448).

ويبدأ علاج المرض من ذهاب الأشيبو (المعزّم) أو البارو (العرّاف) إلى بيت المريض لرصد الجو ما بعد الطبيعي، كما يسميه لابات، أي أن العرافة تسبق السحر هنا، لأن الكاهن وهو يتجه إلى بيت المريض يرصد الأشياء التي في طريقه ويعتبرها فألاً حسناً أو ضاراً ثم «يبدأ تشخيص الشيطان ثم تشخيص الذنب ثم يقوم الأشيبو بحزّ حنجرة المريض بخنجرٍ من خشب وقطع حنجرة الجدي بخنجرٍ من نحاسٍ ثم يلبسون الجدى ثياب المريض ويروحون يندبونه كما يندبون الميت ثم تقرب قرابين مأتمية لأريشكيجال إلهة العالم الأسفل بينما يقوم الكاهن بتلاوة تعويذة (الأخ الأكبر أخوه) ويريدون بالأخ الأكبر: تموز وعندئذ يسترد المريض عافيته. إن هذا الطقس مثال على عنصر هام في الديانة البابلية وأعنى به مبدأ (الفوهو) أو (البديل) فالجدي وهو رمز تموز يصبح (بدلاً) من المريض» (هوك 1978: 83)..

وهكذا تتضح لنا صورة ارتباط الطب والأمراض بالعالم السفلي تماماً، ونكاد نقول إن الاصابة بالمرض هي نوع من السقوط المؤقت في العالم السفلي وهجوم شياطينه على الإنسان وتقييدهم له. ولن يشفيه إلاّ معرفة نوع هؤلاء الشياطين والذنب الذي ارتكبه، ثم توسلهم وتوسل الإلهة وتقديم بديل عنه ليذهب إلى العالم الأسفل (ومن هنا جاء مبدأ الأضحية والنذر) وعندما يكتمل هذا يتم إطلاق سراحه وخروجه من العالم الأسفل. وهذا المبدأ يجعلنا نتاكد من أن المرض عند العراقيين القدماء هو نوع من العقاب الإلهي والنزول المؤقت، أو الدائم (في حالة الموت)، إلى العالم الأسفل..

بدليل أن المريض المشفوع له من قبل الأشيبو هو الأخ الأصغر للإله المعاقب (تموز) الذي يسكن العالم الاسفل.

ج. الأمراض العقلية والنفسية والسحر:

إن ارتباط السحر بالطب يظهر لنا على درجات في مختلف الأمراض، كما أن مراحل الحضارة الرافدينية من السومرية إلى الأكدية والبابلية والآشورية أظهرت فهماً مختلفاً للعلاقة بين السحر والطب وعلى درجات أيضاً كما رأينا. لكن مما لا شك فيه أن المرض الذي يتجسّد فيه السحر خالصاً في الإنسان إنما يتجسد في الأمراض النفسية والعقلية.. حيث نرى ذروة تجليات السحر في الطب. ويبدو أننا ما زلنا نلمس، حتى يومنا هذا، العلاقة الشديدة بين الطب النفسي والعلاج الروحي، حيث ما زال العلاج الروحي ناجحاً إلى حد كبير في التعامل مع بعض الأمراض النفسية خصوصاً إذا اعتقد المريض به، بغضّ النظر عن العلاج العلمي.

اهتم العراقيون بالطب النفسي، وخصصوا له بعض النصوص الـ(مقلو Maqlu وتعتمد المعالجة النفسية على مبدأين أساسيين هامين هما مبدأ الإيهام ومبدأ الشعور بالاضطهاد.

1.مبدأ الإيهام:

يقوم الأشيبو بإلقاء اللوم لا على الشيطان المسبب للمرض أو الساحر الذي قام بفعل الأذى بالمريض، بل على أشياء أخرى لا علاقه لها مثل الأحجار أو الأشجار وغيرها، ثم يجعل المريض واثقاً من نفسه ويتكلم بطريقةٍ توحي بقوته وأذاه المقابل لأي ساحر يعمل السحر الأسود، إنه يوهمه بالقوة رغم مرضه، إن نص المقلو الآتي يعطي هذا المفهوم. يقول المريض مخاطباً ساحر الكشفو (السحرالأسود): يا قحف، يا جرة الطريق، لماذا أنت ناصب العداء لي؟ ثم يخاطبه المريض بعبارات الثقة (وهنا في هذا النص يخاطب الساحرة). أنا شوكة الشوك لا تطئيني، أنا ذنب العقرب فلا تمسكيني،

أنا جبل وعر فاحذريني لأن السحر وأعمال الشر والتعاويذ لا تقترب مني. ويبدأ المريض بالتوهم بالقوة، ويظن بأن الساحرة التي استخدمها عدوه ضده سوف تخاف منه الآن، ثم يأخذ المريض بمخاطبة الساحرة التي سحرته: إن الساحرات جعلتني أتناول طعاماً مسحوراً، إن الساحرات جعلتني أشرب ماءً مسحوراً، إن الساحرات غسلتني في ماء قذر، إن الساحرات دهنني برحيق من أدوية شريرة.

2) مبدأ الشعور بالإضطهاد:

يشعر المريض بالاضطهاد وبأن الإله أو الملك أو أصحاب السلطة غاضبون عليه، وأن من حوله لا عمل لهم سوى إشاعه الأخبار الرديئة عنه، ويتم علاج المريض بإزالة هذا الشعور وإعادة الثقة إلى نفسه.

والشعور بالاضطهاد «يجعل المريض مزدرى من قبل مجتمعه، ولأن ربه وربته غاضبان عليه، وتراه خائفا على الدوام ويتفجر أحياناً في نوبات شديدة من الغضب ضد ربّه أو ربّته، وأن عائلته لا تُحسن معاملته وأن الإله والملك وكبار البلد لا يحسنون معاملته ولا ينصفونه، ثم يذهب النص إلى الكلام عن حالته الجسمانية وكيف أنه عرضه للشلل. وتغير عيناه لونهما من أحمر إلى أصفر وأسود وليس لديه رغبة نحو الجنس (الأحمد 1974).

أما أهم الأمراض العقلية والعصبية التي ترد مرتبطة بالسحر فهو الصرع حيث يوصف بأن سببه عفاريت الكَالا (الكَالو) وجاءت أسماء هذا المرض معبرة عن أسماء شياطين مثل (نيديتو، أطيمو، مورتا، بيرو) أما التشنجات العصبية الهستيرية فكانوا يطلقون عليها اسماً سحرياً هو (قبضة الشياطين)، «فالجن والعفاريت إذن هم أسباب مثل هذه الأمراض التي تعامل كغيرها من الأمراض سحرياً. وكانت العين الحسود واحدة من الأمراض النفسية التي كانوا يعتقدون بها حيث يرى رينيه لابات أن هؤلاء الأطباء كانوا يؤمنون كغيرهم في ذلك العصر بالعين الحسود أو الشعوذة واعتقد الطبيب أيضاً بأن عالماً دون آلهةٍ غير ممكن إدراكه وكان في بعض الأحيان يشكر

هذه الآلهة لشفائها أحد مرضاه، وكان كذلك يعد طبيعياً أن يرسل الملك مع الطبيب أحد رجاله ليقوم بوظيفة إخراج الجنّ من الجسم»(لابات 1986: 196).

د. الشياطين: الجراثيم السحرية:

إن أفضل صورة سحرية يقدمها علم المسببات المرضية (Etiology) في الطب العراقي القديم هي ذلك الاعتقاد الصارم بأن أسباب الأمراض إنما تنتج عن دخول الشياطين (التي تسبب الأمراض) إلى جسم المريض.. ويناظر هذه الصورة ما نجده في الطب الحديث حيث تدخل الجراثيم أو الأحياء المجهرية إلى جسم الإنسان مسببة له الأمراض وتشمل هذه الأحياء المجهرية من البكتريا Bacteria، الفايروسات Viruses، الفطريات Fungi وهذه الأحياء لا تُرى بالعين المجردة مثلها مثل الشياطين التي لا تُرى. وبذلك يمكننا أن نصف هذه الشياطين بأنها جراثيم أو مكروبات سحرية Magic Microbs، حيث اعتقد الإنسان العراقي القديم بأنها سبب الأمراض واللعنات الجسدية والروحية والعقلية، وأن أبرز ما يميز السايكولوجية الدينية في أرض الرافدين، فيما يتعلق بالشياطين، هو أنه كان يُنظر إلى الإنسان على أنه عاصم له منها فعلاً، فحتى المرء الذي يحيا حياة طاهرة ولا يسيء إلى إله من الآلهة يمكن دائماً أن يقع فريسة لمكائد ساحر شرير، أو أن يتصل عن غير قصد بكائن أو شيء نجسٍ فالإنسان يمكن أن يكون ضحية بريئة لقوى شريرة (موسكاتي د.ت: 76-77).

فالخطيئة إذن هي بداية الطريق الذي يدخل فيه الشيطان إلى جسد الإنسان وكانت الخطيئة على أنواع مثل إهمال الطقوس الدينية والسرقة والقتل وكانت جميعها تغضب الإله، أي أن الخطايا الدينية والأخلاقية كانت سبباً لغضب الآلهة التي تأمر الشياطين المختصّة باجتياح جسد الإنسان أو روحه أو عقله وتخريبها وإحداث المرض، لأنها ما أن تدخل جسد الإنسان حتى يعلن وجودها فيه عن نفسه بظواهر كريهة مختلفة «كالأصوات التي تتردد في البيت ولفحات الريح والرؤى المفزعة

ولكن كان المرض أشيع مظهر لوجود الشيطان في جسم الإنسان. وربما كان الشيطان الحمي أهول الشياطين عند أهل الرافدين وكان له رأس أسد وأسنان حمار وأطراف نمر أرقط، وكان صوته كصوت النمر الأرقط والأسد وكان يمسك بيديه أفاعٍ هائلةٍ وكان كلب أسود وخنزير يداعبان ثدييه. وهكذا كان المريض صاحب إثم، وكان مرضه راجعاً إلى وجود شيطان في جسمه» (موسكاتي د.ت: 77)..

وإذا كنا قد عرفنا بأن الآلهة كائنات مضيئة ونورانية، فإن الشياطين كائنات لا ترى، أو أنها يمكن أن تتشكل في أية صورة ولها القدرة على النفاذ إلى أي جسمٍ والحركة دون أن تُرى. وإذا كانت السماء والمعابد أمكنة الآلهة فإن الشياطين تفضّل عامة الأماكن المهجورة المظلمة والخرائب والقبور والأماكن التي تبعث على الرهبة رغم أنها تسكن أساساً في العالم الأسفل ولكنها على الأرض تدلل على وجودها بأصوات حيوانية تبعث على الفزع الشديد. وأهم شياطين المرض في بابل هما لامشتو وبازوزو.

خامساً: مكتبة أوروك الطبية في بابل

لقد اتخذ رجال عائلة «شانغو-نيتورتا» في أوروك 420 ق.م التسمية المهنية «آشيبو» وهو الطبيب الروحي وطارد الأرواح الشريرة والكاهن والمعالج. وقد اكتشف علماء الآثار في منزله مكتبة مكوّنة من حوالي 400 لوحة طينية مخزونة في جرار كبيرة في إحدى الغرف الخلفية للمنزل، بالإضافة إلى عدد كبير من الوثائق المنزلية. وتخبرنا هذه الاكتشافات أن محتويات المكتبة تضم (30 % من الألواح الطبية ذات الطبيعة العلمية في التشريح والعلاج، و20% من الألواح السحرية الخاصة بالتعاويذ الطبية وغيرها، و12% من التراتيل والأعمال الأدبية وقوائم المفردات المعجمية، 19 منها تعاويذ العرافة بمختلف أنواعها وخصوصاً عرافة أحشاء الحيوانات، 12% في الفلك والتنجيم، 7% منها لم تحدد طبيعتها بدقة).

من الطقوس والتعاويذ ضدّ تأثير «لاماشتو» التي كانت مخزونة في المكتبة ينطق الـ«آشيبو» بالكلمات التالية نيابة عن إحدى النساء التي أجهضت:

«أصبحت حاملاً (غير أنني) لم أضع بسلامة؛ وضعت (ولكنني) لم ألد. ليشفعْ لي هو الذي يُسترضى،ُنجبْ أنا إنجاباً طبيعياً ولأكنْ على استعداد! أنا من يقعد عند فلْتلقحْني(؟) كلماته الموفِّقة تلك! فلأ البيت.» يُنطَقُ بهذه الكلمات ثلاث مرات فتُصبّ الجعة ذات الجودة العالية مع طحين الحبوب المحمَّرة أمام «شمش»؛ فيوضَع الخروف الـ «بوقامو» الذي تجلسه هي في حضنها فيرضع ثديها؛ كما توضع في داخل أحد القوارب دمية لابنة الإله «آنو» وما عدا ذلك مما أحضرتموه؛ فيُعبَر (بالقارب) إلى ضفة النهر المقابلة؛ وتحاط (المرأة) بدائرة سحرية ويُقرأ عليها التعويذ التالي: الجبال والأنهار، والبحار والحجارة الضخمة، والسماء والأرض؛ فالإله...الذي كان أبوه الإله... » . ترجمة حسب، (M.-F. Besnier المرجع: ول SpTU 3, 84)

سادساً: وصفات طبية نادرة

هناك الكثير من الوصفات الطبية النادرة التي لفتت انتباهنا في الطب البابلي ومنها علاج الصلع الذي كان يسمى في الأكدية كورودو أو جرودو (qurrudu، gurrudu)، والتي توحي بمعنى (الأجرد)، وكان تساقط الشعر يسمى بالأكدية سيايو sajaju، التي تقترب من كلمة حصّ العربية أي سقط شعره، وهذا نموذج من إحدى الوصفات الطبية لعلاج الشعر:

1. «إذا عانى رجل من تساقط شعر رأسه (يغلى نبات الخروع ونبات العوسج في الماء الساخن ويغسل به رأسه، ثم يخلط بذر شجر الطرفة ونبات السورنجان وبذر نبات (.....) ونبات عصا الراعي وقشر بيض النعام، وتسحق هذه المواد وتصفَى، ثم تخلط في الزيت النباتي ويمسح رأسه بها وسوف يتوقف سقوط الشعر.

2. إذا عانى رجل من سقوط شعر رأسه من تأثير الإصابة بارتفاع درجة الحرارة والمرض، يحلق رأسه وبعدها يأخذ شيقل واحد من روث طائر الخفاش ويخلط في الزيت النباتي ثم يدهن به رأسه وسوف يشفى تساقط شعره.

3. إذا أصيب رأس رجل بالصلع يوضع نبات الرشاد على رأسه ويضمد، ولا يفتح لمدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع يحلق رأسه ويغسل بنبات القلى ذو القرون وبعدها يدهن بزيت شجر الأرز وكذلك يؤخذ شجر السرو ويسحق ويخلط في زيت شجر الأرز ويدهن به لمدة ثلاثة أيام وسوف يشفى.

4 ـ إذا أصيب رأس رجل بالصلع، يسحق نبات الرشاد ويوضع على رأسه ثم يغسل رأسه بنبات القلى ذي القرون والماء وبعدها يدهن بالزيت النباتي.» (سليمان 2010: 3 ـ 4).

سادساً: العلوم المساعدة في الطب البابلي

1.الصيدلة

تطوَّرت الصيدلة أثناء في بابل وعثر علماء الآثار على كثيرٍ من الوثائق الطبِّيَّة اشتملت على ثلاث مجموعات من البيانات:

المجموعة الأولى: قوائم من الأعشاب الطبِّيَّة، وهي مرتَّبةٌ على ثلاثة أعمدة؛ في الأول اسم العشب، والثاني اسم المريض الذي يُعالَج بهذا العشب، والثالث طريقة استعماله. والملاحظة المهمَّة في هذا النص هي أنَّ الأمراض كانت فسيولوجيَّة سريريَّة وليست ظاهرة سحريَّة.

المجموعة الثانية: مجموعة من الوصفات العلاجيَّة المختلفة، مرتَّبةٌ حسب الجزء المريض من الجسم، وهي -أيضاً ـ مرتبةٌ على ثلاثة أقسامٍ أساسيَّة:

سرد أعراض المرض وأحياناً تشخيصه. الأدوية التي يجب استعمالها وطريقة تحضيرها وإعطائها للمريض. نتيجة العلاج.

المجموعة الثالثة: مناقشة تشخيص الأمراض والتنبُّؤ بسيرها.

تشمل المواد الطبية المستخدمة في علاج هذه الأمراض قائمة طويلة من الخضروات والمواد المعدنية والحيوانية، والتي يتعذر تحديد معظمها. طريقة الاستخدام المتكرر، بعد التحضير الخاص، كانت عن طريق التطبيق المباشر للجزء المصاب، أو عن طريق الربط به. الطريقة الأكثر شيوعاً للإعطاء كانت عن طريق الفم، وأحياناً عن طريق تحميلة المستقيم.

الأدوية العشبية وغيرها من المستحضرات الصيدلانية كانت أدوات تستخدم في كل مكان من قبل الأطباء آسو في بلاد ما بين النهرين القديمة. من المرجح أن تستند بعض العلاجات.

اكتشف تجريبياً خصائص المكونات المستخدمة، في حين أن البعض الآخر كان أقل أساساً في الفعالية وأكثر استناداً إلى إسناد الخرافات أو الصفات الرمزية.

كانت الأدوية تأتي من مصادر حيوانية (الحليب، جلد الثعبان، درع السلحفاة) ونباتية (الزعتر والصفصاف والكمثرى والتين والتنوب)، ومعدنية (كلوريد الصوديوم (الملح)، نترات البوتاسيوم (الملح)

في القائمة البابلية الدوائية تظهر مجموعة مميزة من النباتات مثل النعناع ومستخلص الأرز والتمر

وهناك مثال يوضح الضرر الذي يصيب الوجه وخصوصية المكونات لعلاجه، وهو نموذجي لنص دوائي في بلاد ما بين النهرين: «إذا كان الرجل مريضاً بضربة على الخد: اربط معاً تنوب التربنتين، الصنوبر، زيت التربنتين، الطرفاء، ديزي، الطحين تخلط في الحليب والبيرة في مقلاة نحاسية صغيرة، وتفرش على الجلد.

مكونات العلاجات البابلية، استناداً إلى بعض الألواح الطينية تتكون من أكثر من 250 نباتاً طبياً، 120 مادة معدنية.وقد تم استخدام 180 دواءً آخر في تركيبة مع

المشروبات الكحولية، البويلون، الدهون والعسل والحليب في مختلف الأشكال والزيوت والشمع وأجزاء ومنتجات الحيوانات.

على المدى الطويل، ظهرت الضمادات الأفضل، ومن المثير أن نشاهد ولادة المطهرات الأولى مثل الكحول والعسل والمر.

2.الفسلجة

لا يوجد أي مؤشر واضح على أن الطبيب يعرف أي شيء عن الطبيعة الحقيقية للأمراض التي يصادفها، إلا في الحالات الأكثر وضوحاً، وظيفة الأعضاء المتأثرة. من بين القائمة الطويلة من العلاجات المتاحة، قد تكون مفيدة، مثل زيت للأطراف الصلبة، أو الحليب لمشاكل في المعدة، بطرس الملح وقشر نعام محطم لحصى الكلى، ولكن بعض العلاجات المستخدمة لا قيمة لها على الإطلاق. قد يكون هذا قد تحقق في ذلك الوقت كما يتضح من اللامبالاة الظاهرة التي انتقل بها الطبيب من خلال قائمة طويلة من الأدوية، وانتقل من واحد إلى آخر لنفس المرض.

3.علم الأمراض

على الرغم من أن هذه الألواح قد كشفت عن مجموعة واسعة من الأمراض التي لوحظت وقائمة واسعة من الأعشاب والمعادن في دستور الأدوية، إلا أنه لم يكن هناك جهد منهجي لمعرفة جسم الإنسان؛ ولم يكن هناك أي اعتبار عقلاني للمرض. كانت أسباب المرض وعمل العلاجات، كما تصورها الطبيب، متشابكة للغاية مع الإيمان بالقوى الخارقة للطبيعة، بحيث الفهم العقلاني لأعضاء ووظائف جسم الإنسان، سواء كان مريضاً أو بخير، أو عند إجراء العلاجات وتطبيقها، لم يكن من المحتمل أو حتى ممكن. من الواضح أن الطب الشعبي البدائي، بكل خرافاته، سيطر تماماً على التعليم الطبي للبابليين القدماء، تماماً كما خنقت هذه الخرافات نظرتهم العامة إلى العالم الطبيعي.

المعرفة البابلية القديمة في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الأمراض كانت محدودة، وفي ظل هذه الظروف لا يمكن القول إن مساهمة الطب البابلي في العلوم الطبية اللاحقة مهمة. بالإضافة إلى ذلك، هناك القليل أو لا يوجد دليل على التقاطع الثقافي في الحضارات الأخرى ـ باستثناء ربما الهند.

انظر:

Frahm، E. 2011. Babylonian and Assyrian Text Commentaries، Origins of Interpretation. Münster: Ugarit.

Geller، M. 2010. Ancient Babylonian Medicine، Theory and Practice. Chichester (GB) & Malden، Mass: Wiley-Blackwell.

Labat، R. 1961. A propos de la fumigation dans la médecine assyrienne. Revue d’assyrologie et d’archéologie orientale 55: 152-153.

Berrios GE. The history of mental symptoms: descriptive psychopathology since the nineteenth century، 1996CambridgeCambridge University Press

Berrios GE، Porter R. A history of clinical psychiatry: the origin and history of psychiatric disorders، 1995LondonThe Athlone Press

Biggs RD. Medicine in ancient Mesopotamia، Hist Sci، 1969، vol. 8 (pg. 94-105).

Scurlock JA، Andersen B. Diagnoses in Assyrian and Babylonian Medicine، ChampaignUniversity of Illinois Press(2005).

المبحث السادس: الكيمياء البابلية

أولاً: كيمياء المعادن والأحجار

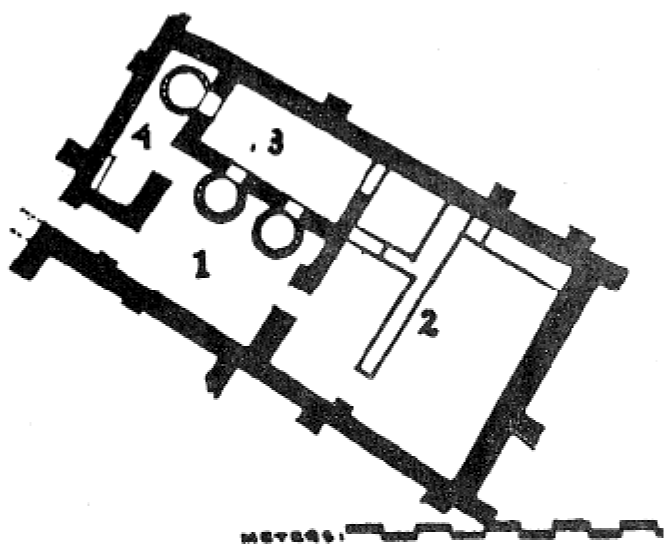
كان الإله إيا، إله المعرفة والعلوم، هو المسؤول، دينياً، عن الصناعات المعدنية واستخراج المعادن، وكان الذهب يُنسب، بوجه خاص، للإله إنليل.والرجل الصائغ أو المتخصص بصناعة الفضة والذهب يسمى (كوديم، كوديمو) وهي كلمة مأخوذة من السومرية (كو ـ دم)

البرونز: البرونز معدن خليط من النحاس 90% والقصدير10%، ويرى الباحثون أن أقدم الآثار الدالة على ظهور هذا الخليط حصل في العراق القديم مبكراً ومنه انتشر إلى الشرق الأدنى وأوربا.

ظهر البرونز، لأول مرة، في أسرة أور الأولى حوالي 2500 ق.م وفي المقبرة الملكية في أور ولكن المصنوعات البرونزية من الأسلحة كانت تحتوي على نسب قليلة من القصدير، وفي العصر السومري الحديث (جوديا في لجش وسلالة أور الثالثة) صنع على شكل سبيكة مع حجر الكحل (معدن على شكل صخر هش لامع يحتوي على نسب عالية من الرصاص) يتكوّن من طبقات ومع القصدير أحياناً.

كان النحاس موجوداً في أعالي النهرين، ولم يكن القصدير متوفراً في وادي الرافدين ولذلك توجّب استيراده وتوجد رواسبه وخاماته في جبال أرمينيا والأناضول وزاجروس وعيلام، وكانت عمليات صهر متتالية تجري للمعدنين لتنقيتهما في ما يعرف بالكور الخاصة بالصهر.

«ولم تكن الكور السومرية والعراقية القديمة بشكل عام وخاصة تلك التي تستخدم الخشب أو الحطب كافية لإيصال الحرارة إلى مثل هذه الدرجات ولهذا فقد كانت تذكر عمليات النفخ اللازمة لإتمام عملية إيصال الحرارة إلى الدرجة اللازمة لعملية الصهر وكانت هذه العملية مألوفة حين استخدام الفعل (نَفَخَ) وذلك بأسلوبين: النفخ بواسطة المنفاخ الجلدي المزود بأنابيب فخارية. والنفخ بواسطة الفم وذلك من أجل تزويد النار بالمزيد من الأوكسجين اللازم للاشتعال ومن ثم رفع درجة الحرارة. وتذكر كميات من نواة التمر كانت مجهزة لتوضع فوق المعدن لغرض تصعيد درجة الحرارة. وكانت تعرف نماذج متنوعة للبودقات المخصصة لمثل هذه العمليات ومنها المصنوعة من الطين. كذلك تذكر نصوص أخرى كميات الفحم النباتي المجهزة لإتمام عمليات الصهر وتفيد هذه المادة للحيلولة دون التأكسد علماً أن عملية الاختزال كانت معروفة منذ الألف الثالث قبل الميلاد.» (الجادر، حضارة العراق ج2: 249).



ورشة تعدين تحتوي على كور ومرافق من بينها مخازن من مدينة لارسا (سنكرة)

الجادر، حضارة العراق ج2: 248

الذهب: استخدم لأدوات الزينة وللتماثيل الصغيرة وفي الفنون، جيء به من مناطق الأناضول ومصر وملوخا (السند) ومناطق خاخوم إما على شكل تراب (تبر) يسمى بالأكدية (كوكشين) أو كمعدن أصفر يسمى (خراصو).

«ولقد اعتبر المعدنان الذهب والفضة من المعادن النبيلة التي استخدمت كمقياس لتقييم الأشياء وتحديد ما يقابلها من البضائع وتحددت أوزان الذهب مثل الفضة وذلك بوحدة الوزن المعروفة بالشيقل الذي يساوي 8.4 غرامات كما أسلفنا ذكر ذلك، والمعروف أن التسمية مشتقة من نفس الجذر الثلاثي الذي اشتقت منه كلمة مثقال في العربية، وكذلك بالحبة التي تكون من أجزاء الغرام الواحدة كما هو الحال في أوزانها اليوم.» (الجادر، حضارة العراق ج2: 252).

الفضة: خلت أرض النهرين من خامات الفضة ولذلك اضطر أهلها لاستيرادها من الأناضول بشكل خاص، وكانت هناك أنواع منها (النقية، المصقولة، الصلبة)، وأصبحت الفضة مادة للتداول التجاري، ووضعت بأوزان محددة وبأختام معينة لتكون وسيلة نقدية ثم وضعت عليها صور الآلهة حسب مصدر ملكيتها من قبل المعابد واقتربت من أن تكون نقوداً في العصرين الآشوري والكلدوي.

في العصر الكلدوي «كانت القيمة المقارنة لوحدة من الفضة، بالنسبة إلى مقادير المعادن الأخرى كما يلي: النحاس 180، الرصاص 40، الحديد الإيجيني (من قبرص) 140، الحديد (من لبنان) 361. (كونتينو: 166 ـ 167).

الحديد: كان الحديد هو المفضل في أغلب الصناعات بسبب صلابته، وخصوصاً في صناعة الأسلحة والأدوات، وكان اسمه بالسومرية (آن ـ بار) أي معدن السماء لاعتقادهم أنه يسقط من السماء مع النيازك، وسمي أيضاً (بار ـ جال) أي المعدن العظيم، وأسماء الآشوريين والبابليين (بار ـ زيلو).

أول نوع من الحديد استعمل في وادي الرافدين كان حديد النيازك الذي يحتوي على النيكل، ثم اكتشفوا مناجم الحديد التي كانت تحتوي على خامات الحديد وهي عبارة عن أكاسيد الحديد والهمتايت (خام الحديد الأحمر) وأوكسيد الحديد المائي الأصفر.

الإلكتروم: وقد توجد الفضة مسبوكة مع الذهب مكونة مادة تسمى إلكتروم. وهناك عدة طرق لفصلهما عن طريق تسخين الإلكتروم في بوتقة مع الملح العادي (كلوريد الصوديوم)، لعدة مرات، فستنفصل كلوريد الفضة التي ستطفو على الفلز المصهور ويبقى الذهب.

وهناك مواد أخرى كالدهان والصباغة ودبغة الجلود والزجاج كانت تشير إلى معرفة دقيقة بالكيمياء من قبل البابليين.

ثانياً: بطارية بغداد

بطارية بغداد البابلية الأصل هي البطارية الأولى التي عرفتها البشرية، وكانت في الأساس جرة من الطين بها أسطوانة نحاسية، ويحتمل أن تكون محاطة بعصير الليمون أو شيء من هذا القبيل. اكتشفت هذه القطع عام 1936 في قرية خوجوت رابه، قرب بغداد.

Khujut Rabuفي ‘(خوجوت رابه) وهي قرية في منطقة محلية إلى الجنوب الشرقي من بغداد، العراق، بالقرب من بلدة سلمان باك الحالية. أيضاً خوجوت رابوا. في العصور القديمة كان هذا الموقع من Ctesiphon وSeleucia على نهر دجلة. كانت هذه المنطقة عاصمة للحضارة البارثية. قدمت سلوقيا وطيسفون الحفريات الحديثة لهاتين المدينتين القديمتين العديد من القطع الأثرية من العصور القديمة.

أصبحت هذه القطع ذات أهمية كبرى في عام 1938، ولفتت «بطارية بغداد» أنظار عالم الآثار الألماني «ويلهالم كونيج» حين رآها بين قطع أثرية أخرى في أحد

صناديق المتحف الوطني العراقي، وبعد أن قام بتفحصها ودراستها بعناية، رجّح في عام 1940، أن تكون الجرة خلية لتوليد الكهرباء، بغرض طلاء الفضة بالذهب، وأنها تشبه في عملها خلايا جلفانية، وربما استخدمت في عملية الطلاء الكهربي لتحويل المواد الذهبية إلى فضية.

أشار كونيج أن البطارية يرجع تاريخها إلى الفترات پارثيا (250 ق.م-224م).، بينما رأى جون سمبسون أستاذ تأريخ الشرق الأدنى إلى أنها تعود إلى عهد الساسانيين (224-640م).

كان قد تم ختم وعاء الصلصال الذي يبلغ طوله 6 بوصات بالبيتومين وكان يحتوي على أسطوانة نحاسية تحيط بقضيب حديد. وقد تم العثور على عدد من العينات المماثلة. وقد أجريت تجارب توضح أن الوعاء، عندما يمتلئ بالكهرباء السائلة، يمكن أن يعمل كخلية كهروكيميائية. وقد تم التكهن بأن الخلايا قد تكون استخدمت لطلاء المعادن بالكهرباء بالدرجة الأساس.

تتكون البطارية من المكونات الآتية:

1. جرة من الطين الأصفر بطول 13 سم وبسعة (133 مللي متر) فخارية (حجم فم الجرة 1.5 إنج).

2. أسطوانة نحاسية، وهي تحيط بقضيب حديدي.موضوع فيها سائل من الليمون الحامض، وموصولة بالماء بأنبوب. مثبتة بعنق الوعاء بسبيكة من الرصاص والقصدير، في ما يشبه اللحام.

3. القضيب الحديدي الموضوع في داخل الأسطوانة النحاسية، وفي الأعلى ينفصل عنها بختم من القير أو الإسفلت.

وقد أجرى لاحقاً أحد مهندسي مختبرات شركة جنرال إلكتريك في بيتسفيلد بالولايات المتحدة، تجربة على نموذج لبطارية بغداد، استخدم في صنعه رسومات عالم الآثار الألماني «ويلهالم كونيج» التوضيحية، واستعان بكبريتات النحاس، وتمكن من توليد كهرباء بقوة 0.5 فولت.

وفي عام 1970، أجرى عالم ألماني آخر تجربة على نسخة طبق الأصل لجرة بغداد، وملأها بعصير العنب الطازج، وتمكن من توليد 0.87 فولت، وهي قوة كهربائية كافية لطلاء تمثال من الفضة بالذهب.

ودفع العلماء والمختصون بفرضيات عدة لحلّ لغز بطارية بغداد، منها أن جرّة الفخار مخصصة لحفظ لفائف ورق البردي، أو أنها تستخدم كوسيلة للعلاج بالإبر، بخاصة أنه تم العثور على إبر قرب مكان اكتشافها.

وتقول فرضية ثالثة عن بطارية بغداد: إنها صنعت خصيصاً لأجل ممارسة طقوس سحرية، وإن الكهنة ربما خبّؤوها داخل أصنامهم وتماثيلهم للترويج للآلهة، والإقناع بقوتها السحرية من خلال الدفء أو الوخز الخفيف الذي يشعرون بهما أثناء لمسها.

كل ذلك لم يحلّ لغز «بطارية بغداد» العجيبة التي سُرقت من المتحف الوطني العراقي مع آلاف القطع الأثرية الفريدة والمخطوطات النفيسة، في أثناء الغزو الأمريكي للعراق عام 2003.

الأسطوانة والقضيب مثبتان داخل الجرة التي بها نتوء في الوسط. عند العمل تمتلئ الجرة بالماء الذي يختلط بالحامض، ويمس القضيب الحديدي سيصيبها السائل. ويعمل مع أسطوانة النحاس كزوجين كهروكيميائيين. وهو ما جعل العلماء يعتقدون بأن المواد الحامضية (كالليمون والخل) كانت تستعمل للتفاعل الكهروكيميائي بين معدنين هما النحاس والحديد ففي حال ظهور أي كهرل (الإلكتروليت الذي هو أي مادة يحتوي على أيونات حرة تشكل وسطاً ناقلاً للكهرباء.)، فإن ذلك سينتج جهداً

كهربياً. وقد قام (كونيج) بفحص قطع فضية ووجد أنها مطلية بطبقة ذهبية خفيفة. وأوضح أن هذه القطع استخدمت خصيصاً للطلاء الكهروكيميائي..

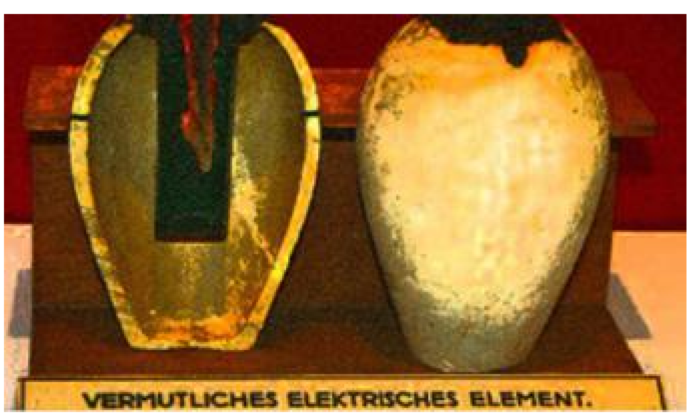
رأى علماء آخرون أنها ليست بطارية كهربائية بل أنها أوان تخزن فيها النصوص المقدسة بالقرب من سلوقية بالقرب من دجلة، ليس هناك شبه بينها لكنها متشابهة نسبياً. وبما أنه قد ذكر تعرضها للمناخ، فإنه ليس من المستغرب تعفن ورق البردي أو أوراق الكتابة، تاركاً بذلك أثراً عضوياً حامضياً. لكنهم لم يفسروا وجود معدنين في كل تلك الجرار وبهذا التصميم المتقن!!

انظر:

König، Wilhelm (1938): Ein Galvanisches Element aus der .Partherzeit?، Forschungen und Fortschritte، 14: 8–9. (pdf)

König، Wilhelm (1939): Im Verlorenen Paradies-Neun Jahre Irak، pp. .166-68، Munich and Vienna

Haughton، Brian (26 December 2006). Hidden History: Lost Civilizations، Secret Knowledge، and Ancient Mysteries. Red .via Google Books ـ Wheel/Weiser



صورة مباشرة لبطارية بغداد الأثرية

• القسم الثاني: العلوم الإنسانية

المبحث الأول: التأريخ والحضارة

أولاً: التأريخ عند البابليين

كلمة تاريخ العربية مشتقة من كلمة أرخو ووارخو الأكدية Arhu (Warhu)، التي تعني (شهر، أول الشهر، قمر جديد، قمر) وكان القمر في الأكدية يسمى (أرخو) لأن التقويم الأكدي والبابلي كان تقويماً قمرياً، والأشهر البابلية كانت قمرية، ولهذا استعمل (أرخ) مقياساً للزمن.

وكان الاسم الآخر للقمر (سين) هو (أرخو) و(ورخ) وكلها لها علاقة بالزمن والتأريخ.. والأكديون استخدموا هذه الكلمة للتعبير عن التأريخ وهو تدوين الأحداث.

لا بد من الإشارة إلى خطأ التداول الذي يقول إن هيرودوت هو أول من استعمل كلمة (تأريخ History)، في القرن الرابع قبل الميلاد وهو تأريخ متآخر جداً عما وضعته الشعوب الشرقية القديمة من مدونات تأريخية كثيرة، فقد سبقه الأكديون والبابليون بألفي سنة تقريباً، وحتى كلمة (History)، لها علاقة بالبابليين فهي مكونة من مقطعين هما (Hi، Story) الأول يشير إلى التعريف أو الإشارة، والثاني (ستوري) معناه (قصة) وفي ألفاظه نجد كلمة (عشتار، أستار، ستار) وهي كلمة بابلية تشير إلى الإلهة عشتار إلهة الحب والجمال التي اشتق من اسمها (أسطورة) أيضاً، فحكايات عشتار كانت تعبر عن حكايات وأحداث الماضي البعيد.

«ومن الجدير بالذكر أن كلمة الذكر (بكسر الذال) وردت في النقائش المسمارية باللغة الأكدية بصيغة «زكزو (Zikzu) أو زكارو (Zikaru) بمعنى دعا، أما البابليون فقد عبروا عن أهمية خلود الذكر وبلفظ (دارو) (Daru) في اللغة البابلية ويقابلها كلمة

«دهر» بالعربية بمعنى الأبد أو الزمن، ومن مشتقات الكلمة في البابلية (داروتي) (Daruti) بمعنى (أبدية)، إننا نجد مفهوم المصطلحات وبعض الكتابات الكتابات، وكأن سكان بلاد وادي الرافدين يدركون تماماً ما يعنيه مصطلح الحس التاريخي من مفهوم للأجيال المتعاقبة. ولفهم هذا الحس وطريقة تدوينه لا بد من ذكر أمثلة مهمة على ذلك، ففي ملحمة جلجامش ومنذ أول سطورها نقرأ:

«هو الذي رأى كل شيء فغنى بذكره يا بلادي،

وهو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها،

وهو الحكيم العارف بكل شيء:

لقد أبصر الاسرار وكشف عن الخفايا،

وجاء بأنباء ما قبل الطوفان،

لقد سلك أسفاراً بعيدة متقلباً ما بين التعب والراحة،

فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره» (عبد الكريم 2014: 10 ـ 11).

دوّن البابليون، على غرار ما فعله السومريون، أحداثهم وأسماء ملوكهم بدقة، وحسبوا تواريخ ملكهم بطرق مختلفة، وطالبوا من يأتي في الزمن القادم بعدم تغيير أو تحريف مدوناتهم هذه لأن اللعنات والكوارث ستصيبهم.

أهم المدونات التي كانت مصادر للتدوين التأريخي عند البابليين هي:

1. نصوص الحوليات (Annals) الملكية التي تدون الأحدث عاماً بعد عام.

2. قوائم وإثباتات الملوك.

3. ألواح الأخبار (Chronicles).

4. أحجار الكودورو (الحدود) وما كتب عليها من مواثيق وأحداث.

5. نصوص التنجيم والعرافة والفلك التي تتضمن تواريخ مهمة كانت عوناً لتضبيط الأحداث وتكريس الملوك والأمراء.

6. الرسائل الملكية وخصوصاً تلك التي تتحدث عن المعارك والحروب وحركة الجيوش والانتصارات والهزائم.

كانت كتابة التأريخ تمضي في شتى الحقول وليس في حقل الأحداث الساسية والعسكرية، فقد وجد الآثاريون أن مخططات الأبنية السابقة كانت تبقى ثابتة في العصور التي تليها، وأن هناك الكثير من المعابد، على سبيل المثال، احتفظت بمخططاتها نفسها عندما كان يُعاد بناؤها وترميمها، وهذا يدل على تدوين وحفظ هذه المخططات وأوصافها.

«ومن جانب آخر تشير الأدلة المادية المكتشفة إلى أن نقل وتسجيل الأحداث التاريخية في وقت حدوثها والتي تعرف اليوم بالبث المباشر، هي من بين الكنوز الخالدة والمتمثلة بتدوين التاريخ للإعلامي العراقي القديم. ومن الأمثلة على ذلك مشهد منحوت لمسلة من الحجر عثر عليها في مدينة «عنه» غرب العراق، وهي تظهر كاتباً يخلّد ويسجل أحداث ووقائع معركة حربية يشاهدها بنفسه كجزء من التدوين التاريخي للأحداث.» (عبد الكريم 2014: 12 ـ 13).



مسلة من الحجر عثرعليها في مدينة عنه غرب العراق وهي تظهر كاتباً يخلّد ويسجل أحداث ووقائع معركة حربية، واللوحة الحجرية من مقتنيات المتحف العراقي.

«وخلف لنا الكتبة البابليون، نوعاً آخر من المدونات التاريخية المعروفة بكتب الأخبار Chronicles أمدتنا هذه الكتب بمعلومات لأحداث هامة يعود قسم منها إلى القرن الثامن عشر ق.م. أما أحداثها فتصل بنا إلى العهد السلوقي، وطريقة هذه الكتب الإخبارية في تدوين الحوادث، هي ذكرها عاماً بعد عام، على غرار ما عمل به المؤرخون اليونان والرومان والعرب. وتجدر الإشارة إلى اهتمام العديد من الباحثين الأوربيين بهذا الموضوع ومنهم وايدنر Weidner وجاد Gadd ووايزمن Wiseman وجريسون Grayson وقد جمع الأخير كل النصوص الخاصة بكتب الأخبار الآشورية والبابلية ونشرها في كتابه الموسوم Assyrian and Babylonian Chronicles سنة 1975.» (الراوي، حضارة العراق ج2: 278).

المؤرخ البابلي برعوشا

ومثل كل المدونات الرافدينية لا يوجد هناك مؤلفون حقيقيون للنصوص التأريخية، بل هناك أسماء ناسخين تُذيّل بعض المدونات بأسمائهم. لكننا في القرن الثالث قبل الميلاد نتعرف إلى مؤرخ مهم هو برعوشا والذي يسمى باللغة الإغريقية (بيرسوس)،

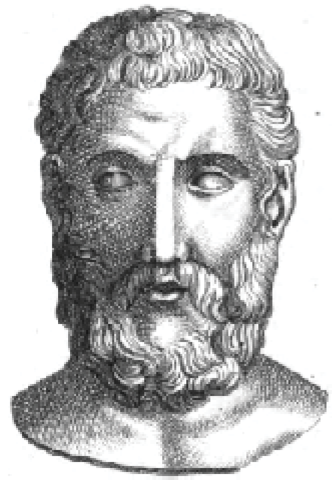
وهو الذي ألّف كتاباً مهماً عن تاريخ بلاد بابل المعروف باسم (البابليّات) Babyloniaca وكذلك باسم (الكَلْديّات) Kaldaica، وهو الذي وضعه باللغة اليونانية في مطلع عهد أنطيوخوس الأول، بين 179 ـ 272 ق.م، وأهداه إليه. وكان سبباً في تحسين معاملة البابليين ورجال دينهم.لكن هذا الكتاب ضاع ولم يصلنا. وكل ما وصلنا منه هو مقتطفات منه نقلها الكتّاب والمؤرّخون الكلاسيكيون مثل بوليستور Polyhistor وأوسيبيوس Eusebios ويوسيفوس Josephus وغيرهم. ولخص ذلك المصنف الملك يوبا الموريتاني Juba (نسبة إلى الاسم القديم لشمالي إفريقية) في جزأين، ونقل عنهما المؤرخان ايليان Aelian وتاتيان، في القرن الثاني الميلادي، وكانت هناك عمليات نقل واقتباس منه لاحقاً حيث بقي هذا الكتاب المصدر المباشر عن تاريخ بلاد بابل في ذلك العصر.

وبمراجعة هذه البقايا والتلخيصات، يمكننا القول أن كتاب (البابليات) يقع في ثلاثة كتب:

1. الكتاب الذي يتحدث عن بدايات البشرية والخليقة، وفيه صف للبيئة الجغرافية والنباتات في بلاد بابل.

2. الكتاب الذي يذكر أسماء الملوك العشرة الأوائل قبل الطوفان متسلسلةً، ويروي خبر الطوفان بطريقته الخاصة. يورد بعدها أسماء ستة وثمانين من الملوك الذين حكموا بعد الطوفان فالسلالات التاريخية التالية حتى عهد نبوخذ نصَّر.وهذا عمل توثيقي كبير بطريقة ذلك الزمان.

3. الكتاب الذي يذكر الملوك الذين حكموا بعد نبو خذ نصر حتى غزو الإسكندر المقدوني لبابل، وفيه يذكر سنوات حكم كل منهم وأهم الأحداث التاريخية فيها. كما ترد فيه معلومات فلكية وخصوصاً عن القمر.



Berosus Caldaeus

برعوشا (بيرسوس) بملامح ونحت يونانيين

برعوشا المزيف Pseudo-Berossus: في عام 1498، قام أنيوس من فيتربو (مسؤول في باباوية ألكسندر السادس) بتزوير كتب وضعها هو، وادّعى بأنه اكتشف كتباً مفقودة لبيرسوس.وكان تزويره متقناً ولم يكتشف أحدٌ ما فعله. وقد أثّرت هذه الكتب على ثقافة عصر النهضة وأهلها، لأن أنيوس قدم قائمة من الملوك (ابتداءً من يافت فصاعداً، وملأ الفجوة التاريخية التي سردها الكتاب المقدس للفيضان. وقام بإدخال شخصيات من المصادر الكلاسيكية في إطار الكتاب المقدس، في كتاب آخر.

ثانياً: الحضارة عند البابليين

كان السومريون قد أطلقوا على النواميس الحضارية اسم (مي، مِهْ Me)، وهي «كلمة سومرية غير واضحة المعنى وربما تعني الوجود، وهي من أصعب المصطلحات اللاهوتية المحيرة في الديانة السومرية، وقد اتفق بعض العلماء على اصطلاحٍ قريب من معناها وهي (القوى الإلهية) وتشمل في هذا المعنى كل مؤسسات الوجود ونظام الكون الدنيوي والسماوي الذي تسيّره قوى الآلهة خيراً أو شرّاً.ومِه حسب تعريف

الأستاذ جاكوبسون هي: جملة الوظائف المرتبطة بالطقوس أو العادات والأعراف في رأي فان دييك: هي الوجود الإلهي في الهيولى الميتة والحيّة بشكل أزليّ، وهي غير مشخّصةٍ بجسد، ولكن بواسطتها تتحكم الآلهة بأمور العالم.» (إدزارد 2000: 152 ـ 163).

المقابل الأكدي لهذه الكلمة هو ((بارسو، فرضو)، وهي تشير إلى الفروض أو المعايير الحضارية، وتشير في القاموس الأكدي إلى» (1) الشعيرة، الطقس الديني، (2) الدائرة، المعبد، الوقف الديني، الوارد من الوقف، (3) السلطة الإلهية، القوة، الدائرة، (4) الشعار، الرمز، الشارة، شارة السلطة أو الشرف، (5) القرار السلطويّ، الأمر، المرسوم، (6) العادة، العُرف، الممارسة، (7) معنى غير أكيد «و: الموظف الإداري، المشارك في الطقوس الدينية، المبد، مركز الطقس الديني» (الجبوري 2007: 439).

يشير ذلك ضمناً إلى أن الحضارة ذات مصدر إلهي ومركزها الأرضي هو المعبد ولها شارات ورموز. «يجد البعض أن الكلمة الأكدية (parsu ـ بارسو) مكافئة للكلمة السومرية «مي». وتعبر الكلمة الأكدية عن المستوى الأخير لتجسيد الآلهة البابلية: ويبدو «معايير الوجود الإلهي باتت تفهم حسب الخبرة المكتسبة على الأرض، أي حسب «وظيفة» أو «خدمة» الآلهة. ومن ثم أصبحت الكلمة «بارسو» تعني شيئاً قريباً من مفهوم «قوانين» أو «مراسم» أو «طقوس». أما الصيغة السومرية القديمة «مي» فقد حافظت على صداها في المعتقدات السائدة عن ألواح الأقدار السرية.
ويجدرالإشارة إلى مشاركة الإله آيا (إنكي) في تقرير المصير، لقد ورد ذلك في الكثير من النصوص التي ترقى إلى الألف الثاني والألف الأول قبل الميلاد، ومنها: «آيا ملك الأقدار»، و«آيا مصائره نحو الأمام» و«آيا حاكم الأقدار». (كلشكوف 1995: 40 ـ 41).

حاولت بابل تقديم شكل من أشكال الحضارة الذي يجمع بين الإنجاز الحضاري المدني على الأرض والصبغة الدينية والروحية لهذا الإنجاز، وهي بذلك تكون قد

وعت ضمناً العناصر المادية والروحية أو الثقافية للحضارة، ونجد أن أقرب حضارة غريبة تشبّهت بها هي الحضارة الإغريقية، فيما تشبّهت الحضارة الرومانية برديفتها الحضارة الآشورية وكلاهما غلّبا العناصر المادية والسلطوية على العناصر الروحية ولم يقيما بينهما التوازن المطلوب.

المبحث الثاني: الجغرافيا

أكد البابليون في مساعيهم الجغرافية على حقلين أساسيين في علم الجغرافيا وهما: أولاً التوثيق الجغرافي الخاص بالمواقع والأسماء الجغرافية وثانياً الكارتوغرافي أي رسم الخرائط الجغرافية، وقد صاغوا أقدم المفاهيم الجغرافية ووضعوا أقدم خريطة معروفة للعالم في التاريخ، وأقدم خريطة زراعية عرفها الإنسان. وهناك الخريطة الطوبوغرافية التي وضعت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد عثر عليها في منطقة كركوك وغيرها من خرائط المدن.

الخريطة الزراعية البابلية: وهي أقدم ما عرفه التأريخ في هذا الحقل من الخرائط، رُسمت عليها حقول زراعية ومجموعة من جداول الري والقرى والطرق كما تُرسم فيه خرائطنا الحديثة، «وتُعد هذه الخريطة أقدم ما وصل الينا من المفاهيم الجغرافية القديمة، يعود تأريخها إلى ما قبل أكثر من 3500 سنة وهي توضح طراز الحياة الريفية القديمة وكيفية تنظيم جداول الري وتثبيت ملكيات الحقول الزراعية والقرى»

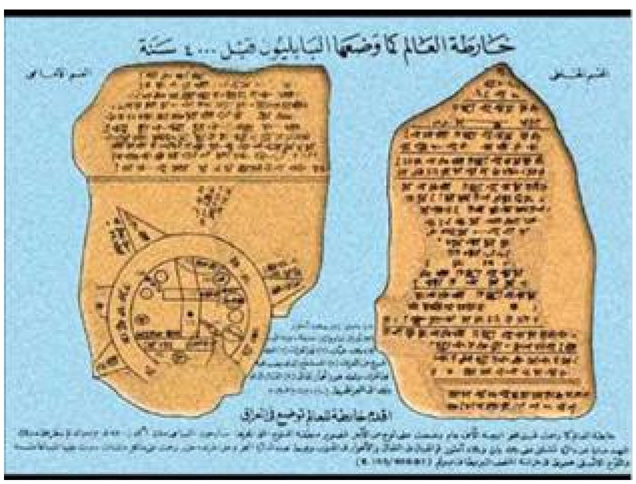
أولاً: خريطة العالم البابلية (مركز العالم)

(Imago Mundi)

لوح طيني بابلي (ارتفاعه 12.2 سم، وعرضه 8.2 سم) خططت فيه أماكن العالم القديم حول مدينة بابل، اكتشفت من قبل بعثة بريطانية في مدينة سيبار في سنة

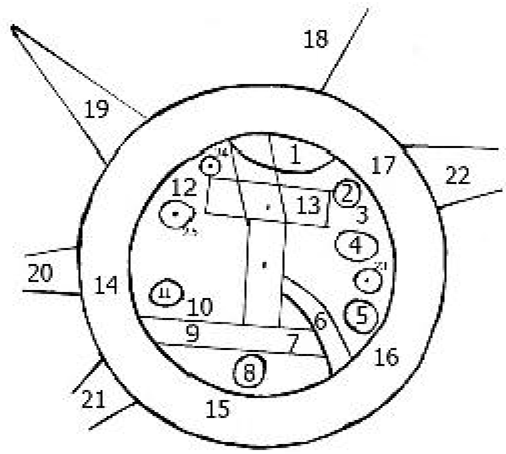
1889، تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد ما بين العصر البابلي الحديث والعصر الأخميني. تم اكتشاف اللوحة في سيبار، على بعد حوالي 60 كم شمال بابل على الضفة الشرقية لنهر الفرات. تمت ترجمة النص لأول مرة في عام 1889. اللوح الطيني محفوظ الآن في المتحف البريطاني تحت الرقم: .(BM 92687)

الخريطة تُظهر العالم كقرص محاط بحلقة من الماء تسمى «النهر المر»؛ تم وضع علامة «بابل» على شكل مستطيل في الطرف الأيمن من الفرات على الرغم من أن المدينة احتلت بالفعل كلا ضفتي النهر خلال معظم تاريخها؛ يتدفق نهر الفرات جنوباً إلى شريط أفقي، حيث يتم وضع علامة على الطرف الأيمن «المستنقع»، بينما يتم وضع علامة على الطرف الأيسر «التدفق الخارجي»، وبالتالي فإن الأهوار ترتكز على نهر الفرات وعلى مدينة بابل، وتظهر الخريطة أسماء لمناطق ومدن مثل سوسة وأور وأورارتو وبيت ياقين وتشير أيضاً إلى مناطق الأهوار والجبال والبحر المحيطة ببلاد بابل، يتواجد اللوح حالياً في المتحف البريطاني.



مركز الخارطة: بابل ومايحيط بها

التضاريس التي تذكرها الخريطة:



تحليل الخريطة:

هي خريطة للعالم من وجهة نظر بابلية، وليست خريطة لبابل، لكن واضعها يجعل بابل مركز العالم وسرّته.

في خريطة العالم البابلية (أكسس موندي العالم القديم) يظهر للعالم كقرص محاط بحلقة من الماء تسمى «النهر المر» الذي يرجّح أنه الخليج العربي.

لنبدأ من مركز الخريطة نحو الخارج:

1. وضعت «بابل» (رقم 13) على شكل مستطيل متعامد مع الفرات الذي يتدفق جنوباً. وتسمى بابل بأرض (تن ـ تر).

2. على يمين التصالب بين مستطيل بابل والفرات هناك سلاسل جبلية ومناطق أو أقاليم هي أوراراتو، آشور، دير(رقم 2و3 و4 و5).

3. وهناك فرع من الفرات يصب في البحر المر(رقم 6).

4. يصب الفرات في الأهوار والمستنقعات (رقم 7 و9).

يتم وضع علامة على الطرف الأيمن منها «المستنقعات»، أما الطرف الأيسر فيتم وضع علامة «التدفق الخارجي»، وبالتالي المستنقعات عند رأس الخليج وإما شط العرب أو حيث النهر يلتقي «نهر المر»؛ إلى يمين «الأهوار» يوجد خط منحني مزدوج به نقش مكسور وغير مفهوم.

5. على يسار الفرات هناك مناطق ومدن منها: بيت ياقين وهبّان وهو إقليم مجموعة من القبائل الآرامية (10، 12).

7. المحيط المائي الدائري (النهر المرّ) والذي بالأرقام (14، 15، 16، 17).

8. المناطق أو الجزر النائية السبعة الممثلة على شكل أشعة سباعية خلف أو بعد المحيط، وهي تشير إلى مناطق نائية تسمة (ناغو) بمثابة جزر بعيدة، أرض ما وراء البحر وما وراء مياه الموت، وربما لا يسكنها البشر بل الثعابين والتنانين العظيمة والعقارب والبيسون من بين الوحوش، ويتضح من فحص أسمائها أنه تبدو مثل عقارب الساعة اليومية التي تحدد سبعة أوقات لليوم وهي كما يلي:

1. الجزيرة (الشعاع) الأولى: تمثل ظهور الشمس واستقرارها في وقت الضحى (وهي ممحوة الكتابة).

2. الجزيرة (الشعاع) الثانية: تمثل وقت الظهيرة حيث قوة الشمس فيها (وهي ممحوة الكتابة).

3. الجزيرة (الشعاع) الثالثة: تمثل وقت العصر وكتابتها تقول إنها (حيث لا يصل الطائر ذو الأجنحة). أي البعيدة.

4. الجزيرة (الشعاع) الرابعة: تمثل وقت المغرب، وكتابتها تقول إن (الضوء فيها أكثر سطوعاً من ضوء الغروب والنجوم) أي أنها غامضة وغير معروفة وتقع في الشمال الغربي.

5. الجزيرة (الشعاع) الخامسة: تقع في الشمال، وفي العتمة الكاملة حيث يكون الليل، و(لايرى المرء شيئاً).

6. الجزيرة (الشعاع) السادسة: وتمثل دكنة الليل وسواده العميق وتصفها الكتابة المسمارية الأكدية بأن (الثور ذو القرون يصول فيها ويهاجم الزائر الجديد).

7.الجزيرة (الشعاع) السابعة: وتمثل الغسق وبدء ظهور الفجر، وتصفها الكتابة بأنها (حيث يشرق الصباح).



http://www.iraqinhistory.com/أنجازات-عراقية/2017-05-13-30-07-16

ثانياً: الطريق إلى إيمار

(من الأدب الجغرافي البابلي)

نصّ بابلي يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، عُرف بـ (رحلة بابلية قديمة) أو (الطريق إلى إيمار) يتضمن رحلة بين مدينة لارسا (السنكرة) إلى بلاد آشور ماراً بشمالي سوريا وجنوبي تركيا.بدأت الرحلة، حسب كاتبها، في مساء 26 من شهر آذار البابلي وحتى 4 نيسان البابلي، وكان مجموع أيامها 38 يوماً، وهو زمن المسافة بين لارسا وآشور. وتنقسم الرحلة إلى سبع رحلات ثانوية، وهي:

ويذكر النص أن طريق العودة هو طريق آخر يمرّ بمدن أخرى... وهكذا.

وقد تم تأكيد المواقع الجغرافية القديمة الواردة في الرحلة بما يطابق الجغرافية الحديثة عموماً فيها. إن مجرد نظرة إلى معجم التراث الجغرافي في النصوص المسمارية؛ «ستظهر مدى اعتماد الجغرافية التاريخية في تلك الفترة على أدب الرحلات: فمن بين 60 اسماً قديماً لمدن كبرى وصغرى محدد موقعها بصورة قطعية أو على نحو مؤقت في خريطة منطقة الشرق الأدنى القديم، هناك 15 اسماً يتكرر في الرحلة، ويمكن تحديد مواقع 50 اسماً آخر بالرجوع إلى الرحلة أيضاً، أن تتبع خرائط الأرض يدل على أن الكثير مما لم يكن معروفاً من قبل أصبح الآن معروفاً مما يعطي صورة أوضح للمعرفة الجغرافية فهناك الكثير من المواقع التي يمكن التكهن بأماكنها على الأرض، وذلك ما تمت معرفته بعد طباعة الأدبيات الجغرافية الحديثة، ولكي تتضح الصورة أكثر، حدد أحد الباحثين المعاصرين على وجه الدقة أن مسافة الرحلة ربما تتراوح بين 25 ـ 30 كم في اليوم الواحدة وهذا ما تم تحديده على خريطة الأرض التي اعتمدت مخططات ومسارات الرحلة (Itinerary) (ينظر: مخطط الرحلة في الملاحق) وغني عن القول هنا أن اثنين من أكثر المواقع أهمية وتوثيقاً اعتماداً على الرحلة قد تأكدا بصورة محسومة من خلال التنقيبات الأخيرة في موقعي (تل اليلان) = شبات إنليل suba ENLIL و(امسكي مسكنا) = ايمار EMAR) نفسها، وثالثاً يقع في (تلول الهيكل ـ الهيجل-) = اكلاتم ekalatum)» (الجميلي 2011: 38 ـ 39).

المزيد من المراجع:

Goetze، albrecht، 55.-، Vol. 7، no.2، 1953، P. 54JCS«**An Old Babylonian**

Rollig، W، (ed.)، **RGTC** = Repertoire Geographique des Textes Cuniformes، Wiesbaden، (1974 ـ).

Edzard، D. O.، «The Ideas of Babylonian Geography»، **SUMER**، Vol. 21، 1985، P. 11.

المبحث الثالث: التخطيط الحضري

كان بناء المدن يجري في كثير من الأحيان بطريقة عشوائية تنتظم في شكلٍ معين، مع مرور الوقت، ويصبح شكلها هذا بمثابة شكلٍ شبه نهائي لها، كانت الشوارع ضيقة بين البيوت وكان تكرار البناء يجري دون تخطيط على أنقاضٍ غير متساوية السطح والدفن، وكانت النفايات تُلقى في أماكن غير بعيدة عن الشوارع الضيقة أو العامة.

ورثت المدن البابلية شكلها وتخطيطها العام من المدن السومرية التي كانت منتشرة في وادي الرافدين، ويصعب التفريق بينها، هذا الشكل يعطي فكرة عن المنظر العام لجانب من جوانب المدينة السومرية البابلية:

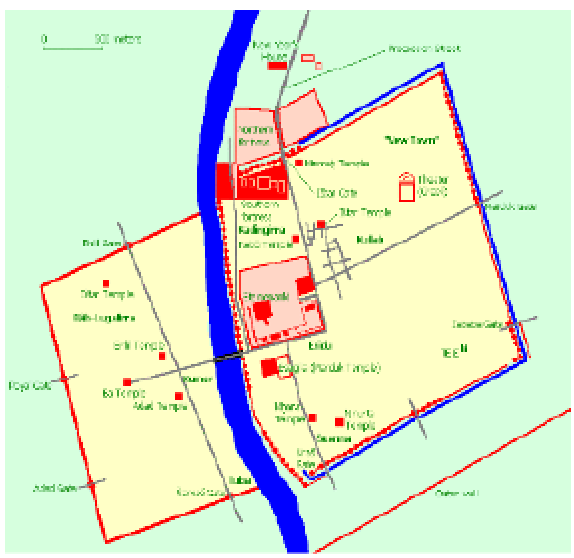


زخرفة من الطوب المزجج ذات الألوان البراقة، واجهة غرفة العرش، قصر نبوخذ نصر الثاني، بابل، ج. 600 ق.



جانب متخيل من مدينة بابلية حيث تظهر سطوح وواجهات البيوت وكذلك إحاطة البيوت بالمعبد

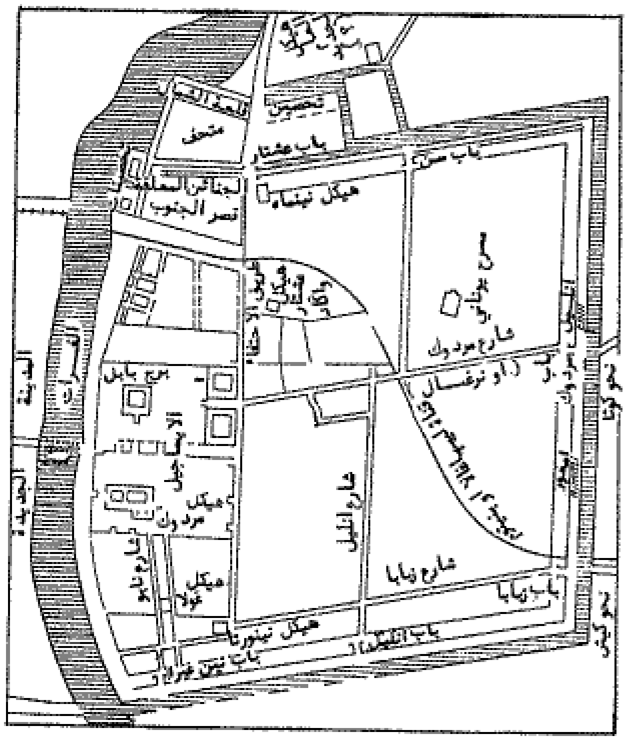
وصل شكل المدينة إلى صيغته النهائية تقريباً في عصر الملك نبوخذ نصر الثاني (604 ـ 562 ق.م)، فقد كانت مكونة، من الداخل، من مستطيلات تفصلها شوارع واسعة تسمى بأسماء الآلهة العظام، وكان يتوسط المدينة بناية كبيرة للتسوق والتبضع ويبدو أنه سوق المدينة الرئيسي ويسمى (مركز، مركس).ولم تكن هذه الشوارع مبلطة بل كانت مرصوفة، أما شارع الموكب فقد كان مرصوفاً، بقطعٍ منتظمة من الأحجار الكبيرة، بعناية شديدة بسبب أهميته.وكان الماء يصل بيوت المدينة من خلال المجاري الفخارية المغلفة بالقار والمحصنة بالطين والجص الصلبين، وكانت تنتشر وتتفرع لكل مرافق المدينة الكبيرة.



خارطة مدينة بابل (شرق وغرب الفرات)

«إن عملية التمييز بين الأجزاء المختلفة للمدينة تُعد من الإشكاليات البارزة ويبدو أن حلها ليس بالأمر اليسير، وربما تقدم لنا الأعمال الآثارية بعض المساعدة في هذا المجال، إذ إن هناك تفسيرات مختلفة لأجزاء معينة من المدينة التي من الممكن أن تشير إلى مجاميع أو مناطق سكانية معينة، كما أن درجة الاختلافات بين المناطق السكانية يتوافق مع المجتمعات السكانية التي تقوم على الأساس القبلي أو

المجتمعات التي تضم سكاناً من العوائل نفسها، ففي مدن بلاد بابل في العصر البابلي القديم على سبيل المثال نجد أن هذه المدن مقسمة إدارياً إلى أحياء سكنية مختلفة يتم تمثيلها من قبل شخص مُسن ذي نفوذ. وربما كان يفصل كل منطقة سكنية فرع من قبيلة أو عشيرة معنية أو أن عائلة ما استقرت في المنطقة ثم زاد عدد سكانها من خلال الزواج والتناسل تماماً كما نشاهد ذلك إلى الآن في عدد من المدن العراقية.» (العبادي 2012: 79).



خارطة مدينة بابل (شرق الفرات)

الموقع: تبعد مدينة بابل عن بغداد نحو 90 كم جنوباً. كانت مستوطنة عبيدية منذ 4000 ق.م، ثم مدينة سومرية (كادنكّرا)، أقدم ذكر لها جاء من زمن السلالة الأكدية حوالي 2350 ق.م، وذكرتها أخبار سلالة أور الثالثة في العصر السومري الحديث.وأصبحت عاصمة دولة مدينة بابل في حدود 1880 ق.م، ثم عاصمة الإمبراطورية البابلية الأولى في عهد حمورابي دمرها الملك الآشوري سنحاريب عام

689 ق.م عاد مجدها مع الدولة البابلية الحديثة وازدهرت كثيراً في عصر نبوخذ نصر الثاني (604 ـ 562) ق.م. واستمرت عاصمة للبلاد حتى العصر السلوقي حين بنى سلوقس عاصمته سلوقية (تل عمر الآن) فبدأت بابل بالاضمحلال.

محيطها ومساحتها: مستطيل الشكل يبلغ16 ـ 18 كم، يقطعه طولاً نهر الفرات حيث يخترق الفرات مدينة بابل ويقسمها إلى قسمين غير متساويين في المساحة.
مساحتها 2500 ايكر (الايكر =حوالي 4000 متر مربع).يتوسطها نهر الفرات، وتتكون خندق مائي، 3 أسوار، 9 بوابات، 10 معابد كبيرة (العدد الكلي للمعابد 53 معبداً)، 3 قصورملكية، قنوات، 24 شارعاً.

الخندق المائي والأسوار

كانت أبواب المدينة نقطة ضعفٍ في تحصين الأسوار ولذلك كان يجري تعزيزها دائماً من الداخل والخارج بجدارين من الآجر المثقّب والذي يسمح بالمراقبة ورشق السهام على الأعداء.

كان السور يحيط بالمدينة كاملة ويمتد لحوالي 10 أميال في محيطه، ويتّسع لعدد كبيرٍ من الرجال ويتسع لمرور عربتين فيه تصلان إلى قمته، وربما وصل ارتفاعها لحوالي 100 قدماً وعرضها لحوالي 77 قدماً.وبابل محاطة بثلاثة أسوار على شكل مستطيل ومحصنة بأبراج داخلية وفرعية، ومبنية بطابوق اللبن، الذي هو طين ممزوج بالتبن والقصب بعد صبّه في قالب من الخشب، ويربط بالقار عند البناء، يبلغ ارتفاعها 350 قدماً وسمكها 87 قدماً، وربما كان لهذه الأسوار أبواب ذات أسقف وقوائم مطلية بالذهب، والأسوار هي:

أ. السور الخارجي: محيطه حوالي 16 -18 كم ويتكون من ثلاثة جدران سمككها (7، 7، 3) متراً، اسمه (نمتي ـ بيل) أو (نمتي ـ إنليل)، سمكه 3.72 م، تنتصب فيه أبراجٌ بين كلّ 55.50 متراً، عرض البرج الواحد حوالي 8.37 م.

ب. السور الوسيط: مشيد بالطابوق سمكه 3.30 م وهو بمثابة سد للخندق المحيط بسور المدينة.

ج. السور الداخلي: اسمه (أمكور –بيل)، سمكه 6.5 أمتار أي ضعف السور الخارجي وأعلى منه، يتكون من ثلاثة أجزاء (شمالي وشرقي وجنوبي) وقوامه جدران متوازية من اللبن يفصل بينها 7 م.

الأبراج الرئيسة والجانبية: العدد الكلي للشوارع في المدينة هي 24 شارعاً وشارعان خاصان بمسيرة الجنود (جرّا).

الجسور: ثلاثة جسور على نهر الفرات حيث المدينة الجديدة (آلو إيشيشو).



بوابات بابل

بوابات مدينة بابل: تسع بوابات في جدار سورها المستطيل وكما يلي:

بوابات الضلع الشمالي من المدينة:

1. بوابة سين: بوابة الإله القمر

2. بوابة عشتار: تسمى بالبابلية (عشتار شاكيبات تبيشو) ومعناه (عشتار قاهرة أعدائها)، تعد بوابة عشتار وتسمى بوابة بابل أيضاً أهم رموز بابل الحضارية، وتقع في وسط الضلع الشمالي من المدينة وكمدخل لها.

3. بوابة لوجال جيرّا: بوابة إله النار الكبير.

بوابات الضلع الشرقي من المدينة:

1. بوابة مردوخ (شي آشو إريمو) ويمر منها شارع مردوخ (مردوخ ريعو ماتيشو) ومعناه (مردوخ راعي أرضها)، يبدأ من البوابة باتجاه الجنوب الغربي حتى سور البرج المدرج ومعبد إيساجيل.

2. بوابة زبابا.

بوابات الضلع الجنوبي من المدينة:

1. بوابة إنليل (إنليل موكن شروتيشو) ومعناه (إنليل مثبت ملوكيتها)، وسمي الشارع المار منها بنفس الاسم ويتجه إلى الشمال الغربي من المدينة.

2. بوابة أوراش.

3. بوابة شمش.

بوابة الضلع الغربي من المدينة:

بوابة أدد (أدد نفشي أوماني أوصر) ومعنى اسمها (أدد يحمي نفوس الجند)، وأطلق هذا الاسم على الشارع المار من هذه البوابة حيث يتجه من الغرب إلى الشرق.

شارع الموكب

اسم شارع البوابة الذي يسمى الآن شارع الموكب هو بالبابلية (عشتار لماسو أومايشو) ومعناه (عشتار حامية جيوشها) والمقصود به عشتار حامية جيوش مدينة بابل. ويطلق هذا الشارع على قسمه الجنوبي الذي داخل المدينة، أما قسمه الشمالي الذي خارج المدينة فيسمى بالبابلية ((أيبور شابو) ومعناه (لن يمر العدوّ).

وهو القسم الشمالي من الشارع الذي يبدأ من بوابة عشتار شمالي المدينة الداخلية ثم يمتد جنوباً حتى ينحرف غرباً بين زقورة بابل ومعبد مردوخ، أما القسم الجنوبي من الشارع فقد أطلق عليه اسم (عشتار لاماسو) أو (مياشو) وهي عبارة بمعنى (عشتار حامية جيوشنا).

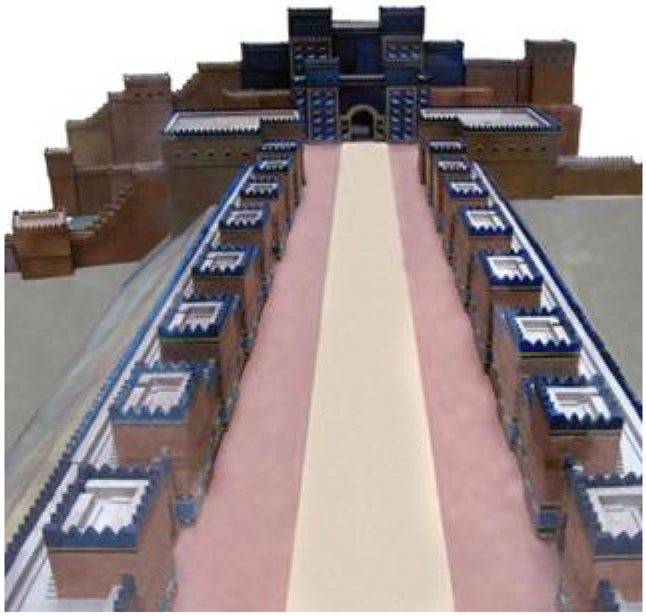
وهو أهم شوارع المدينة يستخدم في استقبال المواكب أثناء احتفالات رأس السنة البابلية، في شهر نيسان من كل سنة، وغيرها من الاحتفالات. وتأتي المواكب من معبد (ايزاكلا) وهو المعبد الرئيسي في جنوب المدينة. وتخترق الجزء الجنوبي من شارع الموكب ثم بوابة عشتار ثم إلى الجزء الشمالي من شارع الموكب إلى معبد (أكيتو) الذي تقام فيه الاحتفالات. وكان الشارع مزيناً بألواح للأسود على الجانبين وأوسطه مبلط بحجر الكلس وجانبي الشارع مبلط بحجر الغرانيت الأحمر.

شارع الموكب هو أهم شوارع مدينة بابل، تمرفيه تماثيل الآلهة في الاحتفالات السنوية التي كانت تقام فيه في رأس السنة البابلية (أكيتو) وتخرج من معبد مردوخ مواكب مردوخ لتمر بباب عشتار ثم بمعبد مخصص للاحتفال بهذا العيد قرب النهر هو بيت أكيتو، ويصل إلى قلب المدينة فيمر أمام القصر الملكي ويقسم المدينة البابلية إلى قسمين ذات بنايات كبيرة تسمى الحصن وظهر بين الحصون تمثال الأسد المعروف.

ويخترق الموكب من خلال بوابة عشتار إلى قناة» ليبيل حيكال» من خلال جسر خشبي إلى معبد (نابو شخاري) الواقع إلى الجهة الغربية. ويستمر الشارع جنوباً أيضاً بمحاذاة سور الزقورة ومعبد إيساجيل ويصل إلى نهر (أراختو) وهو الجدول المنساب بمياه نهر الفرات.

يبلغ عرضه (63) قدماً مبلطاً بألواح من حجر الكلس الابيض. يوحده من الجانبين جداران سميكان في روعة الجمال. وينتصب على كل جانب منهما (60) أسداً ترمز إلى عشتار.

«وكانت جدران شارع الموكب ولا سيما الجزء الشمالي منه الملاصق لباب عشتار مزينة في جانبيها بالآجر المموه بالميناء وبصور بارزة من الأسود الملونة بالميناء (ويوجد أنموذج من ذلك في المتحف العراقي). ويمكن الزائر أن يشاهد الآن نحو (152) صورة من الحيوانات البارزة غير الملونة في جدران باب عشتار وتتألف من صف من الثيران فوقها صف من صور الحيوان الخرافي (التنين) وهو حيوان مركب كانوا يعدونه خاصاً بالإله مردوخ. ثم صف من الثيران. أما الثور فكان الحيوان المقدس بالإله (أدد) إله الأمطار والرعود والبروق. وفي الأصل كان يوجد لا أقل من (13) صفاً من هذه الحيوانات، أما الصفوف التي قلنا إنها كانت مموهة بألوان المينا فقد نقلت إلى متحف برلين (ولدى المتحف العراقي الآن اثنان من هذه الحيوانات). ويشاهد الزائر أن باب عشتار عبارة عن باب مضاعف (بابان) لأن جداري السور الداخلي كانا يمران منه. ويوجد على جانبي الباب من اليسار واليمين أبراج فخمة للدفاع عن المدينة.» (باقر 2018: 7).



بوابة عشتار

واجهة بوابة عشتار الأصلية مبنية بأربع طبقات، الثلاث الأولى بنيت بالطابوق المفخور أما الطبقة الرابعة فقد بنيت بالطابوق المزجج، والتي قامت تنقيبات البعثة الألمانية التي عملت في آثار بابل قبل الحرب العالمية الأولى بنقل طابوق الطبقة الرابعة إلى متحف (برجامون) في برلين ـ ألمانيا. وتم اقتلاع ونقل (120) لوحاً للأسود التي كانت تزين شارع الموكب من الجزء الشمالي وهي موجودة الآن في متحف برجامون. وبقيت اثنتان منها في العراق أحدهما في مدينة بابل والأخرى في المتحف العراقي.

أما النسخة العراقية الموجودة في مدخل مدينة بابل الأثرية فهي عن موديل مبني عن بوابة عشتار الأصلية أشرف على تصميمها وبنائها العلاّمة طه باقر عام 1960 لتكون بمواجهة من يزور بابل الأثرية كأول معلم يقابله، والبوابة مزينة برموز لإلهين هما: الإله مردوخ: وهو إله بابل القومي، وإله المشتري وإله الطبيعة جمعت في رمزه المسمّى (موشخوشو، موش روششو) صفات الطبيعة في الأرض والسماء والماء

والغابة والصحراء فرأسه حيوان خرافي وجسمه كجسم السمكة وذيله ذيل أفعى والأرجل الأمامية للأسد والخلفية لطائر العقاب. وثانيهما هو الإله أدد: هو إله الرعد والبرق والرطوبة.

تتكون البوابة من مدخلين (مدخل مزدوج) الأول تسير فيه مواكب الأعياد من معبد إيساجيل شمالاً حتى تخرج وتصل إلى الخارج في (بيت آكيتو)، والثاني تدخل فيه مواكب آلهة المدن داخل المدينة. يربط خارج المدينة وبوابة عشتار، باتجاه الجنوب، بداخلها وصولاً إلى بيت الاحتفالات الدينية (بيت آكيتو)، يبلغ طوله من البوابة حتى سور الزقورة ومعبد مردوخ 710 م، أما عرضه فيتراوح بين (10 ـ 20) م ثم يضيق ليتراوح بين (6 ـ 7) م في الجزء المبلط.

«ويكون عرض الشارع في الجهة الشمالية من باب عشتار 63 قدماً وقد بلط بصفاح من الحجر بعضه من حجر الكلس الأبيض وبعضه من حجر البريجا الأحمر، ويكتنف الشارع من الجانبين جداران ضخمان لاتقل روعتهما عن باب عشتار نفسها، وكان يزين كلًّا منهما 60 أسداً (رمز الإلهة عشتار) وهي ذات لبد حمراء أو صفراء على أرضية من الآجر المزجّج الأزرق» (باقر 2009: 624 ـ 625).

قصور بابل الكبيرة

بعد بوابة عشتار يفصل السور الداخلي بين قصرين فخمين من قصور نبوخذ نصر الثاني هي من الشمال إلى الجنوب: القصر الصيفي في أقصى الشمال، والقصر الشمالي (القصر الرئيسي)، ثم القصر الجنوبي، وبذلك تكون قصور بابل الرئيسية فيها ثلاثة، وتسمى أحياناً الحصون، وهي:

1. **القصر الشمالي (الرئيسي)**: وهو قصر نبوخذ نصّر الذي وجدت منحوتات كثيرة فيه يعود تاريخها من الألف الثاني إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وربما يكون في هذا القصر جزء خاص كان بمثابة المتحف، وأهم ما عثر عليه فيه هو ما يعرف

بـ(أسد بابل) وهو عمل نحتيّ شهير من البازلت، يتكون من قطعة واحدة تجمع أسداً وإنساناً تحته، وقد اختلفت الآراء فيه وفي أصله ونوع نحته.

2. القصر الجنوبي: وهو أعظم القصور التي بناها نبوخذ نصّر بجانب قصر والده (نبوبلاصر) والمحاذي لحافته الشرقية.» يتألف القصر الجنوبي من خمس ساحات كبيرة فخمة يحيط بكل منها حجرات ومرافق كثيرة، ويمكن للزائر أن يمشي فوق هذه الساحات ويستحسن أن يتمهل قليلاً في وسط هذه الساحات (وهي الساحة الثالثة اعتباراً من مدخل القصر في الجهة الشرقية) التي تسمى «ساحة الاستقبال» وهي ساحة واسعة (55× 60 متراً ومبلطة بالآجر الكبير) حيث يوجد في ضلعها الجنوبي ما يسمى «قاعة العرش» (15× 52 متراً) وقد زينت هذه القاعة الفخمة في واجهتها المقابلة إلى الساحة بالكاشي ذي الألوان الزاهية. ويوجد في الجدار المقابل إلى المدخل محراب على غرار محاريب المعابد البابلية ولا شك في أن العرش كان يقام في هذا الموضع.» (باقر 2018: 9).

مساحة القصر الجنوبي (52) ألف متر مربع وفيه (600) غرفة وخمس ساحات كل ساحة لوظيفة معينة، ومنها (ساحة القضاء ـ ساحة الأوامر الملكية ـ ساحة قاعة العرش ـ ساحة النساء)، والقصر بمثابة مركز إدارة الإمبراطورية البابلية الحديثة.وكانت واجهة قاعة العرش مزينة بأجمل تشكيل زخرفي لزهرات اللؤلؤ واللوتس.

3. القصر البابلي (الصيفي): وهو قصر بسيط قياساً للقصرين السابقين.

معابد بابل الكبيرة

«ويبدو كأن العدد سبعة (ايمين) وهو عدد مقدس، لا يزال معناه غامضاً، ولكنه قد يكون ربما في اساس الأساطير العربية التي رواها ياقوت، والتي يفترض أن يكون بموجبها في بابل سبعة أعمدة في كل منها معجزة معينة. ونعرف قائمة بأسماء

الأحياء اختصرت على هذا النحو: يوجد في بابل بشكل إجمالي ثلاثة وخمسون هيكلاً لكبار الآلهة، وخمسة وخمسون هيكلاً لمردوخ، وبولفاران، وثلاثة مجاري مياه، وثمانية أبواب للمدينة، وأربع وعشرون جادة، وثلاثمائة هيكلاً للأيجيجي ـ (ألوهات الأرض) ـ وستمائة هيكل للأنوناكي؛ (آلهة السماء) ـ ومئة وثمانون مذبحاً للإلهة عشتار؛ ومئة وثمانون للآلهة نرغال (إله الجحيم) ـ وللإله أداد ـ (إله العاصفة) ـ واثنا عشر مذبحاً آخر لمختلف الآلهة: كل ذلك موجود في تلك المدينة. فأعداد الهياكل المشار إليها والعائدة لمختلف الآلهة هي إذا ثلاثمائة، ستمائة، مئة وثمانون، واثناعشر وقد يكون لها ربما علاقة بالأعداد المقدسة.»(روثن 1984: 63).

1.معبد إيساجيل (ايساكلا):

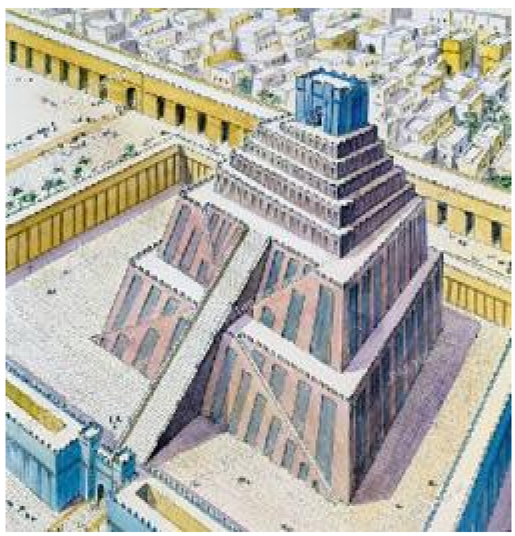
«وهو المعبد الرئيسي بين معابد المدينة ومعنى اسمه السومري «البيت الرفيع» وقد خصص هذا المعبد لعبادة الإله «مردوخ» كبير الآلهة البابلية الذي عظم شأنه منذ قيام سلالة بابل الأولى. ومن الجدير ذكره عن معبد «ايساكلا» كثرة ما جاءنا عنه من النصوص الكتابية ولا سيما كتابات الملك نبوخذ نصر وكلها تنص على فخامته وشهرته وثرائه مما كان يودع فيه من النفائس والنذور ويؤيد ذلك وصف بعض المؤرخين اليونان ولا سيما هيرودوتس الذي يروي لنا عن تماثيل الذهب المصنوعة للإله مردوخ وكيف أن الملك الفارسي أحشويريش قد سلبها بعد ثورة بابل عليه.» (باقر 2018: 9).

2.معبد إيتمنانكي (برج بابل):

تحتوي مدينة بورسيبا على زقورة وهي موجودة لحد اليوم وحسب التلمود يعتقد بأن هذه الزقورة هي برج بابل الموجود في التوراة. ويعتقد بأن هذه الزقورة كانت من أجل عبادة الالهة نبو إله الكتابة والحكمة عند البابليين الذي هو ابن الإله مردوخ.



نقش زقورة تصور برج بابل وهو معبد متعدد الطبقات بناه الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني ويظهر مع الزقورة كاهن يقدم نذراً، برلين، متحف بيرجامون للشرق الأدنى.



الشكل المتخيل لبرج بابل على ضوء الأوصاف والمواقع الآثارية

المسرح البابلي:

بُني هذا المسرح في زمن الإسكندر المقدوني عام 331 ق.م وبُني من طابوق برج بابل، واستخدم منذ ذلك الوقت للاستعراضات والحفلات الفنية والعروض المسرحية.



المسرح البابلي

الجنائن المعلقة بين بابل وآشور:

ما زال الجدل دائراً حول موقع الجنائن المعلقة، لم يذكرها هيرودوت، لكن وصفها الأول جاء على لسان الكاهن البابلي الهلينستي (برعوشا) في كتابه المفقود (بابلونيا) والذي أخذ بعض المؤلفين الإغريق والرومان بعض مقتبسات منه، فقد ذكر (سترابو 64 ق.م ـ 19 م) اسمها بمصطلح يوناني هو (كريماتوس كيبوس) وترجمته (الجنائن المعلقة)، وأسماها الروماني كورتيوس روفس (في القرن الأول للميلاد) بالمصطلح اللاتيني (بنسيلس هورتي) بالمعنى ذاته، وكذلك دعاها المؤرخ (يوسفيوس) باسم (بنسلي برادايس) بالمعنى ذاته، وهكذا تسربت هذه الأسماء إلى اللغات الأوربية الحديثة بالمعنى ذاته. وهناك بعض المؤرخين مثل (ديودروس الصقليّ من القرن الأول قبل الميلاد) ينسب بناءها للملك الفارسي كورش، وهناك من ينسب بناءها للملكة الآشورية (سمير أميس).

وقد شحنت هذه الأخبار مخيلة الآثاريين فخمّنوا أكثر من مكان لوجودها في بابل، أشهرها تلك البناية الغريبة التخطيط (42، 30 م) في الركن الشمالي الشرقيّ من القصر الجنوبي، وهي بناية تنخفض عن مستوى أرضية القصر وتتألف من صفين من الغرف الصغيرة في وسط واحدة منها بئر بثلاث حفر اعتقد الآثاريون أنه المكان الذي كان الماء يصعد منه لطبقات الجنائن المعلقة المرتفعة مثل جبل، على أساس أن

نبوخذ نصّر بنى لزوجته الميدية (أوميت) هذه الجنائن المعلقة ليجعلها تعيش في أجواء بلادها الجبلية.

وعلى ضوء ذلك انطلقت مخيلة الفنانين ورسموا الكثير من الأشكال التي تعبر عن هذه الجنائن.

لكن الباحثة ستيفاني دالي، في جامعة أكسفورد المتخصصة في الدراسات الشرقية وتحديداً في بلاد ما بين النهرين، وضعت نظرية جديدة ثم تحققت منها ميدانياً تقضي بأن الجنائن المعلقة موجودة في مدينة نينوى (حوالي 450 كلم شمال بابل)، وكانت نظريتها قد وضعت على أساس قراءة متمعنة لرقيم طيني مكتوب باللغة المسمارية القديمة، يصف حديقة في قصر سنحاريب الآشوري في نينوى زرعت فيها الأشجار على الرواق المسقوف مثلما وردت في وصف حدائق بابل تماماً.

والملك سنحاريب عاش قبل نبوخذ نصر بحوالي قرن كامل، وأورد في هذا الرقيم معلومات مفصلة عن أعماله وعن المدينة وعن قصره وعن الحدائق ووصفها بأنها مكونة من أنواع مختلفة من الشجيرات والنباتات التي تشكل سياجاً حول القصور، ويستمر الوصف ويذكر عملية صُنع لولبٍ كبير بطريقة مبتكرة لصهر البرونز، واستخدامه لرفع المياه ـ وهو بذلك يسبق أرخميدس بأربعة قرون باختراع ما يُعرف اليوم بلولب أرخميدس لرفع الماء.وترى دالي ان الآشوريين استخدموا نظاماً معقداً من القنوات المائية والسدود لجلب المياه المنسابة من الجبال التي تبعد 50 ميلاً وإيصالها إلى قلعة نينوى وجنائنها المعلقة. وفي النص الآشوري جملة تشير إلى أن الماء كان يُنقلُ «طيلة اليوم»ـ

وقد قامت ستيفاني دالي بنشر أفكارها وزياراتها الميدانية لنينوى وتتبعها للقناة المائية في كتابها (سرّ جنائن بابل المعلقة).

المبحث الرابع: التربية والتعليم

المدارس في بابل

1. مدرسة كيش (تل الأحيمر): تبعد حوالي 20 كم إلى الشمال الشرقي من بابل. تعود إلى عصر إيسّن. ظهرت آثارها في الكثير من الألواح الدينية والأدبية والنحوية واللغوية في بيوت ترجع إلى عهد إيسّن. أظهرت تنقيبات المدرسة وجود ألواح الطين الأدبية والعلوم والمستندات الاقتصادية والتجارية.

2. مدرسة نيبور (نفر): تبعد نيبور نحو 100ميل إلى جنوب مدينة بابل، وأبرز ما وجد فيها من رُقم طينية هي جداول الألفاظ المترادفة والأرقام الرياضية، وجدول الضرب، وقوائم بأسماء الجبال والبلدان والنباتات والأحجار والجداول التاريخية بأسماء الملوك والحوادث التي وقعت في أيامهم، والألواح الفلكية والطبية والدينية وكذلك الأدعية والصلوات والتسابيح والتعاويذ.

3. مدرسة سِبّار (أبو حبة): تقع اليوم في أطلال أبو حبة غرب المحمودية، وتبعد عن بغداد حوالي 20 ميلاً، وهي أول مدرسة منظمة في العالم. عثر فيها على ألواح مدرسية وجداول علامات الكتابة، ومقاطع لغوية، وموازين تصريف الأفعال، وتمارين الإنشاء وجدول المقاييس وجدول الضرب، وهناك أيضاً الألواح الفلكية والتاريخية والأدبية كالأدعية والصلوات، تلك الكتابات التي يتلقاها من يطمح إلى درجة الكهنوت. وقد كانت المدرسة كبيرة الأرجاء واسعة الساحات، وكانت مدرسة مختلطة وهي أول مدرسة منظمة في عهد حمورابي.

4. مدرسة بورسبّا: تقع اليوم جنوب غرب الحلة، وكانت تابعة لمعبد الإله نبو إله المعرفة ومخترع الكتابة والرسائل. وتضم ألواحاً كثيرة في شتى العلوم.

5. مدرسة بابل: لقد كانت مدينة بابل عاصمة العلوم والثقافة، وكان الملك نفسه يرعى في قصره مدرسة عليا ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات. عثر فيها على ألواح الرياضيات والفلك والتنجيم والقانون والطب والعلوم الطبيعية والجغرافيا.

«لقد كانت التوجيهات التعليمية في مدارس بلاد الرافدين القديمة تحتم ضرورة المحافظة على الأدب السومري وإحيائه باستمرار من خلال تعليم الطلبة على استنساخ تلك النصوص الأدبية وإتقان مواد الإنشاء السومري والنحو للطلبة الأكثر تقدماً ومن بين النصوص الأدبية التي تمت المحافظة عليها طيلة العصور المتعاقبة، الترنيمات الملكية ومجاميع الأمثال والنصوص الأسطورية والمحاورات والمفاخرات والمناظرات وأدب الفكاهة الخيالية مثل (الفأس والمحراث، والصيف والشتاء، والنخلة وشجرة الأثل، والفلاح والراعي). والتي قدمت فيها محاورات رائعة لدعم معاني التفوق والقيم الحياتية الفاضلة.» (الجميلي 2001: 49).

الكتابة والكاتب في بابل

الكاتب في السومرية (أومبيساج، أوبيساج)، ومنه جاء مصطلح (سنجا) أي الكاهن الكاتب. أما مصطلح (دب ـ سار) فهو الرجل المتعلم تعليماً جيداً.

الكاتب في الأكدية (طبشارو) وأصلها من المصطلح السومري دبسار، ومنها جاءت كلمة طباشير وطابو.. إلخ، ومصطلح (شنجوم) هو الكاهن الكاتب. وفي الآشورية رجل (أ.با) أي رجل الألف باء، وفي القرن الخامس قبل الميلاد ظهر مصطلح (سبيرو) أي (سافر) بالعربية وهو كاتب الأسفار (والسفر مصطلح عربي يعني كتابة الملائكة لأنها تعمل كسفراء بين الآلهة والبشر).

ومن خلال دراسة تلك الرقم المدرسية تمكن الباحثون من تقسيم المدارس في بلاد الرافدين إلى نوعين:

أ. المدارس الابتدائية: وهي المدارس التي كان يتلقى فيها التلميذ اللغة والقراءة والكتابة والحساب ومعرفة المفردات اللغوية والموسيقية، ويطلق عليها بالمصطلح السومري «أدبّا EDUB. BAA» أما في اللغة الأكدية فسميت (بيت طب - bit tuppi) والتي تعني بيت الألواح.

ب. المدارس المتقدمة: تشمل المدارس التي كانت تعلم العلوم على اختلافها كالرياضيات والفلك والطب والسحر والأدب وغيرها، وسميت هذه المدارس بـ(بيت الحكمة) (بيت مُمُ bit ـ mumme) إذ كانت هذه المدارس بمثابة المعاهد العالية، وقد أطلق على الملتحقين بها بالقول (الدخول في بيت الحكمة) {اريب (بيت) مُمُ arib(bit) mumme}. (الجميلي 2001: 43 ـ 44).

انتشر التعليم بشكل واسع وكبير في العصر البابلي وكانت إما مستقلة أو تابعة للقصر أو المعبد، كانت مدارس القصور هي الأوسع والأرقى فهي تعلم الملوك وأبناءهم، أما مدارس المعابد فكانت لتعليم رجال الدين الشبان مهنة الكتابة وإدامة مرجعية الكتابة للمعبد، وأما المدارس الأهلية فكانت في مساكن المدن وتكون لقاء أجر محدد يدفعه أهل الطالب للمعلمين، فقد كانت مدرسة شخص يدعى (شو ـ سين) حاوية على 2000 نصٍ مدرسي كما كشفها المنقبون.

امتازت مرحلة الأسرة الكاشية الثالثة بنشاط كتابيّ ملحوظ وحركة استنساخٍ واسعة للنصوص القديمة وكتابة نصوص أدبية جديدة.

درجات المشرفين على التعليم:

1. أوميانو: وهو المشرف التربوي المتخصص ويقابله في السومرية ((أوميا).

2. أب بيت طوباتي: وهو ((أب المدرسة) أي المدير، ويقابله بالسومرية (أد إيدبّا).

3. أخو -رابو: وهو معاون مدير المدرس، ويقابله بالسومرية (شيشجال).

4. طبشارو: المعلم أو الكاتب.

5. مار بيت طباتي: الطالب ويقابله بالسومرية (دومو إي دبّا).

وكانت مهنة الكتابة تورّث من الآباء إلى الأبناء، ومقامها رفيع في المجتمع وعند الملوك والأمراء.

آلهة الكتابة في بابل

1. نابو: في معبده إيزيدا كانت هناك ألواح الكتابة وكان رمزه هو قصبة الكتابة المسمارية. الذي كانت زوجته الثانية نيصابا إلهة الكتابة. وهو حامي الكتبة والمدارس، وهو مبتدع كتابة الكتبة (بانو شطر طبشروت)، الكاتب الذي لا مثيل له، كاتب الآلهة الحاذق بقصبة. وكان يعبد في بورسيا.

2. نصابا: التي هي إله القصب، والتي كانت تسمى بـ (كاتبة الجميع: طبشر كل)، وكان زوجها الأول (خايا) الذي كان يلقب ب (سيد الرقيم المخوم) أو (إله الكتبة: ألش طبشري). تحدد المصادر التي بدأت في الأسرة البابلية الأولى (حوالي 1830 ق.م. ـ 1531 ق.م) نسابا زوجاً يُدعى خايا، والذي يوصف فيه وهو إله الكتابة الذكري.

3. بيلت صيري: وهي الإلهة السومرية (جشتن أنّا) أخت ديموزي التي هبطت إلى العالم الأسفل وتقاسمت مع تموز فترة العام ماكثة فيه ليكون تموز في الأعلى. وأخذت وظيفة الكتابة هناك، وكان زوجها _ننجزيدا).

الكاتبة بالأكدية (طبشاروتو) وبالسومرية (سال دبسار):

«هذا ويبدو أن عدد النساء الكاتبات قد ازداد بشكل متميز في العصر البابلي القديم، ولوحظ من دراسة النصوص ذات العلاقة أن معظمهن كن من نساء المعبد، من الكاهنات اللواتي كن في الوقت نفسه أميرات وبنات ذوات الرتب العالية في الدولة وقد خصصت خدماتهن بشكل رئيسي لتغطية حاجات المعابد التي خدمن فيها أو كن يقمن في مكان سكن خاص بالكاهنات فيها عرف بـ(كاكو gagu) وعلى ذلك فإن معظم الكاتبات من هذا العصر كن كاهنات من صنف (نانديونوم Nadinum). فقد ورد

في أحد النصوص ذكر أسماء عدد من الكاتبات جميعهن كن كاهنات من صنف نادينوم (Dub. SARLUKUR) وهن:

اننا ـ امامو: ذكرت هذه الكاتبة في عدد من النصوص التي تعود إلى زمن (بنتاخون ايلا) وهو أحد حكام مدينة سبار، قبل أن يضمها ملوك سلالة بابل الأولى، وجاء آخر ذكر لها في زمن الملك (سومو ـ ل ـ ايل) (1880 ـ 1845 ق.م) وتذكر أحد هذه النصوص أن والد هذه الكاتبة (ابا ـ طابم Aba tabum) الذي كان كاتباً أيضاً.

شات ـ ايا Sat ـ aja: ذكرت في عهد الحاكم ايميزم أولاً، ثم في زمن الملك سومو ـ ل ـ ايل أيضاً.

نن ـ ازو: ذكر اسم هذه الكاتبة في زمن الملك سابيؤوم (1844 ـ 1831 ق.م).

أمت ـ شمش: وردت الإشارة إليها من عهد الملك ابل ـ سن (1830-1813 ق.م).

وهي ابنة الكاتب (سن ـ أقيشام).

من: ذكرت من عهد الملك (سن ـ مبلّط) (1812 ـ 1793 ق.م).

اياتم: ورد اسمها من عهد الملك سن ـ مبلّط أيضاً.

أمت ـ مامُ: خدمت هذه الكاتبة لمدة تناهز (40) عاماً إذ عاصرت حكم ثلاثة ملوك هم: حمورابي (1792 ـ 1750 ق.م) وسمسو ـ ايلونا (1749 ـ 1712 ق.م) وابي ـ ايشوخ (1711 ـ 1684 ق.م).

وكذلك ورد ذكر اسم الكاتبة (ايا ـ كزب ـ ماتم) في نص واحد يعود إلى عهد الملك سمسو ـ ايلونا. كما وردنا ذكر اسم الكاتبة (بيلتي ـ ريمن) إذ كانت كاتبة وأديبة وصلنا منها نص أدبي رفيع كتبته خلال العصر البابلي القديم.» (الجميلي 2001: 97 ـ 98).

المعاجم في بابل

المعاجم The cuneiform lexical lists

كانت القوائم المعجمية المسمارية سلسلة من مسارد المفردات اللغوية في بلاد ما بين النهرين القديمة التي تحافظ على دلالات صور الكتابة المسمارية وقيمها الصوتية في اللغتين السومرية والأكدية أو ما يعادلها من اللغات الأخرى. إنها أقدم النصوص الأدبية من بلاد ما بين النهرين وأحد أكثر الأنواع انتشاراً في الشرق الأدنى القديم. أينما تم اكتشاف ألواح مسمارية، في العراق أو في الشرق الأدنى، فقد تم اكتشاف هذه القوائم القديمة (أوائل الألفية الثالثة) التي تم الكشف عنها في مخابئ وثائق الأعمال والتي تتضمن قوائم الأسماء، وغياب الأفعال بسبب استخدامها المتناثر في سجلات المعاملات التجارية.

قائمة: LU A1.

وهي قائمة بالمهن التي سيتم إعادة إنتاجها للألف سنة القادمة حتى نهاية الفترة البابلية.

2.قائمة فارا وأبو صلابيخ: قوائم الألفية الثالثة التي يرجع تاريخها إلى حوالي 2600 قبل الميلاد في فارا وأبو صلابيخ. واستمرت تقاليد المعاجم حتى أسرة أور الثالثة.

: وهي قوائم ظهرت في العصر البابلي القديم.UR5-ra = hubullu3.قائمة أورّا (هبولّو)

4.قائمة الفترة الكاشية أو البابلية الوسطى حيث حافظت المدارس الكتابية على التقاليد المعجمية، وهي:

أبولو وإيزيKá-gal = abullu izi = išātu

أنانتو وإيلوتيم Erim-huš = anantu وSIG7 + ALAN (ulutim) = nabnītu

الآشورية من القرن السابع قبل الميلاد.Malku = šarru tablet 3 5 قائمة

الفصل الرابع عشر: المظهر الفنيّ



تمثال الإله (إيا، إنكي) بصورته البابلية

المبحث الأول: الفنون التشكيلية

أولاً: فن العمارة

المعابد البابلية

ظهر نوعٌ جديد من المعابد البابلية نستطيع أن نسميها (معابد الفناء الداخلي) التي كانت تتكون من ساحة مركزية مكشوفة تحيط بها من جوانبها الأربعة صفوف من الغرف. وتقع

غرفة قدس الأقداس (التي فيها تمثال الإله) على خط مستقيم أمام بوابة المعبد.

وكانت مساحة المعبد صغيرة عادة. وكان المعبد محاطاً بسور خارجي مستطيل الشكل تتجه أضلاعه نحو الجهات الأربع وتزينه عدد من الطلعات والدخلات. ومن أشهر المعابد البابلية هي:

إيساجيلا، إيساجيل: Esagila

هو اسم سومري معناه (المعبد المدور) وهو المعبد الذي كان مركز الإله مردوخ في مدينة بابل، والذي كان يقع جنوب زقورة إيتيمينانكي.

بني هذا المعبد من قبل الملك الكلدي نبوخذ نصر الثاني في حوالي 600 سنة ق م، لكن على حسب قول المؤرخ الإغريقي هيرودوت إن المعبد قد دمر من قبل الملك الفارسي خشايارشا الأول في سنة 482 ق م وعهد إسكندر الأكبر، حاول بناءه إلا أنه بسبب وفاته المفاجىء لم يستطع إكمال ذلك.

عثر على لوح أثري في بورسيبا تذكر نص من نبوخذ نصر الثاني عن عملية بناء هذا المعبد.

(زقورة مردوخ في بابل، برج بابل): Etemenanki إيتمنانكي

إيتمنانكي (بالسومرية إي تيمين أن كي ومعناه المعبد الذي يربط الأرض بالسماء) وهو اسم الزقورة التي كان يستقر فيها مردوخ في مدينة بابل، والتي بنيت في حوالي 600 ق م، في عصر الإمبراطورية البابلية الثانية، وحسب بعض الألواح الاثرية التي اكتشفت في مدينة أوروك كان يبلغ طول هذا المعبد حوالي 91 م، ويرى أندرو جورج أن هذا المعبد كان موجوداً منذ القدم إلا أن الملك الآشوري سنحاريب دمره، فقام نبوبولاصر بإعادة بنائه وأكمل بناءه ابنه نبوخذ نصر الثاني فيما سماه في الألواح الأثرية بمعبد إيساكيلا المخصص للإله مردوخ كبير الآلهة البابلية، أشير هذا المعبد بأنه هو برج بابل الذي ذكر في التوراة.



إيتمنانكي (برج بابل)

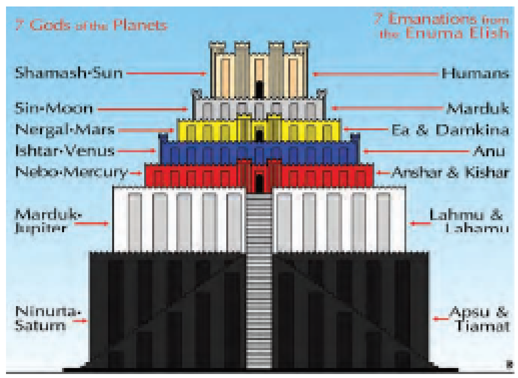
يتكون البرج من سبع طبقات وكل طبقة مكونة من غرف كثيرة على طول محيط دائرة الطبقة، أما في الطبقة العليا فتكون مخصصة للإله.

المعبد محاط بجدار ذي قوة وحجم كبيرين: في الجانب الآخر كانت المنطقة المقدسة للمشتري [زيوس] بيلوس، وهي عبارة عن ساحة مربعة بطول 402 م، في كل اتجاه، مع بوابات صلبة من النحاس. في المنتصف كان هناك برج من البناء الصلب، طوله 201 متر، وقد تم بناؤه على برج ثانٍ، وعلى هذا بني الثالث، وهكذا يصل إلى ثمانية. الصعود إلى الأعلى موجود في الخارج، من خلال مسار يدور حول كل الأبراج. عندما يكون المرء في منتصف الطريق تقريباً، يجد المرء مكاناً للراحة ومقاعد، حيث يمكن للأشخاص الجلوس لبعض الوقت في طريقهم إلى القمة. يوجد في أعلى البرج معبد واسع، ويوجد داخل المعبد أريكة ذات حجم غير عادي، مزينة بثراء، مع طاولة ذهبية بجانبها. لا يوجد تمثال من أي نوع مقام في المكان، ولا تشغل الغرفة ليلاً من قبل أي شخص سوى امرأة أصلية واحدة، كما يؤكد الكلدويون، وهي كاهنة هذا الإله، يتم اختيارها لنفسه دون نساء الأرض.

يُعتقد أن برج كوكب المشتري بيلوس يشير إلى الإله بعل وهو مردوخ، الذي تمت تسميته من قبل هيرودوت إلى زيوس بيلوس. من المحتمل أنه يتوافق مع إيتمنانكي.

هذا البناء هدم من قبل إسكندر الأكبر إذ كان ينوي أن يأخذ حجارة منه لبناء مسرح كبير لمدينة بابل.

ربما تشير الطبقات السبع للمعبد إلى أيام الأسبوع السبعة، وهي الأيام التي ذكرت في أسطورة الخليقة البابلية، فهو يشير إلى خلق العالم في سبعة أيام بضمنها يوم الراحة.
وتشير طبقات المعبد إلى الآلهة (اليمين والشمال)، وهي من الأسفل إلى الأعلى:



إيتمنانكي (زقورة مردوخ) وطبقاتها السبع المرتبطة بسبعة أيام الخليقة والأسبوع

زقورة دوركوريكالزو (عگرگوف): تقع قرب العاصمة بغداد، في مدينة بابلية قديمة تسمى (دوركاريكالزو) التي تقع بالقرب من التقاء نهري دِجلة وديالى على بعد 30 كيلو متراً غرب مركز بغداد، أسسها ملك الكيشين كوريكَالزو الأول في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانت عاصمة الكيشيين وانتهت أهميتها بعد سقوط سلالة الكيشيين، وتحتوي الزقورة على المعابد المكرسة للآلهة فضلاً عن القَصر الملكي، ويبلغ ارتفاع الزقورة نحو (52 م)، وتتكون معالم المدينة والزقورة من:

1. السور: كان يحيط الزقورة سور ضخم جداً يقدر بحوالي 225 هكتاراً، وهناك خلف السور من الضاحية الشرقية، وهناك بحيرة من الماء، وهناك عدد من التلال حول الزقورة.

2. المعابد: معبدها في الجنوب الشرقي منها وهي مُكرسة للآلهة الرئيسية وهم «إنليل» و«ننليل» و«ننورتا، وهذهِ المعابد تتكون من ساحات كبيرة يحيط بها عدد كبير من الحجرات والأورقة والممرات.

3. القصور وهناك معالم معمارية من مرافق قصور الملوك المهمة وهي ثلاثة أقبية متوازية إلى جانبي كل منها عدد من المخازن المعقودة بهيئة جيوب نصف دائرية.

4. قاعدة الزقورة: مُربعة الشكل تقريباً أبعادها (69 × 67) وتتجه زواياها إلى الجهات الأربع وتميل أوجهها الأربعة عن العمود إلى الداخل بحوالي 9 سم لكل متر من الارتفاع، وأوجه القاعدة مُغلقة من الخارج بغلاف من الآجر تزينه وتحليه هندسة معمارية على شكل نظام الطلعات والدخلات في أوجهها الأربعة، وتوجد ثلاث سلالم (سلم وسطي وسلمان جانبيان يتصلان بها) وتؤدي إلى سطح القاعدة المُربعة التي شيدتها المديرية العامة للآثار العراقية.

5. طبقات الزقورة: تحتوي الزقورة على مجموعة طبقات وتبدو الطبقات من البوري (حصير القصب) موضوعة في البناء بين كل 8 أو 9 مسافات من اللبن تتخللها ثقوب مربعة تنفذ داخل الزقورة والهدف منها التخلص من الرطوبة والمياه التي تصيب الزقورة بين آونة وأخرى.



بقايا زقورة عكَركَوف وهي محاطة بالسور

البناء بالطوب Brickwork

هو البناء الذي أنتج باستخدام الطوب والملاط.عادة، حيث يتم وضع صفوف من الطوب ـ تسمى الدورات ـ فوق بعضها البعض لبناء هيكل مثل جدار من الطوب. يعد وسيلة شائعة لإنشاء المباني، وتوجد أمثلة من الطوب بالطريقة الصحيحة عبر التاريخ حتى العصر البرونزي. يعود تاريخ الوجوه المشيدة من الطوب إلى زقورات دور كوريغالزو القديمة في العراق إلى حوالي عام 1400 قبل الميلاد، وقد تم بناء المباني المبنية من الطوب في موهينجو دارو القديمة في باكستان حوالي عام 2600 قبل الميلاد. يمكن العثور على الكثير من الأمثلة القديمة لأعمال البناء المصنوعة من الطوب المجفف في مواقع قديمة مثل أريحا في الضفة الغربية، وجطل حيوك في الأناضول، ومهرغار في باكستان. لقد نجت هذه الهياكل من العصر الحجري إلى يومنا هذا.

يسمى اليوم بالربط الألماني (Flemish bond)

هو الربط الذي يكون فيه بجوار كل طابوقة على الرأس طابوقة على الطول وهكذا بالتناوب في جميع الجدار ويكون على نوعين:.

ربط ألماني زوجي. (double flemish bond)

ربط ألماني فردي.(single flemish bond)

القصور البابلية

من قصور العهد البابلي القديم (قصر ماري) المستطيل الشكل ذو الجدران السميكة (40 قدم) المشيدة من اللبن على أسس من حجر الكلس وتتخللها أبراج دفاعية تستخدم للدفاع عن القصر والبوابة المفردة ضيقة. من الداخل هناك ساحة مكشوفة تقع على جوانبها عدة

غرف تشكل هيكل القصر وكانت في القصر دوائر للموظفين الملكيين وحارة لسكنى العائلة الملكية ومرافق كالمطابخ والمشاغل والمخازن.

أما قصور بابل الحديثة فمن أشهرها القصر الجنوبي للملك (نبوخذ نصر الثاني) ويتألف من وحدة بنائية عبارة عن ساحة مكشوفة تتوزع على جوانبها الغرف وتتميز القصور بواجهاتها المكسورة بالآجر المزجج والمزخرف وقد زخرفت واجهة مدخل قاعة العرش حيث يظهر على الجدار تصميم زخرفي فيه وحدات نباتية بالإضافة إلى صفٍّ من الأسود ويشاهد في وسط المساحة وحدات على هيأة أربعة أعمدة نخيلية الشكل.



القصر الجنوبي

القصر الجنوبي الكبير للملك نبوخذ نصر الثاني

لا شك أن بوابة عشتار وعمارة المدخل والأسوار لمدينة بابل الكلدية كانت مأثرة عمرانية كبرى يضعها تاريخ الفن كواحدة من أجمل واجهات المدن وبواباته عبر التاريخ.



بوابة عشتار وسور بابل وشارع الموكب 575 ق.م

واجهة مدينة بابل الكلدية

https://ferrelljenkins.blog/2009/05/27/get-1000-bible-images-now/babylon_4898_02t/

الأعمدة البابلية

لم تحظَ الأعمدة البابلية بالكثير من التقصي والبحوث، وبذلك ظهر انطباع عام يوحي بالنقص الواضح في خصوصية الأعمدة والدعائم المعمارية، في عمارة وادي الرافدين، وربما ساعد في ذلك عدم توفر المواد الأولية التي تساهم بمادة العمارة كالحجر والخشب فضلاً عن الظروف المناخية الخاصة، ومع ذلك فقد لجأ المعماريون الرافدينيون إلى الدعائم القائمة التي تسند السقوف وهي في وسط المكان وظيفتها محددة وعملية، ولكنها حملت طابعاً معمارياً وجمالياً له خصوصيته لكنها كانت نادرة الاستعمال.

«تعني كلمة العمود، وهي من جذر عمدْ، ما يتم الاتكاء أو الارتكاز عليه وجمعها أعمدة أو عُمُد، وقيل الأعمدة أساطين الرخام، أما الدعامة فهي من جذر دعم وتفيد المعنى السابق نفسه للعمود أي الركيزة، أما في اللغة الأكدية فاستخدمت المفردات IMDUM، AMUDUM، IMDU، لتعني معنى العمود والدعامة معاً، وكذلك المفردات DIMTUM، DIMATUM، TIMMU، DIMMU، لتشير إلى المعنى نفسه، والمقصود به في اللغة العراقية القديمة وهو الاسناد والتقوية والارتكاز، لنرى التقارب الكبير بين هذه المفردات اللغوية الأكدية ولفظة العمود والدعامة بجذورها في اللغة العربية، مما يشير إلى أنها تعد الأصول الأولى» (حسين 2015: 258).

«مع ملاحظة أن المفردة أو المقطع السومري الذي يشير إلى العمود والدعامة هو dim أو dim-gal، ونستطيع أن نرى التقارب بين جميع المفردات، هذا وقد استمر استخدام المفردات الأكدية من قبل اللغات اللاحقة، كاستخدام كلمة العمود في الآرامية وعمد في العربية الجنوبية، كجزء من أصالة بعض المفردات الجزرية واستمرارها وصولاً إلى العربية.» (حسين 2015: 258).

كانت الأعمدة تشكّل واحداً من أهم أسس العمارة الداخلية والخارجية، ففي العمارة الداخلية كانت ضرورية في وظيفة إسناد العمارة «سيما لرفع السقوف، على الرغم من أن المكتشفات الآثارية قد أظهرت أن المعمار العراقي القديم كان السباق والرائد في استخدامها في القاعات والأروقة والمداخل، فضلاً عن أنصاف الأعمدة المدمجة (الملصقة)، وربما أن أكثر الأعمدة إن توفرت لا سيما في البيوت السكنية والأبنية البسيطة فلا بد وإن كانت مادتها من الخشب لاسيما جذوع النخيل المتوفرة في العراق لاسيما القسم الجنوبي منه، وهي مادة عضوية هشة معرضة للتحلل والتآكل السريع، لذلك وباحتمال كبير ربما كان هناك الكثير منها إلا أنها تعرضت للاندثار ولم يتم التوصل إلى كشفها.» (حسين 2015: 256).

أنواع الأعمدة في العمارة البابلية:

1.العمود المدمج (الملتصق) Engaged Column:

وهي من أهم إبداعات الأعمدة في العراق القديم، وأهم نماذجها كانت في مدينة لارسا، حيث اكتشف المبنى الكبير والمسمى بمبنى 33 وهو بمساحة 2000 متر مربع وهو مكان لاجتماعات شيوخ المدينة، وهو سومري الأصول.

«يعد العمود أو الدعامة عنصراً معمارياً قائماً بشكل طولي، مستقل بذاته أو متصل، مدمج أو ملتصق (Engaged Column)، بعناصر عمارية أخرى لا سيما الجدران، ليمثل ركيزة أو سناداً (ساند)، يفيد لكلا الاسنادين الجانبي وذلك للتقوية والدعم أو الاسناد الرأسي وذلك للرفع (كل ما يقوم عليه كالسقوف)، ويختلف حجمه وطوله حسب حجم وثقل المطلوب اسناده، مع تنوع مادته الإنشائية ما بين الخشب لا سيما للأعمدة بنماذجها الأولى، أو اللبن، الآجر والحجر بشكل عام، وتتباين الأشكال ما بين العمود الذي يأخذ الشكل الأسطواني والدعامة المعروفة بشكلها المضلع مستطيلاً أو مربعاً، فضلاً عن أنصاف الأعمدة وأنصاف الدعائم، والتي تعد من أجمل الإبداعات العمارية العراقية القديمة، الاسناد وزينة الجدران لا سيما واجهات الأبنية العامة الدينية أو الدنيوية.»(حسين 2015: 257 ـ 258).

2.الأعمدة الحلزونية Spiral Colum:

وهي الأعمدة التي تظهر على شكل ظفائر حلزونية متشابكة مثل قضيب متعدد الوحدات متصاعداً نحو الأعلى أو هابطاً نحو الأسفل، وقد استخدم هذا النوع من الأعمدة بتكوينه الطبيعي هذا أو كان أحد الأشكال التزيينية والزخرفية في العمارة الداخلية كأعمدة كاملة أو كأنصاف أعمدة.

«أسفرت كذلك التنقيبات في تل حداد ضمن حوض حمرين (20 كم جنوب غرب جلولاء)، عن بقايا عمارية مهمة في طبقاتها الأربع لاسيما أبنية المعابد، ومنها المعبد المكتشف في الطبقة الثالثة التي تعود إلى بدايات العصر البابلي القديم، إذ تميز هذا المعبد باحتوائه على عناصر وتزيينات عمارية جميلة وملفتة للنظر، وأهم ما فيها تشكيلة من أنصاف الأعمدة

الحلزونية الملصقة، مشيدة من اللبن والطين، زينت واجهات تشكيلاته البنائية منها واجهة الساحة الرئيسية (الأمامية) رقم (35) التي تقابل المدخل الرئيس، وكذلك زينت ضلعَي الساحة الداخلية رقم (117) الغربي والشرقي مع أربعة أنصاف أعمدة خالية من الزينة وهي تزين الواجهة الشمالية لهذه الساحة، وتميزت زينة هذا المعبد بوجود عنصر جميل آخر هو عمود نصفي بهيأة النخلة بين نصفي عمودين حلزونيين، وهم يزينون جدار بارتفاع متر واحد، وهو ما تبقى منه، وبطول مترين يفصل بين دكة معدة ربما للصلاة عن غرفة الخلوة وغرفة الما بين (ما قبل الخلوة)، فضلاً عن مثل هذه الزينة من جذع النخلة وأنصاف الأعمدة الحلزونية وهي معمولة بالطين ومصبوغة بلون بني غامق وهي تزين المدخل الوسطي لغرفة ما قبل الخلوة وهو بعرض المترين، وعلى ما يبدو من خلال ملاحظتنا لشكل الأعمدة النخيلية والحلزونية في تل حداد استخدام أسلوب النحت لشكل الزينة أو الحلية الحلزونية أو النخيلية الخارجية أو السطحية بعد إقامة كامل جذع الأعمدة من الطين واللبن، ولم يتم استخدام اللبن المقولب في تنفيذ تلك الزينة» (حسين 2018: 289).

ومن العصر البابلي القديم هناك الأعمدة الحلزونية والأعمدة الملصقة في مدينة كرانة (تل الرماح).

رسم: لينا الناصري

الزخرفة عن طريق أشكال الأعمدة:

استعملت الزخرفة باستعمال أشكال الأعمدة «لكن بأسلوب أكثر جودة وإتقان مع استعمال اللبن المقولب في تنفيذ زخرفة الأعمدة وأنصاف الأعمدة، التي زينت الواجهة الخارجية والواجهات الداخلية الأربع للساحة الرئيسية لمبنى المعبد الكبير ومصطبة الزقورة الملاصقة له، المشيد في هذه المدينة بأمر الملك شمشي أدد الأول (1813 ـ 1781 ق.م) كما يشير إلى ذلك بعض الباحثين، إذ أقيم حوالي 277 عنصراً عمارياً من أنصاف الأعمدة

الملصقة بزينة حلزونية ونخيلية، منها 50 عنصراً كبير الحجم بعرض 60 سم، شيدت بلبن مقولب بسطوح منحنية (محدبة) ومقعرة بقياسات خاصة ضمن درجات وزوايا محسوبة، والتعامل معها بأسلوب بنائي من شد وحل وتعشيق لإخراج الشكل الكامل للاستدارات أو الحلقات الحلزونية لشكل العمود الخارجي. فضلاً عن الإبداع، من خلالها، في إخراج أشكال منوعة لشكل جذع النخلة من معيني ومثلث مقطوع الرأس، وهي أنواع الأشكال التي تتركها عملية قطع سعف النخيل على الجذع عبر الزمن وهو ما يسمى باللغة العامية بالتكريب، وهذا ما نشاهده بعمودين مميزين في وسط دخلتين عميقتين تحيطهما حافات جدارية متدرجة ضمن البرجين اللذين يحيطان بالمدخل الشرقيين وقد شيد العمودان بشكل رباعي يشبه إلى حد ما زهرة رباعية الأوراق، أو كهيئة من أربعة أعمدة مدمجة مع بعضها في بدن واحد، أو عمود بأربعة فصوص، ولا يفوتنا أنه من المحتمل ربما استخدمت طريقة الحفر أو النحت لبدن العمود المشيد من اللبن لإخراج أو تنفيذ الأشكال الخارجية من حلزونات أو زخارف نخيلية وربما الطريقتين أي باللبن المقولب والنحت، وفي كلا الحالتين يعد هذا الإنجاز أسلوباً عمارياً متقناً وجميلاً ويحمل من الإبداع الكثير والمميز» (حسين 2015: 287).

3.الأعمدة القصبية Bronchial columns، Reed columns

وهي الأعمدة المبكرة التي اتخذت من شكل العمود القصبي المبكر السومريّ شكلاً لها. فقد «وظف العراقي القديم فكرة الاسناد الرأسي والجانبي ليس فقط في الأبنية العمارية لكن كذلك في الأبنية القصبية، التي تعد إحدى سمات وملامح حضارة العراق القديم في القسم الجنوبي منه لا سيما في مناطق الأهوار، المنطقة الطبيعية لنمو عيدان القصب، والتي تنمو بارتفاعات كبيرة تصل في بعض الأحيان حتى تسعة أمتار، لكن الارتفاع الطبيعي العام لها حوالي 3، 5 م تقريباً، لتعد العنصر الإنشائي الرئيس في إقامة بيوت القصب (الصرائف)، منها للسكن أو كمراكز دينية (معابد) لا سيما في العراق القديم، ومنها على شكل قاعات قصبية طويلة تستخدم كمضايف خاصة (المضيف).» (حسين 2015: 265).

ويرى هاري ساغز أن العمود القصبي الرافديني هو مصدر العمود الأيوني الإغريقي لأنها «تمتاز بوجود تاجٍ في أعلاه وهذا التاج محاط بزينة حلزونية جانبية، ولقد استعمل هذا النوع في الفترة Protolitarate كرموز دينية في بابل، وكان عبارة عن حزمةٍ من القصب الطويل والمرتبط بعضه ببعض، وقد استعمل بشكل عمود في الكوخ الطقسيّ ولا تزال مثل هذه الوسائل مستعملة في صنع الأكواخ بين سكّان المستنقعات من عرب العراق والجنوب» (ساغز 2009: 511).

4.الأعمدة النخيلية Palm columns

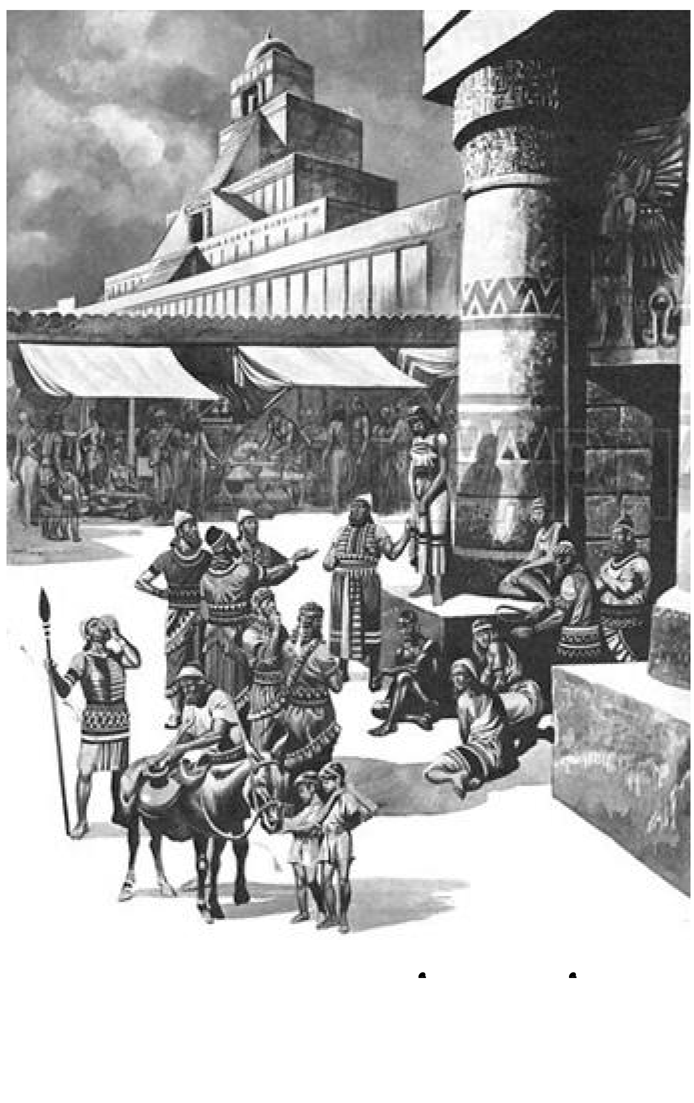
ظهرت في جدارٍ أو سورٍ محصن في مدينة أور وهو يعود للملك ورد ـ سين ملك مدينة لارسا (1834 ـ 1823 ق.م) والذي يتميز بجمالية فريدة شكّلت الأعمدة النخيلية فيها طرازاً فريداً.

«يتميز هذان العمودان بإبداع عماري جديد من خلال تشييدهما باللبن وبأسلوب مميز لخلق حلية عمارية من ضمن البناء لتزيين سطح العمود، وهي تكمن في طريقة البناء بأسلوب الحل والشد بطريقة فنية وذلك باستخدام اللبن المقولب بشكل أرباع وأنصاف دائرية، ومع نهاياتها المنحنية لتلائم سطح العمود الدائري استخدمت أيضاً لتشكل زينة عبارة عن مثلثات مقطوعة الرأس بارزة عن سطح جدار العمود بشكل قليل تتوزع بمسافات بينية بسيطة ومتساوية الغرض منها محاكاة شكل جذع النخلة، وقياس هذه المثلثات بطول قاعدة 21 سم وبارتفاع 20 سم وبقمة مستوية بطول 8 سم، والذي كما يبدو كانت النخلة هي باعث الإلهام الواضح لزينة هذا الجدار بتفاصيله، وربما يعود هذا إلى أثر النخلة الملهم في الفكر العراقي القديم وفي أغلب إنجازاته الفنية والعمارية، وإذا جاز لنا التعبير سنطلق على مثل هذه الأعمدة أو أنصاف الأعمدة التي تحاكي شكل جذع النخلة بالأعمدة النخيلية.» (حسين 2015: 284).

رسم: لينا الناصري

المداخل والعوارض العمودية:

«تتألف كل منها من أنصاف أعمدة ملتصقة، أو إذا صح التعبير كما أرى أرباع أعمدة، بين كل نصفي عمود دخلتين متدرجتين إلى الخلف متقابلتين تتوسط الأخيرة منهما كوة عمودية بشكل طولي وعلى امتداد ارتفاع الجدار، تشبه إلى حد ما رافدة أو عارضة خشبية مضلعة (مربعة)، ويتوسط واجهة هذا الجدار مدخل عريض أو دخلة، كما يشير الأستاذ وولي تقود إلى المدخل وهو محاط بعمودين دائريين من اللبن مع ثلاث دخلات أو أطر جدارية مستوية متدرجة إلى الخلف، وربما بسبب ضعف المادة البنائية وقلة حجم العمودين وهما بقطر 70 سم، وعلى الرغم من بنائهما بشكل دائري كامل، حاول المعمار من لصقهما أو وصلهما بسطح الجدارين إلى الخلف منها ضمن الزاوية التي تشكلت من التقاء الجدارين لكل جانب من المدخل.» (حسين 2015: 284).



بابل وأسواقها وأعمدتها في صورة متخيلة

رسم: لينا الناصري

رسم: لينا الناصري

رسم: لينا الناصري

ثانياً: النحت البابلي

من أمثلة النحت البابلي القديم الرأس، المكسور في الرقبة، يصور شخصية رجل ملتح. في حالة من اليقظة: جبهته مغمورة، وعيناه كبيرتان، تظهر الشفاه الرفيعة في ابتسامة خفيفة. يمنح نمط متعرج منحوتة نسيجاً لتسريحة شعره التي تشبه الغطاء. بشكل غير عادي، يصور هذا الذكر ذو لحية، وعلى رقبته أخادان أفقيان ـ ربما يمثلان نوعاً من الياقات أو المجوهرات. على الرغم من الرعاية المقدمة لنحت هذا الرأس، فإن الطين نفسه ذو نوعية رديئة إلى حد ما، مع العديد من الادراج. تم إطلاق الرأس في العصور القديمة وآثار الطلاء الأحمر على جلده والأسود على شعره تشير إلى أنه تم رسمه في الأصل. هناك تجويف صغير في قاعدة الرأس.

من المعروف أن العديد من رؤوس التماثيل المصنوعة من التراكوتا معروفة في كل من العراق القديم وإيران في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد. يبدو من المحتمل أن العديد من هذه الأواني الفخارية كانت في الأصل جزءاً من تمثيل كامل للجسم أكبر، وربما مركب. مثل هذا الشكل، غالباً ما يكون لديهم تعبيرات متنبهة، ويتم عرض بعضها بأيد مثبتة. مثل هذه التعبيرات والمواقف تستدعي إلى الأذهان شخصيات العبادة الحجرية الأصغر في فترة الأسرة الأولى. لا نعرف سوى القليل جداً عن الأرقام النذرية في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، ولكن هناك أدلة على أن شخصيات طينية مختلفة خدمت كأوصياء للمعبد.

المثال الآخر من العصر البابلي الحديث لرأس رجلٍ ملتحٍ أيضاً من أوائل القرن السابع قبل الميلاد، وهو من السيراميك، وتعابير وجهه واضحة، الأبعاد: 4.92 بوصة (12.5 سم).

وهناك رأس الملك حمورابي المصنوع من حجر الديوريت وتظهر عمامة رأسه المدورة ولحيتـه المكونة من ثلاثة صفوف وملامح وجهه واضحـة ودقيقة وهناك أيضاً تمثال إلهة الماء الفوّارة وهي إلهـة واقفة مثنية الساعدين تحملُ جرةَ ماء، وترتدي خوذة كبيرة ذات قرون (علامة الألوهية) وتظهر تنورتهـا المكونة من خمس قطع متصلة ببعضها وترتدي قميصاً شفافاً بنصف أكمام يغطي الصـدر وهناك من العصر البابلي المبكر الإله ذو الوجوه الأربعة الذي يجسّد تقنية رائعة في النحت.

«ومن تماثيل مملكة ماري، كان التمثال الوحيد الذي يعاصر القصر هو تمثال آلهة «المزهرية المتدفقة» الذي عثر على قطع منه في غرفة العرش وفي الباحة خارج الغرفة. ولا بد أن يكون هذا التمثال ثابتاً لأن الماء كان يوزع من خلال أنابيب في داخله. ومن ناحية الأسلوب فليس للتمثال أهمية كبيرة لأن التصميم في معظم جوانبه يوحي بمعالجة تقليدية للموضوع الفني. أما الأعمال الفنية الأكثر تميزاً فهي تلك التماثيل الخاصة بالأمراء المحليين كتمثال «أيشتوب ـ ايلوم» (Ishtup - llum) الذي عثر عليه في المعبد العظيم وتمثال «ايدي ـ ايلوم» (Idi - llum) المأخوذ من الهيكل الجنوبي الشرقي وتمثال «بوزور ـ عشتار» (Puzur - Ishtar) وهو واحد من مجموعة أثرية. جمعها آخر ملوك بابل وهي موجودة للآن في متحف استامبول. وتشبه هذه التماثيل إلى حد كبير تماثيل حاكمي أشنونا التي أخطت غنيمة إلى سوسا. وفي عصر لا يمكن فيه نسيان زي «الكوناكس» (Kaunakes) فقد ألبست هذه التماثيل أثواباً فضفاضة مما يشكل تناقضاً محيراً من حيث التفاصيل الزخرفية وغيرها.» (لويد 1993: 233).

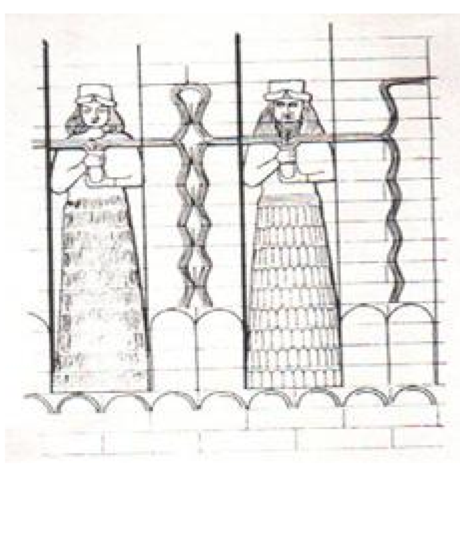
أما من العصر البابلي الحديث فهناك (أسد بابل) الذي هو تمثال من الحجر يمثل بابل على شكل أسد فريد في تصوير فروة الرأس والوجه والجسد.وهو نصب آثاري بارز عبارة عن تمثال من الحجر لأسد يحاول افتراس شخص يرمز للعدو تجسيداً لقوة بابل وفرض

سلطتها على الشعوب، يبلغ طول التمثال 2.6 متر وارتفاعه 11.95 متراً ووزنه 700 كغم، وقد بني هذا الأسد في عهد الدولة البابلية الحديثة الكلدية، لكن شكله ومادة صنعه قد تعيده إلى الحيثيين فقد يكون من الغنائم التي غنمها البابليون فترة حكم نبوخذ نصر الثاني أثناء إغارته على بلاد حاتي. والراجح أنه أحد مبتكرات فن النحت البابلي الحديث.

أما النحت البارز فأشهر أمثلته النحت الذي يقع في أعلى مسلة حمورابي (شريعة حمورابي) حيث يظهر الملك حمورابي واقفاً أمام الإله الشمس إله العدل وهو يتلو عليه قوانين الشريعة ويسلمه العصا والحلقة رمز العدل. وفي الأسفل كتبت على أربعة وجوه وبانتظام جميل (282) مادة قانونية بالخط المسماري واللغة البابلية.

هناك تمثال مميز للإلهة عشتار مع بدء العصر البابلي القديم 2000 ق.م بثديين صغيرين وحوضٍ عريضٍ، وهي تمنح ثدييها للعالم، وهي صورة نمطية لتماثيل الإلهة الأم في وادي الرافدين منذ عصور ما قبل التأريخ، ونحت آخر شبع مجسم للإلهة ليليث وهي كائن ليلي محاطة برموزها الليلة من بومات ولبوات.

وعلى جدران معبد الملك كارانداش، من العصر الكيشي، في أوروك تظهر منحوتات بابلية متميزة وغريبة لإلهين يمسكان الإناء الفوار ويعبران عن نموذج فريد للنحت البابلي.فهناك دعائم ضخمة لزوايا البناء، وهناك فجوات طويلة بين الأعمدة تزينها تماثيل ناتئة لرجال وآلهة يحملون الآنية الفوّارة التي تتدفق منها المياه.



.

نحت بارز من الطابوق جدران الملك كارانداش في أوروك

القرن الخامس عشر (متحف بغداد)

ومن أمثلة نحت السيراميك البارز المتقن حيوان ورمز مردوخ (موش خوش) الموجود بوفرة على بوابة عشتار.



كائن مردوخ المرافق له منحوتاً من السيراميك على بوابة عشتار

http://www.cryptozoology.com/articles/ishtar.php

ثالثاً: الرسم(التصوير) البابلي

1. **فن الرسوم الجدارية في العصر البابلي القديم**

اشتهر العصر البابلي القديم بين كل العصور التاريخية بنتاج غزير في فن الرسم الجداري، ويكاد قصر (زمري لم) في مدينة ماري أن يكون المصدر الوحيد لهذا العدد الكبير من الجداريات المنفذة بالألوان الزاهية. وضع الفنان هذه المناظر في تقسيمات أفقية ظهر في القسم الأول الملك ماثلاً أمام عشتار إلهة الحرب.

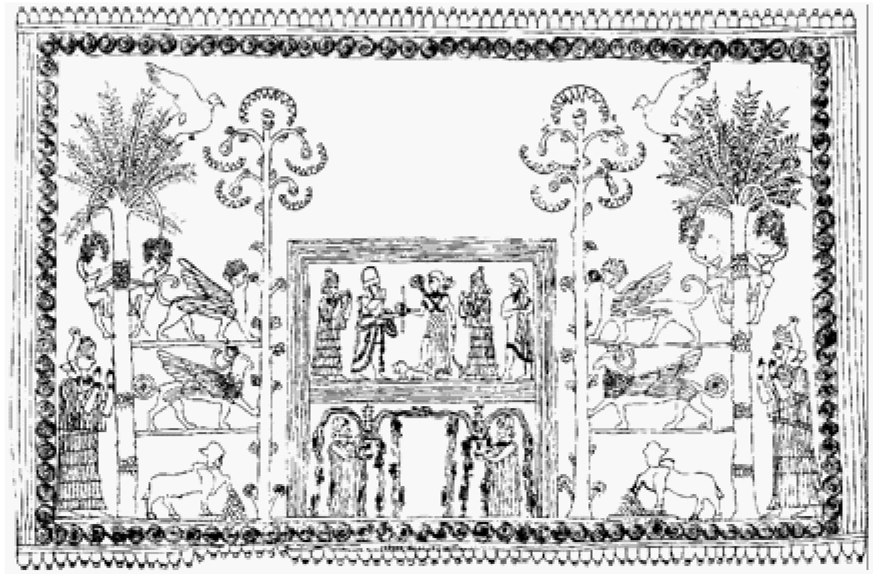
وفي القسم الأسفل يشاهد أشخاص يحملون أوانيَ ينبعث منها الماء المقدس وتوجد على يمين ويسار هذه وحدات من الحيوانات الخرافية المعروفة والجدارية الثانية هي تقديم المتعبدين التي تتألف من خمسة حقول أفقية والجدارية الثالثة هي موكب تضحية الثور (تالفة) بقي منها موكب من أشخاص يقودهم الملك بملابسه الملكية وخلفه أتباعه يقتادون ثوراً كبيراً للتضحية به في حضرة إله (علاّم 1992: 66).

تحتوي العديد من الغرف في القصر على جدران تم الحفاظ عليها حتى ارتفاع 5 أمتار، وهو أمر نادر للمباني القديمة في بلاد ما بين النهرين. في حين أن القصر كان شبه فارغ من الأشياء المحمولة، بعد أن نهبه جنود حمورابي، إلا أن الجدران كانت مغطاة بلوحات لا يمكن إزالتها. تم العثور على بعض هذه اللوحات في الموقع على الجدران، في حين وجدت بعضها الآخر في شظايا صغيرة على الأرضيات. كانت اللوحات في حالات مختلفة من الحفظ، وأحياناً فقط كشظايا تحتاج إلى إعادة بناء واسعة، وأحياناً كمشاهد أكثر اكتمالاً. تم عرض مجموعة متنوعة من المشاهد، بما في ذلك المشاهد الدينية / الدينية، وربما السرد السياسي والعسكري.

أول مجموعة رئيسية من الغرف هي القاعة 131 تؤدي إلى الغرفة 132، وهي غرفة أعيد بناؤها على ارتفاع 3 أمتار وعرض 3.36 متر. وهي مطلية باللون الأسود والأبيض والأحمر والأصفر، وتظهر الملك أمام العديد من الآلهة، ويساعدها في تداخل آلهة وكهنة. هذه الأنواع من المشاهد معروفة من بلاد ما بين النهرين ويمكن العثور عليها على الأسطح والأختام الأسطوانية. وتشمل الآلهة إلهة الحرب، عشتار، وربما إله القمر، سين. تُظهر المشاهد الفرعية المعارك أو حاملي الجزية، وقد صورت على نطاق أصغر من الملك والآلهة. يشبه الفستان المُصوَّر (الجلباب المنعطف) بشكل وثيق فستان فترة أور الثالثة، ويختلف تماماً عن نمط الفستان الموضح في اللوحات الأخرى في القصر. إذا كانت اللوحات مؤرخة بطريقة تاريخية، فستكون هذه أقدم لوحة في القصر، يرجع تاريخها إلى حوالي عام 2000 قبل الميلاد.

كما تم العثور على لوحات جدارية على جميع الجدران الأربعة للمحكمة 106 وقد تكون في الأصل محمية من العناصر بواسطة رواق. كما تم اقتراح المحكمة 106 لتكون «محكمة النخيل»، وهي محكمة في القصر معروفة من مصادر نصية، والتي قد تكون أولاً تضمنت أشجار النخيل الحية. معظم اللوحات في 106 مجزأة وقد أعيد بناؤها. تشمل المشاهد التضحيات والتضاريس الجبلية وما يسمى «مشهد التنصيب» الذي ظل على الجدار في حالة جيدة إلى حد ما. كانت هذه اللوحة الجدارية نوعاً من لوحة مصممة لتبدو وكأنها سجادة معلقة على الحائط. ربما يعود تاريخها إلى فترة زمري ـ ليم ويسبق على الفور تدمير القصر. يقع في بيئة دنيوية أخرى (تظهر من قبل الحيوانات المركبة التي تحيط بالنشاط الرئيسي)، ويظهر المشهد الملك يقف أمام الإلهة عشتار، الذي يقف على أسد ويقدم له عموداً وحلقة، رموز الملكية. ويمثل منح السلطة الحاكمة من قبل الآلهة لملك بشري. الأسفل هي آلهة تحمل مزهريات متدفقة ويمكن مقارنتها بتمثال موجود في غرفة مجاورة يبدو أنه نافورة فعلية لقد تم اقتراح أن يكون مشهد الاستثمار مقصوداً على لوحة منحوتة مرتبة في غرفة العرش (غرفة 65)، والتي أعيد بناؤها على أنها تحمل تماثيل للإلهة عشتار والآلهة مع المزهريات المتدفقة.

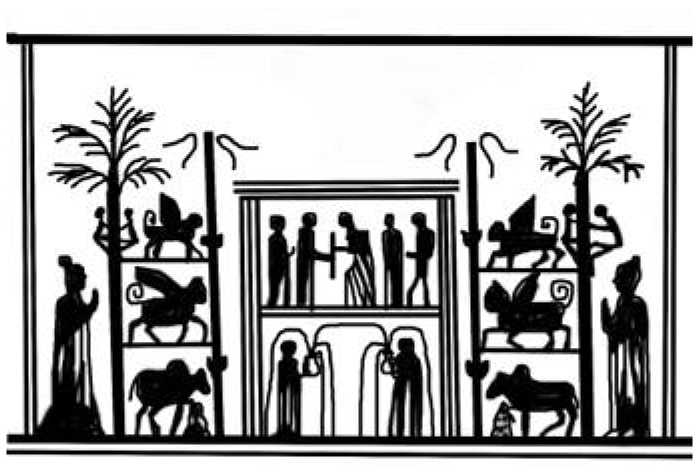
الغرفتان 64 و65، تقع خارج القاعة 106، تشكل مجموعة مزدوجة. تفتح الواجهة الجنوبية للمحكمة 106 على مقدمة غرفة العرش العرش على خط الوصول المباشر، على الرغم من أنه من غير الواضح ما إذا كان يمكن رؤية العرش بالفعل من المدخل. غرفة 65، الثانية.



التصوير الجداري العام (مشهد التنصيب) عثر عليه في مدينة (ماري) في قصر زمري ـ لم

(حوالي 1760ق.م) وفيه عشتار والملك ومناظر تتويج وطقوس

اللوحة الجدارية الموجودة حالياً في متحف اللوفر



اللوحة كاملة معاد رسمها من أجل التوضيح (تتكون من ثلاثة مشاهد فرعية)



لوحة جدارية من الغرفة 132 لقصر زمري ـ لم

تميزت هذه الرسوم بواقعيتها واهتمامها بالتفاصيل واستخدام عدد كبير من الألوان في المشهد الواحد، وانسجامها وتدرجها من الغامق إلى الشفاف وبالعكس.ويمكننا القول أن هذه الجدارية تعدّ أقدم فريسكو (لوحة جصيّة) بابلية رافدينية قديمة.

وهناك تصوير جداري بابلي لرجل يمسك ثوراً تظهر فيه بعض سمات التصوير الجانبي فيما يخص وجه الرجل والثور.





لوحة لموكب يتبع شخصاً، ومقطع منها لرجل يمسك ثوراً: كسرة جدارية ملونة من قصر زمري ـ لم في ماري (2040 ـ 1870) ق.م

جداريات دور كوريكالزو

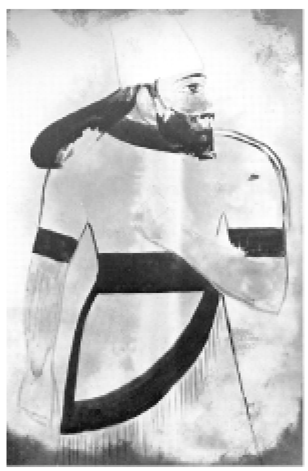
لعلّ جداريات قصر دور كوريكالزو التي كشفت عنها البعثات الآثارية تعتبر كنزاً فنياً لا نظير له، بسبب ندرة أعمال الرسم البابلي، وهي تمتاز بطريقتها المميزة في الرسم، «في لوحات دور كوريكالزو لا يوجد مبدأ التوازن والمعارضة، ولكن عندما لا يكون استخدام اللون «أكثر إثارة» ولكنه يهدف إلى تقليد الواقع. أخيراً، من الممكن الإشارة إلى الاستخدام الواعي للون في كل لوحات جدران العصر البرونزي المتآخر، وفقاً للموضوع ممثلة.
استخدام رمزي و(مثير) يبدو اللون المفضل في اللوحات الجدارية الزينة، في حين أن تقليد الواقع موجود في المجازية.»

.(Pizzimenti 2012: 309)



إحدى جداريات قصر دور كوريكالزو

Dur Kurigalzu، Unit H، Doorway IV. Baqir 1946: pl. 14، 7

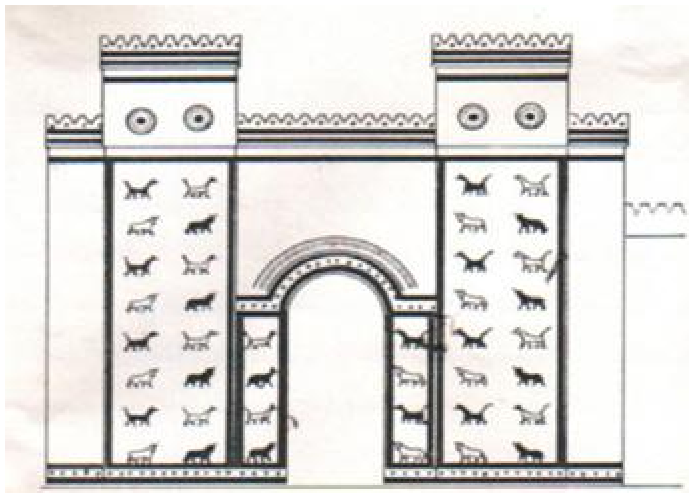


استنساخ أحد الشخصيات البارزة من المدخل الثالث، الوحدة H من القصر في دور كوريكالزو. باقر 1946: ص. 12، 5.

Baqir1945، 1946: pl. 12, 5 pp. 7–93

2. فن جداريات السيراميك (الخزف) البابلية الحديثة

زينت واجهة (بوابة عشتار) وسطوح الجدران المحيطة بشارع الموكب من الجانبين جداريات تحتوي على أشكال حيوانية مصنوعة من السيراميك أو الخزف المزجج والملون ووحدات نباتية تشبه النقوش.



بوابة عشتار المزينة بالزخارف الحيوانية والنباتية المصنوعة من الخزف الأزرق

أما الحيوانات الخرافية على البوابة فهي:

1. الأسود وهي رمز العالم الأسفل ورمز الإلهة عشتار.

2. الثيران أو العجول رمز الحياة وصديقة الإنسان والخصب ورمز إله المطر (أدد).

3. التنين (موش خوش) وهو حيوان خرافي مركب يرمز إلى الإله مردوخ (جسم كلب، ذيل طويل، رأس أفعى، أقدام الأسد الأمامية، أقدام الطير الخلفية).

من خلال هذه البوابة الضخمة يمر شـارع عريض ومستقيم يسمى (شارع الموكب) ومن كلتا الجهتين لجانبي المدخل الرئيسي هناك أربعة جـدران للمدينة بمحاذاة شارع الموكب امتدت جدران على كلا جهتي الشارع وقد صور إفريز بارتفاع متر واحد من الطابوق المزجج بألوان منها الفيروزي ـ الأزرق الفاتح. الأزرق الغامق. والأصفر بوحدات هندسية، أما

الوحدات الحيوانية التي تزخرف جدران شارع الموكب المؤدي لبوابة عشتار فهي عبارة عن صفوف من الأسود المزججة (120 أسداً، ستون على كل جانب) المزججة وبأحجام متساوية تميزت بعضها عن البعض الآخر بألوانها المختلف (فارس 1980: 83).

رابعاً:الفنون الصغرى (التطبيقية)

الفخاريات البابلية:

يُظهر الفخار الذي تم إنتاجه خلال الفترة البابلية «القديمة» العودة إلى التصاميم المجردة المطلية وزيادة التنوع في الأشكال. في هذه الصورة، يُظهر وعاء وجرة وكأس بقايا من الطلاء على الأطراف الخارجية.



فخاريات بابل القديمة

كودورّو: Kudurru

تعني كلمة كودورّو الأكدية (الحدّ، التحديد)، ويمكن تقريبها باللغة العربية في كلمة (جدار) وهي ترمز للجدار الفاصل فعلاً، وكانت تستخدم في تحديد الأراضي الزراعية، وتتمثل بألواح طينية تُسجل فيها حدود وأوصاف هذه الأراضي لتكون وثيقة بين أهل المكان

الواحد ويُحتفظ بها في المعبد كوثيقة طوبوغرافية. ثم تطورت فكرة الكودورّو وأصبحت أحجاراً كبيرة توضع بين حدود المدن والدول لتكون بمثابة (حجر الحدود) الفاصلة بينها.

ظهرت بشكل محدود وكوثائق زراعية في عصر فجر السلالات السومري، لكنها شاعت كأحجارٍ للحدود في العهد الكاشي البابلي.

كانت عبارة عن أحجار مخروطية تُصنع، في الغالب، من حجر الديورانت الأسود اللون أو من بلاطات القرميد المطلية بالمينا والمزججة بالحرارة، ويتكون وجهها من قسمين، الأعلى يضم رموزاً للآلهة منحوتة بالنحت البارز باعتبارهم شهوداً على هذه الوثيقة التي تحدد الحدود بين البلدين، ومن هذه الآلهة (شمش الذي يمثله قرص الشمس، سين أو نانا الذي يمثله هلال القمر، نجمة عشتار الثمانية، الفأس أو المحراث رمز مردوخ،.. إلخ). أما القسم الأسفل فيكون في الغالب مخصصاً لنصّ معاهدة الحدود وقد تزينها صورة ملك أو ملكين متفقين على المعاهدة. وتكون هذه الصور، في بعض الأحيان موجودة في القسم العلوي وتحيط بها رموز الآلهة.

أما في ظهر الحجر فيُذكر أسماء الملوك وتحديد الأرض وأسماء الشهود واللعنات الإلهية على من يكسر الحجر أو يبدل أو يخرق نصوص المعاهدة.



أهم نماذج الكودورو في وادي الرافدين (تسمى باسم الملك الذي مُنحت له):

المسلاّت الملكية:

تسمى المسلّة بالسومرية (نانار وا Na.Na.Ru.A) وبالأكدية نارو وجمعها ناروم (Naru-m). واستخدم لفظ شالمو (Salmu -m) في العصر الآشوري الحديث للتعبير عن المسلة، وربما جاء اسم مسلة العربي من هذا الاستخدام.

والمسلة هي «عبارة عن كتلة صخرية كبيرة الحجم يتفاوت ارتفاعها بين (50 سم و3 م)، تنحت من جانب واحدٍ أو اثنين أو من أربع جوانب بنقوش صورية بارزة ترافقها، في معظم الأحيان، نصوص مسمارية تخليدية للملوك، من خلال تدوين أخبار الحملات العسكرية أو الحوليات الملكية أو المنجزات العمرانية عليها، وقد شكّلت هذه المسلات على نحو مستطيل أو مربع، في بعض الأحيان، وكانت بعض المسلات ذات قيمة محدبة أو شبه دائرية، كما كان بعضها الآخر ذا قمةٍ هرمية كما وجد أن القسم الأسفل من المسلات عريض شكّلت ما يشبه قاعدة الاستناد، ولوحظ أن قسماً آخر منها نُحت على هيأة نهاية رفيعة بعض الشيء لكي يسهل دكّه في الأرض أو نصبه فوق قاعدة خاصة. وكانت هذه المسلات تقام لتخليد ذكرى أعمال الملوك ومنجزاتهم في السلم والحرب وكما تؤكد ذلك النصوص المسمارية المنقوشة والمشاهد الفنية المنفّذة عليها.» (الراوي 2003: 7 ـ 8).

أ.المسلات الملكية في العصر البابلي القديم:

أهم نماذجها مسلات (دادوشا من أشنونا، مسلة حمورابي من بابل، حمورابي من أشجالي، حمورابي من أوتراشدوا، ومسلة مجهولة الأصل).

مسلة دادوشا: ملك أشنونا (دادوشا) كان معاصراً للملك حمورابي في بابل، فقد أصبح ملكاً في 1792 ق.م خلفاً لأخيه نرام سين، وخاض حروباً كثيرة منها انتصاراته على أشمي ـ داكان ابن شمشي ـ أدد الأول الذي كان حاكماً على مدينة أكلاتم. وترك مسلة عثر عليها في ديالى وهي محفوظة في المتحف العراقي في بغداد «حيث تتميز هذه المسلة بقمتها المحدبة وقد قسّم سطحها إلى حقولٍ أربعةٍ تفصلها أشرطة بارزة دونت عليها كتابة مسمارية تخلد المآثر العسكرية التي أنجزها الملك دادوشا، وخاصة إنجازاته الإدارية

والعسكرية في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية خلال فترة حكمه» (الراوي 2003: 107 ـ 108).

تتكون المسلة من أربعة أجزاء هي كما يلي:

1. الجزء الأعلى الأول: دادوشا (إلى اليمين) يرفع يده متعبداً لقرص الشمس في الأعلى، وأمامه رجل عسكري ربما كان هو العدو.

2. الجزء الثاني: الملك والعسكري يتواجهان عند المدينة.

3. الجزء الثالث: الملك يأسر جنود الشخص العسكري.

4. الجزء الرابع (الأسفل) رسم لرؤوس سبعة جنود مع خوذهم، ربما كانوا جنود الملك.

«إن لوحة المسلة الشهيرة للملك دادوشا في أشنونا (القرن الثامن عشر قبل الميلاد). تشهد على وجود ارتباط بين النص والصورة المميزة في الشرق الأدنى القديم. ومع ذلك، لا زال الباحثون غير متفقين عليها بشأن تحديد الجهات الفاعلة الرئيسية الثلاث في السجل العلوي للوحة. تناقش الورقة بالتفصيل الأدلة اللغوية والكتابية وسياقاتها الأكبر. ويخلص إلى أن الشخص المقتول على اليسار يقف على الملك المهزوم من(كبارا)، والشخص إلى أقصى اليمين هو ملك أشنونا المتدين الذي يدفع تقديس إلهه الذي يضمن النصر على عدوه.» (Rollinger 2017: Abstract).

ب.المسلات الملكية في العصر البابلي الحديث:

أهم نماذجها مسلات (تيماء، نبونائيد من حران وهناك 3 نماذج لها).

مسلة نبونائيد من تيماء: كُشف عنها في منطقة بئر هداج من قبل المنقب (دوغتي) عام 1877 ثم اختفت وكشف عنها في بيت من بيوت تيماء وضعت كجدار فيه واشتراها الباحث هوبر واوتينج ونقلها إلى أوروبا ثم إلى متحف اللوفر، واختلفت الآراء في زمنها

الدقيق بين من يرى أنها من زمن نبونائيد في تيماء أي في القرن السادس قبل الميلاد، والآخر يرى أنها من زمن دارا الأول الإخميني في القرن الخامس قبل الميلاد.

وهي مصنوعة من الحجر الرملي ووزنها 150 كغم وارتفاعها 110 سم وعرضها 34 سم وسمكها 12 سم.وجهها الأمامي بقمة محدبة ونقشٍ آراميّ ووجهها الأيمن بحقلين مرسومين بنحت بارز يبرز بينهما شريط واضح.

يتكون رسمها من قطعتين:

1. العليا: الملك نبونائيد يمسك صولجانه وفي القمة شعار القرص الطائر الذي ربما كان للشمس أو القمر.

2. السفلى: متعبد «أمام منضدة عليها رأس الثور فهو مشهد تعبدي يرمز إلى تقديس أحد الآلهة ظهر في عدة مشاهد من العصر البابلي الحديث، مما يزيد من أرجحية عائدية هذه المسلة إلى الملك البابلي نبونائيد، وربما يتّضح هذا التفسير أكثر عند دراستنا للمسلات الأخرى المكتشفة من عهد هذا الملك ومقارنتها مع ما ورد في هذه المسلة. وفيما يخص النص الوارد على هذه المسلة فإن ما تبقى منه لا يتجاوز 23 سطراً كتبت بالآرامية.» (الراوي 2003: 240).

الأختام البابلية

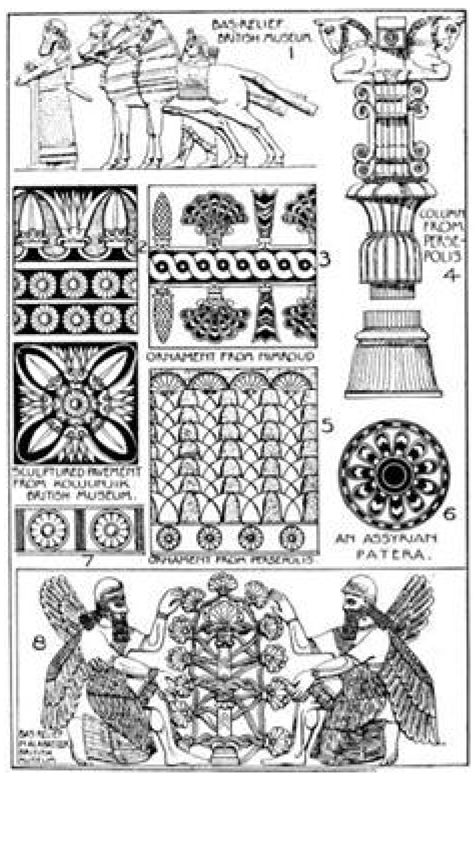
تنوعت الأختام البابلية بين موضوعات دنيوية ودينية، وحفلت بنقوش الحيوانات مثل الختم الذي تظهر فيه نعامة تهرب من الصياد. وبجانبها نعامة أخرى حيث يبدو المنظور في هذا الختم واضحاً من خلال صغر وبُعد النعامة الثانية. وهناك المشاهد الجنسية برعاية الإلهة عشتار.



مشهد جنسي في ختم بابل اسطواني من 600 قبل الميلاد يظهر إلهة عشتار الحرب، عثر عليه في القصر الصيفي للملك نبوخذ نصر الثاني

المبحث الثاني: الزخرفة وتصاميم الديكورات

كانت تصاميم الديكورات والملابس حافلة بالزخارف البابلية وتظهر بألوان زاهية.



تصاميم الديكور البابلي والآشوري

فن الأثاث والزخارف

لازمت صفات التزيين والزخارف واللوحات الجميلة فن وأثاث بابل، وتوصف أثاث بلاد ما بين النهرين بأنها مزينة بأقمشة ذهبية وخشب مذهب أو معادن.

في تاريخ الأثاث، تأخذ الأعمال الأنيقة والرائعة الأسبقية على القطع المتواضعة لأنها بشكل عام كانت الأفضل في الحفاظ عليها. بالإضافة إلى ذلك، تكشف التصاميم المعقدة والمحددة عن تصميم عام ، يلائم أكثر من فترة محددة ، بينما التصاميم البسيطة للغاية سهلة التغيير وربما تعدل لتناسب فترات محددة. إنه لأمر مدهش أن نعرف أن أبسط العمل، المصنوع للمزارع أو العامل في عصر بلاد ما بين النهرين، يميل إلى أن يكون أكثر وظيفية بحتة وخالدة الزمن؛ تشبه الطاولات والكراسي التي استخدمها العاملون في عام 1900 ق.م. الطاولات والكراسي في بيوت المزارع عام 1900 م. بعض الأثاث القديم لبلاد ما بين النهرين متقن ومغلف في الأصل بالذهب، ولكن العديد من القطع البسيطة كانت مصنوعة أيضاً في العصور القديمة.



أدوات وأثاث وملابس بابلية وآشورية



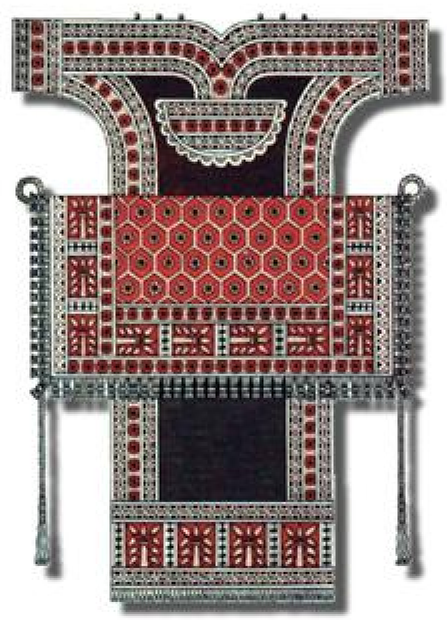
الزخارف الآشورية والبابلية الموضوعة على الزي التاريخي في كل من آشور وبابل.

نماذج مستوحاة من الزخرفة البابلية

https://es.123rf.com/photo_71093464_ornamento-de-la-antigua-mesopotamia-modelo-inconsútil-de-la-tribu

المبحث الثالث: فن الثياب والأزياء والمكياج والحليّ

كان معظم الثياب من منسوجات الصوف المأخوذ من الأغنام إما عن طريق الجزّ أو عن طريق الهلس أو الحصول على الصوف الفالت عن طريق جعل الأغنام تمشي في النهر فيتساقط منها ويتم جمعه.ثم يتم جمعه وصبغه وغزله ونسجه، واستعمل الكتّان أيضاً.



زي الملك البابلي، مردوخ نادين ـ آخي (حوالي 1050 قبل الميلاد).

أزياء وأدوات عسكرية وزخارف

/https://world4.eu/ancient-assyrian-culture



الأزياء البابلية في صور الأختام الأسطوانية

فن المكياج البابليّ

كان هناك اهتمام يتنامى مع الزمن له علاقة بزينة النساء، وامتدت التقاليد السومرية في هذا المجال داخل بابل، حتى تكونت حرفة صناعة المكياج في بابل، وشملت الشعر وأصباغ الوجه والجسد، والعطور وغيرها.

أول كيميائية مسجلة طورت العطور في بابل اسمها (تابّوتي) كانت صانعة عطور في بلاد بابل، فقد طورت تقنيات لاستخراج الرائحة وأبرزها تقنيات استخدام المذيبات.وكانت هذه

الأساليب من شأنها أن تضع الأساس لصنع العطور.

وفي 600 ق.م أصبحت بابل أكبر بلاد تتاجر بالعطور في العالم القديم.



حاوية تضم بعض مواد المكياج في وادي الرافدين

فن الحليّ البابلية

الحلقات والأقراط والأساوروالقلائد ودبابيس الشعر والمشبك هي أهم مفردات الحليّ البابلية. الحلقات كانت مبسوطة ومحفورة ومزينة بالأحجار.

كانت الأقراط على شكل حلقات من عناقيد الأعشاب والمخاريط الفنية، ورؤوس الحيوان والإنسان.تصنع من أوراق المعادن الرقيقة مع أحجار ملونة كالعقيق.

الأساور حلزونية أو دائرية ذات نهايات مفتوحة أو مغلقة، المفتوحة تنتهي برؤوس حيوانية غالباً.

كانت القلائد زينة النساء الأساسية، وكانت تصنع من مواد رخيصة كالخرز والأحجار والعظام، أو من معادن ثمينة كالذهب والفضة، ولعل قلادة ديلبات هي واحدة من أهم

النماذج الذهبية للقلائد البابلية وهي محفوظة في متحف المتروبوليتان في الولايات المتحدة الأمريكية.

وجدت في ديلبات، قرب بابل، مع أربعة أختام أسطوانية وثلاثة أغلفة أختام أسطوانية من الذهب، ووجدت معها حليّ أخرى وكأن المكان الذي وجدت فيه كان مكاناً لصائغ أو بائع حليّ ذهبية. كانت قطع القلادة تمثل الآلهة، فهناك المرأتان بثوبين طويلين مليئين بالطيات وغطاءي رأسين مقرّنين، وربما يمثلان الإلهة لاما، وهي إلهة حامية. أما القرص الشعاعي الأشعة فيمثل شمش، إله الشمس، والبرق المتشعب منه يمثل الإله أدد، إله العواصف. أما الأزهار القرصية فهي رمز الإلهة عشتار.



قلادة من مدينة ديلبات

المجوهرات: اشتهرت بابل بصناعة المجوهرات من مصادر كان تستورد من خارج بلاد الرافدين.

الأقراط، الخرز، الأساور، الخلاخيل، كانت حاضرة في البيت مع أوعية الزيوت العطرية والمرايا النحاسية والفضية والذهبية

الحلاق: كان اسم الحلاق يعني (غلاّبو) والذي يعني (اليد العليا)، وكان الحلاق بمثابة مساعد للطبيب فهو يعالج بعض الأمراض البسيطة والتي تحتاج إلى تمريضٍ سريعٍ، وكذلك يقوم بحلق لحى رجال الدين طقسياً (لحى شرعية!)، وكذلك حلاقة قمة الرأس كعلامة مميزة لهم.

«تميز رجال الطبقة العليا وأصحاب المراتب بلحاهم الطويلة والمقصوصة بشكل مربع، بينما كانت لرجال الطبقة الدنيا لحى قصيرة ولكنها مقصوصة بشكل مربع.

وألبسة الرجال بشكل عام عبارة عن ثوب طويل من الكتّان فوقه سترة من الصوف تختلف سماكتها باختلاف فصول السنة ثم قفطان أبيض. ولبسوا في أرجلهم ما يدعى بالصندل. وحملوا بأيديهم عصا مصنوعة بعناية ولها قبضة محفورة على شكل رأس كبش أو شكل وردة أو صقر أو زنبقة. وأما لباس البسطاء كالفلاحين والعمال فيبدو عبارة عن معطف يصل إلى الركبتين وله أكمام قصيرة وحزام في وسطه. وألبسة النساء كانت بسيطة وتغطي كامل الجسم. وإذا خرجت المرأة من البيت وضعت غطاء لرأسها يستر شعرها ويتدلى من الجانب. «(الحلو 1999: 155).

وهناك وصف هيرودوتس لبعض ملابس البابليين: «كانوا قبل كل شيء يرتدون قمصاناً طويلة من الكتان تصل إلى أقدامهم وفوقها قمصان أخرى من الصوف، وفوق ذلك عباءة من نسيج أبيض. أما أحذيتهم فقد كانت تقرب من أحذية سكان بيوتيا (Beotiens). وكانوا لا يقصون شعورهم بل يتركونها مسدلة، ويضعون على رؤوسهم قلانس على شكل التيجان، ويتدلكون بالطيوب.ولكل منهم ختم، وعصاً مصنوعة باليد، في رأسها شكل تفاحة أو وردة أو زنبقة أو عُقاب، أو أي صورة أخرى، لأنه كان محظوراً عليهم حمل عُصي ليس لها زخرف رمزي، وهذا الحظر الغريب المختص بحلية العصي لم تغب معرفة سببه عنا، مع أن هيرودوتس لم يذكره، وذلك لأنه كان موجهاً إلى الأختام دون العصي، إلا إذا كانت أيدي العصي صالحة لأن تقوم مقام الأختام عند اللزوم.» (لوبون 2017: 83).

لباس الرجل: كانت ملابس الرجال تتميز بما يلي:

1. ملابس الكتان الهابطة للقدمين (وعند العامة إلى فوق الركبة) مشدود بحزام عند الصدر أو البطن.

2. ملابس الصوف.

3. العباءة.

4. الصنادل الشبيهة بالأحذية تشبه النعال المشدود بالكاحل بسير جلدٍ بين الإصبعين الأول والكبير،وذات الكعب المنبسط.

5. الشعور الطويلة التي تعلوها العمائم.

6. التعطر بالطيوب.

7. كلّ رجلٍ من الشخصيات المهمة يحمل في يده خاتماً وعصا مصنوعة ومنحوتة بدقة، محفورعلى أداتها أي غلافها ومحفظتها أشكال كالكبش أو الوردة أو الزنبقة أو النسر، وللعصا أداة خاصة بها.

الأزياء النسائية: تشبه أزياء الرجال مع مراعاة الألوان وتركيب جسد المرأة وجمال الفصال حيث تغطى الكتف اليسرى للنساء بطية من الثوب.

الختم: كان ضرورياً للكثير من الرجال لأنه يحمل صيغة تصديق الرجل على الوثائق، ولكل رجل بابلي ختمه الخاص به، ومن المؤكد أن هذا الختم قد تطور وأصبح ما يُعرف اليوم بالخاتم الذي يحمله الكثير من العراقيين. وكان هناك نوع آخر من الأختام وهو ختم البصم الذي يضم بصمة إبهام الرجل أو أصابعه الأخرى.

النوع الآخر من الأختام هي الأختام الأسطوانية التي ظهرت مع بواكير التأريخ السومري واستمرت، وكان البابليون قد استمروا في صنع الأختام الأسطوانية التي كانت تعلق في

الرقبة والتي تحتوي على ما يختاره الرجل من رسومات يفضل وضعها على الختم وخصوصاً إيمانه بإله معين أو شكلٍ أسطوريّ معين.

المبحث الرابع: فنون الرقص والموسيقى والغناء

أولاً: علم الموسيقى البابلية وتعليمه

كان السومريون قد وضعوا الأسس الأولى للموسيقى في العالم وفي وادي الرافدين بجعل الموسيقى علماً له أصول وقواعد دقيقة، وبتنويعهم لأدوات العزف وبوضعهم للسلم الموسيقي ووضع قواعد العزف والغناء وبروز أسماء بعضهم.

ورغم أن الجانب الديني كان طاغياً على الموسيقى البابلية (في مناسبات تكريس المعابد وبنائها والزواج المقدس والطقوس الدينية ودفن الموتى) إلّا أنها كانت دنيوية أيضاً، وهناك الكثير من المناسبات التي تؤكد ذلك مثل عيد رأس السنة والزواج والعمل والحروب واحتفالات النصر وغيرها.

ورث البابليون الإرث الموسيقي السومري وبنوا عليه تراثاً غنياً في الموسيقى والغناء، وأطلقوا عليه اسم

زمّارو Zammaru أو زمارو Zamaru بصورة غير مشددة

1.تعليم الموسيقى البابلية:

نظّمت مسلة حمورابي الكثير من العقود المسجلة بين طرفين في كل المجالات، وعثر على عقد مسجل يجمع بين والد لفتاة عمياء راغبة بتعلم الموسيقى ومعلم للموسيقى، ينص بأن يقوم معلم الموسيقى بتعليمها الموسيقى عزفاً وغناء. على أن تكون مدة الدراسة ثلاث سنوات لقاء أجر مسمى بينهما. ويعود هذا العقد إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ويشير

هذا العقد إلى أهمية الموسيقى وتعلمها في ذلك العصر، وإلى وجود معلمين للموسيقى، إنهم يعملون بأجور محددة ولزمن محدد، فضلاً عن أهمية التعاقد وتسجيله عند الدولة حفظاً للحقوق والواجبات لدى الطرفين.

هناك ما يشير إلى وجود مدارس لتعلّم الموسيقى في العراق القديم في المعابد وتحديداً في صحن المعبد (كيسال) وكان كهنة الكَلو هم من يعلّمون الموسيقى والغناء والتراتيل الدينية الحزينة، أما كهنة النارو فيعلّمون الموسيقى والأغاني الفرحة، والنوعان من الكهنة يعرفان أصول الموسيقى والأنغام والسلالم والعزف على مختلف الآلات.

كانت أهم المناسبات الشعبية التي تحفل بالغناء والموسيقى هي الاحتفالات بعيد رأس السنة حيث الزواج المقدس بين الملك والكاهنة العليا. وهناك الاحتفال ببناء معبد وتجديد آخر. ودفن الموتى وغير ذلك.

أما الدروس التي يجب أن يتعلمها الطالب فكانت تقضي بأن يتقن حفظ ما يلي: (انظر رشيد، صبحي أنور 1988: 44).

1. نصوص التراتيل والأغاني المختلفة الداخلة في الطقوس والشعائر الدينية التي يقومون بالمشاركة في أدائها ومصاحبتها موسيقياً وغنائياً. وعدد آخر من الآلات الوترية والدف.

2. ألحان هذه التراتيل والأغاني لعدم وجود نوتة موسيقية آنذاك.

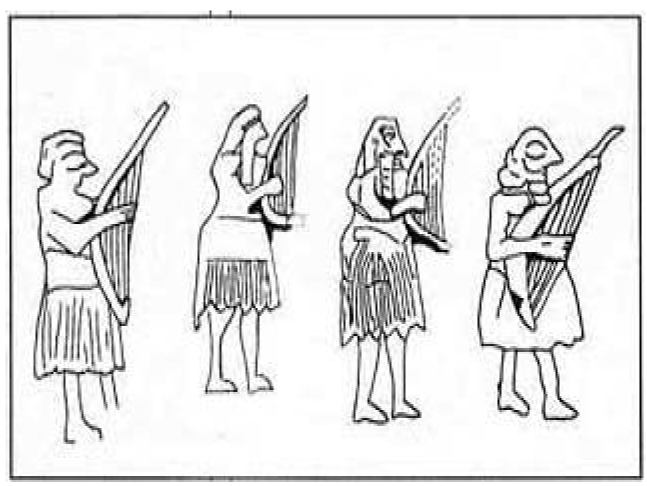
3. النص اللغوي واللحن الغنائي لكل نوع من الشعائر والطقوس الدينية مثل الاحتفال بوضع الحجر الأساس لبناء معبد جديد، الاحتفال بالانتصار على الأعداء، الاحتفال بعيد رأس السنة، تقديم القرابين ودفن الموتى وغير ذلك من المناسبات.

4. إجادة العزف على أكثر من آلة موسيقية واحدة لان أداء الأشعار الدينية يتطلب ذلك كما يتضح من أحد النصوص المسمارية التي أوردت أن المغني من صنف: نار: هو المتخصص بالألحان المفرحة، كان يجيد العزف على القيثارة وعدد آخر من الآلات الوترية كالدف.

وكان تعليم الموسيقى، بالإضافة لمكانه في المعبد، يحصل في القصر الملكيّ لطلبة وعازفين منتخبين لأداء الألحان الدينية والمفرحة أيضاً ويقوم بها كهنة متخصصون هم كهنة كالا لوكّال للأغاني الحزينة والدينية وكهنة نار لوكّال للأغاني المفرحة والدنيوية، في جناح خاص لتعليم هذه الأنواع من الغناء والموسيقى الخاصة ببلاط الملك.

2.تصنيف الموسيقيين والمغنين

منذ العصر السومري جرى تصنيف الموسيقيين والمغنين بطريقة واضحة واستمر هذا التصنيف في العصور اللاحقة في وادي الرافدين، وكان المبدأ هو أن هناك نوعين من العازفين والمغنين، الأول هو كّالا أو كّالو وهو عازف المعبد الذي ينشد الأغاني الوقورة والحزينة، وعازف نار أو نارو وهو الذي يعزف الأغاني الفرحة، وكان كلّ منهما ينقسم إلى أربعة أنواع الأساس الآتي:



موسيقيون بابليون يعزفون على القيثارات المحمولة

«ومن العصر البابلي القديم جاءتنا بعض القطع الأثرية التي ترينا عازفات على الكنارة والعود والجنك والصنوج اليدوية أو الكوس(سيبال) والدف المستدير، ومن العصر السلوقي (312 ـ 139) ق.م جاءتنا دمى طينية لعازفات على الآلات الموسيقية الآتية:

العود والكنارة والجنك والناي المزدوج والشفوية (الشعيبية) والدف المستدير والطبل الصغير. وآثار العصر البابلي القديم ترينا إضافة إلى العازفات المنفردات (صولو) ترينا أيضاً ثنائي الرجل والمرأة في عزفٍ يصاحب الملاكمة ومناسبات أخرى» (رشيد، صبحي أنور: 430).

3.منجزات الموسيقى البابلية:

يمكننا التعرف على أهم المنجزات البابلية في حقل الموسيقى والغناء من خلال النقاط الآتية:

1. عرف الباحثون الألمان أن السلم الموسيقي في بدايته عند السومريين كان (ثلاثياً) ثم تحول إلى (سلمٍ خماسي) عند البابليين وأخيراً أصبح (سباعياً) عند الآشوريين.

2. وجد الألمان أن هناك تماثلاً بين السلالم الموسيقية الرافدينية السباعية مع الاغريقية، مما جعلهم يؤكدون أنه أصل الإغريقية.

3. عثر الألماني (إبنك) على نص مسماري: فهرست للأغاني.

4. نشرت الدكتورة الألمانية هارتمان اسماء الموسيقيين في العراق القديم.

5. الألماني كورت زاكس وهورنستبل صنفوا الآلات الموسيقية الرافدينية إلى: وترية، هوائية، إيقاعية، مصوتة بذاتها.

6. ومن العلماء الألمان الذين ساهموا بالكشف عن الموسيقى الرافدينية كآلات ونظرية موسيقية هم: فريدريش بنفكنر، د. كونستانزة شميث، كولينيت..

7. كانت الموسيقى البابلية مصاحبة، دائماً، للغناء والإنشاد ويندر أن هناك مقطوعات موسيقية قائمة بذاتها.

4.التعاليم الموسيقية

الرقيم الموسيقي الذي اكتشفه ليونارد وولي والذي يعود للفترة البابلية في حدود 1800 ق.م، هناك تعليمات موسيقية للعازفين تستخدم مصطلحات بابلية موسيقية منها:

إشراتو: isartu

الفاصل الثامن المدرجة في اللوح الطيني، ويعني اسم النطاق الأول للنظام الموسيقي البابلي وكذلك الفاصل الزمني الثالث.

هلهلاتو : Halhallatu

نوع من الطبل ظهر مع البابليين، وعزف عليه كهنة الكالو في أغاني الرثاء، وأيام الخسوف، ويصنع أحياناً من البرونز مع غشاء الطبل المصنوع من نوع معين من الجلد، وهناك نوع من الأغاني الخاصة المرافقة لهذا الطبل تسمى (إرساما).

هليلو: halilu

نوع من النايات التي ظهرت مع الفترة البابلية الوسيطة، وهي شجية الصوت.

وقد حمل اللوح الطيني الذي يعود للعصر البابلي القديم، تعليمات موسيقية حول استعمال القيثارة، وكيفية ضبط أوتارها:

إذا كانت القيثارة (منصوبة) على الكابليتو ولكن

(البعد الموسيقي) نيش كاباري لم يكن واضحاً

فإنك تعيد تسوية (الوتر) الأمامي و(الوتر) الثاني من الخلف

فيصبح (البعد الموسيقي) نيش كاباري واضحاً. (رشيد، صبحي أنور 1988: 30).
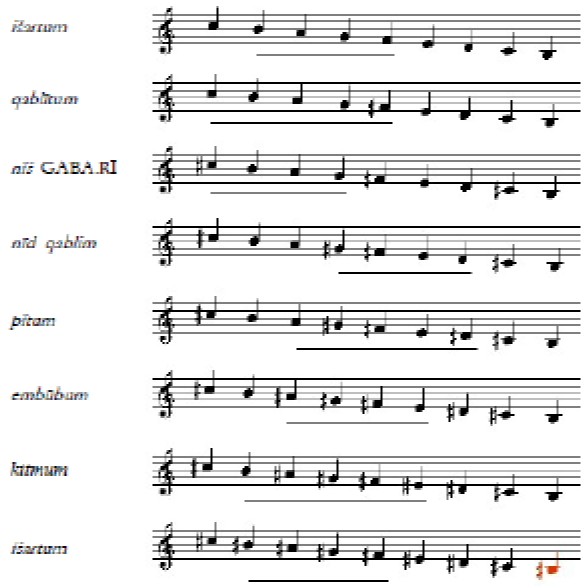


رقيم التعليمات الموسيقية البابلي القديمة حوالي 1800 ق.م

(Dumbrill 1998: 47)

5.السلّم الموسيقي البابلي

قام الباحثون الموسيقيون بالتعرف على السلّم الموسيقي البابلي وتمكنوا من تنويط بعض أهم عناصر النظام الموسيقي البابلي التي تعدّ كمفاتيح أساسية في العزف وهي كما يلي:



تنويط حديث لوحدات النظام الموسيقي الشكلي البابلي

(Dumbrill 1998: 54)

6.الرقيم المجهول:

يعود الرقيم للفترة البابلية القديمة. وربما يعود لطالب مدرسة يسميه (التحدث عن صوت الأوتار)، وهو نوع من التجويد أو الأداء الموسيقي أو اللحني لتعويذة، في النص أربعة أعمدة مع أربعة صفوف، وتحتوي كلّ خلية على رقم واحد تتراوح بين 1 ـ 14، وهناك علامات انفصال.

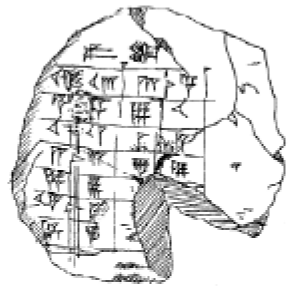


Plate 19b: Hand copy of the text.

L1		PA	TU	
L2	12	13	3	4
L3	4	5	9	10
L4	10	11	1	2
L5	2	3	7	8
L6	8	9	[13	14]
L7	14	1	[5	6]
L8	6	7	[11	12]

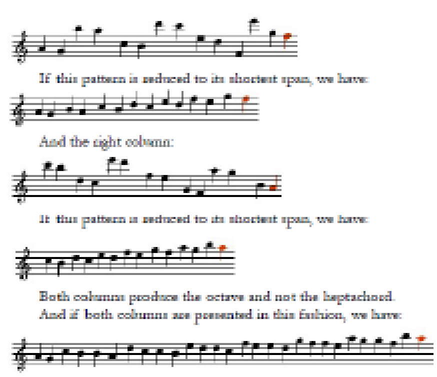
Figure 24. Transliteration of the text.

رقيم مدونة موسيقية بابلية (اللوح المجهول)

Old Babylon Cuniform Musical Scale notation tablet (2000-1700)BC

(Dumbrill 1998: 97)

ظهرت عدة قراءات موسيقية للسلم الموسيقي الذي كتبت به النوتة الموسيقية بعلامات مسمارية. وسندون بعضها هنا:



احتمالات التدوين الموسيقي الحديث للوح الموسيقي المجهول

(Dumbrill 1998: 100)



ثانياً: الآلات الموسيقية البابلية

تصنيف الآلات الموسيقية:

كان تصنيف الآلات الموسيقي في وادي الرافدين وبابل يجري على أساس نوع المادة التي تُصنع بها الآلات الموسيقية مثل الخشب أو الجلد أو القصب أو النحاس أو البرونز، ولا شك أنه تصنيف مقنع ولكنه ليس نموذجياً، ولذلك سنتبع التصنيف الحديث لها وسنذكرها تباعاً:

أولاً: الآلات الوترية

1.الجَنك: وهي كلمة فارسية تعني القيثارة المحمولة، يطلق عليها باللغة الانكليزية (هارب)، وهي آلة موسيقية سومرية الأصل ظهرت منذ عصر أوروك حوالي 3000 ق.م ثم استخدمها البابليون، ولها أشكال متنوعة هي:

أ. الجنك المقوّس (المنحني) وهو الذي تطور عن قوس الرماية.

ب. الجنك الزاوي: حين يتصل حامل الأوتار بصندوق الصوت تتكون زاوية قائمة، وهذا الجنك ظهر مبكراً في وادي الرافدين في 1950 ق.م. وربما كان هو مصدر الجنك المصري الزاوي.

2.الكنارة أو القيثارة: تسمى بالبابلية (كناروم) وتسمى بالانجليزية (لير) وأصلها سومريّ تعود لنهاية عصر جمدت نصر، تطورت الكنارة وتغير فيها المظهر العام لشكل الصندوق الصوتي وازدادت أوتارها وأضيفت لها المفاتيح (الملاوي) وفتحات الصندوق الصوتي (الشمسية) لتقوية الصوت المنبعث من الآلة. أشهر الكنارات السومرية التي عثر عليها في المقبرة الملكية في أور ويرتقي زمنها إلى عصر سلالة أور الأولى. والكنارة هي أكثر آلة موسيقية اشتهرت بها حضارة وادي الرافدين، والتي ربما تكون أصل القيثارة المصرية. وفي العصر الأكدي استعملت ثلاثة أنواع من القيثارات، وظهرت أيضاً بأنواع مختلفة في العصر البابلي القديم. عدد أوتار هذه الكنارة ومفاتيحها (11) أحد عشر وتراً ومفتاحاً. وكانت القيثارة تسمى بالسومرية والأكدية بلاك.



ختم أسطواني من أوسي قرب عانة في وادي الرافدين

3.العود: ظهر العود في العصر الأكدي (2350 ـ 2170) ق.م، وأصبح من أكثر الآلات الموسيقية انتشاراً وتفضيلاً في العصر البابلي القديم حوالي (2000 ـ 1600) ق.م «والجدير بالذكر أن شكل العود الذي ساد في العراق منذ العصر الكيشي هو نفسه الذي

اقتبسته مصر مع دساتينه وانتشر فيها كما أن عدد أوتار العود العراقي للعصر المذكور هي أعداد العود المصري نفسها وأن طريقة مسك العود بصورة مائلة إلى الأعلى هي نفسها في العراق في العصر الكشي، وفي مصر تعود أقدم آثار العود فيها إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة (1580 ـ 1310 ق.م)» (رشيد، صبحي أنور: 429).

ويرى الباحث الدكتور صبحي أنور رشيد بأن الفرس هم من أخذ العود من العراقيين ويقول: «كان الرأي السائد بين الباحثين أن عود العراق القديم كان خالياً من العَتبَ (بفتح العين والباء) أو الدساتين، إلاّ أنني استطعت مؤخراً، في كتابي الصادر باللغة الألمانية، أن أثبت خطأ هذا الرأي على ضوء أثر عثر عليه في منطقة ديالى وهو موجود الآن في متحف اللوفر وأبطلنا الرأي الفارسي الذي يتبجّح بأن العرب قد أخذوا العود من الفرس مع كلمة (دساتين) الفارسية.» (رشيد، صبحي أنور: 429)

4. السنطور، القانونSantur، Dulcimer

وهو آلة وترية يعزف عليها وقوفاً حيث تربط بالجسد من الرقية وتضرب على أوتارها بآلات ضرب معينة فتخرج أصواتاً تشبه أصوات القيثارة.

السَنْطُور (بالفارسية: سنتور) آلة موسيقية وترية العزف يتم بالضرب على أوتاره بمضربين صغيرين من الخشب، ويقوم بتبديل الأصوات بتحريك الحمالات التي تسند الأوتار وهي عادة مصنوعة من الخشب. وهو ما كان موجوداً في بابل وآشور.

أما القانون فهو يشبه السنطور ولكنه أحدث منه تأريخاً ويتم العزف عليه بريشتين مصنوعتين من الفضة تلبس في سبابتي يدي العازف اليمنى واليسرى، ثم ينقر بهما على الأوتار التي أمامه.

ثانياً: الآلات الهوائية

1. الناي: سومري الأصل عثر على ناي فضيّ، طوله 36.7 سم ويحتوي على أربعة ثقوب، في المقبرة الملكية في أور حوالي 2450 ق.م، وكلمة ناي فارسية ومقابلها العربي هو الشبابة والقصابة أو القصبية، وهي فعلاً قصبة فارغة مفتوحة الطرفين ومثقوبة السطح بثقوب معلومة الحجم والمسافة بين ثقب وآخر، وهناك أنواع من الناي هي:

أ. الناي المفرد: ونماذجه ناي مقبرة أور.

ب. الناي المزدوج: وتعود أقدم نماذجه المنحوتة لعصر الملك السومري أورنمّو فهو منحوت على القسم الخلفي من مسلته المشهورة، هناك نماذج بابلية منه.

كان المزمار يسمى بالسومرية (جيجد) وبالأكدية (إمبوبو).

2. البوق: أنبوب نحاسي شكله أسطوانيّ ـ مخروطي جرسي النهاية وجد منذ عصر فجر السلالات الثاني وفي مصر ظهر في عصر تحوتمس الثاني، وليست هناك آثار واضحة له من بابل.

3. القرن: تُصنع من القرون المجففة للثيران والماعز، اسمها بالأكدية قرنو وقرنوم، ويرد ذكرها في إحدى نصوص إيسن من العصر البابلي القديم ووجدت مرسومة على جدران قصر ماري البابلية، وكانت جزءاً من آلات الموسيقى العسكرية لجيش نبوخذ نصر الثاني.

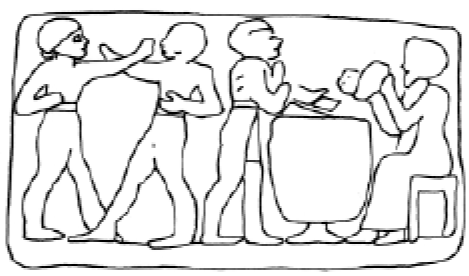
4. الصفارة: وهي واحدة من أقدم الآلات الموسيقية في وادي الرافدين، وتعود لعصر حسونة في العصر الحجري الحديث «وهذا الأثر عبارة عن قطعة فخارية تشبه شكل (السيگار) ينتهي برأس خروف وهناك بعض الثقوب المنتظمة على سطح الأنبوب الفخاري، الأمر الذي يشير إلى استعماله كآلة نفخية، وفي تبه گاورا بمحافظة نينوى عثر على بعض الصفارات العظمية التي تعود إلى عصر العبيد وهي تحتوي أيضاً على بضعة ثقوب لإخراج الصوت، وفي الوركاء وبورسبا (برس نمرود) عثر على كسرٍ فخارية من السافرات واستمر

استعماله في العصور اللاحقة على شكل طيورٍ أو أشكالٍ أخرى استعملت للأطفال» (رشيد، أنور صبحي: 430).

ثالثاً: الآلات الإيقاعية الجلدية

1. الطبل: عرفه السومريون وكان على هيأة طبل كبير مستدير، ومن أنواعه الأخرى الطبل اليدوي، الطبل الطويل، الطبل المخروطي، الطبل الاستوائي. وتصنع الطبول من الخشب أو الفخار أو المعدن، ويكون قرعها باليد أو المضرب والعصا.





عازف الطبل من لارسا

(Dumbrill 1998: 368)

أسماء الطبول بالسومرية والأكدية

مرجع الجدول: أنظر (رشيد ، صبحي أنور 1988: 413)

1. م ارجعة وإشراف عامر سليمان، منشوارت المجمع العلمي، بغداد، 2004، رقم 35

2. الطبلة كانت معروفة ومستخدمة منذ العصر البابلي القديم أي القرن العشرين ق.م

3. الدف: يرجع ظهور أقدم شاهد أثري للدف إلى حدود سنة 2650 ق.م واستمر استعماله عبر كافة فترات التاريخ القديم. وكان الدف يسمى بالسومرية (ليبليس) وبالأكدية (ليليسو).

4. الرق: يتكون من إطار خشبي وجلد رقيق مشدود عليه والمستديرة منها يسمى (مينزو).



(Dumbrill 1998: 265)عازفان من بابل (الدف والقيثارة)

رابعاً: الآلات المصوّتة بذاتها

وهي الآلات التي تنتج أصواتاً من تصادمها ببعضها، قرعاً أو اهتزازاً.

1. الصنوج اليدوية (الكوسات، الجنجانات): استعملت في عصر أورنمّو واستمر استعمالها في العصر البابلي القديم.

2. الخرخاشات: أظهرت التنقيبات خرخاشات فخارية مختلفة الأشكال تعود إلى العصر البابلي القديم بعضها يمثل حيوانات مثل الخنزير والضفدع وحيوانات أخرى غريبة.

3. الأجراس: هي آلات موسيقية مصوتة كانت تُعلّق في رقاب الخيول والحيوانات الأخرى ظهرت في العصر البابلي القديم بهيأة فخارية وفي العصر الآشوري.

4. المضارب الرنّانة: قطع معدنية تشبه المناجل وتقرع الواحدة بالأخرى، تعود لفجر السلالات وللعصر البابلي القديم في ماري.

5. الصلاصل: آلات معدنية تشبه شوكة الطعام أو الملقط، لها جلاجل أو صنوج معدنية صغيرة متحركة تعود لعصر فجر السلالات الثالث، واستعملت في العصر الأكدي.

خامساً: الغناء والإنشاد في بابل

دليل(كاتلوك) الأغاني Babylon Songs Index

ظهرت باللغة الأكدية كاتالوغات الأغاني في وادي الرافدين ومنها الكاتالوغ (المحفوظ في متحف برلين) الذي تضمن مجموعة من أغاني الحب التي حملت الأرقام من 45 إلى 51 وكلها أغاني حب وأخذت الأسماء الآتية التي يبدو أنها نوع من المقامات أو الألحان:



دليل(كاتلوك) الأغاني باللغة الأكدية في حدود 1400-1000 ق.م

كان الغناء في وادي الرافدين مرافقاً للموسيقى، وكان أحياناً يؤدى لوحده، وكان مرتبطاً بالروح وبالآلهة لأنه يخرج مع الأنفاس ويناجي الطبيعة، وكان الغناء في أغلبه حزيناً يؤديه كهنة الكالو الذين اشتهروا في مجال الترتيل، وساد البكاء والنحيب وغناء الرثاء والعزاء في حوادث الخراب والدمار والحروب والموت والكوارث والأمراض، وكانت وظيفة الغناء تهدئة غضب الآلهة، وكانت الأغاني تكتب بلغة أدبية تسمى (إميسال) وتشمل الرثاء والمناحات ونصوص الزواج المقدس، والإيميسال هي لغة النساء لأنها ارتبطت بالنوّاحات اللائي تسميهن النصوص الأكدية والبابلية بـ (أمو ـ بيكيتي) أي (أم البكاء)، ويعتقد أن هذا النوع من النائحات هو الجذر الأساس لكهنة الكالا.

أما أغاني الفرح والأهازيج والزواج والانتصارات فقد كانت تؤدى من قبل مغنين ومغنيات بعيدين عن المناخات الدينية الحزينة، ويسمى كبارهم بمغني الـ (نار).

المبحث الخامس: المسرح الديني البابلي

في كتابنا (الحضارة السومرية) نفينا وجود مسرح سومري بالمعنى الدنيوي المعروف، وأشرنا إلى وجود دراما دينية سومرية ضمن الطقوس الدينية فقط، أي أن الدراما ظلت في إطارها الطقسي الديني ولم تنفصل عنه لتؤسس مسرحاً واضح السمات.

وينطبق هذا على بابل، فلم يكن هناك مسرح بابليّ، ولم نعثر على ما يشير لوجود مسرحيات معروضة ومشاهدة من قبل جمهور مسرحيّ أو عام، حيث لم تتطور في بلاد وادي الرافدين الأدوات المادية والعتبات الفكرية اللازمة لظهور المسرح.

كانت أعياد الأكيتو (رأس السنة البابلية) من 1 ـ 12 نيسان من كل عام مهرجاناً خليطاً من الغناء والموسيقى والرقص وسرديات الراوي والبكاء والحزن واحتفالات الزواج المقدس، وقد نلمح الدراما الاحتفالية في بعض مفاصله، مثل تلاوة نص أسطورة الخليقة وربما تخللتها حركات مسرحية لكنها لم تكن مسرحاً لأن الأكيتو طقس ديني في نهاية الأمر،

وحتى لقطة اختطاف مردوخ إلى العالم الأسفل وتحريره من هناك من قبل ابنه نبو لم تكن مسرحاً بالمعنى المعروف، فقد تكون هناك مشاهد درامية لكنها لا تؤلف مسرحاً.

ينطبق الأمر على النصّ الأسطوري المعروف (نزول عشتار إلى العالم الأسفل) رغم كل ما فيه من عناصر درامية، لكنها لم تكن تؤدى مسرحياً بل كانت تؤدى شعائرياً كجزء من طقس ديني وليست هناك نظّارة يشاهدونها ويبكون أو يفرحون لأجلها، بل كان كل هؤلاء يمارسون الطقس ويعيشونه فهم جزء من الطقس وليسوا نظّارة مفصولين عن مكان الأداء المسرحيّ.

ورغم أن أستاذنا الدكتور فوزي رشيد حاول في بحث له منشور في مجلة المورد إثبات أن ما عُرف بمدخل العالم السفلي في مدينة أوروك ما هو إلّا المسرح الذي كان موجوداً في عصر السومريين والبابليين معتمداً على تأويلات خاصة، لكننا نخالف وجهة نظره ونرى أن هذا المدخل هو مجرد إشارة معمارية لوجود مدخل للعالم الأسفل.

«المعلومات تؤكد على أن احتفالات عيد أكيتو في العراق القديم كانت تقام في فترتي الاعتدالين الربيعي والخريفي، والاحتفال الذي يقام في فترة الربيع هو احتفال يبتهج فيه الناس بخروج الإله تموز من العالم السفلي ويمارس فيه طقس الزواج المقدّس، وهو زواج إلهي يتم بين كاهنةٍ من الدرجة العليا وتقوم بتمثيل دور إنانا وكان من الدرجة العليا أو الملك يمثل دور الإله تموز، وكان المعتقد لدى سكان وادي الرافدين أن مثل هذا الزواج يحقق الوفرة والخير في البلاد. والاحتفال الثاني كان يجري في الخريف وطقوسه هي تمثيل أحداث نزول الإلهة إنانا إلى العالم السفليّ، مما يؤكد على أن هذه الأسطورة كانت تُمثّل في فترة الاعتدال الخريفيّ هو ظهور تموز في فترة الاعتدال الربيعي، لأن بقاءه في العالم السفليّ ستة أشهر فقط، فما دام خروجه في الربيع فلا بد وأن يكون دخوله للعالم السفليّ في الخريف» (رشيد 1987: 68).

كانت البعثة الألمانية في مدينة أوروك في عام 1967 قد عثرت على «بقايا لثلاثة جدرانٍ حجرية يحيط الواحد منها بالآخر، علماً أن أبعاد الجدار الخارجي هي 32، 27 م، أما

ارتفاع الجدران الثلاثة فهو أربعة أمتار. وفي وسط هذه الجدران الثلاثة يوجد غطاء يبدو وكأنه يحتوي في داخله على شيء ما. ومن الطبيعة الغريبة لهذا البناء اعتقد المنقب الألماني (يوركن شمت) في حينه بأنه قد عثر على قبر الإله تموز، وعندما رفع هذا الغطاء لم يجد في داخله سوى الأرض البكر» (رشيد 1987: 66).

الدكتور فوزي رشيد رأى أن المكان عبارة عن مسرح لأداء مسرحية خروج ديموزي من العالم الأسفل ودخوله في موسمي عيد الأكيتو أو الزكمك السومري.

وكان يرى أن «دور الإلهة إنانا تؤديه ممثلة، ترتدي أجمل الملابس وتتزين بأجمل الحليّ وتأتي إلى مدخل العالم السفليّ والجمهور يتابع حركتها ويرى أيضاً كيف أن الحارس نيتي، بعد أخذ موافقة ملكة العالم الأسفل (إيرش كيگال)، يأذن لها بالدخول بعد أن يأخذ قطعة من ملابسها وأخرى من حليّها. وبعد أن تصبح الممثلة داخل جدران المدخل إلى العالم السفليّ، يقوم أفراد الكورس الواقفين على جدران المدخل بوصف ما يحدث للإلهة إنانا، لأن الكورس في أقدم المسرحيات وحتى في أحدثها يقوم غالباً بترديد ما لا يُمثّل على خشبة المسرح» (رشيد 1987: 68).

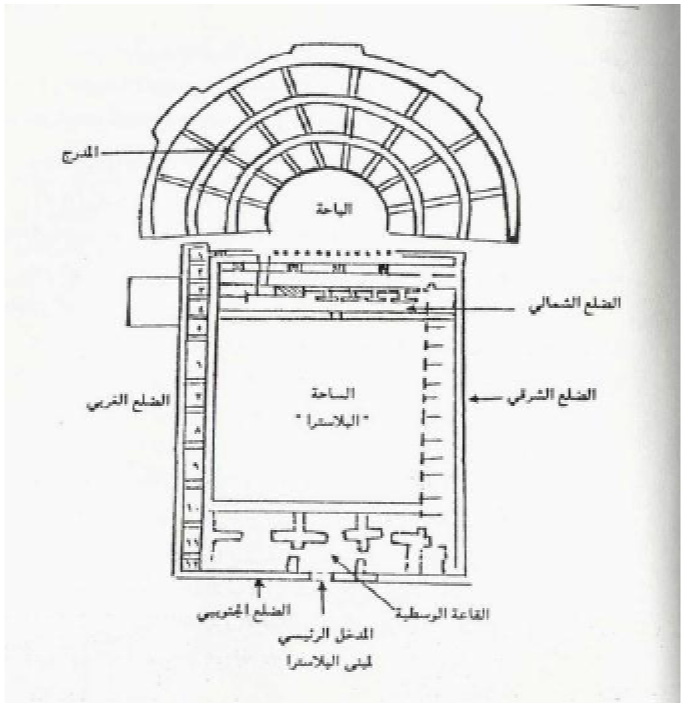
«إذا ألقينا نظرة على المسرح الموجود في بابل سوف نجد بأنه يتألف من عملية تركيب المسرح الدائري الذي تجري فيه احتفالات الربيع، أي الكوميديا، ومن المدخل إلى العالم السفلي الذي يجري فيه تمثيل أحداث نزول الإلهة إنانا والإله تموز في العالم السفلي، أي التراجيديا، وبناءً على ذلك فإنه من الخطأ الكبير أن ندعوه بالمسرح الإغريقي، لأن أصله عراقيّ ولا يمكن أن يكون غير ذلك، لأن بلاد اليونان لا تمتلك مسرحاً مشابهاً له، بل أن المسرح الإغريقي نفسه متطور من المسرح البابلي، لأن أحكام قانون التطور لا تسمح لنا بالافتراض بأن المسرح الموجود في بابل متطور عن المسرح الإغريقي ولكن منطقياً جداً إذا ما قلنا العكس، لأن المسرح في بابل مركبٌ من تصميمين مختلفين، بينما المسرح اليوناني عبارة عن تبسيط وتوحيد للتصميمين، اللذين يتألف منهما المسرح في بابل» (رشيد 1987: 68 ـ 69).

المسرح الإغريقي في بابل في العصر الهيلنستي:

الحديث عن وجود مسرح حقيقيّ كانت تقدم عليه مسرحيات إغريقية وفقرات لهو وترفيه يكون دقيقاً عندما نتحدث عن مبنى المسرح الإغريقي في بابل خلال العصر الهلينستي السلوقي.

بعد غزو الإسكندر المقدوني لوادي الرافدين قام الإغريق ببناء مسرح في بابل، وقد اختلفت الآراء حول هوية الشخص الذي شيده، فبعضها رجّحت أن يكون الإسكندر المقدوني هو من شيّده أو بُني في عصره، وذكرت مصادر أخرى أن شخصاً اسمه «ديسكرايدز هو الذي قام بتشييده، ويبدو أنه لم يعثر حتى الآن على أية وثيقة تاريخية تثبت أو تحدد بصورة قاطعة تاريخ المسرح، باستثناء وثيقة تعود إلى العهد السلوقي الذي يعقب عهد الإسكندر، فقد عثر المنقبون الألمان على كتابة يونانية بين أنقاض هذا البناء تشير إلى أن (ديسكرايدز) قد بنى الملهى والمسرح، وتشير الكتابة المذكورة أيضاً إلى أن تعميره قد تم في العهد السلوقي.» (محمد علي 1979: 94).

وهناك من يؤكد أن من شيده الملك السلوقي أنطوخيوس الرابع في بابل من أجل نشر الثقافة اليونانية في مدن الدولة السلوقية التي شملت العراق وبلاد الشام في القرن الثاني قبل الميلاد، وهناك من جدد الملعب ووسعه في فترة الحكم الفرثي.



مخطط مسرح بابل

https://www.iasj.net/iasj?func=article&aId=108613

كان الدكتور فوزي رشيد والباحث محمد علي محمد سعيد أول من حاولا إثبات أن المسرح الموجود في بابل هو من أصل رافديني بابليّ، عبر مجموعة من الأدلة والاستنتاجات. انظر (رشيد 1987) ومحمد سعيد 1979).

ثم توصل الباحث محمد صبري صالح إلى أن طراز المسرح البابلي من حيث التكوين الهندسي والمعماري ينفرد بخصوصية لا تشابه طرازية المسارح في العالم القديم وأن تفرد المسرح البابلي المعماري والوظيفي يؤكد أصالة وانتماء هذا المبنى إلى البنية الثقافية والاجتماعية والفنية للمجتمع البابلي، وأن وجود ختم الملك البابلي (نبوخذ نصر) يشير إلى أن المسرح البابلي له وجود سابق بوظيفة فنية ورياضية خاصة، وأنه تعرض إلى الترميم والإضافة من قبل الإغريق بعد احتلالهم مدينة بابل، وأن ساحة الرقص الدائرية (الأوركسترا) هي فكرة عراقية أصيلة، باعتبارها شكلاً هندسياً أولياً لتقديم الفعاليات

الفنية عليها، وأن السومريين هم أول من توصل إلى استخدامها لأغراض احتفالية، وأن فكرة وجود الساحة الدائرية والمشاهدين حولها، تدل على وجود نمط من المشاهدة شكلت العنصرالأساسي في البناء المعماري المسرحي، وأن وجود فعاليات تمثيلية ورياضية (كالمصارعة)، يبرر الحاجة إلى مكان مخصص لإجراء تلك الفعاليات والأنشطة الرياضية، والشواهد التاريخية أشارت بوضوح إلى أسبقية وجود تلك الفعاليات على وجود المكان، وبالتالي لا يكون مبنى المسرح الذي خصص لتلك الأنواع من الأنشطة غريباً أو مستعاراً» (انظر صالح 2016: 77 ـ 78).

وبرغم أهمية هذه الآراء وموضوعية طرحها إلّا أنها ناقشت بناء ومعمار هذا المسرح، لكن أمر وجود مسرح بابلي بالمعنى الكامل ما زال معلقاً بسبب عدم وجود نصوص مسرحية بابلية تُثبت ذلك. ولذلك نرى أن المسرح كفن لم يظهر بصورته العلمية الدقيقة إلّا في زمن الإغريق، حين نشأت التراجيديا من الأغاني الديثورامبية وهي عبارة عن طقوس دينية تؤدى في عبادة الإله ديونيسيوس واحتفالاته التي كانت تؤدى من خلال ثلاثة أعياد هي أعياد ديونيسيوس الكبير وأعياد العصير والأعياد الريفية. وكان ظهورالمسرح في القرن الخامس قبل الميلاد على يد إسخيلوس.

الفصل الخامس عشر: الأخلاق البابلية



إله العدالة البابلي: شمش

جزء من عربة نموذجية، مع انطباع عن إله الشمس (شمش) يرتفع فوق الجبال

2000-1600 قبل الميلاد

المبحث الأول: أسس الأخلاق البابلية

1.كتّو وميشارو ركنا العدالة البابلية:

قامت العدالة البابلية على ركنين أساسيين هما: الحق (كتّو) والعدل (ميشارو)، وكان يمثلهما لاهوتياً الإله شمش الذي لُقّب بـ (إله الحق والعدل)، وكان يُنظر للوفاق الاجتماعي من منظور عدالة الأرض والمياه وعدالة القانون.

«تعني العدالة في اللغة العربية، كل ما هو ضد الجور والطغيان، والقضاء بالحق، والمُرضي قوله وحكمه، وكذلك الرجل المقنع في شهادته أو المُزكى في الشهادة، والموازنة بين الأشياء وتقويم الحالات والعمل على استقامتها. أما في اللغة السومرية فقد ورد معنى العدل بصيغة مقطعية، عبارة عن (gi-na) أو (sa ـ si ـ ni)، ويقابلها في اللغة الأكدية كلمة ميشارو (Misaru)، بمعنى العدالة، والإصلاح والحق، وهنا نرى الشبه بين كلمة ميشارو الأكدية، وكلمة المشورة أو المشاورة في اللغة العربية، التي تؤدي إلى صواب القرار والحكم. وقد وردت كلمة أخرى في اللغة الأكدية، لتعني الصدق، العدالة، الاستقامة والتحالف، وهي كلمة كيتو (Kittu). فكانت العدالة سمة افتخر بها المجتمع العراقي القديم، بجميع أطيافه، كونها مضمونه لوحدة المجتمع، وإنصاف أفراده، على حد سواء، التي تعلمها من عدالة الأرض والمياه، التي تستند على العطاء، مقابل الجهد والعمل المشترك.» (حسين 2018: 245).

كان (شمش) هو إله العدالة عند البابليين، وكان هو القاضي الإلهي ومطبق العدالة، وربما جاء هذا بسبب استقامة أشعة الشمس ووصولها إلى كل المناطق المظلمة التي تقع تحتها مباشرة، أي أن شمش يراقب كلّ شيء، وكانت شبكته جاهزة لالتقاط كل المخربين والفاسدين والذين لا يسيرون في طريق العدالة.

«أيا منير (الظلام...)

محطم (الشر)... من فوق ومن تحت،

أيا (شمش) منير (الظلام...)،

محطم (الشر)... من فوق ومن تحت،

ملقاة أشعتكَ كأنها شبكة (فوق الأرض)

فوق الجبال الجبارة... البحر.

بظهوركَ (جميع الأمراء) مسرورون.

جميع الـ (إجيجي) بك يبتهجون.

إنهم دائماً يخفون (في)... ك،

بسناء نورك جادتهم (تُحجب)

.... باستمرار ينظرون إلى تألقك

مناطق العالم الأربعة كنار....

مفتوحة على مصراعيها البوابة التي... تماماً...

نذور خبز الـ (إجيجي.)...

أيا شمش عند شروقك.. ينحنون.

... أيا، شمش....

أيها الساطع، من يفتح الظلام، من....

من يقوي حرارة الظهيرة... حقول القمح،

الجبال الجبارة مغطاة بلمعانك.» (الوائلي 1964: 76 -77).

كان شمش هو من يراقب عدالة الكون وحقوق الناس، وتقودنا هذه الحقيقة إلى أن البابليين كانوا يعتقدون بوجود الخير والشر في تكوينهم الأخلاقي وأن الإنسان هو من يحدد توجهه، وقد يكون الخير حين يتوجه البابلي نحو إله الشمس ويخاف منه ومن عقابه، أي أن الشخص يقمع الشرّ بسبب خوفه من العقاب، ويتجه للشر بسبب حصوله على

الثواب في الحياة وليس في الآخرة، وبذلك يكون الصراع بين الخير والشر معتمداً على الإيمان بالآلهة.

2.أخلاق المصير:

ربما كان مؤلف نص (اللاهوتي، أيوب البابلي) وهو (ساجيل ـ كيني ـ أوبيب)، هو ذاته ما عرف بـ (النبي أيوب) الذي ذكره العبريون، فهو كاهن وواعظ بابلي وليس نبياً، ولد في بابل وكان من معاصري الملك نبوخذ نصّر الأول (1126 ـ 1103 ق م) من الأسرة البابلية الرابعة، أو حدد أبال ـ أيدينا أو معاصراً لكليهما. وقد قدم لنا في هذا النص لمحات مهمة من طبيعة الأخلاق البابلية يمكننا أن نوجزها بما يلي:

1.لماذا يتعذب الأبرياء؟ لماذا يتساوون مع الأشرار؟ ما هي الحكمة الإلهية في هذا الموضوع؟

كل فرد مقدّر له دور في الحياة وعليه أن لا يخرج عنه، فهناك واجبات تترتب عليه وفق هذه الأدوار، ولذلك كان الخروج على دوره نوعاً من الخروج على الآلهة والكفر بها.

الإنسان يخضع بسلوكه لإرادات معينة متوارثة من قبل الأجيال المتعاقبة منذ القدم وهي مقررة من قبل الآلهة.

«إن المعذّب قلق يتذمر لأن كلّ شيءٍ معكوس، وليس كما ينبغي أن يكون: الأتقياء معدمون والأشرار يتقدمون، والإله لا يقف بوجه الشيطان. وهكذا، فالمعذّب يتّفق مع القيم والمعايير المحددة من قبل المجتمع. ولكنه يتذمر من خرقها: أما الصديق فيؤكد أن الآلهة هي التي جعلت الناس ظالمين وأن مشيئتهم عصيّة على الإدراك، لكنه يثق بانتصار الخير ومعاقبة الأشرار في نهاية المطاف، وينصح بمواصلة الصلاة.» (كلشكوف 1995: 116).

3.النزعة الفردية:

وصلت الأخلاق البابلية إلى أعلى قممها حين طرحت فكرة الإله الشخصي الذي كان يقوم بحل المشكلات اليومية الخاصة بالإنسان، وكانت هذه الخطوة بمثابة تأسيس مهم لما يمكن أن نسميه بـ (الديانة الشخصية)، وهو الدين الذي يجسد العلاقة بين الفرد والإله فقط، وليس بين الجماعة والإله، وهو نوع من الخلاص النوعي في الأديان القديمة يجعل من الآلهة في مشاغلها الكونية الكبرى، ويوكل للإله الشخصي مهمة حلّ مشكلاته. «وشعور الإنسان بأنه يرتبط بعلاقة خاصة مع الإله وترقبه المستمر للمساعدة والمشورة الإلهية في شؤون حياته الخاصة، وترقبه المتواصل للغضب والعقاب وإيمانه الراسخ بالرحمة والغفران والمحبة الإلهية عند التوبة. كان للإنسان مع إلهه الخاص علاقة راسخة ومباشرة، إن لم نقل إن الكلفة قد زالت بينهما: فقد سماه (الوالد) وسمّى نفسه (العبد الذي ولد في داره). كان الفرد يتشاور مع إلهه هو في كلّ مسألة، حتى وإن كانت تافهة، ويتحدث معه كلّ يومٍ تقريباً، بل وكتب إليه الرسائل. وهكذا، عندما ينشط الإنسان ويتحرك من خلال إلهه، فإن بوسعه الأمل برعاية الآلهة العظام، وإذا ما كان متقيداً بالفروض والتعليمات، فمن حقه أن يتوقع، بل أن يطلب الرعاية والثواب، من الآلهة، لذلك يبدو له من الظلم الفاحش غياب هذه الرعاية والثواب.» (كلشكوف 1995: 117).

لكن البابليين لم يطوّروا نظام الإله والدين الشخصي ولم يضعوه في محور اهتماماتهم، وأصبح أمراً ثانوياً أمام جعجعة الآلهة الكبار والكهنوت العالي.

«الفرد هنا هو الذي يتجلى بمثابة الوحدة الأساسية، وليس العائلة أو القبيلة. وقد أخذ هذا الوضع يتبلور منذ الألف الثاني قبل الميلاد على الأقل. وارتباطاً بذلك احتل السؤال عن الموت ومصير الإنسان بعد الموت مركز الصدارة في اهتمامات البابليين. فتراجعت معتقدات العصر الغابر (النظام القبلي) عن الانبعاث والعودة الأزلية بعد الموت، ولكن لم تظهر بدائل (ضمانات) أخرى تكفل الخلود. ولم تكن للآلهة البابلية صفة الشمول التي تسمح لها ضمان خلود الذات التي ارتبطت بها. وفي هذا الوضع الوسط تكمن مأساة الوعي الديني البابلي. وهو أحد المنابع الأصيلة للتشاؤم الباطني الدفين عن السومريين والبابليين.» (كلشكوف 1995: 125).

يعود بنا هذا الأمر لتأكيد فردية الشعور البابلي المتأتي من طريقة الحكم الفردية (الموناركية) الذي يولّد في الفرد نزعة فردية لاشعورية تصبح متحكمة بمشاعره وتكوينه وأخلاقه أيضاً.

4.النزعة الدنيوية:

كانت الصورة العدمية التي قدمتها الإسكاتولوجيا البابلية عن ما بعد الموت مصدراً للتشاؤم وعدم وجود أملٍ في الحياة الأبدية مهما فعل الإنسان، ولذلك أصبحت الأخلاق البابلية براجماتية نفعية تحاول أن تستثمر فرح وسرور الحياة في الأرض لأنها تعرف أن لا حساب ولا ثواب سيكون بعد الموت.

هذه نقطة مفصلية مهمة في الأخلاق البابلية التي كانت نسبية وواقعية ونفعية أكثر من كونها دينية ومطلقة، فالآلهة قررت الموت على البشر وقررت أن لا تعيد بعثهم في الآخرة، ولذلك كانت المتعة والسرور من نصيب الطبقات العليا والوسطى وكان العمل والتكاثر من نصيب الطبقات الدنيا والعبيد والفقراء.

المبحث الثاني: مصادر الأخلاق البابلية

أولاً: الأخلاق والدين البابلي

كان الدين البابلي أحد مصادر الأخلاق البابلية، ولكنه كان فعّالاً بسبب تمسك البابليين بعقيدتهم الدينية واعتقادهم بتأثير الآلهة على طبائع الناس وأخلاقهم.

كانت فكرة الحلال والحرام مؤثرة في أخلاق وأعراف البابليين، فهي التي تحدد سلوكه وتوجه طريقه في التفاصيل التي تغمره بها الحياة، فهي أشبه ما تكون بالفقه في زمننا هذا، وكان للتحريم أهمية كبيرة في الحياة اليومية للإنسان العراقي القديم وللحكام في الوقت نفسه، لأنه أعطى للكهنة والسياسيين في بابل أهمية قصوى» فالتحريم ظل ملازماً

في نفوس وأذهان سكان العراق القديم، لأن كل عمل قام به الإنسان للدين أثر كبير في ذلك. فالأفكار الدينية والتحريم كان لهما الأثر البارز في تحديد سلوك الإنسان، وتكوين الخلفية الاجتماعية والسياسية في حياته. ومن هذا المنطلق والأهمية والمكانة، جعلت السلطة السياسية التحريم الإطار الذي يحميها ويحمي منجزاتها، ويظهر ذلك جلياً في اللعنات على المسلات والتماثيل، بل الوسيلة الأمثل لحماية أنفسهم. والسبيل الوحيد لخلق مجتمع سياسي آمن ومستقر. من هنا جاءت فرضية البحث لتوضيح فكرة التحريم، وكيف ترسخ ضمن إطار ديني أضفى القدسية على النظام السياسي، وفق منظور يحرم التشكيك والتجاوز عليه أو اختراقه.» (الأعرجي والميالي 2018: 73).

ساهم ذلك في تقييد حياة الناس من جهة وفي قوة السلطتين السياسية والدينية، ومع الزمن ترسخت تقاليد كثيرة من إجراءات التابو هذه ونتج عنها سلطة قهرية واضحة.

كان الإنسان البابلي مؤمناً بما قدرته له الآلهة، وبالقضاء والقدر وأن كل ما في الكون موجود ومسيّر من قبل الآلهة، فالقدر محتوم وغير قابلٍ للتغيير مهما حاول الإنسان تغييره، وهذا ما شكل عائقاً بوجه الإنسان من أجل التغيير، وهو ما جعل الأخلاق وكأنها مطلقة ولا بد من الخضوع فيها لإرادة القدر.

ثانياً: الأخلاق والقوانين البابلية

تحوّلت القوانين البابلية، بسبب ممارستها الطويلة، إلى ما يشبه العرف، فقد كانت ماثلة للعيان في سلوك وأخلاق الناس في كلّ يوم، وكان هذا أحد أهم الضوابط الأخلاقية التي ترسخت في حياة البابليين. ورغم ذلك كانت القوانين تتطور من العقوبات الجسدية نحو الغرامات المادية، وهذا يؤشر رقيّاً في التصور القانوني والاجتماعي في حياة البابليين. ورغم أن سلطة التقسيم الطبقي الاجتماعي كانت واضحة، لكن المجتمع بكل طبقاته كان يحتفظ بحقوقه وكان يرسخ أخلاقه الطبقية، إن صح التعبير، وفقاً لمجريات الأحداث، خصوصاً أن طبقة الخدم والعبيد كانت في ازدياد واضطراد وكان لا بدّ من توفير حقوقها كما يجب. كانت حقوق الإنسان في العيش الكريم والعلاج والطعام والمأوى مكفولة إلى

حدّ كبير في الحضارة البابلية، وهو ما خلق دافعاً أخلاقياً إيجابياً في حياة الناس لكي يتمروا في تقبّل وممارسة نمط حياتهم على علاّتها.

ثالثاً: الأخلاق وعادات المجتمع البابلي

لا شك أن الأخلاق يورثها المجتمع عبر الأجيال وتبقى ثابتة لفترات محددة من الزمن، ويجري عليها التغيير بعد ذلك بصورة تدريجية. وكل هذا يجري وفق نظام العادات الشعبية التي تكون متداولة بين الناس. وبذلك تلعب تلك العادات دوراً كبيراً ومهماً في نقل الأخلاق سلالياً ونشرها كنوع من الأعراف بين أهلها.

شوّه هيرودوت مفهوم (الزواج المقدس) دون أن يزور بابل وجعله نوعاً من البغاء العام الذي تمارسه النساء مرة واحدة كل عام، والحقيقة أن الزواج المقدس الذي تقوم به الكاهنة العليا مع الملك هو الذي تقوم به مرة كل عام وكان يجري وفق طقوس دينية مهيبة، ولا وجود للنساء اللائي يستجدين الشباب بقطعة معدنية من النقود لمضاجعتهن قرب المعبد، كان هذا تشويهاً صريحاً للطقوس البابلية، ويبدو أنه عكس ما كان يجري في بلاده على بابل.

كانت المرأة تحافظ على عذريتها حتى يحين زواجها، وكان هناك مهر واضح لها ومؤخر محدد القيمة، وكانت شريعة حمورابي واضحة وصريحة في هذا المجال.

رابعاً: الأخلاق وتجانس المكونات الحضارية البابلية

الأخلاق الحضارية تسمو وتصبح مقياساً للتجانس بين المكونات المادية والثقافية للحضارة، وبذلك تكون عاملاً في الحكم على توازن الحضارة، بل وعاملاً في تصحيح خطل واهتزاز كفتي ميزان الحضارة، فمن خلال مراقبة طبيعة الأخلاق يمكننا الحكم على ما تمر به الحضارة من رقيّ أو انحطاط أو أزمةٍ أو توترٍ.

مرت الأخلاق البابلية، في بداية نشوئها بطراز نموذجي في تمثّل احتواء حالة النمو الإخلاقي لمجتمع ساميّ نازحٍ من مرحلة البداوة نحو مرحلة التحضّر والتمدّن، وقد نجحت أيما نجاحٍ في هذه المرحلة، لأنها استفادت من الإرث السومري في وعي أهمية القانون في نمو وتأسيس المجتمعات والدول.

لكنها سرعان ما وقعت في الأخطاء المعهودة لنشوء الحضارات، فكان توسعها الإمبراطوري تجاوزاً جغرافياً على تاريخها المحدود وعلى بقعتها الرافدينية المحدودة أيضاً.

واستطاعت أن تجانس بين سلطتها الساسية ومداها القانونيّ والدستوريّ، لكنها أخطأت، فيما بعد، حين تنعّمت بالترف والثروة وأهملت استعداداتها العسكرية والدفاعية، ورغم أن ثروتها الفكرية والأدبية جيدة، لكنها ليست بحجم ثروتها المادية والاقتصادية، وهذا خللٌ مضاف.

كان المجتمع أكبر، بكثير، في حقوقه وتطلّباته، وكانت حرية الفرد هامشية، لم يكن هناك وعي ليبرالي منتظم، ولم تكن هناك سلوكيات خارج المألوف إلّا في الحانات والشذوذ الذي كان متهماً بلا شك.

ولنعترف أن الدين كان طاغياً على الاستثمار المادي والطاقوي للحياة، كانت الحياة الدينية أقوى بكثير. أما الحياة العلمية فقد كانت أكبر من المنجز الفني، ونستثني العمراني هنا، ولكن الحياة لم تكن تتمتع بتكنولوجيا العلوم كما يجب، فما عثر عليه، صدفة، من بطاريات كهربائية كان من أجل صياغة الذهب والفضة أكثر من كونه اختراعاً استثنائياً للكهرباء!!

خامساً: مظاهر الأخلاق البابلية العامة

حين نتصفح كتاب الأخلاق البابلية نجده أبيقوري النزعة ساعياً نحو اللذة والترف والسعادة الخاصة.أكثر من كونه درساً في التوازن الأخلاقي المسؤول، كما هو حاصل عند المصريين بشكل خاص، فقد تغلبت فيه النزعة الأبيقورية على النزعة الرواقية، وكان يميل

للفرد اليائس الفاقد للشعور بالبقاء بعد الموت أكثر من كونه جماعياً متآزراً وهو ما أطاح بالحضارة البابلية في لحظة امتحان فريدة من نوعها.

الفصل الأخير

المعايرة والتقييم والنقد والتفرد للحضارة البابلية



نموذج طيني لعربة بابلية، الفترة البابلية القديمة 1800-1600 ق.م

هذا النموذج يمثل عربة محمية بواسطة درع أمامي. تم ختم الجزء الداخلي من الدرع على صورة عابد يقف أمام إله يرتدي على رأسه غطاءً طويلاً ومقرناً، ويحمل قضيباً وخاتماً بيد واحدة، يقيس أدوات القياس المرتبطة بالعدالة الإلهية. تشبه الأشكال المطولة صوراً للآلهة على الأختام الأسطوانية من تلك الفترة.

Photographed at the Walters Art Museum، Baltimore، .Maryland

صورت في متحف والترز للفنون، بالتيمور، ماريلاند.

المبحث الأول: معايرة الحضارة البابلية

أولاً: الجغرافيا والتأريخ: جدل المكان والزمان

بدأ التشكل السياسي للجغرافيا البابلية من مدينة بابل حين تمكنت أسرتها الأولى من جعل مدينة بابل دويلة أمورية في وسط صراع الدويلات الأمورية التي ظهرت بعد سقوط الحضارة السومرية، وكان لها الفوز حين تمكنت من بلورة دولة صغيرة ناضجة بمواجهة إيسن ولارسا وهما من أهم دويلات هذا الصراع، ثم جاء حمورابي وأقام دولة بابلية على أساس القانون وليس على أساس السياسة فقط، فكان فوزه العظيم في تأسيس أصلب قاعدة لحضارة جديدة مبنية على قوة العدل والقانون. ولا شك أن ظهور الدولة البابلية في بلاد الرافدين آنذاك كان هو الأنسب جغرافياً وتأريخياً بسبب الانسجام التاريخي الجغرافي الذي تشكلت إيقاعاته المتجانسة منذ عصري النيوليت والكالكوليت قبل التاريخ ثم خلال طوري الحضارتين السومرية والأكدية.

لكن طموحات حمورابي وإغراء مصادر المادة والطاقة خارج بلاد النهرين جعلتا من حمورابي يمدّ إمبراطوريته من البحر الأعلى (المتوسط) وحتى البحر الأسفل (الخليج) ويسيح على ضفتي الخليج بشكل خاص.

جاء الأمر سريعاً ومباغتاً ولم يستمر طويلاً فسرعان ما انكمشت الإمبراطورية وعادت حدودها لبلاد الرافدين، لم يقبل التاريخ ولا الجغرافيا على هذا التوسع، فالإيقاع الداخلي للمكان والزمان كان يقضي بحدود رافدينية تكفي الدولة البابلية. ولذلك دبّ الضعف في بابل وعانى ملوكها بعد حمورابي الكثير في رأب هذا الصدع، ولكنهم لم يتمكنوا طيلة ثلاثة أو أربعة قرون، حتى انهار هذا التوافق الصعب. ثم أصبحت بابل تحت سلطات أجنبية رغم استقلال شكلي في أسرها ما بين (2 ـ 10).

وأعادت بابل الخطأ ذاته في ما يعرف بالدولة البابلية الحديثة، حين توسّع نبوخذ نصّر في بلاد الشام وأقام إمبراطورية بابل الثانية، وفشل الأمر بعد وفاته بنصف قرن حين أصبحت بابل تحت الاحتلال الفارسي الأخميني، بل وسقطت معها كل احتمالات نهوض وادي الرافدين من جديد.

لقد دمرت الجغرافيا التوسعية تاريخ الرافدين في هذا الامتحان الصعب الذي لايمكن نسيانه.

ثانياً: السياسة والقانون: جدل السلطة والعدالة

الموناركية البابلية في السياسة كانت أقوى بكثير من القوانين التي سنّها حمورابي وتواتر على إصلاحها وتطويرها ملوك من بعده، كانت الموناركية نظاماً فردياً في الحكم لم يسمح بنشوء أي محاولة ديمقراطية ولو من النوع البدائي الذي كان في سومر، لكنه، رغم ذلك، لم يكن أقوى من السلطة الدينية التي جعلته تابعاً لها، أو أنها كانت المتحكمة به.

ساهم القانون بتنظيم المجتمع لكنه لم يساهم بتنظيم السلطة الزمنية أو الدينية، وهو ما جعل اختلال التوازن واضحاً مع مرور الزمن.

لم تكن السلطة السياسية غاشمة في بابل، بل كانت فردية، ولم يكن القانون شاملاً لكي يساهم في تنظيم السياسة ويضع الحدود المناسبة لها فيعزل بين السلطتين الزمنية والدينية.

ومع ذلك نرى أن الجدل الذي أحدثته معادلة السلطة والقانون كان هو الأوضح والأعظم في التاريخ القديم، فرغم التجربة المصرية المهمة في جعل الفرعون إلهاً يوازن الأخلاق ويرعى العدل، وهي تجربة ناجحة، لكنها لم تكن تجربة مدنية بل كانت دينية الطابع، أما المحاولة البابلية فقد كانت الاستثناء الأكبر في تلك الأزمان ولم تتفوق عليها سوى تجربة الديمقراطية في كلّ من أثينا وروما وهي عصور متأخرة نسبياً عن الزمن البابلي.

ثالثاً: العسكرية والمدنية: جدل الحرب والسلام

لا شك أن هذه المعادلة في بابل جديرة بالدراسة والفحص بعناية شديدة، لأنها تنطوي على الكثير من التعقيد والتضاعيف الخاصة ولأن الزمن الطويل للحضارة البابلية منذ عهدها القديم وحتى نهايتها والذي يقترب من 2000 عام تقريباً يضعنا أمام احتمالات واستنتاجات متضاربة.

نرى أن العسكرية البابلية التي تطورت في بدء تكوين الدولة البابلية رافقت بداية تحضّر الأموريين في بابل واستقرارهم البطيء وتحوّلهم من قبائل بدوية إلى سكّان مدنٍ متحضرة، ويبدو أن هذا التحضر أخذ مداه الواسع عن طريق التجارة والاختلاط بشعوب العالم القديم وتحول بابل، تدريجياً، إلى واحدة من أكثر مدن العالم تحضراً وعناية بالترف والثروة، وهنا تغلبت السمات المدنية على طبعها العسكريّ القديم تماماً وخصوصاً في عصرها الوسيط.

وحين ظهرت دولتها الحديثة كانت رغبة بابل للتحرر والانعتاق من ربقة السيطرة الآشورية مُلحّة وقوية، بل وكانت رغبتها بالتعبير عن مخزونها الحضاري كبيرة بعد هذا التراكم الحضاري الذي دام قروناً طويلة بين دولتها القديمة ودولتها الحديثة. وهكذا كان تحالفها مع الميديين والإسكيثيين لإسقاط الإمبراطورية الآشورية ناجزاً وقوياً، خصوصاً أنها امتلكت إرثاً لمقاومة الآشوريين من خلال ثورات بلادها المتواصلة، ومع ذلك فحين أنجزت هذه المهمة وجدت نفسها مضطرة للعودة إلى روح العسكرتاريا القديمة وتكوين امبراطورية مترامية الأطراف.

كان أحد أكبر أخطائها أنها تركت المدن الآشورية تحترق تحت الهيمنة الميدية ولم تسارع للتفاوض برعايتها وضمها إليها، ولم تمنع المجزرة البشرية التي طالت الآشوريين بعد سقوط إمبراطوريتهم، وكان في هذا نقص في وعيهم الحضاري لحمل وادي الرافدين كلّه في الميزان الحضاري الجديد. وبالمقابل أنهكت جنودها في مطاردات جيوش مدن بلاد الشام المتمردة وجيش مصر في هذه البلدان.

سرعان ما وجد البابليون أنفسهم أنهم بحاجة للعودة إلى حياتهم المدنية بعد نصف قرنٍ من الحروب المتواصلة، وهكذا عادوا ودبت في أوصالهم الحاجة للترف والثروة، وتراخوا في استعدادهم لاحتمالات غزو بلادهم. وهكذا سقطوا في الوهم القاتل الذي يقضي بأن كورش الفارسي قد ينقذ عيدهم الأكيتو ويعيده لهم، بعد أن ألغاه نبونائيد، وأنهم يفضلون مردوخ على أي إله آخر. ولا نعفي نبونائيد رجل الدين والملك الأخير لبابل من سوء سياسته وعدم تدبره الحضاري وتركه البلاد هائماً في تصوفه القمريّ في جزيرة العرب، كانت السياسة بحاجة لرجل سياسة وليس لرجل دين.

وهكذا دفع البابليون ثمن نومهم في السلام والثروة والترف ثمناً لاحتلال بلدهم وسقوط آخر حضارة رافدينية بل ووادي الرافدين كلّه في براثن الاحتلال الفارسي، فتراخوا عند دعوة رجال الدين فيها لكورش الفارسي بالمجيء وتحريرهم من نبونائيد وولده بلشاصر، وتراخوا عن انتهاز أهل يهوذا هذه الفرصة والعمل على سقوط دولة بابل التي سبتهم، وتراخوا عن خيانة جيبارو وفتح الطريق لجيوش بابل، وتراخوا عن إحكام قفل أعظم أسوار في التاريخ كانت تحمي بابل وانفتاحها، بدون عناء، ليلة دخول جيوش كورش فيها واحتلالها.

هنا كان السلام مبالغاً به وكان سبب الهزيمة والاندثار، وكان لا بدّ من وثبة عسكرية كبيرة لإنقاذ حضارة بابل والاستمرار بها، كانت الخطوة الحاسمة في ظهور قائد عسكري جيد لينقذها، لكن الأوان قد فات، بحيث إن ظهور ثورتين بابليتين بعد سقوط بابل بيد الفرس قادهما قائدان وطنيان هما (نبوخذ نصّر الثالث والرابع) لم يكن نافعاً أمام الهيمنة الفارسية التي أحكمت قبضتها ليس على بابل فقط بل على الشرق الأدنى القديم كله.

إنها لمفارقة كبيرة أن تذوب خلاصة أربع حضارات رافدينية كبرى (السومرية، الأكدية، الآشورية، البابلية) شغلت العالم القديم كله لثلاثة آلاف عام، أن تذوب خلاصاتها ونتائجها في بلاد حديثة لم تمتلك جيشاً نظامياً بعد لتتحول إلى حضارة كبرى اسمها الحضارة الفارسية تسيطر على الشرق الأدنى لألف عام.

رابعاً: الاقتصادية والأدبية ـ الفكرية: جدل الثروة والتنوير

لم تكن الحياة الاقتصادية في العالم القديم كلّه من النضج والوضوح بحيث يمكننا التعامل مع سياقاتها بدقة وعلمية، لكنه مما لا شك فيه أن هناك ثروة كانت تتكدس في القصور والمعابد والبيوت وتظهر على شكل حركة عمرانية وتجارة وصناعات وتبادلات تجارية واسعة، وقد كانت بابل من أكثر دول العالم ثراءً، نعرف هذا من وصف المؤرخين الذين زاروها أو سمعوا بترفها الاقتصادي. ولم يكن لكلّ هذا الثراء من معنى لو أنه لم يحرك النفوس ويُنتج أدباً وفكراً ولغة وكتابة، كان من الصعب تخيل حضارة مهما بلغ ثراؤها دون أدبٍ وفكرٍ، كان الشعر والملاحم والقصص والآداب بأنواعها تشكّل جذوة عظيمة للحضارة وتبرر قيمتها، وفي بابل من الملاحم والأدب الأخلاقي ونصوص الحكمة ما يكفي لأن تكون الثروة قد أطلقت عطرها الأزلي في الزمان كلّه.

كان ذلك هو الذي يلعب الدور الأكبر في تنوير العقول والنفوس ويكون ذكرى خلودها على مرّ الزمان.

خامساً: الاجتماعية والنفسية: جدل المجتمع والفرد

يرى لوبون أنه «من مجموع الصفات النفسية التي يشترك فيها أفراد كلّ أمةٍ تتكون الصفة العامة التي يعبر عنها بخلق الأمة أو الخلق الملي. وبعبارة أخرى يتكون المثال الوسط الذي يمكن اتخاذه عنواناً للأمة» (لوبون 2019: 19).

ويكون الجدل بين الجوانب الاجتماعية من جهة والجوانب النفسية العامة للمجتمع وللفرد من جهة أخرى عاملاً مشكلاً لصفات الأمة، فلولا الراحة والحرية التي تمتع بها البابليون كأفراد لما تشكل مجتمع حرّ خلاق ومبدع حضارياً.

الأحرار، في مجتمعهم، لا العبيد هم من يخلقون حضارة بلادهم، وكلما تميزت الحضارة أشار ذلك لحرية مبدعيها. كانت الحياة في بابل تميل لحركة واسعة من الحرية

الاجتماعية، وكان ذلك بفضل القوانين البابلية التي تحولت إلى ما يشبه الأعراف في صيانتها لحرية وحقوق الأفراد، ولذلك جاءت الحرية الفردية كنتيجة وسببٍ لرفاه وتقدم المجتمع.

سادساً: المادية والدينية: جدل المادة والروح

التوازن الشقيّ بين الطاقة المادية والطاقة الروحية يزداد قلقاً من المفارقة الكبرى بين المادة والروح أساساً، فالروح والدين ينظران، بعين المطلق، لمحدودية المادة ويتباهيان بأزليتهما، والمادة تنظر، بالعين البراجماتية، لعدم الجدوى المباشرة للروح والدين.

لا شك أن الحضارة البابلية، مثلها مثل الحضارات القديمة الأخرى، لم تكن حضارة مادية واسعة الإنجاز في هذا المجال، فهي ما زالت ترى في غلبة العامل الديني على المادي أساساً لوجودها. ويتجسد هذا في وضعها لواحد من أعظم النصوص المقدسة في العالم القديم والذي كان بمثابة الكتاب المقدس آنذاك وهو (أسطورة الخليقة البابلية)، وكان من أقصى بذلها المادي في ما عرف ببرج بابل الذي تناهبته الأساطير وقيل إن الألسن تبلبلت بسببه، والجنائن المعلقة، ومعابدها الخمسين، وشوارعها وأسوارها المعجبة وبوابتها العظيمة وقصور ملوكها الباذخة، كان العمران يحاول أن يتوازن مع طاقتها الروحية في تأسيس أسطورة خليقة أمٍّ لانظير لها، وفي كتابة ملحمة مذهلة كملحمة جلجامش.

كان التوازي بين عمرانها المادي وعمرانها الروحي متوازناً إلى الحدّ الذي لا يمكننا نكران صداه حتى.

سابعاً: العلمية والفنية: جدل الدماغ والحواس

الفكر البابلي كان مبدعاً خلاّقاً دون أدنى شك، فالعلوم الرياضية البابلية وصلت إلى أرفع مستوياتها، وكانت اختراعاتها في الجبر والهندسة ومعادلات الدرجة الثانية وعلاقة الوتر بساقي المثلث القائم في الواح تل حرمل وبطارية بغداد البابلية، والعلوم الطبية كانت

مذهلة وفوق المعتاد، ونظام المترولوجي البابلي الفائق الدقة والقيمة، وعلم الفلك الذي لم تضاهيه أمة أخرى في زمنها وعلوم التربية والتعليم والتاريخ والفكر الجغرافي الفريد من نوعه في بابل والتخطيط الحضري الذي تشهد له مدينة بابل الأعظم بين مدن العالم القديم.. كل هذه العلوم نمت في فضاء علماني ولم يقف بوجهها سقف ديني. بل وأنتجت تكنولوجيا في حقولها مشهود لها.

في المقابل كانت الفنون تنتج تكنولوجيات حواس الإنسان البابلي المرهفة في التقاطات العين التشكيلية الفريدة والنحت والعمارة، وكانت فنون الموسيقى والأزياء والزخرفة مترعة. لقد كان التناغم مذهلاً بين تقنيات الدماغ والحواس وأنتج كلّ هذا النسيج المتداخل الجميل.

المبحث الثاني: تقييم الحضارة البابلية

يرى ول ديورانت «أن الأمم تولد رواقية وتموت أبيقورية يقوم الدين إلى جانب مهدها (كما يقول المثل القديم)، ويصحبها الإلحاد والفلسفة إلى قبرها. ففي بداية الثقافات والحضارات كلها ترى عقيدة دينية قوية تخفي عن أعين القوم كنه الأشياء وترقق من طبائعهم، وتبثّ في قلوبهم من الشجاعة ما يستطيعون به أن يتحملوا الآلام ويقاسوا الصعاب وهم صابرون، تقف الآلهة إلى جانبهم، في كلّ خطوةٍ يخطونها، ولا تتركهم يهلكون إلّا حين يهلكون، وحتى في هذه الحال يحملهم إيمانهم القوي على الاعتقاد بأن خطاياهم هي التي أغضبت الآلهة فانتقموا منهم.ذلك أن ما يصيب الناس من شرٍّ لا يفقدهم إيمانهم، بل يقوّيه في قلوبهم، فإذا جاء النصر وإذا نسي الناس الحرب لطول ما ألِفوه من الأمن والسلام ازدادت ثروتهم واستبدلت الطبقات المسيطرة بحياة الجسم حياة الحواس والعقل وحلت اللذة والراحة محل الكدح والمتاعب وأضعفت الدعة ما في الناس من رجولة وصبر على المكاره وأخيراً يبدأ الناس يرتابون في الدين ويلجأون إلى كل لذة عاجلة زائلة

يعتصمون بها من سوء مصيرهم. فهم في البداية كأخيل وفي النهاية كأبيقور وبعد داوود يأتي أيوب وبعد أيوب يأتي سفر الجامعة.» (ديورانت ج2، 2007: 255).

وإذا كانت مقولته تصحّ في مبدئها العام (إن الأمم تولد رواقية وتموت أبيقورية) فهي لا تصحّ في شرحه لها وتفصيلها كما ذهب ديورانت إليه، الرواقية تعني التقشف والإيمان الروحي، بينما الأبيقورية تعني اللذة والمتعة الحسيّة، ويعكس هذا التطرف، في الجانبين، حالاً لا يناسب الإنسان، فالأمم تنهض بحضورها المادي والروحي معاً وتبقى قوية طالما هي تحافظ على التوازن بينهما، وحين يختلّ التوازن لصالح أيّ من الجانبين سيبدأ عصر هوانها وضعفها وزوالها، وينطبق هذا الأمر على الحضارة، فالحضارة تختلّ حين تُخلب أحد الجانبين على الآخر.

سبب كلّ هذا هو أن هذا اللاتوازن ضد الطبيعة البشرية، فالإنسان بحاجة للجانبين الروحي والمادي متوازنين مع بعضهما، ولا بد من توازنهما عن طريق الأخلاق بصورتها الحضارية العامة التي تشيع التناغم والتوازن في مكونات الحضارة ولا تسمح بغلبة جانب على آخر وتمنع اهتزاز الميزان الحضاري وتحافظ على توازنه. وحين نقول الجانب الروحي لا نعني به الدين فقط بل كلّ الفعاليات الروحية دينية أو غير دينية، وكذلك حين نقول الجانب المادي فلا نعني به الحسيات والملذات فقط بل كل الجوانب المادية من بناء وطاقة ومال وحياة عملية.

الهبيتوس البابلية: أسلوب الحياة البابلية

Babylonian Habitus

الهبيتوس هو أسلوب الحياة، وهو السجيّة الحضارية الذي يعبر عن نفسه في مجموعة من طرائق السلوك والتصرفات الاجتماعية عند الفرد والجماعة، وهو المهارات وطرق العمل وطريقة الوجود والعيش والحضور العفوي الذي يحمل صفات متوارثة على السليقة ودون تصنّع وافتعال. وهو جوهر الشخصية والبنية الذهنية المولدة للسلوك والنظر والعمل.

الهبيتوس من مصطلحات الأنساق التربوية في نظرية بورديو، ويمكن استخدامه في مجال الدراسات الحضارية واعتباره خلاصة أسلوب الحياة في أي حضارة، فهو لونها العام اجتماعياً وفردياً.

يمكننا اشتقاق الهبيتوس البابلي من الملاحظات الآتية التي جمعناها في رحلتنا لتقصي أسلوب الحياة عند الفرد البابلي المشتق من أسلوب حياة المجتمع البابلي ضمناً:

1. الترف والجاه وحب الحياة وجمالها.

2. الثروة والبذخ والأناقة في العمران والمظاهر.

3. التوازن بين ما هو ديني وما هو دنيوي دون إفراط وتطرف في أحدهما.

4. حب العلم والمعرفة والبحث فيهما.

المبحث الثالث: تأثير الحضارة البابلية في ما بعدها من الأديان والحضارات

هل صحيح أن بابل منبع الطغيان والدكتاتورية؟ كما يردد بعض الباحثين الغربيين، نحن نرى أن هناك تعسفاً كبيراً لحق بابل من جراء تصورها في الماضي والذي قامت بتشكيله المرويات التوراتية والمسيحية فيما بعد، ولذلك تأتي إعادة بناء بابل وحضارتها مجدَّداً عبر ما تتيحه الآثار المكتوبة والمنقولة محاولة لكسر تلك الصورة التي رسمتها أحقاد دينية وعرقية معروفة ساهم فيها العبرانيون اليهود والفرس الزرادشتيون، وصبوا جام غضبهم، من خلال حجج التوحيد الديني والذي صنعوه من أشلاء وادي الرافدين وأعادوا تصديره لها.

ما زالت الآثار المدفونة تحت الأرض حبلى بالكثير من الحقائق التي ستغير وجه تاريخ بابل والشرق الأدنى وتتحدث عن دورها الحقيقي في تاريخ الحضارات البشرية، لم يتم التنقيب بأكثر من 20% من المدينة وما زال هناك الكثير لتقوله بابل وتدحض به تلك الأسطورة التوراتية المتهالكة التي تعتمد على مفارقة لغوية مضحكة بين كلمتي (بابل) و(بلبلة الألسن) وتأسيس أسطورة إيتولوجية (سببية) عن النشأة المتعددة للغات العالم، حيث يروي سفر التكوين «هلمّ نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسماً لئلاً نتبدد على وجه كل الأرض. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب: هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة، لذلك دُعِي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض» (سفر التكوين11: 1-9).

لم يعد تاريخ بابل وحضارتها مجموعة مرويات دينية مضادة لها، ولا شظايا فخارٍ يجمعه متسولو الآثار، ولامدينة تنعق فيها الغربان، بل أصبح، اليوم، مادة متماسكة تضاهي أكبر حضارات العالم القديم سعة وتدويناً. ذلك الشعب الذي صنع معجزة جديدة بعد المعجزة السومرية وقدمها للبشرية كعلامة فاصلة في التحضر والمدنية. فهي ليست المدينة التي كانت كأساً بيد الرب ليُسكر بها الشعوب بل هي المدينة التي شربت من كأسها وسكرت وأسكرت العالم من علومها وقوانينها وحضارتها، وهكذا يعترف الباحثون الغربيون المنصفون اليوم حين يقولون إن جذور حضارتهم أنشأتها بابل ومر نسغها في أثينا وروما ليصل لهم. لقد كوّنت شعباً واحداً من عدة أعراق خليطةٍ وكوّنت دولة واحدة من عدة مدن متنافرة، لقد صاغت صياغتها كما أعظم السبائك الحضارية وفتحت مصراع التفاعل الحضاري إلى أقصاه ولم تتعصب يوماً ولم تفضّل أعراقها المحلية على من خالطها من الأجانب، جذبت الإسكندر وجيوشه الهيلينة وأسكرتهم وسكرت معهم وصنعت مزاجاً هيلنستياً نادراً توازى مع المزاج البطلمي في مصر واختلط معه ليكونا مادة الهلينستية العالمية يومها.

هكذا هي بابل وهكذا هو معيار حضارتها التي يصعب أن تضاهيها حضارة في زمنها.

لم تكن بابل صانعة للطغيان الشرقي كما يروجون بل هي في أقل أشكاله الموناركية توتراً وفي أقل هيمنته على شعبها وشعوب المنطقة قياساً لغيرها، صنعت لنفسها فلسفة حكمٍ مرهفة وحكمة روحٍ عميقة، وكان التوحيد يغالبها ويزحمها على يد نبيّ متعثر الخطى مثل (نبونائيد) الذي جاءت حركته في التوقيت الخاطئ، مثل أخناتون في مصر، فجرت الويلات على بابل ومصيرها.

بابل والكتاب المقدس:

في نهاية عام 1872 في لندن، قام عالم الآثار جورج سميث، أمام جمعية علم آثار الكتاب المقدس، بتقديم محاضرة تضمنت عرض ترجمة لبعض الرُّقم الطينية المكتشفة من آثار نينوى والتي تتضمن اللوح الحادي عشر لملحمة جلجامش الذي يسرد قصة الطوفان، وقارنها بقصة الطوفان الواردة في الكتاب المقدس، وأوضح بأن الرب لم يكتب هذه القصة في الكتاب المقدس بل نُقلت حرفياً من ملحمة الطوفان البابلية الأصل وذات الجذور السومرية. كان ذلك بمثابة الصدمة التي أفزعت رجال الدين، بالدرجة الأساس، ووضعت الكنيسة في موقف لا تُحسد عليه.

بعد هذه المحاضرة توالت الكشوفات التي أوضحت أن أغلب روايات وشخصيات الكتاب المقدس كانت موجودة في التراث البابلي والآشوري والتي نبتت من أصول سومرية. لكن أغلب الصياغات الجاهزة كانت في بابل.

ثم بدأ ربط وجود أهل سبي يهوذا في بابل في نهاية زمنها واطلاعهم على الموروث البابلي والرافديني عموماً قبل البدء بكتابة أسفار التوراة التي كتبت في بابل واكتملت خلال قرون حتى أخذت صيغتها العبرية الواضحة، ثم جمعها بطليموس الثاني في الإسكندرية على هيأة كتاب (التوراة) وترجمها لليونانية، وعاد العبريون فاقتفوا بطليموس في تكوينه لها.

هكذا تشكّل الكتاب المقدس بأسفاره الخمسة الأولى من تراث بابلي كان متداولاً. بل هناك إضافات أخرى حيث «إضافة إلى الشريعة، فهناك الكثير من المقتبسات اليهودية من الفكر العراقي القديم مثل فكرة الطوفان وجنة عدن والخليقة، إضافة أيوب السومري وأيوب التوراتي وغيرها من التأثيرات الفكرية والحكمية سيما حكمة أحيقار ومدى تأثيرها على أسفار العهد القديم وريث فلسفة السلوك والتربية البابلية ـ الآشورية. فهي تمثل طريقة التفكير والعمل في مواجهة المشاكل والصعوبات الحياتية، وهي الطريقة التي كانت المثال لأتباع الحضارة البابلية (السومرية، الأكدية، الآشورية) طوال ما يزيد على ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.»(قاشا 1988: 65).

أصبح اليوم هذا الموضوع أثيراً لدى الكثير من علماء ودارسي النصوص البابلية ونصوص التوراة، فبعد أن أصدر جان بوتيرو كتابه (بابل والكتاب المقدس) وهو الأب الرهباني الذي كان يقول بأنه من المستحيل عليه أن يحكم على المستوى التاريخي لبعض مقاطع الكتاب المقدس، كالخطيئة الأصلية والطوفان والزوجين الأوليين، ولا بد دائماً من شاهد وبدون وثائق،. حتى عثر على ضالته في تراث وادي الرافدين حيث قضى جان بوتيرو خمسين عاماً من عمره وهو يعمل على فك ألغازها. وقد عرض لجذور توراتية كثيرة جاءت من وادي الرافدين وبابل، فقد رأى على سبيل المثال أنه «علاوة على ملحمة جلجامش البابلية التي يشكل اللوح الحادي عشر رواية الطوفان، نملك قطعة أدبية جميلة ثانية وهي:ملحمة التكوين: تبعاً لهذه الرواية كانت في البداية المياه الأولى المظلمة والفوضوية المسماة «تعامة» ولما باشر الآلهة في تنظيم الكون، وقفت تعامة التي ظهرت أغلب الأحيان بشكل التنين أو بشكل الأفعى ذات الرؤوس السبعة، معادية للآلهة متسلحة بأشكال وألوان من الوحوش التي أظهرتها إلى الوجود، ولاسيما أفاع ملئت أجسادها بالسم. وبجيشها هذا تهيأت لبدء الصراع مع الآلهة. ارتجف الآلهة كلهم من الخوف لدى رؤيتهم العدو الرهيب، والإله «مردوخ» إله النور وإله شمس الصباح والربيع وحده كان مستعداً للصراع بشرط أن تكون له المكانة الأولى بين الآلهة. ثم يأتي مشهد رائع: صنع شبكة وثبتها عند الجهات الأربع حتى لا تفلت منه تعامة. ثم اعتلى بدرع مهيب وبهالة جليلة مركبته التي تجرها أربعة

أحصنة متقدة النشاط وقد أحاط به الآلهة بنظرات الإعجاب. واندفع إلى اللقاء مع تعامة وجيشها ودعاها إلى معركة ثنائية. عند ذاك أطلقت صراخها عالياً وهي هائجة مرتعدة في أعماقها. وعندما فتحت فمها دفع فيه الرياح الشيطانية ثم أطلق رمحه ومزق قلبها وطرح جثتها أرضاً واعتلى عليها بينما رمى أعوانها في الأصفاد. ثم شق جثة تعامة نصفين مثل سمكة، ورفع نصفها الأول وشكل منه السماء ومن نصفها الثاني شكل الأرض، فكانت قبة السماء فاصلاً بين المياه العليا والمياه السفلى، وزين السماء بالقمر والشمس والنجوم وملأ الأرض بالنبات والحيوانات، وأخيراً خلق الزوجين الأوليين بمزيج من الطين والدم الإلهي.وبما أن مردوخ كان إله بابل الرئيسي فلا عجب في أن انتشرت هذه الرواية بالذات انتشاراً واسعاً في كنعان. وقد جعل شعراء العهد القديم وأنبياؤه «يهوى» صاحب البطولة التي قام بها مردوخ ومجّده على أنه البطل الذي سحق رؤوس التنين (المزمور74:13:و89:11) والذي ينحني تحته أعوان رهب (أيوب 9:13) ويبدو أن مواضع كثيرة في الكتاب المقدس كما في إشعيا (51:9) «استيقظي استيقظي البسي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القدم كما في الأدوار القديمة. ألست أنت القاطعة رهب الطاعنة التنين» (بوتيرو 2000).

وساهم الأب الدكتور سهيل قاشا في هذا المسعى ورأى أن «التوراة اقتبست الأساطير الرافدينية (بلاد الرافدين) مع بعض التحريف المقصود أحياناً حيث إن التوراة صارت وريثة التراث العراقي القديم بأساليب مفضوحة فأردنا هنا البرهان على أن أهم أسفارها كسفر التكوين وسفر الطوفان ـ كما أسلفنا أعلاه، وسفر أيوب وهابيل وقائيين وجنة عدن منقولة عن الأساطير العراقية حيث إن عزرا الذي كتب التوراة في سبي بابل خمسمائة سنة قبل الميلاد يدعم قولنا ويؤكده بمصدر لا يرقى إليه الشك هو الفيلسوف اليهودي سبينوزا الذي أعاد النظر في كتب التوراة وقصصها.» (قاشا 1988: 66).

ثم كتب عالم الآثار فريدريك ديليتش كتاباً بالاسم ذاته (بابل والكتاب المقدس) الذي ركزعلى الجانب الآثاري، وقارن، أيضاً، بين النصوص المسمارية والنصوص العبرية، والذي

يقول عن بابل إنها «كانت منذ أوآخر الألف الثالث بؤرة الحضارة والعلوم والأدب، وكانت دماغ الشرق الأدنى والقوة المسيطرة على الجميع» (ديليتش 1987: 33).

ووجد الأب سهيل قاشا في كتابه «بابل والتوراة» أن العلاقة كبيرة جداً بين بابل والتوراة، فقد بنت التوراة مجدها على المدونات العراقية القديمة، وركز على موضوعات الحكمة بينهما ورأى في الفصل الخاص بهذا المبحث أنه يبحث «في منشأ الحكمة وأصولها وأثرها في الكيان البشري على مر التأريخ، أتت لتفند المقولة القديمة القائلة: «إن سفر الحكمة والأمثال ويشوع بن سيراخ في التوراة، أقدم نص حكمي تعليمي مدوّن». والحقيقة أن ذلك شهادة زور على التوراة إذ تبين وبالتحقيق العلمي الأكاديمي الدقيق أن الحكمة نبتت على ضفاف الرافدين ونمت وترعرعت حتى امتدت فروعها إلى الشعوب المجاورة وما بعدها، بدءاً بالسومريين ومروراً بالأكديين والبابليين وانتهاء بالآشوريين الذين في عهدهم أينعت وازدهرت على لسان «الحكيم أحيقار» وزير الملك سنحاريب حكيم نينوى الذي نجد لحكمته أثراً بيّناً لدى سائر الأمم القديمة كالعبرانيين واليونان والسلافيين والأرمن.»(قاشا 1988: 69).

المبحث الرابع: الصيانة والتهديم والديمومة والأبعاد الثقافية

الصيانة والتهديم في الحضارة البابلية:

تعرضت الحضارة البابلية لعمليات تخريب وتهديم واسعة لم تستطع مجابهتها، في الكثير من الأحيان، فقد كان بعض الملوك العظام حاسمين في هذا الأمر، حين حفظوا أمن وحياة الناس وصانوا حضارة البلاد ونخص بالذكر حمورابي ونبوخذ نصّر بشكل خاص، لكن هناك الكثير من الملوك الآخرين لم يتحسبوا للخطر ولم يصونوا الحضارة، فالملك نبونائيد، مثلاً، ارتكب أكبر الأخطاء التي أدت بالحضارة البابلية للسقوط والنهاية، ومنها تخليه عن صداقة

ميديا وقطع الطريق عليها، وهو ما سمح لكورش بالاستيلاء عليها ومواجهة بابل فيما بعد، وكذلك تركيزه على الدين وإهماله للوضع السياسي وعدم إدراكه لخطر الفرس الأخمينيين وتركه البلاد 10 سنوات والاعتزال في تيماء ومدن شمال الجزيرة العربية. وهناك أمثلة كثيرة في هذا الصدد.

الانتشار والديمومة في الحضارة البابلية:

تمكنت الحضارة البابلية من الانتشار في محيطها الحضاري في الشرق والغرب، فقد رحلت منجزاتها ولغتها وكتابتها لجميع من حولها وأثرت فيهم تأثيراً كبيراً، وساهمت في تحفيز ديانة وعلوم الكنعانيين والفينيقيين وجعلتهم يصوغون خصوصيتهم الحضارية والثقافية ويحملون المنجزات للعالم الغربي ولحوض المتوسط عموماً.

وكان هناك أعظم تأثير لبابل على آشور وثقافات الخليج العربي واليمن وفارس ومصر، وقد ساعدت التجارة البابلية في حمل منجزاتها للعالم القديم كلّه.

كانت هناك ديمومة واضحة على مدى يقرب من 1500 عام للحضارة البابلية، رغم كل ما مرت به من احتلال واختراق ومحاولات هيمنة، ويكمن سبب هذه الديمومة، من وجهة نظرنا، في قوة العاصمة بابل وفي صمودها الحضاري وكونها مركز إشعاع حضاري صعب الاندثار.

الأبعاد الثقافية لنظرية هوفستد وتطبيقها على الحضارة البابلية:

جرى استخدام هذه النظرية، في تاريخنا المعاصر، على نطاق واسع في العديد من المجالات كنموذج للبحث، لا سيما في علم النفس بين الثقافات والإدارة الدولية والتواصل بين الثقافات. وتصف نظرية (خيرت هوفستد) للأبعاد الثقافية آثار ثقافة مجتمع ما على قيم أعضائه ومدى ارتباط هذه القيم بالسلوك، وذلك باستخدام بنية مستمدة من تحليل العوامل.

البروفسور الهولندي خيرت هوفستد عالم أنثروبولوجيا وعلم نفس اجتماعي، دكتوراه، أستاذ فخري في الأنثروبولوجيا التنظيمية والإدارة الدولية بجامعة ماستريخت، في هولندا. وأستاذ نظم المعلومات بجامعة فاخينينغن كشف في «مناهج التحليل» وتطوير «أدوات التأثير» بعض الظواهر القياسية المتعددة الأبعاد في المجموعات البشرية. ودرس «آثار تفاعل القوى المختلفة» التي تشكل «ثقافات الشعوب والأمم» وتفسر تباينها في قبول ورفض الظواهر المختلفة. فخرج بنظرية (الأبعاد الثقافية للتجمعات البشرية) كإطار تقييم منهجي للفروق بين الأمم والثقافات.

وتهتم الدراسة بكيفية تقييد وحصر وقياس المكان الذي ننشأ فيه، والطريقة التي نفكر بها ونشعر بها ونتصرف بها، والبحث عما يواصل فصل الناس عندما يكون التعاون في مصلحة الجميع؟ هل نحن كنوع محكوم عليه بسوء الفهم والصراع الدائم؟ اكتشف في الثقافات والمنظمات: برامج العقل. إنه أطلس حقيقي للقيم الثقافية، ولا شك أن الموضوع يعالج المجتمعات الحديثة ويستند إلى أبحاث متعددة الثقافات في دول العالم، وتصف النظرية الثورية للنسبية الثقافية وتطبيقاتها في مجموعة من المهن. وهي تكشف عن القواعد غير المدققة التي يفكر بها الأشخاص في ثقافات مختلفة ويشعرون بها ويتصرفون في مجال الأعمال والأسرة والمدارس والمنظمات السياسية. تستكشف كيف تختلف الثقافات الوطنية في المجالات الرئيسية عدم المساواة، والجماعية مقابل الفردية، والحزم مقابل التواضع، والتسامح تجاه الغموض، وتأجيل الإرضاء يشرح كيف تختلف الثقافات التنظيمية عن الثقافات الوطنية، وكيف يمكن، في بعض الأحيان، إدارتها. وهو يفسر الصدمة الثقافية، والإثنية، والقوالب النمطية، والاختلافات في اللغة والفكاهة، والجوانب الأخرى لديناميات الثقافات، وتوفر رؤى قوية لرجال الأعمال والموظفين المدنيين والأطباء ومهنيي الصحة العقلية والمهنيين المكلفين بإنفاذ القانون.

طور هوفستد بفحص نتائج مسح على مستوى عالمي في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي.

واقترحت النظرية الأصلية أربعة أبعاد، ثم أضاف لها بعدين آخرين، في كتابه الصادر في 2010:

Cultures and Organizations. Software of the Mind

(الثقافات والتشكلات العضوية: برامج العقل)

يمكننا وضع هذا الجدول المبسط الذي يشرح بإيجاز ماهية الأبعاد الثقافية ومقوماتها ومضمونها:

انظر (Hofstede 2010)

في مبحثنا هذا، وبعد أن عرضنا بعجالة شديدة جداً هذه الأبعاد الثقافية الستة، سنحاول أن نطبقها على الحضارة البابلية لنستشفّ منها ما يمكن أن تُظهره مقاساتها، سنحاول أن نتقصى طبيعة المجتمع البابلي بثقافته وحضارته من خلال ما عرفناه عنه في مجمل كتابنا هذا، ونعرف أنها مغامرة لكننا سنخوضها بإيجاز وبحسبان، وسندرس الأمر باستفاضة في كتابنا النظري عن الحضارات وعلمها ودراساتها:

1. الفردية ـ الجماعية: لا شك أن الحضارة البابلية، مثل بقية الحضارات الشرقية القديمة، حضارة تسيطر عليها قيم الجماعة وتكاد تختفي فيها القيم الفردية الخاصة، فهامش الفرد صغير جداً ولا وزن له.ولذلك فقوة التفاعل الإجتماعي، في هذا الصدد، ليست قوية.

2. المجهول ـ المعلوم: لم يكن هناك تحكم واضح بالمستقبل في الحضارة البابلية، ولو كان هناك عكس هذا لما مرت الحضارة البابلية بفترات ضعف وانتكاسات كثيرة لها أسبابها المعروفة، وأهمها التمدد والتوسع، فلم يكن مثل هذا الدرس واضحاً في هذه الحضارة رغم عمرها الطويل، وليس الأمر بالمستغرب لأن بقية الحضارات المحيطة بها كانت تشبهها في هذا السلوك.

3. الذكورة ـ الأنوثة: رغم ما حصلت عليه المرأة البابلية من حقوق، ورغم مكانتها، لكن التوجه العام في المجتمع والحضارة كان ذكورياً. وكان النجاح بالثروة والنفوذ يقوم به الرجل في كل المجالات تقريباً وبنسب عالية برغم الهامش الواسع للمرأة قياساً مع غيرها من الحضارات.

4. التقريب ـ الإبعاد: كان هناك الدور الأكبر للشيوخ وكبار السن وأصحاب التجربة في تسيير الحضارة، وكان الأصغر سناً يقومون بواجبات الحرب والحفاظ على قوة المجتمع العسكرية بشكل خاص.

5. البعيد ـ القريب: كان اهتمام الحضارة البابلية بالماضي أكبر من المستقبل، وكان للحاضر حصة في بعض الأحيان وخصوصاً مع نشأة الأسر وصعودها، لكن الماضي والتراث وإرث وادي الرافدين لعب الدور الأكبر فيها.

6. الضبط ـ الاسترسال: كان حجم الضبط قوياً، في أغلب الأحيان، وخصوصاً في تطبيق القوانين والاستعداد للمعارك والتحصّن ضد الأعداء، وكان الاسترسال والتراخي حاضراً، أيضاً، في الكثير من الأحيان.

المبحث الخامس: المنجزات المتفردة للحضارة البابلية

(الاختراعات والاكتشافات التي تنفرد بها وسبقت بها غيرها)

رغم أن الحضارة البابلية جاءت بعد الحضارة السومرية في وادي الرافدين وشكّلت استمراراً حضارياً لها وتأسست على الأسس الحضارية التي بنتها سومر، لكنها استطاعت في زمنٍ يمتد منذ 2000 ـ 539 ق.م، أي بما يقرب من 1460 عاماً، أن تقدّم الجديد من المنجزات والاختراعات والاكتشافات المتفردة التي تميزها لوحدها وتُحسب لها، دون

غيرها، والتي شكّلت موجة حضارية متدفقة وصلت إلى سواحل الإغريق وساهمت في نهضتها الحضارية، وتردد صداها في الحضارة الغربية لاحقاً. وفيما يلي أهم هذه المنجزات:

1.المنجزات الرياضية النوعية:

لا ترقى أية حضارة قديمة لما وصلت له الحضارة البابلية في مجال الرياضيات، وحتى الحضارة الهندية التي كانت متميزة التطور في هذا المجال لم تسبق بابل زمنياً بل جاءت متأخرة بعدها وحققت إنجازاتها النوعية في الرياضيات، ويمكننا أن نوجز هذه الفقرة بالنقاط الآتية:

أ. النظام الرقمي المتطور: وهو نظام قام على الجمع بين النظامين الستيني والعُشري بطريقة مبدعة وخلاّقة، وقد شرحناهما بالتفصيل، استخدم البابليون نظاماً رقمياً للموضع، حيث تعتمد قيمة الرقم على كل من الرقم وموقعه. النظام الموضعي يبسط إلى حد كبير الحساب. في الواقع، يكاد يكون من المستحيل إجراء رياضيات متقدمة بنظام غير موضعي مثل الأرقام الرومانية. يعد نظام الأرقام البابلي أول نظام رقمي موضعي معروف ويعتبره البعض أكبر إنجازاتهم في الرياضيات. بسبب نظام الأعداد المتقدم، حقق البابليون تطورات كبيرة في الرياضيات. لقد ثبت الآن أن علماء الرياضيات الإغريق واليونانيين استعاروا بكثافة من البابليين.

ب. مهّد البابليون لاختراع رقم (الصفر) عن طريق جعله مساحة صغيرة فارغة، لكن هذا كان اختراعاً ناقصاً للصفر أكمله الهنود، فيما بعد، بوجود علامة خاصة بالصفر.

ت. إجراء عمليات حسابية متقدمة وحل المعادلات التربيعية، وبناء الجداول للمساعدة في الحساب التي مثلت حافزاً للمهارات الرياضية وهو ما نشتغل به اليوم في هذا المجال، فعلى سبيل المثال هناك جداول مربعات من الأرقام حتى 59 ومكعبات من الأرقام تصل إلى 32. إذا كان أحد يستخدم الصيغ، فإن جدول المربعات هو كل ما هو ضروري لمضاعفة

الأرقام. جاء ذلك لأنهم افتقدوا الخوارزمية اللازمة للتقسيم الطويل، ولذا استخدموا، بدلاً من ذلك، تلك الجداول.

ث. طور علماء الرياضيات البابليون أساليب جبرية لحل المعادلات. واستندت هذه أيضاً على الجداول المحسوبة مسبقاً. وهناك أول دليل، في التأريخ، على حل المعادلات التربيعية جاء من بابل.

ح. معادلات لحساب مكعبات الأرقام والجذور التكعيبية.

ج. حصلوا على كسورٍ في غاية الدقة باستخدامهم الكسور الستينية النظام، وليس العشرية النظام، والتي تشبه النظام الرقمي للبرمجيات الحديثة والحواسيب.

خ. استخدم البابليون الهندسة لحساب مساحات المستطيلات والمثلثات وشبه المنحنيات وكذلك أحجام الأشكال البسيطة مثل الطوب والأسطوانات.

د. هناك أيضاً أدلة تشير إلى أن نظرية فيثاغورس كانت معروفة لدى علماء الرياضيات البابليين منذ عام 1900 قبل الميلاد، أي قبل أكثر من ألف عام من ولادة فيثاغورس.

2.المنجزات الفلكية المتطورة:

ترافق تقدم الرياضيات البابلية مع منجزات الفلك، وتطور بدرجة فائقة لم تشهد له مثيلاً أية حضارة، في العالم القديم، سنوجزها كما يلي:

أ. إن فكرة مركزية الأرض لم تكن موجودة في علم الكونيات البابلي. وهم، بدلاً من ذلك، اعتقدوا أن الكون يدور كله في مجال دائري مع السماوات والأرض والكواكب. وهي نظرية أكثر علمية من نظرية مركزية الأرض.

ب. استخدموا حسابات هندسية متطورة لتتبع موقع وحركة كوكب المشتري بالإضافة إلى سرعته والمسافة التي سار بها. لقد فعلوا ذلك من خلال طريقة لتقدير المنطقة تحت

المنحنى عن طريق رسم شبه منحرف، أو رباعيّ الشكل. وهذه التقنية أساسية في الفيزياء وعلم الفلك وكان يعتقد في السابق أنها نشأت في أوروبا في القرن الرابع عشر.

ت. كان البابليون أول من أدرك أن الظواهر الفلكية دورية وتطبق الرياضيات على تنبؤاتها، فقد سجل البابليون ملاحظات فلكية بطريقة دقيقة جيلاً بعد جيل. وبمرور الوقت سمحت لهم قاعدة البيانات التراكمية الضخمة، التي جمعوها، بتطبيق القواعد الرياضية للتنبؤ بالأحداث الفلكية المستقبلية.

ث. وضعوا السجل التاريخي الأول لدورة الساروس، وكان علم الفلك البابلي أساساً للكثير من الرياضيات اليونانية القديمة وعلم الفلك، والذي هو الأساس للثورة العلمية في الغرب.

ح. اكتشاف دورات الكسوف وعلاقتها بدورات الساروس. وأن دورية وتكرار الكسوف تخضع لدورة الساروس، ودورة الساروس وهي فترة تبلغ حوالي 6585.3 يوماً (18 سنة و11 يوماً و8 ساعات). وهي تستخدم للتنبؤ بكسوف الشمس والقمر.

3.المنجزات التنجيمية المتطورة:

نشأ التنجيم البابلي بجوار علم الفلك، وكان شكله السحريّ والشعبي الذي انتشر بين الناس وأصبح وسيلة من وسائل العزاء والتوازن النفسي أكثر من كونه علماً وكانت له وظائف اجتماعية وباراسايكولوجية مهمة في المجتمع برغم عدم علميته. يأتي الخطأ، دائماً، من اعتباره علماً، وهو علم مزيف منتشر في كل المجتمعات، ساهم البابليون بتطويره النوعيّ لدرجة أن بابل كانت توصف ببلاد المنجمين والسحرة، وهي كلمة حق يُراد بها باطلٌ، الحق فيها أنهم كانوا متطورين في مشاغل السحر والتنجيم ولكن رؤيتهم للحياة والعالم كانت متطورة أكثر بكثير في جوانبها العلمية، فالرياضيات والفلك هما علامتان مميزتان تعلوان على السحر والتنجيم وتفوقان في منافعهما للبشرية وتأريخ العلم.

كانت بابل ترى، بعد سومر، أن هناك وظيفة للكواكب تؤثر في حياة الناس. كان التنجيم أحد الوسائل الرئيسية للكهنة البابليين للتأكد من إرادة الآلهة. وهكذا وضعت بابل أساسات التنجيم الغربي. بل إن الأبراج التي نستعملها اليوم في حياتنا المعاصرة هي من أصل بابلي استعملها الغرب ثم نشرها في العالم بعد المرحلة الهيلنستية، ولا بد من التنويه بأن السومريين هم الذين بدأوا في وضعها.

4.المنجزات المعمارية المتطورة:

أ. تمكن البابليون من وضع هندسة وبناء هياكل معقدة وكبيرة الحجم. وبرغم نقص الأحجار والصخور في طبيعتها لكن ذلك لم يمنعها من تطويع الطين وتحويله إلى طوب طيني. وهو ما أدى إلى التطوير المبكر للحواجز والدعامات والأعمدة واللوحات الجصية والبلاط المينا.

ب. كان للعمارة البابلية تأثير كبير في المهندسين المعماريين الآشوريين. خلال الفترة البابلية القديمة، واكتسبت طابعها المركب مع الزمن. فقد تم عرض الأعمال الفنية في النحت في اللوحات الجدارية والبلاط المينا. وكان موضوعها دينياً في الغالب، في حين فضل الآشوريون النحت البارز، فإن البابليين متخصصون في التماثيل القائمة بذاتها.

ت. نظراً لأن الحجر كان نادراً في المنطقة، فقد تعامل الفنانون البابليون معه على أنه مادة ثمينة وحققوا درجة عالية من الكمال في فن تقطيع الحجر ونحته. وظهرت العديد من الأختام المتطورة والمنحوتة بدقة عالية. ويظهر ذلك جلياً في بوابة عشتار وكائناتها المنحوتة.

ث. الزقورات البابلية، التي هي من أصولٍ سومرية، هياكل حجرية هائلة بمستويات وطبقات متتالية. وأشهرها هو برج بابل (إيتمانانكي) الذي بلغ ارتفاعه 91 متراً وتم بناؤه حوالي عام 610 قبل الميلاد من قِبل الملك البابلي نبوبلاصر وخصص لرعاية بابل من قبل الإله مردوخ. وهو مصدر إلهام للأسطورة التوراتية لبرج بابل، حيث هو برج طويل القامة

بما يكفي للوصول إلى الجنة في السماء. وهناك حدائق بابل المعلقة التي ما زال البحث فيها جارياً بين بابل وآشور، وهي واحدة من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم. فهي سلسلة تصاعدية من الحدائق المتدرجة تحتوي على مجموعة واسعة من الأشجار والكروم. يتم وصفها على أنها إنجاز رائع للهندسة المعمارية وهندسة الريّ، ويقال إنها شيدت في عهد نبوخذ نصر الثاني (605 ـ 562 قبل الميلاد).وتشمل الهياكل المذهلة الأخرى التي بناها البابليون قصور بابل ومعابدها وبوابة عشتار.

5.المنجزات القانونية المتطورة:

سن حمورابي مجموعة من القوانين، لحكم إمبراطوريته، المعروفة الآن باسم قانون أو شريعة حمورابي. وكانت واحدة من أقدم وأعظم وأكمل الشرائع القانونية المكتوبة. أيضاً، على عكس قانون بلاد ما بين النهرين السابق،. يحتوي قانون حمورابي على ما يصل إلى 282 قانوناً يناقش مجموعة واسعة من الموضوعات، وكانت تركز بشكل أكبر على العقاب البدني للجاني، فهي أكثر قسوة من الشرائع السومرية التي سبقتها، ولكنها كانت من بين أوائل القوانين التي تؤكد افتراض البراءة، أي مبدأ اعتبار المرء بريئاً ما لم تثبت إدانته. ومع ذلك، فقد كان رمزاً قاسياً للغاية وفقاً لمعايير اليوم، فقد أدرجت عقوبة الإعدام كعقوبة لما لا يقل عن 30 جريمة وردت فيها.

6.المنجزات الأدبية المتطورة:

ازدهر الأدب في الإمبراطورية البابلية القديمة بين عامي 1900 ق.م. و1600 ق.م. وكانت الأعمال عالية في الأصالة وفي هذه الفترة كتبت، لأول مرة، ملحمة جلجامش بألواحها السبعة وهي أول ملحمة بشرية كتبت في التأريخ. كان زمن أحداث الملحمة في حدود 2750 ق.م حيث جلجامش هو الملك الخامس في أسرة أوروك الأولى في عصر فجر السلالات. وقد كتبت عنه النصوص السومرية الستة وهي قصص (ثلاثة منها فقط لها علاقة بالملحمة وهي جلجامش وأرض الأحياء قتل خمبابا، جلجامش وثور السماء، جلجامش وأنكيدو والعالم الأسفل ويقابل اللوح 12)، الثلاثة الأخرى هي (جلجامش

وعشتار وشجرة الخلبو، جلجامش وأجا ملك كيش، موت جلجامش). في العصر البابلي القديم (2000-1500) ق.م تم تدوين الملحمة باللغة الأكدية في عصر حمورابي وبـ (8 ألواح)، وفي العصر البابلي الوسيط كُتبت الملحمة بـ(11 لوحاً) في حدود 1300 ق.م لم يصلنا كاملاً، أما النسخة الآشورية (المعيارية) فقد أضيفت لها المقدمة واللوح 12 في القرن السابع قبل الميلاد وعثر عليها باثني عشر لوحاً في مكتبة آشور بانيبال.

اعتمد الأدب البابلي بشكل كبير على الأدب والأساطير القديمة للسومريين، حيث جمع البابليون تقاليد نصية جوهرية في النصوص الأسطورية والقانونية والأعمال العلمية والرسائل والأشكال الأدبية الأخرى.

كان هذا الأدب يجد صداه في المكتبات المنتشرة في معظم المدن والمعابد في بابل. وفي المدارس التي ارتادها الرجال والنساء، وتعلموا فيها القراءة والكتابة والأدب، فضلاً عن العلوم الكثيرة..

7.أسطورة الخليقة البابلية باعتبارها النصّ المقدس الأشمل والمؤثر في الأديان القديمة:

يعتبر نص أسطورة الخليقة البابلية بمثابة الكتاب المقدس الأشمل والأدق والأقدم، في العالم القديم، فهي أسطورة تكوينية بامتياز وبتفصيلٍ قلّ نظيره، وهي المدونة التي شهدت الانقلاب الذكوري وتصفية الإلهة الأم وأتباعها لصالح الأجيال الذكورية الأحدث وهو ما يجعلها مؤسسة اللاهوت والكهنوت الذكوريين، كما أنها أسست للتفريد الذي جمع صفات ومقامات الآلهة الأخرى لصالح إله واحد هو (مردوخ) الذي أصبح (ملك الآلهة) وفاز بكوكب المشتري على المستوى الفلكي. إن هذه الأسطورة التكوينية الكبرى صارت نواة أساطير التكوين في العالم القديم.

ولا بدّ من التنويه أن هناك ثلاث أساطير أخرى عن الخليقة جاءت من بابل ذكرناها في مبحث أساطير الخليقة.

8.العاصمة بابل هي أكبر وأعظم مدينة في التأريخ القديم:

ورثت مدينة بابل أمجاد مدن الحضارتين السابقتين عليها وهما (أوروك عاصمة السومريين القديمة، أور عاصمة السومريين الجديدة، وأكد عاصمة الأكديين) فضلاً عن نيبور العاصمة الدينية للسومريين، وتشير التقديرات إلى أن بابل كانت أكبر مدينة في العالم من حوالي 1770 قبل الميلاد إلى 1670 قبل الميلاد. ثم مرة أخرى بين 612 قبل الميلاد و320 قبل الميلاد، فقد استمرت أهميتها بعد الاحتلال الفارسي الأخميني حتى مجيء الاحتلال السلوقي. وربما كانت أول مدينة يصل عدد سكانها إلى 200000 نسمة.

وللتأكد من ذلك نضع هذا الجدول الذي فيه مساحة بابل ومحيطها مقارنةً بأهم عواصم العالم القديم، اعتماداً على معلومات ذكرها العلامة طه باقر (انظر باقر 2009: 621):

9.منجزات الصناعات والتعدين وبطارية بغداد لطلاء المعادن:

تطورت المهن والصناعات في بابل لدرجة ملفتة للنظر، وأصبح هناك عشرات من المهن الصناعية في مجال الزراعة والصناعة والتعدين والتجارة والنقل، وظهرت آلاف الورش والمعامل الصغيرة لهذا الغرض، وقد حاولنا في هذا الكتاب عرضها بإيجاز شديد، ومن بين المهن المبتكرة كانت صناعة التعدين وفروعها الكثيرة، فقد ظهرت مصاهرة المعادن وتنقيتها وخلطها وتشكيل سبائكها بوسائل كيميائية متطورة، وكان بعض المعادن يُطلى بغيره من المعادن الأرقى والأثمن كالذهب والفضة، وقد عُثر على عدد كبير مما أصبح يعرف بـ(بطارية بغداد)، والتي سُميت بهذه التسمية بسبب العثور عليها في موقع قريبٍ من مدينة بغداد، وكانت هذه البطاريات تُستخدم لطلاء المعادن بطريقة كهربائية وكيميائية متقنة، لكنها لم تستخدم للإنارة أو المجالات الكهربائية الأخرى.

10.العملات المعدنية:

كان السومريون قد وضعوا أساس التعامل المالي بالوزن، فاخترعوا الشيقل كوزن طينيّ يساوي 60 حبة قمح، ثم اخترعوا الحلقات المعدنية والحلزونية، كنوع من العملة، ثم الشيقل الفضي الذي يحمل صورة لعشتار. لكن هذه العملات لم تكن شائعة فاقتصر التعامل على الوزن بها. وحين جاء البابليون طوّروا الشيقل الفضي كوزن لقطع معينة من الفضة كانت تُختم من الدولة أو المعبد بأختامٍ يحمل بعضها رموزاً أو صوراً للآلهة، لكن الأمر لم يكن منظّماً وموحداً رغم شيوع التعامل بالشيقل الفضي كوحدة وزنية. كان هذا مدعاة لتطور الأمر في عصر سنحاريب الآشوري الذي سكّ العملات الفضية التي تحملُ صورة لرأس عشتار اعتبرت بمثابة العملة، وكانت هذه خطوة متقدمة أخرى.لكن الأمر حسم في التطور الذي فعله الليديون في القرن الخامس قبل الميلاد في عصر ملكهم قارون حين وضعوا النقود الفضية كمبدأ عام للتعامل المالي.

11.أحجار الحدود (كودورّو):

ابتكر البابليون وطوّروا أحجار الحدود أو أحجار تثبيت حدود الأملاك والعقارات وهي أحجار طويلة، لا يزيد طولها عن المتر الواحد، تُثبت في الأرض لتعيين الحدود بين مقاطعة وأخرى، وتودع نسخة ثانية من كل حجرة في معبد المدينة لتمثل وثيقة لحقوق مالك الأرض الذي يدون فيها اسمه واسم واهب الأرض له. ومع أن الكلمة التي تطلق على هذا النوع من الوثائق (كودورّو) تعني (الحد) أو (التحديد)، وربما يوحي معناها بالـ(جدار) إلا أنها كانت تمثل سجلات بقطائع الأراضي الزراعية وهبت من قبل الحاكم أو الملك لأشخاص أدوا خدمات للدولة، أو أنها بمثابة مستندات الطابو الكبيرة الشاخصة للعيان. والكودورو هذه أصبحت اليوم مصدر إشارات الحدود بين الدول والمقاطعات في العصر الحديث.



حجر كودورو من بابل لتسجيل منحة قدرها خمسة غور من الذرة

عثرعليه في منطقة إيدينا في جنوب بابل، إلى غولا ـ إريش ـ آنا ـ شوم ـ إيدينا (1125 ـ 1100) ق.م.

12.نضوج فكرة الملكية الاقتصادية

كانت الملكية الفردية موضوع اهتمام ملحوظ عند السومريين، ولكنها أخذت أهمية استثنائية مع البابليين واعتبرت بعد الصحة والعمر الطويل والذرية الأمر الحاسم في حياة الفرد، «فالنصوص المتعلقة بتثبيت الملكية، البيع، الشراء، الحرمان من الميراث، الاسترقاق، الانعتاق، طافحة بالصيغ والعبارات الخاصة بالمراسم المرافقة لمثل هذه العمليات. ولا نعتقد بأن هناك ضرورة ملحة للتوقف عند المعاني الدقيقة لمثل هذه العبارات. ما يهمنا الآن شيء آخر بالرغم من النشاط التجاري المتطور الذي شهدته بلاد الرافدين القديمة، إلاّ أن الأشياء والممتلكات لم تتحول إلى قيمة استعمالية مجردة، أو قيمة تبادلية في المفهوم الاقتصادي البحت، أي أنها لم (تنفصل) عن أصحابها انفصالاً تاماً، ولم تصبح (مجرد أدوات

محايدة كما ينظر إليها قانون يوستينيان والقوانين المعاصرة)» (كلشكوف 1995: 51 ـ 52).

أي أن الملكية عند البابليين كانت خطوة في طريق تبلور المفهوم العميق للملكية في الاقتصاد الحديث، وهي نقلة مهمة من تلك المجتمعات التي كان يطغى عليها امتلاك الأشياء من قبل الملوك ورجال الدين إلى الأفراد الذين يحوزونها، وكان كلّ ذلك يجري وفق قوانين منظمة ودقيقة في هذا المجال.

فهرس المراجع

أولاً: المراجع العربية

1. الأحمد، سامي سعيد: العراق في كتابات اليونان والرومان، دائرة الآثار العامة، **مجلة سومر**، المجلد 16، بغداد (1970).

2. الأحمد سامى سعيد: الطب العراقى القديم، **مجلة سومر**، المجلد 30، مديرية الآثار العامة، بغداد (1974).

3. الأحمد، سامى سعيد: معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، **مجلة المؤرخ العربي**، بغداد، العدد 2، (1975).

4. الأحمد، سامي سعيد، **تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير**، البصرة، مركز دراسات الخليج، البصرة (1985).

5. الأحمد، سامي سعيد: **السومريون**، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1990ص 46-47.

6. الأحمد، سامي سعيد: **بلاد بابل تحت الحكم الآشوري ـ من صعود آشور بانيبال حتى وفاة شمش ـ شم ـ اوكن**، مجلة سومر، العدد 44، بغداد (1985 ـ 1986).

7. الأحمد، سامي سعيد: **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت (2013).

8. الاسود، حكمت بشير: حمورابي والتوراة، **مجلة سومر**، المجلد 43، دائرة الآثار العامة، بغداد (1984).

9. الأسود، حكمت بشير: **أدب الغزل ومشاهد الإثارة في الحضارة العراقية القديمة**، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق(2008).

10. الأمين، محمود: آكيتو، أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت، **مجلة كلية الآداب،** ج5، بغداد (1962).

11. الأمين، محمود حسين: **آكيتو أو أعياد رأس السنة البابلية وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت**، مشروع آشور بانيبال للثقافة 2،آشور بانيبال للكتاب، بغداد (2018).

12. اذزارد،.وجماعته: **قاموس الألهة الأساطير**، ترجمة محمد وحيد خياطة. مكتبة سومر، حلب ـ السلمانية (1987)(2000).

13إلياد، مرسيا: **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**. ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق للطباعة والنشر. مطابع الشام، دمشق،(1986-1987).

14. إلياد، مرسيا: **أسطورة العود الأبدي**، ترجمة نهاد خياطة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق(1987).

15. إسماعيل، خالد سالم وهيثم أحمد حسين: فؤول الزراعة والأشجار والنباتات وفؤول القنوات والآبار في العصر البابلي (القديم والوسيط والحديث)، **مجلة نينوى**، المجلد 21، السنة السادسة جامعة الموصل، كلية الآثار، (تموز 2010).

16. الأعرجي، حسين سيد نور: مفهوم العدالة في الخطاب السياسي في العراق (3000 ـ 593 ق.م)، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، العددان (3 ـ 4) المجلد 7، (2008).

17. الأعرجي، حسين سيد نور ومصطفى فاضل حميد الميالي: دور السلطة السياسية ومكانتها في التحريم في الفكر العراقي القديم، **مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم**

الاجتماعية، المجلد الثاني، الخلاصة، واسط (2018).

18. أوبنهايم، ليو: **بلاد ما بين النهرين**، ترجمة سعدي فيضي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (1981).

19. أوتس، جون: **بابل تاريخ مصور.** ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي. دائرة الآثار والتراث (1990).

20. بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مر: عبدالغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 173، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت(1993).

21. باقر، طه: **بابل وبورسبّا،** مديرية الآثار العامة، مطبعة الحكومة، بغداد (1959).

22. باقر، طه: **مقدمة في أدب العراق القديم.** منشورات جامعة بغداد. كلية الآداب. بغداد 1976.

23. باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، شركة الوراق للنشر المحدودة، لندن (2009).

24. باقر، طه: **ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان**، ط5، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق (2001) و(2018).

24. بارو، أندري: **سومر فنونها وحضارتها**، ترجمة وتعليق الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، (1987).

25. البحراني، زينب: **نساء بابل (الجندر والتمثلات في بلاد مابين النهرين)**، ترجمة مها حسن بحبوح، قدمس للتشر والتوزيع، بيروت (2013).

26. البدري، عبد اللطيف: **الطب العراقي القديم، دراسات في تاريخ الطب والعلوم العربية**، مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد(1993).

27. بدر، عبد الرحيم: **دليل السماء والنجوم**، دار الرشيد، بغداد (1981).

28. بقة، بلخير: **أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية، سومر وبابل 3200 ـ 539 ق.م**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التأريخ، الجزائر (2009).

29. البعلبكي، منير: **معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين**، بيروت (1992).

30. بن خريف، نسرين: **الأخلاق في الفكر الشرقي القديم (مصر أنموذجاً)،** رسالة ماجستير بإشراف خشعي عبد النور، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر(2017).

31. بوتيرو، جان: **الديانة عند البابليين**. ترجمة د. وليد الجادر. جامعة بغداد. بغداد(1970).

32. بوتيرو، جان: **بابل والكتاب المقدس محاورات مع ايلين مونساكريه**، ترجمة روز مخلوف، دار كنعان للدراسات والنشر، بيروت(2000).

33. بوتيرو، جان: **بلاد الرافدين الكتابة العقل الالهة** ـ ترجمة الأب البير أبونا مراجعة د.وليد الجادر دائرة الشؤون والثقافة العامة، بغداد (1990).

34. بوتيرو، ج وكريمر، ص. ن: **أسطورة اينانا عشتار**، ترجمة الأب البير أبونا، بغداد (2005).

35. البياتي، فلاح محمود خضر، والجنابي، قيس حاتم هاني: روافد حقوق الإنسان في تاريخ العراق القديم، **مجلة كلية التربية الأساسية**، العدد 11،، جامعة بابل، آذار(2013).

36. بيلافسكي، ف. آ: **أسرار بابل**، ترجمة رؤوف موسى جعفر الكاظمي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد (2008).

37. تابوي، فيليب: **نبوخذ نصّر (عظمة بابل وإحراق نينوى وتدمير مملكة يهوذا)**، ترجمة فيليب عطا الله، دار الجمل، بيروت (1994).

38. تاتون، رنيه: **تأريخ العلوم العام (العلم القديم والوسيط)**، ترجمة د.علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (1988).

39. التكريتي، سلمان: **أساطير بابلية (مترجم عن النص الأنكليزي للبرتشاردز نصوص الشرق الأدنى القديم المتعلقة بالعهد القديم)**، مطبعة النعمان، النجف (1972).

40. تروادك، برتران: **علم النفس الثقافي (هل النمو المعرفي متعلق بالثقافة؟)**، ترجمة حكمت خوري وجوزيف بو رزق، دار الفارابي، بيروت (2009).

41. الجادر، وليد: صناعة التعدين، الفصل السابع من **كتاب حضارة العراق** ج2، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الجيل، بيروت، بغداد (1985).

42. جاو، جي جي: **بعض طرق النبوءات البابلية وعلاقتها فيما بينها**، من كتاب النبوءات البابلية لمجموعة من الباحثين، تقديم جوسي آرو، ترجمة د. حسن هيثم الطريحي، مراجعة د. محمد سعيد الطريحي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق (2010).

43. الجبوري، أحمد مجيد حميد: التبني في العصر البابلي القديم (دراسة موجزة في ضوء النصوص المسمارية)، **مجلة سومر**، المجلد 53، بغداد (2005 ـ 2006).

44. الجبوري، سالم يحيى: الحرب النفسية في نصوص العصر البابلي القديم «المسوغات والأهداف»، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، المجلد 16، العدد 9، أيلول (2009).

45. الجبوري، سالم يحيى: الحرب النفسية في نصوص العصر البابلي القديم (المسوغات والأهداف)، **مجلة تكريت للعلوم الإنسانية**، المجلد 16، العدد 9، أيلول (2009).

46. الجبوري، عبد الستار أحمد حسين خلف: **الثنائية اللغوية بين السومرية والأكدية في المصادر المسمارية**، أطروحة دكتوراه في الآثار القدمية، بإشراف الاستاذ عامر سليمان إبراهيم، كلية الآداب، جامعة الموصل (2011).

47. الجبوري، علي ياسين: **قاموس اللغة الأكدية ـ العربية**، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي (2010).

48. جبّور، باسم ميخائيل: **ملاحم تاريخية من الأدب الأكدي (ترجمة ودراسة)**، دار بيسان، بيروت (2017).

49. جبيل، جبار عبد: التجارة الخارجية للعراق في العصر البابلي (2000 ـ 1600) (625 ـ 359) ق.م (دراسة في الجغرافية التأريخية)، **مجلة البحوث الجغرافية** (كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة) العدد 9 (2008).

50. الجميلي، عامر عبد الله: **رسالة المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء**، منشورات دار المشرق الثقافية، دهوك (2011).

51. الجميلي، عامر عبد الله: **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، الموصل (2001).

52. حبة، فرج: الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، **مجلة سومر**، المجلد 25،، العددان 1و2، مديرية الآثار العامة (1969).

53. حسان، أحمد عبد الرحمن عابدين محمد: **المعاهدات الدولية (دراسة في تاريخ العراق القديم في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد**، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق (2006).

54. الحسناوي، فائز هادي علي: **المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد (2009).

55. حسين، أثير محمد: الأعمدة والدعائم بين الريادة والندرة في عمارة العراق القديم حتى نهاية العصر البابلي، **مجلة دراسات في التاريخ والآثار**، العدد 50، جامعة بغداد، بغداد (2015).

56. حسين، أثير أحمد: مظاهر الوفاق والسلام في المجتمع العراقي القديم الموحد ذو الثقافات المتعددة، **مجلة كلية التربية**، عدد المؤتمر العلمي الدولي الأول لجامعة ميسان/ كلية التربية (2018).

57. الحلو، عبد الله: **صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت (1999).

58. حماد، حسين فهد: **موسوعة الآثار التاريخية**، دار أسامة، عمّان (2003).

59. الحمداني، ياسر هاشم حسن: **وسائط النقل في العراق القديم،** رسالة ماجستير بإشراف الدكتور حسن ظاهر حمود، جامعة الموصل، كلية الآداب (2002).

60. حميد، صباح: شمش ـ شم ـ أوكن (668 ـ 648) ق.م. حاكم بابل ودوره السياسي، **آداب الرافدين**، العدد 57، بغداد (2010).

61. حميدان، شيراز علي: نقش الملك البابليّ نَبوخَد نَصّر (الثاني) عند مصبّ نهر الكلب -لبنان، **مجلة أوراق ثقافية**، السنة الأولى، العدد الأول، بيروت، ربيع (2019). المنشور على الرابط https://www.awraqthaqafya.com/85

62. حنون، نائل: **ملحمة جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي**، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق (2006 ا).

63. حنون، نائل: **المدافن والمعابد في حضارة وادي الرافدين القديمة**، الجزء الأول المدافن وشعائرها، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق (2006 ب).

64. حنون، نائل: **نصوص مسمارية تأريخية وأدبية**، سلسلة جامعة الكوفة 3، دار التنويرللطباعة والنشر، بيروت (2015).

65. خلف، باسم محمد حبيب: مصادر دراسة الفكر الاقتصادي في العراق القديم، **مجلة الحس للفنون والإدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع**، العدد40، تموز-يوليو (2019).

67. دالي، ستيفاني: **أساطير بلاد مابين النهرين**، ترجمة نجوى نصر، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت1997، أوكسفورد (1991).

68. دياكونوف، م.م: ظهور الدولة الإستبدادية في العراق القديم، **كتاب العراق القديم**، تأليف جماعة من علماء الآثار السوفيت، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد 1986: 305).

69. ديليتش، فردريك: **بابل والكتاب المقدّس**، ترجمة إيرينا دواد، العربي للطباعة والنشر، دمشق (1987).

70. ديلابورت، ل: **بلاد مابين النهرين (الحضارتان البابلية والآشورية)**، ترجمة محرم كمال، مراجعة د. عبد المنعم أبوبكر، ط2، سلسلة الألف كتاب (283)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1997).

71. ديورانت، ول وإيرل: **قصة الحضارة (الشرق الأدنى) ج2**، ترجمة محمد بدران، بيروت، تونس (2007).

72. الذنون، عبد الحكيم: **التشريعات البابلية**، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق (1992).

73. الراوي، فاروق ناصر: **حضارة العراق** ج2، ف8 المبحث 3 (الرياضيات والفلك)، دار الحرية للطباعة، بغداد (1985).

74. الراوي، هالة عبد الكريم سليمان كرموش: **المسلات الملكية في العراق القديم (دراسة تاريخية ـ فنية)**، رسالة ماجستير في التأريخ القديم، جامعة الموصل، كلية الآداب، الموصل (2003).

75. رشيد، فوزي: **الفكر في العراق القديم** (مخطوطة)، (د.ت)

76. رشيد فوزي: **الشرائع العراقية القديمة**، وزارة الإعلام العراقية مديرية الثقافة العامة، سلسلة الكتب الحديثة (57)، بغداد (1973) (1979).

77. رشيد، د. فوزي: من هم السومريون؟ **مجلة آفاق عربية**. السنة السادسة. العدد (12) آب بغداد (1981).

78. رشيد، فوزي: المسرح بابليّ وليس أغريقياً، **مجلة المورد**، العدد 3، مديرية الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1987).

79. رشيد، فوزي: **دراسات الفلك عند العرب ج1**(فضل البابليين في علم الفلك)، جامعة بغداد، مركز احياء التراث العلمى العربي(1987).

80. رشيد، فوزي: فضل البابليين في علم الفلك. **دراسات في الفلك عند العرب رقم (1)**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي، بغداد (1989).

81. رشيد، صبحي أنور: **الموسيقى في العراق القديم،** دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1988)

82. رشوان، محمد مهران: **تطـور الفكـر الاخلاقـي في الفلسـفة الغربيـة**، دار قبــــاء، القاهرة (1998).

83. روبسون، إلينور: تعلّم الرياضيات والعلوم في الشرق الأوسط القديم، ترجمة منشورة في **موقع الوركاء:**

http://uruk-warka.dk/news/2016-02/BTC_Robson_A.pdf

84. روثن، مارغريت: **تأريخ بابل**، ترجمة زينة عازار وميشال أبي فاضل، منشورات عويدات، سلسلة زدني علماً، ط2، بيروت ـ باريس (1984).

85. زيباري، عزيز محمد أمين وآخرون: تنصيب الملك البديل وولي العهد في العراق القديم، **مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش،** المجلد 31، الناشر: جامعة عين شمس ـ مركز الدراسات البردية والنقوش، القاهرة (2014).

86. ساكز، هاري: **عظمة بابل**. ترجمة د. عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل. الموصل(1979).

87. ساغس، هنري: **جبروت آشور الذي كان**، ترجمة د. آحو يوسف، دار الينابيع، دمشق (1995).

88. ساغز، هاري: **عظمة بابل**، ترجمة خالد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق (2008).

89. سالم، شريف حامد: **المصدر اليهوى في التوراة دراسة في المضامين التاريخية والدينية والسمات اللغوية**، مكتبة مدبولي، القاهرة (2011).

90. ستروف، ف.ف: مسألة تكوين مجتمعات الرق، وتطورها، وانحلالها في الشرق القديم، الفصل الأول من **كتاب العراق القديم** من تأليف جماعة من علماء الآثار السوفيت، ترجمة

وتعلق سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد (1976).

91. سلمان، كاظم جبر: التجديد العمراني للمعالم الدينية في مدينة بابل خلال مدة حكم الملك نبوخذ نصر الثاني (605 -562) ق.م، www.pdffactory.com، pp**مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية** 15 (2)، (2008). 688-708

92. سليم، أحمد أمين: **الأسرة في العراق القديم**، دار النهضة العربية، بيروت (1985).

93. سليمان، مؤيد محمد: علاج الصلع وتساقط الشعر في العراق القديم في ضوء النصوص المسمارية، **مجلة آداب الرافدين**، العدد 58، بغداد (2010).

94. سعيد د.خليل: **معالم من حضارة وادى الرافدين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء. الدار البيضاء(1984).

95. الشمري، طالب منعم حبيب، وأحمد عبيس فيروز: تبدّل مراكز الآلهة الثانوية في العراق القديم، **مجلة العلوم الإنسانية**، المجلد 24، العدد 4 (2016).

96. الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الثاني** الآلهة والبشر، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(1997).

97. .الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الثالث** (الموت والبعث والحياة الأبدية)، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(1999).

98. الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الرابع** (الحضارة والسلطة)، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(2001).

99. شيراز علي: (نفش الملك البابلي نبوخذ نصّر (الثاني) عند مصب نهر الكلب ـ لبنان، في **مجلة (أوراق ثقافية)** السنة الأولى، العدد الأول، ربيع 2019.

100. صالح، محمد صبري: المسرح البابلي، تأريخه وطرازه وخصائصه (دراسة تأريخية مقارنة)، **مجلة الأكاديمي**، العدد 74، الصفحات (65 ـ 82)، جامعة بغداد، بغداد (2016).

101. الصالحي، صلاح رشيد: الدبلوماسية البابلية في عصر العمارنة (دراسة في رسائل العمارنة)، **مجلة تكريت للعلوم الإنسانية**، المجلد 16، العدد 6، حزيران (2009).

102. الطائي، منذر علي قاسم محمد: **الأسعار والأجور في العصر البابلي القديم**، رسالة ماجستير، كلية الآداب في جامعة الموصل، بإشراف الاستاذ الدكتور عامر سليمان إبراهيم، (2004).

103. العبادي، معاذ حبش خضر: **المجالس في العراق القديم**، أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور عامر سليمان إبراهيم، كلية الآداب، جامعة الموصل، الموصل (2012).

104. عبد الحميد، محمد السيد: الأخلاق في بلاد النهرين، الندوة العلمية الثالثة 11، **المجلة العلمية للاتحاد العام للآثاريين العرب**، العدد 10، القاهرة (2009).

105. عبد العزيز، عبد العزيز أمين: قوانين المعاملات التجارية في حضارة بلاد الرافدين، **مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب**، المجلد 8، العدد 8، مايو (2007).

106. عبد الكريم، قصي منصور: شذرات من كنوز التراث العراقي القديم في جوانب من العلوم والمعارف الإنسانية، **مجلة عصور الجديدة**، العدد 14-15، صيف ـ خريف (أكتوبر) 1435 هـ (2014).

107. عقراوي، ثلماستيان: **المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين**، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، (1978).

108. علام، نعمت إسماعيل: **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط 6 دار المعارف، القاهرة، 1992.

109. علي، ختام عدنان: **آلهة بابل العظيمة آنو ونركال**، مشروع آشوربانيبال للثقافة7، بغداد (2008).

110. الغزي، عدنان محمد مجلي: بين الآشوريين والممالك الأمورية في بلاد الرافدين وبلاد الشام، **مجلة الآداب**، العدد 128، آذار، (2019).

111. فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط: **تاريخ الفن القديم**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد (1980).

102. فتوحي، عامر حنّا: **الكلديون / الكلدو منذ بدء الزمان (بحث في الهوية القومية الكلدية / الكلدية)**، ط2، د.م (2007).

112. فرانكفورت، هـ وآخرون: **ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى)**، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت (1980).

113. فرنسيس، بشير يوسف: **موسوعة المدن والمواقع في العراق**، إعداد جنان يوسف، تقديم ألبير أبونا، إصدارات إي ـ كتب، لندن، حزيران يونيو (2017).

114. فريحة، أنيس: **ملاحم وأساطير من الأدب السامي**، ط2، دار النهار للنشر، بيروت (1979). قاشا، الأب سهيل: أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت (1988).

115. قاشا، الأب سهيل: **بابل والتوراة**، دار أبعاد، بيروت (2011).

116. القيسي، إبراهيم حسين محمد: الدور الحضاري لقبيلة اليخروروم الأمورية في حضارة بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، **مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتأريخية**، المجلد 4، العدد 10، السنة الرابعة، تشرين الثاني (2017).

117. كجه جي، صباح اسطيفان: **الصناعة في تاريخ وادي الرافدين**، كتاب انترنيت بي دي اف، بغداد (2002).

118. الكرعاوي، كاظم جبر سلمان: أثر الدعاية الإعلامية في سير الأحداث السياسية في بابل خلال الألف الأول ق.م، **المؤتمر العلمي الحادي عشر لجامعة بابل** لسنة (2010).

119. كريمر، صموئيل نوح: **طقوس الجنس المقدس عند السومريين. إنانا ودموزي** ترجمة نهاد خياطة. العربي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق(1986).

120. كلشكوف: **الحياة الروحية في بابل**، الإنسان، المصير، الزمن، ترجمة عدنان عاطف حمودي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، (1995).

121. كوفمان، كاتي ك: **الطبخ في الحضارات القديمة**، ترجمة سعيد الغانمي، سلسلة الحياة اليومية عبر التأريخ، دار كلمة، ابو ظبي (2011).

121. كونتينو، جورج: **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1وط2، بغداد (1979) (1986).

122. كيدار، عبد الوهاب: السلالة البابلية الثانية، **مجلة الحكمة للدراسات التأريخية**، العدد 3 ـ مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ـ الجزائر (2014).

Vol.2014، Issue 3 (30 Jun. 2014)، pp. 216-235، 20 p.

http://search.mandumah.com/Record/652411

123. كييرا، أدورد: **كتبوا على الطين**، ترجمة محمود حسين الأمين، مكتبة دار المثنى، بغداد (1964).

124. لابات، رينيه: **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين**، مختارات من النصوص البابلية، ترجمة الأب البير أبونا، د. وليد الجادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الآداب، بغداد (1988).

125. لابات، رينيه: **الطب البابلي والآشوري**. ترجمة د. وليد الجادر، مجله سومر، المجلد 24 (1986).

126. لامبرت، وليم و& وولاس: **علم النفس الاجتماعي**، ترجمة الدكتورة سلوى الملا، مراجعة الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط2، القاهرة (1993).

127. لويد، سيتون: **آثار بلاد الرافدين**، ترجمة د. سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد للنشر، بغداد(1980).

128. لويد، سيتون: **آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري حتى الغزو الفارسي**، ترجمة محمد طلب، دار دمشق، دمشق (1993).

129. لوبون، غوستاف: **سايكولوجيا الجماهير**، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لندن (1991).

130. لوبون، غوستاف: **روح الاجتماع**، ترجمة أحمد فتحي زغلول، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة (2012).

131. لوبون، غوستاف: **السنن النفسية لتطور الأمم**، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة (2014).

132. لوبون، غوستاف: **حضارة بابل وآشور**، ترجمة محمود خيرت المحامي، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (2017).

133. لوبون، غوستاف: **القوانين النفسية لتطور الشعوب**، ترجمة أحمد فتحي زغلول، دار الرافدين، بيروت (2019).

134. لويس، برنارد: **من بابل إلى التراجمة: تفسير الشرق الأوسط**، ترجمة وتعليق طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة رقم 3022، القاهرة (2017).

135. محمد، هيفاء أحمد عبد الحاج: **ألقاب حكام وملوك العراق القديم**، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور عامر سليمان، كلية الآداب، جامعة الموصل، الموصل(2007).

136. محمد سعيد، محمد علي، المسرح الاغريقي، **مجلة سومر**، مجلد ـ 35، بغداد (1979).18

137. محمد، حياة إبراهيم: **نبوخذ نصر الثاني 604 ـ 562 ق.م**، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.

138. مجموعة من المؤلفين: **شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم**، ترجمة أسامة سراس، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق (1993).

139. المرزوقي، جمال: **الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي**، دار الأفاق العربية، القاهرة (2001).

140. مرعي، عيد: نابونيد آخر ملك بابلي، **حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية**، العد 18، جامعة قطر، الدوحة (1995).

141. مكاوي، عبد الغفار: **جذور الاستبداد قراءة في أدب قديم**، سلسلة عالم المعرفة (192)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (1994).

142. مورتكات، أنطون: **الفن في العراق القديم**، ترجمة وتعليق الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مديرية الثقافة العامة، بغداد(1975).

143. المعهد الديمقراطي الوطني: **مصطلحات المشاركة المدنية** (دليل المصطلحات والعبارات الشائعة) مركز المنشورات العربية للمعهد الديمقراطي الوطني، (2009). (NDI)

144. موسكاتي، سبتينو: **الحضارات السامية القديمة**. ترجمه د. السيد يعقوب بكر. دار الكاتب العربي للطباعه والنشر.(د. ت).

145. مؤيد سعيد، مؤيد: الفخار منذ عصر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم، **حضارة العراق** ج3، المبحث لثاني (1985).

146. الهاشم، ثريا عبد الله: **الأمومة والطفولة في تشريعات بلاد الرافدين (2500 ـ 500 ق.م)،** رسالة ماجستير، قسم التاريخ في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، بإشراف الدكتور عبدالله بن عبد الرحمن العبد الجبار (2012).

147. هوك، س. هـ: **ديانة بابل وآشور**. ترجمة نهاد خياطة. العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1978

148. الوائلي، فيصل: ترنيمة للإله الشمس،، **مجلة سومر**، المجلد 20، الجزء الأول والثاني، بغداد (1964).

149. النجفي، حسن، **مقتبسات اليهود من الشرائع العراقية القديمة**، بغداد(1981م).

150. النشار، مصطفى: **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (1997).

151. النقّاش، البير فريد وهنري زنية: **أخذة كش (اقدم نص أدبي في العالم)**. لسان المشرق. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت(1989).

152. النعيمي، شيماء علي: الأسماك في ضوء المصادر المسمارية والمنحوتات الأثرية الآشورية، **مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتأريخية،** المجلد 5، العدد 12، السنة

الخامسة، أيار (2018).

153. نيازي، صلاح: **فن الشعر في ملحمة كلكامش**، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، (2007).

154. النيهوم، الصادق: **بهجة المعرفة.** المجموعة الثانية (الانسان والمجتمع)،الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، (1979).

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Baqir، T.، **1945 Iraq Government Excavations at ‘Aqar Qūf**: Second Interim Report 1943–44: in Iraq Supplement II.

2. Baqir، T.، **1946 Iraq Government Excavations at ‘Aqar Qūf**: Third Interim Report 1944–45:in Iraq 8، pp. 7–93.

3. Britton، John P.; Proust، Christine; Shnider، Steve (2011)، «Plimpton 322: a review and a different perspective»، **Archive for History of Exact Sciences**، 65 (5): 519–566، doi:10.1007/s00407-011-0083-4.

4. Bruins، Evert M. (1949)، «On Plimpton 322، Pythagorean numbers in Babylonian mathematics»، **Koninklijke Nederlandse Akademie van Wetenschappen Proceedings**، 52: 629–632.

5. Bruins، Evert M. (1951)، «Pythagorean triads in Babylonian mathematics: The errors on Plimpton 322»، **Sumer**، 11: 117–121.

6. Bruins، E. M. (1957)، «Pythagorean Triads in Babylonian Mathematics»، **The Mathematical Gazette**، 41 (335): 25–28، doi:10.2307/3611533،

.JSTOR 3611533

Berrios GE. **The history of mental symptoms: descriptive** .7
psychopathology since the nineteenth century،
1996CambridgeCambridge University Press

Berrios GE، Porter R**. A history of clinical psychiatry**: the origin and .8
history of psychiatric disorders، 1995LondonThe Athlone Press

.Budge، Wallis: **Egyption Magic**، London، (1898) .9

Biggs RD. Medicine in ancient Mesopotamia، **Hist Sci**،، vol. 8 (pg. 94- .10
.105) (1969)

Budge، Sir E. A. Wallis: By Nile and Tigris A Narrative of Journeys in .11
Egypt and Mesopotamia on behalf of the British Museum between the years
1886 and 1913، **Great Antiquity of Baghdad**، Volum I. John Murray،
.Albemarle Street. London (1920)

Burstein، S.M: **The Babyloniaca of Berossus** (Vol. 1/5). Malibu .12
.(1978)

Dumbrill، R: **The Archaeomusicology of the Ancient Near East**، .13
.Traford Publishing (1998)

Edzard، D. O.، «The Ideas of Babylonian Geography»، **SUMER**، Vol. 21، .14
.P. 11. 1985

Frahm، E. 2011. **Babylonian and Assyrian Text Commentaries**، .15
.Origins of Interpretation. Münster: Ugarit

Geller، M.، **Ancient Babylonian Medicine، Theory and Practice**. .16
.Chichester (GB) & Malden، Mass: Wiley-Blackwell.(2011)

Grayson، A، K، **Assyrian and Babylonian Chronicle**، New York، .17
.(1975)

The Greenhaven Encyclopedia of Ancient Mesopotamia. «Sports and **.18**
Games.» Don Nardo. Ed. Robert B. Kebric. Detroit: Greenhaven Press،
.2007. 269-271. World History in Context. Web. 2 Nov. 2015

Goetze، albrecht، 55.-، Vol. 7، no.2، 1953، P. 54JCS«**An Old** .19
Babylonian

Haughton، Brian (26 December 2006). Hidden History: **Lost** .20
Civilizations، Secret Knowledge، and Ancient Mysteries. Red
.via Google Books ـ Wheel/Weiser

Hofstede، Geert، Gert Jan Hofstede، Michael Minkov: **Cultures and** .21
Organizations: Software of the Mind، Third Edition، McGraw Hill
.Professional، 24 mei(2010)

Hunt، Norman Bancroft: **Living in Ancient Mesopotamia Thalamus**، .22
.Publishing Chelsea House books، NewYork (2009)

23. Jursa، M.: Neo-Babylonian Legal and Administrative Documents: **Typology، Content and Archives.** GMTR 1، Münster، 2005، p. 19، 28، 41.

24. King، Leonard William: **A history of Babylon from the foundation of the monarchy to the Persian conquest،** London: Chatto and Windus (1915).

25. Westernholz، Ulla: Mesopotamian Astrology: An Introduction to ـ Koch Babylonian and Assyrian Celestial Divination **(Introduction to Babylonian and Assyrian، Celestial Divination)**، THE CARSTEN NIEBUHR INSTITUTE OF NEAR EASTERN STUDIES. Museum Tusculanum Press، UNIVERSITY OF COPENHAGEN (1995).

26. König، Wilhelm (1938): **Ein Galvanisches Element aus der Partherzeit**?، Forschungen und Fortschritte، 14: 8–9. (pdf).

27. König، Wilhelm (1939): **Im Verlorenen Paradies-Neun Jahre Irak**، pp. 166-68، Munich and Vienna.

28. Langdon S. H.. The Mythology of All Races (1931).

29. Labat، R. 1961. A propos de la fumigation dans la médecine assyrienne. **Revue d'assyrologie et d'archéologie orientale** 55: 152-153.

30. McCurdy، J. Frederic; Rogers، Robert W.)، «Chaldea»، in Singer، Isidore; et al. (eds.)، **The Jewish Encyclopedia**، 3، New York: Funk & Wagnalls، (1902).

Openheim، A، Leo، Babylonian and Assyrian Historical Texts، **ANET**، .31
.New Jersey، (1969)

Pizzimenti، Sara: Colours in Late Bronze Mesopotamia. Some Hints on .32
Wall Paintings from Dur Kurigalzu، Nuzi and Kar-Tukulti-Ninurta،
Proceedings of the 7th International Congress on the Archaeology of the
April 2010، the British Museum and UCL، 16 - **Ancient Near East** 12 April
.London(2012)

Powell، M. A. 1984: «Late-Babylonian Surface Mensuration»، **AfO** 31، .33
.p. 32-66

Powell، M. A. 1990: «Masse und Gewichte»، **RlA** 7، Berlin، New York، .34
p. 457-517

Rawlinson، George: **The Seven Great Monarchies Of The Ancient** .35
Eastern World، Vol4. (of 7): Media The History، Geography، And
Antiquities Of Chaldaea، Assyria، Babylon، Media،... Empire; With Maps
.and Illustrations. Public Domain Books (October 4، 2009)

Rollinger، Robert: **DĀDUŠA'S STELA AND THE VEXED** .36
QUESTION OF IDENTIFYING THE MAIN ACTORS ON THE
RELIEF، Published online by Cambridge University Press: 13 September
.(2017)

Roling، W.، Erwagungen zu newen stelen konig Nabonids in: Zeitshrift .37
.Fir Assyriologie، **Neue floge**، Band 22 (Band56)، s.224

38. Rollig، W، (ed.)، **RGTC** = Repertoire Geographique des Textes Cuniformes، Wiesbaden، (1974).

39. Sayce، Rev. A. H.: **Babylonians and Assyrians،** Life and Customs Date: April 16، 2008 [Ebook 25080] New York، C. Scribner's Sons. London)2008).

40. Seri، Andrea: **Local Power in Old Babylonian Mesopotamia** (Studies in Egyptology and the Ancient Near East) Reprint Edition Equinox Publishing Limited، (2011)

41. Schwartz.Mark: **Warfare at the dawn of history**(warriors of Babylon and Sumer). Ancient Warfare II 5: 12-17

42. Scurlock JA، Andersen B. **Diagnoses in Assyrian and Babylonian Medicine**، ChampaignUniversity of Illinois Press(2005).

43. Spence، Lewis: **Myths and Legends of Babylonia and Assyria** Chapter X-The Magic and Demonology of Babylonia and Assyria(1917).

44. Spiegel، Allen D.، and Christopher R. Springer. «Babylonian Medicine، Managed Care and Codex Hammurabi، circa 1700 B.C.» **Journal of Community Health** 22 (1997).

45. Wunsch، C.: Das Egibi-Archiv. I. Die Felder und Gärten. **Cuneiform Monographs**، vol. 20 a and b، Groningen، STYX، p. xix-xx.

46. Walker، chritopher: **Episodes in the history Babylonian**
Asranomy.society for mesopamian studies.toranto.(1982).

ثالثاً: المراجع الشبكية (الإنترنيت)

ترجمة الدكتور صباح الناصري، مدونة في النت، بـلاد مـا بـيـن الـنّـهـريـن في تـاريـخ هـيـرودوت، تاريخ الاقتباس 20/ 8/ 2019

https://sabahalnassery.wordpress.com/2015/04/19/بـلاد-مـا-بـيـن-الـنّـهـريـن-في-تـاري/

(حميدان 2019، موقع أوراق ثقافية https://www.awraqthaqafya.com/85/)

(انظر الموسوعة العربية http://arab-ency.com.sy/artifacts/overview/166142)

الصالحي، صلاح رشيد، موقع كاردينيا تاريخ الاقتباس 20/ 8/ 2019،
)https://www.algardenia.com/maqalat/33391-2017-12-27-08-07-47.html(

سلمان، كاظم جبر: العلاقات السياسية بين بابل وآشور من نهاية العصر البابلي الوسيط وحتى نهاية الإمبراطورية الآشورية (1995 ـ 612 ق.م) (2007). دراسة منشورة على الرابط الآتي:

http//art.uobabylon.edu.iq/publication_view.aspx?fid=8&pubid=729(2007)

(الصالحي، صلاح رشيد، موقع كاردينيا تاريخ الاقتباس 20/ 8/ 2019،
https://www.algardenia.com/maqalat/33391-2017-12-27-08-07-47.html)

http://iraqieconomists.net/ar/2013/08/25/ا-ل-أوبنهايم-نظرة-عامة-على-التاريخ-الا/

(أوبنهايم، نظرة عامة على التاريخ الاقتصادي لوادي الرافدين، موقع شبكة الاقتصاديين العراقيين، الإطلاع 15، 10/ 2019، على الرابط)

http://iraqieconomists.net/ar/2013/08/25/ا-ل-أوبنهايم-نظرة-عامة-على-التاريخ-الا/

(الطائي، من الادب البابلي القديم: حوار بين عاشقين، موقع مفكر حر، تاريخ الاقتباس 1/ 12 / 2019

(فائز مقدسي نشيد عشتار.. تعريب وصوغ وتنسيق، موقع أورهاي).

http://orhay.net/index.php?singlePage=NDQy تأريخ الإقتباس 7/ 8 / 2019

https://mufakerhur.org/من-الادب-البابلي-القديم-حوار-بين-عاشقي/إيليا الطائي

الهنداوي، حسين هل عرف البابليون الفلسفة؟، موقع الحوار المتمدن، الإقتباس في 1/ 12/ 2019 »

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=196577&r=0

الصالحي، صلاح رشيد، موقع كاردينيا تاريخ الاقتباس 20/ 8/ 2019، (https://www.algardenia.com/maqalat/33391-2017-12-27-08-07-47.html)

A Peculiar Late Babylonian Recipe For Fumigation Against Epilepsy، Strahil V. Panayotov، BabMed Project، Free University Berlin.

الفهرس العام لكتب المؤلف